



Copyright © King Saud University

٢١٨
أ. ق

اغاثة الله فان في مصايد الشيطان ، تأليف محمد بن ابي بكر
ابن ايوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، ابو عبد الله ، شمس
الدين (٦٩١ - ٧٥١ هـ) . بخط عبد الله بن محمد بن
عبد الله ، ٢٨٥ هـ .

٥٥١

٢٥٢ ق ٢٥ س ٥٣٣ × ١٦ سم

نسخة حسنة ، خطها معتار .

الاعلام ٦ : ٢٨٠ ، هدية العارفين ٢ : ١٥٨

الساحر والساحرة - ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي
بكر - ٧٥١ هـ
بد النسخ ج - تاريخ النسخ .

اعتناء الله بالهفان في يد الشيطان

شيخ الإسلام العالم العلامة الشيخ
المحقق المدقق مفتي الفرق شيخ
الإسلام والمسلمين تاج الإسلام

سيد المرسلين قانع البدع

والمبتدعين الذاب عن دين

رب العالمين النبي

سكا العابد

الوديع الزا

عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر بن

الشهيد يابن قيم الجوزية أعاد الله علينا وعلى

المسلمين من بركات وبركات علومه لنا

فعاله المفيدة وأحسننا وأياه من الفرح

الأكبر يوم الواقعة الشدة

وجمعنا وأياه في جنته

بكرمه ورحمته

امين

امين

أ

ان شيتان تجون الشيطان فالزم كتاب اغاثة الالهفان
فيه شفا القلب من امراضه وهو الطريق الى رضى الرحمن
لله در بنان ناظم عقده كم ضم فيه من فريد جان
حكم هي الدر المصنف لو ترى عين ويسمع من له اذنان
ومواعظ تسبي العقول وتسلب الالباب في لفظ والطف معان
فا علف عليه اذ اردت سعادته الدارين في فضل وفي احسان
واستغن عن زيد و عمر بالذي فيه ولا تأسف على الاخوان
وافزع الى الله المهيمن ضارعا نعتي بخود عليك بالغفران

لبعضهم

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الكتاب اغاثة الالهفان في تصايفه الرقم ٥٥١

الشيخ المصنف الجوزية

تاريخ النسخ ١٢٨٩

عدد الأوراق ٢٥٢

ملاحظات

القياس ١٦٨٢٢٥

٢١٤

١٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنوع جلاله وانار قلوبهم بمشاهدة صفات كماله
 وتعرف اليهم بما اسداه اليهم من النعمان وافضاله فاعلموا انه الواحد
 الاحد الفرد الصمد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله
 بل هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به احد من خلقه في اكنان واقلا له
 لا يحصي احد ثناء عليه بل هو كما اتى على نفسه على لسان من اكرمهم بارساله
 الاول الذي ليس قبله شئ والآخر الذي ليس بعده شئ والظاهر الذي ليس فوقه شئ
 والباطن الذي ليس دونه شئ فلا يحجب المخلوق عنه بستره وسر بالحق القوي
 الواحد الاحد الفرد الصمد المتفرد بالبقاء وكل مخلوق ينشئ الى الزوال والفساد الذي
 يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات فلا يشغله سمع
 شئ عن سماع ولا تغلظه المسائل ولا يتبرم بالحاج الملحون في سؤاله البصير
 الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء حيث كانت من
 سمائه اوجباله والطف من ذلك ربه لتقلب قلب عبده ومشاهدته لاختلاف
 احواله فان اقبل اليه تلقاه وانما اقبال العبد عليه من اقباله وان اعرض عنه لم يكله
 الى عدوه ولم يدعه في اهواله بل يكون ارحم به من الوالد بولدها الرفيقة به في حمله
 ورضاعه وفصاله فان تاب فهو افرح بتوبته من الفاقد لراحته التي عليها طعامه
 وشرابه في الارض الدورية الملكة اذا وجدها وقد تهيأت له وانقطاع اوصاله وان
 اصر على الاعراض لم يتعرض لاسباب الرحمة بل اصر على العصيان في اذباره واقباله
 وصالح عدوه وقاطع سيده فقد استحق الهلاك ولا يملك على الله الا الشقي الهالك
 لعظم رحمة وسعة افضاله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الحيا
 واحد الحد افراد ايمد اجل عن الاشباه والامثال وتقدس عن الاضداد والانذار
 والشركاء والاشكال لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولا راد لحكمه ولا معقب
 لامره واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال واشهد ان
 محمدا عبده ورسوله القايم له بحقه وامينه على وصيه وخيرته من خلقه ارسله
 رحمة للعالمين واما ما للتفنيين وحسرة على الكافرين وحجة على العباد اجمعين بعينه

ان
 لعنه الله
 وعظم

على حين

على حين فتره من الرسل فمد يده الى اقوام الطريق وادفع السبل واقترض على
 العباد طاعته ومحبة وتعظيمه وتوقيره والقيام بحقوقه وسد الى جنته
 جميع الطرق فلم يفتح لاحد الا من طريقه فشرحه له صدره ووضع عنه و
 زره ورفع له ذكره وجعل الذل والصغار على من خالف امره واقسم
 بحياته في كتابه المبين وقرن اسمه باسمه فلا يذكر الا ذكر معه كما في التشهد
 والخطب والتاذين فلم ير صل الله على من قايم بامر الله لا يرد عنه راد
 مشر في مرضات الله لا يصد عنه ذلك صاد الى ان اشرقت الدنيا برسالته
 ضياء وابتهجا ودخل الناس في دين الله افواجا وسارت دعوتهم سير
 الشمس في الاقطار وبلغ دينه القيم ما بلغ الليل والنهار ثم استأثر الله به
 لينجز له ما وعده به في كتابه المبين بعد ان بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح
 الامه وجاهد في الله حق الجهاد واقام الدين وترك امته على البيضاء الواضحة
 البينة للسالكين وقال هذه سبيلي ادعوني الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
 وسبجان الله وما انا من المشركين **اشهد** بعد فان الله سبحانه لم
 يخلق خلقه سدا ممللا بل جعلهم موددا للتكليف ومجلا للامر والنهي و
 الزمهم فهم ما ارشدهم اليه مجلا ومفصلا وقسمهم الى شقي وسعيد وجعل لكل
 واحد من الفريين منزلا واعطاهم مواد العلم والعمل من القلب والسمع والبصر
 والجوارح فخذ منه وتفضلا فمن استعمل ذلك في طاعته وسلك به طريقا
 معرفته على ما ارشده اليه ولم يبع عنه عدولا فقد قام بشكره وذكره وسلك به
 الى مرضاة الله سبيلا ومن استعمله في ارادته وشبهواته ولم يرتك خالفه فيه
 تحسر اذا استل عن ذلك وحزن حزنا طويلا فانه لا بد من الحسناء على حق هذه
 الاعضاء لقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
 لما كان القلب لهذه الاعضاء كالملك المنصرف في الجنود التي تصدر كلماتها عن
 امره ويستعملها فيما شاء وكلها تحت عجز دينه وقهره وتكسب منه الاستقامة و
 التزيغ وتبغعه فيما يعقده من القوام او يحمله قال النبي صلى الله عليه وسلم الاوان
 في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله فهو ملكها واذا فسدت فسد الجسد
 به القابلة لما ياتيها من هديته ولا يستقيم لها شئ من اعمالها حتى يصد عنها

ما اوتيه

حق

من العزم

قصده ونيتته وهو المستوعب كلها لان كل راع مسئول عن رعيته كان الاهتمام
بشخصه وتشدده اولى ما اعتمد عليه السالكون والنظر في امراضه وعلاجها
اهم ما تنسكب به الناسكون ولما علم عدو الله ابليس ان المدار على القلب الاعتماد
عليه جلب عليه بالسواوس واقبل بوجوه الشهوات اليه وزين له من الافعال والاعمال
ما يصدر به عن الطريق واداه من اسباب التي بما يقطعها عن اسباب التوفيق ونصب
له من المصايد والحبايل ما ان سلم من الوقوع فيها لم يسلم من ان يحصل له بها النعوت
فلا نجاة من مصايده ومكايد الابد وام الاستعانة بالله والتعرض لاسباب
مرضاته والتجا القلب اليه واقباله عليه في حركاته وسكناته والتحقيق بذل
العبودية الذي هو اولى ما تلجس به الانسان ليحصل له الدخول في صفاته ان
عبادي ليس كغيرهم سلطان في هذه الاضافة هي الفاطنة بين العبد وبين الشياطين
وحصولها بسبب تحقيق مقام العبودية لرب العالمين واشعار القلب
اخلاص العمل ودوام اليقين فاذا اشرب القلب للعبودية والاخلاص صار
عند الله من المقربين وشمله استثناء العباد كمنهم المخلصين **وما** من الله
الكريم بلطفه بالاطلاع على ما اطاع عليه من امراض القلوب وادوائها وما
تطهر يعرض لها من وساوس الشياطين اعداها وما تثمر لها تلك الوسواس من الا
عمال وما يكتسب القلب بعدها من الاحوال فان العمل السيي يصدر عن فساد قصد القلب
ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة فيزداد مرضا على مرضه حتى يموت ويبقى
لا حياة فيه ولا نور له وكل ذلك من انفعاله لوسوسة الشيطان وركونه الى
عدوه الذي لا يفتح الامن جاهده بالعصيان اردت ان افيد ذلك في هذا الكتاب
لاستذكره معترف فيه الله بالفضل والاحسان وينتفع به من نظره واعيان
مولفه بالمغفرة والرحمة والرضوان وسميته اغانة اللفه فان في مصايد الشيطان
وربته ثلاثة عشر بابا **الباب الاول** في انقسام القلوب الى صحيح وسقيم
وميت **الباب الثاني** في ذكر حقيقة مرض القلب **الباب الثالث** في
انقسام ادوية امراض القلب الى طبيعية وشرعية **الباب الرابع** في ان
حياة القلب واشراقه مادة كل خير فيه وموته وظلمته مادة كل شر فيه
الباب الخامس في ان حياة القلب وصحته لا تحصل الا بان يكون

خ
لاستذكره
خ
مكايد

مدركا

مدركا للحق مريدا له موثرا له على غيره **الباب السادس** في انه لا سعاد في
القلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح الا بان يكون الهمة فاطرة وحده هو عبوده
وغاية مطلوبه واحب اليه مما سواه **الباب السابع** في ان القرآن الكريم
متضمن لادوية القلب وعلاجها من جميع امراضه **الباب الثامن** في زكاة
القلب **الباب التاسع** في طهارة القلب من ادوائه وانجاسه **الباب العاشر**
في علامات مرض القلب وصحته **الباب الحادي عشر** في علاج
مرض القلب من استيلاء النفس عليه **الباب الثاني عشر** في علاج مرض
القلب بالشيطان **الباب الثالث عشر** في مكايد الشيطان التي يكيد
بها ابن ادم وهو الباب الذي لا حله وضع الكتاب وفيه فصول خمسة
الفوائد حسنة المقاصد والله تعالى يجعله خالصا لوجهه الكريم آتيا
من الكثرة الخاسرة وينفع به مصنفه وكاتبه في الدنيا والاخرة انه سميع عليم
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم **الباب الاول**
في انقسام القلوب الى صحيح وسقيم وميت لما كان القلب يوصف بالحياة
وضدها انقسم بحسب ذلك الى هذه الاحوال الثلاثة فالقلب الصحيح هو
القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيمة الا من اتا الله به كما قال تعالى يوم لا ينفع
مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو السالم وجاء على هذا
المثال لانه للصفاء كالطويل والفصير والظريف فالسليم الذي قد صارت
السلامة صفة ثابتة له كالعلم والقدرة وايضا فانه ضد القلب المريض
والسقيم والعليل وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم والامر
الجامع لذلك انه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف امر الله ونهيه ومن كل شهوة
تعارض خبره فسليم من عبودية ما سواه ولم من تحكيم غير رسوله فسليم في
محبة الله تعالى تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكل عليه والانتابة اليه
والنذالة واثار مرضاته في كل حال والنباع من سخطه بكل طريق وهذا
هو حقيقة العبودية التي لا تصلح الا لله وحده فالقلب السليم هو الذي سلم من ان
يكون لغير الله فيه شرك بوجه قابل قد خلصت عبوديته لله ارادة ومحبة
وتوكل وانتابة واخباتا وخشية ورجا وخلص عمله لله فان احب الله

القلب

وان بغض بغض في الله وان اعطى اعطى الله وان منع منع الله ولا يكفيه هذا حتى يسلم
من الانقياد والتحكيم لكل من عدا رسوله صلى الله عليه وسلم فيعقد قلبه معه عقدا
محكما على الايمان والافتدابه وحكم دون كل احد في الاقوال والاعمال اقوال القلب
وهي العقائد واقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب واعمال القلب هي الارادة
والتحيز والكراهة وتوابعها واعمال الجوارح فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقة
وجله هو ما جابه الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتقدم بين يديه بعقيدة واقول
ولا عمل كما قال يا ايها الذين امنوا لا تتقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا
حتى يقول ولا تفعلوا حتى يامر قال بعض السلف ما من فعلة وان صغرت الا
ينشر لها ديوانا لم وكيف اتي لم فعلت وكيف فعلت فالاول سوال عن علته
الفعل وباعته وداعيه هل هو حظ عاجل من حظوظ العاجل وغرض من اغراض
الدنيا في محبة المدح من الناس او خوف لهم او استجلاب محبوب عاجل اودفع مكر
عاجل ام الباعث على الفعل القيام بحق العبودية وطلب الثودد والتقرب الى الرب
سبحانه وابتناء الوسيلة اليه ومحل هذا السؤال انه هل كان عليك ان
تفعل هذا الفعل لو لا انك ام فعلته لحظك وهو انك والثاني سوال عن متابعته
الرسول في ذلك النعدي هل ذلك العمل مما شرعته لك على لسان رسوله ام كان
علما لم شرعه ولم ارضه فالاول سوال عن الاخلاص والثاني عن المتابعة فان
الله سبحانه لا يقبل عملا الا بهما فطريق التخلص من السؤال الاول بتجريد
الاخلاص وطريق التخلص من السؤال الثاني بتحقيق المتابعة وسلامة
القلب من ارادة تعارض الاخلاص وهو يعارض الاتباع في الحقيقة
سلامة القلب الذي ضمن له النجاة والسعادة **فصل** والقلب الثاني
هو ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبد به بامر
وما يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهوداته ولذا ذاته ولو كان فيها سخط
ربه وغضبه فهو لا يبالي اذا فاز بشهودته وحظته رضي ربه ام سخط فهو يتعبد
لغيره حبا وخوفا ورجا ورضا وسخطا وتعظيما وذلك ان احبا حبا
لهواه وان ابغضا ابغضا لهواه وان اعطى اعطى لهواه وان منع منع لهواه
فهواه اثر عنده واحب اليه من رضاه مولاه فالهوى امامه والشهوة قايده والجمل

سابقه

سابقه والغفلة مركبة فهو بالكفر في تحصيل اغراضه الدينية معوق وبسكرة الهوى
وحب العاجلة معوق ينادي الى الله والدار الاخرى من مكان بعيد ولا يستجيب
للتأنيب ويتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصم عماره الباطن
طلوعه ويعبه فهو في الدنيا كما قيل في ليلى **فصل** عذو لمن عادت ولم لا هلهيا ومن
قربت ليلى احب وقربا فحقا طبة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم ومجا
لسته هلاك **فصل** والقلب الثالث قلب حياة وبه علة فله مادان تمه
هذه مرة وهذه اخرى ولما غلب عليه منها فنية محبة الله ولايمان به والاخلاص له
والثوكل عليه ما هو مادة حياته وفيه من محبة الشهوة وابشارها والحرج على
تحصيلها والحسد والكبر والعجب حب الفساد في الارض بالرياسة ما هو مادة
هلاكه وعطية وهو مستكن بين داعيين داع يدعو الى الله ورسوله والدار الاخرى
وداع يدعو الى العاجلة وهو انما يجيب قريبا منه يا با وادناها الى جوابا بالقلب
الاول هي محبة الله والثاني يابسر ميت والثالث مريض فاما الى السلامه
في واما الى العطب اذ قد جمع سبحانه بين هذه القلوب في قوله وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبي الا نمنى الى الشيطان في امنيت فيمنع الله ما يليق الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ليجعل ما يليق الشيطان فتنه للذين في قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين شقاق بعيد وليعلم الذين اتوا العلم
ان الحق من ربك فيؤمنوا به فتجب له قلوبهم وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط
مستقيم فجعل سبحانه القلوب في هذه الايات ثلاثة فقلوب مفتونين وقلوب تائهة
جها فالمفتونان القلب الذي فيه مرض والقلب القاسي والثالثي القلب لمؤمن المجتنب
الى ربه وهو المطهر اليه الخاضع المستسلم المتقار وذللك ان القلب في غيره من الاعضاء
يراد منه ان يكون صحيحا لا آفة فيه تنافي منه ما هو له وخلق لاجله وخروجه عن
الاستقامة اما بيبسه وقساوته وعدم التاني لما يرا منه كاليد الشلا واللسان
الاحمر والانف الاخشم والذكر العنيد والعين التي لا تبصر شيئا واما بمرض واقفة
فيه تمنعه من كمال هذه الافعال وتوقع على السداد فلذلك انقسمت القلوب الى هذه
الاقسام الثلاثة فالقلب الصحيح السليم ليس بينه وبين قبول الحق ومحبة
وابشاره سوء ادراكه فهو صحيح الادراك للحق تام الانقياد والقبول له والقلب

الثلاثة

الثلاث

الميت القاسي لا يقبله ولا ينفاده وان القلب المريض ان غلب عليه مرضه التحق
بالميت القاسي وان غلب عليه صحة التحق بالسليم فما يليق الشيطان في الاسما
ع من الالفاظ وفي القلوب من الشبه والشكوك فتنة لم يدين القليلين وقوة
للقلب الحي السليم لانه لا يود ذلك ويكرهه ويبغضه ويعلم ان الحق في خلافه
فيجبت للحق قلبه ويعلم وينقاد ويعلم بطلان حاله القاه الشيطان فيزداد
ايما تبا بالحق ومحبته له وكفره بالباطل وكرهه له ولا يزال القلب المفتون في مربة من
القاه الشيطان واما القلب الصحيح السليم فلا يضره ما يليق الشيطان ابدا
قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الفتن
على القلوب كعرض الحصر عودا عودا فاي قلب اشر بما نكت فيه نكتة سودا
واي قلب انكرها نكتت فيه نكتة بيضا حتى تعود القلوب على قلبين **وقال**
اسود مرياد كالوزن **مجيئا** لا يعرف معروفه ولا ينكر منكرا الا ما اشر به
هو اه **وقال** بيض لا تضره فتنة ما دام السموات والارض فثبت عرض
الفتن على القلوب شيئا فشيئا كعرض عيدان الحصر وهي طاقا تها شيئا فشيئا
وقسم القلوب عند عرضها على قسمين قلب اذا عرضت عليه فتنة اشر بها
كما يشرب الى السقيم الما فتنت فيه نكتة سودا ولا يزال يشرب كل فتنة تعرض
عليه حتى يسود وينتكر وهو معنى قوله **كالوزن مجيئا** اي مكبو بامكنوسا
فاذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الاقترن مرضان خطر ان مترايمان
الى الهلاك احدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفه ولا ينكر
منكرا ورما استحكم فيه هذا المرض حتى يعتقدا المعروف ومنكرا والمنكر
معروفه والسنة بدعية والبدعة سنة والحق باطلا والباطل حقا **الثاني**
تحكيمه هو اه على ما جاء به الرسول وانقياده لله واتباعه له **وقال**
ابيض قد اشرق فيه نور الايمان وازهر فيه مصباحه فاذا عرضت عليه
الفتنة انكرها وردّها فانزاد نوره وقوته واشراقه والفتن التي تعرض
على القلوب هي اسباب مرضها وهي فتن الشهوات وفتن الشهوات فتن
الغي والضلال وفتن المعاصي والبدع فتن الظلم والجمل فالاولى توجب
فساد الفصد والارادة والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد وقد

قسم الصحابة رضي الله عنهم القلوب الى اربعة كما صرح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه
القلوب اربعة قلب احم وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلبا غلف فذلك قلب
الكافر وقلب منكوس فذلك قلب المنافق عرفتم انكروا بصرتم عي وقلبتكم ما دنان
مادة ايمان ومادة نفاق وهما غلب عليه منهما فتولد قلب احمرداي فاجرد غما سو
الله ورسوله فقد تجرد ولم يماسه الحق وفيه سراج يزهر فيه وهو مصباح الايمان به
فاشار بتجرده الى سلاطنة من شبهات الباطل وشبهات الغي وبحصول السراج فيه
الى اشراقه واستنارته بنور العلم والايمان كما قال **الاعا حاكيا** عن اليهود وقالوا
قلوبنا غلف وهو جمع اغلف وهو الداخل في غلافه كغلف واغلف وهذه الغشاوة
هي الاكثة التي ضرب بها الله قلوبهم عتقوبة لهم على الحق والتكبر عن قبوله فهي اكثة
على القلوب ووقر في الاسماع وعي في الابصار وهي الحياء المستور عن العيون في قو
له كما واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا
وجعلنا على قلوبهم اكثة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا فاذا ذكر **سبح** هذه القلوب
تجريد التوحيد وتجريد المتابعة والى اصحابها على ادبارهم نفورا وشار بالقلب
الم منكوس وهو المكبوب الى قلب المنافق كما قال **الاعا** فالك في المنافقين فتنين
والله اركسهم بما كسبو اي تكسهم وردهم في الباطل الذي كانوا فيه بسبب كسبهم
واعمالهم الباطلة وهذا اشر القلوب ولخبثتها فانه يعتقدا الباطل حقا ويوالي
اصحابه والحق باطلا ويؤدي اهلله فالله المستعان وشار بالقلب الذي
له مادنان الى القلب الذي لم يتمكن فيه الايمان ولم يزهر فيه سراج به حيث لم
يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله بل فيه مادة منه ومادة من خلافه
فتارة يكون للكفر اقرب منه للايمان وتارة يكون للايمان اقرب منه للكفر والحكم
للعالم واليه يرجع الامر **الباب الثاني** في ذكر حقيقة مرض القلب
قال الله تعالى عن المنافقين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال تعالى يجعل
ما يلقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض وقال تعالى يا نساء الذين ليسن
كما حد من النساء ان الثقيتين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض
امرهن ان لا يدين في كلامهن كما تدين للراة المعطية اللبان في منطقتها فيطمع الذي
في قلبه مرض الشهوة ومع فلا يخشع في القول بحيث يلتحق بالفحش بل يقطن

في غلافه وقلبتكم ما دنان
واشار بالقلب الذي غلفه
في غلافه وقلبتكم ما دنان

قولا معروفا وقال تعالى لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم وقال تعالى ما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا واليستيقن الذين اتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اتوا
الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا
اخبر سبحانه عن الحكمة التي جعل لاجلها عدة الملائكة الموكلين بالنار تسعة عشر فذكر
سبحانه خمس حكم فتنة الكافرين فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم وقوة لغير اهل
الكتاب فيقو يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن انبياءهم من غير تلق من ر
سول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فتقوا الحجة على معاندتهم وينقاد للايمان من يريد الله ان
ان يهلكه وزيادة ايمان الذين امنوا بكمال تصديقهم لذلك والاقرار به وانتفاء الرب
عن اهل الكتاب لجزيمهم بذلك وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به فممنه ان يحكم فتنة
الكفار ويغيب اهل الكتاب وزيادة ايمان للمؤمنين وانتفاء الرب عن المؤمنين
واهل الكتاب والخامسة حيرة الكافرين من في قلبه مرض وعي قلبه عن المراد بذلك
فيقول ما اراد الله بهذا مثلا وهذه حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها
قلب يفتن به كفر او يحجود او قلب يزداد به ايمانا وتصديقا وقلب يتيقنه فتقوا به عليه
الحجة وقلب يوجب له حيرة وعي فلا يلد له ما يراجه واليقين وعدم الرب في هذا
الموضع ان رجعا الى شي واحد كان ذكر عدم الرب مقربا لليقين ومؤكد له وثانيا عنه
ما يضاده بوجه من الوجوه وان رجعا الى شيين بان يكون اليقين رجعا الى الخبر
المذكور عند عدة الملائكة وعدم الرب عايدا الى عموم ما اخبر الرسول به لدلالة هذا
الخبر الذي لا يعلم الا من جهة الرسل على صدقه فلا يرتاب من قد عرف صحة الخبر بعد
في صدق الرسول ظهرت فائدة ذكره والمقصود ذكر مرض القلب حقيقته وقال تعالى
يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
فهو شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغي فان الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى
والغي مرض شفاؤه الرشاد وقد نزه الله سبحانه بنبيه عن هذين الداءين فقال والنجم
اذا هو ما ضل صاحبكم وما غوى ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفاءه بضد
هما فقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فجعل سبحانه
مكلامه موعظة للناس عامية وهدى ورحمة لمن آمن به خاتمة وشفاء لما في

الصدور فمن استشفى به صح وبري من مرضه ومن لم يستشف فهو كما قيل
اذا بل من دايه ظن انه نجاة به الداء الذي هو قاتله وقال تعالى ونزل من
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا والظاهر ان
فتن هاهنا لبيان الجنس فالقرآن جميعه شفاء ورحمة للمؤمنين **فصل** ولما كان
مرض البدن خلافا لصحته وصلاحه وهو خروجه عن اعتداله الطبيعي لنفسه
يعرض له بفسد به ادراكه وحركة الطبيعية فاما ان يذهب ادراكه بالكمية كما
لعمى والشم والشلل واما ان ينقص ادراكه لضعفه في آلات الادراك مع استقامة
ادراكه واما ان يترك الاشياء على خلاف ما هي عليه كما يدرك الحلو مررا والحبيث
طيبا والطيب خبيثا واما فساد حركته الطبيعية فتشأن ان تضعف قوته الباطنة
او الماسكة او الدافعة او الجاذبة فيحصل له من الالم بحسب خروجه عن الاعتدال
ولكن مع ذلك لم يصل الى حد الموت والهلاك بل فيه نوع قوة على الادراك والحركة وسبب
هذا الخروج عن الاعتدال افساد في الكمية او في الكيفية فالاول افساد في المادة
فيحتاج الى زيادتها واما زيادة فيها فيحتاج الى نقصانها والثاني افساد في الحرارة
او البرودة او الرطوبة او اليساسة او نقصانها عن القدر الطبيعي فيداوي بمقتضا ذلك
ومداد الصحة على حفظ القوة والحمية عن المؤذي واستفراغ المواد الفاسدة ونظر
الطبيب على هذه الاصول الثلاثة وقد تضمنها الكتاب العزيز وارشدها اليها من انزل شفاء
ورحمته فاحفظ القوة فانه سبحانه امر المريض ان يفطر في رمضان ويقضي
المسا فر اذا فطر والمريض اذا برى حفظا لقوتهما عليهما فان الصوم يزيل المرض ضعفا
والمسا فر يحتاج الى توفير قوته عليه لمشفة السفر والصوم يضعفها واما الحمية
فانه سبحانه حرم المريض عن استعمال الماء البارد في الوضوء والغسل اذا كان يضره وامره بالعدول
الى التيمم حمية له من ورود المؤذي عليه من ظهريته فكيف بالمؤذي له في باطنه واما استفراغ
المادة الفاسدة فانه سبحانه اباح للمحرم الذي به اذى من داءه ان يحلفه فيستفرغ
الحلق الاخرة المؤذية له وهذا من اسهل انواع الاستفراغ واخفها فنية به على حاله وجو
اليجنه وذكر مرة بعض رؤساء الطب بمصر هذا فقال واهم لوسا فرت الى الغرب في
معرفة هذه الفائدة لكان سفر اقليل او كما قال واذا عرف هذا فالقلب محتاج الى ما
يحفظ عليه قوته وهو الايمان واوراد الطاعة والحيمة عن المؤذي الضار وذلك

باجتناب الاثام والمعاصي والنزاع المخالفات والى استفرغ من مادة فاسدة تعرض له
وذلك بالثبوت النصوح واستغفار غفار الخطايا مرضه هو نوع فساد يحصل له فيفسد
نصوح الحق وادائه فلا يرى الخوف او يراه على خلاف ما هو عليه او ينقص ادراكه
له ويفسد ارادته له فيغض الحق النافع ويجعل الباطل الظار او يجتمعان له وهو الغا
لب ولهذا يفسد المرض الذي يعرض له تارة بالشك والريب كما قال مجاهد وقادة في قوله تعالى
في قلوبهم مرض اي شك تارة يشبهون الزنا كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض فالاول
مرض الشبهة والثاني مرض الشهوة والصحة تحفظ بالمثل والشبهة والمرض يدفع بالصد
والخلاف وهو يغوي بمثل سببه ويزول بصد والصحة تحفظ بمثل سببه او تضعف او تزول
بصد ولما كان البدن المريض مؤذيه مالا يوقى الصالح من يسير الجرب والبرد والحر
ونحو ذلك كذلك القلب اذا كان فيه مرض اذ ادى شي من الشهوة او الشهوة حيث لا يقدر
على دفعها اذا ورد عليه والقلب الصالح القوي بطرفه اصعاف ذلك هو يدفعه بقوة
وصحته وبالجملته فاذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترا
الى التلطف حاله يندرك ذلك بان يحصل له ما يقوي قوته ويزول مرضه **الباب**

الثالث في انفسا اذ وية اوجه امراض القلب الى قسمين طبيعية وشرعية
مرض القلب نوعان نوع لا يتالم به صاحبه في الحال وهو النوع المتفاد كمرض الجمل ومرض
الشبهة والشكوك ومرض الشهوة وهذا النوع هو اعظم النوعين المأو لكن لفساد القلب
لا يحسن بالام ولان سكرة الجمل والهو تحول بينه وبين ادراك الالم والافالمة حاضره حاصل
له وهو مشاوغ عنه باستغاله بصد وهذا اخطر المرضين واصعبها وعلاجه بالسرور
اتباعهم فم اطباء هذا المرض والنوع الثاني مرض مؤلم في الحال كالهم والغم والحزن والغيظ
وهذا المرض قد يزول بادية طبيعية كازالة اسبابه والمداوة بما يضاد تلك الاسباب
ويدفع موجبات قيامها وهذا كما ان القلب قد يتالم بما يتالم به البدن ويشفي بما يشفي به
البدن فكذلك البدن يتالم كثيرا بما يتالم به القلب يشفيه ما يشفيه فامراض القلب التي تزول
بالادوية الطبيعية من جنس امراض البدن وقد لا تزول عند شفاؤه وعذابه بعد الموت
واما امراضه التي تزول بالادوية الايمانية النبوية فهي التي توجب الشفاء والعذاب
الدائم ان لم يندركها بادية وبشيء المضادة لها فاذا استعمل تلك الادوية حصل له الشفاء
ولهذا يقال شفا غيظه فاذا استولى عليه عدوه المذموم فكذلك اذا انتصف منه اشتفى قلبه
قال تعالى فان لهم يعذبهم الله يا يدركهم ويخزهم وينصرهم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين
ويذهب غيظ قلوبهم الاية فامرهم بقتال عدوهم واعلمهم ان فيه ست فوائد الغيظ

يولم القلب ودواؤه في شفا غيظه فان شفاه بحق اشتفى وان شفاه بظلم وباطل
زاده مرضا من حيث ظن انه يشفيه وهو كمن شفى مرض العشق بالفجور بالعشق
فان ذلك يزد مرضه ويوجب له امراضا اخر اصعب من مرض العشق كما سياتي انشاء الله
تعالى وكذلك الهم والغم والحزن امراض للقلب شفاؤها باضدادها من الفرح والسرور
فان كان ذلك بحق اشتفى القلب وصح وبر من مرضه وان كان باطل توارى واستتر
ولم يزول واعقبه امراضا هي اصعب واخطر وكذلك الجمل مرض يولم القلب فمن الناس
من يدويه بعلم لا تنفع ويعتقد انه قد صح من مرضه بتلك العلوم وهي في الحقيقة
انما تزيد مرضه الى مرضه لكن اشتغل القلب بها عن ادراك الالم الكامن فيه بسبب
جهله بالعلوم النافعة التي هي شرطية صحته وبره قال النبي صلى الله عليه وسلم في الذين افترقا
بالجمل فتملكا المستغني بفتواهم قتلوا قتلهم الله الاسالوا اذ لم يعلموا فانما شفا العبي
السؤال فجعل الجمل مرضا وشفاؤه سؤال اهل العلم وكذلك الشاك في الشيء المرتاب فيه
يتالم قلبه حتى يحصل له الهم واليقين ولما كان ذلك يوجب حرارة قلبه من حصول اليقين
تأج صدره وحصل له برد اليقين وكذلك يضيغ الجمل والضلال عن طريق رشدك و
ينشرح بالهدى والعلم قال تعالى ان يراد الله ان يهديك صراطا مستقيما ومن يران
بضله يجعل صراطا ضيقا حرا الاية وسيا في مرض ضيق الصدر بسببه وعلاجه انشاء الله
والمقصود ان من امراض القلوب ما يزول بالادوية الطبيعية ومنها ما يداء بالادوية
الشرعية الايمانية والقلب له حيوة وموت ومرض وشفاؤه وذلك اعظم مما للبدن

الباب الرابع في ان حياة القلب اشراقه مادة كل خير فيه وموت
وظلمته مادة كل شر فيه اصل كل خير وسعادة للعبد بل لكل حي ناطق كمال حياته و
نوره فالحياة والنور مادة الخير كله قال تعالى ان من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس كمن مثلي في الظلمات ليس بخارج فمن يجمع بين الاصلين
الحياة والنور فالحياة تكون قوته وسعده وبصره وحياته وعفته وشجاعته و
صبره وسائر اخلاقه الفاضلة ومحبة الحسن وبغضه للقبائح وكلما قويت حيا
ته قويت فيه هذه الصفات واذا ضعفت حيا ته ضعفت فيه هذه الصفات
وحياته من القبايح هو بحسب حياته في نفسه فالقلب الصالح الذي اذا عرضت عليه
القبايح نفرت عنها بطبيعته وبغضها ولم يلتفت اليها بخلاف القلب الميت فانه لا يفرق
بين الحسن والقبح كما قال عبد الله بن مسعود هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف
والمنكر وكذلك القلب المريض بالشهوة فانه لضعفه يميل الى ما يعرض له من

او من

ذلك بحسب قوة المرض وضعفه وكذلك اذا قوي نوره واشراقه انكشف لي صور
المعلومات وحقايقها على ما هي عليه فاستبان حسن الحسن بنوره واشراقه بحالته
وكذلك قبح القبيح وقد ذكر سبحانه هذين الاصلين في مواضع من كتابه قال تعالى وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا
نمسي به من نشأ من عبادنا فجعل بين الروح الذي يحصل به الحياة والنور الذي يحصل به
الاضاءة والاشراق واخبر ان كتابه الذي انزل على رسوله متضمن للامرين في روح
تحياته القلوب ونور تستضي وتشرق به كما قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلناه
نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ابي او من كان كافرا فاميت القلب مغورا في ظلمته
الجهل فهديناه لرشده ووفقناه للايمان وجعلنا قلبه حيا بعد موته مشرقا مستنيرا
بعد ظلمته فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته وجملة بمعرفته وتوحيد شريع دينه وتر
كه للاخذ بنصيبه في رضاه والعمل بما يوديه الى نجاة وسعادته بمنزلة الميت الذي لا
ينفع نفسه بئذ فانه لا يدفع عنهما من مكره فهديناه للاسلام ونعشناه به نصارا يعرف
مضار ونفسه ومنافعها ويعمل في خلاصهما من سخط الله وعقابه فابصر الحق بعد عما عنه
وعرفه بعد جهله به واشبع بعد اعراضه عنه وحصل له نور وضيا يستضي به فيمشي بنوره
بين الناس وهم في سد الظلام كما قيل ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سائر
الناس في سد الظلام ونحن في ضوئها ولله الضرب الله المثليين الماي والنار
لوحيه ولعباده اما الاول كما قال في سورة الرعد انزل من السماء انساك اودية بقدرها
فاقتل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد
مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفذ الناس
فيتمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال فضرب لوحيه المثل بالما لما يحصل
به من الحياة والنار لما يحصل بها من الاضائة والاشراق واخبر سبحانه ان الاودية
تسيل بقدرها فوايد كبير يسع ماء كثر وايد صغير يسع ماء قليل كذلك القلوب
مشبهة بالاودية فقلب كبير يسع علما كثيرا وقلب صغير انما يسع بقليل وشبهة
ما تحمله القلوب من الشبهات والاشبهات بسبب سخاطة الوحي لها وانوارها لما
فيها من ذلك بما يحمله السيل من الزبد وشبهة بطلان تلك الشبهات باستفاد
العلم النافع فيما يذهب ذك الزبد والقاء الواديه وانما يستقر به الماء الذي

به النفع

به النفع وكذلك في المثل الذي جعل يذهب الخبث الذي في ذلك الجوهر ويستقر صفوه
واما ضرب هذين المثليين للعباد فكما قال في سورة البقرة مثلهم كمثل الذي استوقد
نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عن فهم لا
يرجعون فهذا المثل الثاني ثم قال او كصيب من السماء الى اخره فهذا المثل الماي وقد ذكرنا
الكلام على اسرار هذين المثليين وبعض ما تضمناه من الحكيم في كتاب المعالم وغيره و
المقصود ان صلاح القلب وسعادته وفلاحه موقوف على هذين الاصلين قال تعالى ان
هو الا ذكر وفان حين لينذ من كان حيا فاخبر ان الانشراح بالقران والاذناريه
انما يحصل له هو حي القلب كما قال في موضع اخر ان في ذلك لذكر لمن كان له قلب قال
تعالى يا ايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم فاخبر سبحانه
ان حياتنا انما هي بما يدعونا اليه الرسول من العلم والايمان فعلم ان موت القلب
وهلاكه يفقد ذلك شبيه سبحانه من لا يستجيب لرسوله باصحاب القلوب وهذا من
احسن التشبيه فان ابدانهم قلوب قلوبهم فقد ماتت قلوبهم وقبر في ابدانهم فقال
تعالى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القلوب ولهذا الحسن القابل
وفي الجمل قبل الموت موت لاهله واجسامهم قبل القبور قبور
وارواحهم في وحشة من جسمهم وليس لهم حتى النشور فنشور

ولهذا جعل سبحانه وحيه الذي يلقيه الى الانبياء روحا كما قال تعالى لي الروح من امره
على من يشاء من عباده في موضعين من كتابه وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
لان حياة الارواح والقلوب به وهذه الحياة الطيبة التي خص بها سبحانه من
قبل وحيه وعمله فقال من عمل صالحا من ذكرا وانثى وهو مومن فلنجزيه حياه
طيبه ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فخصهم سبحانه بالحياه الطيبه
في الدارين ومثله قوله تعالى وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتنعكم منا عا حسنا الى
اجل مسي ويؤت كل ذي فضل فضله ومثله قوله تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنه ولدا والاخرة خير وانهم دار المسقين فيبين سبحانه انه يسعد المحسن باحسن
في الدنيا وفي الاخرة كما اخبر سبحانه انه يستقي السيي باسائه في الدنيا والاخرة قال
تعالى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعنى وقال تعالى
فجمع بين النوعين فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله

يجعل صدره ضيقا حرجا كما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون فاهل الهدى والايمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه واهل
الضلال لهم ضيق الصدر والحرج وقال تعالى فمن شره صدره الاسلام فهو على
نور ومن ربه فاهل الايمان في النور واتساع الصدر واهل الضلال في الظلمة
وضيق الصدر وسياقي في باب طهارة القلب مزيد تفرير لهذا ان شاء الله تعالى
والمقصود ان حياة القلب وضاة مادة كل خير فيه وموتة وظلمة مادة كل شر
فيه **الباب الخامس** في ان حياة القلب وصحة لا تحصل الا بان يكون
مدركا للحق مريد له موثرا له على غيره لما كان في القلب قوتان قوة العلم والتمييز
وقوة الارادة والحب كان كماله وصلاحه باستعمال هاتين القوتين فيما ينفعه ويؤثر
بصلاحه وسعادته فكما له باستعمال قوة العلم في ادراك الحق ومعرفة تمييز
بينه وبين الباطل واستعمال قوة الارادة والمجبة في طلب الحق ومحبته وايقانه
على الباطل فمن لم يعرف الحق فهو ضال ومن عرفه وانزغ غيره عليه فهو مغضوب عليه
ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه وقد امرنا الله سبحانه ان ننسأله في صلواتنا ان
يمدنا صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ولهذا كان النصارى
راخصين بهذا الضلال لانهم امة جهل واليهود اخص بالغضب لانهم امة عناد
وهذه الامة هم المنعم عليهم ولهذا قال سفيان بن عيينة من فسد من عبادة
ففيه شبهة من النصارى ومن فسد من علمائنا ففقهه من اليهود لان النصارى
عبدة والغير علم واليهود عرفوا الحق وعدلوا عنه وفي المسند من حديث عدي
بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون
وقد جمع سبحانه بين هذين الاصلين في غير موضع من كتابه فتمها قوله تعالى
اذا سألكم عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني فليستجيبوا لي
وليؤمنوا بي لعلمهم برشدوت في بين الاستجابة له والايان به ومنها قوله تعالى
عن رسوله فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اولئك هم المفلحون وقال تعالى السم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى
قوله هم المفلحون وقال تعالى في وسط السوق ولكن البر من امر بالله واليوم
الآخر والملائكة والكتاب الاخر الاية وقال تعالى والعصران الانسان لفي خسر

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الى اخرها فاقسم سبحانه بالدهر الذي هو من
الاعمال الراجعة والخاسرة على ان كل احد في خسر لان كل قوته العلمية بالايمان
بالله وقوته العملية بالعمل بطاعته فهذا كماله في نفسه ثم كل غيره برصيته له بذلك
وامره اياه به وملاك ذكره هو الصبر فكمثل نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وكل
غيره بتعليمه اياه ورصيته له بالصبر عليه ولهذا قال الشافعي لو فكر الناس في حق
والعصر لكفتمهم وهذا المعنى في القرآن في مواضع كثيرة يخبر سبحانه ان اهل
السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه واهل الشقاوة هم الذين جهلوا الحق
وضلوا عنه وخالفوه واتبعوا غيره وينبغي ان يعرف ان هاتين القوتين لا يتعطلان
في القلب بل ان استعمال قوته العلمية في معرفة الحق وادراكه والا استعمالها في
ما يليق به ويناسبه من الباطل وان استعمال قوته الارادية العملية في العمل به والا
استعمالها في ضده والافسان حارث همام بالطبع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اصدق
الاسما حارث وهمام فالحارث الكاسب العامل والهمام المريد فان النفس مستحركة
بالارادة وحركتها الارادية لها من لوازم ذاتها والارادة تستلزم مرادها يكون مثلا
منصورا لها متميزا عنها فان لم تنصق للحق وتطلبه وتريد تصورت الباطل

الباب السادس

وطلبته وارادته ولا بد وهذا ينبغي باللبا الذي بعده فنقول
في انه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح الا بان يكون الله وفاضله وحده
هو معبوده وغايته مطلوبه واحب اليه من كل ما سواه ومعلوم ان كل حي سواه
سبحانه من ملك او نسل او جن او حيوان فهو فقير الى جلبيات ينفعه ودرع ما يضره
ولا يتم الا بتصوره للنافع والضار والمنفعة من جنس النعيم واللذة والمضرة
من جنس الالم والعذاب فلا بد له من امرين احدهما هو المحبوب المطلوب الذي
ينشفع به ويلتذ به وادراكه والثاني العين الموصل المحصل لذلك المقصود وباراءه
ذلك امران اخران احدهما مكرهه بغضض ضار والثاني معينه دافع له عنه
فهذه اربعة اشياء احدها هو محبوب مطلوب الوجود الثاني امر مكرهه
مطلوب العدم الثالث الوسيلة الى حصول المحبوب الرابع الوسيلة الى دفع
المكرهه فهذه الامور الاربعة ضرورية للعبد بل ولكل حيوان لا يفوق وجوده وصلا
حه الا بما فاذا انقضى ذلك فانه تعالى هو الذي يجب ان يكون هو المقصود المدعو له

المطلوب الذي يراه وجهه ويبغى قربه ويطلب رضاه وهو المعين على حصول ذلك
وعبوديته ما سواه والا لتفاته اليه والتعلق به هو المكروه الضار وهو المعين على
دفعه فهو سبحانه الجاح لهذه الامور الاربعة وما سواه فهو المعبود المحبوب المراد
وهو المعين ليعبد على وصلى اليه وعبادته والمكروه البغيض هو مشيئته و
قدرته وهو المعين لعبده على دفعه عنه كما قال اعرف الخائبة اعوذ بربك
من سخطك واعوذ بمعافاةك من عقوبتك واعوذ بك منك وقال اللهم اني
اسلمت نفسي اليك وجهت وجهي اليك وفوضت امري اليك والجات ظهري
اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك فمنه المنجا واليه الملجأ
وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته فالاعادة فعله
والاستعاذة فعله او مفعوله الذي خلفه مشيئته فالامر كله والحمد كله
والمملك كله والخير في يديه لا يحصى احد من خلقه ثناء عليه بل هو كما اثنى
على نفسه وفوق ما يثنى عليه احد من خلقه ولهذا كان صلاح العبد وسعادته
في تحقيق معنى قوله اياك نعبد وياك نستعين فان العبودية تتضمن المقصود
المطلوب لكن على اكمل الوجوه والمستعان هو الذي يستعان به على المطلوب
فالاول معنى الوهيته والثاني معنى ربوبيته فان الاله هو الذي تاله
القلوب بحبة وانابة واجلا لا وكراما وذلا وخضوعا وخوفا ورجا وتوكلا
والرب هو الذي يرب عبده فيعطيه خلفه ثم يهديه الى مصالحه فلا اله الا هو
ولا رب الا هو فكما ان ربوبية ما سواه باطل الباطل فكذلك الهية ما سواه
وقد جمع سبحانه بين هذين الاصلين في مواضع من كتابه كقوله فاعبدوه وتوكل
عليه وقوله عن نبيه شعيب ما توفيق الاباء عليه توكلت واليه نصيب وقوله
وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وقوله وتبذل اليه بشيلا رب المشرق و
المغرب لا اله الا هو فاتخذوه وكلا وقوله قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب وقوله عن الحنفا اتباع ابراهيم ربنا عليك توكلنا وابليك
واليك بنينا هذه سبعة مواضع تنظم هذين الاصلين الجاهدين لمعنى
التوحيد لاسعادة للعبد ونهاية البتة **الوجه الثاني** ان خلق الخلق لعباد
دنه الجامعة لمعرفته والانابة اليه ومحبة والاحلاص له فذكره تطين

قلوبهم وتسكن نفوسهم وبرئيتهم في الاخيرة تفرعونهم ويتم نعمهم فلا يعطيهم
في الاخيرة شيئا هو احب اليهم ولا اقر لعينهم ولا انعم لقلوبهم من النظر اليه و
سماع كلامه منه بلا واسطة ولم يعطهم في الدنيا شيئا خيرا لهم ولا احب اليهم
ولا اقر لعينهم من الايمان به ومحبة والشوق الى لقائه والانسان يقربه و
الشعير يذكره وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين هذين الامرين في الدعاء الذي
رواه النسائي والامام احمد وابن حبان في صحيحه وغيرهم من حديث
عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوه اللهم بعلمك الغيب
وقدرتك على الخلق احيني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي
اسالك خشيتك في الغيب والشهادة واسالك كلمة الحق في الغضب والرضا واسالك
الفقر والغنى واسالك نعما لا ينفد واسالك قوة عين لا تشطط واسالك كفا
الرضى بعد الفضي واسالك برد العيش بعد الموت واسالك لذة النظر الى وجهك وجها
اسالك الشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان
طبعنا هذه مهتديا تجمع في هذا الدعاء العظيم القدرين اطيب شي في الدنيا
وهو الشوق الى لقائه سبحانه ولما كان كمال ذلك تمامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا
ويقتضي في الدين قال من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ولما كان كمال العبد ان يكون عالما
بالحق متبعاله معلما لغيره مرشدا له قال جعلنا هداة مهتدين ولما كان الرضا النافع
المحصل للمقصود هو الرضا بعد وقوف القضاء لا قبله فان ذلك عن على الرضا فاذا وقع
القضاء انفسخ ذلك الغم سال الرضا بعد فان المقدور يكتشف امران الاستخارة قبل
وقوعه والرضا بعد وقوعه فمن سعادة العبد ان يجمع بينهما كما في المسند وغيره عنه صلى الله
عليه وسلم ان من سعادة ابن ادم استخارة الله ورضاه بما قضى الله وان من شقاوة ابن
ادم ترك استخارة الله وسخطه بما قضى الله ولما كانت خشية الله راس كل خير في المشهد
والغيب سالك خشية في الغيب والشهادة ولما كان اكثر الناس غايتهم بالحق في رضاه
فاذا غضب اخرجهم غضبه الباطل وقد خيل الرضا رضاه في الباطل سال الله ان يوفقه
لكلمة الحق في الغضب والرضا ولما قال بعض السلف لا تكن ممن اذا رضي ادخله رضاه
في الباطل واذا غضب اخرجهم غضبه من الحق ولما كان الفقر والغنى محبتين وبلينتين
يبغى الله بهما عبده في الغنى يبسط يده وفي الفقر يقبض يده اسال الله الفصد في الحالين وهو

الوسط الذي ليس له اشراق ولما كان النعيم نوعين نوعا للبدن ونوعا للقلب وهو
 قرة العين وكما له بدو له واستمراره جمع بينهما بقوله اسما كنوعا لا ينقد وقرة عين
 لا تنقطع ولما كانت الرزية زينتين زينته البدن وزينة القلب وكانت زينته القلب
 اعظمها قدرا واجلها خطرها اذا حصلت حصلت زينته البدن على اكل الوجوه في العفو
 سالكه لربه الرزية الباطنة فقال زينته الايمان ولما كان العيش في هذه الدار لا يدور
 لاحد كايان كان بل هو محشوق بالافصاح والتكدر مخوف بالالام الباطنة والظلم
 هره سال بر العيش بعد الموت والمقصود انه جمع في هذه الدعا بين اطيب الدنيا وطيب
 ما في الآخرة فان حاجة العباد الى رزقهم في عبادتهم اياه وتاليهم كما جنتهم اليه في خلقهم
 ورزقهم اياه ومعافاة ابدانهم وسرور عورتهم وامر رزقهم بل حاجتهم الى تاليهم
 ومحبتهم وعبوديتهم اعظم فان ذلك هو الغاية المقصودة لهم ولا صلاح لهم ولا نعيم
 ولا لذة ولا فلاح ولا سعادة بدون ذلك جمال ولما كانت لا اله الا الله الحسن
 وكان توحيد الالهية راس الامر واما توحيد الربوبية الذي اقرببه المسلم والكافر وقرره
 اهل الكلام في كتبهم فلا يكفى وحده بل هو الحجج عليهم كما بين ذلك سبحانه في كتابه في عدة
 مواضع ولما كان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا كما في الحديث الصحيح
 الذي رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذري ما حوام الله على عباده قلت الله
 ورسوله اعلم قال حقه على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا الله ما حق العباد على
 الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان لا يعبدوا الا الله والذليل
 يجب سبحانه عباده المؤمنين الموحدين ويفرج بثوبهم كما ان في ذلك اعظم لذة العبد
 وسعادته ونعيمه فليس في الكاينات شيء غير الله سبحانه ليسكن القلب اليه ويطن
 به ويانس به ويتنعم بالتوجه اليه ومن عجز عنه سبحانه وحصل له نوع منفعة ولذة
 فضرته بذلك اضعا فاضعا ومنفعة وهو بمنزلة اكل الطعام المسموم اللذيذ وكما
 ان السما والارض لو كان فيهما الالهة غيره سبحانه فسدتا كما قال لو كان فيهما الالهة الا الله
 لفسدتا فكذلك القلب اذا كان فيه عبود غير الله فسد فسادا لا يرجع الى اصلاحه الا بان
 يكون يخرج ذلك المعبود من قلبه ويكون الله وحده الالهة معبوده الذي يجبه ويرجوه
 ويخافه وينوكل عليه وينيب اليه **الوجه الثالث** ان فقر العبد الى ان يعبد الله
 سبحانه وحده لا شريك له ليس له نظير فيقاس به لكن يشبهه من بعض الوجوه كما

الجسد الى الغذاء والشرب والنفس وبينهما فروق كثيرة فان حقيقة العبد قلبه و
 روحه ولا صلاح له الا بالحق الذي لا اله الا هو فلا يطين الا بذكره ولا يسكن الا
 بمعرفة وجهه وهو كاج اليه كدحا فلا يقه ولا بد له من لقائه ولا صلاح له الا بتوحيده و
 محبته وعبادته وخوفه ورجائه ولو حصل له من اللذات السرور وغير ما حصل فلا يدور
 له ذلك بل ينتقل من نوع الى نوع ومن شخص الى شخص ويتنعم بهذا في حال وبهذا في حال وكثيرا
 ما يكون ذلك الذي يتنعم به هو اعظم اسباب ضرته والله واما الاله الحق فلا بد له منه في كل
 وقت وكل حال وايضا كان نفس الايمان به ومحبتهم وعبادته واجلاله وذكره هو غذاء الانسان
 وقوته وصلاحه وقوامه كما عليه اهل الايمان ودل عليه السنة والقران وشهدت به الفطرة والجنان
 كما يقولون من قل نصيب من التحقيق والعرفان ونجس حظهم من الاحسان ان عبادته و
 ذكره وشكره تكليف مشقة لمجرد الابتلاء والامتحان او لاجل مجرد التسوق بالثواب
 المنفصل بالمعاوضة بالاثمان او لمجرد رياضة النفس وتزويجها بالارتقاء عن درجة البهيم
 من الحيوان كما هي مقالات لمن نجس حظه من معرفة الرحمن وقل نصيبه من ذوق حقائق
 الايمان وفرج بما عنده من زينة الافكار وزينة الاذهان بل عبادته سبحانه ومعرفة
 وتوحيده وشكره قرة عين الانسان وافضل لذة الروح والقلب والجنان واطيب نعيم
 ناله من كان اهلا لهذا الشأن والله المستعان وعليه التكلان وليس المقصود بالعبا
 دات والاوامر المشقة والكلفة بالفصد الاول وان وقع ذلك ضمنا وتبعيا في بعضها
 باسباب اقتضته لادبها هي من لوازم هذه النشأة فوامره سبحانه وحقه الذي
 اوجبه على عباده وشرايعه الذي شرعها لهم هي قرة العيون ولذة القلوب ونعيم
 الارواح وسرورها وبه سعادتها وفلاحها وكما لها في معاشها ومعادها بل
 لاسرورها ولا لذة ولا فرج ولا نعيم في الحقيقة الا بذلك كما قال تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
 موعظة من ربكم وشفانا في الصدور وهذا هو وجه المؤمنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
 فليفرحوا هو خير مما يجمعون قال ابو سعيد الخدري فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم
 من اهلهم وقال هلا ان يساق بالاسلام الذي هدكم اليه وبالقران الذي علمكم اياه
 هو خير مما يجمعون من الذهب والفضة وكذلك قال ابن عباس والحسن وقنادة
 فضله الاسلام ورحمة القرآن وقالت طائفة من السلف فضله القرآن ورحمته
 الاسلام والتحقيق ان كلا منهما فيه لوصفان الفضل والرحمة وهما الامران اللذان

وقوله والذين كفروا

امتن الله بها على رسوله فقال وكذلك وجبنا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرك
 ما الكتاب ولا الايمان والله سبحانه انما رفعه بالكتاب والايمان ووضع موضع
 بعد مما فان قيل قد وردت تسمية ذلك تكليفا في القرآن كقوله لا يكلف الله نفسا الا
 وسعها قيل نعم انما جاء ذلك في جانب النبي ولم يسم سبحانه او امره ووصاياه وشرايعه
 تكليفا قط بل سماها روحا ونورا وشفاء وهدى ورحمة وحياة وعمدا ووصية
 ونحو ذلك **الوجه الرابع** ان افضل نعم الاخرة واجله واعلاه على الاطلاق
 هو النظر الى وجه الرب جل جلاله وسماع خطابه كما في صحيح لم عن عبد الله بن عباس
 ع و لم اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد
 ان ينجزكموه فيقولون ما هو الميعاد يبسط وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا
 الجنة ويجزنا من النار قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فما اعطاهم شيئا
 احب اليهم من النظر اليه وفي حديث اخر فلا يلتفتون الى شيء من النعم ما
 داموا ينظرون اليه فيبين النبي صلى الله عليه وسلم انهم مع كمال انعمهم بما اعطاهم
 في الجنة لم يعطهم شيئا احب اليهم من النظر اليه وانما كان ذلك احب اليهم لان ما حصل
 يحصل لهم به من اللذة والنعم والفرح والسرور وقررة العين فوق ما يحصل
 لهم من التمتع بالاكل والشرب والحوو العين ولا نسبة بين اللذنين والنعميين
 البته ولهذا قال سبحانه في حق الكفار كلما انهم عن ربهم يومئذ لمحججهم
 لو انهم لم يجمع عليهم نوعي العذاب عذاب النار وعذاب الحجاب عنه سبحانه كما جمع لاو
 ليا به نوعي النعم نعم التمتع بما في الجنة ونعم التمتع برويته وذكر سبحانه
 هذه الانواع الاربعة في هذه السورة فقال في حق الابرار ان الابرار في نعيم
 على الارايك ينظرون وهضم معنى الاية من قال ينظرون الى اعدائهم يعذبون
 او ينظرون الى قصصهم وبساتينهم او ينظر بعضهم الى بعض وكل هذا عدول
 عن المقصود الى غيره وانما المعنى ينظرون الى وجه ربهم ضد حال الكفار
 الذين هم عن ربهم محججون ثم انهم لصا الى الجحيم وتأمل كيف قابل سبحانه ما
 قاله الكفار في اعدائهم في الدنيا وسخطوا عنهم بضده في القيمة فان الكفار
 كانوا اذا امرهم المؤمنون يتغامزون ويضحكون منهم واذا رآوهم قالوا
 ان هؤلاء لاضالون وقال تعالى ليعلم الذين اصنوا من الكفار ماذا يكون

مقابلة لغامزهم بهم وضحكهم منهم ثم قال على الارايك ينظرون فاطلق النظر
 ولم يقيد بمنظور دون منظور واعلى ما ذكره واليه واجله واعظمه هو الله سبحانه
 والنظر اليه جل انواع النظر وافضلها واعلى مراتب الحمد اليه فقال لا بد لك قولهم
 ان هؤلاء لاضالون فالنظر الى الرب سبحانه مراد من هذين الموضعين ولا بد اما
 بخصوصه واما بالعموم والاطلاق ومن تأمل السياق لم يجد الاينيين تحملا ل
 غير رادة ذلك خصوصا وعموما **فصل** وكما انه لا نسبة لنعيم ما في الجنة
 الى نعيم النظر الى وجهه الاعلى سبحانه فلا نسبة لنعيم الدنيا الى نعيم محبته و
 معرفته والشوق اليه والانسياق به بل لذة النظر اليه سبحانه تابعة لمعرفتهم به ومحبته
 له فان اللذة تتبع الشعور والمحبة فكما كان المحب يعرف بالمحبة واشد محبة له
 كان الثبته بقربه ورويته ووصوله اليه **الوجه الخامس** ان المحلو ليس عندك
 للعبد نفع ولا ضرر ولا عطا ولا منع ولا هلك ولا ضلال ولا نصر ولا خذلان ولا
 خفض ولا رفع ولا عز ولا ذل بل الله وحده هو الذي يملك ذلك قال الله تعالى ما يقع
 الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز
 الحكيم وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
 فلا راد لفضله يصيب من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم وقال تعالى ان
 ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وقال تعالى من
 صاحب اليسر اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم
 شيئا ولا ينقذون وقال تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق
 غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فاني توفكون وقال تعالى
 امن هذا الذي هو جندكم ينصركم ويثبتون الرحمن ان الكافرون الا في غرور
 امن هذا الذي يرزقكم ان اسكدره برفق بل الجواب عنوه ونفوسهم سبحانه بين
 النصر والرزق فان العبد مضطر الى ان يدفع عنه عدوه وينصره ويجلب له
 منافع برفقه فلا بد له من ناصر ورازق والله وحده هو الذي ينصر ويرزق
 فهو الرزاق ذو القوة المتين ومن كما لفطنة العبد ومعرفة ان يعلم انه اذا
 مسه بسوء لم يرفع عنه غيره واذا ناله بشفعة لم يرفقه اياها سواء ويذكر ان
 الله سبحانه او محالي بعض انبيائه ادرك في لطيف الفطنة وفي خفي اللطف

بنصره

فاني احب ذلك قال يارب وما لطيف الفطنة قال ان وقع عليك ذبابة فاعلم
اني اوقعها فسلني ارفعها قال وما خفي اللطف قال ان اشك حبة فاعلم اني اذكر
تكبها وقد قال لقا عن السحرة وما هم بضارين به من احد الا باذن الله فهو
مبجانه الذي يكفي عبد وينصره ويرزقه ويكافئه قال الامام احمد يا عبد الرزاق
انا عمران قال سمعت وهبا يقول قال الله عز وجل في بعض كتبه بعزتي انه من
اعتصم بي فان كادته السموم فممن في الارض ممن فيهم فاني اجعل له من
ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فاني اقطع يديه من اسفل السماء واخسف به من
تحت قدميه الارض فاجعله في الهوى ثم اكله الى نفسه كغايي لعبد مالا اذا كان
عبد في طاعتي اعطيه قبل ان يسالني واستجيب له قبل ان يدعوني فانا اعلم
بحاجته التي ترغوبه منه قال احمد وشاهاشم بن القاسم شا ابو سعيد المودب
شا من سمع عطاء الخراساني قال لقيت هب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت
له حديثي حديثا احفظه عنك في مقامي هذا واوجز قال نعم اوحى الله تبارك وتعالى
الى اوداد اوداد اودا وعزني وجلالي عظمي لا يعتصم بي عبد من عبدي دون
خلي اعرف ذلك من ينشئ فكيد السموم السبع ومم فيهم والارضون السبع
ومن فيهم الاجعلت له من بينهم مخرجا اما وعزني وعظمي لا يعتصم عبد من
عبادي بخلاف دوني اعرف ذلك من ينشئ الا قطعنا سبل السما من يده واسخن
الارض من تحت قدميه ثم لا ابالي باي وادهلك وهذا الوجه اظهر للعامة من
الذي قبله ولا يخو طوباه في القرآن اكثر من الاول ومنه دعيت الرسل الى
الوجه الاول واذا تدبر اللبيب القرآن وجد سبحانه يدعو عباده بهذا الوجه
الى الوجه الاول وهذا الوجه يقتضي التوكل على الله سبحانه والاستعانة
به ودعاءه ومسألته دون ما سواه ويقتضي ايضا محبته وعبادته لاحسانا
الى عبده ولا سببا في نفعه عليه فاذا عبده واحبوه وتوكلوا عليه من هذا الوجه
دخلوا منه الى الوجه الاول ونظير ذلك من ينزل به بلا عظيم اوفاقه شدة
او خوف مقلق فجعل يدعو الله سبحانه ويتضرع اليه حتى تقع له من لذيذنا
جانه وعظيم الايمان به والانابة اليه ما هو احب اليه من تلك الحاجة
التي قصدتها او لا لكنه لم يكن يعرف ذلك وراحتي يطلبه ويشفق

اليه وفي نحو ذلك قال القائل جز الله يوم الروح خير فانه ارانا على علامته ام ثابت
ارانا مصوناك المحي اولم تكن تراهم الا عند نعت النواث **الوجه السادس**
ان تعلق العبد بما سوا الله مضره عليه اذا اخذ منه فوق القدر الزائد على حاجته
غير مستعين به على طاعة الله فاذا اتى من الطعام او الشراب او النكاح واللباس فوق
حاجته ضره ذلك ولو احب الله ما احب فلا بد ان يسلبه ويفارقه فان احبه
لغير الله فلا بد ان يضره محبته ويعذب محبوه اما في الدنيا واما في الآخرة والغالب
انه يعذب به في الدارين قال تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الى قوله فذوقوا ما كنتم تكنزون وقال تعالى فلا تعبدوا
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وترهوا انفسهم وهم
كافرون ولهم نصيب من قال ان الآية على التقديم والتأخير كما يجوز جاني حيث قال
ينظم قوله في الحياة الدنيا بعد فصل اخر ليس بموضوعة على التأويل فلا تعبدوا
لهم ولا اولادهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وهذا القول
يروي عن ابن عباس وهو منقطع واختاره قتادة وجماعة وكانهم لما اشكل عليهم
وجه تعذيبهم بالاموال والاولاد في الدنيا وان لذتهم وسرورهم ونعيمهم بذلك
قرأوا الى التقديم والتأخير واما الذين راوا ان الآية على وجهها ونظيرها فاختلوا
في هذا التعذيب فقال الحسن البصري يعذبهم باخذ الزكاة منها والانتفاع في الحياة
واختاره ابن جرير واوضحه فقال العذاب بها الزامهم بما اوجب الله عليهم فيما من
حقوقه وفرائضه اذا كان يؤخذ منه ذلك وهو غير طيب النفس ولا راجع من الله جزاء
ولا من الاخذ منه حمدا ولا شكرا بل على صغره وذلة وكره وهذا ايضا عدول عن
المراد بتعذيبهم في الدنيا بما اذاهب عن مقصود الآية وقالت طائفة تعذيبهم
بما انهم يعرضون بكفرهم لغنيمة اموالهم وسبي اولادهم فان هذا حكم الكافر
فروهم في الباطن كذلك وهذا ايضا من جنس ما قبله فان الله سبحانه اقر المفسر
فبين وعصم اموالهم واولادهم بالاسلام الظاهر وتولى سرهم فلو كان
المراد ما ذكره هؤلاء لوقع مراده سبحانه من غنيمة اموالهم وسبي اولادهم
فان الارادة هاهنا كناية بمعنى المشيئة وما شاء الله كان ولا بد وما لم
يشأ لم يكن والصواب والله اعلم ان يقال تعذيبهم بما هو الامر المشاهد

من تحذير طلاب الدنيا ومحبيها وموهبها على الاخرى بالحرص على تحصيلها
والشعب العظيم في جمعها ومقاسات انواع المشاق في ذلك فلا تجد العبد من الدنيا
الكبره وهو حريص بجهده على تحصيلها والعذاب هاهنا هو الالم والمشفة
والنعب كقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب وقوله ان الميت ليحذر بيكا
اهله عليه اي يتالم ويحزن لانه يعاقب باعمالهم وهكذا فيمن الدنيا كلهم او
الكبره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من حديث
النس من كانت الاخرة لله جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي
راغمة ومن كانت الدنيا لله جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت
من الدنيا الا ما قدر له ومن اباح العذاب في الدنيا تسنت الشمل وتفرق القلب
وكون الفقر نصيب عيني العبد لا يفارقه ولو لا سكرة عشاق الدنيا لجمها لا تنفكا
نوامن هذا العذاب على ان اكبرهم لا يزال يشكوا ويصرخ منه وفي الترمذي ايضا
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى ابن
ادم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنا واسد فمرك وان لا تفعل ملات يدك
شغلا ولم اسد فمرك وهذا ايضا من انواع العذاب اشتغال القلب بالبدن
بتحمل اكاد الدنيا ومجادبة اهلها اياها ومقاساة معاد انهم كما قال البعض
السلف من احب الدنيا فليوطن نفسه على تحمل المصائب ومحبة الدنيا لا ينفك
من ثلاث هم لازم وتعب ايم وحسرة لا تنقضي وذلك ان محبة الدنيا لا ينال منها
شيئا الا طمحت نفسه الى ما فوقه كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان لابن ادم واديان من مال لا تبغى لهما ثالث وقيل مثل عيسى بن مريم عليه
السلام محبة الدنيا يشارب البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وذكر ابن ابي
الدنيا ان الحسن بن علي بن عبد العزيز لما بعد فان الدنيا دار طعن ليست
بدار اقامة انما انزل اليها ادم عقوبة فاخذها يا امير المؤمنين فان الزاد
منها تركها والغنى فيها فقر لها في كل حين قليل تذل من اعزها وتفقر من
جمعها هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حشفة تكثر فيها كالدواوي جراحه
يحامي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصير على شدة الدوا مخافة طول
البلاء فاخذ هذه الدار الغرارة الخداعة الخيالة التي قد تزيت بخدعها

نق

نق
وتهل

ذهب وقد

الخنا

وفتنت

وفتنت بغير رها وخيلت بامالها وشوقها لخطاياها فاصبحت كالعروس
المجلوة فالعيون اليها ناظرة والقلوب عليها والهمة والنفوس لها عاشقة وهي
لاذواجها كلهم قائله فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطمح ونسي
المعاد فشغل بها اليه حتى زلت عن مقدمه فعظمت عليه ندامته وكبرت حسرة
واجتمعت عليه سكرات الموت والمه وحسرة الفوت وعاشق لم ينل منها بغية
فها بغية ومات بكمد ولم يدرك منها ما طلب لم تستخرج نفسه من النعب فخر
بغير زاد وقدم على غير ما د فكن استر ما تكون فيها ا حذر ما تكون لها فان
صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه وصل الرخا منها
بالبلاء فجعل البقاء فيها ينتمى الى فنا فسرودها مشوب بالحزن امانها كاذبه
وامالها باطله وصفوها كدر وعيشها نكد فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبرا
ولم يضرب لها مثلا لكانت قد ايقظت النائم ونهت الغافل فكيف وقد جا
من الله فيها واعظ وعنها زاجر فالها عند الله قدر ولا وزن وما نظر اليها
من خلقها ولقد عرضت على نبينا بمفاتيحها وخزائنها لا تنقصه عند الله جناح
بعوضه فاني ان يقبلها وكره ان يحبها بغض خالفه او يرفع ما وضع عليه
فرواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترار افطن المغرور
بها المقندر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله برسوله حين شد الحجر على
بطنه وقال الحسن ايضا ان قوما اكرموا الدنيا فصلبتهم على خشبها هينو
ها فاهني ما تكون اذا اهنتها هاهنا هذا باب واسع واهل الدنيا وعشاقها
اعلم بما يقاسونه من العذاب وانواع الالم في طلبها ولما كانت هي اكبرهم من
لا يؤمن بها بالآخرة ولا يرجو لقاء ربه كان عذابه بها بحسب حرصه عليها و
شدة اجتهاده في طلبها واذا اردت ان تعرف عذابا هلهيا بها فنامل حال عا
شق فان في حب معشوقه وكلاما من قربان معشوقه يابى عنه فلا يقبله و
بحره ويصل عدوه فهو معشوقه في انك عيش يختار الموت ذو معشوقه
قليل الوفا كثير الجفا كثير الشر كاسر الآسحالة عظيم الخيانة كثير التلون لا يامن
عاشقة معه على نفسه ولا على ما معه انه لا يصبر له عنه ولا يجد سبيلا الى سلوة ترزعه
ولا وصال يدوم له فلو لم يكن لهذا العاشق عذاب الا هذا العاجل فكيف اذا حبل

وفتنت

بغضه

ترجيه

بينه وبين لذته كلها وصار معذبا بما كان ملتذبا به على قدر لذته به التي شغلته
عن سعيه في طلبه له ومصلح معاده وسنعه الى تمام الكلام في هذا الباب في
باب ذكر علاج مرض القلب بحب الدنيا ان شاء الله اذ المقصود بيان ان من احب الدنيا
سواء لم تكن مجسمة له لله ولا لكونه معين له على طاعة الله عز وجل في الدنيا قبل
الآخرة كما قيل **انت الفيل بكل من احببته** فاختر لنفسك في اليوم **بصطف**
فاذا كان يوم المعاد والى الحكم العدل سبحانه كل محب ما كان يحبه في الدنيا فكا
ن معه اما منعا او معذبا وهذا يمثل المحب المال ما له شجاعة اقرب ياخذ بله
يقول انا ما انا اكثر من ان يصنع له صفائح من نار يكون بها جبينه وجنبه وظهره
وكذلك عاشق الصواب اذا اجتمع هو ومعتشوقه على غير الله جمع الله بينهما في
النار وعذب كل منهما بما احبه قال تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عود
الا المتقين واخبر سبحانه ان الذين توادوا في الدنيا على الشرك يكفر بعضهم
ببعض يوم القيمة ويلعن بعضهم بعضا وهو ما واهم النار وما لهم من نارا
صرين فالمحبة محبة دينا واخرى ولهذا يقول الله تعالى يوم القيمة للثاق
اليس عدلاني ان اولي كل رجل ما كان يتولى في دار الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم المرء
مع من احبه قال الله تعالى يوم بعض الظالم على يده يقول يا ليتني اتخذت مع كريمي
سبيلا يا ويلق ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وكان الشيطان
للانسان خذولا وقال تعالى احشر الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من
دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوههم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ازواجهم اشباههم ونظروهم وقال تعالى واذا النفوس
زوجت فقرن كل شئ الى شئله وجعل معه قريتنا وزوجا البر مع البر والفاجر
مع الفاجر والمقصود ان من احب شيئا سواه الله فالضرر حاصل له وان وجد وان فقد
فانه ان فقد عذب بفواته وتالم على قدر تعلق قلبه به وان وجده كان ما يحصل
له من الام قبل حصوله ومن النكدة في حال حصوله ومن الحسرة عليه بعد حصوله
اضاف ما في حصوله من اللذة **فما في الارض اسقى من محبة**
وان وجد الى حلو المذاق **فبيكي ان تاوه شوقا اليهم**
وبيكي ان دنوا هذا الغراف **فتسحن عينه عند التلافي**

وتسحن

وتسحن عند الغراف وهذا امر معلوم بالاستقراء والاعتبار و
التجارب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره الدنيا
ملعوننة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاها فذكر الله جميع انواع طاعته فكل من
كان في طاعته فهو ذاك وان لم يتحرك لسانه بالذكر وكل ما والاها الله فقد احبه و
قربه فاللعنة لا تنال ذلك بوجه وهي نائلة كلما عداه **الوجه السابع** ان
اعتماد العبد على المخلوق وتوكله عليه بوجهه كفر من جهته هو ولا بد عكس ما علم منه
فلا بد ان يخذل من الجهة التي قد ران ينصر منها ويذم من حيث قد ران يجهل وهذا ايضا
كما انه ثابت بالقرآن والسنة فهو معلوم بالاستقراء والتجارب قال تعالى واتخذوا من
دون الله الهة ليكونوا لهم عزاء لا يسفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال تعالى
واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند
محضون اي يعصبون لهم ويحاربون كما يعصب الجند ويحارب عن اصحابه وهم
لا يستطيعون نصرهم بل هم كل عليهم وقال تعالى وما ظنناهم ولكن ظلموا انفسهم فاما
اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك وما زادهم غير تنجيب
اي تخسير وقال تعالى فلا تدع مع الله الهها اخر فتكون من المعذبين وقال تعالى لا تجعل
مع الله الهها اخر فتكون من المعذبين وقال تعالى لا تجعل مع الله الهها اخر فتعذب
مواخذ لا فان المشرك يرجو النصر تارة والهمد والتثارة فاحذر سبحانه ان
مقصوده ينعكس عليه ويحصل له الخذلان والذم والمقصود ان هذين الوجهين في
المخلوق وضدهما في الخالق فصلاح القلب وسعادته وفلاحه في عبادة الله و
الاستعانة به هلاكه وشقاؤه وضرره العاجل والاجل في عبادة المخلوق والا
ستعانة به **الوجه الثامن** ان الله سبحانه غني كريم عزيز رحيم فهو محسن
الى عبده مع غناه عنه برأيه الخير ويكشف عنه الضر لا يجلب منفعة اليه من العبد ولا
لرفع مضرة بل راحة عنه واحسانا فهو سبحانه لم يخلق خلقا ليشكرهم من قلة ولا
ولا يشعرونهم من ذلة ولا ليرزقوه ولا لينفعوهم كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعموا ان الله هو الرزاق ذو
القوة المتين وقال تعالى قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبرا وهو سبحانه لا يوالي من يواليه من الذل كما يوالي

المخلوق وانما يوالي اوليائه احسانا ورحمة ومحبة لهم واما العباد فانهم كما قال الله
 والله الغني وانتم الفقراء انهم لفقيرهم وحاجتهم انما يحسن بعضهم الى بعض لحاجته
 الى ذلك وانتفاعه به عاجلا او اجلا ولولا تصور ذلك النفع لما احسن اليه فهو في
 الحقيقة انما اراد الاحسان الى نفسه وجعل احسانه الى غيره وسيلة وطريقا الى
 وصول نفع ذلك الاحسان اليه فانه اما ان يحسن اليه لثوق جزائه في العاجل
 فهو محتاج الى ذلك الجزاء معاوضا باحسانه او لثوق حمد وشكره وهو ايضا انما
 يحسن اليه ليحصل له ما هو محتاج اليه من الثناء والمدح فهو يحسن الى نفسه باحسانه
 الى الغير واما ان يريد الجزاء من الله في الآخرة فهو ايضا يحسن الى نفسه بذلك وانما
 اخر جزاءه الى يوم فقره وفاقرته وهو غير ملوم في هذا القصد فانه فقير محتاج وفقره
 وحاجته امر لازم له من لوازم ذاته فكما ان يحصر على ما ينفعه ولا يعجز عنه قال تعالى
 ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال وما تفعلوا من خير يوف اليكم قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فيما رواه عن ربه انه قال يا عبادي انكم لن تبلغوا نقعي فتفوقوني ولن
 تبلغوا ضري فتضروني يا عبادي انما هي اعمالكم احصوها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد
 خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فالمخلوق لا يقصد منفعة
 بالقصد الاول بل انما يقصد انتفاعه بك والرب تعالى انما يريد نفعك لا انتفاعه بك
 بل ذلك منفعة محضة لك خالصة من المضر بخلاف ارادة المخلوق نفعك فانه قد
 يكون فيه مضرة عليك ولو بتحمل مشقة فندبر هذا فان ملاحظته يمنعك ان ترجو المخلوق
 او تعامله دون الله او تطلب منه نفع او دفعا او تعلق قلبك به فانه انما يريد
 انتفاعه بك لا محض نفعك وهذا حال المخلوق كلهم بعضهم مع بعض وهو حال الولد
 مع والده والزوج مع زوجته والمملوك مع سيده والشريك مع شريكه فالسعيد من
 عاملهم الله الهم واحسن الهم لله وخاف الله فيهم ولم يخفهم الله ورجا الله با
 لا احسان اليهم ولم يرجهم مع الله واجههم بحب الله ولم يحبهم مع الله كما قال او
 ليا الله انما فطعتم لوجه الله لا لزيد منكم جزاء ولا شكورا **الوجه التاسع**
 ان العبد لا يعلم بصلحتك حتى تعرفه اياها ولا يقدر على تحصيلها الا حتى يقدر
 الله عليها ولا يريد ذلك حتى يخلف الله فيه ارادة ومشية فعاد الامر كله الى من
 ابتلي منه وهو الذي بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله فتعلق القلب بغيره جا

مطلب

فمنه
 وقال تعالى فيما رواه
 عنه رسول الله

وخوفا

وخوفا وتوكلا وعبودية ضرورية محض لا منفعة فيه وما يحصل بذلك من المنفعة فهو و
 حده الذي قدرها ويسرها واصلها اليك **الوجه العاشر** ان غالب المخلوق انما
 يريد ان قضاه حاجاتهم بك ولان اضر ذلك بدينك ودنياك فمما غرضهم قضى خواهم
 ولو بعرضك والرب تعالى انما يريدك كد ويريد الاحسان اليك كد لا المنفعة ويريد دفع الضرر
 عنك فكيف تعلق امك ورجاءك وخوفك بغيره وجماع هذا ان تعلم ان المخلوق كلهم
 لو اجتمعوا على ان ينفقوك لم ينفقوك الا بشئ قد كتبه الله كد ولو اجتمعوا على ان يضروا
 لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك قال تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
 وعلى الله فليستوكل المؤمنون **خاتمة** لهذا الباب لما كان الانسان بل وكل حي
 متحركا بالارادة لا ينفك عن علم وارادة وعمل بتلك الارادة وله مراد مطلوب وطريق
 وسبب موصل اليه معين عليه وتارة يكون السبب وتارة من خارج صفة منفصلة عنه
 وتارة منه ومن الخارج فصار المحي مجبوا على ان يقصد شيئا ويريد ويستعين بشئ
 ويعتمد عليه في حصول مراده والمراد قسمان احدهما ما هو مراد لنفسه والثاني ما هو مراد
 لغيره والمستعان قسمان احدهما ما هو مستعان بنفسه والثاني ما هو مستعان به والى هذه
 اربعة امور مراد لنفسه ومراد لغيره ومستعان بنفسه ومستعان بكونه الله وتبعها المستعان
 بنفسه فلا بد للقلب من مطلوب يطهر من اليه وتنهي اليه محبته ولا بد له من شئ يتوصل به ويستعين
 به في حصول مطلوبه والمستعان مدعو ومسئول العباد والاستعانة كثير اما مثلا
 زمان فمن اعتمد القلب عليه في رزقه ونصره ومنفعته خضع له وذلك وانقاد واجبة هذه الجهة
 وان لم يحبه لذاته لكن قد يغلب عليه حكم الحال حتى يحبه لذاته وينسى مقصوده منه واما من
 احبه لقلب اراده وقصده فقد لا يستعين به ويستعين بغيره عليه كمن احب الا او منصب
 او امرأة فان علم ان محبوبه قادر على تحصيل غرضه استعان به فاجتمع له محبته والاستعانة
 بغيره فالاقسام اربعة محبته لنفسه وذاته مستعان بنفسه فاعلا الاقسام و
 ليس ذلك الا الله وحده وكلما سواه فانما ينبغي ان يحب بتبع المحبته ويستعان به لكونه
 الله وسببا الثاني محبته لغيره ومستعان به ايضا كالمحبوب الذي هو قادر على تحصيل
 غرض محبه الثالث محبته مستعان عليه بغيره الرابع مستعان به غير محبوب في نفسه
 نفسه فاذا عرفت ذلك تبين من احوال هذه الاقسام الاربعة بالعبودية والاستعانة
 وان محبة غيره واستعانة ان لم تكن وسيلة الى محبة واستعانة والا كانت مضرة

فر

علم العبد ومفسد ثل اعظم من مصلحتها وانه المستعان لعمله للكلان **الباب**
السادس في ان القرآن العظيم متضمن لادوية القلب وعلاجه من جميع امراضه قال الله
 تعالى يا ايها الناس قد جاءكم من عند ربكم شفأ لما في الصدور وقال ونزل من
 القرآن ما هو شفأ ورحمة للمؤمنين وقد تقدم ان جماع امراض القلب هي امراض الشبهات
 والشبهات والقرآن شفأ للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية ما بين
 الحق من الباطل فنزل امراض الشبهات للفساد للعلم والنصو والادراك بحيث يرى
 الاشياء على ما هي عليه وليس تحت اديم السماء كتاب يتضمن للبراهين والايات على
 المطالب لعالية من التوحيد واثبات الصفات واثبات المعاد والنبوت ورد النحل
 الباطلة والاراء الفاسدة مثل القرآن فانه كقيل بذلك كله متضمن على اتم الوجوه
 واحسنها واقرها الى الحقول وافصحها بياناً فهو الشفأ على الحقيقة من اداء
 الشبهات والشكوك ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفته المراد منه فمن رزقه الله ذلك
 ابصر الحق والباطل عياناً بقلبه كما يرى الليل والنهار وعلم ان ما عده من كتب
 الناس وادابهم ومعقولاتهم بين علوم لا ثقة بها وانما هي اراء وتقليد ودين ظنون
 كاذبة لا تغني عن الحق شيئاً وبين امور صحيحة لا تنفعه للقلب فيما بين علوم
 صحيحة قد وعروا الطريق الى تحصيلها واطالوا الكلام في اثباتها مع قلة نفعها
 فهي لم تجل غث على راس جبل وعمر لاسهل في رفق واسم من فينقل واحسن ما
 عند المتكلمين وغيرهم فهو في القرآن اصح تقرير واحسن تفسير اقل من عندهم
 الا التكلف والخطول والتعقيد كما قيل **لولا الشفاء في الدنيا لما وضعت**
كتبنا لظلال المعنى ولا العمد يحملون بزعمهم عقداً وبالذي وصفت
 زادت العقدة فهم يزعمون انهم يدفعون بالذي وضعوه الشبهات والشكوك و
 الفاضل الذي يعلم ان الشبهات والشكوك زادت بذلك ومن المحال ان لا يحصل
 الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله ويحصل من كلام هو
 لا المشككين الشاكين الذي اخبروا واقع على نيات قدامهم بما اضمي اليه من
 ميراثهم حيث يقول **نمايات اقدم العقول عقلا** واكثر سعي العالمين ضلالاً
وارواحنا في وحشة جنتنا وحاصل ديننا اذى ووبال
ولم نستفد من جنتنا طويلاً سوان جمعنا فيه قيل وقال

لقد تأملت الطرق الكلامية والمنهاج الفلسفية فإني أراها تشفى عيلاً لا تروى عيلاً
 ورايت اقرب لطرق طرية القرآن اقرب في الاثبات للجمع على العرش استوى المية يصعد
 الحكم الطيب اقرب في النفي ليس كمثل شيء ولا يحيطون به علما ومن حيث مثل تجردتي
 عرف مثل معرفتي فهذا انشاده والفاظه في آخر كنه وهو افضل زمانه على الاطلاق
 في علم الكلام والفلسفة وكلام امثاله في مثل ذلك كثير جداً قد ذكرناه في كتابنا الصو
 وغيره وذكرنا قول بعض العارفين بكلام هؤلاء آخر امر المتكلمين الشك و آخر امر
 المتصوفين الشك والقرآن يوصلك الى نفس اليقين في هذه المطالب التي هي اعلا
 مطالب العباد ولذلك انزل من تكلم به وجعل شفأ كلما في الصدور وهذا وجهه للذين
 واما شفأ والمرض الشهوات فذلك لما فيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب
 الذهب والترهيب في الدنيا والترغيب في الآخرة والامثال والعصص التي فيها
 انواع العبر والاستبصار في رغب القلب السليم اذا ابصر ذلك فيما ينفعه في معاشه
 ومعاده ويرغب عما يضره فيصير القلب محبا للربند مبغضاً للنهي فالقرآن منزل للام
 من الموجبة للارادات الفاسدة فيصالح القلب فتصلح الارادة ويعود الى فطرته التي
 فطر عليها فنصلح افعاله الاختيارية الكسبية كما يعود البدن بصحته وصلاحه
 الى الحال الطبيعية فيصير بحيث لا يقبل الا الحق كما ان الطفل لا يقبل الا اللبن
وعاد الفتى كالطفل ليس يقابل سوا الحق شيئاً واستراحت عواذله
 فينغذ القلب من الايمان والقرآن بما يركبه ويقويه ويؤيده ويفرحه ويسره و
 ينشطه ويثبت ملكه كما يتغذى البدن بما ينمي ويقويه وكل من القلب و
 البدن محتاج الى ان يرى قافيهما ويزيد حتى يكمل ويصلح فكما ان البدن محتا
 ج الى ان يرى بالاعذية المصلحة له والحكمة عما يضره فلا ينمو الا باعطاء ما
 ينفعه ومنع ما يضره فكذلك القلب لا يزكو ولا ينمو ولا يتم صلاحه الا بذلك ولا
 سبيل له الى الوصول الى ذلك الا من القرآن وان وصل الى شيء منه غيره فهو نزر من صير
 لا يحصل تمام القصور وكذلك الزرع لا يتم الا بمزج الاخرين فحينئذ يقال
 ذلك الزرع وكل ما كانت حياته ونعيمه لا يتم الا بركة الله وطهارته لم يكن
 بدين ذكر هذا وهذا فنقول **الباب الثامن** في زكاة القلب
 الزكاة في اللغة هي النماء والزيادة في الصلاح وكما قال الشيء يقال زكا الشيء انما

قال تعالى خذ من اموالهم صدقة فتظهرهم وتزكهم بها فجمع بين الامر من الطهارة والزكاة
لتلازمهما فان نجاسة الفواحش والمعاصي في القلب بمنزلة الاخلاط الرديئة
في البدن وبمنزلة الدغل في الزرع وبمنزلة الخبث في الذهب والفضة والنجاس
والجديد فكما ان البدن اذا استفرغ من الاخلاط الرديئة تحصلت القوة الطبيعية
منها فاستراح فعملت عليها بلا معوق ولا مانع فكذا القلب اذا اتخلص
من الذنوب بالنوبة فقد استفرغ من تخليطه فتخلصت قوة القلب وادته للخير
فاستراح من تلك الجواذب الفاسدة والمواد الرديئة زكوا ونما وقوي واشتد
جلس على سريره ملكه ونفذ حكمه في رعيته فسمعت له واطاعت فلا سبيل الى تركها
فه الا بعد طهارته كما قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم فكذا زكاهم الله فجعل الزكا بعد غرض البصر وحفظ الفرج ولهذا
كان غرض البصر عن المحارم بوجوب ثلاث فوالله عظيمة الخطر جليلة القدر احدا
ها حلاوة الايمان ولدته التي هي احلا واطيب لذمها صرف بصره عنه وتركه
فان من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه والنفس مولعة بحجب النظر الى الصور
الجميلة والعين رايدة القلب فيبعث رايدة لينظر ما هناك فاذا اخبره بحسب المنظور
اليه وجماله تحرك اشتياقا اليه وكثيرا ما يشعب ويبعث رسوله ورايه كما قيل

واكتبته حتى ارسلت طرفي رايدا لنفسك يوما العجبك المناظر

رايت الذي لا كلة انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

فاذا كف الرايد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كل غنة الطلب الى الارادة
فمن اطلق لخطاته دامت حسراته فان النظر يولد المحبة فتبد اعلافة يتعلق
بها القلب بالمنظور اليه ثم تقوى فتصير صباية ينصب اليه القلب بكليته ثم تقوى
فتصير غراما تلزم القلب كل يوم الغريم الذي لا يفارق غريمه ثم يقوى فتصير
عشقا وهو الحب المفرط ثم يقوى فتصير شغفا وهو الحب الذي قد وصل الى شغف
في القلب وداخله ثم يقوى فتصير شغفا والتميم التبعيد ومنه تيمم الحب اذا
عبد وتم الله اذا عبد فيصير القلب عبد لله لا يصالح ان يكون هو عبد الله
وهذا كله جنائز النظر فحينئذ يقع القلب في الاسر فيصير اسيرا بعد ان كان
ملكاً وسجونا بعد ان كان مطلقاً يتظلم في من الطرف ويشكوه والاطرف

يقول

يقول انا رايدك ورسولك وانت بعثتني وهذا انما يبلى به القلوب الفارغة من
حب الله والاخلاص له فان القلب لا بد له من التعلق بمحبوب فمن لم يكن الله وحده محبوبا
والله ومعبوده فلا بد ان يعبد قلبه لغيره وقال تعالى عن يوسف المصداق عليه السلام كذا
لنصر فعنه كسر والفتنة انه من عبادة المخلصين فامارة العز بطل كانت لها مشركه و
تعت فيما وقع فيه مع كونه ذات زوج ويوسف لما كان مخلصا منه نجما من ذلك مع كونه
شاهبا غريبا مملوكا الفائدة الثانية في غرض البصر نور القلب صحة الفراسة قال
ابو شجاع الكرماني من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام الرقبة وكف نفسه عن
الشهوات وغض بصره عن المحارم واعتاد اكل الحلال لم تخط له فراسة وقد ذكر سبحانه
قصة قوم لوط وما ابتلوا به ثم قال بعد ذلك ان في ذلك لآيات للمتوسمين وهم المتفرسون
الذين سلموا من النظر المحرم والفاحشة وقال تعالى عقيب امر المؤمنين بغض ابصارهم
وحفظ فروجهم الله نور اسمى والارض وسر هذا ان الجرام جنس يحمل من غرض
عاجزه الله عليه عوضه الله من جنس ما هو خير منه فكما مسك نور بصره عن المحرم
اطلق الله نور بصيرته وقلبه فرأى به عالم به من اطلق بصره ولم يغضه عن محارم
الله وهذا امر يحسه الانسان من نفسه فان القلب كالمرآة والى كالمصعد فيها
فاذا اخلصت من الصدأ انطبعت فيها صورة الحقائق كما هي عليه واذا صدت لم
ينطبق فيها صورة المعلومات فيكون علمه وكلامه من باب الخوص والظنون الفا
لذلك الثالثة قوة القلب في ثباته وشجاعته فيعطيه الله بقوة سلطان النصر كما
اعطاه بنو سلطنة المحجة فجمع له بين السلطانية وبين الشيطان منه كما في
الانسان الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظلمة لهذا يوجد المتبع هواه من
ذل النفس وضعفها ومما نزلها ما جعله الله من عصاه فانه سبحانه جعل العز لمن اطا
عه والذل لمن عصاه قال تعالى والله العزة ولسو له وللمؤمنين وقال تعالى ولا تمنعوا
ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اي من كان يطلب العزة فليطلبها بطاعة الله بالكلم الطيب والعمل
الصالح وقال بعض الحكماء الناس يطلبون العز بابا بواب الملوك ولا يجدونه الا في
طاعة الله وقال الحسن وان هاجت البراذير وطفت بهم البغال ان ذل
للعصية في قلوبهم الى الله الا ان يذل من عصاه وذلك ان من اطاع الله فقد واه

هو شاه الكرماني
فعل ابو شجاع
كنه او تضيف
في الناس

ولا يذلل من والاه الله كما في دعاء القنوت انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت
والمقصود ان زكاة القلب موقوفة على طهارته كما ان زكاة البدن موقوفة على استقامته
غنى من اخلاطه الرديئة الفاسدة قال تعالى وكولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم
من احدا بدا ولكن الله يزي من يشاء والله سميع عليم وذكر ذلك سبحانه عقيب تحريم
الزنا والقذف وتكاج الزانية فدل على ان التزكي هو باجتناب ذلك وكذلك قوله
في الاستئذان ان على اهل البيت وان قبل لكم ارجعوا فارجعوا هو ان تترك لكم فانهم
اذا امروا بالرجوع لا يبطئوا على عورق لم يحجب صاحب المنزل ان يطالع عليهم
كان ذلك ان تترك لهم كما ان رد البصر وغضه ان تترك لصاحبه وقال تعالى قد افلح من تزكى
وذكر اسم ربه فصلى وقال تعالى عمر موسى في خطابه لفرعون هل لك ان تتركى و
قال تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤنون الزكاة قال اكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم
هي التوحيد ثم اداة ان لا اله الا الله والايمان الذي يترك القلب فانه يتضمن نفى
الهيئة ماسية الحق وذكر طهارة واثبات الهيئة سبحانه وهو اصل كل زكاة ونما
فان التزكي وان كان اصله النماء والزيادة والبركة فانما يحصل بازالة الشر فلما هذا
صار التزكي ينظم الاعمال جميعا فاصل ما تتركوه القلوب والارواح هو التوحيد
والتزكية جعل الشكر كيا اداة في ذاته واما في الاعتقاد والخبر عنه كما يقال عدلته
وشققته اذا جعلته كذلك في الخارج اداة في الاعتقاد والخبر وعلى هذا فقول
تعالى فلا تتركوا انفسكم هو على غير معنى قد افلح من زكاه اي لا تخبروا انفسكم
بما تقولوا انفسكم ان تكون صالحون متقون ولهذا قال عقيب ذلك هو اعلم من
انفى وكان اسم زبيب برة فقال تزكى نفسها فساها رسول الله صلى الله عليه وسلم ز
ينب وقال الله اعلم باهل البر منكم وكذلك قوله تعالى الم تر الى الذين يتركون انفسهم
اي يعتقدون زكاهم ويخبرون به كما يزكي المزكى الشاهد فيقولون عن نفسه ما يقول
المزكى فيه ثم قال تعالى بل الله يزي من يشاء اي هو الذي يجعله زاكيا ويخبر
كانه وهذا بخلاف قوله قد افلح للمؤمنين زكاهم فانه من باب قوله هل
لك ان تتركى اي تعمل بطاعة الله فتصير زاكيا ومثل قوله قد افلح من
تركى اي يعمل بطاعة الله وقد اختلف في الضمير المرفوع في قوله زكاهم فويل
هو انه اي افلحت نفس زكاهم الله وخابت نفس ساهم او قيل ان الضمير

يعود على فاعل افلح وهو من سوا كانت موصولة او موصوفة فان الضمير لوعا
على الله سبحانه لقال قد افلح من زكاه وقد خاب من دساه والاولون يقولون من وان
كان لفظها مذكرا فاذا وقعت على مؤنث جاز اعادة الضمير عليها بلفظ المؤنث مرا
عات للمعنى ولفظ المذكور مراعاة للفظ وكلاهما من الكلام الفصيح وقد وقع
في القرآن اعتبار لفظها ومعناها فالاول كقوله ومنهم من يستمع اليك فانهم من الضمير
والثاني كقوله ومنهم من يستمعون اليك قال المرحوم للقول الاول يدل على صحة
قولنا ما رواه اهل السنن في حديث ابن ابي مليكة عن عائشة قالت اتيت ليلة فوجدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رب اعط نفسي تقواها وزكاهم انك خير من زكاهم ان
ولمها ومولاهم هذا الدعا كالتفسير لهذه الآية وان الله هو الذي يتركى النفوس فتصير
زاكية والله هو المزكى والعبد هو المتزكى والفرق بينهما فرق ما بين الفاعل والمطا
وع قالوا والذي جاء في القرآن من اضافة الزكاة الى العبد انما هو بالمعنى الثاني دون
الاول كقوله تعالى قد افلح من تزكى وقوله هل لك ان تتركى اي تقبل تزكية الله بترك
كي قالوا وهذا هو الحق فانه لا فلاح الا من زكاه الله قالوا وهذا اختيار رجحان
القرآن ابن عباس فانه قال في رواية علي بن ابي طاحنة وعطاء الكلبي قد افلح من
زكى نفسه واختار ابن جرير قالوا ويشهد لهذا القول ايضا قوله في اول السورة ف
لهم فحجوها ونفوها قالوا ايضا فانه سبحانه اخبر انه خالق النفس وصفاتها
وذلك في معنى التسوية قال اصحاب القول الاخر ظاهر الكلام ونظم الصحاح يقتضي
ان يعود الضمير على من اي افلح من زكى نفسه هذا هو المفهوم المتبادر الى الفهم بل
لا يكاد يفهم غيره كما اذا قلت هذا فجادية قد ربح من اشترىها وصدقة قد سعت
من صلاها وضال قد خاب من اوها ونظاير ذلك قالوا والنفس مؤنثة فلو عا
والضمير على الله سبحانه لكان وجه الكلام قد افلحت نفس زكاهم او افلحت من
زكاهم لقوة من على النفس قالوا وان جاز تفرغ الفعل من الشاء لاجل لفظ من
كما يقول افلح من قامت منك فذاك حيث لا يقع اشتباه والناس فاذا وقع الاشتباه
لم يكن بد من ذكر ما يزيله قالوا ومن موصولة بمعنى الذي ولو قيل قد افلح الذي زكاهم
الله لم يكن جاز العود الضمير المؤنث على الذي وهو مذكور قالوا وهو سبحانه قصد
نسبة الفلاح الى صاحب النفس اذا زكاه نفسه ولهذا فرغ الفعل من التاء واتى بمن

التي هي بمعنى الذي وهذا الذي عليه جمهور المفسرين حتى اصحاب ابن عباس وقال
قنادة قد افلح من زكاه من تحمل خيرا زكاه بطاعة الله وقال ايضا قد افلح من
زكى نفسه بعمل صالح وقال الحسن قد افلح من زكى نفسه فاصلاها وحملها على طاعة
الله وقد خاب من اهلكها وحملها على معصية الله وقال ابن قتيبة يري الافلح من زكى
نفسه انماها واعلاها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف وقد خاب
من دساها اي نقصها واخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي والفاجر ابد اخفى المكا
ومن المروءة غامضا شخصنا كسر الاس فرتك انما احش قد سر نفسه فعمها ومصطنع
المعروف وشهر نفسه ورفحها وكانت اجواد العز تنزل الربا ويقاع الارض لشهر اما كنما الله
للمتعقبين وتوقد النار في الليل للطارقين وكانت الليالي الاكوان والاطراف والاهضاء
لتخفي اما كنما على الطالبين فاؤليك اعلوا انفسهم وزكوها وهؤلاء اخفوا انفسهم ود
سوها ونشد وبوان يفتك في معلم رجب المياه والمسرحة
كفيت العفاف طلاب القرى ونج الكلاب المستنج

فهذان قولان مشهوران في الآية وفيما قول ثالث ان المعنى خاب من دس نفسه الصالحين
وليس منهم حكاة الواحد قال معنى هذا انه اخفى نفسه في الصالحين يري الناس انهم و
هو منطو على غير ما ينطو عليه الصالحون وهذا وان كان حقا في نفسه لكن في كونه هو المراد
بالآية وانما يدخل في الآية بطريق العموم فان الذي يدس نفسه بالفسق اذا دخل اهل الخير دس
نفسهم والله اعلم **الباب التاسع** في طهارة القلب من ادراة ونجا
سته هذا الباب وان كان داخلا فيما قبله كما بينا ان الزكاة لا تحصل الا بالطهارة فان
دناه بالذكور لبيان معنى طهارته وشدة الحاجة اليها ودلالة القرآن والسنة عليها
لا سيما ما فيها المذثرة فاندرو ربك فكبر وثيابك فطهر وقال تعالى اولئك الذين لم
يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم وجمهور المفسرين
من السلف ومن بعدهم على ان المراد بالثياب هاهنا القلب والمراد بالطهارة اصلاح
الاخلاق والاعمال قال الواحد واختلف المفسرون في معناه فروى عطاء عن ابن عباس
قال يعني من الاثم وما كانت الجاهلية تعجزه وهذا قول قنادة ومجاهد قال انفسك
فطهر من الذنوب ونحو قول الشعبي وابرهيم والضحاك والزهري وعلى هذا القول
الثياب عبارة عن النفس والحرب تكني بالثياب عن النفس ومنه قول الشماخي

رموها

رموها باثواب خفاف فلا ترى لها شبيها الا النعام المنفر
رموها يعني الركاب بابلانهم وقال غيره فشككت بالرجح الاصم ثيابه ليس
الكرم على القنا بحرم يعني نفسه وقال في رواية الكلبي يعني لا تغور فتكون غا
وراد نسر الثياب وقال سعيد بن جبير كان الرجل اذا كان غادرا قيل دسر الثياب
وخبيث الثياب وقال عكرمة لا تلبس ثوبك على معصية ولا على فجوة وروى ذكره عن
ابن عباس واحتج بقول الشاعر واني بجهد الله لا ثوب غادر لبست ولا من خزية
التفع وهذا المعنى اراد من قال في هذه الآية وعلمك فاصبح وهو قول ابى رزين
ورواية منصوب عن مجاهد وابي روق وقال السدي يقال للرجل اذا كان صالحا انه
لظاهر الثياب واذا كان فاجرا له خبيث الثياب قال الشاعر لا هم ان عامر بن جهم
او دجاني ثياب دسم يعني انه متدنس بالخطايا وكما وصفوا الغادر والفا
جر بدسر الثوب وصفوا الصالح بطهارة الثوب قال امرئ القيس ثياب بني عوف طمرا
نقية يري لانهم لا يغدرون بل يفون وقال الحسن خلقك فحسنه وهذا قول القرظي وعلى
هذا الثياب عبارة عن الخلق لان خلق الانسان يشتمل على احواله اشتمال ثيابه
على نفسه وروى العوفي عن ابن عباس في هذه الآية لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب
طيب والمعنى طهرها من ان تكون مغصوبة او من وجه لا يحل اتخاذها منه وروى
عن سعيد بن جبير وقيلك ونيتك فطهر وقال ابو العباس الثياب اللباس ويقال القلب وعلى
هذا ينشد فسلي ثيابي من ثيابك تنسل وذهب بعضهم في تفسير هذه الآية الى خطا
صورها وقال انه امر بتهذيب ثيابه من النجاسة التي لا تجوز معها الصلاة وهو قول ابن
سيرين وابن زيد وذكر ابو اسحق وثيابك فطهر قال لان تفسير الثوب بالبعد من النجاسة
فانه اذا انجز على الارض لم يؤمن ان يصيبه ما ينجسه وهذا قول طاووس وقال ابن
عزقة معناه زال طهرهن وقد يكنى عن النساء بالثياب واللباس قال تعالى احل لكم ليلة
الصيام الرفق الى نسائكم هن لباس لكم ويكنى عنهن بالازار ومنه قول الشاعر
الا ابلغ ابا حفص رسولا فذكرتك من اخي ثقة اراي

اي اهل ومنه قول البراء بن معمر وللنبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقيقة لمنعه كما
نمنع شرارنا اي نسائنا قلت الآية تم هذا كله وتدل عليه بطريق التنبية والفرزوم
ان لم تشاؤ ذلك لفظا فان الماورية ان كان طهارة القلب فطهارة الثوب وطيب

شكل قول الطاهر

مكسبه تكمل لذلك فان حبث الملبس يكسب القلب هيئة خبيثة كما ان حبث
المطعم يكسبه ذلك ولذلك حرم لبس جلود النمل والسباع بنهي النبي صلى الله عليه
عن ذلك في عدة احاديث صحاح لا معارض لها لما يكسب القلب من الهيئة المشابهة
لتلك الحيوانات فان الملابس الظاهرة تسري الى الباطن ولذلك حرم لبس الحرير
والذهب على الذكور لما يكسب القلب من الهيئة التي تكون لمن ذلك لبسه من النساء واهل
الفخر والخيلا والمقصود ان طهارة الثوب وكونه من مكسب طيب هو من تمام طهارة
القلب وكما انها فان كان الما مؤبده ذلك فهو وسيلة مقصودة لغيرها فان
المقصود لنفسه اولى ان يكون مأمورا به وان كان الما مؤبده طهارة القلب تركية
النفوس فلا يتم الا بذلك فبين دلالة القرآن على هذا وهذا وقوله اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم عقيب قوله سمعون للكذب الى قوله يحرفون الكلم
عن مواضعه مما يدل على ان العبد اذا اعتاد سماع الباطل وقبوله اكسبه ذلك ثم انما
للحق عن مواضعه فانه اذا قبل الباطل احبه ورضيه فاذا جاء الحق بخلافه
رده وكذبه ان قدر على ذلك والاحرفه كما تصنع الجميمة بالاياء الصفات و
احاديثها يردون هذه بالتأويل الذي هو تكذيب بحقايقها وهذه بكونها اخبار
احاديث لا يجوز الاعتماد عليها في باب معرفة الله واسمايه وصفاته فهو لا
واخوانهم من الذين لم يزل الله ان يطهر قلوبهم فانها لو طهرت لما تعوضت بالباطل
عن كلام الله ورسوله كما ان المنحرفين من اهل الارادة لما لم تطهر قلوبهم تعو
ضوا بالسماع الشيطاني عن السماع القرآني الايمان قال عثمان بن عفان رضي الله
عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام الله فالقلب الطاهر كمال حياته وتو
وتخلصه من الادراة والنجاسة لا يشبع من القرآن ولا يتخذ الا بحقايقه
ولا يشدوى الابدان ويثب بخلاف القلب الذي لم يطهره الله فانه يتغذى من الأغذية
التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة فان القلب النجس كالبدن العليل
المرتبض لا تلايمه الاغذية التي تلايم الصحاح ودلت الآية على ان طهارة
القلب موقوفة على ارادة الله فانه سبحانه لما لم يرد ان يطهر قلوب الغالبين
الباطل المنحرفين الحق لم تحصل لها الطهارة ولا يصح ان تقهر الارادة بها
هنا بالارادة الدينية وهي الامر بالمعجزة فانه سبحانه قد اراد ذلك لم امر

ومعجزة

ومعجزة ولم يرد من كونا فاراد الطهارة لهم ولم يرد وقوعها منهم لما لم يرد ذلك
من الحكمة التي فواتها اكره اليه من فوات الطهارة منهم وقد اشبعنا الكلام في ذلك
في كتابنا الكبير في القدر ودلت الآية على ان من لم يزل الله ان يطهر قلبه فلا بد ان
يناله الخزي في الدنيا والعزة في الآخرة بحسب نجاسة قلبه وخبيثته ولهذا حرم الله
سبحانه الجنة على من في قلبه نجاسة وخبيث ولا يدخلها الا بعد طيبه وطهره فانما
دار الطيبين ولهذا يقال لهم طيبتم فادخلوها خالدين اي ادخلوها بسبب
طيبكم والبشارة عند الموت لهم الا دون غيرهم كما قال تبارك وتعالى الذين تنوفا
هم الملايكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالجنة
لا يدخلها خبيث ولا من فيه شيء من الخبيث فمن طهر في الدنيا ولقي الله طاهرا
من نجاساته دخلها بغير معوق ومن لم يطهر في الدنيا فان كان نجاسة
عينية كالكاظم لم يدخلها بحال وان كانت نجاسة كسبية عارضة دخلها
بعد ما ينظر من تلك النجاسة ثم يخرج منها حتى ان اهل الايمان اذا جازوا
الصراط حبسوا على فطرة بين الجنة والنار فيمذبون وينقون من بقايا
بقيت عليهم قصرت بهم من الجنة ولم توجه لهم دخول النار حتى اذا هذبوا و
نقوا اذن لهم في دخول الجنة والله سبحانه يحكمه جعل الدخول عليه موقفا
على الطهارة فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطهر وكذلك جعل الدخول الى الجنة موقفا
وقفا على الطيب والطهارة فلا يدخل الا طيب طاهرا فها طهارة طهارة
البدن وطهارة القلب ولهذا شرع المنوضي ان يقول عقيب وضوءه اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين و
اجعلني من المنظرين فطهارة القلب بالنوبة وطهارة البدن بالما فلما اجتمع
لذلك طهوران صلح الدخول على الله والوقوف بين يديه ومناجاة وسالت شيخ
الاسلام عن معنى دعا النبي صلى الله عليه وسلم اللهم طهرني من خطاياي بالما
والتاج والبر كيف تطهر الخطايا بذلك وما فائدة التخصيص بذلك وقوله
في لفظ اخر والمالباء رد والجارا بلخ في الانفا فقال الخطايا توجب للقلب
حرارة ونجاسة وضعفا فترخي القلب في النار الشهوة وتنجس فان
الخطايا والذنوب بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ولهذا كلما كثرت

في كتابنا الكبير

الخطايا اشتد نار القلب وضعفه والماء يغسل الخبث ويطفئ النار فان كان باراً
او وث الجسم صلابته وقوة فان كان معه تلج وبر كان اقوى في التبريد وصلابة
الجسم وشدة فكان اذهب لاث الخطايا بهذا معنى كلامه وهو محتاج الى مزيد
بيان وشرح فاعلم ان هاهنا اربعة امور امران حسيتان وامران معتوبان فالنجاة
سنة التي تزول بالماهي ومزيلها حسيتان واث الخطايا التي تزول بالتوبة والاستغفار
هي ومزيلها معتوبان وصلح القلب وحياته ونعيمه لا يتم الا بهذا وهذا فذكر
النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم من كل شرط قسمين منه به على القسم الاخر فتضمن كلامه
الاقسام الاربعة في غاية الاختصار وحسن البيان كما في حديثه العا بعد
الوضوء اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فانه يتضمن ذكر الاقسام
الاربعة ومن كمال بيان الله تعالى وحقيقته لما يجرب به وبما يرب به بمثل الامر المطلق
بما المعنوي بالامر المحسوس وهذا كثير في كلامه كقوله في حديث علي بن ابي طالب رضي الله
عنه والساد والساد واذا ذكر بالهدى الطريق وبالسداد سداد السهم وهذا
من ابلغ التعليم والنصح حيث امره ان يذكر اذا سال الله الهدى الى طريق صلاه وحسنه
كونه مسافراً وقد ضل عن الطريق فلا يدري اين يتوجه فطرح له رجل خبير
بالطريق عالم بما فسالة ان يدل على الطريق فمكذ شان طريق الاخر تمثيلاً لما
بالطريق المحسوس للمسافر وحاجة المسافر الى الله سبحانه الى ان يهديه تلك الطريق
اعظم من حاجة المسافر الى بلد الى ان يدل على الطريق الوصول اليها وكذلك السداد
وهو اصابة القصد قولا وعملاً مثله مثل رمي السهم اذا وقع سهمه في نفس الشيء
الذي رماه فقد سدد سهمه واصاب ولم يقع باطلاً فمكذ المصيب للحق في قوله
وعلمه بمنزلة المصيب في ربه وكثيراً ما يقرن في القرآن هذا وهذا فانه قوله تعالى وتزودوا
فان خير الزاد التقوى امر الحاج ان يتزودوا والسفر هم ولا يسافروا بغير زاد ثم نبههم
على زاد الاخر وهو التقوى فكما انه لا يصلح المسافر الى مقصده الا بزاد يبلغه اياه
فكذلك المسافر الى الله والدار الاخرة لا يصلح الا بزاد من التقوى فجمع بين الزادين ومنه
قوله يا ايها الذين آمنوا انزلنا عليكم لباساً ذا جمال وكنتم في سواد منكم فليانزل الله على من يشاء
ذلك خير فجمع بين الزينتين زينة البدن باللباس وزينة القلب بالتقوى وزينة
الظاهر والباطن وجمال الظاهر والباطن ومنه قوله تعالى من اتبع هداي فلا يضل

لما
يمثل

ولا يشقى نفى عنه الضلال الذي هو عذاب القلب والروح والسفاه الذي هو عذاب
البدن والروح ايضاً فمن منع القلب بالهدى والفلاح ومنه قول امرأة العزيز
عن يوسف اريد النسوة اللاتي لهن في حبه فذكر الذي لم يمتني فيه فارتب من جماله
المظاهر ثم قالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فاخبرته عن جماله الباطن بعفته
فاخبرته عن جمال باطنه وارغب من جمال ظاهره فنبه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم طهرني
من خطاياي بالما والشج والبر على شدة حاجة البدن والقلب الى ما يطهرهما ويورث
هما ويقويهما وتضمن دعاؤه سؤال هذا وهذا والله اعلم وقريب من هذا انه صلى
عز وجل كان اذا خرج من الخلا قال اغفر انك وفي هذا من السر والله اعلم ان النجوى ثقل
البدن ويؤذيه باحتباسه والذنوب ثقل القلب وتؤذيه باحتباسها فيه فهما مؤذ
يان مضران بالبدن والقلب فحما الله عند خروجه على خلوصه من هذه المؤذي لبدنه
وخفة البدن وراحته وسأله ان يخلصه من المؤذي الاخر ويرفع قلبه منه ويخففه و
اسرار كلماته وادعيتة فوق ما يخطر بالبال **فصل** وقد ستم الله سبحانه الشرك
والزنا واللواط بالنجاسة والخبث في كتابه دون سائر الذنوب وان كانت شتملة
على ذلك لكن الذي وقع في القرآن قوله تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس وقوله
في حق اللوطية ولو طاعتنا حكماً وعلماً ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخباياث
انهم كانوا قوم سوء فاسقين وقالت اللوطية اخبروا اللوط من قريبتكم انهم اناس
يتطهرون فاقرعهم شرهم وكفرهم انهم هم الاهابث الانجاس وان لوطاً والله يطهر
من ذلك باحتسابهم له وقال تعالى في حق الزنا الخبيثات الخبيثات والخبيثون الخبيثون
فاما نجاسة الشرك فهي نوعان نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة فالمغلظة الشرك
كالاكبر الذي لا يغفره الله فان الله لا يغفر ان يشرك به والمخففة الشرك الاصغر
كيسير الربا والتصنع للمخلوق والحلف به وخوفه ورجاؤه ونجاسة الشرك غيبي
ولهذا جعل سبحانه المشرك نجساً بفتح الجيم ولم يقل انما المشركون نجس
بالكسر فان النجس من النجاسة والنجس بالكسر المتنجس فان الثوب اذا احصا
به بول او غير نجس والبول والخمر نجس فان نجس النجاسة الشرك كما انه اظلم الظلم
فان النجس في اللغة والشرع هو المستقدر الذي تطلب مبادئته والبعده منه
حيث لا يكسر ولا يشتم ولا يركى فضلاً ان يحالط ويلا بسل لقد ارتد ونفرة لطبا

فانه

فانه

المسلمة منه وكلما كان الحي اكل حياة واصح حيوان ابعاده لذلك اعظم وتفرقة منه
 اقوى فالاعيان النجسة ان توفى البدن والقلب وتؤذيهما معا والنجس قد يودي
 برايته وقد يودي بملاسته وان لم تكن له راحة كريمة والمقصود ان النجاسة
 تارة تكون محسوسة ظاهرة وتارة تكون معنوية باطنة فيغلب على القلب والروح الخشنة
 والنجاسة حتى ان صاحب القلب الحي ليس من تلك الروح والقلب لاجته خبيثة بتأديها
 كما يتأذى من يشتم راحة التين ويظهر ذلك كثيرا في عرقه حتى يجد راحة عرقه
 فان نشأ القلب والروح يتصل بباطن البدن اكثر من ظاهره والعرق ينفض من الباطن
 ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الناس عرقا
 لت امة سليم وقد سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهي تلطفه هو من اطيب الطيب
 النفس النجسة الخبيثة يوقح خبيثا ونجاستها حتى يبدو على الجسد والنفس الطيبة
 بضدها فاذا تجردت وخرجت من البدن وجد لذة كاطيب نفحة مسك وجدت
 على وجه الارض ولتلك كانت راحة جيفة وجدت على وجه الارض والمقصود ان
 الشوك لما كان اظلم الظلم واقبح القبايح وانكر المنكرات كان الغضب الاشياء الى الله
 واكرهها له واشدها مقتا لديه ورب عليه من عقوبات الدنيا والاخرة ما لم يرتبه
 على ذنب سواء واخبر الله لا يغفره وان اهله نجس ومنهم من قربان حرمه و
 حرم ذبايحهم ومناعتهم وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين وجعلهم اعداء له
 سبحانه ولما ليكنه ورسله والمؤمنين واباح لاهل التوحيد اموالهم ونساءهم و
 ابناءهم وان يتخذوهم عبيدا وهذا لان الشوك هضم لحق الربوبية وتنقص
 لعظمة الالهية وسوء ظن برب العالمين كما قال تعالى ويعذب المنافقين و
 المنافقات والمشركين والمشركات انظر بانه ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب
 الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا فلم يجمع على احد من الوعيد
 والعقوبة ما جمع على اهل الاشرار فانهم ظنوبه ظن السوء حتى اشر كوابه
 ولو احسنوا به الظن لوحدوه حتى توحيد ولم يذا خبر سبحانه عن المشركين
 انهم ما قدروه حتى قدر في ثلاث مواضع من كتابه وكيف يقدره حتى قدر من
 جعل له عدلا وندرا حبه ويخافه ويرجوه ويذله ويخضع له ويمر برب من
 سخطه ويؤثر مرضاته قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا

يحبونهم

يحبونهم كحب الله وقال تعالى الذي خلق السما والارض وجعل الظلمات
 والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا في العبادات والمحبة
 والتعظيم وهذه هي التسوية التي اشتملها المشركون بلهم بين الله وبينهم
 وعرفوا وهم في النار انما كانت ضلالا وباطلا فيقولون لا اله الا الله وهم في النار
 معهم فانه ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين ومعلوم انهم رب
 ساووه في الذات والصفات والافعال ولا قالوا ان الهتهم خلقت السما
 والارض وانما اتيناها تحيي وتميت وانما ساووه بها في محبتهم لها وتعظيمهم لها
 وعبادتهم اياها كما يرى عليه هل الاشرار من ينسب الاسلام ومن العجب انهم
 ينسبون اهل التوحيد الى التنقص بالمساخ والانبيا والصالحين وما ذنبهم
 الا انهم قالوا عبيد لا يمكن ان يكون لانفسهم ولا لغيرهم ضرا ولا نفعا ولا موتا و
 لا حياة ولا شورا وانهم لا يشفعون لاهل التوحيد الا باذن الله لهم في
 الشفاعة فليس لهم في الامر شي بل الامر كله لله والشفاعة كلها له سبحانه والو
 لاية له فليس لخلق من دونه ولي ولا شفيع فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء
 الظن بالله ولهذا قال امام الحنفا لخصما يدين المشركين عافكا الهة دون الله
 تريدون فما ظنكم برب العالمين وان كان المعنى ما ظنكم به ان يعاملكم ويحيا
 زنيكم به وقد عبدتم معه غيره وجعلتم له ندا فانت تجد تحت هذا التهميد
 ما ظنتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره فان المشرك اما ان يظن ان
 الله سبحانه يحتاج الى من يدبر امر العالم معه من وزراء وظهير واعوان وهذا
 اعظم التنقص لمن هو غني عن كل ما سواه بذاته فكل ما سواه فقير اليه
 بذاته واما ان يظن انه سبحانه انما تتم قدرته بقدرته الشريك واما ان يظن
 بانه لا يعلم حتى يعلمه الواسطة او لا يرحم حتى يجعله الواسطة يرحم او لا يفي
 وحده الا يفعل ما يريد العبد حتى يشفع عنده الواسطة او لا يرحم كما يشفع
 المخلوق عند المخلوق فيحتاج ان يقبل شفاعة لاجته الى الشافع وانفعا
 عده وتكثر به من القلة وتوزره به من الذلة او لا يجيب دعاء عباده حتى
 يسألوا الواسطة ان يرفع تلك الحاجات اليه كما هو حال ملوك الدنيا وهذا حال
 شرك المخلوق او يظن انه لا يسمع دعاءهم لبعده عنهم حتى ترفع الواسطة اليه

العباد لهم ان لا يشعروا
 انهم لا يشعرون

ذكر او يظن ان المخلوق عليه حقا فهو يقسم عليه بحق ذلك المخلوق عليه و
يتوسل اليه بذلك المخلوق كما يتوسل الناس الى الاكابر والملوك بمن يعز عليهم
ولا يمكنهم مخالفته وكل هذا تنقص للرؤية وهضم لحقا ولولم يكن فيه الا
نقص محبة الله وخوفه ورجائه والثوكل عليه والانا به اليه من قلب من قلب
المشرك بسبب قسمة ذلك بينه سبحانه وبين من اشرك به فينقص ويضعف او
يضمحل ذلك التعظيم والمحبة والخوف والرجا بسبب صرف اكثره او بعضه الى
من عبده من دونه فالشرك ملزوم لنقص الرب سبحانه والنقص لازم له ضرورة
شأن المشرك ام ابى ولهذا اقضى عدم سبحانه وكما لا بد من ان لا يغفره وان
يخلد صاحبه في العذاب الاليم ويجعله اشقى البرية فلا تجد مشركا قط الا
وهو متنقص به سبحانه وان زعم انه يعظمه بذلك كما انك لا تجد مبتدعا
الا وهو متنقص للرسول وان زعم انه معظم له بتلك البدعة فانه يزعم انها
خير من السنة واولا بالصواب ويزعم انها هي السنة ان كان جاهلا مقلدا وان
كان مستبصرا في بدعته فهو مشتاق لله ورسوله فالمتنقصون المنقوصون
عند الله ورسوله واوليائهم اهل الشرك والبدعة ولا سيما من بني دينه على
ان كلام الله ورسوله ادلة لفظية لا تفيد اليقين ولا تغني عن اليقين والعلم
شيا فيا الله والمسلمين اي شئ فاذ هذا من التنقص وكذا من نقص صفات
الكمال عن الرب تعالى خشية ما ينوهم من التثنية والتجسيم فقد جاء من التنقص
ما وصف الله سبحانه به نفسه من الكمال والمقصود ان هاتين الطائفتين هم
اهل التنقص في الحقيقة بل هم اعظم الناس تنقصا ليس عليهم الشيطان حتى
ظنوا ان تنقصهم هو الكمال ولهذا كانت البدعة قريبة الشك في كتاب الله
قال تعالى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي غير المحرم
وان تشركوا بالله حالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فالاثم
وبالغي قرينان والشرك والبدعة قرينان **فصل** واما نجاسة دماء
نجاسة الذنوب والمعاصي فانها بوجوه اخر فانها لا تستلزم تنقيص الرؤية ولا سوء الظن
بالله عز وجل ولهذا امر رب سبحانه عليهما من العقوبة والاحكام ما رتبته على الشرك و
هكذا استقرت الشرعية على ان لا يغفر عن النجاسة المخففة كالنجاسة في محل الاستجمار

واسفل الخ

واسفل الخف والحذا وبول الصبي الرضيع وغير ذلك ما لا يغفر عن المخلوط وكذا يغفر عن
الصغار ما لا يغفر عن الكبار ويعفى لاهل التوحيد المحض الذي لم يشوبه بالشرك ما لا يغفر
لن ليس كذلك فلو لم يكن الموحدا الذي لم يشرك بالله شيئا البتة رتبته بقراب الارض خطا باثناه بقرا
بها مغفرة ولا يحصل هذا من نقص توحيد وشابه بالشرك فان التوحيد الخالص الذي
لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب فانه يضمن من محبة الله واجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه
وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الارض فالنجاسة عارضة والدافع لها
قوي فلا تثبت معه ولكن نجاسة الزنا واللواط اغلظ من غيرها من النجاسات من
جهة انها تفسد القلب تضعف توحيد جدا ولهذا احظى الناس بهذه النجاسة اكثرهم
شركا فكما كان المشرك في العبد اغلب كانت هذه النجاسة والنجاسة فيه اكثر وكما كان
اعظم اخلاصا كان منها البعد كما قال تعالى عن يوسف الصديق كذا كذا تصرف عنه سوء الفحشا
انه من عبادة المخلصين فان عشق الصور المحرمة نوع تعبد لا بل هو من انواع التعبد
ولا سيما اذا استولى على القلب وتمكن منه صار تشيما والتشيم التعبد فيصير العاشق عبدا
للعشوقه وكثيرا ما يغلب حبه وذكره والشوق اليه والسعي في مرضاته وايتار محابه على حبه
وذكره والسعي في مرضاته بل كثيرا ما يذهب كد من قلب العاشق بالكلية ويصير متعلقا
بمعشوقه من الصور كما هو مشاهد فيصير المعشوق هو الله من دون الله يقدم رضا
وحبه على رضا الله وحبه وينتقرب اليه ما لا ينتقرب الى الله ويتفوق في مرضاته ما لا يتفوق
في مرضاته الله ويحسب من سخطه ما لا يحسب من سخط الله فيصير اثر عنده من ربه
حبا وخضوعا وذللا وسمعا وطاعة ولهذا كان العشق والشرك متلازمان وانما حكمي
الله العشق عن المشركين من قوم لوط وعن امراء العزيز وكانت اذ ذاك مشركه فكما
قوي شرك العبد بل بعشق الصور وكما قوي توحيد صرف ذكره عن الزنا واللواط كمال
لذته انما يكون مع العشق ولا يخلو اصحابهما منه وانما الشفلة من محل الى محل لا يبقى له
عشقه مقصودا على محل واحد بل ينقسم على سهام كثيرة لكل محبوب نصيب من تالاه
وتعبد فليس في الذنوب افسد للقلب والدين من هاتين الفاحشيتين ولما خاصية
في تعبد القلب من الله فانها من اعظم الحبايث فاذا افسد القلب بهما بعد من هو طيب
لا يصعد اليه الا الطيب وكما ازداد خبا ازيد من الله بعدا ولهذا قال المسيح عليه
السلام فيما رواه الامام احمد في كتاب الزهد لا يكون البطالون من الحكماء ولا النجاسة

فلو

المشاكدة

ذكر كلامه عليه السلام
على هذه الآية
التي هي قوله

ملكوته اسما ولما كانت هذه حال الزنا كان قريبا للشرك في كتاب الله قال تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والصواب القول بان هذه الآية محكمة بعملها لا ينسخها شيء وهي مستعملة على خبر وتحريم ولم يأت من ادعاء نسخها بحجة البتة والذوق اشكل منها على كثير من الناس ووضح بحمد الله فانهم اشكل عليهم قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة هل هو خبر او نهي واما حجة فان كان خبرا فقد رايته كثيرا من الزناة ينكح عفيفة وان كان نهيا فيكون قد نهى الزاني ان يتزوج الا زانية او مشركة فيكون نهيا له عن نكاح المومنات العفيفات واما حجة له نكاح المشركات والزواني والله سبحانه لم يرد ذلك قطعا فلما اشكل عليهم ذلك طلبوا للآية وجهان يصح حملها فقال بعضهم المراد من النكاح الوطى والزنا فكانه قال الزاني لا يزني الا زانية او مشركة وهذا فاسد فانه لا فائدة فيه ويصان كلام الله عن عمله على مثل ذلك فانه من المعلوم ان الزاني لا يزني الا زانية فاي فائدة في الاخبار بذلك ولما راي الجمهور فساد هذا التاويل اعرضوا عنه ثم قالت طائفة هذا عام اللفظ خاص المعنى والمراد به رجل واحد وامراة واحدة وهي عناق البغي وصاحبها فانهم واستاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاحها فترك هذه الآية وهذا ايضا فاسد فان الصورة المعينة وان كانت سببا لنزول القرآن لا تقتصر به على حال اسبابه ولو كان كذلك لبطل الاستدلال به على غيرها وقالت طائفة بل الآية منسوخة بقوله تعالى وانكحوا الايمان منكم والصالحين من عبادكم الآية وهذا فاسد من الكل فانه لا يقع بين هاتين الايتين ولا تناقض ولا تعارض احدهما الاخرى بل امر سبحانه بالنكاح الايمان وحرم نكاح الزانية كما حرم نكاح المعتدة والمحرمه وذوات المحارم فاي النسخ والمنسوخ في هذا فان قيل فما وجه الآية قيل وجهها والله اعلم ان المتزوج فاي يترك وج المحصنة العفيفة وانما يقع له نكاح المرأة بهذا الشرط كما ذكر سبحانه في سورة النساء والمائدة والحكم المتعلق على الشرط ينفي بانتقائه والاباحة قد علقنا على شرط الاحصان فاذا انتفى الاحصان انتفت الاباحة المشروطة به فالمتزوج اما ان يلتزم حكم الله وشرعه الذي شرعه على لسان رسوله او لا يلتزمه فان لم يلتزمه فهو مشرك لا يرضى بنكاحه الا من هو مشرك مثله وان التزمه وخالفه ونكح ما حرم عليه لم يصح النكاح فيكون زانيا فظهر معنى قوله لا ينكح الا زانية او مشركة

شركه وتبين غاية البيان وكذا حكم المرأة وكما كان هذا الحكم هو موجب القرآن وصريحه فهو موجب الفطرة ومقتضى العقل فانه سبحانه حرم على عبده ان يكون قرنا ناديا يوثق بغيره فان الله فطر الناس على استباحة ذلك واستباحته فلم يأت الا بالغل في سبب رجل قالوا زوج فحبه فحرم الله على المسلم ان يكون كذلك فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية والله الموفق وما يوضح التحريم وانه هو الذي يليق بهذه الشريعة الكاملة ان هذه الخيانة من المرأة تعد بفساد فراش الزوج وفساد النسب الذي جعله بين الناس لئلا تصالحهم وعدوه من جملة نعمه عليهم فالزنا يفضي الى اختلاط المياه واشتباه الانساب فمن محاسن الشريعة تحريم نكاح الزانية حتى تنوب وتستبرأ وايضا فان الزانية خبيثة كما تقدم بيانه والله سبحانه جعل النكاح سببا للمودة والرحمة والمودة خالص الحب فكيف تكون الخبيثة مودة للطيب وجاله والزوج سمي زوجا من الازدواج وهو الاشتباه فالزوجين الاثنين المتشابهين والمنافرة ثابتة بين الطيب والخبيث شرعا وقد لا يحصل معها الازدواج والفرام والنواد فلقد احسن كل الاحسان من ذهب الى هذا المذهب هب يمنع الرجل ان يكون زوج فحبه فاي من هذا من قول من جوز ان يتزوجها ويوطاها اللينة وقد وطاها الزاني البارحة قال وما الزاني لاهرمته له فهب ان الامر كذلك فما الزوج له حرمة فكيف يجوز اجتماعه مع ما الزاني في رحم واحد والمقصود ان الله سبحانه سمي الزناة والزواني خبيثين وخبيثات وجنس هذا الفعل قد شتمت فيه الطهارة وان كان حلالا وسمي فاعله جنبا لبعده عن قراءة القرآن وعن الصلاة وعن المساجد فمنع من ذلك كله حتى يتطهر بالما فكذلك اذا كان حراما يبعد القلب عن الله وعن الدار الآخرة بل يحول بينه وبين الايمان حتى يجد طهرا كاملا بالتوبة وطهر البدن بالما وقول اللوطية اخرجوهم من قريبتكم انهم اناس من يتطهرون من جنس قوله سبحانه في اصحاب الاخدود وما نفقوا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنفون منا الا ان احنا بالله وما نزلنا لينا وما نزل من قبل وهكذ المشرك انما ينبغي على الموحد تجريد التوحيد وانه لا يشوبه بالا شرار وهكذ المبغض انما ينبغي على السني تجريد مائة بقية الرسول وانه لم يشبه باباء الرجال ولا بشيء مما خالفها فصرح الموحد المبتغى للرسول على ما ينقعه اهل الشرك والبدعة خير له واسهل عليه من صبره على ما ينقعه الله ورسوله عليه من موافقة اهل الشرك

والبدن ٤ اذا لم يكن بد من الصبر فاصطبر على الحق ذاك الصبر تحمد عقباه

الباب العاشر في علامات مرض القلب وصحته

كل عضو من اعضاء البدن خلق لفعل خاص به كما له في حصول ذلك الفعل منه ومن
ضد ان يتعدى عليه الفعل الذي خلق له حتى لا يصدر عنه او يصدر عنه نوع من الاضطراب
فمرض البدن ان يتعدى عليه البطش ومرض العين ان يتعدى عليها النظر والروية ومرض
اللسان ان يتعدى عليه الكلام ومرض البدن ان يتعدى عليه حركة الطبيعة او
يضعف ومرض القلب ان يتعدى عليه ما خلق له من المعرفة بالله ومحبة الله والشوق
الى لقاءه والاناثة اليه وايشاء ذلك على كل شئ فلو عرف العبد كل شئ ولم يعرف
ربه فكأنه لم يعرف شيئا ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها
ولم يظفر بمحبة الله والشوق اليه والانس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قوة غير بل
اذا كان القلب خاليا من ذلك عادت تلك الحظوظ واللذات عذابا ولا بد فيصير معذبا
نفس ما كان منعا به من الجنتين من جهة حسرة فوته وانتهى حيل بينه وبينه مع شدة
تعلق روحه به من جهة ما هو خير له والنفع وادوم حيث لم يحصل له فالمحبوب الحاصل
فات والمحبوب الاعظم لم يظفر به وكل من عرف الله احبه واخلص العبادة له ولا بد
لم يؤثر عليه شيئا من المحبوبات فمن اثر عليه شيئا من المحبوبات فقلبه مريض كما ان المودة
اذا اعتادت اكل الخبث واثرت على الطيب سقط عنها شهوة الطيب وتغصت بمحبة
وقد يمرض القلب ويشتر مرضه ولا يعرف به صاحبه لا اشتغاله عن معرفة صحة واسبا
بها بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته وعلافة ذكرانه لا توليه جراحات القبايح ولا يؤلمهم
جهله بالحق وعقايده الباطلة فان القلب اذا كان فيه حياة تالم بورد القبايح عليه ونا
لم يجهله بالحق بحسب حياته وما لم يجرى بميت ابلا ولم يدرى بمرضه ولكن يشتر عليه
تحمل مرارة الدواء والصبر عليها فيؤثر بقا الله على مشقة الدواء فان دواءه في مخالفة الهوى
وذلك اصعب شئ على النفس وليس لها النفع منه وتارة يوطن نفسه على الصبر ثم ينفسع عنه
ولا يستمر معه لضعفه عليه وبصيرته وصبره كمن دخل في طريق ثم مضى في الغاية الا ان هو
يعلم انه ان صبر عليه نقض الخوف واعقبه الامن فهو محتاج الى قوة صبر وقوة يقين بما يصبر عليه
ومتى ضعف صبره ويقينه رجع من الطريق ولم يتحمل مشقتها ولا سيما ان عدم الرقوة واستو
من الوحدة وجعل يقول اين ذهب الناس فلم يهم اسوه وهذا حال اكثر الخلق وهي القى ٥

اهلككم

اهلككم فالصبر الصادق لا يتوحش من قلة الرفيق ولا من فقدوا اذا استشعر قلبه
مرافقة الرعية الاولى الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اوليكم فيها فتفقد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه ولقد سئل الشيخ
بن راهويه عن مسألة فاجاب عنها فيقول ان اخا كان احب اليه من حبيب يقول فيها بمثل قوله تعالى
ما ظننت ان احدا يوافقني عليها ولم يستوحش بعد ظن هو الصواب له من عدم الموافق فان
الحق اذا لاج وتبين لم يخرج الى شاهد يشهد به والقلب يبصر الحق كما تبصر العين
الشمس فاذا راي الراي انك تسبح بحمده في علمه بما واعتقاده انها طاعة الى من يشهد بذلك
ويوافق عليه وما احسن ما قال ابو محمد عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بابي شامة في كتابه
المحادثات والبدع حيث جاء الامر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وان كان
المتمسك به قليلا والمخالفة كثيرا لان الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهدي
صلى الله عليه وسلم واصحابه ولا تنظر الى كثرة اهل الباطل بعدكم قال عمرو بن ميمون الاودي
صحبت معاذ بن جبل باليمن فافارقه حتى وارتبه في التراب بالشام ثم صحبت بعد
افقه الناس عنك من مسعود فسمعه يقول عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته
يوما من الايام وهو يقول سيأتي عليكم وفاة يوحرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا
الصلاة لميقانها في الفريضة وصلوا معهم فانهم لكم نافلة قال قلت يا اصحاب محمد
ما ادرك ما تحدثونا قال وماذا اكل قلت يا مرفي بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة
وحرك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة قال يا عمرو بن ميمون قد كنت اظنك من
افقه اهل هذه القرية تدرك بالجماعة قلت لا قال ان جمهور الجماعة الذين فارقوا
الجماعة الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك وفي طريق اخرى فضررت على فخذني
وقال ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وان الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل
قال نعم بن حماد يعني اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد وان
كنت وحدك فانك انت الجماعة حينئذ ذكره البيهقي وغيره وقال ابو اسامة عن مبارك عن
الحسن البصري قال السنة والذكية لا اله الا هو بين الغالي والمجاني فاصبر واعلم انك ان
فان اهل السنة كانوا اقل الناس فيما مضى وهم اقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع
اهل الاثر في انراهم ولا مع اهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا انهم
فكذلك ان شاء الله فكونوا وكان محمد بن اسمعيل الطوسي الامام المتفق على امامته من

اتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال ما بلغني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاغلت بها ولقد حرصت على ان اطوف بالبيت راكبا فامكنت من ذلك فستل بعض
اهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذين جافهم الحديث اذ اختلف الناس فعلمكم
بالسواد الاعظم من السواد الاعظم قال محمد بن اسلم الطوسي هو السواد الاعظم و
صدق والله فان العصر اذا كان فيه امام عارف بالسنة دافع اليها فهو الحجة وهو
الاجماع وهو السواد الاعظم وهو سبيل المؤمنين الذي في فارقهما واتبع سواها واولاه
الله ما تولى واصلاه جهنم وسات مصيرا والمقصود ان من علامات امراض القلب
عدوها عن الاغذية النافعة الموافقة لها الى الاغذية الضارة وعدوها عن دورها
النافع الى دورها الضار فهنا اربعة امور غذاء نافع ودواء شاف وغذاء ضار
وداء مهلك فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي والقلب المريض
بضد ذلك والنفع الاغذية غذاء الايمان والنفع الادوية دواء القران وكل منهما
فيه الغذاء والدواء ومن علامات صحته ايضا ان يرتحل عن الدنيا حتى ينزل بالآخر
ويحلف فيها حتى يبقى كانه من اهلها وابنائها جاء الى هذه الدار غربيا ياخذ منها
حاجته ويعود الى وطنه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد بن عمر كن في الدنيا كأنك
غريب وعابر سبيل وعد نفسك من اهل القبور

فحي على جنات عدن فانها منازك الاولى وفيها المخيم
ولكن سبي العدو ولا تترك نخود الى اوطاننا وسلم

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان الدنيا ترحل مدبرة وان الاخرة ترحل مقبله
ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل
ولا حساب وغدا حساب ولا عمل فكلما صح القلب من مرضه ترحل الى الاخرة وترحل
منها حتى يصير من اهلها وكلما مرض القلب واعتل اثر الدنيا واستوطنها
حتى يصير من اهلها ومن علامات صحة القلب انه لا يزال يضرب على صلبه
حتى ينبسط الله ويحب اليه ويتعلق به تعلق المصطر الى محبوبه الذي لا حياة
له ولا فلاح ولا عييم ولا سرور ولا برضاة وقربة والانس به فيه نظير واليه
يسكن واليه باوي وبه يفرج وعليه يتوكل وبه يثق وياؤه رجوه وله تحيا فذكره
قوته وغداؤه ومحبهه والشوق اليه حياته ونعيمه ولذته وسروره والالتفات

الى غيره

الغيرة والتعلق بسواه دأؤه والرجوع اليه دأؤه فاذا حصل له ربه سكن اليه و
اطمان به وزال ذلك الاضطراب والقلق والاضطراب والاضطراب فان في القلب فاقة لا
يسد لها شيء سواه الله ابد وفيه شعث لا يلبس غير الاقبال عليه وفيه مرض لا يشفيه
غير الاخلاص له وعبادته وحده فهو داء يضر على صاحبه حتى يسكن ويكفي
الى الله ومعبوده فيجند بيا شر روح الحياة ويذوق طعمها ويصير له حياة اخرى
غير حياة الخافلين المعرضين عن هذا الامر الذي له خلق الخلق ولا جله خلقت
الجنة والنار وله ارسلت الرسل وانزلت الكتب ولولم يكن له جزاء الا نفس وجوده لكفى
به جزاء وكفى بقوة حسرة وعقوبة كما قيل ومن صد عنا حظه البعده والقلبي
ومن فته بكفيه الى افوته قال بعض العارفين ساكنين اهل الدنيا خرجوا
من الدنيا وماذا اقوا اطيب ما فيها قبل وما اطيب ما فيها قال محبة الله والافس به
والشوق الى لقاءه والتتم بذكره وطاعته وقال اخر انه لم يترك اوقاتا قول فيها
ان كان اهل الجنة في مثل هذا انهم لم يغيث طيب وقال اخر والله ما طابت الدنيا
الا بمحبة وطاعته ولا الجنة الا برويته ومشاهدة وقال ابو الحسن البصري الوراق
حياة القلب في ذكره الذي لا يموت والعيش في الحياة مع الله كما لا غير و
لهذا كان الموت عند العارفين بالله اشد عليهم من الموت لان الموت انقطاع
عن الحق والموت انقطاع عن الخلق فكيف بين الانقطاع عمن وقال اخر من قوت
عينه بالله قوت به كل عين ومن لم تغر عينه بالله تقطع قلبه على الدنيا حسرا وقال
يحيى بن معاذ من سر بخدمة الله سرور الاشيا كلها بخدمته ومن قوت عينه بالله
قوت عيون كل واحد بالنظر اليه ومن علامات صحة القلب ان لا يفتر من ذكر ربه
ولا يسام من خدمته ولا يافس بغيره الا من يده عليه ويذكره به ويذكره بهذا
الامر ومن علامات صحته انه اذا قاله ورده وجد لغواته المما اعظم من تالم الحزن
بغوات ماله وفقره ومن علامات صحته ان يشنق الى الخدمه كما يشنق الى الجا
رح الى الطعام والشراب ومن علامات صحته ان يكون همه واحدا وان يكون في
الله ومن علامات صحته انه اذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا
واشد عليه خروجه منها ووجد فيها راحتته وقوة عيظه وسرور قلبه ومن علاما
ت صحته ان يكون اسخ بوقته ان يذهب ضالعا من اشد الناس شحاما باله

ومنها ان يكون اهتمامه بتصحيح العمل اعظم منه بالعمل فيحصر على الاخلاص فيه
والنصيحة والمثابرة والاحسان ويشهد مع ذلك منة الله عليه فيه وتقصيره في
حق الله فلهذا سبب مشاهد لا يشهد بها الا القلب المحي السليم وبالجملة فالقلب الصحيح
هو الذي هو كله في الله ووجهه كله وقصده له وبدنه له واعماله له ونوعه له ويقظته
وحديثه والحديث عنه اشهر اليه من كل حديث وافكاره تحوم على حواضيه ومحابه و
الخلوة به اثر عنده من الخلطة الا حيث تكون الخلطة احب اليه ~~والمحبة~~ وارضى له
قرة عينه به وطمانينه وسكونه اليه فهو كلما وجد من نفسه التقا الى غيره تلى
عليها يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فيرد عليها الخطايا
بذلك ليسمع من ربه يوم لقائه فينصبع القلب بين يدي الله ومعبوده بصيغة
العبودية فنصير العبودية صبغة وذوقا لا تكلفا فياتي بها تودد او تحبب
وتقربا كما ياتي المحب المتيم في محبة محبوبه بخدمة وقضى اشغاله فكما عرض له
امر من ربه او نهى احسن من قلبه ناطقا ينطق لبك وسعديك اتي سامع
مطيع تمتثل ذلك على المنه في ذلك والمجد فيه عايد اليك واذا اصابه قدر وجد
من قلبه ناطقا يقول انا عبدك ومسكينك وفقيرك وانا العبد الفقير العاجز
الضعيف المسكين وانت ربي العزيز الرحيم لاصبر لي ان لم تصبر لي ولا قوة لي ان لم تحملي
وتفوتني لا منجائي منك الا اليك لا استعان لي الا بك ولا انصراف لي عن بابك الا ذهاب
لي عنك فينطرح بين يدي مجموعته ويعتمد بكليته عليه وان اصابه بما يكره قال رحمة الله
لي ووداء نافع من طبيب مشفق وان صرف عنه فاجب قال شرف وعسى
وكم رمت مراخرت لي في انصرافه وما زلت لي في ابر وارحما
فكلامه من السراء والضراء اهتدي بها طريقا اليه وانفتح له منه باب يدخل منه كالماء
ما سني قدر بكرة او رضا **الاهتديت به اليك طريقا**
امضي لقضي على الرضا مني به افي وجدتك في البلاء رفيقا
فله هاتيك القلوب وما انطوت عليه من الضمائر وما ذا اودعته من الكنوز
الذخاير وانه طبيب سرارها ولا سيما يوم تبلى السراير فيبدو لها طبيب وفرد بهجة
سريتها وحسن ثناء يوم تبلى السراير **تالله لقد رفح لها علم عظيم فشمزت**
اليه واستبان لها صراط مستقيم فاستقامت عليه ودعاها ما دون مطلوبها

الاعلى

الاعلى فلم تستجب له واختارته على ما سواه واثرته بالديرة **الباب**
الحادي عشر في علاج مرض القلب من استيلا النفس عليه هذا الباب كالاساس
والاصل لما بعد من الابواب فان سائر امراض القلب انما تنشئ من جانب النفس فا
لمواد الفاسدة كلها اليها تنصب ثم تنبعث منها الى الاعضاء واول ما يتلأ القلب قد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبة الحاجة الحمد لله نعمتة ونعمته وبره ونستغفر
ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وفي المسند والترمذي من حديث
حصين بن المنذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا حصين كم تعبد قال سبعة
في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعبد له رغبتك ورغبتك قال الذي في السماء
قال اسلم حتى اعم عليك كلمات ينفعك الله بها فاسلم فقال قل اللهم الهي رشدي
وقتي شر نفسي وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من شرها عموما ومن شر ما يتولد منها من
الاعمال ومن شر ما يرتب على ذلك من المكارة والعقوبات وجمع بين الاستعاذة من
شر النفس وسيئات الاعمال وفيه وجهان احدهما انه من باب اضافة النوع الى
جنسه اي اعوذ من هذا النوع من الاعمال والثاني ان المراد عقوبات الاعمال التي
تسببها فاعلى الاول يكون قد استعاذ من صفة النفس وعلمها وعلى الثاني يكون
قد استعاذ من العقوبات واسبابها ويدخل العمل السبي في النفس فهل المعنى ما
يسوي من جزاء على او من علمي السبي وقد يترشح الاول فان الاستعاذة من العمل
السبي بعد وقوعه انما هي استعاذة من جزائه وموجبه والا فالوجود لا يمكن
رفعه بعينه وقد اتفق السالكون الى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على
ان النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول الى الرب وانه لا يدخل عليه سبحانه
ولا يوصل اليه الا بعد تركها وامانتها ومخالفتها والظفر بها فان الناس على قسمين
قسم ظفرت به نفسه فملكته واهلكته وصار طوعا لها تحت امرها وقسم ظفرت به
بنفسهم فقهروها فصارت طوعا لهم تحت امرهم كما قال بعض العارفين
انتهى سفر الطالبين الى الظفر بانفسهم فمن ظفر بنفسه افلح وانجح ومن ظفرت به
نفسه خسرو هلك قال النبي فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الحميم هي الماء
واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماء والنفوس
تدعو الى الطغيان واثير الحياة الدنيا والرب يدعو عبده الى خوفه ونهايه

شرح

النفس عن الامور والعقبيين الراعيين بميل الى هذا الداعي مرة والى هذامرة وهذا
موضع المحنة والابتلاء وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث صفات المطمئنة
والامارة بالسوء واللواحة فاختلف الناس هل النفس واحدة وهذه او صاف لها
للعبد ثلاث انفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس امارة فالاول قول الفقهاء والمتكلمين
وجمهور اهل التفسير وقول محقق الصوفية والثاني قول كثير من اهل التصوف والتحقيق
انه لا نزاع بين الفريقين فانما واحدة باعتبار ذاتها ثلاثة باعتبار صفاتها فاذا اعتبرت
بنفسها فهي واحدة وان اعتبرت مع كل صفة دون الاخرى فهي متعددة وما اظنهم
يقولون ان لكل واحد ثلاث انفس كل نفس قائمة بذاتها مساوية للاخرى في الحد
الحقيقي وانما اذا قبض العبد قبضت له ثلاث انفس كل واحدة مستقلة بنفسها
وحيث ذكر سبحانه النفس واذن فيها المصاحبة فانما ذكرها بلفظ الافراد وهكذا
في سائر الاحاديث ولم يجيء في موضع واحد نفوسك ونفوسه ولا انفسك وانفسه
وانما جاءت مجموعة عند ارادة العموم كقوله واذا النفوس من جئت او عند اذنا
فتما الى الجمع كقوله انما انفسنا بيد الله ولو كان في الانسان ثلاث انفس لجأت
مجموعة اذا اضيفت اليه ولو في موضع واحد فالنفس اذا سكنت الى الله واطمأنت
بذكره ونابت اليه واشتافت الى لقائه وانست بقربه فهي مطمئنة وهي التي يقال لها
عند الفناء يا ايها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال ابن عباس يا ايها
النفس المطمئنة يقول المصدقة وقال قتادة هو المؤمن اطمأنت نفسه الى ما وعده الله
وقال الحسن المطمئنة بما قال الله والمصدقة بما قال وقال مجاهد هي المنيبة المحبنة
التي ايقنت ان الله ربهما وضربت جانبها لامره وطاعته وايقنت بلفائه وحقيقته
الطمانينة السكون والاستقرار في التي قد سكنت اليها وطاعته وامره وذو
كره ولم تاتسكن الى سواه فقد اطمأنت الى محبته وعبوديته وذكره واطمأنت
الى امره ونهيته وخبره واطمأنت الى لقائه ووعدته واطمأنت الى التصديق
بحقائق اسمائه وصفاته واطمأنت الى الرضى به ربا وبالا سلام دينه ونحوه وسوا
واطمأنت الى قضائه وقدره واطمأنت الى كفايته وحسبه وضمانه فاطمأنت بانه
وحد ربه والهيها ومعبودها ومليكها وما كذا امرها كله وان مرجعها اليه
وانها لا غناء لها عنه طرفه عين واذا كانت بضد ذلك فهي اماره بالسوء تمار

صاحبها بما تماراه من شهوات الغي وتباع الباطل في ما وكل سوء وان اطاعها
قادت الى الكل قبيح وكل مكروه وقد اخبر سبحانه انها اماره بالسوء ولم يقل امرة لكثرة
ذلك منها وانما عاداتها ودأبها الا اذا رجمها الله وجعلها زكية تمار صاحبها بالخير فذلك
من رحمته الله لانها فانما بذاتها اماره بالسوء لانها خلقت في الاصل جاهلة ظالمة الامن
رحمة الله والعلم والعدل طار عليها بالها اربها وفاضلها بالها ذلك فاذا لم يلهمها رشدها لم
بقيت على ظلمها وجرمها فلم تكن الامارة بموجب الجمل والظلم فلولا فضل الله ورحمته لم
على المؤمنين ما تركت منهم نفس واحدة فاذا اراد الله سبحانه بها خيرا جعل فيها ما تركو
به وتصالح من الارادات والنصراوات واذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التي خلقت
عليها من الجمل والظلم وسبب الظلم اما جعلها واما حاجتها وهي في الاصل جاهلة والحا
جة لازمة لها فلذلك كان امرها بالسوء امرا لازما لها ان لم تدركها رحمة الله وفضله
وبهذا يعلم ان ضرورة العبد الى ربه فوق كل ضرورة ولا يشبهها ضرورة تقاس بها فانه
ان اسكر عنه رحمة وتوفيقه وهدايته طرفه عين خسر وهكذا **فصل** واما
اللواحة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة هل هو من التلوم والتردد او هو من اللوم
وعبارات السلف تدور على هذين المعنيين قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس
ما اللواحة قال هي النفس اللوم وقال مجاهد هي التي تندم على قات وتلوم عليه
وقال قتادة هي الفاجرة وقال عكرمة تلوم على الخير والشر وقال عطاء عن ابن عباس
كل نفس تلوم نفسها يوم القيمة تلوم المحسن نفسه الا يكون ازدا احسانا وتلوم
المسيء نفسه الا يكون رجوع عن اسائه وقال الحسن ان المؤمن وامره حاتره
الا يلوم نفسه على كل حال انه يستقصرها في كل ما تفعل فيندم ويلوم نفسه وان
كان الفاجر لم يندم يوما لا يعاتب نفسه في هذه عبارات من ذهب الى انها من اللوم
واما من جعلها من التلوم والتردد فكثرة ترددها وتلومها وانها لا تستقر على
حال واحدة والا ولا يظهر فان هذا المعنى لو اريد لقليل المتلوم كما يقال المتلوم
والتردده ولكن هو من لوازيم القول الاول فانها لتلومها وعدم ثباتها تفعل
الشيء ثم تلوم عليه فالتلوم من لوازيم اللوم والنفس قد تكون تارة اماره وتارة
لواحة وتارة مطمئنة بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها
هذا وهذا والحكم للغالب عليها من احوالها فكونها مطمئنة وصف مدح لها

وكونها اماره بالسوء وصف ذم لها وكونها الوانه ينقسم الى المذبح والذم بحسب
ما تلوم عليه والمقصود ذكر علاج مرض القلب باستيلاء النفس الامارة عليه وله علا
جان محاسبتها ومخالفتها وهلاك القلب من افعال محاسبتها ومن موافقتها واتباع
هواها وفي الحديث الذي رواه الامام احمد وغيره من حديث شداد بن اوس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه احيى نفسه حاسبها وعمل بالبعد الموت والعاجز
من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله دان نفسه اي حاسبها وذكر الامام احمد عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم
قبل ان توزنوا فانه اهون عليكم في الحساب غدا ان تحاسبوا انفسكم اليوم وتزينوا
للعرض الاكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وذكر ايضا عن الحسن بن علي قال
لا يلقى المؤمن الا بحاسب نفسه ما ذا اردت بعمل ما ذا اردت بالكسبي ما ذا اردت بشرف
بني والفاجر يمضي قدما قدما لا يحاسب نفسه وقال قتادة في قوله تعالى وكان امره
فرطا اضاع نفسه وغبن مع ذلك تراه حافظا لما له مضيعا لغيره وقال الحسن بن
العبد لا يزال بخير ما كان له واعظا من نفسه وكانت المحاسبة من همة وقال يمين
بن مهران لا يكون العبد تقيا حتى يكون لنفسه شد محاسبة من الشر يكره لشر يكره
ولهذا قيل النفس كالشر يكره الخوان ان لم تحاسبه ذهبت بمالك وقال يمين بن مهران
ايضا التقى اشد محاسبة لنفسه من سلطان عاص ومن شر يكره شحاج وذكر الامام
احمد عن وهب قال يكتب في حكمة الردود حق على العاقل ان لا يفلح عز اربع ساعات
ساعة يباي في هواه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها مع اخوانه
الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين
لذاتها فيما يحل ويجمل فانه في هذه الساعة عون على تلك الساعة واجما للقلوب
وقد روي هذا مرفوعا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم رواه ابو حاتم بن حبان وغيره و
كان الاحنف بن قيس يجي الى المصباح فيضع اصبعه فيه ثم يقول حسرت يا حنيف ما
جئتكم على ما صنعت يوم كذا ما جعلكم على ما صنعت يوم كذا وكتب عمر بن الخطاب الى
بعض محاسبه نفسه في الرضا قبل حسرت الشدة فانه من حاسب نفسه في الرضا قبل
حساب الشدة عاد امره الى الرضا والقبضه ومن اهتم حياته وشغلته هواؤه عاد
امرته الى الندامة والحسرة وقال الحسن بن موهب قوام على نفسه بحاسب نفسه الله وانما

خف الحسب يوم القيمة على قوم حاسبوا انفسهم في الدنيا وانما يشق الحسب يوم القيا
مة على قوم اخذوا هذا الامر من غير محاسبة ان المؤمن ينجاه الشيء بحسبه فيقول
والله اني لاشتيميك وانك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة اليك هيئات حيل بيني
وبينك ويفرط من الشيء فيرجع الى نفسه فيقول ما اردت الى هذا مالي ولهذا والله لا
اعود الى هذا ابدا ان المؤمنين قوم اوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم ان
المؤمن اسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته لا يامن شيئا حتى يلقى الله يعلم انه ما
خوذ عليه في سمعه وفي بصره وفي لسانه وفي لسانه جوارحه ما خوذ عليه في ذلك
كله وقال مالك بن دينار رحم الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة
كذا ثم زعم ان خطيبا ثم الزمها كتابا بالله عز وجل فكان لها قايلا وهي قد مثلت
النفس مع صاحبها بالشر يكره في المال فكما انه لا يتم مقصود الشرية من الرجح الا بال
لمشارطة على ما يفعل الشر يكره ولا يتم بمطالعة ما يعمل والاشراف عليه ومراقبته ثانيا ثم
بحاسبته ثالثا ثم يمنع من الخيانة ان اطاع عليه رابعا فكذلك النفس يشارطها او لا على
حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو راس المال والرجح بعد ذلك من ليس له راس مال
فكيف يطع في الرجح وهذه الجوارح السبعة هي العين والاذن والفم واللسان والفروة و
اليدين والرجل هي مركب العطب والنجاة فمن عطب من عطب باها لا وعدم حفظها ونجاستها
نجا بحفظها ومراعاتها فحفظها اساس كل خير واهلها اساس كل شر قال تعالى قل للمؤمنين
منا من يغضون ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال ولا تمش في الارض مرجعا انك لن تخرق
الارض ولن تبلغ الجبال طولا قال ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا وقال وقول العبادي يقول النبي صلى الله عليه وسلم هو احسن وقال يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت
لنفسها فاذا اشار عليها على حفظ هذه الجوارح انتقل منها الى مطالعتها والاشراف عليها
ومراقبتها فلا يملكها فان اهلها اللحظة وقعت في الخيانة ولا بد فان تمادى في
الاهمال تمادت في الخيانة حتى يذهب راس المال كله فيحق احسن بالنقصان انتقل
الى المحاسبة فيحشد يمين له حقيقة الرجح والخسران فاذا احسن بالخسران او يثق
استدرك منها ما يستدركه الشر يكره من شر يكره من الرجوع عليه بما مضى وبالقيام
بالحفظ والمراقبة في المستقبل ولا مطع له في فسح عقد الشرية مع هذا الخائن و

الاستبدال بغيره فانه لا بد له منه فليجئ به في مراقبته ومحاسبته وليحذر من اهلالة
وليعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معرفة انه كلما اجتمع به فيها اليوم استراح منها غدا
اذا صار المحاسبة الى غيره وكلما اهلها اليوم اشتد عليه الحساب غدا ويعينه عليها ايضا
معرفة ان ربح هذه التجارة سكنى الفردوس والنظر الى وجه الرب سبحانه وخسارها
دخول النار والحجج من الرب تعالى فاذا اتقن هذا هان عليه الحساب اليوم فحق على
الحازم المؤمن بالله واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حرمانها
وسكناتها وخطراتها فكل نفس من انفس العر جوهرة نفيسة لا خطر لها يمكن ان
يشترى به كنز من الكونز لا يتناهي نعيمه ابدا لا يباد فاضاعة هذه الانفس واشترائها
صاحبها بما لا يجلب هلاكه خسران عظيم لا يمتنع مثله الا جهل الناس واحقرهم واقلمهم
عقلا وانما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن يوم تجد كل نفس ما عملت من
خير محضرى وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينها عدا **فصل**
ومحاسبة النفس نوعان نوع قبل العمل ونوع بعده فاما النوع الاول فهو ان يقف عند
اول همته وارادته ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه **قال الحسن** رحم
الله عبدا وقف عندهم فان كان لله مضي وان كان لغيره تاخر وشرع هذا العظم
فقال اذا تحركت النفس لعمل من الاعمال وهم به العبد وقف ولا ونظر هل ذلك العمل
مقدور له ام غير مقدور ولا استطاع فان لم يكن مقدورا لم يقدم عليه وان كان
مقدورا وقف وقفة اخرى ونظر هل فعله خير من تركه ام تركه خير من فعله فان كان
الثاني تركه ولم يقدم عليه وان كان الاول وقف وقفة ثالثة ونظر هل الباعث عليه
ارادة وجهه ام وتوابه ام ارادة الجاه والناس والمال من المخلوق فان كان الثاني له
يقدم عليه وان افضاه الى مطلوبه كمال اعتداد النفس الشكر ويخفف عليها العمل
لغير الله بقدر ما يخفف عليها ذلك ينقل عليها العمل به حتى يصير اقل شي عليها وان
كان الاول وقف وقفة اخرى ونظر هل هو معان عليه وله اعوان يساعده
وينصره اذا كان العمل محتاجا الى ذلك ام لا فان لم يكن له اعوان اسكن عنه كما اسكن
عن الجاه وبمكة حتى صار له شوكه وانصار وان رجوه معاناه عليه فليقدم عليه
فانه منصور ولا يفوت النجاة الا من فوات حصلة من هذه الخصال والافغ
اجتمعا على كاي فوته النجاة فانه اربع مقامات يحتاج الى محاسبة نفسه عليها

قبل

30
قبل الفعل فما كرم ما يريد العبد فعله يكون مقدورا له ولا كل ما يكون مقدورا له يكون
فعله خيرا من تركه ولا كل ما يكون فعله خيرا من تركه يفعل له ولا كل ما يفعل
منه يكون معانا عليه فاذا احاسب نفسه على ذلك تبين له ما يقدم عليه وما يحجم عنه
فصل النوع الثاني محاسبة النفس بعد العمل وهو ثلاثة انواع احدها محاسبة
محاسبة على طاعة قصرت فيها من حق الله فلم توقعها على الوجه الذي ينبغي وحق
الله في الطاعة بمرعات سنة امور قد تقدمت وهي الاخلاص في العمل والنصيحة
فيه واتباع الرسول فيه وشهود مشهدين الاحسان فيه وشهود منه الله عليه
وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله في محاسبة نفسه هل وفى هذه المقامات وهل
الى بما في هذه الطاعة الثاني ان يحاسب نفسه على عمل كان تركه خيرا له من فعله الثاني
لثان يحاسب نفسه على امر مباح او معتاد لم فعله وهل اراد به الله والى الاخره
فيكون واجبا فيه واراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويقوته القطر **فصل**
واضر ما عليه الاهمال وترك المحاسبة والاسترسال وتسهيل الامور وتمشيتها
فان هذا يؤتمل به الى الملاك وهذه حال اهل الغرور يخضع عينه عن العواقب و
يمشي الحال ويتوكل على العفو فيعمل محاسبة نفسه والنظر في العاقبة واذا فعل
ذلك سهل عليه موقعة الذنوب والنس بما وعسر عليه فطامها ولو حضره رشدة
لعلم ان الحمية اسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد قال ابن ابي الدنيا حدثني
رجل من قريش ذكر انه من ولوطا حجة بن عبيد الله قال كان ابن الصمة بالرقعة و
كان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن سبعين سنة فحسبت ايامها فاذا هي
اخذ وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتنا التي ربي باحد
عشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم الاف من الذنوب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو
فسمعوا قايلا يقول يا كرم ركضه الى الفردوس العلى وجماع ذلك ان يحاسب نفسه
او لا على الفرائض فان تذكر فيها نقصا تداركه اما بقضاء او صلاح ثم يحاسبها
على الشاى فان عرف انه ارتكب مناشيا تداركه بالثوبة والاستغفار والمحسنات
الملاحية ثم يحاسب نفسه على الخفلة فان كان قد غفل عما خلق له تداركه بالذكر
والاقبال على الله ثم يحاسبها بما تكلم به او مشى اليه رجلا او بطشته يده
او سمعته اذناه ما اذا اردت بهذا ولمن فعلتبه وعلى اي وجه فعلتبه ويعلم انه

لا بد ان ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان ديوان لم فعلته وكيف فعلته فالاول
سؤال عن الاخلاص والثاني سؤال عن المناجاة قال تعالى في سورة النحل
اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى فلنسلن الذين ارسل اليهم ولنسلن المرسلين
فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين وقال تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم فاذا
سئل الصادقون وهو سبوا على صدقهم فما الظن بالكاذبين قال تعالى يقول تعالى
اخذنا منكم لكي يسال الله الصادقين يعني به النبي صلى الله عليه وسلم عن تبليغ الرسالة وقال
مجاهد يسال المبلغين المودين عن الرسل يعني هل بلغوا عنهم كما يسال الرسل هل
بلغوا عن الله والتحقيق ان الالة تتناول هذا وهذا فالصادقون هم الرسل
والمبلغون عنهم فيسأل الرسل عن تبليغ رسالته ويسال المبلغون عنهم عن تبليغ
ما بلغتهم الرسل ثم يسال الذين بلغتهم الرسالة ماذا اجابوا المرسلين كما قال تعالى
ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتكم المرسلين قال فتاده كلمتان يسال عنهما الاول
والاخرين ماذا كنتم تعبدون وماذا اجبتكم المرسلين فيسأل عن المعبود وعن العباد
وقال تعالى ثم لنسألن يومئذهم النعيم قال محمد بن جرير يقول تعالى ثم لنسألنكم الله
عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا ماذا اعلمتم فيه ومن اين وصلتم اليه وفيما اصبتموه
وماذا اعلمتم به وقال فتاده ان الله سائل كل عباد اسئلوهم من نعمته وحقه والنعيم
المسؤول عنه نوعان نوع اخذ من حله وصرف في حقه فيسأل عن شكره ونوع اخذ
بغير حله وصرف في غير حقه فيسأل عن مستخرجه ومصرفه فاذا كان العبد
سؤالا ومحاسبا على كل شيء حتى على سمعه وبصره وقلبه كما قال تعالى ان السمع و
البصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فهو حقيق ان يحاسب نفسه قبل ان يحاسب
غيره المحاسب وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله ولننظر نفس ما قدمت لغد يقول تعالى لينظر احدكم ما قدم اليوم القيمة
من الاعمال من الصالحات التي تنجيها من السيئات التي توبقه قال فتاده ما زال
ويكمن يقرب الساعة حتى جعلها كغول المقصود ان صلاح القلب بمحاسبة النفس
وفساده باهمالها والاسترسال معها **فصل** وفي محاسبة النفس عدة
مصابيح منها الاطلاع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه ازالة فاذا
اطلع على عيوبها معتمدا في ذات الله وقدره الامام احمد عن ابي الدرداء قال لا يفقه

الرجل كل الفقه حتى يموت الناس في جنب ثم يرجع الى نفسه فيكون لها اشد مقنا وقال
مطرف بن عبيد لو لا ما علم من نفسي لقلت الناس وقال مطرف في دعائه بعرفه
اللهم لا تود الناس لاجلي وقال بكر بن عبد الله المزني لما نظرت الى اهل عرفات ظننت
انهم قد غفروا لولا اني كنت فيهم وقال ابو السخيا في اذ ذكر الصالحون كنت عنهم
بمعزل ولما احضر سفيان الثوري دخل عليه الاشعث بن حماد بن سلمة فقال له حماد يا ابا عبد الله
اليس قد امنت من كنت تخافه وتقدم على من ترجوه وهو ارحم الراحمين فقال يا ابا
سلمة انقطع لمالي ان ينجو من النار قال اي والله اني لا رجوة لك وذكر ابن زيد عن مسلم
بن سعيد الواسطي قال اخبرني حماد بن جعفر بن زيد ان ابا عبد الله اخبره قال خرجنا في
غزاة الى كابل وفي الجيش صلة بن اشيم فنزل الناس عند العتمة فصلوا ثم اضطجع فقلت
لارمقن عليه فالتفت غفلة الناس حتى اذا قلت هذات العيون وثب فدخل غيضة قريبا
منا ودخلت على اثره فتوضي ثم قام يصلي وجاء اسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة
فتراه التفت او عده جروا فلما سجد قلت الان يفرسه فجلس ثم سلم ثم قال ايها
السبع اطلب الكزق من مكان اخر فولا وان له الزبير اقول تنصدع الجبال منه قال فما
زال كذلك يصلي حتى كان عند الصبح جلس فحمد الله بحمد لم اسمع عظماء ثم قال اللهم
اني اسالك ان تجيرني من النار او مثلي يجيرني ان يسالك الجنة قال ثم رجع واصبح كانه
بات على الحشايا واصبحت وفي من الفتر شي الله به عالم وقال يونس بن عبيد اني لاجد
ماية خصلته من خصال الخير ما اعلم ان في نفسي منها واحدة وقال محمد بن واسع
لوان للذنوب ربح ما قدر احد ان يجلس الي وذكرا من ابي الدنيا عن الجليلي بن ابي
قال كان راهبا في بني اسرائيل في صومعة منذ سنين سنة فاتي في منامه فيقول له
ان فلانا الاسكافي خير منك ليلة بعد ليلة فاتي الاسكافي فسأله عن عمله فقال
اني رجل لا يكاد يمر بي احدا لا ظننت انه في الجنة وانا في النار ففضل على الراهب
بازراية على نفسه وذكر داود الطائي عند بعض الامراء فاشوا عليه فقال لو تعلم
الناس ما نحن عليه ما ذل لسان بذكر خير ابدا وقال ابو حفص من لم يتهم نفسه
على دوام الاوقات ولم يحالفها في جميع الاحوال ولم يحرفها الى مكر وهما في سائر
اوقاته كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شيء منها فقد اهلكها قال القسما
داعية الى المهادك معينة للاعداء طاعة الى كل قبايح متبعة لك رسوخ في بحر بطبعها

في ميدان المخالفة والتميز التي لا خطر لها الخروج منها والتخلص من وقعها فانها
اعظم حجاب بين العبد وبين الله واعرف الناس بها اشدهم ازراء عليهم ومقتنا لها
قال ابن ابي حاتم في تفسيره شاعلي بن الحسين شالمقدسي ساعا من صلح عن ابيه
عن ابن عمر عن الحسن بن الخطاب رضي الله عنه قال اللهم اغفر لي ظلمي وكفري فقال قائل يا امير المؤمنين
هذا الظلم فما بال الكفر قال ان الانسان لظلم كفا وقال وثنا يوسف بن حبيب سأل ابو داود
عن الصلت بن دينار شافقيه بن صهيبان السامي قال سالت عائشة رضي الله عنها عن
قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب بالذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الاية
فقلت يا بني هؤلاء في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة والرزق واما المقصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق
به واما الظالم لنفسه فثقل ومثلكم فجعل نفسه معناه وقال الامام احمد بن الحجاج شافقيه
عن عاصم عن ابي وايل عن مسروق قال دخل عبد الرحمن على ام سلمة فقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان من اصحابي لمن لا يرى بعد ان اموت ابد فخرج عبد الرحمن عنده
مذعورا حتى دخل على عمر فقال له اسبع ما تقول انك فقام عمر حتى اتاها فدخل عليها
فسالها ثم قال انشد يا امه انهم انا قالت لا ولني ابري بعدك احدا فسمعت شيئا يقول
انما ارادت ان لا افتح على هذا الباب ولم ترد انك وحدهم البر من ذلك دون ساير
الاصحابه ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين فيدنو العبد به من الله في
لحظة واحدة اضعا فاضعا فحادي بنو بالعمل وذكر ابن ابي الدنيا عن مالك بن دينار
قال ان قوما من بني اسرائيل كانوا في مسجد لم يفي يوم عيد فجاثا حتى قام على باب
المسجد فقال ليس مثلي يدخل معكم انا صاحب كذا انا صاحب كذا يزوي على نفسه
فاوحى الله اليهم ان فلانا صديق وقال الامام احمد بن محمد بن الحسن بن النضر
منذر عن وهب ان رجلا ساجدا عبد الله عز وجل سبعين ثم خرج يوما فقل
عمله وشكك الى الله منه واعترف بذنبه فاتاه ات من الله فقال ان مجلسك هذا احب
الي من عملي فيما مضى من عمرك قال احمد بن محمد بن عبد الصمد شافقيه ابو هلال سافقاده قال قال
عيسى بن مريم لينوا فاني لئن القلب صغير عند نفسي وذكر احمد بن محمد بن عيسى
بن رباح الانصاري قال كان داود ينظر انمض حلقه في بني اسرائيل فيجالس
بين ظهر انهم ثم يقول يا رب مسكين بين ظهراني مساكين وذكر عن عمران بن موسى

القصير قال قال موسى يا رب ابن اخيك قال ابغني عند المنكسرة قلوبهم فاني ادنو
منهم كل يوم باعوا ولولا ذلك لانهم عوا وفي كتاب الزهد للامام احمد بن محمد بن حنبل
اسرائيل بن عبد شمس بن سنان في طلب حاجته فلم ينظر بها فقال في نفسه والله لو كان فيك خير
لنظرت بحاجتك فاني في منامه فقيل له ارايت اذ راك على نفسك تلك الساعة فانه خير
من عبادك تلك السنين ومن فوايد محاسبة النفس انه يعرف بذلك حق الله عليه فان
من لم يعرف حق الله عليه فان عبادته لا تكاد تجده عليه وهي قليلة المنفعة جدا
قد قال الامام ساجد بن جابر بن حازم عن وهب قال بلغني ان بني الله موسى
صلى الله عليه وسلم من رجل يدعو ويتضرع فقال يا رب ارحم فاني قد رجعت فواوحى الله
اليه لودعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حق عليه فمن انفع ما للقلب
النظر في حق الله على العبد فان ذلك يؤمنه مقت نفسه والازراء عليهم ما يخلصه
من العجب وروية العمل ويفتح له باب الخسوة والذل والانكسار بين يدي ربه
والباس من نفسه وان النجاة لا تحصل الا بعفو الله ومغفرته ورحمته فان من
حقه ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر فمن نظر في هذا الحق
الذي لربه عليه عليم يعلم يقين انه غير مودله كما ينبغي وان لا يسعه الا العفو والمغفرة
وانه ان احيل على عمله هكذا فمذاحل نظر اهل المعرفة بالله ونفوسهم وهذا الذي
ايثسهم من انفسهم وعلق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته واذا تأملت حال اكثر الناس
وجبتهم بضد ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ومن هاهنا
انقطعوا عن الله وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبة والشوق الى لقائه والتمتع
بذكوره وهذا غاية جهل الانسان بربه وبنفسه محاسبة النفس هو نظر العبد في حق
الله عليه او لا ثم نظره هل قام به كما ينبغي ثانيا وافضل الفكر والفكر في ذكر فانه
يسير القلب الى الله ويطرحه بين يديه ذليلا خاضعا منكسرا كسرافيه جبر وفقرا
فقرافيه غناه ذليلا ذلا فيه عزه ولو عمل من الاعمال ما عساه ان يعمل فاذا افاته هذا
فالذي فاته من البر افضل من الذي اتاه وقال الامام احمد بن محمد بن حنبل
المري عن ابي عمران الجوني عن ابي الجبل ان الله تعالى اوحى الى موسى اذ ذكرته فاذكرني
وانت تنفض اعضاؤك وكن عند ذكرتي خاشعا مطمئنا واذا ذكرته فاجعل
لسانك من وراء قلبك واذا تمت بين يدي فقم مقام العبد الخفير الذليل وذم نفسك

فهي اولى بالذم وناجني حين شأجيتي بقلب وجلد لسان صادق ومن فوائد نظر
العبد في حوائج الله عليه انه لا يتركه ذلك يدل بعمله اصلا كائنا ما كان ومن ادرك عمله
لم يصعد الى الله كما ذكر الامام احمد عن بعض اهل العلم انه قال له رجل اني لا قوم في
صلااتي فابكي حتى يكاد ينبت البقل من دموعي فقال له انك ان تضحك وانت تعرف الله
بخطيئتك خير من ان تبكي وانت تدل بعملك فان صلاة المدا لا تصعد فوقه فقال له
اوصني فقال عليك بالزهد في الدنيا وان لا تشاركها اهلها وان تكون كالنحلة اذا اكلت
اكلت طيبا وان وضعت وضعت طيبا وان وقعت على عود لم تضره ولم تكسره و
اوصيك بالنصح لله عز وجل نصح الكلب لاهله فانهم يجيعونه ويطردونه ويأبى
الا ان يحوطهم وينصمهم ومن هاهنا اخذ الشاطي قوله

وقد قيل كن كالكلب يقصيه اهله ولا ياتلي في نصمهم مبنثلا

وقال الامام احمد في سيار شا جعفر بن الجوهري قال بلغني ان رجلا من بني اسرائيل
كان له الى الله حاجة فتعبد واجتهد ثم طلب الى الله حاجته فلم ير نجاحا فبات
ليلة مزرىا على نفسه فقال يا نفس ما لك لا تقضي حاجتك فبات محزونا قد اذ
ر على نفسه والزم الملازمة لنفسه فقال اما والله ما من قبل اني اتيت ولكن من
قبل نفسي اتيت فبات ليلة مزرىا على نفسه والزم الملازمة لنفسه فقضيت حاجته

الباب الثاني عشر في علاج مرض القلب بالشیطان

هذا الباب من اهم ابواب الكتاب واعظمها نفعا والمتأخرون من ارباب السالكين
لم يعتنوا به اعتناء هم بذكر النفس وعيوبها وافاتها فانهم توسعوا في ذلك وقصروا
في ذكر الشيطان ومن تأمل القرآن والسنة وجد اعتناءها بذكر الشيطان ومجانته
اكثر من ذكر النفس فان النفس المذمومة ذكرت في قوله تعالى ان النفس الامارة بالسوء
واللوامة في قوله تعالى ولا تقسم بالنفس اللوامة وذكرت النفس المذمومة في قوله
تعالى ونهى النفس عن الهوى فاما الشيطان فذكر في عدة مواضع وافرد له سورة
تامة فتحذير الرب تعالى لعباده منه جاء اكثر من تحذيره من النفس وهذا هو
الذي لا ينبغي غيظه فان شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسته فهي مركبة ومعو
ضع شره وتحمل طاعته وقد امر الله سبحانه بالاستعاذة منه عند قراءة القرآن
وغير ذلك وهذا الشدة الحاجة الى التوكل منه ولم يامر بالاستعاذة من النفس

ق
الجحش نوري

موضع واحد وانما جاء الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا كما تقدم ذكره في الباب الذي قبله وقد جمع النبي صلى الله
عليه وسلم بين الاستعاذة من الامرين في الحديث الذي رواه الترمذي وصححه عن ابي هريرة
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول الله علمني شيئا اقله اذا أصبحت واذا أصبحت
قال قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والارض رب كل شيء مليكته اشهد
ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه وان اقترف
على نفسي سوءا واجرا الى عالم قل اذا أصبحت واذا أصبحت واذا أخذت مضجعي
فقد تضمن هذا الحديث الشرف الاستعاذة من الشر واسبابه وغايته فان لشركه امان
يصدر من النفس او من الشيطان وغايته امان لقود على العامل او على اخيه المسلم
فضمن الحديث مصدرين الشر الذي يصدر عنهما وغايته التي يصل اليهما **فصل**
قال تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على
الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
ومعنا استعذ بالله امتنع به واعتصم به والجا اليه ومصدر العوذ والعياذ والمعاذ
وغالب استعماله في الاستعاذة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لقد عذت بمعاذ واصل اللفظة
من الحجج الى الشيء والاقرب منه ومن كلام العرب اطيب الهمج عوذة اي الذي قد عاذ بالعضم
والنصل به وناقذة عايدة اي يعوذ بها ولدها وجمعها عوذ كجرحه ومنه في حديث الحديث
معهم العوذ المطاير والمطافيل جمع مطفل وهي الناقذة التي معها فصيلها قالت طائفة منهم
صاحب جامع الاصول استعاذ ذلك للنساء اي معهم النساء واطفالهن ولا حاجة الى ذلك
بل اللفظة على حقيقتها اي قد خرجوا اليك بدوابهم ومراكبهم حتى اخرجوا معهم النوق
التي معها اولادها فامر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن وفي ذلك
وجوه منها ان القرآن شفاء لما في الصدور يذهب بها يلفيه الشيطان فيها من الوسواس و
الشبهوات والارادات الفاسدة فيودعها لما اثره فيها الشيطان فامر ان يطرد عادة
الداء ويخلو منه القلب ليعاد في الدواء بخلافه لما يمكن منه ويؤثر فيه كما قبل

انا لله هوها قبل ان اعرف الله فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فيجي هذا الدواء الشافي الى قلب قد خلا من مزاحم ومضاد له فينتجج فيه ومنها ان القرآن
مادة الهدى والخير والعلم في القلب كما ان المادة النجاسة والشيطان ناسخا للنبات او لا

فاولا فكلما احس بنيات الخير في القلب سعي في افساده واحراقه فامران يستعذ
بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقران والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي
قبله ان الاستعاذة في الوجه الاول لاجل حصول فائدة القران وفي الوجه الثاني
لاجل بقائها وحفظها وثباتها وكان من قال الاستعاذة بعد القراءة ^{في هذا المعنى}
وهو لعمري والله ملحوظ جيد الا ان السنة واثار الصحابة انما جاءت بالاستعاذة قبل
الشروع في القراءة وهو قول جمهور الامه من السلف والخلف وهي محصلة للامرين
وفيهما ان الملائكة تدنو من قاري القران وتستمع لقراءته كما في حديث اسيد بن حضير
لما كان يقرى وراى مثل الظل في المصاييح فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة
تلك والشيطن ضل الملائكة وعدوه فامر القاري ان يطلب من الله مباحة عدوه
عنه حتى يحضره خاصته وملائكته فمذهبه وليمة لا تجتمع فيها الملائكة والشياطين
ومنها ان الشيطان يجلب على القاري بخيله ورجله حتى يشغله عن المقصود
بالقران وهو تدبره وتفهمه ومعرفة ما اراد به المتكلم به سبحانه فيحصر بجمده
على ان يحول بين قلبه وبين مقصود القران فلا يكمل انتفاع القاري به فامر عند
الشروع ان يستعذ بالله منه وفيها ان القاري مناج لله بكلامه والله تعالى اشهدنا
للقاري الحسن الصوت من صاحب القينة اليقينة والشيطان انما قرائته الشعر و
الغنا فامر القاري ان يطرده بالاستعاذة عند مناجاته الله واستماع الرب قوله
ومنها ان الله سبحانه اخبر انما ارسل من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القاري الشيطان
في امنيه والسلف كلهم على ان المعنى اذا تلا القاري الشيطان في تلاوته كما قال الشافعي
في عثمان **تمنى كتاب الله اول ليلة** واخره لا فاحكام المقابر
فاذا كان هذا فعلمه مع الرسل فكيف بغيرهم ولهذا **يخلف القاري تارة**
ويخبط عليه القراءة ويشوشها عليه فيخبط عليه لسانه او يشوش عليه فمذهبه وقلبه
فاذا حضر عند القراءة لم يعلم منه القاري هذا وهذا وربما جمع بينهما فكان
من اهم الامور استعاذته بالله منه عند القراءة ومنها ان الشيطان احرص ما يكون
على الانسان عند ما يقيم بالخير او يدخل فيه فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عن
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت على البارحة فامر ان يقطع على
صلاحي الحديث وكلما كان الفعل انفع للعبد واحب الى الله كان اعتراض الشيطان

ن
لخط

يعلم

له اكثر وفي مسند الامام احمد من حديث سيرة بن ابي الفاكهة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان الشيطان لا يعد بان ادم باطرقه ففعله بطريق الاسلام فقال التمسك ونذر
دينك ودين ابايك فعصاه فاسلم ففعله بطريق الهجرة فقال التمسك ونذر دينك و
سماك وانما مثل المماجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم فعله بطريق الجهاد وهو
جهاد النفس والمال فقال تغافل فتغلقت المراءاة وبغى المال فالشيطان بالرصد للانسان
على طريق كوخه وقال منصور بن عمار ما من رفقة تخرج الى مكة الا جهز معهم ابليس
مثل عدوهم رواه ابن ابي حاتم في تفسيره فهو بالرصد ولا سيما عند قراءة القران فامر
سبحانه العبد ان يحارب عدوه الذي يقطع عليه الطريق ويستعذ بالله منه او لا ثم
ياخذ في السير كما ان المسافر اذا عرض له قاطع طريق اشتغل بدفعه ثم اندفع في
سيره وفيها ان الاستعاذة قبل القران عنوان واعلام بان الماقي به بعد هذا القران
ولهذا لم تشترط الاستعاذة بين يدي كلام غيره بل الاستعاذة بين يدي كلام خير مقدمه
وتبنيه للمسامح ان الذي ياتي بعدها هو التلاوة فاذا سمع السامع الاستعاذة استعد
لاستماع كلام الله ثم شرع ذكر للقاري وان كان وحده لما ذكرناه من الحكم وغيرها
فهذه بعض فوائد الاستعاذة وقد قال الامام احمد في رواية حنبل لا يقرأ في صلاة ولا
لا غير صلاة الا يستعاذ لقوله عز وجل فاذا قران القران فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم وقال في رواية ابن مشيش كلما قرأ يستعذ وقال عبد بن احمد سمعت ابا اذا
قرأ استعاذ يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم وفي المسند
والترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى
الصلاة استفتح ثم قال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه
ونفسه وقال ابن المنذر جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قبل القراءة اعوذ با
الله من الشيطان الرجيم واختار الشافعي وابو حنيفة والفاضي في الجامع انه يقول
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو رواية عن احمد لفظ هو الآية وحديث ابن
المنذر وعن احمد من رواية عبد الله بن اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وهو
مذهب الحسن وابن سيرين ويبدل عليه ما رواه ابو داود في قصة الافكار ان النبي
صلى الله عليه وسلم جلس وكشف عن وجهه وقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وعن احمد رواية اخرى انه يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله

هو السميع العليم وبه قال سفيان الثوري ومسلم بن يسار واختاره القاضي في المجموع
وابن عقيل لان قوله فاستعد بالله من الشيطان الرجيم ظاهره انه يعقب قوله اعوذ
بالله بقوله من الشيطان الرجيم وقوله في الاخرى فاستعد بالله انه هو السميع العليم
يقضي ان الحق بالاستعاذة وصفه بانه هو السميع العليم في جملة مستغله بنفسه ما هو
بحر ذات لانه سبحانه هكذا ذكره وقال اسحق الذي اختاره ما ذكر عن النبي صلى الله
عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وقد جاء في الحديث
تفسير ذلك قال وهزمه الموت ونفخه الكبر ونفثه الشعر وقال تعالى وقل رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون والهمزات جمع همزة كهمزات وتمرة
واصل الهمز الدخ قال ابو عبيد عن الكسائي همزة ولمزة ونمزة اذا دغمت
والتحقيق انه دغمت بنحو ونحو شبه الطعن فهو دغمت في همزات الشياطين
دفعهم الوسواس والاعو الى القلب قال ابن عباس والحسن همزات الشياطين نزعاً
عنهم ووساوسهم وفست همزاتهم بنفخهم ونفثهم هذا قول مجاهد وفست بفتحهم
وهو الموت التي تشبه الجنون وظاهر الحديث ان الهمز نوع غير النفث والنفث وقد
يقال وهو الاظهر ان همزات الشياطين اذا افردت دخل فيها جميع اصنافها ثم
لا ينعدم واذا فوشت بالفتح والنفث كانت نوعاً خاصاً كظاير ذلك ثم قال واعوذ بك
رب ان يحضرون قال ابن زيد في اموري وقال الكلبى عند تلاوة القرآن وقال عكرمة عند
الترغ والسياق فامره ان يستعيز من نوعي شرهم اصابتهم له بالهمز وقريهم ودنوهم
منه فتضمنت الاستعاذة ان لا يمسه ولا يقربوه وذكر ذلك سبحانه يعقب قوله اني
بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصنعون فامره ان يحتزم من شر شياطين الانس
يدفع اسائهم اليه بالتي هي احسن وان يدفع شر شياطين الجن بالاستعاذة منهم ونظر
هذا قوله في الاعراف هذا العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره يدفع شر الجاه
هلين باعراض عنهم ثم امره يدفع شر الشيطان بالاستعاذة منه فقال واما ينزعك
من الشيطان نزع فاستعد بالله انه هو السميع العليم ونظر ذلك قوله في سورة فصلت
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم فهذا دفع شر شيطان الانس ثم قال واما ينزعك من الشيطان نزع
فاستعد بالله انه هو السميع العليم وقالها هنا انه هو السميع العليم فاكد بان وضمير

الفصل راق باللام في السميع العليم وقال في الاعراف انه سميع عليم وسر ذلك والله اعلم انه
حيث اقتصر على مجرد الاسم ولم يوكده ارباب ثبات مجرد الوصف الكافي في الاستعاذة
والاخبار انه سبحانه سميع عليم فيسمع استعاذتك فينجيك ويعلم ما تستعيز منه فيدفع
عنه فالسميع لكلام المستعيز والعلم لفعل المستعاذ منه وبذلك يحصل مقصود الاستعا
ذة وهذا المعنى شامل للموضعين واعتاز المذكور في فصلت بمنزلة التاكيد والتعريف
والاختصاص لان سياق ذلك بعد انكاره سبحانه على الذين شكوا في سمعه لقولهم وعلو
هم كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة نفر فر
شيان وثقفي او ثقفيان وقرشي كثير ثم بطونهم قليل ففقه قلوبهم فقالوا اترون الله
يسمع ما نقول فقال احدكم يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فقال الاخران سميع بعضه
سمعه كله فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون الى قوله من الخاسرين فيجاء التاكيد
في قوله انه هو السميع العليم في سياق هذا الانكار اي هو وحده الذي له كمال قوة السمع
واحاطة العلم لا كما يظن به اعداؤه الجاهلون انه لا يسمع ان اخفوا وانه لا يعلم كثيرا
مما يعملون وحسن ذلك ايضا ان المأمور به في سورة فصلت دفع اسائهم اليه باحسانه
اليهم وذلك اشوق على النفوس من مجرد الاعراض عنهم ولهذا عقبه بقوله وما يلقاها الا
الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فحسن التاكيد لحاجة المستعيز وايضاً
فان السياق ها هنا لاثبات صفات كماله وادلة نبوته واياته وبوحيته وشواهد
توحيده ولهذا عقب ذلك بقوله ومن اياته الليل والنهار ومن اياته ان تذكر الارض خا
شعة فاني باداة التعريف الدالة على ان من اسمائه السميع العليم كما جات الاسماء الحسن
كلها معروفة والذي في الاعراف في سياق وعيد المشركين واخوانهم من الشياطين
ودعد المستعيز بان له رباً يسمع ويعلم والهة المشركين الذي عبدوها من دونه ليس
لهم اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها فانه سميع عليم والهة لا تسمع و
تبصر ولا تعلم فكيف يسوءون به في العبادة فعلمت انه لا يلبق بهذا السياق غير التاكيد
كما لا يلبق بذلك غير التعريف والله اعلم بأسرار كلامه ولما كان المستعاذ منه في سورة
حم المؤمن هو شر مجادل الكفار في اياته وما ترتب عليه من افعالهم المرفقة قال
ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه

فاستعذ بالله انه هو السميع البصير فانه لما كان المستعاذ منه كلامهم وفعالهم
المشاهدة عيانا قال انه هو السميع البصير وهناك المستعاذ منه غير مشاهد لنا
فانه يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم بل هو معلوم بالايمان واخباره ورسوله
فصل فالقران ارشاد دفع هذين الحدوين باسمه الطريق بالاستعاذة
والاعراض عن الجاهلين ودفع اسائهم بالاحسان واخبر عن عظم حظ من لقاءه
ذكر فانه ينال بذلك كفو شر عدوه وانقلابه صدقيا ومجبة الناس له وشاكرهم عليه
وقهر هو اه وسلامة قلبه من الغل والحقد وطمانينة الناس حتى عدوه اليه هذا
غير ما يناله من كرامة الله وحسن ثوابه ورضاه عنه وهذا غاية الحظ عاجلا
واجلا ولما كان ذكر لا ينال الا بالصبر قال وما يلغاها الا الذين صبروا فان
الزق الطائش لا يصبر عن المقاومة ولما كان الغضب محرك الشيطان فتعاون
النفس الغضبية والشيطان على النفس المطمئنة التي تأمر بدفع الاساءة بالاصح
امران يعاونها بالاستعاذة منه فتمد الاستعاذة للنفس المطمئنة فتقوى على مقا
ومة جيش النفس الغضبية ويأتي مدد الصبر الذي يكون النصر به وجأءد الايمان
والثوكل فابطل سلطان الشيطان فانه ليس لسلطان على الذين امنوا و
على ربه يتوكلون قال مجاهد وعكرمة والمفسرون ليس له حجة والصواب ان يقال
ليس له طريق يتسلط به عليهم لامن جملة الحجج ولا من جملة القدر والقدر داخله
في سمي السلطان وانما سميت الحجج سلطانا لان صاحبها يتسلط بها تسلط
صاحب القدرة بيده وقد اخبر سبحانه انه لا سلطان لعدوه على عباده
المخلصين المتوكلين فقال في سورة الحجر قال رب بما اغويني لازين لهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الاعباد كمنهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان
عباده ليس كغيرهم سلطان الامن ابتعد عن الغاوين وقال في سورة النحل انه
ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربه يتوكلون انما سلطانه على الذين
يتولونه والذين هم به مشركون فنضم ذكر امرين احدهما نفى سلطانه وابطاله
على اهل التوحيد والاخلاص والثاني اثبات سلطانه على اهل الشرك وعلى
من تولاه ولما علم عدوا انه ان الله لا يتسلطه على اهل التوحيد والاخلاص
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الاعباد كمنهم المخلصين فعلم عدوا انه

ان من اعتصم بالله واخلص له وتوكل عليه لا يقدر على اغوايه واضلاله وانما يكون
له السلطان على من تولاه واشرك مع الله فهو لا رعية له وهو سلطانهم ووليهم
وقبوعهم فان قيل قد اثبت له السلطان على اوليائه في هذا الموضع فكيف ينفيه في قوله
تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فرقا من المؤمنين وما كان له عليهم
من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو في شك قيل ان كان الضمير في قوله
وما كان له عليهم من سلطان عايدا على المؤمنين فالسؤال ساقط ويكون الا
ستثنى منقطعاً لكن امتحانهم بابليس لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
وان كان عايدا على ما عاد عليه في قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه وهو
الظاهر ليصح الاستثناء المنقطع بوقوعه بعد النفي ويكون المعنى وما سلطناه
عليهم الا لنعلم من يؤمن بالاخرة قال ابن قتيبة ان ابليس لما سال الله النظر
فانظره قال لاغوينهم ولا اضلهم ولا امرهم بكذا ولا اتخذن من عبادك نصيبا مفردا
وليس هو في وقت هذه المقالة مستيقنا ان ما قدره فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما
اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم فقال تعالى وما كان تسلطنا اياه الا
لنعلم المؤمنين من الشاكين يعني نعلمهم بوجود دين ظاهرين في حق القول ويقع الجزا
وعلى هذا فيكون السلطان هاهنا على من لم يؤمن بالاخرة وشك فيها وهم الذين تو
لوه واشركوا به فيكون السلطان قابلا لانفسيا فتشوق هذه الآية مع سائر الايات
فان قيل فما تصنع بالتي في سورة ابراهيم حيث يقول لاهل النار وما كان لي عليكم من
سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وهذا وان كان قوله فانه سبحانه اخبر به عنه
مقررا له لا منكرا فدل على انه كذلك قيل هذا السؤال جيد وجوابه ان السلطان
المنفرد في هذا الموضع هو الحجج والبرهان اي ما كان لي عليكم من حجة وبرهان
احتج به عليكم كما قال ابن عباس ما كان لي من حجة احتج بها عليكم اي ما اظهرت لكم
حجة الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وصدقتم مقالتي وابتعتموني بلبانهم ولا
حجة واما السلطان الذي اثبت في قوله انما سلطانه على الذين يتولونه فهو تسلطه
عليهم بالغوا والاضلال وتمكنه منهم بحيث يؤذونهم الى الكفر والشرك وينعجم اليه
ولا يدعهم يتركونه كما قال تعالى الم ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا
قال ابن عباس تغزوهم اغراؤ في رواية تسليمهم اسلاء وفي لفظ تحزهم تحزبهم ايضا

ن
بالاغوينهم

وفي آخر ترجمهم الى المعاصي ازعا جوا وفي آخر تو قد هم اي تحركهم كما تحرك النار
الما بالايقاد تحتهم وقال الاخفش ترجمهم وحققة ذلك ان الاز هو التحريك و
التمهيد ومنه يقال الغليان القدر الازيل لان الما يتحرك عند الغليان ومنه
الحديث لجوفه ازير كازير الرجل من البكا قال ابو عبيدة الازير الاله اب والحركة
كالله اب النار في الخطب يقال ر قدرك اي الجهد تحتها بالنار وابتزت القدر
اذ اشتد غليانها فقد حصل للازمعنيان احدهما التحريك والثاني الايقاد
والاله اب وهما متقاربان فانه تحريك خاص بازعا ج والاله اب فهذا من السلطان
الذي له على اوليائه واهل الشراك ولكن ليس له على ذلك سلطان حجة وبرهان وانما
استجابوا له بحجود عوته اياهم لما وافقت هواهم واغراضهم فهم الذين اعانوا
على انفسهم ومكنوا عدوهم من سلطانه عليهم بموافقة ومتابعته فلما عطاوا
بايديهم واستاسروا له سلط عليهم عقوبة لهم وبهذا يظهر معنى قوله سبحانه ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا فالآية على عمومها وظاهرها وانما المؤمنون
يصدر منهم من المعصية والمخالفة التي تضاد الايمان ما يصيرون به للكافرين
عليهم سبيلا بحسب تلك المخالفة فهم الذين تسببوا الى جعل السبيل عليهم كما تسببوا
اليه يوم احد بمعصية الرسول ومخالفة الله سبحانه لم يجعل للشيطان على العبد
سلطانا حتى جعل له العبد سبيلا اليه بطاعته والشرك به فجعل الله حينئذ له عليه تسليطا
وقهرا فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه والتوحيد
والتوكل والاخلاص تمنع سلطانه والشرك وفروعه يوجب سلطانه والجمع
بقضا من اذنة الامور بيديه ومودها اليه وله الحجة البالغة فلو شاء لم يهلككم
اجمعين ولو شاء لجعل الناس امة واحدة ولكن اب حكمنه وحمده وملكه الا ذلك
فله الحمد رب السموات والارض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والارض وهو
العزير الحكيم

الباب الثالث عشر في مكاييد الشيطان

التي يكيد بها ابن ادم قال تعالى اخبار عن عدوه ابليس لما ساله عن امتناعه
عن السجود لادم واجابته بان خيره منه واخرجه من الجنة انه ساله ان ينظره
فانظره ثم قال عدو الله فيما اغويتني لا تعدن لهم صراطك المستقيم ثم لا يتهمهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شيايلهم ولا تجد اكثرهم شاكركين

قال جمهور

قال جمهور المفسرين والنخاعة حذف على فانصب الفعل والتقدير لا تعدن لهم على
صراطك المستقيم والظاهر ان الفعل بضمير فان القاعد على الشيء ملازم له فكانه
قال لا رمنه ولا رصدين ولا غوينه ونحو ذلك قال ابن عباس دينك الواضح وقال ابن مسعود
هو كناية الله وقال جابر هو الاسلام وقال مجاهد هو الحق والجميع عبارات عن معنى
واحد وهو الطريق الموصل الى الله وقد تقدم حديث سيرة بن الفاكه ان الشيطان
قعد لابن ادم في طرقه كلها الحديث فما من طريق خيرا الا والشيطان قاعد عليه يقطع
على السالك وقوله ثم لا يتهمهم من بين ايديهم قال ابن عباس في رواية عطيفة عنه من قبل
الدنيا وفي رواية علي عنه اشكهم في اخرتهم وكذلك قال الحسن من قبل اخرتهم
تكذبا بالبعث والجنة والنار وقال مجاهد من بين ايديهم من حيث يبصرون ومن
خلفهم قال ابن عباس رغبهم في دنياهم وقال الحسن من قبل دنياهم ازنيهم اليهم و
اشبههم اليهم وعن ابن عباس رواية اخرى من قبل الاخرة وقال ابو صالح اشكهم
في الاخرة واباعدها عليهم وقال مجاهد ايضا من حيث لا يبصرون وعن ايمانهم
قال ابن عباس اشبههم امر دينهم وقال ابو صالح الحق اشكهم فيه وعن ابن عباس
ايضا من قبل حسناتهم قال الحسن من قبل الحسنات اشبطهم عنها وقال ابو صالح
ايضا من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شيايلهم الباطل انفق عليهم
وارغبهم فيه وقال الحسن وعن شيايلهم السيئات يامرهم بها ويحثهم عليها و
يزينها في اعينهم وصح عن جابر انه قال ولم يقل من فوقهم لانه علم ان الله من
فوقهم وقال الشعبي قال الله سبحانه انزل الرحمة عليهم من فوقهم وقال قتادة انك
الشيطان يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك لم يستطع ان يحول
بينك وبين رحمة الله قال الواحدي وقول من قال الايمان كناية عن الحسنات
والشيايل كناية عن السيئات حسن لئن العرب تقول اجعلني في عينك ولا تجعلني
في شمالك تريد اجعلني من المقربين عندك ولا تجعلني من الموقشرين والشدة كناية
الدمية **ابن ابي عمير** يكره جعلني فافرح ام صيرتني في شمالك
وروي ابو عبيد عن الاصمعي هو عندنا باليمن اي بمنزلة حسنة وبضد ذلك
هو عندنا بمنزلة الشئ الكمال **والشدة**
دايت بنو العلات لما تظافروا يجوزون سماي عندهم في الشيايل

اي ينزلونني بالمتزلة السيئة وحكي الازهرى عن بعضهم في هذه الآية
لا غوينهم حتى يكذبوا بما تقدم من امور الامم السالفه ومن خلفهم بالبعث
وعن ايمانهم وعن شهادتهم اي لا ضللتهم فيما يعلمون لان الكسب بقا فيه ذلك
بما كسبت يداك واذ كانت اليدين لم يجنبا شيئا لانهما الاصل في التصرف فجعلنا
مثلا للجميع ما يعمل بغيرهما وقال اخرون منهم ابو اسحق والزنجشري واللفظ
لاي اسحق ذكر هذه الوجوه للمبالغة في التوكيد اي لا يتهم من جميع الجهات
والحقيقة والله اعلم انصرف لهم في الاضلال من جميع جهاتهم وقال الزنجشري
ثم لا يتهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل الوسوسة
اليهم وتحويله ما امكنه وقد روي عليه كقوله واستغفر من استطعت منه بصوتي
واجلب عليهم بخيلك ورجلك وهذا يوافق ما حكيناه عن قتادة انا كرم
كل وجه غير انه لم يأتك من فوقك وهذا القول اعم فاليد والايضا قضا قاله
السلف فان ذلك على جهة التمثيل لا النعيين قال شقيق ما من صباح الا
قعد الشيطان على اربعة ارصاد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي
فيا يميني من بين يدي فيقول تخف فان الله غفور رحيم فاقرأوا في تغفاري
تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدي وامن خلفي فيخوفني الضيعة على من اخلفه
فاقرأ وامن دابة في الارض الا على الله عز وجل ومن قبل يميني يا يميني من قبل
الشا فاقرأ والعاقبة للمتقين ومن قبل شمالي يا يميني من قبل الشهوات فاقرأ
وحيل بينهم وبين ما يشتهون **قوله** السبل الى قوس يسلكها الانسان اربعة
لا غير فانه تارة ياخذ على جهة يمينه وتارة على شماله وتارة امامه وتارة بين جمع
خلفه فاي سبل سلكها من هذه وجد الشيطان عليها وصداله فان سلكها في
طاعة وجد عليها يثبطه عنها ويقطعه ويعوقه ويبطيه وان سلكها بالمعصية
وجد عليها حامله وحاديا ومختا ومنيا ولوانفق له الهبوط الى اسفل لا
تاه من هناك وما يشهد لصحة اقوال السلف قوله تعالى وقضنا لهم قسرا
فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم قال الكلبي الزمان لهم قرنا من الشياطين
وقال مقاتل هيناهم قرنا من الشياطين قال ابن عباس ما بين ايديهم من امر
الدنيا وما خلفهم من امر الآخرة والمعنى زينوا لهم الدنيا حتى اثرها ودعواهم

ومعينا

الى التكميل

الى التكميل بالآخرة والاعراض عنها وهذا اختيار الفراء وقال ابن زيد زينوا لهم
ما مضى من خبيث اعمالهم وما يستقبلون منها والمعنى على هذا زينوا لهم ما
عملوه فلم يتوبوا منه وما يعززون عليهم فلا يتوبون تركه فقول عدو الله ثم لا يتهم
من بين ايديهم ومن خلفهم يتنازل الدنيا والآخرة وقوله وعن ايمانهم وعن
شهادتهم فان كاتب الحسنات عن اليمين يستحث صاحبها على فعل الخير فيأتيه
الشیطان من هذه الجهة يثبطه عنه وان كاتب السيئات عن الشمال ينهاه عنها
فيأتيه الشيطان تلك الجهة يحرضه عليها وهذا تفصيل ما اجمعه في قوله فبعزتك
لا غوينهم اجمعين وقال لعلنا ان يدعون من دونه الا انا تاوان يدعون الا الشيطان
نا مر يد الله وقال لا اتخذ من عبدا كفضيلا مفروضا ولا ضلته ولا
ميتهم ولا امرهم فليست كن اذان الانعام ولما امرتهم فليغيرن خلق الله ومن
يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدم ويميتهم وما
يعدهم الشيطان الا غرورا قال الضحاك مفروضا اي معلوما وقال الزجاج اي
اي نصيبا افترضته على نفسي قال الفراء يعني ما جعل له عليه السبيل من الناس فهو كالمرور
قلت حقيقة الفرض هو التقدير المعنى ان من اتبع الشيطان واطاعه فهو من نصيبه
المفروض وحظه المقسوم وكل من اطاع عدو الله فهو من مفروضه فالتاس قسمان
نصيب الشيطان ومفروضه واوليا الله وحزبه وخاصته وقوله ولا ضلته يعني عن
الحق ولا ميتهم قال ابن عباس يريد تسويق التوبة وتأخيرها وقال الكلبي انهم
انه لاجنة ولا نار ولا بعث وقال الزجاج اجمع لهم مع الاضلال ان اولهم انهم
ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة وقيل لا ميتهم ركوب الهوا الداعية الى العصيان
والبدع وقيل لا ميتهم طول البقاء في نعيم الدنيا فاطيل لهم الامل فيها ليؤثروها على
الآخرة وقوله ولا امرهم فليست كن اذان الانعام البتة القطع وهو في هذا الموضع
قطع اذان البحيرة عن جميع المفسرين ومن هاهنا كره جمهور اهل العلم تنقيب
اذني الطفل للحلق ورخص بعضهم في ذلك لانه في ذنوب الذكور الحاجة الى
الحلية واحتجوا بحديث ام زرع وفيه اناس من حلي اذني وقال النبي صلى الله عليه
وسلم كنت كذا كذا في زرع لام زرع ونصر احمد على جواز ذلك في حق البنات وكرهه
في حق الصبي وقوله ولا امرهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يريد من الله

من

عليه

وهو قول ابراهيم ومجاهد والضحاك وقناده والسدي وسعيد بن المسيب
 وسعيد بن جبير ومعنى ذلك هو ان الله تعالى فطر عباده على الفطرة المستقيمة
 وهي ملة الاسلام كما قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الله عليها
 لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه
 ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه
 ينصرانه ويمجسانه كما تنسج البهيمة بهيمة جماعها هل تحسونه فيها من جدها
 حتى تكونوا تجدونها ثم قرأ ابو هريرة فطرة الله التي فطر الناس عليها متفق عليه
 في النبي صلى الله عليه وسلم بين الامر بين تغيير الفطرة باليهودية والنصرانية وتغيير الخلقة
 بالجمع وهما الامران الذي اخبر ابليس انه لا بعد ان يغيرهما فغير الله فطرة الله
 بالكفر وهو تغيير للخلقة التي خلقوا عليها وغير الصورة بالجمع والشك فغير الفطرة
 الى الشرك والخلقة الى البسك والقطع فهذا تغيير خلقة الروح وهذا تغيير خلقة
 الصورة ثم قال يعدمهم ويميتهم فوعده ما يصل الى قلب الانسان نحو سيطول عمره
 وتسال من الدنيا اربك وستعملوا على اقرانك وتظفر باعداك والدياد ولستكون
 لك كما كانت لغيرك ويطول امله ويعده بالحسن على شره ومعاصيه ويميتهم
 في الكاذبة على اختلاف وجوهها والفرق بين وعده وتمنيته ان الوعد في الخبر
 والتمنيته في الطلب الارادة فيعه الباطل الذي لا حقيقة له وهو الضرور ويميتهم
 المحال الذي لا حاصل له ومن تأمل احوال اكثر الناس وجدهم متعلقين بوعده
 وتمنيته وهم لا يشعرون بعد الباطل وبمالي المحال والنفس المميتة التي تذر لها
 تنفذ بوعده وتمنيته كما قال القائل **مضى ان تكن حقا لكن احسن المضي**
والا فقد عشنا زمانا غدا والنفس المبطله المحسيسة تلتذذ بالاماني الباطلة
 والوعود الكاذبة وتفرج بها كما تفرج بها النساء والصبيان ويتحركون لها فالا قال
 الباطلة مصدرها وعد الشيطان وتمنيته فانه يمني اصحابها الظفر بالحق واد
 رآه ويعدهم الوصول اليه من غير طريقه فكل مبطل فله نصيب من قوله يعدهم
 ويميتهم وما يعدهم الشيطان الا فرور ومن ذلك قوله تعالى الشيطان يعدهم
 الفقر ويامرهم بالفحشاء والله يعدهم مغفرة منه وفضلا قيل يعدهم الفقر نحو
 فكهم فيقول ان انفقتم من اموالكم افقرتم ويامرهم بالفحشاء قالوا هي البخل

انتم

في هذا الموضع خاصة ويذكر عن مقاتل والكبي كل فحشاء في القرآن فهي الزنا الا في
 هذا الموضع فانها البخل والصواب ان الفحشاء على بابها وهي كفا حشنة فهي صفة لثوب
 صوف مخدوف فحذف موصوفها ارادة للعوام اي بالفعل الفحشاء والخلعة الفحشاء
 ومن جعلها البخل فذكر سبحانه وعد الشيطان وامره يامر بالشرك ويخوف من فعل الخير
 وهذان الامران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الانسان فانه اذا خوفه من فعل
 الخير تركه واذا امره بالفحشاء وزينه له ارتكبها وسمى سبحانه تخويله وعد الانتظار
 الذي خوفه اياه كما ينظر الموعود ما وعده ثم ذكر سبحانه وعده على طاعته وامثال
 او امره واجتناب نواهيه وهي المغفرة والفضل والمغفرة وقاية الشر والفضل اعطاء
 الخير وفي الحديث المشهور ان للملك بقلب ابن ادم ملة وللشيطان ملة فلملة الملك
 ايعاد بالخير وتصديق بالحق وملة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ الشيطان
 يعدهم الفقر ويامرهم بالفحشاء الآية فالملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب
 الليل والنهار فمن الناس من يكون ليلة اطول من نهاره واخر بضده ومنهم يكون زمنه
 نهارا كله واخر بضده **فصل** ومن كيد للشيطان انه يورده الموارد التي
 يحيل اليه ان فيها منفعة ثم يصدره المصادر التي فيها عظمة ويتخلى عنه فيسلمه
 يقف يشمت به ويضحك منه فيامر به بالسرقه والزنا والقتل ويدله عليه ويفضحه
 قال تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس والي جاركم فلما
 تراوت الفتان تكسر على عقبيه وقال اني بري منكم الآية فانه تراه للمشركين عند خرو
 جهم الى بدر في صورة سراقته من مالك وقال اني جاركم من كنانة ان يقصدوا اهلهم و
 ذرارهم بسوء فلما راي عدو الله جنودهم من الملائكة نزلت لنصر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فرغمهم واسلمهم قال حسان **دلاهم بغرور ثم اسلمهم** ان الخبيث
 لمع والاه غرار **وكذلك فعل بالراهب الذي قتل المرأة وولد لها امره بالزنا بها ثم**
بقتلها ثم دلاهم عليها وكشف امره لهم ثم امره بالسجود له فلما فعل فرغته وتركه
وفيه نزل الله سبحانه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك
اني اخاف ان يرب العالمين وهذا السياق لا يختص بالذي ذكرت عنه هذه الصفات
بل هو عام في كل من اطاع الشيطان في امره بالكفر لينصره ويقضي حاجته فانه
يتبرأ منه ويسلمه كما تبطل من اوليايه جملة في النار ويقول لهم اني كفرت بما اشركنتموه

في
بالوعود

يحيى

من قيل فاورد هم شر الموارد وتبرأ منهم كل البراة وتكلم الناس في قول عدو الله في
اخاف الله فقال قتادة وابن اسحق صدق عدو الله في قوله اني اراها لاترون وكذب
في قوله اني اخاف الله والله حابه مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاورد
ثم اسلمهم وكذب عاده على الله عن اطاعه وقالت طائفة انما اخاف بطش الله به
في الدنيا كما يخاف الكافر والفاجر ان يقتل او يوحذ بحرمه لانه خاف عقابه في الآخرة
وهذا صحيح وهذا الخوف لا يستلزم ايمانا ولا نجا قال الكلبي خاف ان ياخذ جبريل
فيعرفهم حاله فلا يطيعونه وهذا فاسد فانه انما قال لهم ذلك بعد ان فروا على
عقبه الان يريد ان يعرف المشركون ان الذي اجارهم واوردهم اليهم ليس بطييع
فيما بعد ذلك وقد بعد النجعة ان اراد ذلك وتكلف غير المراد وقال عطاء بن اخاف
الله ان يملكني فيمهلك وهذا خوف هلاك الدنيا فلا ينفعه وقال الزجاج وابن
الانباري ظن ان الوقت الذي انظر اليه قد حضر زاد ابن الانباري قال اخاف ان يكون
الوقت المعلوم الذي يزول معه انظاري قد حضر فيقع في العذاب فاعلم انه لما عاين
الملائكة خاف ان يكون وقت الانظار قد انقضى فقال ما قال اشفاقا على نفسه
فصل ومن كيد عدو الله انه يخوف المؤمنين من جنده واوليائه فلا يجا
هدونهم ولا يامرونهم بالمعروف ولا ينهونهم عن المنكر وهذا من اعظم كيد باهل الايمان
وقد اخبرنا الله سبحانه عن هذا فقال انما ذلكم الشيطان يخوف اوليائه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين المعنى عند جميع المفسرين يخوفكم باوليائه قال قتادة
يعظمهم في صدوركم ولهذا قال فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فكلمة قوي ايمان
العبد من قلبه خوف اوليائه الشيطان وكلما ضعف ايمان العبد قوي خوفه منهم
فصل ومن مكايده انه يسحر العقل ايمانا حتى يكيد ولا يسلم من سحره الا من
شا الله فيزين له الفعل الذي يضربه حتى يخيل اليه من النفع الاشياء ويفهم الفعل
الذي هو النفع الاشياء حتى يخيل اليه انه يضربه فلا اله الا الله ثم قهر بهذا السحر
من انسان وكل حال به بين القلب بين الاسلام والايمان والاحسان وكل حال البيا
طل وابررة في صورة حسنة وشنع الحق واخرجه في صورة مستهجنة وكل بهرج من
الزيف على النافذين وكل روج من الزغل على العارفين فهو الذي سحر العقول حتى القا
اربابا في الاهواء المختلفة والآراء المتشعبة وسلك بهم من سبل الضلال كل سلك

وكشف

والقاهم من المهاد في مهادهم مهاد وزين لهم من عبادة الاصنام وقطيعة الارحام
روايات وكما الامهات ووعدهم الفوز بالجنات مع الكفر والفسوق والعصيان و
ابرز لهم الشكر في صورة العظم والكفر بصفات الرب تعالى وعلوه على عرشه وتكلم بكبته في
قال الشنزيه وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في قلب التودد الى الناس وحسن الخلق معهم
والعمل بقوله عليكم انفسكم والاعراض عما جابه الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب التقليد والاكفان
يقول من هو اعلم منهم والنفاق والادهان في دين الله في قلب العقل المعيش الذي يندج
به العبد بين الناس فهو صاحب ابوين حين اخرجهما من الجنة وصاحب قاتلين حين قتل
اخاه وصاحب قوم نوح حين اغرقوا وصاحب قوم عاد حين اهلكوا بالريح العقيم
وصاحب قوم صالح حين اهلكوا بالصيحة وصاحب الامة اللوطية حين خسف بهم و
بالرحم بالحجارة وصاحب فرعون وقومه حين اخذوا الاخذة الرابعة وصاحب عتباد
العجل حين جرى عليهم ماجرى وصاحب قريش حين دعوا يوم بدر وصاحب كل لها
كذ ومفتون **فصل** واول كيد ومكره انه كاد الابوين بالايمان الكاذبة انه ناصح
لها وانه اغاير يخلو دها في الجنة قال تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري
عنهما من سوءاتهما وقال ما نكاريكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا
من الخالدين وقاسمهما اني لكان الناصحين فدلاهما بغرور فالوسوسة حدث النفس
والصوت الخفي وبه سمى صوت الحلي وسواسا ورجل موسوس بكسر الواو ولا تفتح فانه
لحن وانما قيل له موسوس لان نفسه توسوس اليه قالوا ونعلم ما توسوس به نفسه
وعلم عدو الله انهما اذا اكلتا من الشجرة بدت لهما عوداتهما فانما معصية والمعصية
تمتكم مستر باين الله وبين العبد فلما عصيا انتمك ذلك استر فبدت لهما سوءاتهما
فالمعصية تبدى السوء الباطنة والظاهرة ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم في روياه
الزناة والزواني عراة بادية سوءاتهم وكذا كذا راى الرجل والمرأة في منامه مكشوف
السوء فانه يدل على فساد دينه قال الشاعر
اني كاني اري من الاحياء له
ولا احانة وسط الناس عريانا
فان الله سبحانه ينزل لباسا لبا ساطعا هراويا
ري العورة ويستترها ولباسا باطنا من الثقوي يجل العبد ويستتره فاذا زال
عنه هذا اللباس انكشفت عورته الباطنة كما انكشفت عورته الظاهرة ينزع
ما يستتره انما قال ما نكاريكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين اي الاكراهة

مع
يشرح

سوءاتهما

ان تكونا ملكين وكراهة ان تخلد في الجنة ومن هاهنا دخل عليه الماعرفانها
يريد ان الخلود فيها وهذا باب كيد الاعظم الذي يدخل منه علي بن ادم فانه يجري منه
مجرى الدم حتى يصاد ونفسه ويخالطها ويسالها عما تحب وتوثره فاذا عرفه استعا
ن به على العبد ودخل عليه من هذا الباب وكذا علم اخوانه واوليائه من الانس اذا را
دوا اغراضهم الفاسدة من بعضهم بعضا ان يدخلوا عليهم من الباب الذي يجيرونه
ويهربون فانه باب لا يدخل عن حاجته من دخل منه ومن رام الدخول من غيره فالباب
عليه مسدود وهو عن طريق مقصوده مصدود فشام عدو الله الابوين فاحسن منهما
ايتاسا وكونا الى الخلد في تلك الدار في النعيم المقيم فعلم انه لا يدخل عليهما من غير هذا
الباب فقاما سميما بالله لهما من الناصحين وقال ما نكلمكم عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وكان عيسى بن عباس يقرأها فيمكن بكسر اللام
ويقول لم يطعها ان يكونا من الملائكة ولكن استشرقا ان يكونا ملكين فانها من
جنة الملك ويدل على هذه القراءة قوله في الآية الاخرى قال يا ادم هل ادركت على شجرة الخلد
وملك لا يبلى واماعلى القراءة المشهورة فيقال كيف اطعم عدو الله ادم ان يكون باكله
من الشجرة من الملائكة وهو يرى الملائكة لا تاكل ولا تشرب وكان ادم اعلم باهر
بنفسه وبالملائكة من ان يطعم ان يكون منهم باكله ولا سيما فانما به الله عنه فالخدا
ان ادم وهو لم يجتمع في ذلك اصلا وانما كذبها عدو الله وغرورها وخدعها بان سمي تلك
الشجرة شجرة الخلد فهذا الولي المكر والكيد ومنه ورث تباعه تسمية الامور المحرمة با
لاسم التي تحب النفوس سميها ثم افسدوا الخمر الافراج وسموا اخاها بلقيمة البرا
حه وسموا الربا بالمعاملة وسموا المكور بالحقوق السلطانية وسموا قبح الظلم و
افحشه شرع الديوان وسموا البليغ الكفر وهو محمد صفات الرب تنزيها وسموا بها
لسن الفسوق فجاء السوطية فلما سماها شجرة الخلد قال ما نكلمكم عن هذه
الشجرة الا كراهة ان تاكلن من فخلد في الجنة ولا تموتن فتكونان مثل الملائكة
الذين لا يموتون ولم يكن ادم قد علم انه يموت بعد واشتهى الخلود في الجنة وحصلت
الشبهة من قول العبد وافساده بالله جهدا بما نكلمكم عن هذه الشبهة
والشبهة وساعد القدر لما قد فرغ الله عز وجل من تغذيه فاخذ ثمرها سنة الغفلة
واستيقظ لهما العبد وكما قيل واستيقظوا واد الله غفلتكم لينفذ القدر المحتوم في الازل

ان

يطعمها

الان هذا

الا ان هذا الجواب يعترض عليه او تكونا من الخالدين فيقال لما كره الخالد لا بد ان يكون
فيما يكرهه ويكيد من الشاقض والباطل ما يدل على مكره وكيد ولا حاجة بنا الى
تصحيح كلام عدو الله والاعتذار عنه وانما اعتذر عن الاب في كون ذلك راجع عليه
لجسمه فهو لم يجزم لهما بانهما ان اكلتا منها صارا ملكين وانما رد الامرين امرين
احدهما امتنع والاخر يمكن وهذا من ابلغ انواع الكيد والمكر ولما اطعمه في الامر
الممكن جزم له به ولم يردده فقال يا ادم هل ادركت على شجرة الخلد وملك لا يبلى فلم يدخل
اداة الشك هاهنا كما ادخلها في قوله الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فتا
ملته ثم قال وقاسمها التي لكامل الناصحين وفي هذا الخبر انواع من التاكيد احدها
تاكيد بالقسم الثاني تاكيد بان الثالث تقديم الموعود على العامل ايذا بالاختصاص
صراحي فصيحتي فخصته بكما وفايدتها عايدة اليك لا الى الرابع اتيانه باسم الفاعل
الدال على الشبوت والرزوم دون الفعل الدال على التجرد اي النصح صفتي وسجيتي
ليس امرعا رضالي الخامس اتيانه بلام التاكيد في جواب القسم السادس اتيانه بصيغة
نفسه لهما ناصحا من جملة الناصحين فكانه قال لهما الناصحون كما في ذلك كثير
وانا واحد منهم كما تقول لمن نامره بشي كل احد معي على هذا وانما من جملة من يشير عليه
سعي نحوها لكن تجاوز حده وكثر فارتأيت ولو شاء قللا
وورث عدو الله هذا المكر لاوليائه وحزبه عند خداعهم للمؤمنين كما كان
المنافقون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءوه تشهد انك لرسول الله فاكذبا
خبرهم بالشهادة وبان وبلاد التاكيد وكذلك قوله سبحانه ويحلفون بالله انهم لمنكم
وما هم منكم ثم قال لعلنا فدلاها بغرور قال ابو عبيدة خذوها وخلاها من تدليته
الدلو وهو ارساها في البير وذكر الازهرى لهذه اللفظة اصلين احدهما قال
اصل الرجل العطشان يثد في البير ليرى من الماء فلا يجد فيها ماء فيكون قد
تدلا فيها بالغرور فوضعت التدلية موضع الاطاع فيما لا يجد نفعا فيقال
دلاه اذا اطعمه ومنه قول ابي جندب المصدي احص فلا جبر ومن اجره
فليس كمن تدل بالغرور احص اي افطع الثاني فدلاها بغرور اي جرها
على الاكل من الشجرة واصلها لله من الدلالة والدلالة وهي الجرأة قال شمر بن
ماد الفكر علي اي ماجرك وانشد لقيس بن زهير اظن الحلم دل علي قومي
وقد يستعمل الرجل الحليم قلت اصل التدلية في اللغة الارسال والتعليق يقال دلا

حتى

الشئ في مواءة اذا ارسله بتعليق ود لا الشئ بنفسه ومنه قوله فارسلوا وارسلهم
 فادلا دلوه قال عامر اهل اللغة يقال ادلا دلوه اذا ارسلها في البر ود كالبالقطف
 اذا نزعها من البر فادلا دلوه تدلية وادلاء اذا ارسلها ودلاها يدلوها دلوا اذا
 نزعها واخرجها ومنه الادلال وهو التوصل الى الرجل برحم منه ويشاركة في الاشتقا
 ق الاكبر الدلالة وهي التوصل الى الشئ بابانته وكشفه وحسن الدل وهو ما يدل على
 العبد من افعاله وكان عبد الله بن مسعود يشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه و
 دله وسمته فالهدى الطريقة التي عليها العبد من اخلاقه واقواله واعماله والدل
 ما يدل من ظاهره على باطنه والسمت هيئته ووقاره ورزانه والمقصود ذكر
 كيد عدو الله ومكره بالابوين قال مطرف بن عبيد قال لما اني خلقت قبلكما
 وانا اعلم منكما فانبعاني ارشدكما وحلف لهما وانما يخدع المؤمن بالله قال
 قتادة وكان بعض اهل العلم يقول من خادعنا بالله خدعنا فالؤمن غر كرم
 والفا جرب لئيم وفي الصحيح ان عيسى بن مريم راي رجلا يسرق فقال سر
 قث فقال لا والذي لا اله الا هو فقال المسيح امنث بالله وكذبت بصري وقد
 تاو له بعضهم على انه لما حلف له جوز ان يكون قد اخذ ماله فظنه المسيح سرقة
 وهذا تكلف وانما كان الله سبحانه في قلب المسيح اجل واعظم من ان يخلف به
 احد كاذبا فلما حلف له السارق دار الامر بين تمامته ونهامة بصره فردا التهمة
 الى بصره لما اجتمعت له في اليمين كما ظن ادم صدق ابليس لما حلف له بالله وقال
 ما ظننت احدا يخلف بالله كاذبا **فصل** ومركبه العجب ان يشاء النفس
 حتى يعلم اي ربي القوتين تغلب عليهما قوة الاقدام والشجاعة ام قوة التكلف والاجام
 والمهابة فان راي الغالب على النفس المهابة والاجام اخذ في تشييطه واضعافه
 ارادته عن المأمور به وثقله عليه وهون عليه تركه حتى يتركه جملة اذ يقصر فيه وينها
 ون به وان راي الغالب عليه قوة الاقدام وعلو الهمة اخذ يقلل عنده المأمور به
 انه لا يكفيه وانه يحتاج معه الى عبادة وزايده فيقصر بالاول ويتجاوز بالثاني
 قال بعض السلف ما امر الله سبحانه بامر الاو للشيطان فيه ترغتان اما الى تنزيه
 وتفصيل واما الى تجاوزا وغلو ولا يبالى بهما ظفر وقد افطع اكثر الناس الاقل
 القليل في هذين الواديين وادي التفصيل وادي المجاوزة والتعدي والقليل منهم
 جد الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه فقوم قصرهم عن

بالله

الايمان بواجبات الطهارة وقوم تجاوزهم الى مجاوزة الحد بالسواس وقوم قصرهم
 عن الاخراج الواجب من المال وقوم تجاوزهم حتى اخرجوا جميع علي ايديهم وقوم
 كلا على الناس مستشرقين الى ما يابيدهم وقوم قصرهم عن تناول ما يحتل حيون اليه من
 الطعام والشراب واللباس حتى اضر ابايادهم وقلوبهم وقوم تجاوزهم حتى اخذوا
 فوق الحاجة فاضروا بقلوبهم وابدانهم وكذا قصر بقوم في حق الانبياء ورشدهم حتى
 قتلوه وتجاوز باخرين حتى عبدوهم وقصر بقوم في خلطة الناس حتى اعتزلوهم في
 الطاعة كالجمعة والجماعة والجهاد وتعلم العلم وتجاوز بقوم حتى خالطوهم في الظلم
 والمعاصي والاثام وقصر بقوم حتى امتنعوا من ذبح عصفور وشاة لياكله وتجاوز
 باخرين حتى جرحوا على الدماء المعصومة وكذا قصر بقوم حتى منعهم من الاشتغال
 بالعلم الذي ينفعهم وتجاوز باخرين حتى جعلوا العلم وحده غايتهم دون العلم به
 وقصر بقوم حتى اطعمهم من العشب ونبات البرية دون غذا بني آدم وتجاوز باخرين حتى
 اطعمهم الحرام الخالص وقصر بقوم حتى زين لهم ترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من النكاح
 فرغبوا عنه بالكلية وتجاوز باخرين حتى ارتكبوا ما وصلوا اليه من الحرام وقصر بقوم
 حتى جفوا الشيوع من اهل الدين والصلاح واعرضوا عنهم ولم يفهموا بحقهم و
 تجاوز باخرين حتى عبدوهم مع الله وكذا قصر بقوم حتى منحهم قبول قول اهل العلم
 والاتفاق اليها بالكلية وتجاوز باخرين حتى جعلوا الحلال ما حلاله والحرام ما
 حرمه وقدموا اقوالهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحاح الصريحة وقصر
 بقوم حتى قالوا ان الله سبحانه لا يقدر على افعال عباده ولا شأها منهم ولكن هم يفعلون
 بدون مشيئته وقدرته وتجاوز باخرين حتى قالوا انهم لا يفعلون شيئا البتة وانما
 الله سبحانه هو فاعل تلك الافعال حقيقة في نفس فعله لا افعالهم والعبيد ليس لهم قد
 ر ولا فعل البتة وقصر بقوم حتى قالوا ان رب العالمين سبحانه ليس ذا خلق ولا
 خلقه ولا باينا عنهم ولا هو فوقهم ولا تحتهم ولا خلفهم ولا امامهم ولا عن ايمانهم
 ولا عن شهادتهم وتجاوز باخرين حتى قالوا هو في كل مكان بذاته كالماء الذي
 هو داخل في كل مكان وقصر بقوم حتى قالوا لم يتكلم الرب سبحانه بكلمة واحدة
 البتة وتجاوز باخرين حتى قالوا لم يزل لا وابد يقول يا ابليس ما منعك ان
 تسجد لما خلقت بيدي ويقول موسى اذهب لي فرعون فلا يزال هذا الخطاب

يا موسى

قايما به وسمو عامنه كقيام صفة الحياة به وقصر يقوم حتى قالوا ان الله سبحانه
لا يشفع احدا في احد البتة ولا يرفع احدا بشفاعته احد وتجاوز باخرين حتى زعموا
ان المخلوق يشفع عنده بغير اذنه كما يشفع ذو الحاجه عند الملوك ونحوهم وقصر
حتى قالوا ايمان افسق الناس واطلمهم كايان جبريل وميكائيل فضلا عن اليه بكر
وعمر وتجاوز باخرين حتى اخرجهوا من الاسلام بالكبيرة الواحدة وقصر يقوم حتى
نفوا حقايق اسماء الرب تعالى وصفاته وعطووه منها وتجاوز باخرين حتى شبهوه
بخلقهم ومثله بهم وقصر يقوم حتى عادوا الالهة بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقا
تلوه واستحلوا من حرمتهم وتجاوز يقوم حتى ادعوا فيهم خصا يصير النبوة
من العصمة وغيرها وربما ادعوا فيهم الالهية وكذا قصر باليهود في المسيح
حتى كذبوه ورموه وامر بما يراه الله منه وتجاوز بالنصارى حتى جعلوه ابن الله
وجعلوه الاله بعدد مع الله وقصر يقوم حتى نفوا الاسباب والقوى والطبائع و
الغرائز وتجاوز باخرين حتى جعلوها امرا لازما لا يمكن تغييره ولا تبديله وربما
جعلها بعضهم مستغلة بالناثير وقصر يقوم حتى تعبدوا بالانجاسات وهم النصارى
واشباهم وتجاوز يقوم حتى افصى بهم الوسواس الى الآصار والاعلال وهم اشبا
اليهود وقصر يقوم حتى تزنىوا للناس واظهروا لهم من الاعمال والعبادات ما يحقد فيهم
عليه وتجاوز يقوم حتى اظهروا لهم من القبايح ومن الاعمال السيئة ما يسقطون به
جاههم عندهم وسموا انفسهم الملائكة وقصر يقوم حتى اهلوا اعمال القلوب ولم
يلتفتوا اليها وعدوها فضلا او فضولا وتجاوز باخرين حتى قصر وانظروهم واعمال
لهم علمها ولم يلتفتوا الى كثير من اعمال الجوارح وقالوا العارف لا يسقط وارده لورده
وهذا باب واسع جدا لمتبعينا لبلاغ مبلغا كثيرا وانما اشرنا ان اشار **فصل**
ومن حيله ومكايد الكلام الباطل والاراء المنها فتنه والخيالات المتنافضة التي هي
زبالة الاذهان وخزانة الافكار والزياد الذي تغذف به القلوب المظلمة المتخيرة
التي تعدل الحق بالباطل والخطا بالصواب قد تقاذفت بها امواج الشبهات ورائث
عليها غيوم الخيالات فتركها القيل والقال والشك والتشكيك كثرة الجدل اليسر لها
صل من اليقين تحول عليه ولا معتقد مطابق للحق ترجع اليه يوصي بعضهم البعض
زخرف القول غرورا فقد اتخذوا لاجل ذلك القرآن مجسودا وقالوا من عند انفسهم

فقالوا

فقالوا من القول وزورا فهم في شكهم يعمون وحيرتهم يتددون بنزول كتاب الله وراع
ظلمهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ما نلت الشياطين على السنة اسلافهم من اهل الضلال
فهم اليه يتجاكفون وبه يتخاضعون فارقوا الدليل واتبعوا الهوا فقوم قد ضلوا من قبل
اضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل **فصل** ومن كيد وتجيلة على اخر اجهم من
العلم والدين ان التي على السنن ان كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين و
اوحى اليهم ان القواطع العقلية والبراهين اليقينية في النجاس الفلسفية والطرق الكلامية
فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن واحالهم على منطق يونان و
على ما عندهم من الدعاوي الكاذبة العربية عن البرهان وقال لهم تلك علوم قديمة صقلنا
العقول والاذهان وقررة عليها القرون والازمان فانظر كيف تلطف بكيد ومكر حتى اخر
جهم من الايمان والدين كاخراج الشعرة من العجين **فصل** ومن كيد ما القاه الى
جمال المنصوفة من الشطح والطامات وبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات فادعهم في
انواع الاباطيل والترزعات وفتح لهم باب الدعاوي والايالات واوحى اليهم ان وراء العلم
طريقا ان سلوكه افضى بهم الى كشف العيان واغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن
لهم رياضات النفوس وتزيينها وتصنيفه الاخلاق والتجافي عما عليه اهل الدنيا واهل الربا
سنة والفقهاء وارباب العلوم والعمل على تفرغ القلب وخلوه من كل شئ حتى ينشتر فيه الحق
بلا واسطة تعلم فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم انشتر فيه الشيطان
بحسب ما هو مستعد له من انواع الباطل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشافا
عيانا فاذا انكره عليهم ورثه الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم
ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوب
هم سلخها من الكتاب وكسنة والافكار كما ينسج الخيل من النهار ثم احالهم في سلوكهم على
تلك الخيالات واوهمهم انها من الايات البينات وانها من قبل الله سبحانه الهامات وتعرف
فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل الا بالقبول والاذعان فغير الله سبحانه كاله سبحانه
ما يفهم عليهم الشيطان من الخيالات والسطحات وانواع الهذيان وكلما ازدادوا
بعدا واعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم اعظم **فصل**
ومن انواع مكايده ومكره انه يدعوا العبد بحسن خلفه وطلاقة بصره الى انواع من
الاثام والفجور فيلقاه من لا يخلصه من شره الا بجملة والتعيس في وجهه والاعراض عنه

م

ورثة الانبياء

بالاعراض

فيحسن له العدو ان يلقاه ببشره وطلاقة وجهه وحسن كلامه فينقلبه فيروا
التخلص منه فيعجز فلا يزال العدو ويسعى بينهما حتى يصيب حاجته فدخل على العبد
بكيد من باب حسن الخلق وطلاقة الوجه ومن هاهنا وصي اطبا القلوب بالاعراض
عن اهل البدع وان لا يسلم عليهم ولا يراهم طلاقه وجهه ولا يلقاهم الا بالعبوس والاعراض
من وكذا وصوا عند لقائهم يخاف الفتنة بلباقه من النساء والمردان وقالوا متى كشفت
للمرأة او الصبي عن بياض اسنانك كشفت لك عما هنا لك ومتى تلقيت بها بوجه عابس
وقيت شرها ومن مكابده انه يامر ان تلقا المساكين وذوي الحاجات بوجه عيول
ولا ترهم بشرا ولا طلاقه فيطرحوا فيك ويتجرعوا عليك وتسقط هيبتك من قلوبهم فيجر
مكصالح ادعيهم وميل قلوبهم اليك ومحبتهم لك فيامر بك بسوء الخلق ومنع البشر
الطلاقة مع هؤلاء بحسن الخلق والبشر مع اولئك يفتح لك باب الشر ويغلق عليك باب
الخير **فصل** ومن مكابده انه يامر باعزاز نفسك وصوتها حيث يكون في
الرب تعالى في اذلالها وابذلها لاجلها والكفار والمنافقين وامر الفجار والظلمة بالعرف
ونهيهم عن المنكر فيخجل اليك ان ذلك تعرض نفسك الى مواطن الذل وتسليط الاعدا
وطعنهم فيك فيزول جاهك فلا يقبل منك بعد ذلك ولا يسمع منك ويامر بك باذلالها وانها
نما حيث تكون مصلحتها في اعزازها وصيانتها كما يامر بالتبذل لذوي الرياسات واهل
المنزلة نفسك لهم ويخجل اليك انك تعزها به وترفع قدرها بالذل لهم ويذكر كقول الشاعر
اهين لهم نفسي لا رفعيها بهم **فصل** ولن تكرم النفس التي لا تمنيتها
وغلط هذا القائل فان ذلك لا يصلح الا لله وحده فانه كلما اهان العبد نفسه له
اكرمه واعزه بخلاف المخلوق فانك كلما اهنت نفسك له ذلت عند الله وعند اهل
لبايبه وهنت عليه **فصل** ومن كيد وخذاعة انه يامر الرجل بالنقطاع عن
مسجد اورباط او زاوية او تربة ويحبسه هناك وينهاه عن الخروج ويقول له
متى خرجت تبذلت للناس وسقطت من اعينهم وذهبت هيبتك من قلوبهم و
رجا ترى في طريقك منكر او للعدو في ذلك مقاصد خفية يريد بها انه الكبر
واحتقار الناس وحفظ الناموس وقيام الرياسة ومخالطة الناس فذهب
ذلك وهو يريد ان يزار ولا يزور ويقصد الناس ولا يقصدهم ويفرج مجيها الاما
اليه واجتماع الناس عنده وتقبيل يده فيترك من الواجبات والمستحبات والقربا

انك

ما يقربه

ما يقربه الى الله ويتحوض عنه بما يقرب الناس اليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخرج الى السوق قال بعض الحفاظ وكان يشتري حاجته ويحملها بنفسه ذكره ابو
الفرج ابن الجوزي وغيره وكان ابو بكر يخرج الى السوق يحمل الثياب فيبيع ويشترى
ومر عبد بن سلام وعلي راسه حزمة حطب فقيل له ما حملك على هذا وقد اغناك الله
فقال اردت ان ادفع به الكبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة
عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر وكان ابو هريرة يحمل الحطب غيره من حوايجهم
بنفسه وهو امير المدينة ويقول افسحوا لاميكم افسحوا لاميكم وخرج عمر بن
الخطاب يوما وهو خليفة في حاجته له ماشيا فاعيا فراه غلاما على حمالة فقال
يا غلام احملني فقد اعيتت فنزل الغلام عن الدابة وقال اركب يا امير المؤمنين فقال
لا اركب انت وانا خلفك فركب خلف الغلام حتى دخل المدينة والناس يرونه
فصل ومن كيد انه يغري الناس بتقبيل يده والتسبيح به والشا عليه و
سواله الدعاء ونحو ذلك حتى يرى نفسه ويعجبه شأنا فلو قيل له انك من اولاد الارض
وبك يدفع البلاء عن الخلق ظن ذلك حقا ورعا قيل انه يتوسل به الى الله ويسال الله
به ويجرمه فيقضي حاجتهم فيقع ذلك في قلبه ويفرج به ويظنه حقا وذلك الهلك كل
الهلك فاذا رأى من احد من الناس تجافيا عنه او قللة خضوع له تذر لذلك وجدا
في باطنه وهذا من ارباب الكبار المصيرين عليها وهم اقرب الى السلاعة منه
فصل ومن كيد انه يحسن الى ارباب التجلي والزهد والرياضة العمل
بها جسمهم وواقفهم دون تحكيم امر الشارع ويقولون القلب اذا كان محفوظا مع
كانت هواجسه وخواطره معصومة من الخطا وهذا من ابلغ كيد العدو وفيهم فان
الخواطر والهواجس ثلاثة انواع رحمانية وشيطانية ونفسانية كالرويا فلو بلغ
العبد من الزهد والعبادة ما بلغ فحة شيطانه ونفسه لا يفارقانه الى الموت والشيطان
يجري من ابن ادم حجر الدم والعصاة انما هي للرسل صلوات الله وسلامه عليهم الذين
هم وسايط بين الله وبين خلقه في تبليغ امره ونهيهم ووعده ووعيدهم ومن عداهم
يصيب ويخطي وليس يحج على الخلق وقد كان سيد المحمدين الملم بهم عن الخطا
يقول الشئ فيرده عليهم من هودونه فينبين له الخطا فيرجع اليه وكان يعرض هوا
جسه وخواطره على الكتاب والسنة ولا يلتفت اليها ولا يحكم بها ولا يعمل بها وهو
لا الجمال يراهم احدى شي فيحكم هواجسه وخواطره على الكتاب والسنة

عنه

ولا يلتفت اليهما ويقول حدثني قلبي عن ربي ونحن اخذنا عن النبي الذي لا يموت وانتم
 اخذتم عن الوسائط ونحن اخذنا بالحقايق وانتم اتبعتم الرسوم وامثال ذلك من الكلا
 الذي هو كفر والحاد وغاية صاحبه ان يكون جاهلا يعذر بجهله حتى قيل لبعض هؤلاء
 لا انتذهب فتسمع الحديث من عبد الرزاق فقال ما يصنع بالسماح من عبد الرزاق من يسمع
 من الملك الخلاق وهذا غاية الجهل فان الذي يسمع من الملك الخلاق موسى بن عمران عليه السلام
 واما هذا وامثاله فلم يحصل لهم السماح من بعض ورثة الرسول وهو يدعي انه يسمع الخلق
 من مرسله فيستغني به عن ظاهر العلم والعمل الذي يحتاج اليه هو الشيطان او نفسه الجاهل
 هله اوهاا مجمعين ومنفردين ومن ظن انه يستغني عما جابه الرسول بما يلقى في قلبه
 من الخواطر والهوا جس فهو من اعظم الناس كفرا وكذا كل من ظن انه يستغني
 بهذه تارة وبهذه تارة فما يلقى في القلوب من الاغربة ولا التفات اليه ان لم يعرض عما
 جابه الرسول صلى الله عليه وسلم ويشهد له بالواقعة والا فهو من الغناء النفس والشيطان
 وقد سئل عن مسعود عن مسالة المفوضة شهر فقال بعد الشهر اقول فيما يراي
 فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله يري منه ورسوله وكتب
 كاتبه لعمري بين يديه هذا ما اري الله عمر بن الخطاب فقال لا احمه واكتب هذا ما اري عمر
 وقال عمر ايضا ايها الناس انتمو الراي على الدين فقد رايتني يوم ابي جندل لو استطاع
 ان ارد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم رد دة وانما هم الصميمة الرايتم كثير مشهور وهم ابر
 الامة قلوبا واعفها علما وابعدها من الشيطان فكانوا اتبع الامة للسنة واشهدهم انها
 ما الرأىهم وهؤلاء ضد ذلك واهل الاستقامة منهم سلكوا على الجادة ولم يلتفتوا الى شي
 من الخواطر والهوا جس والالهامات حتى يقوم عليها شاهدان قال الجعيد قال ابو شي
 الداراني ربما تقع في قلبي النكته من نكته القوم ايا ما فلا اقبلها الا بشا هدين عدلين
 من الكتاب والسنة وقال ابو يزيد لو نظرت الى رجل اعطيت من الكرامات حتى يرتفع في الهوا
 فلا تغتر وابه حتى تنظر وكيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود وقال ايضا
 من ترك قراءة القرآن ولزوم الجماعة وحضور الجنائز وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن
 فهو مدع وقال سري السقطي من ادعيا باطن علم ينقذه ظاهرا حكم فهو غلط وقال
 الجعيد مذهبنا هذا مقيد بالاصول بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ الكتاب ويكتب
 الحديث ويتفقه لا يفتد به وقال ابو بكر الدقاق من ضيع حدود الامر والنهي في الظاهر
 هرحم مشاهدة القلب في الباطن وقال ابو الحسين النوري من رايته يدعي مع انه حالة

ج
فلقد

تخرج

تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تغربه ومن رايته يدعي حالة لا يشهد لها حفظ
 ظاهر فائمه على دينه وقال ابو سعيد الخزاز كل باطن يخالف ظاهر فهو باطل و
 قال الجري امرنا هذا كله مجموع على امر واحد ان تلزم قلبك المراقبة ويكون العلم على
 ظاهره كايما وقال ابو حفص الكبير الشأن من لم يزن افعاله واحواله بالكتاب
 والسنة ولم ينهم خواطره فلا تعدوه في ديوان الرجال وما احسن ما قال ابو احمد
 الشيرازي كان الصوفية يستخرون من الشيطان والان الشيطان يستخرونهم ونظير
 هذا قالا قاله بعض اهل العلم كان الشيطان فيما مضى ينمب من الناس واليوم الرجل
 الذي ينمب من الشيطان **فصل** ومن كيد امرهم يلزوم زي واحد وهنة
 ومشيئة معينة وشي معين وطريقة مخترعة ويفرض عليهم لزوم ذلك بحيث يلزونه
 كلزوم الفرائض فلا يخرجون عنه ويقدر حوت فيمخرجونه ويذمونه وربما يلزوا
 احدهم موصفا معين للصلاة ولا يصلي الا فيه وقد روي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يو
 طن الرجل المكان للصلاة كما يوطئ البعير ركركرك احداهم ان لا يصلي الا على سجا
 دة ولم يصل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سجادة قط ولا كانت السجادة تفرش بين يديه
 بل كان يصلي على الارض وربما سجد في الطين وكان يصلي على الحصى فيصلي على ما يقع
 بسطه فان لم يكن ثم شي صلي على الارض وهو لا اشتغلوا بحفظ الرسوم عن الشر
 والحقيقة فصاروا واقفين مع الرسوم المبندة ليسوع اهل الفقه والام اهل الحقايق
 فصاحب الحقيقة اشد شي عليه التبع بالرسوم والوضعية وهي من اعظم المحجبين قلبه
 وبين الله فتي تعبدت احبس بها قلبه عن سيره فكان احسن احواله الوقوف معها
 ولا وقوف في السير بل اما تقدم واما تاخر كما قال الله لمن شأتم ان يتقدم او يتاخر
 فلا وقوف في الطريق انما هو ذهاب وتقدم او رجوع وتاخر ومن تأمل هدي رسول
 صلى الله عليه وسلم وسيرته وجد وجوه منا قضا لهدى هؤلاء فانه كان يلبس قميص تارة
 والقبان تارة والجنة تارة والازار والردان تارة ويركب البعير وحده ومرد وفا ويركب الفرس
 مسرجا وعريانا ويركب الحمار وياكل ما حضر ويجلس على الارض وعلى الحصى تارة
 وعلى البساط تارة ويمشي وحده تارة ومع اصحابه تارة وهدى عدم التكلف وعلا
 التعبد بغير امر به ربه فبين هديه وبين هؤلاء ابون الجعيد **فصل**
 ومن كيد الذي يبلغ به من الجهال ما بلغ الوسواس الذي كادهم به في امر الصلاة
 والصلاة عند عقدة النية حتى القاهم في الاصابة الاغلال واخرجهم عن اتباع

مكية
الوسواس

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيل الى احدكم ان ما جاء به السنة لا يكفي حتى يضم
اليه غيره فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد والتعيا المحاضر وبطلان الاجر وتقصيه
ولا ريب ان الشيطان هو الذي اعياى الوساوس فاهله قد اطاعه الشيطان ولبوا
دعوته واتبعوا امره ورغبوا عن اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقه حتى ان
احدكم ليرى انه اذا توضا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم او اغتسل كما هو غتسل لم يطهر لم
يرتفع حديثه ولو لا العذر بالجهل لكان هذا مشاققة للرسول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتوضا بالماء وهو قريب من ثلث رطل بالماء مشقي ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل و
ثلث والموسوس يرى ان ذلك القدر لا يكفي لغسل يديه وصح عنه انه توضا مرة ولم
يزد على ثلاث بل اخبر ان من زاد عليها فقد اساء وتعدى وظلم فالموسوس مبي
ظالم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يتقرب الى الله بما هو مبي به متعدي فيه
لحدوده وصح عنه انه كان يغتسل وهو عائشة من قصعة بينهما فيها اثر العجين
ولو راى الموسوس من يفعل هذا لا نكر عليه غاية الانكار وقال ما يكفي هذا القدر
لغسل اثنين كيف والعجين يحلله الماء فيغيره هذا والمرشاش ينزل في الماء فينجسه
عند بعضهم ويفسده عند آخرين فلا تصح به الطهارة وكان صلى الله عليه وسلم يفعل
ذلك مع عائشة مثل يمونه وام كلثوم وهذا كله في الصحيح وثبت ايضا في الصحيح عن
ابن عمر انه قال كان الرجال والنساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضون من
اناء واحد والانيه التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وازواجه واصحابه ونساء
يغتسلون منها لم تكن من كبار الانبياء ولا كانت لها مادة تمدها كانبوب الحمام ونحوه
ولم يكونوا يراعون فيضائها حتى يجري الماء من حافتها كما يراعيه جمال الناس من بلي بالو
سواس في جرن الحمام فهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي من رغب عنه فقد رغب عن
سنة جواز الاغتسال من الحياض والانيه وان كانت قصعة غير فائضة ومن انظر
الموض حتى يفيض ثم استعمله وحده ولم يمكن احدا ان يشاركه في استعماله فهو مستند
في مخالفة الشريعة قال شيخنا ويستحق التعزير بالبليخ الذي يزرجه وامثاله عن ان
يشترعوا في الدين ما لم ياذن به الله ويعبدوا الله بالبدع لا بالاتباع ودلت هذه
السنن الصحيحة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لم يكونوا يكثر من
صلى الماء ومضى على هذا التابع لهم باحسان قال سعيد بن المسيب في الا
ستنجي من كوز الحب والتوضا وافضل منه لاهلي قال الامام احمد من فقه الرجل
قله ولو غره بالماء وقال المروذي وضيت ابا عبد الله بالعسكر فسترته من الناس

غيره

لثلاث

يقال

لثلاث يقولوا انه لا يحسن الوضوء قلعة صبه الماء وكان احمد يتوضا لثلاث لا يكفى حتى يفيض
ثبت عنه في الصحيح انه توضا من اناء فادخل يده فيه ثم تمضمض واستنشق وكذلك
كان في غسله يدخله يده في الاناء وينتاول الماء منه والموسوس لا يجوز ذلك ولعله ان
يحكم بنجاسة الماء وسلبه طهره يرينه بذلك وبالجملة فلا نطأ وعه نفسه لا يتابع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وان ياتي على ما في به ابدا وكيف يطأ وعه الموسوس نفسه ان يغتسل
هو وامرأة من اناء واحد قدر الفرق قريبا من خمسة ارطال بالماء مشقي نجسان ايديهما
فيه ويغريان عليهما فالموسوس يشمئز من ذلك كما يشمئز المشرک اذا ذكر الله وحده
قال اصحاب الوساوس انما حملنا على ذلك الاحتياط لديننا والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم
دع ما يربك الى ما لا يربك وقوله من اتى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه وقوله لا
ثم ما حاك في الصدور وقال بعض السلف الاثم حوازل القلب وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم
تمرة فقال لولا اني اخشى ان تكون من الصدقة لاكلتها افلا تركتها ترك اكلها احتياطا
وقد افتي مالك من طلق امراته وشك هل هي واحدة ام ثلاث بانها ثلاث احتياطا
للفروج وافتي من حلف بالطلاق ان في هذه الورة حبتين وهو لا يعلم ذلك فكان الامر
كما حلف عليه انه حانت لانه حلف على ما لا يعلم وقال فيمن طلق واحدة من نسائه
ثم انسيها تطلق جميع نسائه احتياطا وقطعا للشك وقال اصحاب مالك فيمن حلف
بيمين ثم انسيها انه يلزمه جميع ما يحلف به عادة فيلزمه الطلاق والعقاق والصدقة
ثلث المال وكفارة الظهار وكفارة اليمين بالله والحج ماشيا ويقع الطلاق في جميع
نسائه ويعتق عليه جميع عبده وامائه وهذا احد القولين عندهم وحذهب مالك
ايضا اذا حلف ليفعل كذا انه على حنث حتى يفعله فيحال بينه وبين امراته اذا
كان حالفا بالطلاق حتى يفعل فاذا فعل خلى بينه وبين امراته وحذهب ايضا اذا
قال الذبح اس الحول فانت طالق ثلاثا انما تطلق في الحال وهذا كله احتياطا
وقال الفقهاء من خفي عليه موضع النجاسة من الثوب وجب عليه غسله كله وقالوا
اذا كان معه ثياب ظاهرة وتنجس منها ثياب وشك فيها صلى في ثوب بعد ثوب
بعد النجس وزاد صلاة ليتيقن براءة ذمته وقالوا اذا اشتبهت الاواني
الطاهرة بالنجسة اراق الجميع وييم وكذلك اذا اشتبهت عليه القبلة فلا يدري
في اي جهة فانه يصلي اربع صلوات عند بعض الائمة لئلا يراذمه بيقين وقالوا
من ترك صلاة في يوم ثم نسيها وجب عليه ان يصلي خمس صلوات وقد مر في النبي صلى الله عليه وسلم

من شك في صلاته ان يبني على اليقين وحرم اكل الصيد اذا شك صاحبه هل
ما ذبحه او غيره كما اذا وقع في الماء وحرم اكله اذا خالط كلبه كلبا اخر للشك
في تسميته صاحبه عليه وهذا باب يطول تتبعه فالاحتياط والاحتياط باليقين غير
مستنكر بالشرع وان سميتموه وسواسا وكان عبد بن عمر يغسل داخل عينيه في الطهارة
رأه حتى غي وكان ابو هريرة اذا توضأ اشترط في العضد اذا غسّل رجله اشترط
في الساقين فتحن اذا احتطنا لانفسنا واخذنا باليقين وثم ما يرب الى ما لا يرب
وتركنا المشكوك فيه للتيسير المعلوم وتجنبنا محل الاشتباه لم تكن بذلك عن الشريعة
خارجين ولا في البدعة والجين وهل هذا الاخير من التيسير والاسترسال حتى لا
يبالي العبد بدنيته ولا يحاط له بل يسهل الاشياء ويمشي حالها ولا يبالي كيف توضأ
ولا بآي ماء توضأ ولا بآي مكان صلي ولا يبالي ما اصاب ثوبه وذيله ولا يسأل
عما عهد بل يتخاف ويحس ظنه فهو ممل له بدنه فلا يبالي ما شك فيه ويحمل الامور
على الطهارة وربما كانت الفحش النجاسة ويدخل بالشك ويخرج بالشك فافين
هذا من استقصي في فعل ما امر به واجتهد فيه حتى لا يحمل بشي منه وان زاد
على المأثور فافنا قصده بالزيادة تكميل المأثور وان لا ينقص منه شي قالوا وجماع
ما تنكرونه علينا احتياط في فعل ما مورا واحتياط في اجتناب محظور وذلك
خير واحسن عاقبة من التهاون بهذين فانه يفضي غالبا الى النقص من الواجب
والدخول في المحرم واذا اوزنا بين هذه المفسدة ومفسدة الوسواس كانت
مفسدة الوسواس اخف هذا ان ساعدناكم على تسميته وسواسا وانما تسميته احتيا
طا واستظها را فلسفتم باسعد منا بالسنة ونحن حولها نندون وتكملها نريد ق
الاهل الاقتصاد والاتباع قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوا يحبكم الله
وقال تعالى واتبعوا لعلمكم ثم تدرون وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون وهذا الصراط
المستقيم الذي وصانا با اتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله
عليه وآله واصحابه وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبل الجارية قاله
من قاله لكن الجور قد يكون جورا عظيما عن الصراط وقد يكون يسيرا وبين
ذلك مراتب لا يحصيها الا الله وهذا كالطريق الحسي فان السالك قد يعدل

عنه ويجور جورا فاحشا وقد يجور دون ذلك فالميزان الذي تعرف به الاستقامة
على الطريق والجور عنه هو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه رضي
الله عنهم والجار عنه اما فطر ظالم او مجتمعا واولا ونقله جاهل فنهضة المستحق
للعقوبة ومنهم المغفور له ومنهم لما جاور احدا بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهاد
هم في طاعة الله وسوله او تفريطهم ونحن نسوق من هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا
اصحابه ما بين اي الفريقين اولي با اتباعه ثم تحجب عما احتجوا به بعون الله وتوفيقه
ونقدم قبل ذلك النهي عن الغلو وتعد الحدود والاسراف وان الاقتصاد والاعتصام
بالسنة عليهم ما دار الدين قال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم وقال تعالى ولا تسرفوا انه لا
يحب المسرفين وقال تعالى لا تعبدوا الله فلا تعبدوها وقال ادعواكم بكم تضرعوا وخيفة
انه لا يحب المعتدين وقال تعالى ولا تعبدوا الله ولا يحب المعتدين وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لم غداة العقوبة وهو على ناقته القطي حصا فلقطت له سبع
حصيات من حصا الخنز فجعل يفضهن في كفه ويقول انما هو لاء فارموا ثم قال
يا ايها الناس اياكم والغلو في الدين فانما اهداكم الله من قبلكم الغلو في الدين رواه
الامام احمد والنسائي وقال النسائي قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشددوا على انفسكم
في شدة الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقايا
هم في الصوامع والديار وهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فنهى صلى الله عليه وآله
عن التشدد في الدين وذلك بالزيادة على المشرع واخبر ان تشدد العبد على نفسه
هو السبب لتشدد الله عليه اما بالقدر اما بالشرع والتشديد بالشرع كما يشدد
على نفسه بالانذار الثقيل فيلزمه الوفا به والقدر كفعل اهل الوسواس فانهم شدد
دوا على انفسهم فشدد عليهم القدر حتى استحكم فلك وصار صفة لازمة لهم قال البخاري
ويذكر اهل العلم الاسراف فيه يعني الوضوء ان يجاوزوا فعل النبي صلى الله عليه وآله
وقال ابن عمر اسباب الوضوء الاتقا فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين والاعتصام
بالسنة قال ابن عمر كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما من عبد على السبيل والسنة
ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله الاتحاش عنه خطايا كما يتحاش عن
الشجرة اليابسة ورقها وان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف
سبيل وسنة فاحرصوا اذا كانت اهلكم اقتصادا ان تكونوا على علم بالانبياء
وسنتهم قال الشيخ ابو محمد المقدسي في كتابه ذم الوسواس الحمد لله الذي هدانا

ذكره

بهنه وشرفنا محمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته ووفقنا للاقتداء به والتمسك
بسننه ومرو علينا باتباعه الذي جعله علما على عباده ومغفرة وسببا للكفاية وحسنه
وحصول هدايته فقال سبحانه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم
ذنوبكم وقال تعالى وحقى وسعت كل شيء فساكنتم بالذين يتفكرون الى قوله يستمعون الرسول
النبى الامى ثم قال فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوا
لعلمكم تلقون من ربكم تباركا فان الله سبحانه جعل للسلطان عدوا وللانسان
يقعد له الصراط المستقيم وباتية من كل جهة وسبيل كما اخبر الله تعالى عنه انه قال
لا تعبدن لهم صراطك المستقيم ثم لا يبينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمايلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وحذرنا الله تعالى من متابعتهم وامرنا بعبادته و
مخالفتهم فقال سبحانه ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال يا بني ادم لا
يغتنمك الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة واخبرنا بما صنع بابوينا تحذير لنا من
طاعته وقطعا للعدو في متابعتهم وامرنا الله تعالى باتباع صراطه المستقيم
ونحن ناعن اتباع السبيل فقال سبحانه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله وسبيل الله وصراطه المستقيم هو الذى كان عليه
رسول الله واصحابه صلى الله عليه وعلى اله وسلم بدليل قوله عز وجل يس والقرآن
الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم قال وانك لعلى هدى مستقيم وقال انك
لتمهدي الى صراط مستقيم فمن اتبع رسولا الله صلى الله عليه وسلم في قوله وافعله فهو على
صراط الله المستقيم وهو ممن يحببه الله ويغفر له ذنوبه ومن خالفه في قوله
او فعله فهو مبتدع متبع لسبيل الشيطان غير داخل فيمن وآله بالجنة والمغفرة
والاحسان **فصل** ثم ان طائفة الموسوسين قد تحقق منهم طاعة الشيطان
حتى انصرفوا بسوسه وقبلوا قوله واطاعوه ورغبوا عن اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصحابته حتى ان احدهم ليرى انه اذا توضا وضوء رسول الله
او صلى كصلاته فوضوه باطل وصلاته غير صحيحة ويرى انه اذا فعل مثل فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواكفة الصبيان واكل طعام عامة المسلمين انه قد صا
ر نجسا يجب عليه تسبيح يده وفيه كمال وقع فيما كلب ارباب علمها هم ثم انه بلغ
من استيلا ابليس عليهم انهم اجابوه الى ما يشبه الجنون ويقارب منه هيب السوء

فسطاطيه الذى يتكبرون حقائق الموجودات والامور المحسوسات وعلم الانسان
بحال نفسه من الامور الضرورية يات اليقنيات وهو لا يغفل احدكم عنونه
غسلا يشاهد بصره ويكبر ويقرأ بلسانه بحيث سمعه اذناه ويعلم بقلبه بل
يعلم غيره منه ويتيقنه ثم يشك هل فعل ذلك ام لا وكذلك يشك الشيطان في
نيته وقصده الذى يعلمها من نفسه ليقين بل يعلمها غيره منه بقرائن احواله ومع
هذا يقبل قول ابليس في انه مانوك الصلاة ولا ارادها مكابرة منه لحياته ومجدا
ليقين نفسه حتى تراه متلدا متحيرا كأنه يعالج شيئا يجنزه او يجد شيئا في با
طنه يستخرجه كل ذلك مبالغه في طاعة ابليس وقبول من وسوسته ومن انتمت
طاعته لابليس الى هذا الحد فقد بلغ النهاية في طاعته ثم يقبل قوله في تعذيب نفسه
ويطبعه في الاضرار بحسده نارة بالغوص في الماء البارد ونارة بكثرة استعماله واطا
لثة العرك وربما فتح عينيه في الماء البارد وغشيل داخلها حتى يضرب بصره وربما فاضى
الى كشف عورته للناس وربما صار الى حال يستغربه الصبيان ويستنمزي به من يراه
قلت ذكر ابو الفرج بن الجوزي عن ابي الوفاء بن عقيل ان رجلا قال انفس في الماء
مرارا كثيرة واشكر هل صبح الفسলাম لا فمات في ذلك فقال له الشيخ اذهب فقد
سقطت عند الصلاة قال وكيف قال لان النبى صلى الله عليه وسلم قال رفع العلم عن ثلاثة المجنون
حتى ينفق والنايم حتى يستيقظ والصبي حتى يبلغ ومن يغتر في الماء مرارا فيشك هل اصاب
به الماء ام لا فهو مجنون قال وربما شغله بسواسه حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت و
يشغله بسوسه في انية حتى يفوته التكية الاولى وربما فوت عليه ركعة او اكثر ومنهم من
يحلف انه لا يزيد على هذا ثم يكذب **قلت** وحكي لي عن ابيه عن موسوس عظيم رايته يكبر
عقد انية مرارا عديدة فيشق على المامونين مشقة كبيرة فعرض له ان حلف بالطلاق انه
لا يزيد على تلك المرة فلم يده ابليس حتى زاد ففرق بينه وبين امراته فاصابه لذلك ثم شدد
واقاما متفرقين دهر اطول حتى تزوجت تلك المرأة رجلا اخر وجاء منها ولد ثم انه
في عيى حلفها ففرق بينهما ووردت الى الاول بعد ان كاد يثلف لمفارقتها وبلغني عن اخر كان
شديدا الشطخ في التلفظ بالنية والتعريف في ذلك فاشتد به الشطخ والتعريف الى ان قال
اصلي اصلي مرارا صلاة كذا وكذا واراد ان يقول ادع الله فاعجم الدال وقال ادع الله فقط
الصلاة وجل الى جانبه فقال ولرسوله وملائكته وجماعة المصلين قال ومنهم من ينسوس
في اخراج الحرف حتى يكر مرارا قال فرأيت منهم من يقول الله اكبر قال وقال

له

لج الانسان منهم قد عجزت عن قول السلام عليكم فقلت قل مثل ما قد قلت الان وقد استرح
وقد بلغ الشيطان منهم ان عذبهم في الدنيا والاخرة واخرجهم عن اتباع الرسول وادخلهم
في جملة اهل النطع والغلر وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فمن اراد التخلص من هذه
البلية فليستشعر ان الحق في اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله وفعله وليعزم على
سلوك طريقه عزيمته من لا يشك ان على الصراط المستقيم وان ما خالفه من شواهد البس
ووسوسته ويوقن انه عدوله لا يدعوه الى خيرا انما يدعوه الى حربه ليكونوا في اصحاب
السعيرو وليترك التفرج على كل ما خالف طريقه رسول الله صلى الله عليه وآله ولم كانا ما كان فانه
لا يشك ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان على الصراط المستقيم ومن شك في هذا فليس
بحسب ومن علمه قال ابن العزولي عن سننه واي شيء يبغني العبد عن طريقه ويقول لنفسه
المست تعلمين ان طريقه رسول الله صلى الله عليه وآله هي الصراط المستقيم فاذا قالت بلى
قال لها فهل كان يفعل هذا فستقول لا فقل لها فاذا بعد الحق الا الضلال وهل كان بعد طريق
الحجة الا طريق النار وهل بعد سبيل الله وسبيل رسوله الا سبيل الشيطان فان اتبع سبيله
فانتهى قريته وسئلوا من ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولننظر احوال
السلف في متابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله فلم نلق منهم ولا تحذير طريقهم فقد روي
عن بعضهم انه قال لقد هممت بقدرتي قوم لولم يتجاءروا بالوضوء الظفر ما تجاءروا فقلت
هو ابراهيم عليه السلام الخفي وقال زين العابدين يوما لابنه يا بني اتخذ لي ثوبا لبسه عند قضا
الحاجة فان الذباب يسقط على الشيء ثم يقع على الثوب ثم انبته فقال ما كان للنبي صلى
الله عليه وآله واصحابه الا ثوب واحد فتركه وكان عمر رضي الله عنه بهم بالامر ويعزم عليه
فاذا قيل لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله ولم انتهى حتى انه قال لقد هممت ان اغني عن لبس
هذه الاشياء فانه بلغني انها تصبغ ببول العجايز فقال له ابو جالح ان تنهي فان رسول الله
صلى الله عليه وآله قد لبسها ولبس في زمانه ولو علم الله ان لبسها حراما لبسها بالرسول
فقال عمر صدقت ثم لبس ان الصحابة ما كان فيهم موسوس ولو كانت الوسوسة فضيلة
لما اذخرها الله عن رسوله وصحابته وهم خير الخلق وفضلهم ولو ادرى رسول الله
صلى الله عليه وآله الموسوسين لمقتنهم ولو ادرى كرم عمر لضرهم وادبهم ولو ادرى كرمهم
الصحابة لم يدعهم وهذا اذا ذكر ما جاء في خلاف مذهبه على تفسير الله فضلا
الفصل الاول في النية في الطهارة والصلاة النية هي القصد
الحزم على فعل الشيء ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان اصلا وكذا كذا لم ينقل عن
النبي صلى الله عليه وآله ولا عن اصحابه في النية لفظ بحال ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك

وهذه

وهذه العبادات التي احدثت عند افشاح الطهارة والصلاة قد جعلها الشيطان معتركا
لاهل الوسواس يحسبهم عندها ويعذبهم فيها ويوقعهم في طلب تصحيحها فتزوي احد
هم يكررها ويجهل نفسه في التلغظ بها وليس من الصلاة في شيء وانما النية قصد
الشيء فكل عازم على فعله فلو نوى لا ينصرف انفا كما ذكر ذلك عن النبي فانه حقيقته
فلا يمكن عدمها في حال وجودها ومن تعد لينتوضا فقد نوى الوضوء ومن قام ليصلي
فقد نوى الصلاة ولا يكاد العاقل يفعل شيئا من العبادات ولا غيرها بغير نية
فالنية امر لازم لا فعال الانسان المقصود لا تحتاج الى تعب ولا تحصيل ولو اراد
اخلا فاعلم الاختيارية عن نية العجز عن ذلك ولو كلفه الله الصلاة والوضوء بغير
نية لكلفه ما لا يطيق ولا يدخل تحت وسعته وما كان هكذا فما وجه التعب في
تحصيله وان شك في حصول نية فهو نوع جنون فان علم الانسان بحال نفسه
امريقيني فكيف يشك فيه عاقل من نفسه ومن قام ليصلي صلاة الظهر خلف الامام
فكيف يشك في ذلك ولو دعاه داع الى شغل في تلك الحال لقال اني مشغول اريد
صلاة الظهر ولو قال له قائل في وقت خروجه الى الصلاة ان تمضي لقال اريد
اصلي صلاة الظهر مع الامام فكيف عاقل في هذا من نفسه وهو يعلم يقينا بل لا
عجب من هذا ان غيره يعلم نية بقراين الاحوال فانه اذا راى انسانا ناجا لسا في
الصف وقت الصلاة عند اجتماع الناس علم انه ينظر الصلاة واذا راه قد قام
عند اقامتها ونهوض الناس اليها علم انه انما قال ليصلي فان تقدر بين يدي
المامومين علم انه يريد ما هم فان راه في الصف علم انه يريد الانضمام قال فاذا
كان غيره يعلم نية الباطنة بما ظهر من قراين الاحوال فكيف يحتملها من نفسه مع
اطلاعه هو على باطنه فقبوله من الشيطان انه ما نوى قصد بقوله في عهد العيان
وانكار الحقائق المعلومة يقينا ومخالفة الشرع ورغبة عن السنة وعن طريق
الصحابة ثم ان النية الحاصلة لا يمكن تحصيلها والموجودة لا يمكن ايجادها
لان من شرط ايجاد الشيء كونه معدوما فان ايجاد الموجود محال واذا كان
كذلك فما يحصل له بوقفه شيء ولو وقف الف عام قال ومن العجب انه ينشئ
حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع كبر مرارا وادركه فسلم
تحصل له النية في الوقوف الطويل حال فراغ باله كيف يحصلها في الوقت الضيق
مع شغل باله بفوات الركعة ثم ما يطلبه اما ان يكون سهلا او عسيرا فان كان

سبب لا فكيف يحسره وان كان عسيرا فكيف قيسره عند ركوع الامام سواء
وكيف خفي ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من اولهم الى اخرهم والتابعين ومن
بعدهم وكيف ينسبه له سوا من استحوذ عليه الشيطان فيظن بجهله ان الشيطان
ناصح له اما علم انه لا يدعوا الى هدى ولا يهدي الى خير وكيف يقول في صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وسائر المسلمين الذين لم يفعلوا فعل هذا الموسوس اهي ناقصة
عنده مفضولة ام هي النافذة الفاضلة فادعاه الى مخالفتهم والرغبة عن طريقهم
فان قال هذا مرض بليست به قلنا نعم سببه قبوله من الشيطان ولم يعذر الله احد
بذلك الا ترى ان ادم وحوا لما وسوس لهما الشيطان فقبلا منه اخراجا من الجنة
ونودي عليهما بما سمعت وهما اقرب الى العذر لانهما لم يتقدم قبلهما من
يعتبران به وانما فقد سمعت وحذر الله من قننته وبين لك عداوته واد
ضع لك الطريق فما لك عذروا لاجنة في ترك السنة والقبول من الشيطان
قلت قال شيخنا ومن هو الذي ياتي بعشر بدع لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا احد من اصحابه واحدة منها فيقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم نويت
اصلي صلاة الظهر فربضه الوقت اداء الله كما اما او ما هو ما رجع ركعات
مستقبل القبلة ثم يزعج اعضائه ويحني جبهته ويقوم عرو وعينه ويصرخ
بالتكبير كأنه يكبر على العدو ولو مكث احدهم عمرفوخ فيفتش هل فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم او احد من اصحابه شيئا من ذلك لما ظفروا الا ان يجاهر بالكذب
البحث فلو كان في هذا خير لمسبقونا اليه ولدلونا عليه فان كان هذا هدى
فقد ضلوا عنه وان كان الذي كانوا عليه هو الهدى والحق فماذا بعد الحق الا الضلال
ل قال ومن اصناف الوسواس ما يفسد الصلاة مثل تكرير بعض الكلمة كقوله
في التحيات ان ات المتحي المتحي وفي السلام اسراس وقول في التكبير الككب
وتحوة ذلك في هذا الظاهر بطلان الصلاة به وربما كان اما ما فاسد صلاة
الما مومنين وصارت الصلاة التي هي من اكبر الطاعات اعظم الجادات عن الله
من التكبير وما لم يبطل الصلاة من ذلك فكروه وعدول عن السنة ورغبة عن
طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدية وما كان عليه اصحابه وربما رفع صوته بذلك
فاذى سامعيه واغرى الناس بذهمه والوقية فيه تجمع على نفسه طاعة ابليس

ومخالفة السنة واركاب شر الامور ومحدثاتها وتعذيب نفسه واضاعة الوقت
والاشتغال بما ينقص اجرة وفوات ما هو النفع له وتعرض نفسه لطعن الناس
فيه وتغري الجاهل بالافتداء به فانه يقول لو لا ان ذلكا فضل لما اختاره لنفسه
واساءة الظن بما جأفت به السنة وانه لا يكون وحده وانفعال النفس وضعفها
للشيطان حتى يشتد طمعه فيه وتعرض نفسه للشدة بل عليه بالقدرة عقوبة له
واقامة على العمل ورضا بالخيل في العقل كما قال ابو حامد الغزالي وغيره الوسوسة
سببها اما جهل بالشئ او خيل في العقل وكلاهما من اعظم النقائص والعيوب
فهذه نحو خمسة عشر مفسدة في الوسواس ومفاسدها ضعف ذلك بكثير وقد روى
قد روى مسلم في صحيحه من حديث عثمان بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله
ان شيطانا قد حال بيني وبين صلاتي يلسمها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتوق بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا
ففعلت ذلك فاذهب الله عني فاهل الوسواس قرة عين خنزب واصحابه فعدوا
بالله منه **فصل** ومن ذلك الاسراف في ما الوضوء والغسل وقد روى
احمد في مسنده من حديث عبد بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرب
بسعد وهو يتوضا فقال لا تسرف فقال يا رسول الله في الماء اسراف قال نعم
وان كنت على نهر وفي جامع الترمذي من حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال للوضوء شيطان يقال له اولى ان فاتقوا وسواس الماء في المسند والسنن
من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عالم يسأله عن الوضوء فاداه ثلاثا ثلاثا وقال هذا الوضوء من زاد على
هذا فقد ساء وتعدا وظلم وفي كتاب الشافعي لابي بكر عبد العزيز من حديث
ام سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزي من الوضوء مد الغسل صاع
وسباني قوم يستقلون ذلك فاولئك خلاف اهل سنتي والجماعة بسنتي في حضرة
القدس منزلة اهل الجنة وفي سنن الترمذي من حديث سالم بن ابي الجعد عن جابر
بن عبد الله قال يجزي من الوضوء المد ومن الغسل من الجنابة الصاع فقال
رجل ما ليك فيني فغضب جابر حتى زبدت جبهته ثم قال قد كفي من هو خير منك و
اكثر شعرا وقد روى الامام احمد في مسنده مرفوعا ولقطة عن جابر قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ من الغسل الصاع ومن الوضوء المذبح في صحاح
مسلم عن عائشة رضي الله عنها كانت تغسل هي والنبى صلى الله عليه وسلم من انا واحد
يسع ثلاثة امداد او قريبا من ذلك وفي سنن النسائي عن عبيد بن عمير ان عا
يشة قالت لقد رايتني اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فاذا اتوا وضوء
مثل الصاع او دونه تشرع فيه جميعا فافيض بيدي على راسي ثلاث مرات وما انقضى
في شعرا وفي سنن ابى داود والنسائي عن عباد بن ثميم عن ام عمارة بنت كعب ان
النبى صلى الله عليه وسلم توضا فأتى بها في اناء قدر ثلثي المد وقال عبد الرحمن بن عطاء سمعت
سعيد بن المسيب يقول ان لي ركة او قد حاما يسع الا نصف المد او نحوها بول
ثم اتوضا منه وافضل منه فضلا قال عبد الرحمن فذكرت ذلك لسليمان بن يسار
فقال وانا يكفيني مثل ذلك قال عبد الرحمن فذكرت ذلك لابي عبيدة بن محمد بن عمار بن
ياسر فقال وهكذا سمعنا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الاثر في
سننه وقال ابراهيم النخعي كانوا اشدا ستيفا لهما منكم وكانوا يرون ان ربع المد
يجزئ من الوضوء وهذا لغة عظيمة فان ربع المد رقية ونصفه بالدمشقي و
في الصحاح عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا بالمد ويغسل بال
الصاع الى خمسة امداد وفي صحاح مسلم عن سفينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يغسله الصاع من الجنابة ويوضيه المد قال ابراهيم النخعي اني لا اتوضا من كونه
الحب مرتين وتوضا القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق بقدر نصف المد او زيد
بقليل وقال محمد بن عجلان الفقيه في ذلك من الله اسباغ الوضوء قلة اهراق
الماء وقال الامام احمد كان يقال من قلة ففة الرجل ولغة بالماء وقال الميموني كنت
اشضا بما كثير فقال لي احمد يا ابا الحسن اتوضا ان تكون كذا فتركته وقال
عبد بن احمد قلت لابي ابي لاكثر الوضوء فنهاه في ذلك وقال يا بني يقال ان
للووضوء شيطان يقال له لوليان قال لي في ذلك غير مرة ينهاني عن كثرة صب
وقال لي اقلل من هذا الماء يا بني وقال اسحق بن منصور قلت لاهم بن زيد
ثلاث في الوضوء قال لا والله الا رجل مبتلى وقال اسود بن سالم الرجل الصالح
شيخ الامام احمد كنت مبتلى بالوضوء فزلت وجلة اتوضا فسمعت هاتفا يقول
يا اسود عن يحيى عن سعيد الوضوء ثلاث ما كان اكثر لم يرفع فالتفت فلم ار

احدا او قد روى ابو داود في سننه من حديث عبد بن المغفل قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعا فاذا
قرئت هذا الحديث بقوله ان الله لا يحب المعتدين وعلمت ان الله يحب عبادته
انتهج لكرمه هذا ان وضوء الموسوس ليس بعبادة يقبلها الله وان اسقطت الفر
ض فلا تفتح ابواب الجنة الثمانية لوضوءه ويدخل من ايها شاء ومن مفايد الو
سواس انه يستغل ذمته بالزائد على حاجته واذا كان ملوكا لغيره الحمام فيخرج
منه وهو مرتين الامة بما زاد على حاجته ويهطل ولعليه الدين حتى يرتحن من
ذلك بشي كثير جدا ينضرب به في البرزخ ويوم القيمة **فصل** ومن ذلك
الوسواس في انتفاض الطهارة لا يلتفت اليه وفي صحاح مسلم عن ابى هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد احدكم في بطنه شيئا فاشكل عليه اخرج منه شيئا لم
لا فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتا او يجد ريحا وفي الصحاح عن عبد الله
بن زيد قال شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يخيل اليه انه يجد الشئ في الصلاة
فقال لا ينصرف حتى يسمع صوتا او يجد ريحا وفي المسند وسنن ابى داود عن ابى
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ياتي احدكم وهو في
الصلاة فياخذ بشعرة من دبره فيمدها فيري انه قد احدث فلا ينصرف حتى
يسمع صوتا او يجد ريحا ولفظ ابى داود اذا اتى الشيطان احدكم فقال انك قد
احدثت فليقل له كذبت الاما وجد ريحا بانفاه او سمع صوتا باذنه فامر النبي صلى الله
عليه وسلم بتكذيب الشيطان فيما يحتمل صدقه فيه فكيف اذا كان كذبه معلوما متيقنا
كفره للموسوس لم تفعل كذا وقد فعله قال الشيخ ابو محمد ويسا تحب للانسان ان
ينضغ فرجه وسراويله بالماء اذا ابال ليدفع عن نفسه الوسوسة فمضى وجد بللا قال
هذا من الماء الذي نضحته لما روى ابو داود باسناده عن سفينان بن الحكم الثقفي او
اسم الحكم بن سفينان قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ابال توضا وينضغ وفي روا
ية رايته رسول الله صلى الله عليه وسلم بال ثم نضغ فرجه وكان ابن عمر ينضغ فرجه حتى
يبيل سراويله وشكى الى الامام احمد بعض اصحابه انه يجد كبال بعد الوضوء فامر
ان ينضغ فرجه اذا ابال قال ولا تجعل ذلك من همتك والة عنه وسئل الحسن او
غيره عن مثل هذا فقال لة عنه فاعاد عليه المسألة فقال اسندره لا ابال لك لة عنه

كما

فصل ومن هذا ما يفعله كثير من الموسوسين بعد البول وهو عشرة أشياء
السلت والنثر والتخاضع والمشي والقفز والحبل والتفقد والوجود والحشو والعصا
به والدوجه اما السلت فيسلنه من اصله الى راسه على انه قد روي في ذلك حديث غير
لا يثبت ففي المسند وسنن ابن ماجه عن عيسى بن يزداد عن ابيه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا بال احدكم فليمسح ذكره ثلاث مرات وقال جابر بن زيد اذا بليت فا
مسح اسفل ذكره فان لم ينقطع رواه سعيد عنه قالوا ولانه بالسلت والنثر يستغفر
رج ما يخشى عوده بعد الاستنجاء قالوا وان احتاج الى مشي خطوات لذلك
ففعل فقد احسن والتخاضع ليس يخرج الفضله وكذلك القفز يرفع عن الارض
شيئا ثم يجلس بسرعة والحبل يتخذ بعضهم حبلا يتعلق به حتى يكاد يرتفع ثم
ينحدر فيه حتى يقعد والتفقد بمسك الذكر ثم ينظر في المخرج هل بقي فيه شيء ام
لا والوجود بمسكه ثم يفتح الثقب ويصب فيه الماء والحشو يكون معه ميل وقطن
يحشوه كما يحشوا الدمل بعد فتحها والعصا به يعصبه بخرقه والدوجه يصعد
في سلم قليلا ثم ينزل بسرعة والمشي بمشي خطوات ثم يعيد الاستنجاء **قال**
شيخنا وذلك كله وسواس فراجعته في السلت والنثر فلم يره وقال لم يصح
الحديث قال والبول كاللبن في الضرب ان تركته قر وان حلبته در قال ومن اعان
ذلك ابتلي منه عا عوفي منه من لها عنه قال ولو كان هذا سنة لكان اولي الناس
به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد قال اليهودي لسان لقد علمكم نبيكم
كل شيء حتى الخراءة قال اجل فابن علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك او شيئا منه بل
علم المستحاضة ان تتأجج وعلى قبا سها من به سلس البول ان يتحفظ ويشد عليه
خرقة **فصل** ومن ذلك أشياء تسمى بل فيها المبعوث بالحنيفية السمجة
فشد فيها هو كراه من ذكر المشي حافيا في الطرقات ثم يصلي ولا يغسل رجله فقد روي
ابوداود في سننه عن امرأة من بني عبد الاشهل قالت قلت يا رسول الله ان لنا طريقا
الى المسجد متينة فكيف نفعل اذا نظرنا قال ليس بعد ها طريق اطيب منها
قالت قلت بلى قال فهدى هذا وقال عبد الله بن مسعود كنا لا نتوضى من موطاء
وعن علي رضي الله عنه انه خاض في طين المطر ثم دخل المسجد فصلى ولم يغسل
رجليه وسئل بن عباس عن الرجل يطأ العذرة قال ان كانت يابسة فليس شيء

وبعد

وان كانت رطبة يغسل ما اصابه وقال حفص اقبلت مع عبيد بن عمر عاودوا الى المسجد
فلما انتهينا عدنا الى المطهرة لا يغسل قدمي من شيء اصابنا فقال عبيد لا تفعل فانك
نظا الردي ثم نظا بعده الموطي الطيب وقال النضيف فيكون ذلك طهورا فدخلنا المسجد
جميعا فصلىنا وقال ابو الشعثا كان ابن عمر يمشی عني في الفروث والدماء اليابسة حيا
فيا ثم يدخل المسجد فيصلي ولا يغسل قدميه وقال عمران بن حدير كنت امشي مع ابني مجلز الى
الجمعة وفي الطريق عذرات يابسة فجعل يتخطاهن ويقول ما هذه الاسودات ثم جاء
حافيا الى المسجد فصلى ولم يغسل قدميه وقال عاصم الاحول ايننا ابا العالية فدعونا ابو
صنوف قالوا لكم الستم متوضئين قلنا بلى ولكن هذه الاقدار التي مرنا بها قال اهل وطئتم
على شيء رطب يعلق بارجلكم قلنا لا قال فكيف باشد من هذا الاقدار تجف فتسفرها الريح
في روسكم ولحاكم **فصل** ومن ذلك ان الحنف والحذا اذا اصابته النجاسة اسفله اجزا
وكذا بالارض مطلقا وجازت الصلاة فيه بالسنة الثانية فنص عليه عهد اخذاه المحققون
من اصحابه قال ابو البركات ورواية اجزا الذكر مطلقا هي الصحيحة عنده لما روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وطئ احدكم بنعله الاذى فان التراب له طهور وفي لفظ
اذا وطئ احدكم الاذى بخفيه فطهورهما التراب رواها ابو داود وروى ابو سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فخالع نعليه فخالع الناس نعالهم فلما انصرف قال لم خلعتم
قالوا يا رسول الله رايناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل اتاني فاخبرني ان بهما خبشا
فاذا احادكم المسجد فليقلب نعليه ثم لينظر فان راخشا فليمسحه بالارض ثم ليصلي
فيهما رواه الامام احمد وتاويل ذلك على ما يستفاد من معاط او نحوه من الطاهرات لا
يصح لوجوه **احدها** ان ذكر لا يسمى خبشا الثاني ان ذلك لا يور بمسحه عند الصلاة فانه
لا يبطلها الثالث انه لا يخلع النعل لذكره في الصلاة فانه عمل لغير حاجه فاقل احواله
الكراهة الرابع ان الدارقطني روي في سننه في حديث الخلع من رواية عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما دم حله والحلم كبارا لفراد ولانه
محل يتكرر ملافاة النجاسة غالبا فاجزا مسحه بالجاء كحل الاستنجاء بل اولي فان
محل الاستنجاء يلاقي النجاسة في اليوم مرتين او ثلاث **فصل** وكذلك ذيل الروا
على الصحيح قالت امرأة لام سلمة التي اطيلى ذيلي وامشي في المكان القذر فقالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطهر ما بعده رواه احمد وابوداود وقد خص النبي صلى الله عليه وسلم

Copyrighted material

للمرأة ان ترخي ذيلها ذراعا ومعلوم انه يصيب الكفذر ولا يامرها بغسل ذلك بل افنا
هت بانه تطهر من الارض **فصل** وما انظي به قلوب المؤمنين الصلاة
في الحال وهي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه فعلا منه وامر فقد روى انس مالك
ان النبي صلى الله عليه وآله كان يصلي في نعليه متفق عليه وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في خفافهم ولا نعالهم رواه ابو داود وقيل للمام
احمد يصلي الرجل في نعليه فقال اي والله وترى اهل الوسواس اذ ابلى احداهم بصلاة الجنا
زه في نعليه قام على عقبيه ما كانه واقف على الجمر حتى لا يصلي فيها وفي حديث ابي سعيد
الخدري اذا جاء احدكم المسجد فيلنظر فان راى على نعليه قد راى فاليصحه واليصل
فيها **فصل** ومن ذلك ان سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة حيث كان وفي
اي مكان اتفق سواهم من المبرة والحمام واعطاه الابل فصيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال جعلت لي الارض مسجدا وظهرت انجبثا ادركت رجلا من امتي الصلاة
فليصل وكان يصلي في مواضع الغنم ولم يترك ولم يشترط حايلا قال ابن المنذر اجمع
كل من تحفظ عنه من اهل العلم على اباحة الصلاة في مواضع الغنم الا الشاة ففي فانه
قال اكر ذلك الا ما كان سليما من ابقارها وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
صلوا في مواضع الغنم ولا تصلوا في اعطان الابل او جبارك الابل وفي المسند ايضا من
حديث عبيد بن المغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلوا في مواضع الغنم ولا
تصلوا في اعطان الابل فانها خلقت من الشياطين وفي الباب عن جابر بن سمرة
والبراء بن عازب واسيد بن حضير وذي المعرة كلهم روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
صلوا في مواضع الغنم وفي بعض الفاظ الحديث صلوا في مواضع الغنم فان فيها
بركة وقال الارض كلها مسجد الا المقبرة والحمام رواه اهل السنن كلهم الا النسائي
فان هذا المدي من فعل من لا يصلي الا على سجادة ففرش فوق البساط فوق الحصير
ويوضع عليها المنديل ولا يمشي على الحصير ولا على البساط بل يمشي عليها نكرا
كالعصوي فما احق هؤلاء ابن مسعود لانهم اهدى من اصحاب محمد وانتم على
شعبة ضلالة وقد صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حصير قد اسود من طول ما يبس
فوضع له بالما صلى عليه ولم يفرش له فوقه سجادة ولا منديل وكان يسجد على الكثر
تارة وعلى الحصا تارة وفي الطين تارة حتى يحل يركب اثره على جبهته وانفه وقال

بلغ نقابل
كالمطقت
والاسكان

وذي الغره

بقول

ابن عمر قال كانت الكلاب تقبل وتدبر وتبول في المسجد ولم يكونوا يرشون شيئا من
ذلك رواه البخاري ولم يقل وتبول وهو عند ابي داود باسناد صحيح بهذه الرواية
فصل ومن ذلك ان الناس في عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم كانوا يأتون
المساجد حفاة في الطين وغيره قال يحيى بن وثاب قلت لابن عباس الرجل يمشي
ضاحك يخرج الى المسجد حافيا قال لا بأس به وقال كميل بن زياد رايت عليا يخوض
طين المطر ثم دخل الى المسجد فصلى ولم يغسل رجله وقال ابراهيم النخعي كما
نوا يخوضون الماء والطين الى المسجد فيصلون وقال يحيى بن وثاب كانوا
يمشون في ما المطر ينضج عليهم رواه اسعيد بن منصور في سننه وقال ابن
المنذر وحظي ابن عمر يمشي وهو حافي في ما وطين ثم صلى ولم يتوضأ قال ومن راى
ذلك علقه والاسود وعبد بن المغفل وسعيد بن المسيب والشعبي والامام احمد
وابو حنيفة وماكروا احد الوجهين للشاة فعية قال وهو قول عامة اهل العلم و
لين تجسسها فيه مشقة عظيمة منفية بالشرع كما في اطعمة الكفار وثيابهم
وثياب الفساق وشربة المسكر وغيرهم قال ابو البركات ابن تيمية وهذا كله
يقوي طهارة الارض بالجفاف لان الانسان في العادة لا يزال يشاهد النجاسة
في بقعة بقعة في طرقاته التي يكثر فيها ترده الى سوقه ومسجده وغيرها فلو لم
تطهر اذا ذهب الجفاف اثرها للزوم تجنب ما شاهده من بقاء النجاسة بعد
ذهاب اثرها ولما جازله التحفي بعد ذلك وقد علم ان السلف الصالح لم يحتدوا
من ذلك ويعضده امره صلى الله عليه وآله وسلم عسع الكليلين بالارض لمن اتى المسجد و
راى فيها خبثا ولو نجست الارض بذلك نجاسة لا يظهر بالجفاف لامر بصيانه
طريق المسجد عن ذلك لانه يسلكه الحاج وغيره **فصل** وهذا اختيار شيخنا
رحمه الله وقال ابو قلابة جفاف الارض ظهورها **فصل** ومن ذلك ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن المذي فامر بالوضوء منه فقال كيف ترى بما اصاب ثوب من
قال ياخذ كفا من ماء فينضج به حيث يركب ان اصابه رواه احمد والترمذي و
النسائي فجوز نضج ما اصابه المذي كما امرنا بنضج بول الحامل قال شيخنا
وهذا هو الصواب لان هذه نجاسة يشق الاحتراز منها الكثرة ما يصيب
العزب فهي اولى بالتخفيف من بول الحامل ومن اسفل الخف والحذاء ومن ذلك

اجماع المسلمين على ما سنده لهم النبي صلى الله عليه وسلم من جواز الاستنجاء بالاجزاء
في زمن الشتاء والصيف مع ان المحل يعرق فينتزع الى الثوب ولم يامر بغسله من
ذلك ومن ذكره عنه يعني عن يسير روات البغال والسباع في احد الروايتين عن
احمد اخذنا رهاش بخنا المشقة الاحتراز قال الوليد بن مسلم قلت للاوزاعي فابوال
الدرداء ما لا يؤكل لحمه كالبغل والحمار والفرس فقال قد كانوا يبتلون بذلك
في مغازيتهم فلا يغسلونه من جسد ولا ثوب ومن ذكره نصر احمد على ان الودي
يعني عن يسيره كما لم يذكر يعني عن يسير النبي صلى الله عليه وسلم وقال شيخنا
لا يجب غسل الثوب ولا الجسد من المدة والقبح والصيد قال ولم يبق دليل
على نجاسته وذهب بعض اهل العلم الى انه طاهر حكاهما ابو البركات و
كان بن عمر لا ينصرف منه في الصلاة وينصرف من الدم وعن الحسن نحوه و
سئل ابو مجلز عن القبح يصيب البدن والثوب فقال ليس بشي انما ذكر الله الدم
ولم يذكر القبح وقال اسحق بن راهويه كلما كان سق الدم فهو عندي مثل العرق المنثور
وشبهه ولا يوجب وضوءا وسئل احمد الدم والقبح عندك سق فقال لا الدم لا
يختلف الناس فيه والقبح قد اختلف الناس فيه وقال مرة القبح والصيد والمذ
عندي اسهل من الدم ومن ذلك ما قال ابو حنيفة انه لو وقع بعض الفار في حنطة
فطحنت او في دهن مائع جاز اكله ما لم يتغير لانه لا يمكن صوته عنه قالوا فلو
وقع في الماء نجسه وذهب بعض اصحاب الشافعي الى جواز اكل الحنطة التي
اصابها بول الحمار عند الدباسه من غير غسل قال لاف السلف لم يحتوزوا عن
ذلك وقالت عائشة كنا ناكل اللحم والدم خطوط على القدر وقد اباح الله صيد
الكلب واطلق ولم يامر بغسل موضع فيه من الصيد وعضفه ولا تقويه ولا
امويه رسول الله ولا اتي به احد من الصحابة ومن ذلك ما اتي به عبد بن عمر وعط
بن ابي رباح وسعيد بن المسيب وطاووس وسالم ومجاهد والشعبي و
ابراهيم بن الحنفية والزهري ويحيى بن سعيد الانصاري والحكم والاوزاعي
وما لك واسحق بن راهويه وابو ثور والامام احمد في اصح الروايتين وغير
هم ان الرجل اذا راى على بدنه او ثوبه نجاسة بعد الصلاة لم يكن عالميا بها او كان
يعلمها لكن نسيها او لم ينسها لكنه عجز عن ازالتها ان صلاته صحيحة لا اعاد

عليه ومن ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل امه بنت ابنه
زينب فاذا ركع وضعها واذا قام حملها متفق عليه ولا يداود ان ذلك كان في
احد صلاتي العشاء وهو دليل على جواز الصلاة في ثياب المربية والمرضع و
الحائض والصبي ما لم يتحقق نجاستها وقال ابو هريرة كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في صلاة العشاء فلما سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فلما رفع راسه اخذ
هما بيده من خلفه اخذ رفيقا ووضعهما على الارض فاذا عاد عاد حتى قضى
صلاته رواه الامام احمد وقال شداد بن الهاد عن امية خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو حامل الحسن والحسين فوضعهما كبر للصلاة فسجد بين
ظهراني صلته سجدة اطالها فلما قضى الصلاة قال ان ابني ارتحلني فكرهت
ان احمله رواه احمد والنسائي وقال عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي
بالليل وانا الى جنبه وانا حائض وعلي رطب وعليه بعضه رواه ابو داود وقال
كنت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت في الشعار الواحد وانا طامت حائض
فان اصابه مني شيء غسل مكانه ولم يعده وصلى فيه رواه ابو داود ومن ذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس الثياب التي نسيها المشركون ويصلي فيها و
تقدم قول عمر بن الخطاب وهمزة ان ينهي عن ثياب بلغة انها تصبغ بالبول وقول
ابي مالك ان تهي عنها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسها ولبست في زمانه ولو
علم الله انها حرام لبينه لرسوله قال صدقت قلت وعلى قياس ذلك الجوخ
بل اولى بعدم النجاسة من هذه الثياب فتجنبه من باب الوسواس ولما قدم عمر
بن الخطاب الجابية استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطاه قميصه و
غسلوه وتوضا من جوفه رايته وصلى سلمان وابو الدرداء في بيت نصرانية فقال
لها ابو الدرداء هل في بيتك مكان طاهر فصلي فيه فقالت طهر اقله بكما ثم صليا
اين احببنا فقال سلمان خذها من غير فقيه ومن ذلك ان الصحابة والنسابة
كانوا يوضون من الحياض والاواني المكشوفة ولا يسألون هل اصابها نجاسة
سنة او ورد بها كلب في سبع ففي الموطأ عن يحيى بن سعيد ان عمر خرج في ركب
فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوصنا فقال عمرو يا صاحب الحوض هل
ترد حوضك السباع فقال عمر لا تخبرنا فاننا نرد على السباع وترد علينا وفي

وفي سنن ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ان نوضا بما افضل من الحمر قال
نعم وبما افضل من السباع ومن ذكر ان له لو سقط عليه شيء من ميزاب لا يدركه هرا
او بول لم يجبت عليه ان يسال عنه فلو سأل لم يجبت عليه المستول ان يجيبه ولو علم انه
نجس ولا يجبت عليه غسل ذلك ومن عزم من الخطاب يوما فسقط عليه شيء من ميزاب
ومعه صاحبه فقال يا صاحبه الميزاب ما هو كذا هو ان نجس فقال عمر يا صاحبه
الميزاب لا تخبرنا ومضى ذكره احمد قال شيخنا وكذا اذا اصاب رجله او
ذيله بالليل شيء رطب ولا يعلم ما هو لم يجبت عليه ان يشمه ويتعرف ما هو
احتج بقصة عمر في الميزاب وهذا هو الفقه فان الاحكام انما ترتب على
المكلف بعد علمه باسبابها وقبل ذلك هي على العفوفا على الله عنه فلا ينبغي
البحث عنه ومن ذكر الصلاة مع يسير الدم ولا يعيد قال البخاري قال الحسن
ما زال المسلمون يصلون في جراحاتهم قال وعصر ابن عمر برة فخرج منها دم
فلم يتوضا وبصق ابن ابي اوفى دما ومضى في الصلاة وصلى عمر بن الخطاب وجر
يشعب ما ومن ذكر ان المراضع ما زلن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الان
يصلين في ثيابهن والرضعا يتقيون ويسيل لعابهم على ثياب الرضعة ويديها
فلا تفسل شيئا من ذلك لان ريق الرضيع مطهر لغيره لأجل الحاجة كما ان ريق
الامر مطهر لغيرها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ليست بنجس انما من
الطوافين عليكم والطوافات وكان يصغي الانا لها حتى تشرب وكذلك
فعل ابو قتادة مع العلم اليقيني انما تاكل الفار والحشرات والعلم القطعي انه
لم يكن بالمدينة حياض فوق القلعة ترثها السنانية فكلاهما معلوم قطعا
ومن ذكر ان الصحابة ومن بعدهم كانوا يصلون وهم حاملوا سيوفهم وقد اصاب
بها الدم وكانوا مسحون بها ويحتزبون بذلك وعلى قياس هذا مسح المرأة
الصغيرة اذا اصابها النجاسة يطهرها وقد نص احمد على طهارة سكين
الجزاز مسحها ومن ذكر انه نص على حبل الفصال انه ينشر عليه الثوب النجس
ثم تحففه الشمس فينشر عليه الثوب الطاهر فقال اباسر به وهذا كقول ابى
حنيفة ان الارض النجسة يطهرها الريح والشمس وهو وجه لا صاحب
احمد حتى انه يجوز التيمم بها وحديث ابن عمر كالتص في ذلك وهو قوله كانت

الكلاب تغل وتدير وتبول في المسجد ولم يكونوا يرثون شيئا من ذلك وهذا لا ينوحه
الا على القول بطهارة الارض بالريح والشمس ومن ذكر ان الذي دلت عليه سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانار اصحابه ان الما لا ينجس الا بالثغير وان كان يسيرا وهذا قول
اهل المدينة وجمهور السلف واكثر اهل الحديث وبه ائق عطاء بن ابي رباح وسعيد
بن المسيب وجابر بن زيد والازاعي وسفيان الثوري وما كثر من النور وعبد الرحمن بن مهدي
واختاره ابن المنذر وبه قال اهل الظاهر ونص عليه احمد في احاد روايته واختاره
جماعة من اصحابنا منهم ابن عقيل في مفرداته وشيخنا ابو العباس ابن تيمية وشيخنا
ابى عمرو وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما لا ينجس شي رواه الامام
احمد وفي المسند والسنن عن ابى سعيد قال قيل يا رسول الله انوضا من بيرة بضا
عه وهي بيرة يلقى فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن فقال الما طهور لا ينجس شي
قال الثوري هذا حديث حسن وقال الامام احمد حديث بيرة بضا عه صحيح وفي
لفظ الامام احمد انه يستقي كد من بيرة بضا عه وهي بيرة يطرح فيها تحايض النساء
ولحم الكلاب وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجس شي وفي
سنن ابن ماجه من حديث ابى امامة مرفوعا الما لا ينجس شي الا ما غلب على رجليه و
طعمه ولونه وفيما من حديث ابى سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الحيض
التي بين مكة والمدينة ترد ها السباع والكلاب والحمر وعن الطهارة بما فقال لها ما
حلت في بطونها ولنا ما غير طهور وان كان في اسناد هذين الحديثين فقال فان
ذكرناهما للاسناد ستمها دلالا اعتماد وقال البخاري قال الزهري لا بأس بالما
اذا لم يتغير منه طعم او ريح او لون وقال الزهري ايضا اذا ولغ الكلب في الانا ليس
وضوء غيره يتوضا به ثم يتيم قال سفيان هذا الفقه بعينه يقول الله تعالى فلم تجدوا
ما فتيموا وهذا ما في النفس منه شيء يتوضا به ويتيم ونص الامام احمد في حب
زيت ولغ فيه كلب فقال ابو كل **فصل** ومن ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يجيب من دعاه فياكل من طعامه واذا فيه يهودي بخبز شعير واهالة سخنة
وكان المسلمون ياكلون من اطعمة اهل الكتاب وشرط عليهم عرضها فم من يقيم
من المسلمين وقال اطعموهم مما تاكلون وقد اهل الله ذلك في كتابه ولما قدم عمر
الشام صنع له اهل الكتاب طعاما فدعوه اليه فقال ابن هو قالوا في الكنيسة

فكره دخولها وقال اعلي اذهب بالناس فذهب علي بالمسلمين فدخلوا واكلوا
جعل علي ينظر الى الصور وقال ما علي ابي المومنين لو دخل واكل النبي صلى الله عليه وسلم
يقبل ابني ابنه في افواههم ويشرب من موضع في عايشه ويتعرق العرق فيضع فاه على
موضع فيها وهي حايض وحمل ابو بكر الحسن علي عاتقه لحابه يسيل عليه واوتي ر
سول الله صلى الله عليه وسلم بصبي فوضعه في حجره فبال عليه فدعا بما فنضحه ولم
يغسله وكانوا ياتونهم بالصبيان فيضعهم في حجره يبرك عليهم ويدعو لهم وهذا
الذي ذكرناه قليل من كثير من السنه ومن له اطلاع على ما كان عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه لا يخفى عليه حقيقة الحال وقد روي الامام احمد في مسنده عنه
صلى الله عليه وسلم بعث بالحنيفية السمحة تجمع بين كونها حنيفية وكونها سمحة فهي
حنيفية في التوحيد سمحة في العمل وضد الامرين والشرك وتحريم الحلال وهما للذ
ذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى انه قال اني خلقت عبدا
دي حنفا وانهم اتهم الشياطين فاجنالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت
لام وامرهم ان يشركوا بي ما لم انزل به من سلطان فالشرك وتحريم الحلال قرينان
وهما اللذان عابهما الله في كتابه على المشركين في سورة الانعام والاعراف وقدّم
النبي صلى الله عليه وسلم المنتطعون في الدين واخبر بملكهم حيث يقول الالهك المنتطعون
الالهك المنتطعون الالهك المنتطعون وقال ابن ابي شيبة ثنا ابن ابي اسامة
عن مسعر قال اخرجني الى معن بن عبد الرحمن كنيها وحلف بالله انه خط ابيه فاذا
فيه قال عيسى والذي لا اله الا هو ما رايت احدا اشد علي المنتطعين من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا رايت بعده احدا اشد عليهم مني ابي بكر واني لا اظن عمر كان اشد
اهل الارض خوفا عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغض المنتعفين حتى انه
لما واصلهم وروي الهلال قال لو تاخر الهلال لواصلت وصا لا يدع المنتعفين
تعمهم كما تنكل بهم وكان الصحابة اقل الامة تكلفا اقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى قل ما استلکم علیہم اجر وما انا من المتکلفین وقال عيسى بن
بن مسعود من كان منكم مستنفا فليستن بمن قد مات فان الحي لا يؤمن عليه
الفننه او ليكن اصحاب طير كانوا افضل هذه الامة ابرها قلوبا واعلمها علما
واقلمها تكلفا اختارهم الله لصحبة نبيه ولاقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم

وابتغوا

وابتغوا هم على امرهم وسيرتهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم وقال انس كنا عند عمر
فسمعت يقول نهينا عن التكلف وقال ما لك قال عمر بن عبد العزيز سن وسول الله صلى الله
عليه وسلم ودلالة الامور بعدك سننا الاخذ بما تصدق لنا بانه واستكمال الطاعة لله وقوة
على دين الله ليس لاحد تبدل بها ولا تغيير لها ولا النظر فيما خالفها من اقتداء بما فيهم مبتد
ومن استغفر بما فيهم منصوص ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى و
اصلاه جمعتهم وساءت مصيرا وقال مالك بلغني ان عمر بن الخطاب كان يقول سنت لكم
السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة الا ان تميلوا بالناس يمينا وشمالا وقال
صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العالم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين فاخبر ان الغالين يحرفون ما جابه والمبطلين ينتحلون ان باطلهم
هو بصد ما كان عليه والجاهلون يتاولونه غير ناويله وفساد الاسلام من هذه
الطوائف الثلاثة فلم لا ان الله سبحانه يقيم من ينفي عنه ذلك لجر عليه ما جرح على اديان
الانبياء قبله من هؤلاء **فصل** ومن ذلك الرسوسه في مخارج الحروف والانتطع
فيها ونحن نذكر ما ذكره العلماء بالفاظهم قال ابو الفرج بن الجوزي قد لبس ليس على بعض
المصلين في مخارج الحروف فنراه يقول الحمد الحمد فيخرج باعادة الكلمة عن قانون
ادب الصلاة وتارة يلبس عليه في تحقيق التشديد في اخراج ضاد المغضوب قال و
لفد لايت من يخرج بصافه مع اخراج الضاد لقوة تشديده والمراد تحقيق الحروف
حسب وابليس يخرج هو لا بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف
عن فهم الثلاثة وكل هذه الوسوس من ابليس قال ابو محمد بن قيس في مشكل القرآن
وقد كان الناس يقرءون بلغاتهم ثم خلف من بعدهم قوم من اهل الامصار وابتاعوا
ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف فمفوا في كثير من الحروف وزلوا واخطوا ومنهم
رجل ستر الله عليه عند العوام بالصلاح وقربه من القلوب بالدين فلم ارفهم تعنت
في وجوه قرانه اكثر تخليطا ولا اشد اضطرابا منه لانه يستعمل في الحروف ما يدعه في
نظيره ثم يوصل اصلا ويخالفه الى غيره لغير علمه ويختار في كثير من الحروف ما لا
يخرج له الا على طلب الجميلة الضعيفة هذا الى بنده في قرانه هذا اذهب العرب اهل
الحجاز بافراط في المد والهمز والاشباع وفحاشه في الاشباع والادغام وحمله
المتعلمين على المذهب الصعب وتفسيره على الامة ما يسهره الله تعالى وتضييفه بانسجه

ومن العجب انه يخبري الناس بهذه المذاهب ويكوه الصلاة بها في اي موضع تستعمل
هذه القراءة ان كانت الصلاة لا تجوز بها وكان ابن عيينه يركل من قرا في صلاته
بحرف فواو ايم بلام يقرانه ان يعيد ووافقه على ذلك كثير من خيار المسلمين منهم
بشر بن الحارث واحمد بن حنبل وقد شغف بقراءته عوام الناس وسوقتهم وليس
ذلك الا لما يرونه من مشقتها وصعوبتها وطول اختلاف المتعلم الى المقر في قراءتها فاذا
راوه قد اختلف في ام الكتاب عشر او في مائة اية شهرا وفي السبع الطول احولا وراوه
عند قرانه ما يبل الشدقين دار الوريدين راسع الحجبين نزهوا ان ذلك فضله في القراءة
وحذره بما وليس هكذا كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خيار السلف ولا النبا
بعين ولا القراء العاملين بل كانت سهلة رسله وقال الخليل في الجامع عن ابي
عبد الله انه قال لا احب قراءة فلان يعني هذا الذي اشار اليه قيس بن كرهها كرا
هيته شديده وجعل يحجب من قرائته وقال لا تعجني فان كان رجل يقبل منك فانهم
وحكى عن ابي بن المبارك عن الربيع بن انس انه نهاه عنها وقال الفضل بن زياد ان رجلا
قال لا ابي عبد الله فما اترك من قرائته قال الاغنام والكسر ليس يعرف في لغة من لغات
العرب وساله عبد الله بن عمار فقال اكره الكسر الشديد والاضجاع وقال في موضع اخر
ان لم تدغم وان لم تضجع ذلك الاضجاع فلا بأس وساله الحسن بن محمد بن الحارث انكره
ان يعلم الرجل تلك القراءة قال اكرهه شدا كراهة ما هي قراءة محدثة وكرهها شديدا
حتى غضب ورو عنه ابن سعد بن عيينه انه سئل عنها فقال اكرهها شدا كراهة قيل ما انكره
منها قال هي قراءة محدثة ما قرى بها احد وروى جعفر بن محمد عنه انه سئل عنها فكرهها
وقال اكرهها ابن ادريس اراه قال وعبد الرحمن بن ميمون وقال ما ادرى ايش هذه القراءة
ثم قال وليس قرائتهم تشبه كلام العرب وقال عبد الرحمن بن ميمون لو صليت خلف من يقرانها
لاعد الصلاة ونص احمد على التبعيد وعنه رواية اخرى انه لا يعيد والمقصود ان الامنة
كرهها التنطع والغلو في النطق بالمحروف ومن تأمل هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واقرأ
وه اهل كل لسان على قرائتهم تبين له ان التنطع والتشدق والسوسوسة في اخراج الحرف
ليس من سنة **فصل** في الجواب عما احتج اهل الوسواس اما قولهم انما
نعمله احتياطا لا وسواس قلنا سمعوا ما شئتم فنحن نسألهم هل هو موافق للفعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره وما كان عليه اصحابه او مخالف له فان زعمتم انه

موافق فحيث وكذب صريح فاذا لا بد من الاقرار بعدم موافقته وانه مخالف له فلا
ينفعكم تسمية ذلك احتياطا وهذا نظير من ارتكب خطورا وسماه بغير اسمه كما تسمى
الحجر بغير اسمها والربا معاملة والتحليل الذي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه فكالحا
ونقر الصلاة التي اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاعلمه بصل وانه لا تجزئ صلاته
ولا يقبلها الله منه تخفيفا فمكنا التسمية الغلو في الدين والتنطع احتياطا وينبغي ان يعلم
ان الاحتياط الذي ينفع صاحبه ويشبه الله عليه الاحتياط في موافقة السنة وترك مخالفتها
لفنها فالاحتياط كل الاحتياط في ذلك والافنا احتياط النفس من خروج عن السنة بل
ترك حقيقة الاحتياط في ذلك وكذلك المتسرعون الى وقوع الطلاق في موارد النزاع
التي اختلف فيها الائمة كطلاق المكره وطلاق السكران والبنت وجمع الثلاث والطلاق
قبحا والنية والطلاق الموجل المعلوم بحججه واليمين بالطلاق وغير ذلك مما
تنازع فيه العلماء اذ اوقعه المفتي تقليدا بغير برهان وقال ذلك احتياطا للفروج
فقد ترك معنى الاحتياط فانه يحرم الفروج على هذا ويباحه لغيره فابن الاحتياط
ها هنا بل لو ابقاه على حاله حتى تجمع الامة على تحريمه واخراجه عن هو حلال له
او باق برهان من الله ورسوله على ذلك لكان قد عمل بالاحتياط ونصر على ذلك
الامام احمد في طلاق السكران فقال في رواية ابنه طالب والذي لا يامر بالطلاق
فانما اتى خصلته واحدة والذي يامر بالطلاق قد اتى خصلتين حرما عليه واحلما
لغيره فهذا خير من هذا فلا يمكن الاحتياط في وقوع الطلاق الا حدث اجتماع
الامة وان كان هناك نص عن الله ورسوله يجب المصير اليه قال شيخنا والاحتيا
ط حسن ما لم يفض بصاحبه الى مخالفة السنة فاذا افضى الى ذلك فالاحتياط ترك
هذا الاحتياط وبهذا اخرج الجوامع احتجا بهم بقوله من ترك الشبهات فقد
استبرأ لدينه وعرضه وقوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقوله الاثم ما حاك في الصد
فهذا كله من اقوى الحجج على بطلان الوسواس فان الشبهات ما يشبه في الخيال
طلو الخلال بالمحرام على وجه لا يكون فيه دليل على احد الجانبين او تعارض
الازمان عنده فلا يترجح في ظنه احداهما فيستنبط عليه هذا وهذا فاشهد النبي
صلى الله عليه وسلم الى ترك المشبهة والعدول الى الواضح الجلي ومعلوم ان غاية الوسواس
ان يشبه على صاحبه هل هو طاعة وقربة ام معصية وبدعة هذا احسن احواله

والواضح الجلي هو اجتماع طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشته للامه قولوا
 عملا فمن اراد ترك الشبهات عدل عن ذلك المشتبه الى هذا الواضح فكيف لا يشبهه
 بحمد الله هناك اذ قد بينت السنة انه تنقطع وغلو فالمصير اليه ترك للسنة واخذ
 بالبدعه ترك لما يحبه الله ويرضاه واخذ بما يكرهه ويبغضه ولا يقرب به اليه ليقرب فانه
 لا يقرب اليه الا بما يشترط لا بما يهواه العبد وبفعله من تلقا نفسه فهذا هو الذي يحكي
 في الصدور وينزوي في القلب وهو حوازي القلوب **فصل** واما النمرة التي ترك رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اكلها وقال اخشى ان تكون من الصدقة فذكر من باب انقضاء الشبهات وترك
 ما اشتبه فيه الحلال بالحرام فان النمرة كانت قد وجدها في بيته وكان يوقى بتمر الصدقة
 بقسمه على من تحلل له الصدقة ويدخل بيته تمر يقنات منه اهله فكان في بيته النوعان
 فلما وجد تلك النمرة لم يدر صلى الله عليه وسلم من اي النوعين هي فامسك عن اكلها فمما حدث
 اصل في الورد وانقضاء الشبهات فما اهل الوسواس وماله **فصل** واما قولكم
 ان ما كلفني فيمن طلق ولم يدر واحدة طلق ام ثلاثا انها ثلاث احتياطا فنعم هو
 قول ما لك فكان ما اذا الحجة هو على الشافعي واي حنيفة واحمد وعلى كل من خالفه
 في هذه المسئلة حتى يجيب عليهم ان يتركوا قولهم لقوله وهذا القول مما يحتاج له لا ما
 يحتاج به على ان هذا ليس من باب الوسواس في شيء وانما حجة هذا القول ان الطلاق
 يوجب تحريم الزوجة والرجعة ترفع ذلك التحريم فهو يقول قد يتيقن سبب التحريم وهو
 الطلاق وشك في رفعه بالرجعة فانه يحتمل ان يكون رجعا وترفعه الرجعة ويحتمل
 ان يكون ثلاثا فلا ترفع الرجعة فقد يتيقن سبب التحريم وشك فيما يرفعه والجمهور
 يقولون النكاح متيقن والفاطح له المنزلة لجل الفرق مشكوك فيه فانه يحتمل ان يكون
 الماتى به رجعا فلا يزيل النكاح ويحتمل ان يكون باينا فيزيله فقد يتيقن بيقين النكاح
 وشكنا فيما يزيله فالاصل بقاء النكاح حتى يتيقن ما يرفع فانه قلتم فقد يتيقن
 التحريم وشك في التحليل قلنا الرجعية ليست بحرام عندكم ولهذا تجوزون وطبها
 ويكون رجعة اذا تزك به الرجعة فان قلتم بل هي حرام والرجعة حصلت بالنية حال
 الوطى قلنا لا ينفعكم ذلك ايضا فانه انما يتيقن تحريم ما يزيل بالرجعة لم يتيقن تحريمه الا
 بتوقيفه الرجعة وليس المقصود تقرير هذه المسئلة والمقصود انه لا راحة في ذلك
 لاهل الوسواس **فصل** واما من حلف بالطلاق ان في هذه اللوزة حيتين

ما لك

ونحو ذلك

ونحو ذلك مما لا يتيقنه المخالف فان كان كما حلف عليه فهذا لا يبحث عند الاكثرين
 وكذلك لم يتبين في الحال واستمر مجمولا فان النكاح ثابت بيقين فلا يزيله بالشك
 ولما كدر حله اصل نازعه فيه غيره وهو ايقاع الطلاق بالشك في الحنث وايقاعه با
 لشك في عدده كما تقدم وايقاعه بالشك في المطلق كما لو طلق واحدة من نسائه ثم
 انسيها ووقف الحال مدة الايلا ولم يتبين طلقا عليه الجميع وكما لو حلف ان هذا فلان
 ارجوان وهو غير متيقن له بل هو شاكر حال الحلف فتبين ان الامر كما حلف عليه فانه
 يحنث عنده وتطلق امراته فمن حلف على رجل انه زلي فتبين انه غير اولم يتبين انه
 المحلوف عليه ام لا حنث عنده وان تبين انه المحلوف عليه وكان حال اليمين لا يعلم
 حقيقته ولا يغلب على ظنه ولا طريق له الى العلم به في العادة فانه يحنث عنده لشكه
 حال الحلف فالمخالف يحنث بالمخالفه لما حلف عليه ما في الطلب فبان يفعل ما
 حلف على تركه واما في الخبر فبان يتبين كذبه وعند مالك يحنث بامر اخر وهو
 الشك حال اليمين سواء تبين صدقه ام لا وابلغ من هذا انه يحنث من حلف بالطلاق
 على انسان الى جانبه او محجرا او محجرا ونحو ذلك مما لا شك فيه وعمدة في الموضوعين
 ان المخالف هازل فان من قال انت طالق ان لم تكوني امرأة او ان لم اكن رجلا لا
 معنى لكلامه الا الهزل فان هذا مما لا عرض للعقلا فيه قالوا وان لم يكن هذا هزلا
 فان الهزل لا حقيقة له وربما عللوا الحنث بانه اراد ان يحجز الطلاق ثم ندم فو
 صله بما لا يفيد ليرفعه واما في القسم الاول فاصل فيه تغليب الحنث بالشك كمن
 حلف ثم شك هل حنث ام لا فانهم يأمرونه بفراق زوجته وهل هو للوجوب ام لا
 استحباب على قولين الاول لابن القاسم والثاني لما كدر في بقاء النكاح وقد شكنا في
 زواله والاصل بقاء ابن القاسم يقول قد صار حل الوطى مشكوكا فيه فيجب عليه مفا
 رقتها والاكثر يقولون لا يجب عليه مفارقتها ولا يستحب له فان قاعدة الشر
 ان الشك لا يقوى على ازالة الاصل المعلوم ولا يزيل اليقين الا بيقين اقوى منه
 او مساويا له **فصل** واما من طلق واحدة من نسائه ثم انسيها او طلق واحدة
 مبهمه ولم يعينها فقد اختلف الفقهاء في حكم هذه المسئلة على اقول فقال ابو حنيفة
 والشافعي والثوري وحامد بن عثمان واليمين شا فيوقع عليها الطلاق في المبهمه و
 اما في المنسية فيمسك عنهن ويتفق عليهن حتى ينكشف الامر فان مات الزوج

فما لك

قبلا ان يفرق فقال ابو حنيفة يقسم بينهما كلمين ميراث امرأة وقال الشافعي
يوقف ميراث امرأة حتى يصطالحن وقال المالكية ان طلق واحدة منهما غير
معلومة عنده بان قال انت طالق ولا يدري من هي طلق الجميع وان طلق واحدة
معلومة ثم انسيها عنهن حتى يذكروا فان طلق ذلك ضرب له مدة المولي فان تذكر
فيها والا طلق الجميع وقال احمد يفرق بينهما في الصورتين نص على ذلك في رواية
عنه من اصحابه وحكاها عن علي بن عباس وظاهر المذهب الذي عليه جل الاصحاب
انه لا فرق بين المبهمة والمنسية فقال صاحب المغني يخرج المبهمة بالفرقة واصا
المنسية فانه يحرم عليها الجميع حتى تنبئين المطلقة ويؤخذ بنفقة الجميع فان مات اقره
بينهن للميراث قال وقد روينا سمعيل بن سعيد عن احمد ما يدل على ان الفرقة لا تستعمل
في المنسية لمعروفة المحل وانما تستعمل لمعرفة الميراث فانه قال سالت احمد عن الرجل يطلق
امراة من نسائه ولا يعلم ايتهن طلق قال اكره اقول في الطلاق بالفرقة قلت ارايت ان ما
هذا قال اقول بالفرقة وذلك لانه نصير الفرقة على المال قال وجماعة ممن روى عن الفرقة
في المطلقة المنسية انما هو في النورث فاما في المحل فلا ينبغي ان يثبت بالفرقة
قال وهذا قول اكثر اهل العلم واحتج الشيخ لصحة قوله بان اشتبهت عليه في جهة
باجنبية فلم يحل له احداها بالفرقة كما لو اشتبهت عليه باجنبيه لم يكن له عليها عقد وان
الفرقة لا ترتب الترخيم من المطلقة فلا ترفع الطلاق عن وقع عليه ولا احتمال كون
المطلقة غير من خرجت عليها الفرقة ولهذا لو ذكر ان المطلقة غيرها حوت عليه لو
ارتفع الترخيم او زال بالطلاق لما عا د بالذكر فيجب بقاء الترخيم بعد الفرقة كما كان قبلها
قال وقد قال الخري فيمن طلق امراته فلم يدرك واحدة طلق ام ثلاثا ومن حلف بالطلا
ق لا ياكل ثمرة فو قعت في ثمرة فاكل منه واحدة لا تحل له امراته حتى يعلم انها ليست
التي وقعت اليمين عليها فخر ما يع ان الاصل بقاء النكاح ولم يعارضه بيقين الترخيم
فهي هنا اولى قال وهكذا الحكم في كل موضع وقع الطلاق على امرأة بعينها ثم اشتبهت
بغيرها مثل ان يور امرأة في زاوية او مولية فيقول انت طالق ولا يعلم عينها من نسائه
وكذلك اوقع الطلاق على امرأة من نسائه في مسألة الطلوع وشبهها فانه يحرم عليه
جميع نسائه حتى تنبئين المطلقة ويؤخذ بنفقة الجميع لانهم محبوبون عليه وان اقر
بينهن لم تعد الفرقة شيئا ولا يحل لمن وقع عليه الفرقة التزويج لانها يجوز ان

وقوف

تكون

تكون غير المطلقة ولا يحل للزوج غيرها لاحتمال ان تكون المطلقة وقال اصحابنا
اذا اقرع بينهما فخرجت الفرقة على احدهن ثبت حكم الطلاق فيها فحل له النكاح
بعد قضاء عدتها وحل للزوج من سواها كما لو كان الطلاق في واحدة غير بعينه
وقال شيخنا الصحاح استعمال الفرقة في الصورتين قلن وهو منصوص احمد
في رواية الجماعة واما رواية الشافعي فانه توقف وكذا ان يقول في الطلاق بالفرقة
ولم يعين المنسية ولا المبهمة واكثر نصوصه على الفرقة في الصورتين قال في رواية
الميموني لم ارج نسوة طلقوا واحدة منهما ولم يدري يفرق بينهما وكذلك في الاعبد
فان اقرع بينهما فو قعت الفرقة على واحدة ثم ذكر التي طلق رجعت هذه التي و
قعت عليها الفرقة ويقع الطلاق على التي ذكر فان تزوجت فذا كشي قد مر ولذلك
نقل ابو الحارث عنه في رجل له اربع نسوة طلق احداهن ولم يكن له نيسة في واحدة
بعينها يفرق بينهما فارتبهن اصابها الفرقة فهي المطلقة وكذلك ان قصد الى وا
حدة بعينها ونسيها فنص على الفرقة في الصورتين مسيو بينهما والذي افتى به علي
هو في المنسية وبه احتج احمد قال وكيع سمعت ابا عبد الله قال سالت ابا جعفر عن رجل
كان له اربع نسوة وطلق احداهن لا يدري ايتهن طلق قال علي يفرق بينهما والادله
الدالة على الفرقة تنشأ من الصورتين والمنسية قد صارت كالمجهولة شرعا فلا فرق
بينهما وبين المبهمة المجهولة ولان في الانفاق والامساك حتى يتذكر وتخرج الجميع
عليه واجبات النفقة على الجميع عدة مفاسد له والزوجات مندفعات شرعا ولان
الفرقة اقرب الى مقاصد الشرع ومصلحة الزوج والزوجات من تركهن مطلقا
لا ذات ازواج ولا ابائهن تركه هو مطلقا لا ازوج ولا عزبا وليس في الشريعة نظير
ذلك بل ليس فيها وقف الاحكام بل الفصل وقطع الخصومات باقرب الطرق فاذا
صافن الطرق ولم يبق الا الفرقة تعينت طريقا كما عنيها الشارع في عدة قضايا
حيث لم يكن هناك غيرها ولم يوقف الامر الى وقت الانكشاف فاذا علم انه لا سبيل
له الى انكشاف الحال كان ايقاف الامر الى اخر العزم اعظم المفاسد التي لا تاتي
بما الشرعية وغاية ما يقدر ان الفرقة نصيب التي لم يقع عليها الطلاق قلنا
تخطي المطلقة وهذا لا يضرها هنا فانه لما جعل كونها هي التي وقع عليها الطلاق
صارا للمجهول كالمعذور وكما يقدر من المفسد في ذكر مثلها في العتق سواء قد

فمن

دل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبيحة الصبيحة على اخراج المعتوم غيره
 بالقرعة وقد نص احمد على حل البضع بالقرعة فقار في رواية من منصوص وحصل
 اذا زوجها الوليان من رجلين ولم يعلم السابق منهما اقرب بينهما فمن خرجت للقرعة
 عنه حكم انه الاول فاذا قوت القرعة على تعيين الزوج في حل البضع له فلان تقوى
 على تعيين المطلقة في تحريم بضعها عنه اولى فان الطلاق مبني على التغليب والسرية
 وهو امر نفوذ او ثبوت من النكاح من وجوه كثيرة وقول الشيخ انه في عهد قدس الله
 روحه انما اشتبهت عليه وجهه باجنبية فلم يحل له احداها بالقرعة كما لو اشتبهت
 باجنبية لم يكن له عليها عقد جوابه بالفرق بين حالتي الدوام والابتداء فان هنا
 شك في هذه الاجنبية هل حصل عليها عقد ام لا والاصل فيها التحريم فاذا اشتبهت
 بها الزوجة لم تقدم على واحدة منهما وهما ثبت الحل والنكاح وحصل الشك
 بعد هل ترك التحريم في هذه او في هذه فاما ان يحرم جميعا او يحل جميعا او يقال
 لا خير من يقول عليه التحريم او يوقف الامر ابدا وتستعمل القرعة والاقسام الاربعة
 الاولى باطله لا اصل لها في السنة ولم يعتبرها الشارع بخلاف القرعة وبالجملة فلا
 يصح الحاق احد الصورتين بالآخرى اذ هناك تحريم متيقن ونحن نشك في حله
 وهذا حل متيقن نشك في تحريمه بالنسبة الى كل واحدة واحدة قوله ولان القرعة
 لا تزيل التحريم من المطلقة ولا يرفع الطلاق عن من وقع عليه فيقال اذا جهلت
 المطلقة لم يكن له سبيل الى تعيينها قامت القرعة مقام الشاهد والخبر بانها المطلقة
 للضرورة حيث تعينت طريقا فالمطلقة المجهولة قد صار طلاقها بعينها كالجمهورية
 ولو كانت مطلقة في نفس الامر فان الشارع لم يكلفنا بما في نفس الامر بل بما ظهر وبدا
 ولهذا نسي الطلاق بالكلمة واقام على وطئها حتى تنفي كانت احكامه احكام
 الزوج والنسب لا حوله والبراث ثابت وهي مطلقة في نفس الامر ولكن ليست ^{مطلقة}
 في حكم الله كما لو طلع الهلال في نفس الامر ولم يره احد من الناس وكان الهلال تحت
 الغيم فانه لا يترتب عليه حكم الشهر ولا يكون طالعا في حكم الله وان كان طالعا في نفس
 الامر ونظائر هذا كثيرة جدا فغاية الامر ان هذه مطلقة في نفس الامر ولا علم له
 بطلانها فلا تكون مطلقة في الحكم كالنسي طلاقها قوله ولهذا لو ذكر ان المطلقة
 غيرها حوت عليه ولو ارتفع التحريم ازال الطلاق لما عاده بالذكر جوابه القرعة

انما علمت

انما علمت مع استمرار النسيان فاذا زال النسيان بطل عمل القرعة كما ان المنيم اذا
 قد علم استعمال الما بطل حكمه بتممه فان التراب انما يعمل عند العجز عن الماء فاذا
 قد ر عليه بطل حكمه ونظائر ذلك كثيرة منها ان الاجتهاد انما يعمل عند عدم النص فاذا
 تبين النص فلا اجتهاد الا في ابطال ما خالفه قوله وقد قال الخري فيمن طلق امرأته
 ولم يدروا واحدة طلقا ثلاثا يلزمه الثلاث ومن حلف بالطلاق ان لا ياكل تمره فو
 قعت في تمره فاكل منه واحدة لا تحل له امراته حتى يعلم انما ليس التي وقعت اليه من عليها
 فحرمها مع ان الاصل بقا النكاح ولم يعارضه تعيين التحريم فانها اولى فيقال الخري
 نص على المسالنين مفرقا بينهما في تحصره فقال اذا طلق واحدة من نسائه
 ونسبها اخرجه بالقرعة وقال ما حكاه الشيخ عنه في الموضوعين فاما من شك هل
 طلق واحدة ام ثلاثا فكثر النصوص انما يلزمه واحدة وهو ظاهر المذهب
 الخري اختار الرواية الاخرى وهي مذهبنا كذا وقد تم ما خذ القولين وبيان الرابع
 منها وعلى القول يلزم الثلاث فالفرق بين ذلك وبين اخراج المنسية بالقرعة ان
 المجهول في الشرع كالمعروف فقد جعلنا وقوع الطلاق باي الزوجين فلم نتحقق
 تحريم احدهما ولم يكن لنا سبيل الى تحريمها ولا ابا حنفا والوقوف بمفسدة ظاهرة
 فتعينت القرعة بخلاف من وقع على زوجته طلاقا وشك في عدده فانه قد شك
 هل يرتفع ذلك الطلاق بالرجعة او لا يرتفع بها فالزعم بالثلاث فظهر الفرق بينهما
 على هذا القول واما على المشهور من المذهب فلا اشكال اما من حلف بالطلاق لا ياكل
 تمره فو قعت في تمره فاكل منه واحدة فقد قال الخري انه يمنع من وطئ زوجته حتى يتيقن
 وهذا يحتمل الكراهة والتحريم ومذهب الشافعي ابو حنيفة لا يحنث ولا يحرم عليه
 وطئ زوجته واختيار ابي الخطاب وهو الصحيح وان اراد به التحريم فهو يشبه ما
 قاله فهو ما كذا فيمن طلق وشك هل طلق واحدة او ثلاثا **فصل** واما
 من حلف على يمين ثم نسبها وقولها يلزمه جميع ما يخلف به فقوله شاذ جدا وليس
 عن مالك وانما قاله بعض اصحابه وسائر اهل العلم على خلافه وانه لا يلزمه شيء
 حتى يتيقن كما لو شك هل حلف او لا فان قيل فيمن عني ان يلزمه كفارة يمين لانها
 الاقل قيل موجب الايمان بخلاف من يمين الا وهي مشكوك فيمن هل حلف بها ام لا

ن
فها هنا

وعلى قول شيخنا يلزمه كفارة يمين حسب لأن ذلك موجب الإيمان كلما عظم
فصل وأما من حلف ليفعلن كذا ولم يعين وقتا فعند الجمهور هو على
 الزاخي إلى آخر عمره إلا أن يعين بنيته وقتا فيستقيد به وإن عزم على الترك بالكلية
 حنث حاله عزمه نص عليه أحمد وقال مالك هو على حنث حتى يفعل فيحال بينه وبين
 امرائه إلى أن يأتي بالحلف عليه وهذا صحيح على الأصل في سد الذرائع فإنه إذا كان على
 التراجع إلى وقت الموت لم يكن لليمين فائدة وصار لافرق بين الحلف وعدمه والحمل في
 ذلك على المذهب القريبي والعرفان لم يكن نية ولا تكاد اليمين تنجز عن هذه المثلا
 نه وأما تعليق الطلاق بوقت يمي لا محالة كراس الشهر والسنة وأخر الشهر ونحو
 فلفظها في ذكر أربعة أقوال **الحد** لا تطلق بحال وهذا مذهب ابن حزم واختيار أبي
 عبد الرحمن الشافعي وهو أجل من أصحاب الوجوه ومجتهم أن الطلاق لا يقبل التعليق
 بالشرط كما لا يقبله النكاح والبيع والأجارة والإبراء قالوا والطلاق لا يقع في الحال
 ولا عند محي الوقت أما في الحال فإنه لا يوقعه منجزا وأما عند محي الوقت فإنه لم يصد
 منه طلاق حينئذ لم يتجدد سوى محي الزمان ومحي الزمان لا يكون طلاقا وقابل هذا
 القول آخرون وقالوا يقع الطلاق في الحال وهذا مذهب مالك وجماعة من التابعين
 ومجتهم أن قالوا لم يقع في الحال لمحصل منه استباحة حنوطي وقت وذلك غير جائز
 في الشرع لأن استباحة الوطى فيه لا يكون إلا مطلقا غير موقت ولما حرم نكاح
 المنع له خولا لأجل فيه وكذلك وحلي المكاتبه الأنزى أنه لو عري من الأجل بان يقول
 إن جئتني بالغدرهم فأنشأ حق لم يمنع ذلك الوطى قال الموقعون عند الأجل لا يجوز
 أن يؤخذ حكم الدوام من حكم الابتدأ فان الشرعية فرقت بينهما في مواضع كثيرة
 فان ابتداء عقد النكاح في الأحرام فاسد دون دوامه وابتداء عقده على المعتدة
 فاسد دون دوامه وابتداء عقده على الزانية فاسد عند أحمد ومن وافقه دون دوامه
 ونظيره ذلك كثيرة جدا قالوا والمعنى الذي حرم لأجله نكاح المنع كون العقد
 موقتا من أصله وهذا العقد مطلق وإنما عرض له ما يبطله ويقطعه فلا يبطل
 كالأول على الطلاق بشرط وهو يعلم أنها تفعله أو يفعلها هو ولا بد ولكن يجوز

تخلفه

تخلفه والقول الثالث أنه إن كان الطلاق المعلق بمحي الوقت المعلوم ثلاثا وقع في
 الحال وإن كان رجعي لم يقع قبل مجيئه وهذا أحد الروايتين عن الإمام أحمد نص
 عليها في رواية ميمنا إذا قال أنت طالق ثلاثا قبل موتي بشهر محي طالق الساعة
 كان سعيد بن المسيب والزهرية لا يفتنون في الطلاق قال ميمنا فقلت له افتن زوج
 هذه التي قال لها أنت طالق قبل موتي بشهر قال لا ولكن يسكنك ابتداء عن الوطى حتى
 يموت هذا اللفظ وهو في غاية الاشكال فإنه قد اوقع عليها الطلاق منجزا
 فكيف يمنعها من التزوج وقوله يسكنك عن الوطى ابتداء على أنها زوجة إلا أنه لا
 يطأها وهذا لا يكون مع وقوع الطلاق فان الطلاق إذا وقع زالت أحكام الزوجة
 كلها فقد يقال أخذ بالاحتياط فأوقع الطلاق ومنعها من التزوج للخلاف في
 ذلك فحم وطحا وهو أثر الطلاق ومنعها من التزوج لأن النكاح لم ينقطع باجها
 ع ولا نص ووجه هذا أنه إذا كان الطلاق ثلاثا لم يحل وطحا بعد الأجل فيصير حل
 الوطى موقتا وإن كان رجعي جازله وطحا بعد الأجل فلا يصير الحل موقتا وهذا
 أفقه من القول الأول والقول الرابع إنما لا تطلق إلا عند محي الأجل وهو قول الجمهور
 وإنما تازعوا أهل هو مطلق في الحال محي الوقت شرط نفوذ الطلاق كما لو وكله في الحال
 وقال لا تنصرف إلى راس الشهر في الشهر شرط لنفوذ تصرفه لا لمحصل الوكالة بخلاف
 ما إذا قال إذا جاز راس الشهر فقد وكلتك ولما بفرقة الشافعي بينهما فتصح الأولى
 وتبطل الثانية أو يقال ليس بطلقا في الحال وإنما هو مطلق عند محي الأجل فيفدر
 حينئذ أنه قال أنت طالق فيكون حصول الشرط وتغير حصول أنت طالق الزنا
 فعلى التقدير الأول السبب تقدم وتأخر شرط تأثيره وعلى التقدير الثاني نفس السبب تأخر
 تقدير المحي الوقت فكانه قال إذا جاز راس الشهر فحينئذ أنا قائل لك أنت طالق
 فاذا جاز راس الشهر قدر قابلا لذلك اللفظ المتقدم فذهب الحنفية بمنع به وجوه العلم
 فاذا وجد الشرط وجد العلم فيصير وجودها مضافا إلى الشرط وقبل تحققه لم
 يكن المعلق عليه علم بخلاف الوجوب فإنه ثابت قبل محي الشرط فاذا قال إن دخلت
 الدار فانت طالق فالعلم للوقوع باللفظ بالطلاق والشرط الدخول وتأثيره في امتناع
 وجود العلم قبله فاذا وجد وجد أصحاب الشافعي يقولون أثر الشرط في تراخي

الشرط

الحكم والعلة قد وجدنا أثرها في وقت الحج الشرط فالمتقدم عليه قد أثر تأثيرها إلى الحج الشرط **فصل** وأما ما أفتى به الحسن وإبراهيم ومالك في إحدى الروايتين عنه أنه من شك هل انقضى وضوءه أم لا وجب عليه أن يتوضأ احتياطاً ولا يدخل في الصلاة بطمأنينة مشكوك فيها فهذا منزلة مسألة نزاع بين الفقهاء وقد قال الجمهور منهم الشافعي وأحمد وأبو حنيفة وأصحابهم ومالك في الرواية الأخرى عنه أنه لا يجب عليه الوضوء لأنه أن يصلي بذلك الوضوء الذي يقينه وشك في انتفاضه واحتجوا بما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكه عليه أخرجه منه شيء لا فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً وهذا يعم المصلي وغيره وأصحاب القول الأول يقولون الصلاة ثابتة في ذمته بيقين وهو يشك في براءة الذمة منها بهذا الوضوء فإنه على تقدير بقاءه هي صحيحة وعلى تقدير انتفاضه باطله فلم يثبت براءة ذمته ولأنه يشك في شرط الصلاة هل هو ثابت أم لا فلا بد من خل فيها بالشك الآخر من يجيبون عن هذا بأنها صلاة مستندة إلى طهارة معلومة قد شك في بطلانها فلا يلغى في الشك ولا يزول اليقين به كما لو شك هل أصاب بدنه أو ثوبه نجاسة فإنه لا يجب عليه غسله وقد دخل في الصلاة بالشك فترقب ما بينهما بفرق بين أحد هما أن اجتناب النجاسة ليس بشرط ولهذا لا تجب نيته وإنما هو مانع والأصل عدمه بخلاف الوضوء فإنه شرط وقد شك في ثبوته فابن هذا أنه هذا الثاني أنه قد كان قبل الوضوء محدثاً وهو الأصل فيه وإذا شك في بقاءه كان رجوعاً إلى الأصل وليس الأصل فيه النجاسة حتى نقول إذا شك في حصولها رجعنا إلى أصل النجاسة فهذا يرجع إلى أصل الطهارة وهناك يرجع إلى أصل الحدث قال الآخرون أصل الحدث قد زال بقيت الطهارة فصارت هي الأصل فإذا شكنا في الحدث رجعنا إليه فابن هذا من الوسواس المذموم شرعاً وعقلاً وعرفاً **فصل** وأما قولكم أن خفي عليه موضع النجاسة من الثوب وجب عليه غسله كله فليس هذا من باب الوسواس وإنما ذلك من باب الأيتم الواجب إليه فإنه قد وجب عليه غسل جزء من ثوبه ولا يعلمه بعينه ولا سبيل إلى العلم بأدائه الواجب الغسل جميعه **فصل** وأما مسألة الثياب التي اشتبهت منها الطاهر بالنجس في هذه المسئلة نزاع فذهب مالك في رواية عنه وأحمد إلى أنه يصلي في ثوب بعد ثوب حتى يتيقن أنه صلى في ثوب طاهر وقال الجمهور منهم أبو حنيفة والشافعي ومالك في الرواية الأخرى أنه يتحرى فيصلي في ثوب واحد منها صلاة واحدة كما يتحرى في القبلة وقال المزني وأبو ثور إن يصلي

في
باق

من صر

عرباناً

عرباناً ولا يصلي في شيء منها إلا أن الثوب النجس في الشرع كالمحذوم والصلاة فيه حرام وقد عجز عن الستة بنوب طاهر فيسقط فرض الستة وهذا أضعف الأقوال والأقوال بالتحريم هو الأرجح سواء كثر عدد الثياب الطاهرة أو قل وهو اختيار شيخنا وابن عقيل **فصل** فيقول أن كثر عدد الثياب تحراد فعا المشقة وإن قل علم باليقين قال شيخنا اجتناب النجاسة من باب المحذور فإذا تحراز غلب على ظنه طهره في ثوب منها فصل فيه لم يحكم ببطلان صلاته بالشك فإن الأصل عدم النجاسة وقد شك فيها في هذا الثوب فيصلي فيه كما لو استعار ثوباً واشتراه ولا يعلم حاله وقول أي ثور في غاية الفساد فإنه لو تيقن نجاسة الثوب لكانت صلاته فيه خيراً وأوجب إلى الله من صلاته بمجرى أبادي السوء للناظرين وبكل حال فليس هذا من الوسواس المذموم **فصل** وأما مسألة استباه الأواني فكذلك ليست من باب الوسواس وقد اختلف فيها الفقهاء اختلافاً متبايناً فقال أحمد ببيتيم وبتركها وقال مرق يهرقها وبيتيم ليكون عادوا لما الطهور بيقين وقال أبو حنيفة إن كان عدو الأواني الطاهرة أكثر تحريم وإن تساوت أو كثرت النجاسة لم يتحرى وهذا اختيار أي بكر وابن شاذان والنجاد من أصحاب أحمد وقال الشافعي وبعض المالكية يتحرى بكل حال وقال عبد الملك بن الما جشون يتوضأ بكل واحد منها وضوءاً ويصلي فيه وقال محمد بن مسلمة من المالكية يتوضأ من أحدهما ويصلي ثم يغسل ما أصابه منه ثم يتوضأ من الآخر ويصلي وقالت طائفة منهم شيخنا يتوضأ من إيماء شاة على أن الماء لا ينجس إلا بالتغيير فتستحيل المسئلة وليس هذا موضع ذكر حجج هذه الأقوال وترجيح رأيها **فصل** وأما إذا اشتبهت عليه القبلة فالذي عليه أهل العلم كلهم أنه يجتهد ويصلي صلاة واحدة وقد بعض الناس فقال يصلي أربع صلوات إلى أربع جهات وهذا قول شاذ مخالف للسنة وإنما التزيم قايلاً من مسألة الثياب وهذا ونحوه من وجوه الأثر ما ت عند المضائق طرق الأدلة المستدل مما لا يلتفت إليها ولا يعول عليها ونظيره التزام من التزم واشترط اليقينية لإزالة النجاسة لما التزمهم أصحابنا في حنيفة بذلك قال بعضهم نقول به ونظيره أدراك الجمعة بأدراك تكبيره مع الإمام لما التزمه الحنفية من نازعها في ذلك بالنسوية بين الجمعة والجماعة التزمه بعضهم وقال نقول به

Copyrighted material

فصل واما من ترك صلاة من يوم لا يعلم عينها فاختلف الفقهاء في هذه المسئلة على احوال احدها انه يلزمه خمس صلوات وهو قول مالك والشافعي والي حنيفة واسحق لانه لا سبيل له الى العلم ببراة ذمته بيقينا الا بذكر القول الثاني انه يصلي رباعية ينوي بها ما عليه ويجلس عقب الثانية والثالثة والرابعة وهذا قول الاوزاعي وزفر بن المذبل ومحمد بن مقاتل من الحنفية بناء على انه يخرج من الصلاة بدون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبدون السلام وان نية الفريضة تكفي من غير تعيين كما في الزكاة ولا يضر جلوسه عقب الثالثة ان كانت المنسية رباعية لانه زيادة من جنس الصلاة لا على وجه العهد الثالث انه يجزئ ان يصلي فجرا ومغربا ورباعية ينوي ما عليه وهذا قول سفيان الثوري ومحمد بن الحسن ويخرج على المذهب اقلنا بان نية المكتوبة تكفي من غير تعيين وقد قال عبد بن احمد سمعت ابي يسال ما تقول في رجل ذكر ان عليه صلاة لم يعينها فصلى ركعتين وجلس وتشهد ونوى في الغداة ولم يسلم ثم قام فاتي بركعة وجلس وتشهد ونوى بها المغرب وقام ولم يسلم فاتي برابعة ثم جلس وتشهد ونوى بها ظهرا او عصر او عشاء الاخرة ثم سلم فقال له ابي هذا يجزئ ويقضي عنه على مذهب العراقيين كما انهم اعتمدوا في التشهد على خبرين مسعود اذا قلت هذا فقد تمت صلاتك واما على مذهب صاحبنا ابي عبد الشافعي ومذهبنا لا يجزئ عنه لانا نذهب الى قوله تحريرا التكبير وتحليلها التسليم ونذهب الى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها هذا لفظه قال ابو البركات فهذا من احاديث ان قضا الواحدة لا يجزئ لتعدد التحليل المعبر بالفوات نية التعيين فاذا قضى ثلاثا كما قال الثوري اندفع للفسد بكل حال فليس في هذا راحة للموسوسين **فصل** واما من شك في صلاة فاته نية على اليقين لانه لا تبرأ ذمته بالشك واما تحريم اكل الصيد اذا شك صاحبه هل مات بالجراح او بالمأوت وتحريم اكله اذا خالط كلابه من غيره فهو الذي احرره رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قد شك في سبب الحل والاصل في الحيوان التحريم فلا يستباح بالشك في شرط حله بخلاف ما اذا كان الاصل فيه الحل فانه لا يحرم بالشك في سبب تحريمه كما لو اشترك ماء او طعاما او ثوبا لا يعلم حاله جاز

2
الا على

اكله

اكله وشربه ولبسه وان شك هل تجس ام لا فان الشرط متى شق اعتباره او كان الاصل عدم المانع لم يلقت الي ذلك فالاول كما اذا اوتي بالجم لا يعلم هل سمي ذابحه ام لا وهل ذكاه في الحلق واللحية واستوفى شروط الذكاة ام لا لم يحرم اكله لمصلحة التفتيش عن ذلك وقد قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله اننا سامن الاعراب يا نوسا بالجم لا نذكر اذ ذكروا اسم الله عليه ام لا فقال سموا انتم واكلوه مع انه قد نهي عن اكل ما لم يذكر عليه اسم الله والثاني كما ذكرنا من الماء والصلح واللباس فان الاصل فيها الطهارة وقد شك في وجود المنجس فلا يلقت اليه **فصل** واما ما ذكرتموه عن ابن عمر وابي هريرة فشي تفر دابة دون الصحابة ولم يوافق ابن عمر على ذلك احد منهم وكان ابن عمر يقول انني وسواسا فلا تقعدوا في وظاهر مذهب الشافعي واحمد ان داخل العينين في الوضوء لا يستحب لان من الضر لان لم ينقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعله قط ولا امر به وقد نقل وضوءه جماعة نعمان وعلي وعبد بن زيد والربيع بنت مسعود وغيرهم فلم يقل احد منهم انه غسل داخل عينيه وفي وجوبه في الجنازة روايتان عن احمد اصحهما انه لا يجب وهو قول الجمهور وعلى هذا فلا يجب غسلها من الجنازة واولى لان المضرة به اغلب لزيادة التكرار والمعالجة وقالت الشافعية والحنفية يجب لان اصابة الجنازة لها تندر فلا يشق غسلها منها وغلا بعض الفقهاء من اصحاب احمد فاوجب غسلها في الوضوء وهو قول لا يلتفت اليه ولا يعرف عليه والصحيح انه لا يجب غسلها في وضوء ولا جنازة ولا جنازة وما فعل الي هرة فهو شبي قاوله وخالفه فيه غيره وكانوا ينكرون عليه وهذه المسئلة تلقت بمسئلة اطلالة الغرة وان كانت الغرة في الوجه خاصة وقد اختلف الفقهاء في ذلك وفيها روايتان عن الامام احمد احدهما استحباب اطلالها وبها قال ابو حنيفة والشافعي واختارها ابو البركات ابن تيمية وغيره والثاني لا يستحب في مذهب مالك وهي اختيار شيخنا ابي العباس فالمستحبون يحتاجون بحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيمة من اثر الوضوء استطا ع منكم فليطل غرته وجعلته متفق عليه ولان الحلية تبلغ من المومن حيث يبلغ الوضوء قال الثاقفون للاستحباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حد حدره ا فلا تعدوها والله سبحانه قد حد المرفقين والكعبين فلا ينبغي تعديهما ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلى سقط
غسل

لم ينقل من نقل عنه وصنوه انه ثغرها ولان ذلك اصل الوسواس ومادته ولان
 فاعلم انما يفعل قربة وعبادة والعبادات منها على الاتباع ولان ذلك فريضة
 الى الغسل الى الفخذ والكنتف وهذا ما يعلم ان النبي صلى الله عليه وآله واصحابه لم يفعلوا
 ولا مرة واحدة ولان هذا من الغلو قد قال صلى الله عليه وآله اياكم والغلو في الدين و
 لانه تعالى وهو منهي عنه ولانه عضو من اعضا الطهارة فكمه مجاوزته كالوجه و
 اما الحديث فراويه عن ابي هريرة نعيم المجرم وقد قال لا ادري قوله من استطاع
 منكم ان يطيل غرته فليطهله من قول النبي صلى الله عليه وآله ومن قول ابي هريرة وروي
 ذلك عن الامام احمد في المسند واما حديث الحلية فالحلية للزينة ما كان في محله
 فاذا جاوز محله لم يكن زينة **فصل** واما قولكم ان الوسواس خير مما
 عليه اهل التخليط والاسترسال وتمشية الامر كيف اتفق الى اخره فالحمد لله انما
 لطرفان افراط وتفریط وغلو وتقصير وزيادة ونقصان وقد نهى الله سبحانه
 عن الامرين في غير موضع كقوله ولا تجعل بينك وبيدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها
 كل البسط وقوله واكث ذالقرنى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر بذر
 وقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الآية وقوله كلوا وشربوا ولا تسرفوا
 انه لا يحب المسرفين فدين الله بين الغالي فيه والجليل عنه وخير الناس النمط الاو
 سط الذين ارتفعوا عن تفصيل المفرطين ولم يالحقوا بغلو المعتدين وقد جعل
 الله سبحانه هذه الامة وسطا وهي الخيار العدل لتوسطها بين الطرفين المذمومين
 والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط والافات انما تنطرق الى
 الاطراف والاولى ساط محمية باطرافها فخير الامور اوسطها قال الشاعر
 كانت هي الوسط التحمي فاكنت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
فصل ومن اعظم مكايده التي كاد بها اكثر الناس وما نجح منها
 الا من لم يرد الله فتنه ما اوحاه قديما وحديثا الى حزبه واوليائه من الفتن
 بالقبور حتى الى الامم فيها الى ان عبد ربها من دون الله وعبدت قبورها واتخذت
 اوثانا وبنيت عليها الهياكل وصورت صور ربها فيها ثم جعلت تلك الصور
 اجسادا الهياكل ثم جعلت اصناما وعبدت مع الله وكان اول هذا الداء في قوا
 نوح كما اخبر سبحانه عنهم في كتابه حيث يقول قال نوح رب انهم عصوني وابتغوا
 من لم يرده ماله وولده الا خسارا الى قوله وقد اضلوا كثيرا الآية قال ابن جرير

الفتن بالقبور
 لعود بالله من
 مضلات الفتن

وكان من خبره هذا لا سيما بلغنا ما حدثنا ابن حميد ثنا مهران عن سفيان عن موسى
 عن محمد بن قيس ان يعقوب ونسرا كانوا قوما صالحين من بني ادم وكان
 لهم ابنا يعقوبون بهم فلما ماتوا قالوا لاصحابهم الذين يقتدون بهم لوصورناهم
 كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصورناهم فلما ماتوا وجاء اخرون دبر اليهم
 ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم قال سفيان عن
 ابيه عن عكرمة قال كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثنا ابن عبد
 الاعلى عن معمر عن قتادة في هذه الآية قال كانت الهة يعبدونها قوم نوح ثم عبد
 نوح العرب بعد ذلك فكانت ودا الكلب بدنة الجندل وكان سواع لهذيل و
 كان يعقوب لبني غطفان من مراد وكان يعقوب لهذان وكان نسر لذي الكلاع
 من حمير وقال الوالي عن ابن عباس هذه اصنام كانت تعبد من قوم نوح عليه السلام
 وقال البخاري ثنا ابراهيم بن موسى ثنا هشام عن ابن جريح قال قال عطاء
 عن ابن عباس صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد اما وذكابا
 نث الكلب بدنة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يعقوب فكانت لمراد
 لبني غطفان بالجوف عند سبأ واما يعقوب فكانت لهذان واما نسر فكانت لحمير
 لآل ذي الكلاع اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم
 ان انصبوا الى مجالسمهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا
 فلم يعبدوا حتى اذا هلك اولئك ونسي العلم عبدت وقال غير واحد من السلف
 كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا واما
 نيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم فماتوا فجمعوا بين الفنتين فسنة القبور فسنة
 التي تليها وهما الفتنان اللتان اشار اليهما رسول الله صلى الله عليه وآله في الحديث المتفق على
 صحته عن عائشة رضي الله عنها ان ام سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وآله كنيسة رايتها بارض
 الحبشة يقال لها مارية فذكرت مارات فيها من الصور فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اولئك
 قوم اذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك
 الصور اولئك شرار الخلق عند الله وفي لفظ اخر في الصحاح ان ام حبيبة رأت ام سلمة
 ذكرت كنيسة رايتها فجمع في هذا الحديث بين التماثيل والقبور وهذا كان سبب عبادة
 اللات فروي ابن جرير باسناده عن سفيان عن منصور عن مجاهد افراتيم اللات والعز
 قال كانت يلبس لهما ستونق فأت فحلفوا على قبره وكذا قال ابو الجوز عن ابن عباس

Copyrighted material

كان يلبث السويق الحاج فقد رايت ان سبب عبادة يغوث ويعوق وفسر اولاً
انما كانت من تعظيم قورهم ثم اتخذوا لها تماثيل وعبدوها كما اشار اليه
النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا وهذه العلة التي لا جملها نهي الشارح عن اتخاذ
المساجد على القبور وهي التي اوقعت كثير من الامم اما في الشرك الاكبر او فيما دونه
من الشرك فان النفوس قد اشركت بنماثيل القدم الصالحين وتماثيل يزعمون انها
طلاسم للكواكب نحو ذلك فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه اقرب الى النفوس
من الشرك بخشبة او حجر ولما اتخذ اهل الشرك كثير ينضرعون عندها ويخشعون
ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السجود ومنهم من
يسجد لها واكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد
فلاجل هذه المفسد حسم النبي صلى الله عليه وسلم ما دلتها حتى نهي عن الصلاة في المقبر
بطلق وان لم يقصد المصلي بركة البقعة بصلاته كما يقصد بصلاته بركة المسا
جد كما نهي عن الصلاة وقت طلوع الشمس وغروبها لانها اوقات يقصد المشركون
الصلاة فيها للشمس فنهى الله عن الصلاة حينئذ وان لم يقصد ما قصد المشركون
سد للذريعة قالوا اما اذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركاً بالصلاة في تلك
البقعة فهذا عين الحماة لله ورسوله والمخالف للدين لم ياذن به الله
فان المسلمين قد اجمعوا على ما علموا بالا اضطوار من دين رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الصلاة عند القبور منهي عنها وانه لعن من اتخذها مساجداً من اعظم
المحذات واسباب الشرك الصلاة عندها واتخاذها مساجداً او بنا المسجد
عليها فقد توارث النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن ذلك والتخليط فيه
وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بنا المساجد عليها متابعين منهم للسنة
الصحيحة الصريحة وصرح اصحاب احمد وغيرهم من اصحاب مالك والشافعي
بتحريم ذلك والحطيفة اطلقت الكراهة والذي ينبغي ان تحمل على كراهة التحريم
احساناً للظن بالعلماء وان لا يظن بهم ان يجوزوا فعل ما توارث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن فاعله والنهي عنه في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله البجلي
قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان يوتى خمس وهو يقول ان يبر الى الله ان يكون لي منكم خيلاً فان الله

قد اتخذ

قد اتخذني خيلاً كما اتخذ ابراهيم ولو كنت متخذاً من امتي خيلاً لا اتخذت اباً
خيلاً الا وان من كان قبلكم يتخذون قبور انبيائهم مساجد الا فلا تتخذوا
القبور مساجد فاني انما كنتم عن ذلك وعن عائشة وعبد الله بن عباس قال لا تزار
سوا الله صلى الله عليه وسلم طفن بطرح خبيثة له على وجهه فاذا اغتم كشفها فقال
وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر
ما صنعوا متفق عليه وفي الصحيحين ايضاً عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وفي رواية مسلم
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فقد نهي عن هذا اتخاذ القبور
مساجد في اخرجين ثم انه لعن وهو في السياق من ذلك من اهل الكفا ليحذر ان
ان يفعلوا ذلك قال عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يبق
منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد ولو لا ذلك لابرز قبره
غير انه خشى ان يستخذ مسجد متفق عليه وقولها خشى هو بضم الخاء تعميلاً
لمنع ابراز قبره وروى الامام احمد في مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان من شر الناس من تدكهم الساعة وهم احياء والذين يتخذون القبور
مساجد وعن زيد بن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد ورواه الامام احمد وعنه بن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زيار القبور والمقابر
عليها المساجد والامر رواه الامام احمد واهل السنن وفي صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب
راى انس بن مالك يصلي عند قبر فقال القبر القبر وهذا يدل على انه كان من المستقر عند
الصحاب رضي الله عنهم ما نهيهم عن ذلك صلى الله عليه وسلم من الصلاة عند القبور وفعل
انس لا يدل على اعتقاد جوازها فانه لعنهم يره او لم يعلم انه قبر او ذهل عنه فلما نهي
عمر بن الخطاب وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض كلها مسجد الا
المقبرة والحمام ورواه الامام احمد واهل السنن الاربعة وصححه ابو حاتم بن حبان و
البلغ من هذا انه نهي عن الصلاة الى القبر فلا يكون القبر بين المصلي وبين القبلة فورد
مسلم في صحيحه عن ابي هريرة الخنزي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على
القبور ولا تصلبوا اليها وفي هذا البطل قول من زعم ان النهي عن الصلاة فيها لاجل
النجاسة فهذا البعد عن نقاص الرسول وهو باطل من عدة اوجه منها ان الاحاديث

فعل

يكون

بلغ

كلها ليس فيها فرق بين المقبرة الحديثة والمنبوشة كما يقول المعلقون بالنجاسة ومنها
 انه صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى على اتخاذ قبورهم مساجد ومعلوم قطعا
 ان هذا ليس لاجل النجاسة فان ذلك لا يختص بقبور الانبياء لان قبور الانبياء من
 اظهر البقاع ليس للنجاسة عليها طريق البتة فان الله حرم على الارض ان تاكل اجسا
 دهم فممن في قبورهم طريق ومنها انه نهي عن الصلاة اليها ومنها انه اخبر ان الارض كلها
 مسجد الا المقبرة والحمام ولو كان ذلك لاجل النجاسة لكان ذكر الحشوش والمجازر اولى
 من ذكر القبور ومنها ان موضع مسجده صلى الله عليه وسلم كان مقبرة للمشركين فنبش قبورهم
 وسواها واتخذ مسجدا ولم ينقل ذلك التراب بل سوا الارض ومهدا وصلى فيه كما
 ثبت في الصحيحين عن انس بن مالك قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فترن بالاعلى
 المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف فاقام النبي صلى الله عليه وسلم فيهم اربع عشرة ليلة
 ثم ارسل الى ملا بني النجار فجاؤا متقلدين السيوف وكافي انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم على
 راحلته وابوبكر ردفه وملا بني النجار حوله حتى القابض ابي ايوب وكان يحب ان يصلي
 حيث ادركته الصلاة ويصلي في مراتب الغنم وانه امر ببناء المسجد فارسل الى حلاء
 بني النجار فقال يا بني النجار ثامنوني بحايطةكم هذا قالوا الا والله لا نطلب ثمننا الا
 فكان فيه ما اقول لكم قبور المشركين وفيه حريب وفيه نخل فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور
 المشركين فنبشت ثم بالحرب فسويت وبالنخل فقطع فصفوا النخل قبلته
 المسجد وجعلوا اعضاءه الحجارة وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون
 وذكر الحديث ومنها ان في فتنه الشرك بالصلاة في القبور ومشاهاة عباد الا
 وثان اعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر فاذنني عن ذلك سد الذريعة
 التشبه التي لا يكاد تخطر بالبال فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما
 تدعو اصحابها الى الشرك ودعاء الموت واستجابتهم وطلب الحوائج منهم واعتقاد
 ان الصلاة عند قبورهم افضل منها في المساجد وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة
 لله ورسوله فاين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة وما يدل على ان النبي
 صلى الله عليه وسلم قصد منع الامم من الفتن بالقبور كما افتن بها قوم نوح ومن بعدهم ومنها
 انه لعن المتخذين عليها المساجد لو كان ذلك لاجل النجاسة لا يمكن ان يتخذ عليها المسجد
 تطيبها بطيب طاهر فترى اللعنة وهو باطل قطعا ومنها انه قرن في اللعنة بين

متخذين المساجد عليها وموقدي السروج عليها فمما في اللعنة قرينان وفي ارتكاب
 الكبيرة صنوان فان كل ما لعن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر ومعلوم ان
 ايقاد السروج عليها انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها وجعلها نصيبا يفيض
 اليه المشركون كما هو الواقع في هذا اتخاذ المساجد عليها ولهذا قرن بينهما فان اتخاذ
 المساجد عليها تعظيم لها وتعريض للفتنة بها ولهذا احكى الله سبحانه عن المتطهين على
 امر اصحاب الكهف انهم قالوا المتخذون عليهم سجدا ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
 لا تجعل قبري وشايعي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبورا بنبيهم مساجد فذكر
 ذلك عقيب قوله اللهم لا تجعل قبري وشايعي بعد تنبيهه على سبب حقوق اللعن لهم وهو تو
 سليم بذلك الى ان تصير اوثانا تعبد وبالحمله فمن له معرفة بالشرك واسبابه وذرائعه
 وفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاصده جزم جزما لا يحتمل النفيض ان هذه المبالغة
 منه باللعن والنهي بصيغة صيغة لا تفعلوا وصيغة التي انما هي ليعلم لاجل النجاسة بل
 هو لاجل نجاسة الشرك الملاحقة بمن عصاه وارتكب ما نهاه عنه واتبع هواه ولم يخش
 ربه ومولاه وقل نصيبه وعدم من تحقيق شهادة ان لا اله الا الله فان هذا او مثاله من
 النبي صلى الله عليه وسلم صيانة للحجج النوحيدان بالحقة الشرك ويغشاه وتجري له وغضا
 لربه ان يعد له سواه فابي المشركون الامعية لاهم وارثا بالنهي وعزم
 الشيطان بان هذا تعظيما لقبول المشايخ والصالحين وكلما كنتم اشد لها تعظيما
 واشد فيهم غلوا كنتم بقرتهم اسعد ومن اعدائهم ابعد ولعمري الله من هذا الباب
 بعينه وخل على عباد لا يغوث ويعوق ومنه دخل على عباد الا اصنام منذ كانوا
 الى يوم القيمة فحج المشركون بين الغلو فيهم والطعن في طريقهم وهذه الله
 اهل النوحيد لسلوك طريقهم وانزالهم منازلهم التي انزل الله اياها من العترة
 وسلب خصايص الالهية عنهم وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم واما المشركون
 فعصوا امرهم ونقضوا في صورة التعظيم لهم قال الشافعي رحمه الله عليه اكره
 ان يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجدا مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس
 ومن عطل بالشرك ومشاهاة اليهود والنصارى الا انهم في كتاب ناسخ الحديث و
 منسوخه فقال بعد ان ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت في الار
 ض مسجدا الا المقبرة والحمام وحديث زيد بن جبير عن داود بن الحصين عن نافع
 عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الصلاة في سبع مواضع فذكر فيها المقبرة قال الا انما

كرهت الصلاة في المقبرة للتشبه باهل الكتاب لانهم يتخذون قبور انبيائهم وصلاتهم
 مساجد **فصل** ومن ذلك اتخاذها عيدا والعيد ما يعتاد مجيء وقصد
 من مكان وزمان فاما الزمان فلقوله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة ويوم النحر وايام منى عيدا
 اهل الاسلام رواه ابو داود وغيره واما المكان فكما روى ابو داود في سننه ان رجلا
 قال يا رسول الله اني نذرت ان انحر بوائنه قال ايها وثن من او ثان المشركين او عيدا من
 اعيادهم قال لا قال فاوف بنذرك وكفر له لا تجعلوا قبوري عيدا والعيد ما هو من
 المعاودة والاعتيا فاذا كان اسم المكان فهو المكان الذي يقصد الاجتماع فيه انتيا
 به للعبادة او لغيرها كما ان المسجد الحرام وفي مزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله
 عيدا للحنفاء ومثابة كما جعل ايام التعب في عيدا وكان المشركين اعياد ازمانه و
 مكانه فلما جاء الله بالاسلام ابطالها وعوض الحنفاء عنها عيد الفطر وعيد النحر وايام
 منى كما عوضهم عن اعياد المشركين المكانية بالكعبة البيت الحرام وعرفة وفي المشاعر
 فاتخاذ القبور عيدا هو من اعياد المشركين التي كانوا عليها قبل الاسلام وقد نهى عنه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيد القبور منه ابراهيم عليه السلام وقد نهى عنه
 قرآن على عبد بن نافع اخبرني ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري عن ابي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبوري عيدا ولا تجعلوا قبوري عيدا وصلوا علي فان
 صلاتكم تبلغني حيث كنتم **صلواتكم** وهذا اسناد حسن رواه كلهم ثقات مشايخ
 هير وقال ابو يعلى الموصلي في مسنده ثنا ابو بكر ابن ابي شيبة شاذ بن الجباب شاذ جعفر
 بن ابراهيم بن ولد ذي الجناحين شاذ بن علي بن الحسين بن ابي جلابي الى فرجة كا
 نش عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فيها وقال لا احد ثمة حديثا سمعته
 من ابي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبوري عيدا ولا قبوري عيدا
 فان تسليمكم يبلغني اينما كنتم رواه ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختار
 وقال سعيد بن منصور في السنن شاذ بن علي حديثي محمد بن مجاهد عن ابي سعيد
 مولى المير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبوري عيدا ولا قبوري عيدا وصلوا
 علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال سعيد شاذ بن علي عن محمد بن ابي سفيان
 بن ابي سهل قال رايت الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند القبر فناداني وهو

في بيت فاطمة يتعشي فقال لهم الى العشاء فقلت لا اريد فقال مالي رايتك عند القبر
 فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال اذا دخلت المسجد ثم قال ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لا تتخذوا قبوري عيدا ولا تتخذوا قبوري عيدا ولا تتخذوا قبوري عيدا
 ثم مساجد وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم ما كنتم من بالانذلس الاسواق
 في هذا المرسلان من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج
 من اركله به وذلك يقتضي ثبوته عند هذا الوجه لم يكن من وجوه مسنده غير هذين فكيف
 وقد تقدم مسنده قال شيخ الاسلام قدس الله روحه ووجه الدلالة ان قبر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم افضل قبر على وجه الارض وقد نهى عن اتخاذ عيدا لقبور غيره اولى بالنبي
 كما نهى عن اتخاذ قبره من ان يقرن ذلك بقوله ولا تتخذوا قبوري عيدا ولا تتخذوا قبوري عيدا
 فيما والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور فامر بتحريم النافلة في البيوت ونهي عن تحريم
 العبادة عند القبور وهذا ضد ما عليه المشركون من النصارى واشباههم **التم**
 النبي عن اتخاذ عيدا بقوله وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم **يشير**
 الى ان ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبوري وبعدكم فلا حاجة
 بكم الى اتخاذ عيدا وقد حرف هذه الاحاديث بعض من اخذ شيئا من النصارى بالشرك
 وشبهها من اليهود بالتحريف فقال هذا امر بملازمة قبره والعكوف عنده واعتبار
 قصده واتباعه ونهى ان يجعل كالعيد الذي انما يكون في العام مرة او مرتين فكانه
 قال لا تجعلوا بمنزلة العيد الذي يكون من الحول الى الحول واقتصد به كل ساعة
 وكل وقت وهذا مراعاة ومحادة ومناقضة لما قصده الرسول صلى الله عليه وسلم وقلب
 للحقايق ونسبته الرسول صلى الله عليه وسلم الى النذير والنذير بعد التناقض فقال الله
 اهل الباطل اني يوفكون ولا رايت من امر الناس باعتيا دأروا ملازمة وكثرة
 انتباه بقوله لا تجعلوا عيدا فهو الى التلبس ضد البيان اقرب منه الى الدلالة
 والبيان فان لم يكن هذا تنقيصا فليس للتنقيص حقيقة فينا كما يرى انصار الرسول
 وحزبه بداهة ومصايبه وينسل كانه بري ولا ريب ان ارتكاب كل كبيرة بعد الشرك
 اسمها واخف عقوبة من تعاطى مثل ذلك في دينه ومنهه وهكذا غيرت ديانا
 الرسل ولو كان الله اقام لدينه الانصار والاعوان الذين عنه لجرى عليه ما جرى

تم

على الاديان قبله ولو اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله هو الا الضلال لم ينه عن
 اتخاذ قبور الانبياء مساجد ويلعن فاعل ذلك فانه اذا لعن من اتخذها مساجد
 يعبد فيها فكيف يملأ زنتها والكوف عند ها وان يعتاد قصد ها واستيائها ولا
 تجعل كالعيد الذي يجي من الحول الى الحول وكيف يسأل ربه ان لا يجعل قبره وثنا يعبد
 وكيف يقول اعلم الخلق بذلك ولو لا ذلك لابرز قبره ولكن خشي ان يتخذ مسجد او كيف
 يقول لا تجعلوا قبوري عيد او صلوا علي حيثما كنتم وكيف لم يفعل بهم اصحابه و
 اهل بيته من ذلك ما فهمه هو الا الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتعريف وهذا
 افضل النابغين من اهل بيته علي بن الحسين رضي الله عنهما منى ذلك الرجل ان يحرق
 الدعا عند قبره صلى الله عليه وسلم واستدل بالحديث وهو الذي رواه وسمعه من ابيه
 الحسين عن جده علي وهو علم بمعناه من هو الا الضلال وكذلك ان عمه الحسن بن
 شيخ اهل بيته كره ان يقصد الرجل القبر اذا لم يكن يريد المسجد وراى ان ذلك من
 اتخاذ عيد قال شيخنا فانظر هذه السنة كيف يخرجها من اهل المدينة واهل
 البيت الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار لانهم الى ذلك اخرج
 من غيرهم فكانوا له اضبط **فصل** ثم ان في اتخاذ القبور اعياد من
 المفسد العظيمة التي لا يعلمها الا الله ما يغضب لاجله كل من في قلبه وقار الله وغيرة
 على التوحيد وتماجين وتقبيل للشرك ولكن ما لجرى بميت ايلام من مفسد اتخاذ
 ها اعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخد على
 ثرابها وعبادة اصحابها والاستغاث بهم وسؤالهم النصر والرزق والعافية و
 قضا الديون وتفريج الكربات واعانة الله في غفلة وغير ذلك من انواع الطلبات
 التي كان عباد الاوثان يسألونها او ثابتهم فلوراث غلاة المتخذين لها عيد
 وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا راوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا
 الارض وكشفوا الروس ورفعوا اصواتهم بالصراخ وتباكوا حتى يسمع لهم الشبح
 وراوا انهم قد اربوا في الزيج على الحجيج فاستغاثوا بعم كلابه ولا يعيد ونادوا
 لكن من مكان بعيد حتى اذا نواها صاوا عند القبر كعتين وراوا انهم قد اربوا
 من الاجر ولا اجر من صلى الى القبيلتين فتراهم حول القبر ركعا سجدا يستغوثون فضلا

من الميت ورضوانا وقد ملؤا اكفهم خبيثة وخسرانا فلغير الله بل للشيطان ما
 يوافق هناك من العبرات ويرفع من الاصوات ويطلب من الميت من الحاجات ويسأل
 من تفرج الكربات واعنا ذوي الفاقات ومعافات ذوي العاهات والبليات ثم
 استواب بعد ذلك حول القبر طائفتين تشبهن بالبيت الحرام الذي جعله الله مباحا وكاوه
 للعالمين ثم اخذوا ما كنفيل والاستلام ارايت الحجر الاسود وما يفعل به وقد البيت الحرام
 ثم عفروا عليه تلك الجباه والخذود التي يعلم الله انها لم تعفروا في يد يد السجدة ثم حملوا
 مناسك حج القبر بالنقصير هناك الخلاق واستمتعوا بخلاتهم من ذلك الوثن اذ لم
 يكن لهم عند الله من خلاق وقربوا ذلك الوثن القربان وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم
 لغير الله تعالى العالمين فلوراثهم يعني بعضهم بعضا ويقولوا اجز الله لنا ولكم اجرا
 واقرا وحظا فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين ان يبيع احداهم ثواب حجة
 القبر من المتخلف الى البيت الحرام فيقول لا ولو بسجدة كل عام هذا ولم يتجاوز فيما
 حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعهم وضلالهم اذ هي فوق ما يخطر بالبال
 او يدور في الخيال وهذا كان مبدء عبادة الاصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من ثم
 ادنى رايحة من العلم والفقه يعلم ان من اثم الامور سد الذريعة الى هذا المخطو
 وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤول اليه واحكم في نهيه عنه وتوابعه
 عليه وان الخير والهدى في طاعة الله والضلال في معصيته ومخالفته ورايت كافي الوفا
 بن عقيل في ذلك فصلا حسنا فذكرته بلفظه قال لما صنعت التكليف على الحيال
 والطعام عدلوا عن اوضاع الشرع الى تعظيم اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت
 عليهم اذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم قال وهم عند كفار هذه الاوضاع مثل
 تعظيم القبور باكرامها بما نهى عنه الشرع من ايقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب
 الموتى بالحواسج وكتب الرفاع فيها يا مولاي افعل لي كذا وكذا واخذ تربتها بركا واما
 ضنة الطيب على القبور وشدة الرجال اليها والقائ الخوق على الشجر اقتداء بمن عبد
 والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل شهيد الكيف ويتمسح باجرة مسجد الممسة
 يوم الابعاد لم يقل الخالقون على جنازة الصديق ابو بكر او محمد وعلي اوم يعقود على
 قبر ابيه ارجا بالحصص الاجر ولم يخوق شيابه الى الذيل ولم يرق ما الورع على القبر انتهى

والشر

الكف

ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما امر به وما نهى عنه
وما كان عليه اصحابه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم راي احدهما مضادا للآخر
منافضا له بحيث لا يجتمعان ابدا فنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة الى القبور
وهو لا يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهو لا يبنون عليها المسا
جد ويسمون شاهدة مضاهاة لبيوت الله ونهى عن ايقاد السرج عليها وهو لا
يقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى ان تتخذ عيدا وهو لا يتخذ منها اعيادا
ومناسكدا ويجمعون لها كاجتماعهم للعيد واكثر ما مر بتسوية كاجتماعهم في صحابهم
عن ابي الهيثم الاسدي قال قال لي علي بن ابي طالب لا بعثني عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا اذبح تماثالا الا طسنة ولا قبر اشرفا الا سوية وفي صحاحه ايضا عن
ثمامة بن شاذان قال كنا مع فضالة بن عبيد بارض الروم برودة فوفى صاحبنا
فامر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مريسيونتها وهو لا
يأخذون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القباب
نهي عن تخصيص القبور البناء عليه كحمار ومسلم في صحاحه عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخصيص
القبور وان يعقد عليه وان يبنى عليه ونهى عن الكتابة عليها كحمار وابدوا في سنة عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تخصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذي حديث
حسن صحيح وهو لا يتخذون عليها الا الواح ويكتبون عليها القران وغيره ونهى ان يزداد
عليها غير ترابها كحمار وابدوا من حديث جابر ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان تخصص
القبور ويكتب عليه ويزاد عليه وهو لا يزيدن عليه سوا التراب والاحجار والجص ونهى
عمر بن عبد العزيز ان يبنى القبر بالاجر واوصى ان لا يفعل ذلك بقبره واوصى الاسود بن يزيد
لا تجعلوا على قبر آجرا وقال ابراهيم التيمي كانوا يكرهون الاجر على قبورهم واوصى
ابو هريرة حين حضر الوفاة ان لا تضربوا علي فسطاطا وذكره الامام احمد ان يضرب
على القبر فسطاطا والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذين اعياد المقابر
عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب منافضون لما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجادون لما جابهوا ولم يذكروا اتخاذها مساجدا ايقاد السرج عليها وهو من الكبار وقد
صره الفقهاء من اصحابنا وغيرهم بتحريمه قال ابو محمد المقدسي ولوايج اتخاذ السرج

عليها لم يلحن من فعله ولان فيه تضيقا للمال في غير فائدة واخر اطا في تعظيم القبور
اشبه تعظيم الاصنام قال ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود اتخذوا قبورا انبياءهم مساجد يحذر ما
صنعوا متفق عليه ولان تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الاصنام
بالسجود لها والتقرب اليها وقد روينا ان ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات
باتخاذ صورهم والتسبح بها والصلاة عندها انتهى وقال الامم مؤلا الضلال
المشركين الى ان شرعوا للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاةهم
في ذلك كتابا وسموا مناسك حج المشاهدة مضاهاة بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى
ان هذا مغايرة لدين الاسلام ودخول في دين عبادة الاصنام فانظر الى هذا
التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصد من النبي عما تقدم ذكره
في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوا ولا ريب ان في ذلك من المفاسد العجز
العبد عن حصره فمنها تعظيم الموقع في الافتن بما ومنها اتخاذها عيدا
ومنها السفر اليها ومنها مشايمة عبادة الاصنام بما يفعل عندها من العكوف
عليها والمجاورة عندها وتعليق السنن عليها وسدائها وعبادتها بها من حجون الحج
ورق عندها على الحجارة عند البيت الحرام ويرون سدايتها افضل من خدمة المسا
جد الويل عندهم ليلة لقيتها يطفا القنديل المعلق عليها ومنها الذر عليها و
لسدنها ومنها اعتقاد المشركين ان بها يكشف البلاء وينصر على الاعداء ويستتر
غيث السماء وتفرج الكربات وتقضي الحوائج وينصر المظلوم ويحار الخاف الى
غير ذلك ومنها الدخول في لعنة الله ولعنة رسوله باتخاذ المساجد عليها وايضا
السرج ومنها الشرك الاكبر الذي يفعل عندها ومنها ايذا اصحابها بما يفعل المشرك
كون قبورهم فانهم يوفونهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة
كما ان المسيح يكره ما تفعل النصارى عند قبوره وكذلك غيره من الانبياء والاوليا
والمشايخ يوفونهم ما يفعل المشايخ عند قبورهم ويوم القيم يبرون
منهم كما قال تعالى يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول اءنتم اضللت
عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك

تخصيصها

من اولياء ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا قال الله للمشركون
فقد كذبوكم بما تقولون وقال الله واذ قال الله يا عيسى بن مريم ائتني فلننزلنا من السماء
وحي اليهم من دون الله قال سبحانك ما يكون ان اقول ما ليس لي بحق اليه وقال الله
ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك ما كنا
انتولينهم دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون ومنها مشابكة
اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسر على ما ومنها محادة الله ورسوله و
مناقضة ما شرعه فيها ومنها النعيب العظيم مع الورد الكثير والاثم العظيم ومنها اما
نت السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على خير البقاع واجبا الى الله فان عباد
القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخشوع ورقعة القلب والكوف بالهمة
على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ومنها
ان ذلك ينضم عماره المشاهد وخراب المساجد ودين الله الذي بعث به رسوله صلى
الله عليه وسلم بضد ذلك ولهذا لما كانت الرافضة من اهل الناصر من العلم والدين عمروا
المشاهد وخرابوا المساجد ومنها ان الذي شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم عند زيارة
القبور انما هو تذكار الآخرة والاحسان الى المذوق بالدعاء والترحم عليه والاستغفار
له وسؤال العافية فيكون التزير محسنا الى نفسه والى الميت فقلب هو كراهة المشركون
الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعاءه والدعاء
به وسؤاله حوايجهم واستنزال البركانه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاء
رواسيين الى نفوسهم والى الميت ولولم يكن الا حرم ما شرعه الله من الدعاء
له والترحم عليه والاستغفار له فاسمع الان زيارة اهل الايمان التي شرعها الله
على لسان رسوله ثم وازن بينها وبين زيارة اهل الشرك التي شرعها لهم
الشيطان واختر لنفسك قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلى
منه يخرج من اخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين واناكم
ما نؤمدون خدامو صلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل البقيع
الغرق ورواه مسلم في صحيحه وعن ابي بصير ان جبريل اناه فقال ان ربك يامر
ان تاتي اهل البقيع فتستغفرهم قالت قلت كيف اقول يا رسول الله قال قولي السلام

اهل الشرك

على اهل النار

على اهل النار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا
انشأ الله للاحقون وفي صحيحه ايضا عن سليمان بن بريد عن ابيه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذ خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام على اهل الديار وفي لفظ
السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا انشاء الله بكم لاحقون نسال
الله لنا ولكم العافية وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتمكم عن زيارة
القبور فمن اراد ان يزورها فليزر ولا تقولوا هجر ارواه احمد والنسائي وكان رسول
صلى الله عليه وسلم قد نهى الرجال عن زيارة القبور سدا للذريعة فلما تمكن النوحيد من قلوبهم
اذن لهم في زيارتها على الوجه الذي شرعه ومنها ان يقولوا هجر ائمتي زارها على الوجه
المشروع الذي حجه الله ورسوله فان زيارتها غير ما ذن فيها ومن اعظم المحرم
الشرك عند هؤلاء قولوا فعلا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يزوروا القبور فانما تذكر الموت وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اني كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزورها فانما تذكر الآخرة رواه الامام احمد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة فاقبل عليهم بوجهه
فقال السلام عليكم يا اهل القبور يغفر الله لنا ولكم ونحن بالآخرة رواه الامام احمد الترمذي
وحسنه وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتمكم عن
زيارة القبور فزوروا القبور فانما ترزقون في الدنيا وتذكر الآخرة رواه ابن ماجه ورواه
الامام احمد عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتمكم زيارة القبور فزوروا
روها فان فيها عبرة فهذه الزيارة التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لآمنه وعلمهم بابها
هل تجد فيها شيئا مما يعتمد به اهل الشرك والبدع ام تجد فيها مضادة لما هم عليه من كل
وجه وما احسن ما قال مالك بن النضر رحمه الله ان يصلح اخر هذه الامه الا ما يصلح اولها
ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعقود انبيائهم ونقص ايمانهم غوضوا عن ذلك مما احمد
نوه من البدع والشرك ولقد جرد السلف الصالح النوحيد وحموا جانب حق كان احدهم
اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره الى جدار القبر
ثم دعا وقال سلمة بن وردان رايت انسرين ما كذب يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره الى
جدار القبر ثم يدعوا ونص على ذلك الامية الاربعه انه يستقبل القبلة وقت الدعاء حق لا يدع
عند القبر فان الدعاء عبادة وفي الترمذي وغيره مرفوعا الدعاء هو العبادة فحذر السلف

Copy

sity

العبادة لله ولم يفعلوا عند القبور منها الا ما اذن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السلام على اصحابها والاستغفار لهم والترحم عليهم **باب الجمل** فاما قد
انقطع عنه وهو محتاج الى من يدعوه ويشفع له ولما اشرع في الصلاة عليه من الدعاء
له وجوابا واستجابة بما لم يشرع في الدعاء له قال عوف بن مالك رضي الله عنه
عنه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه
واكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب
الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه
وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى تميت ان اكون انا الميت
لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الميت رواه مسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة على الجنازة اللهم انت ربها وانت خلقتها
وانت هديتها للإسلام وانت قبضت روحها وانت اعلم بسرها وعلايتها جنتها
شفعاء فاغفر له الامام احمد وفي سنن ابى داود عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء قالت عائشة وانتم عن ابى
صلى الله عليه وسلم ما من ميت يصلي عليه امة من المسلمين يبلغون ما به كلهم يشفعون فيه
الا شفعوا رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل يموت فيقوم على جنازة اربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا الا
شفعهم الله فيه رواه مسلم فهذا مقصود الصلاة على الميت وهو الدعاء له والثناء
ستغفاره والشفاعة فيه ومعلوم انه في قبره اشد منه حاجة على نفسه فانه
حينئذ معرض للسؤال وغيره وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبر بعد الدفن
فمن فيقول سلوا له التثبيت فانه الان يسأل فعلم انه احوج الى الدعاء له بعد الدفن
فاذا كان على جنازة ندعوا له لانه عوايه ونشفح له لانه يستشفع به فبعد الدفن اول
واحوى قبل اهل البدر والشرك قولوا غير الذي قيل لهم بدعوا الدعاء له بدعائه
نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسانا الى الميت واحسانا الى الزاير وتذكيرا بالآخرة سؤال
الميت والاقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة
وحضور القلب عند الدعاء وخشوعه اعظم منه في المساجد واوقات الاسحار ومن
المحال ان يكون دعاء الموتى او الدعاء عنهم او الدعاء عندهم مشروعا وعملا صالحا

وبصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرزقه الخلق الذين
يقولون ما يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فبما هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهل
القبور بضعا وعشرين سنة حتى توافاه الله وهذه سنة خلفائه الراشدين وهذه
طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم باحسان هل يمكن بشر اعلى وجه الارض ان ياتي
عن احد منهم بنقل صحيح او حسن او ضعيف او منقطع انهم كانوا اذا كان لهم حاجة
وقصدوا القبور فدعوا عندوها وتسحروا بها فضلا ان يصلوا عندوها ويسألوا الله
باصحابها او يسألونهم حوائجهم فليبقوا على اثر واحد او حرف واحد في ذلك بل
يمكنهم ان يتواعى الخلق التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك وكلنا اخر الزمان وطال
العمى كان ذلك اكثر حتى لقد جدي في ذكر عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعن خلفائه الراشدين ولا عن اصحابه حرف واحد من ذلك بل فيها من خلاف ذلك
كثير كما قد مرنا من الاحاديث المرفوعة واما اننا الصحابه فاكثر من ان يحاط بها و
قد ذكرنا انكار عمر على النسر صلاة عند القبر وقوله له القبر القبر وقد ذكر محمد بن اسحق
في مغازيه من زياد ان بنو نسر بن بكير عن ابى خلد خالدين دينار قال ثنا ابو العالبة
قال لما فتحنا نسر وجدنا في بيت مال الهمزان سريرا عليه رجل ميت عند راسه مصحف
له فاخذنا المصحف فحملناه الى عمر بن الخطاب فدعاه كعبا فنسخت بالعبودية فانا
اول رجل من العرب قرأه قرأه مثل ما اقرأ القرآن فقلت لابي العالبة ما كان فيه قال
سيرتكم واحوركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت فاصنعتم بالرجل قال حفرنا
بالنهار ثلاثة عشر قبرا متفرقة فلما كان بالبلد دفناه وسوينا القبور كلها بالنعيم على الناس
لا يفسدونه فقلت فاعرجون منه قال كانت السماء اذا حبست عنهم ابرزوا السرير فمطروا
فقلت من كنتم تظنون الرجل قال رجل يقال له دانيال فقلت من كنتم وجدتموه ما قال
منذ ثلاث سنين قلنا ما كان تغير منه شيء قال لا الا شعيرات من قفاه ان لحوا الدنيا
لا تبليها الارض وانا كلما السباغ ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار من
تعمية قبره لئلا يلتفتن به الناس ولم يبرزوه للدعاء عنده والشرك به ولو ظفروا بالناظر
لجاءوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله فهم قد اتخذوا من القبور اوثانا من
لا يداني هذا ولا يقاربها واقاموا لها سدنة وجعلوها معابد اعظم من المساجد

فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحا
لنصب لها جرون والامصار على هذا القبر علما للذكر ودعوا عند صنوا ذلك لمن
بعدهم ولكن كانوا اعلم بالله ورسوله ودينه من الخلفاء التي خلفت بعدهم وكذلك
التابعون لهم باحسان راحوا على هذا السبيل وقد كان عندهم من قبور اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامصار عدد كثير وهم متوافرون فما منهم من استغاث
عند قبر صاحب ولا دعاه ولا دعا به ولا دعا عنه ولا استسقى به ولا استنصر
وعنه المعلوم ان هذا مما تنوفوا امامه والى على نقله بل على نقل ما هو دونه وحسنه
فلا يخلوا اما ان يكون الدعاء عندها والدعاء باربها افضل منه في غير تلك البقعة
او لا يكون فان كان افضل فكيف خفي علما وعلا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون
القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم ويتطرفة الخلفاء علما
وعلا ولا يجوز ان يعلموه ويؤدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فان
المضطر يتشبه بكل سبب ان كان فيه كراهة مما فكيف يكونون مضطرين في
كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم يقصدون هذا الحال طبعاً و
شرعاً فتعين القسم الاخر وهو انه لا فضل للدعاء عندها ولا هو مشروع ولا ما
ذون فيه بقصد الخصوص بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة الى ما تقدم من المفا
سدة مثل هذا مما لا يشترعه الله ورسوله البتة بل استحباب الدعاء عندها شرع عبادة
لم يشترعه الله عز وجل ولم ينزل بها سلطانا وقد انكر الصحابة ما هو دون هذا
بكثير فروى غير واحد عن المعمر بن سويد قال صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة
صلاة الصبح فقرا فيها الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل وليلاف قرئش ثم راي
الناس يذهبون مذهب فقال ابن يذهبون هؤلاء فقيل يا امير المؤمنين سجد
صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه فقال انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا
كانوا يتبعون اثار انبيائهم ويتخذونها كنائس وبيعاً فمن ادركته الصلاة
منكم في هذه المساجد فليصل ومن لا فليضر ولا يتعدوها وكذلك راي عمر رضي
فقطع الشجرة التي بايع تحتها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بل قد انكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على الصحابة لما سألوه ان يجعل لهم شجرة يعلقون عليها اسلحتهم ومناعمهم بخصوص

فروى البخاري في صحيحه عن ابي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها
اسلحتهم يقال لها ذات انواط فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط
كما لهم ذات انواط فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل اجعل لنا الى ما كما
لهم الهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فاذا كان اتخاذه هذه الشجرة
لتعليق الاسلحة والعكوف حولها اتخاذه مع الله مع انهم لا يعبدونها ولا يسألونها في
الظن بالعكوف حول القبور الدعاء به ودعا به والدعاء عنده فاي نسبة للفتنة بشجرة
الى الفتنة بالقبور لو كان اهل الشرك والبدعة يعلمون قال بعض اهل العلم من اصحاب
مالك فانظروا رحمكم الله اينما وجدتم سدرة او شجرة يقصدونها الناس ويعكفون حولها وير
جون البر والشفا من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها
ومن لم خبره بما بعث الله به رسوله وبما عليه اهل الشرك والبدعة اليوم في هذا الباب
وغيره علم ان بين السلف وبين هؤلاء الخلف من البعد بعد ما بين المشرق والمغرب
وانهم على شئ كما قيل سارت مشرقه وسر مغربها شتان ما بين مشرق ومغرب
والامر والله اعظم ما ذكرنا وقد ذكر البخاري في الصحيح عن ام الدرداء قالت دخل على
ابو الدرداء غضباً فقلت له مالك فقال والله ما اعرف فيهم شيئا من امر محمد صلى الله عليه وسلم
الا انهم يصلون جميعاً ورواها في الموطأ عن حماد بن سميد بن مالك عن ابيه قال ما اعرف
شيئا مما ادركت عليه الناس الا التدا بالصلاة ويعني الناس الصحابة رضي الله عنهم وقال
الزهري دخلت على انس بن مالك بد مشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال ما اعرف
شيئا مما ادركت الا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد وضعت ذكره البخاري وفي لفظ اخر
كنت اعرف شيئا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قد انكرت اليوم وقال الحسن البصري سأل
رجل ابا الدرداء فقال رحمه الله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرينا هل كان ينكر
شيئا مما نحن عليه فغضب واشتد غضبه وقال هل كان يعرف شيئا مما انتم عليه وقال
المبارك بن فضال صلى الحسن الجمعة وجلس يكي فقيل له ما يبكيك يا ابا سعيد فقال
تلم موتني على البكا ولوان رجلا من المهاجرين اطلع من باب مسجدكم ما عرف شيئا مما كان
عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم ابوا عليه الا بئسكم هذه وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها
عيسى بن مسعود رضي الله عنه كيف انتم اذا البستكم فتنة يهرق فيها البكاء وينشأ فيها الصغار
تجوز على الناس يتخذونها سنة اذا غارت قبل غيرت كسنة او هذا منكر وهذا مما يدعى

والله اعلم

ان العمل اذا جرح على خلاف السنة فلا عبرة به ولا التفات اليه فان العمل قد جرح
على خلاف السنة منذ زمن اليه الدرداء والنس كما تقدم وذكر ابو العباس عبيد بن
محمد بن عبيد بن ميمون حدثني عبيد بن اسحق الجعفي قال كان عبد بن حسن بكتر الجعفي
الي ربيعة قال فتذكر اكراد يوم السنن فقال رجل كان في المجلس ليسر العمل على هذا فقال
عبد الله ارايت ان كثر الجاهل حتى يكونوا هم الحكم فهم الحجة على الناس فقال ربيعة
اشهد ان هذا الكلام كلام ابن الانبياء **فصل** ومن اعظم مكابده ما
نصبه للناس من الانصاب والازلام التي هي من علمه وقد امر الله تعالى باجتناب ذلك
وعلق الفلاح باجتنابه فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس
من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالانصاب كلما نصب
يعبر من دون الله من حجر او شجر او وثن او قبر وهي جمع واحد هانصب كطنب و
اطناب قال مجاهد وقناة وابن جريح كانت حول البيت احجار كان اهل الجاهلية
يذبحون عليها ويشربون اللحم عليها وكانوا يعظمون هذه الحجارة ويعبدونها
قالوا وليست باصنام انما الصنم ما يصور وينقش وقال ابن عباس هي الاصنام
التي تعبد من دون الله وقال الزجاج حجارة كانت لهم يعبدونها وهي الاوثان وقال
الفراء هي الاصنام التي كانت تعبد من احجار وغيرها والاصل اللفظة الشيء المنصوب
الذي يقصد من رآه ومنه قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى
نصب يوفضون قال ابن عباس الى غاية وعلم يسرعون وهو قول اكثر المفسرين
وقال الحسن يعني الى انصابهم ايهم يستلمها اول قال الزجاج وهذا على قراءة
من قرأ نصب بضمين كقولهم وما ذبح على المنصب قال ومعناه اصنامهم **المقصود**
ان المنصب كل شيء نصب من خشبة او حجر او علم والافاض الاسراع واحا الاز
لام فقال ابن عباس هي قداح كانوا يستقسمون بها الامور اي يطلبون بها
علم ما قسم لهم وقال سعيد بن جبير كانت لهم حصيات اذا اراد احدهم ان
يغزو او يجلس استقسم بها وقال ايضا هي القدحين الذين كان يستقسم
بهما اهل الجاهلية في النوزح احداهما عليه مكتوب امري ربي والاخرى
في ربي فاذا ارادوا امر اضربا بينهما فان خرج الذي عليه امري ففعلوا ما هو
به وان خرج الذي عليه ربي تركوه قال ابو عبيد الاستقسام طلب القسمة
وقال المبرد الاستقسام اخذ كل واحد قسمه وقيل الاستقسام الزام

انفسهم بما تآمرهم به القداح كقسم اليمين وقال الازهرى وان تستقسم بالازلام اي
تطلبها من جهة الازلام ما قسم لكم من احد الامرين قال ابو اسحق وغيره الاستقسام
بالازلام حرام ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجم لا تخرج من اجل نجم كذا واخرج
من اجل طلوع نجم كذا لان الله تعالى يقول وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري
نفس باي ارض تموت وذلكد حول في علم الله عز وجل الذي هو غيب عنا فهو
حرام كالازلام التي ذكرها الله والمقصود ان الناس قد استلوا بالانصاب والازلام
والانصاب للمشرك والعبادة والازلام للتكهن وطلب علم ما استأثر الله
به هذه للعلم وتلك للعمل ودين الله سبحانه مضاد لهذا وهذا الذي جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابطلهما وكسر الانصاب الازلام فمن الانصاب ما قد نصبه الشيطان
للمشركين من شجرة او عمود او وثن او قبر او خشبة او غيره ذلك الواجب هدم ذلك كله
ومحو اثره كما امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا بدمدم القبور المشرفة وتسميتها بالارض
كما روى مسلم في صحيحه عن ابي الربيع الاسدي قال قال علي الا بعثك على ما بعثني
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا ادع تماثالا الا طستته ولا قبرا مشرفا الا سويته وعنى
الصحابه بامر عمر بن الخطاب قبر دانيال واخفا عن الناس ولما بلغه ان الناس يتبنون
الشجرة التي بايع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ارسل فقطعها رواه بن وضاح
في كتابه فقال سمعت عيسى بن يونس يقول امر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويج
تحتها النبي صلى الله عليه وسلم فقطعها لان الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها فخاف
عليهم الفتنة قال عيسى بن يونس وهو عندنا من حديث بن عوف عن نافع ان الناس
كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر فاذا كان هذا فعل عمر رضي الله عنه بالشجرة التي ذكرها
الله في القرآن وبايع تحتها الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حكمه فيما عداها من
هذه الانصاب والازلام والاثان التي قد غفلت الفتنة بها واشتد البلية بها وبلغ من
ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار في هذا دليل على ما هو اعظم فسادا
منه كالمساجد المبنية على القبور فان حكم الاسلام فيها ان تدمم كلها حتى تسوي بالارض وهي
اولى بالدم من مسجد الضرار وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها لانها استسنت
على معصية الرسول لانه نهى عن البناء على القبور كما تقدم فبناء استسنت على معصيته ونحنا
لفسنة بناء غير محتمل وهو اولي بالدم من بناء الغاصب قطعنا وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بهدم القبور المشرفة كما تقدم فهدم القباب والبناء والمساجد التي بنيت عليها اولي بالدم من القبور

المساجد عليها ونهى عن البناء عليها فتجرب المبادره والمساعدة الى هدم ما لعن الله
 ورسوله فاعلم ونهى عنه والله يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرها ويذب عنها
 فهو أشد عيرة واسرع نصيرا ولذلك يجب إزالة كل قنديل أو سراج على قبر وطيفة فان فاعل
ذكر ملعون ملعنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يصح هذا الوقف لأجل اثباته وتنفيذه قال
ابو بكر الطرطوشي نظروا رحمكم الله ايما وجدتم سدة أو شجرة يقصد بها الناس ويعملونها
 ويرجون البر والشفاعة قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات اناط فاقطعوها
 وقال الحافظ ابو محمد بن عبد الرحمن بن اسمعيل المعروف بابي شامة في كتابه الحوادث والبدع
 ومن هذا القسم ايضا ما قدم به الابتلاء من ترزين الشيطان للعامة تخليق الحيوان والعمد
 وسرج مواضع مخصوصة من كل بلد يحكي لهم حكاياته راي في منامه بما احل الله من شئ بالصلا
 ح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله وسنة ونطق انهم
 يتقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا الى ان يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون
 الشفا لمصائبهم وقضى حوائجهم بالندرة لها وهي من بين عيون وشجر وحائط وحجر وفي
 مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كعونية الخمي خارج باب توما والعمود المختلج داخل
 باب الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصارى في نفس قارعة الطريق شمال
 الله قطعي واحتشائها من اصلا فاشبهها بذات اناط التي في الحديث ثم ساق حديث
 لي واقدانهم مروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسمرة عظيمة خضرا يقال لها ذات اناط
 وانهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات اناط كما جعل لنا ذات اناط فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الراها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون
 لتركبن سنن من كان قبلكم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ثم ذكر ما صنعه
 بعض اهل العلم ببلاد افرقييه انه كان له جبانة عيين تسمى عين العافية كان العامة
 قد افتتوا بها يا يوتونها من الافاق فمن تعذر عليه تكايج او ولد قال امضوا بي الى العا
 فيه فتعرف بها الفسنة فخرج في السحر فهدمها واذن للصبح عليها ثم قال اللهم اني هدد
 منها لك فلا ترفع لها راسا الى الله فارتفع لها راس الى الان وقد كان بد مشق كثير من
 هذه الانصاب فيسأل الله سبحانه كسرها على يد شيخ الاسلام وحزب الله الموحدين
 كالعמוד المختلق والنصب الذي بمسجد الكائن في عند المصلي كان يعبد الجاهل و
 النصب الذي كان تحت الطاحون الذي عند مقابر النصارى يفتابه الناس للتبركة

خ
 الفقيه

وكان صورة صنم في نهر القلوط يندرون له ويتبركون به وقطع سبحانه النصيب الذي
 كان عند كرجه يسرج عنده ويتبرك به المشركون وكان عمودا طويلا على راسه حجر كالكرة
 وعند مسجد درب الحجر نصب قديم عليه مسجد صغير يعبد المشركون يسره كسره فاسرع
 اهل الشرك الى اتخاذ الاوثان من دون الله ولو كانت ما كانت ويقولون هذا الحجر هذه
 الشجرة وهذه العين تقبل النذر اي تقبل العباد من دون الله فان النذر عبادة وقربة
 يتقرب بها الناذر الى المندور له ويتمسكون بذلك النصيب ويستلمونه ولقد انكر السلف
 التمسح بحجر المقام الذي امر الله ان يتخذ منه مصلى كما ذكر الازرق في كتابه عن قتادة
 في قوله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قالوا انما امروا ان يصلوا عنده ولم يوردوا
 بمسحه ولقد تكلفت هذه الامه شيئا ما تكلفته الامم قبلها ذكر لنا من راي اثره واصابعه
 فزالته هذه الامه تمسحه حتى اخذوا واعظم الفسنة بهذه الاصاب ففسنة اصحاب
 القبور وهي اصل فسنة عباد الاصنام كما قاله السلف من الصحابة والتابعين وقد
 تقدم ومن اعظم كيد الشيطان انه ينصب لاهل الشرك قبر مصظم يعظمه الناس ثم يجعله
 وشايعه من دون الله ثم يوحى الى اوليائه ان من نهي عن عبادته واتخاذ عيده وجعله
 وشا فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه
 وذنبه عند اهل الشرك امره بما امر الله به ورسوله ونهيهم عما نهى الله عنه ورسوله من
 جعله وشا وعيدوا بقاء السرج عليه وبنا المساجد والقباب عليه وتخصيصه
 واشادته وتقبيله واستلامه ودعاية والدعاية او السفر اليه او الاستغانة به من
 دون الله ما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مصاد لما بعث الله به رسوله
 من تجريد التوحيد لله وان لا يعبد الا الله فاذا نهى الموحدين عن ذلك غضب المشركون واشتار
 ت قلوبهم وقالوا قد تنقص اهل الرتبة العاليه وزعم انهم لا حرمة لهم ولا قدر ويسر ذلك
 في نفوس الجاهل والاطغام وكثير ممن ينسب الى العلم والدين حتى عادوا اهل التوحيد
 ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا اهل الشرك وعظموهم وزعموا انهم او
 ليا الله وانصار دينه ورسوله وبالي الله ذلك فاكثروا اوليائه ان اوليائه الا المنقرون
 المتبعون له الموانعون له العارفون بما جاء به الداعون اليه لا المتشبهون به بما اعطوا
 لا بسوايات الزور الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم ويغفون عوجا وهم يحسبون
 انهم يحسنون صنعا **فصل** ولا تحسبوا انهم يحسنون صنعا

Copying University

المستقيم صراط اهل نعمته وكرامته ان النبي عن اتخاذ القبور او ثنائها
اعباد او انصافا والنبي عن اتخاذها مساجد وبنو المساجد عليها وابقاد السج
عليها والسفر اليها والنداء لها واستلامها وتقبيلها وتعفير الجباه في عرصاتها غرض
من اصحابها ولا تنقص لهم ولا تنقص كما يحسب همل الا شرأك والضللال بل ذلك من اكرامهم
وتعظيمهم واحترامهم ومتابعهم فيما يحبونه وتجنب ما يكرهونه فانت والله وليهم و
محبيهم وناصر طريقهم ومنهم وعلى هديهم ومنها جهم وهو الا لشرك كون اعصى الناس
لهم والبعدهم من هديهم ومتابعهم كالنصار مع المسيح واليهود مع موسى والرافضة مع
علي فاهل الحق او كالي باهل الحق من اهل الباطل فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا لبعض
والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاعلم ان القلوب اذا اشتغلت بالبدع اعر
ضت عن السنن فتجد اكثر هؤلاء العاكفين على القبور معرضين عن طريقهم فيها وهذا
وسنة مستغلين بقبره عما امر به ودعا اليه وتعظيم الانبياء والصالحين ومحبتهم انما
هو باتباع ما دعوا اليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقهم
دون عبادة قبورهم والعكوف عليها واتخاذها اعيادا فان من اقتفا آثارهم كان
متسببا الى تكثير اجورهم باتباعه لهم ودعوتهم الناس الى اتباعهم فاذا عرض عاد
عوا اليه واشتغل بضده حرم نفسه وحرّمهم ذلك الاجر فاي تعظيم لهم واحترام في
هذا وانما اشتغل كثير من الناس بالزواج من العبادات المبتدعة التي يكرهها الله
ورسوله لا عرضهم عن المشروع او بعضه وان قاموا بصورة الظاهرة فقد هجروا
حقيقته المقصودة منه والافرن اقبل على الصلوات الخمس بوجهه وقلبه عارفا بما
اشتملت عليهم من الكلم الطيب والعمل الصالح مستميا بكل الاهتمام اغتنى عن الشرك
وكل من قصر فيها او في بعضها تجد فيه من الشرك بحسب ذلك ومن اصغى الى كلام الله
بقلبه وتدبره وتفهمه اغناه عن السماع الشيطاني الذي يصد عن ذكر الله وعن الصلاة
ويثبت النفاق في القلب وكذلك من اصغى اليه الى حديث الرسول بكليته وحديث
نفسه باقتباس الله والعلم منه لامن غيره اغناه عن البديع والآراء والتخصصات
والشطرات والخيالات التي هي وساوس النفوس وتخيلاها ومن بعد عن ذلك فلا
بدل ان يتعوض عنها لا ينفعه كما ان من عمر قلبه بحجة الله وذكره وخشيته والنظر

عليه والالاباة اليه اغناه ذلك عن محبة غيره وخشيته والالاباة اليه واغناه اذ
عن عشق الصور واذا خلا من ذلك صار عبده هو اذ يشي استحسنه ملكه واستعبده
فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء ام ابى والمعرض عن السنة مبتدع ضال شام ابى والمعرض
عن محبة الله وذكره عبد الصور شاء ام ابى والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا
قوة الا بالله **فان قيل** فالذي اوقع عباد القبور في الاقتنان بما مع العلم بان ساكنيها
اموات لا يملكون لهم ضررا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا **قيل** او قهرهم في ذلك امور
منها الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله بل جميع الرسل من تحقيق التوحيد وقطع اسباب الشرك
فقل نصيبهم من ذلك ودعاهم الشيطان الى الفتنة ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوا
واستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وعصوا بقدر ما معهم من العلم ومنها احاديث مكذوبة
مختلفة وضعها اشياء عباد الاصنام من المقابر يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم تناقض دينه
وما جابه كحديث اذا عينكم الامور فعليكم باصحاب القبور وحديث لو حسن احدكم ظنه
بحجر لنفعه وامثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة لدين الاسلام وضعها المشركون وراحت
على انبياءهم من الجهل والضلال والله بعث رسوله بقتل من حسن ظنه بالاحجار وحسب
امته الفتنة بالقبور بكل طريق كما تقدم ونحسب احاديث حكيمة لهم عن تلك القبور فلان
استغاث بالقبور الفلاني في شدة فخلص منها و فلان دعاه او دعاه في حاجة فقصيت له
و فلان نزل به ضرر فاستوحى صاحبه كذا القبر فكشف ضره وعند السند والمقابر يرون
ذلك شي كثير يطول ذكره وهم من الكذب خلق الله على الاحياء والاموات والنفوس مولعة بقضاء
حوائجها وازالة ضرورتها وتسمع بان قبر فلان تريق محجوب والشيطان له تطف في الدعوى
فيدعوه او لا الى الدعاء عندك فيدعوا العبد عنده بحرقه وانكسار ذلة فيجيب الله دعوته لما
قام بقلبه لا لاجل القبر فانه لو دعا لك في الخانة والمخارة والحمام والسوق اجابه
فيظن الجاهل ان للقبر تأثيرا في اجابة تلك الدعوى والله سبحانه يجيب دعوة المظطر
ولو كان كافرا وقد قال تعالى لا تمد هؤلاء وهؤلاء من عطار ربك وما كان عطار ربك
مخظورا وقد قال الخليل وازرقا هلم من الثمرات من امر منهم بالله واليوم الاخر قال ومن
كفر فامتنعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير فليس كل من اجاب الله دعاه
يكون راضيا عنه ولا محبا له ولا راضيا بفعله فانه يجيب البر والفاجر والمؤمن الكافر وكثير

من الناس يدعوا دعاء يعتد فيه او يشرك في دعائه او يكون بما لا يجوز ان يسأل
 فيحصل له ذلك وبعضه فيظن ان عمله صالح مرضي لله ويكون بمنزلة من امل له
 واعدى المال والبنين وهو يظن ان الله يسارع له في الخيرات وقد قال تعالى فلما
 نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء فالدعاء قد يكون عبادة فيساب عليه الذي
 وقد يكون دعاء مسئلة تقضي به حاجته ويكون مضرة عليه اما ان يعاقب بما حصل
 له او تنقص به درجته فيفضي حاجته ويعاقبه على ما جرت عليه من اضعاف حقوقه
 وارثكاب حدوده والمقصود ان الشيطان بلطف كيد يحسن الدعاء عند القبر وانه
 ان جمع منه في بيته وسجده واولقات الاستحار فاذا انقروا ذكر عنده نقله درجة اخرى
 من الدعاء عند الدعاء والاقسام على الله به وهذا اعظم من الذي قبله فان شان
 الله اعظم من ان يقسم عليه او يسأل باحد من خلقه وقد انكر ائمة الاسلام ذلك قال
 ابو الحسين القدوري في شرح كتاب الكرخي قال بشر بن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال
 ابو حنيفة لا ينبغي لاحد ان يدعوا الله الاله قال واكره ان يقول اسالك بمعقد العزم
 عرشك واكره ان يقول بحق فلان وبحق انبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام قال
 ابو الحسين اما المسئلة بغير الله فمنكرة في قولهم لانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
 الله على خلقه واما قوله بمعقد العزم عرشك فكرهه ابو حنيفة ورفضه ابو يوسف
 قال وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بذلك قال ولان معقد العزم العرش انما يراد به
 القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمتها فكانه ساله باوصافه وقال ابن بلدي
 في شرح المختار ويكره ان يدعوا الله تعالى الاله فلا يقول اسالك بفلان او بملائكته
 او انبيائك ونحو ذلك لانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم في دعائه اسالك بمعقد
 العزم عرشك وعن ابي يوسف جوازه وما يقول فيه ابو حنيفة اكره كذا هو عند محمد
 حرام وعند ابي حنيفة وابي يوسف هو الحرام اقرب وجانب التحريم اقله فتاوى
 ابي محمد بن عبد السلام انه لا يجوز سؤال الله سبحانه بشيء من مخلوقاته الا انبياء ولا
 غيرهم وتوقف في سبيل الله عز وجل لا اعتقاده ان ذلك جائز حديثه والله اعلم
 صحة الحديث فاذا اقر الشيطان عنده ان الاقسام على الله به والدعاء به
 ابلغ في تعظيم واحترامه وان جمع في قضا حاجته نقله درجة اخرى الى دعائه

نفسه من دون الله ثم ينقله بعد ذلك درجة اخرى الى ان يتخذ قبره وثنا يعكف
 عليه ويوقد عليه القنديل يعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ويعبد بالمسجد
 له والطواف وتقبيله واستلامه والتوجه اليه والذبح عنده ثم نقله درجة اخرى الى
 دعا الناس الى عبادته واتخاذ عيدا ومنسكا وان ذلك انفع لهم في دنياهم واخرتهم
قال شيخنا قد سراسر روحه وهذه الامور المبتدعة عند القبر مراتب بعد هامة
 الشريعة ان يسأل الميت حاجته ويستغفرت به فيما كان يفعل كثير من الناس قال وهو لا
 من جنس عباد الاصنام ولهذا يحصل للكفار من المشركين واهل الكتاب يدعوا احد
 هم من يعظمه فيتمثل له الشيطان احيانا وقد يخاطبهم ببعض الامور الغريبة وكذا
 كد السجود للقبر والتسبح به وتقبيله **المسئلة الثانية** ان يسأل الله به وهذا
 يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة بالتفاق المسلمين الثالثة ان يساله نفسه البقرة
 ان يظن ان الدعاء عند قبره مستجاب وانه افضل من الدعاء في المسجد فيقصد
 زيارته والصلاة عنده لاجل طلب حوائجه فهذا ايضا من المنكرات المبتدعة بالتفاق
 المسلمين وهي محرمة وما علمت في ذلك تراعا بين ائمة الدين وان كان كثير من المتأ
 خرين يفعل ذلك ويقول بعضهم قبر فلان تبارك مجرب والحكاية المنقولة عن الشا
 في انه كان يقصد الدعاء عند قبر ابي حنيفة من الكذب الظاهر **فصل في الزرة**
 بين زيارة الموحدين وزيارة المشركين اما زيارة الموحدين فمقصودها ثلاثة اشيا
 احدها تذكير الاخوة والاعتبار بالاعتناء وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله
 زوروا القبور فانها تذكروا الاخرة الثانية الاحسان الى الميت وان لا تطول عهده به
 فيما جمره وتنبأ ساء كما اذا ترك زيارة الحي مدة طويلة تناساه فاذا رآى الحي فرح بزيارته
 وسر بذكره فالميت اولي لانه قد صار في دار قد هجر اهله اخوانهم واهليهم ودعا
 رفهم فاذا زاره واهدا اليه هدية من دعا او صدقة او هدايا قريبة ازاد بذلك سروره
 وفرحه كما يفرح الحي بمن يزوره ويمد له وليندا شرع النبي صلى الله عليه وسلم الزاير ان يدعو
 لاهل القبور بالرحمة والمغفرة وسؤال العافية فقط ولم يشترع ان يدعوا ولا
 يصلي عندهم الثالث احسان الزاير الى نفسه بالتسبح السنة والوقوف عند ما شرع

الرسول صلى الله عليه وسلم فيحسب في نفسه الى المزور **واما** الزيارة الشريكة فاصلها
ما خوذ عن عباد الاصنام قالوا الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله
لا يزال ثابتة الاطلافة من الله وتفيض على روحه الخيرات فاذا علز الزائر روحه
به وادناها منه فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الاطلافة بنسبتهما
كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء نحو على الجسم المقابل له قالوا فتمايز
زيارة ان ينوجه الزائر بروحه وقلبه الى الميت ويعكف بجملة عليه ويوجه قصده كله
واقباله عليه بحيث لا يبقى فيه التفات الى غيره وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه اعظم كان
اقرب الى انتفاعه به وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما
وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها وقالوا اذا تعلقت النفس الناطقة بالارواح
العلوية فاض عليها منها النور وبهذا السر عبد الكواكب اتخذت لها الهياكل و
صنعت لها الدعوات واتخذت الاصنام المجسدة لها وهذا بعينه هو الذي اوجب
لعباد القبور اتخاذها اعيادا وتعليق الستور عليها وايقاد السمرق عليها وبناء المسا
جد عليها وهو الذي قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطاله ومحوه بالكلمة وسمل الذراع
المفضية اليه فوقفوا لمشركون في طريقه وناقضوه في قصده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شق وهو لا في شق وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفا
عة التي ظنوا ان الامم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله قالوا فان العباد اذا تعلقت
روحهم بروح الوجوه المقرب عند الله وتوجه بهمته اليه وعكف بقلبه عليه صار بينه و
بينه اتصال فيفيض به عليه منه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم
اذا جاز في لحظة وقرب من السلطان فهو شديد التعلق به فما يحصل لذلك من
السلطان من الانعام والافضل ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به فهذا سر عبادة
الاصنام وهو الذي بعث الله رسوله وانزل كتبه باطلاله وتكفير اصحابه ولعنهم و
اباح دماءهم واموالهم وسبي ذرارهم واوجب لهم النار والقوان من اوله الى اخره عملوا
من الرذيلة اهل ابطال مذاهبهم قالوا فاما اتخاذهم دون الله شفعا قل اولوا
نوا لا يكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاحذر
ان الشفاعة له ملك السموات والارض وهو الله وحده فهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه

ولعن فاعله

عبدة فياذن هولاء يشاء ان يشفع فيه فصارة الشفاعة في الحقيقة انما هي له والذي شفع
عند انما شفع باذنه له وامره بعد شفاعة سبحانه الى نفسه وهي ارادة من نفسه ان ير
هم عبده وهذا ضد الشفاعة الشريكة التي اثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم وهي
التي ابطالها الله سبحانه في كتابه بقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل
منها عدل ولا تنفعها شفاعة وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان
ياتي يوم لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحضروا
اليوم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلمهم يتقون وقال الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه فاحذر
سبحانه انه ليس للعباد شفيع من دونه بل اذا اراد سبحانه رحمة عبدا من عباده فاشفع فيه
كما قال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فالشفاعة
عنه باذنه ليست شفاعة من دونه ولا الشافع شفيع من دونه بل شفيع باذنه والفرق
بين الشفيعين كالفرق بين الشريكة العبد المأمور بالشفاعة التي ابطالها شفاعة
الشريك فانه لا شريك له والتي اثبتها شفاعة العبد المأمور الذي لا يشفع ولا يقدم
بين يدي مالكه حتى ياذن له ويقبل الشفع في فلان ولهذا كان اسعد بشفاعة سيد الشفاعة
يوم القيمة اهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشبوا
بيدهم الذين ارادوا رضي الله سبحانه وتعالى قال تعالى ولا يشفعون الا بغير اذن
وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا فاحذر ان لا يحصل
يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه قول المشفوع له واذنه للشافع فاما الشرك فانه
لا يرضيه ولا يرضى قوله فلا ياذن للشفعا ان يشفعوا فيه فانه سبحانه عليم بالامر
رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع فاما يوجد مجوع الامر من لم توجد شفاعة
وسر ذلك ان الامر كله لله وحده وليس لاحد معه من الامر شي واعلا الخلق وافضلهم
واكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبدة محض لا يسبقونهم بالقول ولا
لا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا الا بعد اذنه لهم وامرهم ولا سيما لا تمكن
نفس لنفس شيئا فهم مملوكون من يوبون افعاله مقيدة بامره واذنه فاذا اشرك بهم
المشرك واتخذهم شفعا من دونه ظنا منه انه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له

عنده فهو من اجمل الناس بحق الرب سبحانه ولا ما يجبله ويمتنع عليه فان هذا
محال فمنع شبهه قياس الزنا على الملوك والكبر حيث يتخذ الرجل من خواصهم و
اوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج وهذا القياس الفاسد عند الاصنام
واتخذ المشركون من دون الله الشفع والولي والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق
والمخلوق والرب والعبد والمالك والملوك والغني والفقير والذي لا حاجة به الى
احد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره والشفعاء عند المخلوقين هم شركائهم
فان قيام مصالحهم بهم وهم اعوانهم وانصارهم الذين قيام امر الملوك والكبرابهم
ولولاهم لما انبسطت ايديهم والسنة في الناس فلما جتمع اليهم يحتاجون الى
قبول شفاعتهم وان لم ياذنوا فيهم ولم يرصوا عن الشافع لانهم يخافون ان يردوا
شفاعتهم فتنتقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفاعتهم
على الكثرة الرضى فاما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكلما سواه فقير اليه بذاته
وكل من في السموات والارض عبيد له مقيرون بقره مصر وفون بمشيئة لواهلكم
جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه ورجوعه واليه منتهى شلاله قال تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد ان يهلككم
بن مريم واسمه ومن في الارض جميعا والله ملك السموات والارض وما بينهما الاله وقال تعالى
في سورة آل عمران آية الكرسي له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وقال قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاخبر ان حال ملكه
للمسما والارض بوجوب ان تكون الشفاعة كلها له وحده وان احدا لا يشفع عنده الا
باذنه فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عن بعض
فتبين ان الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية
التي يركبها الناس ويفعلها بعضهم مع بعض ولهذا يطلقون فيها تارة بناء على انها هي
المعروفة المتعاهدة عند الناس ويقيدها تارة بانها لا تشفع الا بعد اذنه وهذه
الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي اذن والذي قبل والذي رضى عن المشفوع
والذي وفقه لفعله ما يستحق به الشفاعة وقوله فتتخذ الشفع شركا لا تشفع
شفاعته ولا يشفع فيه وتتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه

يعرفها

ومخوفه

ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذي
ياذن الله سبحانه للشفيع ان يشفع له قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون من
دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبهون
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى ان يشركون فبين سبحانه ان
المتخذين شفعاء مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم هم وانما تحصل
باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له وسر الفرق بين الشفاعة عني ان شفاعة
المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا ينفق فيها الى المشفوع عنده لا خلقا ولا امرا
ولا اذنا بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الاسباب التي تحرك الاسباب وهذا السبب المحرك
قد يكون عند المتحرك كاجله ما يوافق كمن يشفع عنده في امر يحبه ورضاه وقد يكون
عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في امر يكرهه ثم قد يكون سؤاله وشفاعته اقوى من
المعارض فيقبل شفاعته الشافع وقد يكون المعارض الذي عنده اقوى من شفاعة
الشافع فيردها ولا يقبلها وقد يتعارض عنده الامر ان فيبقى مترددا بين ذلك المعارض
رضى الذي يوجب الرد وبين الشفاعة التي تقضي القبول فينتو قفالة ان يترجح
عنده احد الامرين يترجح فشفاعة الانسان عند المخلوق مثله هي سعي في سبب
منفصل عن المشفوع اليه يحركه به ولو على كره منه فنزلة الشفاعة عنده منزلة من
يشفع بامر غيره او يكرهه على الفعل اما بقوة وسلطان واما برغبة فلا بد ان يحصل
للمشفوع اليه من الشافع امار غلبة ينتفع بها واما رهبة منه تندفع عنه بشفاعة
وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع وياذن
له فيها ويجعل منه ويرضى عن المشفوع لم يمكن ان يوجد والشافع لا يشفع عنده
لحاجة الرب اليه ولا رهبة منه ولا الرغبة فيما الرزق وانما يشفع عنده مجرد اشتغال
الامر وطاعة له فهو ما يورث الشفاعة مطيع بامثال الامر فان احدا من الانبياء
والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلفه
فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفع حتى يشفع والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك
المشفوع اليه حتى يقبل والشافع عند المخلوق مستغن عنه في اكثر امور

عند الله فهو من اجمل الناس بحق الرب سبحانه ولا ما يجبله ويمتنع عليه فان هذا
 محال فمنع شبهه قياس الزمان على الملوك والكبر حيث يتخذ الرجل من خواصهم و
 واوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج وهذا القياس الفاسد عند الاصنام
 واتخذ المشركون من دون الله الشفعين والولي والفرق بينهما هو الفرق بين المخلوق
 والمخلوق والرب والعبد والمالك والملوك والغني والفقير والذي لا حاجة به الى
 احد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره والشفعاء عند المخلوقين هم شركائهم
 فان قيام مصالحهم بهم وهم اعوانهم وانصارهم الذين قيام امر الملوك والكبرابهم
 ولولاهم لما انبسطت ايديهم والسنة في الناس فلما حاجتهم اليهم يحتاجون الى
 قبول شفاعتهم وان لم ياذنوا فيما ولم يرضوا عن الشافع لانهم يخافون ان يردوا
 شفاعتهم فتنتقص طاعتهم لهم ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بدا من قبول شفعا
 عنهم على الكثرة الرضى فاما الغني الذي غناه من لوازم ذاته وكلما سواه فقير اليه بذاته
 وكل من في السموات والارض عبيد له مقربون بقرره مصره فون بمشيئته لو اهلكهم
 جميعا لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وروبيته والهيئته مثقال ذره قال تعالى لقد كفر
 الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك بكم من الله شيئا ان اراد ان يهلككم
 بن مريم وامن ومن في الارض جميعا والله مكنى السموات والارض وما بينهما الاله وقال تعالى
 في سبيلهم آي القرآن اية الكرسي له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده
 الا باذنه وقال قل لله الشفاعة جميعا له مكنى السموات والارض فاخبر ان حال ملكه
 للسموات والارض بوجوب ان تكون الشفاعة كلها له وحده وان احدا لا يشفع عنده الا
 باذنه فانه ليس بشريك بل مملوك محض بخلاف شفاعة اهل الدنيا بعضهم عن بعض
 فبين ان الشفاعة التي نفها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشرعية
 التي يوكفها الناس ويفعلها بعضهم بعضا ولهذا يطلق نفيا تارة بناء على انها هي
 المعروفة المتعاهدة عند الناس ويقيد ها تارة بانها لا تنفع الا بعد اذنه وهذه
 الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه الذي اذن والذي قبل والذي رضى عن المشفوع
 والذي وفقه لفعله ما يستحق به الشفاعة وقوله فتتخذ الشفعين شركاء لا تنفعه
 شفاعتهم ولا يشفع فيه وتتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوه

يعرفها

ومخوفه

ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه هو الذي
 يا ذن الله سبحانه للشفيع ان يشفع له قال تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل
 اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا وقال تعالى ويعبدون من
 دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل ان تنبيون
 الله بما لا يعلم في السموات والارض سبحانه وتعالى يشركون فبين سبحانه ان
 المتخذين شفعا مشركون وان الشفاعة لا تحصل باتخاذهم هم وانما تحصل
 باذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له وسر الفرق بين الشفاعة بين ان شفاعة
 المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلفا ولا امرا
 ولا اذنا بل هو مسبب محرك له من خارج كسائر الاسباب التي تحرك الاسباب وهذا السبب المحرك
 قد يكون عند المتحرك كاجله ما يوافق كمن يشفع عنده في امر يحبه ورضاه وقد يكون
 عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في امر يكرهه ثم قد يكون سؤاله وشفاعته اقوى من
 المعارض فيقبل شفاعة الشافع وقد يكون المعارض الذي عنده اقوى من شفاعة
 الشافع فيردها ولا يقبلها وقد يتعارض عنده الامر ان فيبقى مترددا بين ذلك المعار
 رض الذي يوجب الرد وبين الشفاعة التي تقتضي القبول فيتوقف على ان يترجح
 عنده احد الامرين يترجح فشفاعة الانسان عند المخلوق مثله هي سعي في سبب
 منفصل عن المشفوع اليه تحركه به ولو على كره منه فنزلة الشفاعة عنده منزلة من
 يشفع بامر غيره او يكرهه على الفعل اما بقوة وسلطان واما برغبة فلا بد ان يحصل
 للمشفوع اليه من الشافع امار غلبة ينتفع بها واما رغبة منه تندفع عنه بشفاعة
 وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع وياذن
 له فيها ويجعل منه ويرضى عن المشفوع لم يمكن ان يوجد الشافع لا يشفع عنده
 لحاجة الرب اليه ولا لرغبة منه ولا لرغبة فيما الرزق وانما يشفع عنده مجرد امثال
 الامم وطاعة له فهو ما دون الشفاعة مطيع بامثال الامم فان احدا من الانبياء
 والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلفه
 فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفعين حتى يشفع والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك
 المشفوع اليه حتى يقبل والشافع عند المخلوق مستغن عنه في اكثر اموره

Copy and paste into your library

وهو في الحقيقة شريك ولو كان مملوكه وعبد فالمشقة عند محتاج اليه
 فيما يناله منه من رزق او نصرا او غيره النفع بالنصر والمعاونة وغير ذلك كما ان
 الشافع محتاج اليه فيما يناله منه من رزق او نصرا او غيره فكل منهما محتاج الى
 الاخر ومن وفق الله لفهم هذا الموضع وعرفته تبين له حقيقة التوحيد والشرك
 والفرق بين ما اثبت الله من الشفاعة وبين ما نفاه وابطله ومن لم يجعل الله
 له نورا فلا له من نور **فصل** ومن تكايد عدو الله ومصابده التي كادها
 من قل نصيبه من العلم والعقل والدين وصاحبها قلوب الجاهلين والمبطلين سماع
 المكابرة والتضديد والغنا بالآلات المحرمة التي تصد القلوب عن القرآن وتجعلها
 عاكفة على الفسوق والعصيان فهو قران الشيطان والحجاب الكيف عن الرحمن وهو
 رقية اللعاط والزنا وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية التي كاد به الشيطان
 النفوس الباطلة وحسنه لها مكرامته وغرورا وادعى اليها الشبه الباطلة على حسنه
 فقبلت وحيه واتخذت لاجله القرآن مجعولا فلورايتهم عند ذياك السماع وقد خشعت
 منهم الاصوات وهذات منهم الحركات وعكفت قلوبهم بكليتها عليه وانصبها انصبا
 بة واحدة عليه فتمايلوا كما بل النشوان وتكسروا في حركاتهم ورقصهم ارايت تكسر
 المخائيل والنشوان ويحفلهم ذلك وقد خالط خماره النفوس ففعل فيها اعظم مما تفعله
 حيا الكوس فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تمزق واثراب تشقق واموال في غير
 طاعة الله تنفق حتى اذا عمل فيهم المسكر عملته وبلغ الشيطان منهم امنية واملة و
 استغفروهم بصوتهم وحيله واجلب عليهم بخيله ورجله وخر في صودرهم وخر اواز
 هم الى ضرب الارض بالاقدام ازا فطورا يجعلهم كالبحير حول المذار وتارة كالذياب
 ترقص وسط الديار فيارحمتا للمسقر في الارض من ذلك تلك الاقدام وباسوتان من
 اشباه الحير والانعام ويا شمانت اعدا الاسلام بالذين يزعمون انهم خواص الالهة
 سلام قضا حياتهم لذة وطربا واتخذوا دينهم لهوا ولعبا من امير الشيطان احب اليهم
 من استماع سور القرآن لو سمع احدهم القرآن من اوله الى اخره لما حرك له ساكنا ولا
 انزعج له قاطنا ولا اثار فيه وجدا ولا قدح فيه من لواجج الشوق الى الله وندى الحق
 اذا اتلى عليه قران الشيطان وولج مزوره سمعه تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه

حكمة السماع
الشرطاني

السماع

وقيله

فجرت

فجرت وعلى اقدامه فرقصت وعلى يديه فصفت وعلى ساير اعضائه فاهتزت و
 طربت وعلى انقاسه فتصاعدت وعلى زفراته فترايدت وعلى نيران اشواقه فاشتعلت
 فيا ايها الفاتن المفتون والبايع حظه من الله بنصيبه في الشيطان صفقة خاسرة معقون
 هل لا كانت الا شجان عند سماع القرآن وهذه الاذواق والمواجيد عند قراءة القرآن
 المجيد وهذه الاحوال السنيات عند تلاوة السورة الايات ولكن كل امر يصبو الى ما
 يناسبه ويميل الى ما يشاكله والجنسية على الضم قدرا وشرا والمشاكلة سبب الميل عقلا
 وطبعيا فمن اين هذا الاخاء والنسب لولا التعلق من الشيطان باقوى سبب ومن اين
 هذه المصالحات وقوت في عقد الايمان وعهد الرحمن خللا افتتخذونه وذريته
 اولياء من دوني وهم لكم عدو وبئس للظالمين بدلا ولقد احسن القابل

تلى القرآن فاطر قولاً خيفة
 واآى الغنا فكما لحرير تناهقوا
 دف ومنار ونعمة شاذن
 تغل الكنا بعلهم لما راوا
 سمعوا له رعدا وبرقا اذ هو
 وراوه اعظم قاطع للنفس
 واى السماع موافقا اغرا
 اين المساعد للمؤمن قاطع
 ان لم يكن خمر الجسوم فانه
 فانظر الى النشوان عند شرايه
 وانظر الى ثمرين ذاك ثوابه
 واحكم قاي الخمرين احق
 برينا الى الله من معشر
 وكم قلت يا قوم انتم على
 شفا جرف تحته هوة
 وتكرارنا النصح مناهم
 فلما استمنا نوابينهم بنا
 لكره اطراق ساه لاه
 والله ما رقصوا من اجل الله
 فمقي راييت عبادة بملا هي
 تقيده باوامر ونوا هي
 زجرا وتخوفا بفعل منا هي
 عن شموان يا ويحى التناهي
 فلاجل ذاك غدا عظيم الجاهي
 اسبابه عند الجحيم الساهي
 خمر العقول مماثل ومضا هي
 وانظر الى النشوان عند ملاهي
 من بعد تمرين الفواد للا هي
 بالتحريم والتاثير عند الله
 بهم مرض من سماع الغنا
 شفا جرف مابه من بنا
 الى درك كهم به من عنا
 لنعذر فيهم الى ربنا
 رجعنا الى الله في امرنا

لاجل

Copyrighted by the University of Cambridge

فعلينا على ملّة المصطفى ^{الضار} وما نؤا على تاملنا لنشأ
 ولم ينزل الاسلام وائمة الهدى تصحيح ^{الضار} لا من اقطار الارض وتحد من سلوك سبيلهم
 واقتفا آثارهم من جميع طوائف هذه الملّة قال ابو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه في تحريم
 الخمر لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على الظالمين ونسأل الله ان يرسلنا
 الحق حقا فنطيعه والباطل باطلا فنجنبه وقد كان الناس فيما مضى يستتر احد
 بالمعصية اذا وقعوا ثم يستغفروا الله ويؤوب اليه منها ثم كثر الجهل وقيل العلم وتناقض الامر
 حتى صار احدهم ياتي المعصية جهرا ثم انزاد الامر اذ اراحت بلغنا ان طائفة من
 اخواننا المسلمين وفقنا الله واياهم استرلهم الشيطان واستغفروا عقولهم في الاغيا
 في الله وسماع الطغفظة والنقيير واعتقدت الدين الذي يقربهم الى الله وجاهه
 به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين وخالفوا الفقهاء والعلماء وحملوا الدين
 ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين قوله ما تولى و
 نصله جميعهم وسأله مصير فرأيت ان اوضح الحق واكشف عن شبه الباطل بالحق الذي
 تضمنها كتاب الله وسنة رسوله وابدأ بذكر افعال العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في
 اقصا الارض ودانها حتى تعلم هذه الطائفة انها قد خالفت علماء المسلمين في
 بدعتها والله في التوفيق ثم قال اما ما كرهت فانه نهي عن الغنا وعن استماعه قال و
 اذا اشترى جارية فوجدها غنية فله ان يردّها بالعيب وسيل ما كرهت عما رخص فيه
 اهل المدينة من الغنا فقال انما يفعل عندنا الفساق قال واما ابو حنيفة فانه يكره
 الغنا ويجعله من الذنوب وكذلك مذهب اهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم
 والشعبي وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك ولا نعلم خلافا ايضا بين اهل البصرة
 في المنع منه قلت مذهب ابي حنيفة في ذلك من اشد المذاهب وقوله فيه اغلظ الافق
 لوقد صرح اصحابه بتحريم سماع الملاحي كلها الزمار والدف حتى والضرب بالقطيب
 نصره بان بعضه يوجب الفسق وترد به الشهادة وابلغ من ذلك قالوا ان السماع
 فسق والفلذبة كفر هذا الفظهم وروا في ذكر حديثنا لا يصح رفعه قالوا ويجب
 عليه ان يجتهد في ان لا يسمعه اذا مر به او كان في جواره وقال ابو يوسف في دار
 يسمع منها صوت المعازف والملاحي ادخل عليهم بغير اذنهم لان النهي عن المنكر فرض

فمنجنبه

التفسيق

فلو لم يجوز الدخول بغير اذن لامتنع الناس من اقامة الغرض قالوا وينتقد الى الغا
 اذا سمع ذلك من دارة فان اصر حبسه وضربه سباطا وان شأنا ربحه عن ذلك و
 اما الشافعي فقال في كتابه ادب القضاء ان الغنا لم يكرهه يشبه الباطل والمحال من
 استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وصرح اصحابه العارفون بمذهبه بتكرمه وانكروا
 على من نسب اليه حله كالقاضي ابي الطيب الطبري والشيخ ابي اسحق وابن الصباغ قال
 الشيخ ابو اسحق في التنبيه ولا تقع يعني الاجارة على منفعة محرمة كالغنا والزمر
 عمل المحرم ولم يذكر فيه خلافا وقال في المذهب ولا يجوز في المنافع المحرمة لانه محرم فلا
 يجوز اخذ العوض عنه كالمينة والدم فقد تضمن كلام الشيخ امور احدها ان منفعة
 الغنا يجوز منفعة محرمة الثاني ان الاستيجار عليهم باطل الثالث ان اكل المال اكل
 مال باطل بمنزلة اكله عوضا بدلا عن المينة والدم الرابع انه لا يجوز للرجل بذل ماله
 للمغني ويحرم عليه ذلك فانه بذل ماله في مقابلة محرم وان بذله في ذلك كبذله في مقابلة
 الدم والمينة الخامس ان الزمر حرام وان كان الزمر الذي هو اخف آلات للموسى حراما
 فكيف بما هو اشد منه كالعود والطنبور واليراع ولا ينبغي لمن شتم راحة العلم ان يتوقف
 في تحريم ذلك فاقول ما فيه انه من شعاع الفساق وشار في الخمر وكذلك قال ابو ذر
 النواوي في روضته القسم الثاني ان يغني بعض آلات الغنا مما هو من شعاع شار في
 الخمر وهو مطرب كالطنبور والعود والصنج وسائر المعازف والاوتار محرم استما
 عه واستعماله قال وفي اليراع وجهان صحح البغوي التحريم ثم ذكر عن الغزالي الجواز
 قال والصحيح تحريم اليراع وهو الشبابة وقد صنف ابو القاسم الدولعي كتابا في
 تحريم اليراع وقد حكى ابو عمرو بن الصلاح الاجماع على تحريم السماع الذي جمع
 الدف والشبابة فقال في فتاويه واما اباحة هذا السماع وتحليله فليعلم ان الدف
 والشبابة والغنا اذا اجتمعت فاستماع ذلك حرام عند ائمة المذاهب وغيرهم من
 علماء المسلمين ولم يثبت عن احد من يعند بقوله في الاجماع والاختلاف اباحة هذا
 السماع والخلاف المنقول عن بعض اصحاب الكشاف في انما ينقل في الشبابة مفردة
 والدف مفردة فمن لا يحصل الا لا يتامل رجعا اعتد خلافا بين الشافعيين في هذا
 السماع الجامع هذه الملاهي وذكره وهم يبين من الصاير اليه تنادي عليه ادلة الشرع

والعقل من انه ليس كل خلا في استروج اليه ويعتمد عليه ومن تنبع ما اختلف فيه
العلماء واخذوا بالرخص من اقاويلهم من ثندق او كاد قال وقولهم في السماع المذكور انه
من القريات والطاعات قول مخالف لاجماع المسلمين ومن خالف اجماعهم فعليه ما
في قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين تولد
ما نول ونضله جهنم وسات مصيرا واطال الكلام في الرد على هاتين الطائفتين
اللذين بلاء الاسلام منهم المحللون لما حرم الله والمنقربون الى الله بما يباعدهم عنه **والشافعي**
وقد ما اصحابه والعارفون بمذهبه من اغلظ الناس قولا في ذلك وقد تواتر عن الشافعي
انه قال خلفت بيغداد شيئا احسنه الزنادقة يسمونه التغير يصدون به الناس عن القرآن
فاذا كان هذا قوله في التغير تعليقه انه يصد عن القرآن وهو شعر من هذ في الدنيا
يغني به مغني فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطح او على تحذ على ترقيع غناه فليز
شعر ما يقول في سماع التغير عنده كقوله في بحر قد اشتغل على كل مفسدة وجمع كل
محرم فانه بين دينه وبين كل متعلم مفتون وعابد جاهل قال سفيان بن عيينه كان
يقال احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ومن
تامل الفساد الداخل على الامم وجد من هذين المفتوتين **فصل** واما مذهب
الامام احمد فقال عبد الله بن سالت ابي عن الغنا فقال الغنا يثبت النفاق في القلب
لا يجزي ثم ذكر قول ما كذا انما يفعله عندنا الفساق قال عبد الله سمعت ابي يقول سمعت
يجي القطان يقول لو ان رجلا عمل بكل رخصة بقول اهل الكوفة في التبيذ واهل
المدينة في السماع واهل مكة في المتعة لكان فاسقا قال احمد وقال سليمان التيمي لو
اخذت برخصة كل عالم او زلت كل عالم اجتمع فيك الشرك ونصر على كسر آلات الله هو
كالطنبور وغيره اذا راها مكشوفة وامكنه كسرها وعنه في كسرها اذا كانت مغطاة
تحت ثيابه وعلم بما روايتان منصوبتان ونص في ايتام وروايات مغيرة وارا
دوايعها فقال لا يباع الا على انها ساذجة فقالوا اذا بيعت مغيرة ساوت عشرين
الفا او نحوها واذا بيعت ساذجة لا تساو في الفيا فقال لا يباع الا على انها ساذجة
ولو كانت شفعه الغنا مباحة لما فوت هذا المال على الايتام **فصل** واما سماع
من المرأة الاجنبية والامرؤ فمن اعظم المحرمات واشدها فسادا للدين قال الشافعي

رحمه الله وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته واغلظ القول
فيه وقال هوديانته فمن فعل ذلك كان ديونا قال القاضي ابو الطيب وانما جعل صاحبها
سفيحا لانه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الناس الى الباطل كان سفيحا فاسقا قال
وكان الشافعي يكره التغير وهو الطفطقة بالقضيب ويقول وضعه الزنادقة ليشغلوا
به عن القرآن قال واذا العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق واتباع
الجماعة اولى من اتباع رجلين مطعون فيهما قلت يريد بهما ابراهيم بن سعد وعبيد
بن الحسن فانه قال وما خالف في الغنا الا رجلا من ابراهيم بن سعد فان الساجي حكى
عنه انه كان لا يرى به باسا والشافعي عبيد بن الحسن الغنوي قاضي البصرة وهو مطعون فيه
فصل قال ابو بكر الطرطوشي وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا
الغنا دينيا وطاعة وراثا اعلانه في المساجد الجوامع وسائر البقاع الشريفة الكريمة
وليس في الامم من راي هذا الراي قلت ومن اعظم المنكرات يمكنهم من اقامة هذا الشعار
الملعون هو اهلهم في المسجد الأقصى عشية عرفة ويقومونه ايضا في مسجد الخيف ايام
نبي وقد اخرجناهم منه بالضرب والنفي مرارا ورايتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه **والشافعي**
س في الطوائف فاستدل بحديث حماد بن عيسى ورفقا شملهم ورايتهم يقيمونه بعرفات والناس
في الدعاء والنضرة والابتهال والصجيج الى الله وهم في هذا السماع الملعون بالبراع
والدف والغنا فاقرار هذه الطائفة على ذلك فستيقده في عدالة من اقرهم
ومنصبه الديني وما احسن ما قال بعض العلماء وقد شاهد هذا واقعا لهم
الا قل لهم قول عبد الله بن مسعود **والشافعي** وحق النصيحة ان تسمع
متى علم الناس في ديننا **والشافعي** بان الغنا سنة نتمتع
وان يا كل المرء اكل الحمار **والشافعي** ويرقص في الجمع حتى يفرح
وقالوا اسكروا بحب الاله **والشافعي** وما اسكر القوم الا الفصيح
كذاكر البهايم اذا شبعن **والشافعي** يرفضها ريمها والشبع
ويسكر الناس في الغنا **والشافعي** وليس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنفوس **والشافعي** الا منكر منكم للبدع
ثمها من مساجد السماع **والشافعي** وتكرم عن مثل ذاك البيع
وقال اخروا حسن ما شاء

ذهب الرجال وحال دون مجالهم
 زعموا بانهم على اثارهم
 لبسوا الدلوقة مرقعا وتشفوا
 قطعوا طريق السالكين وغدوا
 عمروا ظواهرهم باثواب الشفي
 ان قلت قال الله قال رسوله
 او قلت قد قال الصحابة والالي
 او قلت قال الال المصطفى
 او قلت قال الشافعي واحمد
 او قلت قال صاحبهم من بعدهم
 ويقول قلبي قال لي عن سره
 عن حضرة في عن فكر في عن خلوي
 عن صفوتي عن حقيقة مشهدي
 دعوى اذ احققها الفتيها
 تركوا الحقايق والشرائع واقدوا
 جعلوا المرافعة والفاظ الخطا
 بنذوا كتاب الله خلف ظهورهم
 جعلوا السماع مطية لهم
 هو طاعة هو قرية هو سنة
 شيخ قديم صاد هم بتجصيل
 هجر والفران والاحبار
 وراوا سماع الشعر انفع للمفقي
 ناله ما ظفر العود وبمثلها
 نصب الجبال لهم فلم يقووا بها
 فاذا بهم وسط العرين منزلي
 لا يسمعون سوى الذي يهوىونه

ودعوا الى ذات اليمين فاعرضوا
 خروا على الاذقان عند سماعه
 واذا تلى القاري عليهم سورة
 ويقول قابلهم اطلت وليس ذا
 هذا وكم لغزوكم صحب وكم
 حتى اذا قام السماع لذيهم
 واستندوا الاعناق تسمع وحى
 وتحركت تلك الروس هزها
 فهنا لك الاشواق والاشجان
 ناله لو كانوا صحابة ابصروا
 لكنما سكر السماع اشد من
 فاذا هما اجتمعا النفس مرق
 يا امة لعبت بدين نبينا
 اشمتم اهل الكفا بدنياكم
 كم ذايعة بينهم بفريقكم
 قالوا نادى عبادة اهله
 بل لا تنجي شريعة بجوارحه
 لو قلتم فسقوا وعصية وتر
 ليصد عن وحي الاله ودينه
 كنا شهدنا ان ذا دين اني
 والله منهم قد سمعنا ذا الي
 وتعام ذاك القول بالحيل التي
 جعلته كالثوب المبلل فضحة
 ما شئت من مكر ومن خديع
 فاحمل على اسقاط كل فريضة
 واحمل على المظلم بقلب الما

عنها وصار القوم ذات شمالي
 صما وعيانا ذويك اهل
 فاطا لها عدوه في الانثالي
 عشر انخفوا انت ذوا ملال
 ضحك بلا ادب ولا اجمال
 خشعت له الاصوات بالاجلال
 ذاك الشيخ من مرقم قوال
 طرب واشواق لنيل وصال
 والاحوال لا اهلا بذكر الاحوال
 ما اذا دهاهم من قبيح فعال
 سكر المدام وذا بلا اشكال
 نالت من الخسران كل منال
 كئلا لعب الصبيان في الاحوال
 والله لن ير ضوا بذكر الافعال
 سرا وجهه عند كل جدا
 هذا السماع فذا ذكر دين محال
 فسلبوا الشرع فكشفوا اسوال
 بيع من الشيطان للانذار
 وبنال فيه حيلة المحتال
 بالحق دين الرسل لا بضلال
 الاذان من افواههم بمقال
 فسحق عفود الدين فسحق فصا
 فيه تفصله من الاوصال
 حيل وتلبيس بلا اقوال
 وعلى حرام الله بالاحلال
 وعلى الظالم بضد تلك الحال

ف
لقت

زمزم الاوباش والاندال
 ساروا ولكن سيرة البطال
 كنقش الاقطاب والابدال
 سبل الهند بجماله وضلال
 وحشوا بواطنهم من الادغال
 همزوك همز المنكر المتعال
 تبعوهم في القول والاعمال
 صلى عليه الله افضل ال
 وابو حنيفة والامام العال
 فالك عندهم كشبه خيال
 عن سر سري عن صفاء احوال
 عن شاهدي عن واري عن حال
 عن سر ذاتي عن صفاء فاعالي
 القاب زور لفت بمحالي
 بظواهر الجبال والضلال
 شطى وصالوا صولة الادلال
 بنذ المسافر فضلة الاكال
 وغلوا فقا لوافيه كل محال
 صدقوا ذلك الشيخ ذي الضلال
 حتى اجابوا دعوة المحتال
 والاثار اذ شهدت لهم بضلال
 من اوجه سبع طعمت بنوا لي
 من مثلهم واخيه الامالي
 فاني بذل الشكر المحيط العالي
 الاثواب الاديان والاحوال
 شغلا به عن سائر الاشغال

١٨٢
 واقلب وحول فالتجمل كله
 ان كنت تفهم ذاظفرت بكلمة
 فاحمل على شرب المدام وسميها
 واحمل على اكل الربا واهجر شناعة
 واحمل على الوطي الحرام ولا تغفل
 واحمل على القعود ونسجها
 الاعلى المحال فهو طيب بها
 واحمل على نفق الوتوف وعودها
 فكد قد رثم فصل بعد ذا
 واحمل على الميراث فانزعجه
 قل اثبتوا نسباً وحصراً فيكم
 واعمدوا تلك الشهادة واجعل
 فالحصر اثبات ونفي غير معلوم
 واحمل على مال اليتيم فانه
 لاسوطة تخشع ولا امر سيفه
 واحمل على اكل الوقوف فانها
 فابو حنيفة عنده هي باطل
 فالمال مال ضايع ارباباً
 واذا تصح بحكم قاض عادل
 قد عطلوا الناس الشرط واهلوا
 وتما ذاك قضا شاموهم ودا
 اما الشهود فمعدول عن طريق
 زور وادبها وكتماناً ولبساً
 ينسى شهادته ويخلف انك
 فاذا اراد المنقوش قال ذكرتها

في القلب والتحويل والاعمال
 تبغي من الافعال والاقوال
 غير اسمها واللفظ والجمال
 لفظه واحمل على الابدال
 هذا زنا وانكح رخي البال
 بعد الزوم وذاك ذو الشكال
 يا محنة الاديان بالحنال
 طلقا ولا تسبحي الابطال
 فاذا غلبت فلج في الاشكال
 من الوراث ثم ابلغ جميع المال
 حق تحوزوا الارث للاموال
 الابطال هكذا تحفظ بالابطال
 وهذا موضع الاشكال
 رزق هنيئ من ضعيف الحال
 والقول قولك في نفاذ المال
 مثل السوايب ربة الاهال
 في الاصل لم تحتاج الى ابطال
 هلكوا فخذ منه بلا مكيا
 فشر وطها صار الى الضملا
 مقصود الكل في اهال
 فاسان بهم فاخيرة بالحال
 العدل في الاقوال والافعال
 واسرافا باخذ نوال
 ناس لها والقلب في اغفال
 بالمدكر حيث بالامال

ويقول

ويقول قاي لهم اخوض النار
 تغل لي الميزان اخي خايض
 اما القضاة فقد توارى عنهم
 ما اذا تقول لمن يقول حكمت
 فاذا استغثت اغثت بالجلد الذي
 فيقول طوط فقول قط فتعاضا
 فاجارك الرهر من ضرب ومن
 هذا ونسبة ذاك اجمعه الى
 حاشا رسول الله يحكم بالهوى
 والله لو عرضت عليه كلمها
 الا التي منها يوافق حكمه
 احكامه عدل وحق كلمها
 شهد عقول الخلق قاطبة بما
 فاذا انت احكامه الفينها
 حتى يقول السامعون لحكمه
 لله احكام الرسول عدلها
 كانت بها الارض اعظم رحمة
 احكامهم تجر على وجه السلا
 اسنا وعز في هد وتراجيح
 فتغيرت اوضاعها حتى غدا
 فتغيرت اعمالهم وتبدلت
 لو كان دين الله فيهم قابها
 واذا هم حكموا بحكم حابر
 قالوا انكر حكم شرع فحمل
 عجت فروج الناس ثم حقهم

في نزل يسير ذاك عين خيال
 للمنكرين اجراً بالاعمال
 ما قد سمعت فلا نفع بمقال
 انك فاسق او كاف في الحال
 قد طوفوه كمثل طرف نعال
 ويكون قول الجلد ذال اعمال
 عرض ومن كذب وسوء قال
 دين الرسول ودين الاهوال
 والجهل تلك حكومة الضلال
 لاجتمها بالنقض والابطال
 فهو الذبي يلقاه بالاقبال
 في رحمة ومصالح وجلال
 في حكمه من صحة وكال
 وفوا العقول تزيل كل عقال
 ما بعد هذا الحق غير ضلال
 بين العباد ونورها المنلال
 والناس في سعد وفي اقبال
 وحالهم في ذاك احسن حال
 وتواصل ومجبة وجلال
 منكرة مسلوقة الاعمال
 احوالهم بالنقض بعد كمال
 لرايتهم في احسن الاحوال
 حكموا المنكر بكل وبال
 حاشي لذا الشرع الشرع العالي
 لله بالبكر والاصال

كم تستعمل بكل حكم باطل
والكل في فخر الجحيم سوا الذي
او ما سمعت بان ثلثهم غدا
وزمانا هذا فربك عالم
يا باغي الاحسان يطلب ربه
انظر الى هذه الصعابة والذلة
واسلك طريق القوامين تيمموا
تالله ما اختاروا لانفسهم سوا
درجوا على ناصح الرسول هدي
نعم الرفيق لطالب يسغي الهدى
القاشين الخجسين لربهم
الناكرين لكل فعل سيئ
اهواؤهم تبع لدين نبينهم
ما شابههم في دينهم نقص ولا
علموا بما علموا ولم يتكلموا
وسواهم بالصد في احواله
فهم الادلة للعباد من يسير
وهم النجوم هداية واضاءة
يمشون بين الناس هو نانظفهم
علماء وعلماء تقى وتواضع
يحبون ليلهم بطاعة ربهم
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم
في الليل رهبان وعند جراحهم
واذا بداعلم الرهبان رانهم
بوجودهم اثر السجود لربهم

الحال بالعلم

ولقد ابان كذا الكتاب صفاتهم
وبرايح السبع الطوال صفاتهم
وبراءة والحشر فيها وصفهم
وبه لائق وبسورة الانفال

فصل هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحيماني له في الشرع بضعة
عشر اسما اللهم واللغو والباطل والزور والكاذب والتصدية ورقية الزنا وقران
الشيطان ونبت النفاق في القلب والصوت الاحق والصوت الفاجر وصوت الشيطان
ومن مود الشيطان والسمود اسماءه دلت على اوصافه تبالذي الاسماء والادماء
فذكر مخاري هذه الاسماء ووقعها عليه في كلام الله ورسوله واصحابه ليعلم اصحابه
واهلهم بما به ظفروا واي تجارة رابحة خسرنا

فدع صاحب المزمار والدف في الغنا
ودعه يعيش في غيه وضلاله
وفي تنشأ يوم المعاد نجاة
سيعلم يوم العرض اي بضاعة
ويعلم ما قد كان فيه حياته
دعاه الهدى والغنى من ذاجيبه
واعرض عن داعي الهدى قايلا
يراع ودفع بالصنوج وشاهد
اذا ما يغني فالظبا تجيبه
فما شئت من صيد تغني بطارد
فما آمري بالرشد لو كنت حليزا
لكان الى الله وعندك اقربا

فصل فالاسم الاول لله والحمد لله والحمد لله والحمد لله
ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا واوليك لهم عذاب ممين واذا نلى عليه يا
تنا ولا يستكبر كان لم يسمع كان في اذنيه وقرا فبشره بجزاب اليم قال الواحد وغيره
اكثر المفسرين على ان المراد بالمولود الحديث الغنا قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبيرة
ومقسم عنه وقاله عبد بن مسعود في رواية ابي الصمها عنه وهو قول مجاهد وعكرمة

وروي ثور بن ابى فاختة عن ابيه عن بن عباس في قوله ومن الناس من يشترى لى هو
الحديث قال هو الرجل يشترى الجارية تغنيه ليلاً ونهاراً وقال ابن نجيم عن مجاهد
هو اشتراؤه المغني والمغنية بالمال الكثير والاستماع اليه والمثله من الباطل وهذا
قول مكحول وهذا اختيار ابى اسحق ~~في نسخة~~ ايضاً قال اكثر ما جاء في التفسير ان لى هو
الحديث هو الغنا لا لى عن ذكر الله تعالى قال الواحد قال اهل المعاني ويدخل في هذا كل
من اختار الله هو الغنا والمزاجير والمعارف على القرآن وان كان اللفظ قد ورد بالشري
فلفظ الشري يذكر في الاستبدال والاختيار وهو كثير في القرآن قال ويدل على هذا ما قاله
قناة في هذه الآية لعله ان لا يكون النقص الا فال وبحسب المزمع من الضلالة ان يختار
حديث الباطل على حديث الحق قال الواحد في هذه الآية على هذا التفسير يدل على شتم
الغنا ثم ذكر كلام الشافعي في رد الشهادة باعلان الغنا قال واما غنا القينات فذكر ان
ما في الباب وذاك لكثرة الوعيد الوارد فيه وهو ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استمع
الى قينة صلب في اذنيه الا انك يوم القيمة الا انك الرصاص المذاب وقد قال في تفسير لى هو
الحديث بالغنا فروعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ففي مسند الامام احمد ومسند عبد بن الزبير
الحديث وجاء الترمذي من حديث ابى امامة والسياق للترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تتبعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمرتهن حرام
في مثل هذا نزلت هذه الآية ومن الناس من يشترى لى هو الحديث ليضل عن سبيل الله وهذا
الحديث وان كان حذاه على عبد بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم فعبد بن زحر
ثقة والقاسم ثقة وعلي ضعيف الا ان الحديث شواهد ومتابعات سند كرها انشاء
الله تعالى وكفي تفسير الصحابة والسابعين لى هو الحديث فانه الغنا فقد صح ذكره عن ابن عباس
ولبن مسعود قال ابى الصمب سالت ابن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لى هو
الحديث فقال والله الذي لا اله غيره هو الغنا يردد ها ثلاث مرات وصح عن ابن عمر ايضاً
انه الغنا قال الحاكم ابو عبد الله في التفسير من كتابه المستدرک ليعلم طالب هذا العلم ان
تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشياخين حديث مسند وقال في مو
ضع اخر من كتابه هو عندنا في حكم المرفوع وهذا وان كان فيه نظر فلا ريب انه اول
بالقبول من تفسير من بعدهم فهم اعلم الامة بمراد الله من كتابه فعليه نزل وهم اول

من خطبة من الامة وقد شاهدوا تفسيره من الرسول علما وعلماء وهم العرب الفصحاء
على الحقيقة فلا معدل عن تفسيرهم ما وجد اليه سبيل ولا تعارض بين تفسير لى هو الحديث با
الغنا وتفسيرها باخبار الائمة وملكها وملك الروم ونحو ذلك مما كان النظر من الحمار
يحدث به اهل مكة فيشغلهم عن القرآن فكلاهما لى هو الحديث ولهذا قال ابن عباس لى هو
الحديث الباطل والغنا من الصحابة من ذكر هذا ومنهم من ذكر الاخر ومنهم من جمعهما
والغنا اشد لى هو واعظم ضرراً من احاديث الملوك واخبارهم فانه رقية الزنا ونسب الكفا
في وشرك الشيطان وخمرة العقل وصدع عن القرآن اعظم من صدغ غيره من الكلام الباطل
طل لشد بل النفوس اليه ورغبته فيه اذا عرف هذا فاهل الغنا مستمعوه لهم نصيب
من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغنا عن القرآن وان لم ينالوا جميعه فان الايات تضمنت
ذم من استبدل لى هو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا
واذا نكح عليه القرآن ولي مستبكر كان لم يسمعها كان في اذنيه وقراوه هو الثقل والصم
واذا علم منه شيئا استمر به فجحش هذا لا يقع الا من اعظم الناس كفرا وان وقع بعضه
للمغنية وستمعهم فلم حصنه ونصيب من هذا الذم يوضحه انك لا تجد احدا يعتنى
بالغنا وسماع الاثرة الا وفيه ضلال عن طريق الهدى علما وعلماء وفيه رغبة عن استماع
القرآن الى استماع الغنا بحيث اذا عرض له سماع الغنا وسماع القرآن عدل عن هذا
الى ذكر ونقل عليه سماع القرآن وربما حمله الحال على ان يسكت القاري ويستطيل
قرانه ويستريد المغني ويستغفر نوبته واقرا ما في هذا ان يناله نصيب واقر من هذا
الذم ان لم يحط به جميعه والكلام في هذا من في قلبه بعض حياء يحسبها فاما من
مات قلبه وعظمت فتنة فقد سد على نفسه طريق النصيحة ومن يرد الله فتنة فلن يملك
له من الله شيئا او ليك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب
عظيم **فصل** الاسم الثاني والثالث الزور واللغو قال تعالى والذين لا يشهدون
الزور واذا مروا باللغو مروا كراما قال المحمدي الخفيف الزور ههنا الغنا وقاله
ليث عن مجاهد وقال الكوفي لا يحضرون مجاز الباطل والمغوي في اللغة كلما يبلغ
ويطرق والمعنى لا يحضرون الباطل واذا مروا بكما يبلغ من قول او عمل اكرموا نفوسهم
ان يقفوا عليه ويميلوا اليه ويدخل في هذا الاعياد المشتركة كما فسرهابه السلف

والغنا وانواع الباطل كلها قال الزجاج لسون اهل المعاصي ولا يبالونهم عليها
ومروا من الكرام الذين لا يرضون باللغو لانهم يكرهون انفسهم عن الدخول فيه و
الاختلاط باهلها وقد روي ان عبد الله بن مسعود مر به فاعرض عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اصبح ابن مسعود ككريم وقد انشأ الله سبحانه علي من اعرض عن اللغو اذا سمعوه فقال تعالى
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وهذه الآية وان كان سبب
نزولها خاصا فغناها عام متناول لكل من سمع لغوا فاعرض عنه وقال بلسانه او بقلبه
لاصحابه لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وتأمل كيف قال سبحانه لا يشهدون الزور ولم يقل
بالزور لان يشهدون بمعنى يحضرون فدرهم على ترك حضور مجالس الزور وكيف
بالنكاح به وفعله والغنا من اعظم الزور والزور يقال على الكلام الباطل وعلى العين
نفسها كما ذكر في حديث معاوية لما اخذ قصعة من شعيرة صل به فقال هذا الزور والزور
القول والفعل والحمل واصل اللفظة من الميل ومنه الزور بالفتح ومنه زرت فلان
اذا ملئت اليه وعدلت اليه فالزور ميل عن الحق الثابت الى الباطل الذي لا حقيقة له
قولا وفعلا **فصل** الاسم الرابع الباطل الباطل ضد الحق ويراد به المعلوم الذي
لا وجود له والموجود الذي مضى وجوده اكثر من منفعة فمن الاول قول الموجد
كل الله سبحانه الباطل ومن الثاني قوله السحر باطل والكفر باطل قال تعالى وقل جاء الحق
وزهد الباطل ان الباطل كان زهوقا فالباطل اما معدوم لا وجود له واما موجود
لا نفع فيه فالكفر والفسوق والعصيان والسحر واستماع الملاحى كله من النوع الثاني
قال ابن هب اخبرني سليمان بن بلال عن كثير بن زيد انه سمع عبد الله يقول للقاسم بن محمد
كيف ترى في الغنا فقال له القاسم هو باطل فقال قد عرفت انه باطل فكيف ترى فيه فقال
القاسم ارايت الباطل ان هو قال في النار قال فهو ذاك وقال رجل لابن عباس ما تقول
في الغنا احلال هو ام حرام فقال لا اقول حراما الا ما في كتاب الله فقال اتحلال هو
فقال ولا اقول ذلك ثم قال له ارايت الحق والباطل اذ جاء يوم القيمة فابن يكون الغنا
فقال الرجل يكون مع الباطل فقال له ابن عباس اذهب فقد اقيت نفسك فهذا اجواب
ابن عباس عن غنا الاعراب الذي ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط والتشبيب
بالاجنبيات واصوات المعازف والالات المطربات فان غنا القوم لم يكن فيه
شي من ذلك ولو شاهده هذا الغنا لقالوا فيه اعظم فان مضرة وقتنته

وعلى العمل بالباطل

نوق مضرة شر بالخمر بكثير واعظم من فتنته فمن ابطل الباطل ان تاتي شرعية بابا حته فمن
قاس هذا على غنا القوم فقياسه من جنس قياس الرباع على البعج والميتة على المذكاة و
التحليل الملعون فاعلم على النكاح الذي هو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افضل
من التحليل لنوافل العبادته فلو كان نكاح التحليل جائزا في الشرع لكان افضل من قيام
الليل وصيام النطق فضلا ان يلحق فاعلم **فصل** واما اسم المكا والتصدية
فقال تعالى عن الكفار وما كان صلاتهم عند البيت لا مكأ وتصديت قال ابن عباس رواه عمر
وعطية ومجاهد والضحاك والحسن وقناة المكا الصغير والتصدية التصفيق وكذلك
قال اهل اللغة المكا الصغير تكا يمكوا مكوا **الاصح** اذا جمع يديه ثم صفرونيها ومنه مكث
است الدابة اذا خرج منها الركب بصوت ولما جاء على بناء الاصوات كالترغاء والعوا
والشخا قال ابن السكيت الاصوات كلها مضمومة الى حرفين النداء والغنا واما التصدية
ففي اللغة التصفيق يقال صد تصد تصد اذا صفق يديه قال الحسن بن ثابت يعيب المشركين بصغيرهم
وتصفيغهم **اذ** اقام الملايكة انبعتهم **صلاتكم** التصدي والمكأ
وهكذا الاشباه يكون المسلمون في الصلوات الفرض والنطوق وهم في التصغير والتصفيق
قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عراة ويصفرون وقال مجاهد
كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويصفرون ويخلطون عليه
طوافه وصلاته ونحوه عن مقاتل ولا ريب انهم كانوا يفعلون هذا وهم من المنافقين
الى الله تعالى بالصغير والتصفيق اشباه النوع الاول واخوانهم والمخلطون به على اهل
الصلوة والذكر والقراءة اشباه النوع الثاني قال ابن عرفة وابن الانباري المكا والتصدية
ليسا بصلوة ولكن الله تعالى اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية
فالزمنهم ذلك عظيم الا وازار وهذا القول كزرت فجعل جفاي صلي اي اقام الجفا
نقام الصلوة والمعصودان المصفيق والصفايرين في راي او من راي ونحوه فيهم
شبه من هؤلاء ولوانه مجرد التشبيه الظاهر فلم يسط من الزم بحسب تشبيههم وان
لم يشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم والله سبحانه لم يشر في التصفيق للرجال
وقت الحاجة اليه في الصلاة اذ انما بهم امر بل امروا بالعدول عنه الى التسبيح ليلا
يشبهوا بالنساء فكيف اذا فعلوه لا الحاجة وقربا به انواعا من المعاصي قولا وفعلا

يقال

فصل واما تسميته رقية الزنا فهو اسم موافق لاسمائه ولفظ مطابق لمعناه
فليس في رقا الزنا اجتماع منه وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض قال
ابن ابي الدنيا اخبرنا الحسن بن عبد الرحمن قال قال بن عياض الغنا
رقية الزنا قال ابراهيم بن محمد المروزي عن ابي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد
يا بني امة اياكم والغنا فانه ينقص الحياء ويزيد في الشهوة وينقص المروءة وانه لينوب
عن الخمر ويفعل ما يفعل السكران كنتم لا بد فاعلمين فجنبوه النساء فان الغنا اذا
عينة الزنا قال واخبرني محمد بن الفضيل الاذني قال نزلنا لخطبة رجل من العرب و
معه ابنته ملكية فلما جنة الليل سمع غنا فقال لصاحب المنزل كفو هذا عني فقال وما
تكره من ذاك فقال ان الغنا رايد من رادة الفجور ولا احب ان تسمعه هذه يعني ابنته
فان كففتها والاخرجت عنكم ثم ذكر عن خالد بن عبد الرحمن قال كنا في عسكر سليمان
بن عبد الملك فسمع غنا في الليل فارسل اليهم بكرة فجي بهم فقال ان الفرس ليصهل
فستودق له الرملة وان الفحل ليهدر فتصيح له الناقة وان التيس لينب فستحرم
له العزوان الرجل ليغني فتشاق اليه المرأة ثم قال اخصوهم فقال عمر بن عبد العزيز
رحمه الله هذه مثله فلا تحمل فحل سبيلهم فحل سبيلهم قال واخبرني الحسين بن
عبد الرحمن قال قال ابو عبيدة معمر بن المثنى جارا والحطية قوما من بني كلاب فقتل
ذوالنهي منهم بعضهم البعض وقالوا يا قوم انكم قد رسيتم بداهية هذا الرجل
شاعروا الشاعر يقطن فيحقق ولا يستأني فينتبذ ولا ياخذ الفضل فيعفو فافان
وهو في فناء خباياه فقالوا يا ابا ملكية انه قد عظم حقك علينا بتخطيك القبائل
بل الينا وقد اتيناك لنسألك عما تحب فناتيه وعما تكره فنزدجر عنه فقال جنوب
بذي مجلسكم ولا تسمعوه اغاني شبيبكم فان الغنا رقية الزنا فاذا كان هذا
الشاعر المفتوق اللسان الذي هاب العرب هجاء خاف رقية الغنا وان فصل
رقينه لاهرمته في الظن بغيره ولا ريب ان كل غيور يجنب اهله سماع الغنا
كما يجنبهن اسباب الريب ومن طرق اهله الى سماع رقية الزنا فهو اعلم بالاسم الذي
يستحقه ومن الامرا المعلوم عند القوم ان المرأة اذا استعصمت على الرجل اجهد
على ان يسمعها صوت الغنا فحينئذ تعطي اللبان وهذا لان المرأة سريعة الانفعال

فيصنع

للاصوات

للاصوات جدا فاذا كان الصوت بالغنا صار انفعالا لها من وجهين من جهة الصوت
ومن جهة معناه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجشع حاديه يا اخشع رويدك
رفقا بالقوارير يعني النساء فاذا اجتمع الى هذه الرقية الدف والشبابه والرقص
بالخنث والتكسير فلو جعلت المرأة من غنا لجعلت من هذا الغنا فلهذا لم يجر الله كم
من حرة صارت بالغنا من البغايا وكم من حرا صبح به عبد للصبيان والصبابا
وكم من غيور تبدل به اسما قبيحا بين البرايا وكم من ذي غنى وثروة اصبح بسببه
على الارض بعد المطارف والحشايا وكم من معافا تعرض له فاسى وقد حلت به
انواع البلايا وكم اهدى للمشغوف به من اشجان واحزان فلم يجد بدا من قبول
للكماله ديا وكم جوع من غصة وازال من نعمة وجلب من نقمة وذكر منه من اجد
الخطايا وكم حبا لاهله من الام منظره وغوم متوقعة وهم مستقبله
فسل ذا خبره ينبيك عنه لتعلم كم خبايا في الزوايا
وحاذران شفقت بآمالها مريضة يا هدايا المنايا
اذا ما خالط قلبا كيديا تغلبت بين اطباق الرزايا
ويصبح بعد ان كان حرا عفيف الفرج عبد للصبابا
ويعطي من به يعني غنا وذكر منه من شر الخطايا

فصل واما تسميته نبت النفاق فقال علي بن الجعد ثنا محمد بن طاححة عن سعيد
بن كعب المروزي عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن بن مسعود قال الغنا نبت النفا
ق في القلب كما ينبت الما الزرع والذكر ينبت الايمان في القلب كما ينبت الما الزرع
وقال شعبة حدثنا الحكم عن حماد عن ابراهيم بن مسعود قال قال عبد الله بن مسعود الغنا نبت
النفاق في القلب هو صحيح عن ابن مسعود من قوله وقد روي عن ابن مسعود مرفوعا
رواه ابن ابي الدنيا في كتاب ذم الملاهي اخبرنا عصمة بن الفضل ساحري بن عمار
رواه شمس بن مسكين بن مسكين عن ابي وايل عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الغنا نبت النفاق في القلب كما ينبت الما البقل وقد تابع حرمي بن عمار
على هذا الاسناد والتمس مسلم بن ابراهيم قال ابو الحسين بن الماندي في كتاب الحكم
الملاهي ثنا محمد بن علي بن عبد الله بن حمدان المعروف بحمدان الوراق ثنا مسلم بن ابراهيم
ثنا سلام بن مسكين فذكر الحديث فمداره على هذا الشيخ المجهول وفي رفعه نظر

والموقوف اصح فان قيل فما وجه اتيته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي
 قيل هذا من ادراكه على فقه الصحابة في احوال القلوب واعمالها ومعرفتهم
 بادويتها وادواياها وانهم هم اطباء القلوب دون المخربين عن طريقهم الذين داودوا
 امراض القلوب باعظم ادواياها فكانوا كالمداوي من السم السقم بالسم القاتل وهكذا
 فعلوا بكثير من الادوية التي ركبوها اذ باكثرها فانفقوا قلة الاطباء وكثرة المر
 ضي وحدوث امراض مزمنة لم تكن في السلف والعدول عن الدوا النافع الذي ركب الشائع
 وميل المريض الى ما يقوي مادة المرض فاشد البلاء وتفاقم الامر وانتقلت الدور والطرق
 والاسواق من المرضي وقام كل جهول يطبل الكنا من فاعلم ان للغنا خواصا لها تاثير في
 صبح القلب بالنفاق وبنائه فيه كنبات الزرع بالماء فمن خواصه انه يلبي القلب بصد
 عن فهم القرآن وتدبره والعمل بما فيه فان القرآن والغنا لا يجتمعان في القلب بل هما
 بينهما من التضاد فان القرآن ينهي عن اتباع الهوى ويامر بالعفة ومحاربة شهوات
 النفوس واسباغ النفي وينهي عن اتباع خطوات الشيطان والغنا يامر بضد ذلك
 كله ويحسنه ويميل النفس الى شهوات التي فيشرب كامن بها وينزع قاطناتها ويحركها
 الى كسبها ويشوقها الى وصل كل مليحة ومليح فهو بالخمر رضيعا لبان وفي
 شهيبيها على القبايح فرسارها فانها صنفا للخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدشه
 وصدقيه عقد الشيطان بينهما عقد الاخوان الذي لا يفسخ واحكم بينهما شرعية الوفا
 التي لا تنسخ وهو جاسوس القلوب سارق المروة وسور العقل يتغلغل في مكان
 القلوب ويطلع على سراير الافئدة ويدب الى محل التحصيل فينير ما فيه من الهوى والشهوة
 والسخافة والرقاعة والرعون والحماقة فيبين ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبها العقل
 وبهجة الايمان ووقار الاسلام وحلاوة القرآن فاذا استمع الغنا دعاه الى نقص
 عقله وحياؤه وذهبت مروته وفارق بهاءه وعلاغمه وقاره وفرج به شيطانه
 وشكا الى الله ايمانه وثقل عليه قرانه وقال يارب لا تجمع بيني وبين قران عدوك
 في صدر واحد فاستحسن ما كان قبل السماع يستفحه وابدان من سره ما كان
 يكرهه والشغل من الوقار والسكينة الى كثرة الكلام والكذب والرهرة والفرقة
 بالاصابع فيميل براسه ويمر منكبته ويضرب الارض برجليه ويدق على ام راسه

والله اعلم

بيديه ويثب وثبات الدياب ويدور دوران الحمار حول الدواب ويصفق بيديه
 تصفيق النسوان ويخمد من الوجد كخدران الشيران وتارة يتأوه وتأوه الحزين و
 تارة يزعم زعمات المجانين ولقد صدق الخبير به من اهله حيث يقول

انذكر ليلة وقد اجتمعنا على طيب السماع الى الصباح
 ودار سيننا كاس الاغاني فاسكرت النفوس بغير راح
 فلم نر فيهم الا نشياوي سرورا والسرو هناك صاح
 اذا نادى اخو اللذائنه اجاب الله هوحي على السماع
 ولم نذكر سوى المباحات ارقناها لا لحاظ ملاج

وقال بعض العارفين السماع يورث النفاق في قوم والعناد في قوم والتكذيب في قوم
 والفجور في قوم والرعون في قوم واكثر ما يورث عشق الصور واستحسان الفواض
 وادمانه ينقل القرآن على القلب ويكرهه الى سماعه بالخاصه وان لم يكن هذا نفاقا
 فما للنفاق حقيقة وسر المسألة انه قران الشيطان كما سياتي فلا يجتمع هو وقران
 الرحمن في قلب ابداء واليض فان اساس النفاق ان يخالف الظاهر الباطن وصاحب
 الغنا بين امرين اما ان يتمسك فيكون فاجرا او يظهر النسيك فيكون منافقا فانه
 يظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ومحبة ما يكرهه الله و
 رسوله من اصوات المعازف والآلات للهو وما يدعو اليه الغنا ويميل به فقلبه يذ
 لك معور وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكرهه ما يكرهه الله وهذا محض النفاق
 وايضا فان الايمان قول وعمل قول الحق وعمل بالطاعة وهذا ينبت على الذكر وتلا
 وة القرآن والنفاق قول الباطل وعمل النفي وهذا ينبت على الغنا وايضا فمن علامات
 النفاق قلن ذكر الله والكسل عند القيام الى الصلاة ونقر الصلاة وقول ان تجد
 مفتونا بالغنا الا وهذا وصفه وايضا فان الغنا مفسس على الكذب والغنا من
 اكذب الشعار فانه يحسن القبيح ويزينه ويامر به ويقبح الحسن ويهد فيه و
 ذلك عين النفاق وايضا فان النفاق غش ومكر وخداع والغنا مفسس على ذلك
 وايضا فان المنافق يفسد من حيث يظن انه يصالح كما اخبر الله سبحانه بذلك
 عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث يظن انه يصلحه ومن
 المغني يدعو القلوب الى فتنة الشهوات والمنافق يدعوها الى فتنة الشبهات قال النفا

الغنا مفسدة للقلب مسخطة للرب وكتب عن ابن العزير رحمه الله الى مودب ولد
 ليكن اول ما يحفظه من ادبك بغض الملاهي التي بدوها من الشيطان وعاقبتها
 سخط الرحمن فانه بلغني عن الثقات من اهل العلم ان صوت المعازف واستماع
 الاغاني واللمح بما ينبت النفاق في القلب كما ينبت الحشيش على الماء فالغنا يفسد القلب
 فاذا فسد القلب هاج فيه النفاق وبالجمل فاذ انما البصير حال اهل الغنا
 وحال اهل الذكر والقران تبين له حذق الصحابة ومعرفة فادوا القلوب و
 ادويناها وبالله التوفيق **فصل** واما تسميته قران الشيطان فثانور عن ابي
 بصير وقد روي فيه حديث مرفوع قال قتادة لما اهدى ابليس قال يا رب لعنتني فما
 عملي قال السحر قال فما قراني قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال فما طعامي قال كرمينة
 وعالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابي قال كل مسكر قال فابن مسكني قال الاسواق قال
 فما صوتي قال المزاجير قال فما مصايدك قال النساء هذا هو المعروف في هذا وقفه
 ورواه الطبراني في معجمه من حديث ابي امامة مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن ابي الد
 نيا في كتاب مسكيد الشيطان وحيله شا ابو بكر التميمي سا بن ابي مزيم شا يحيى بن ايوب
 قال حدثني ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال ان ابليس لما انزل الى الارض قال يا رب انزلني الى الارض وجعلتني رجما فاجعل
 لي بيتا قال الهام قال فاجعل لي مجلسا قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما
 ما قال كلما لم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤنا قال
 المزمار قال فاجعل لي قرانا قال الشعر قال فاجعل لي كتابا قال الوشم قال فاجعل لي حذ
 قال الكذب قال فاجعل لي رسلا قال الكهنة قال فاجعل لي مصايد قال النساء وشواهد
 هذا الاثر كثيرة فكل جملة منه لها شاهد في السنة او من القران فكون السحر من
 عمل الشيطان شاهد قوله تعالى واتبعوا ما تملوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر
 سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر واما كون الشعر قرانه
 فشا هذه ما رواه ابو داود في سننه من حديث جابر بن مطعم انه راي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يصلي فقال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله
 كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله
 من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمة قال نفث الشعر ونفخه الكبر وهو الهمة

بلغ

ولما علم الله رسوله بالقران وهو كلامه صانه عن تعليم قران الشيطان واحبب الله
 لا ينبغي له فقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واما كون الوشم كتابه فانه من عمله و
 تزيينه ولهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة فلعن الكاتب و
 المكتوب عليهما واما كون الميتة ومترك التسمية طعامه فان الشيطان يستحل
 الطعام اذا لم يذكر عليه اسم الله ويشترك آكله والميتة لا يذكر عليها اسم الله في كل
 طعام لا يذكر عليه اسم الله من طعامه ولهذا لما سأل الحسن الذين امنوا برسول الله
 صلى الله عليه وسلم الزاد قال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه فلم يحل لهم طعام الشياطين
 وهو مترك التسمية واما كون المسكر شرابه فقال شا يا ايها الذين امنوا انما الخمر
 والميسر والانصا والازلام رجس من عمل الشيطان فهو يشرب من الشراب الذي عمله
 اولياؤه بامرهم وشاركهم في عمله فيشاركونهم في عمله وشربه وانهم وعقوبته واما كون
 الاسواق مجلسه في الحديث الاخر انه يركز رايته بالسوق ولهذا يحضره اللغور
 اللغظ والصخب في الجبانة والغش وكثير من عمله وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم في
 الكتب المتقدمة انه يصحب بابا الاسواق واما كون الحمام بيته فشاهد كونه غير
 محل للصلاة وفي حديث ابي سعيد الارض كل ما سجد الا المقبرة والحمام ولانه محل
 كشف العورات وهو بيت موسس على النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها
 واما كون المزمار مودنه ففي غاية المناسبة فان الغنا قرانه والرقص والتصفيق
 الذين هما المكا والتصدية صلواته فلا بد لهذه الصلاة من مؤذن وامام وما هو
 فالمؤذن المزمار والامام الغني والماعون المحاضرون واما كون الكذب حديثه فهو
 الكاذب الامر بالكذب المزمن له فكل كذب يقع في العالم فهو من تعليمه وحديثه واما
 كون الكهنة رسلا فلان المشركين يرفعون اليهم ويفزعون اليهم في امورهم العظما
 ويصدقونهم ويتحاكمون اليهم ويرضون بحكمهم كما يفعل اتباع الرسل بالرسل فانهم
 يعتقدون انهم يعلمون الغيب ويخبرون عن الغيبات التي لا يعرفها غيرهم فهم
 عند المشركين بهم بمنزلة الرسل فالكهنة رسل الشيطان حقيقة رسلهم الى حزبهم
 من المشركين وشبههم بالرسل الصادقين حتى استجاب لهم حزبه ومثل رسل الله
 بهم لينفر عنهم ويجعلهم رسلهم هم الصادقين العالمين بالغيب ولما كان بين المؤمنين

اعظم التضاد قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اتى كاهنا فصدقه بما يقول
فقد كفر عما انزل على محمد فان الناس قسمان اتباع الكهنة واتباع رسول الله
فلا يجتمع في العبدان يكون من هؤلاء وهو لا يبرئ بعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله
بقدر قربته من الكاهن ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن وقوله اجعل لي
مصابيد قال مصابيد النساء فالنساء اعظم شبكة له يصطاد بها الرجال كما سيب
في ان شاء الله تعالى في الفصل الذي بعد هذا المقصود ان الغنا المحمدي قران الشيطان
ولما اراد عز وجل ان يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يزينه من الالمان المطربة
والاذن الملاهي والمعارف وان يكون من امراء جميلة او صبي جميل ليكون ذلك
ادعى الى قبول النفوس لقرانه وتعوينها به عن القران المجيد **فصل** واما
تسميته بالصوت الاحمق والصوت الفاجر في تسمية الصادق المصدوق الذي لا ينطق
عن الهوى فروى الترمذي في حديث ابن ابي ليلى عن عطاء عن جابر قال خرج النبي
صلى الله عليه وآله مع عبد الرحمن بن عوف الى النخيل فاذا ابنه ابراهيم يجود بنفسه فوضعه
في محو ففاضت عيناه فقال عبد الرحمن ابكي وانتي تنهي الناس قال اني لم انه عن
البكا وانما غميت عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند نعمة والهوى ولعب ومزا
بشر شيطان وصوت عند مصيبة خش وجوه وشق جيوب وورثة وهذا هو وجه
ومن لا يرحم لا يرحم لولا الله امر حق ووعد صدق وان اخبرنا سيلحق اولنا لحزننا
عليك حزننا هو اشتد من هذا وانا المحزونون تبكي العين ويحزن القلب لا نقول
ما يستخط الرب قال الترمذي هذا حديث حسن فانظر الى هذا النهي الموكد
بشبهة صوت الغنا صوتنا احمق ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ولم يقتصر
على ذلك حتى سماه من مزمار الشيطان وقد اقر النبي صلى الله عليه وآله ابا بكر الصديق
على تسميته الغنا بمزمار الشيطان في الحديث الصحيح كما سيباني فان لم يستفد
الشمع من هذا لم تستفد من نهي ابدا وقد اختلف في قوله لا تفعل وقوله غميت
عن كذا ايها المبلغ والصواب بلاليزيان صيغة نهي بلخ في التحريم لان
لا تفعل يحتمل النهي وغيره بخلاف الفعل الصريح فكيف يستجيز العارف بالباحة
ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسماه صوتنا احمق فاجر ومزمار الشيطان
وجعله النباحة التي لعن فاعلموا اخوين واخرج النهي عنهما مخرجا واحدا

ووصفها بالحق والفجور وصفوا واحدا وقال الحسن صوتان ملعونان من
ما عند نعمة وورثة عند مصيبة وقال ابو بكر الهذلي قلت للحسن اكان نساء الملها
جرب يصنعن ما يصنع النساء اليوم قال لا ولكن هاهنا خش وجوه وشق
جيوب ونفاس شعار ولطم خدود ومزمار الشيطان صوتان قبيحان فاحشان
عند نعمة ان حدثت وعند مصيبة ان نزلت ذكر الله المؤمنين فقال وفي اموا
لهم حق معلوم للسائل والمحروم وجعلتم انتم في احوالكم حقا معلوما للمغنية عند
النعمة والنايحة عند المصيبة **فصل** واما تسميته صوت الشيطان فقد
قال تعالى للشيطان وحزبه اذ هيتم تبعك منهم فان جهنم جزاءكم جزاء مؤفورا
واستغفر من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركنهم
في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غورا قال ابن ابي حاتم في
تفسيره حدثنا ابي قال اخبرنا ابو صالح كاتب الليث ثنا معاوية بن صالح عن
علي بن ابي طلحة عن ابن عباس واستغفر من استطعت منهم بصوتك كل داء الى
معصية ومنه المعلوم ان الغنا من اعظم الدواعي الى المعصية ولهذا فسر صوت
الشيطان به قال ابن ابي حاتم ثنا ابي اخبرنا يحيى بن المغيرة اخبرنا جابر عن
ليث عن مجاهد واستغفر من استطعت منهم بصوتك قال استغفر منهم من
استطعت قال وصوته الغنا والباطل وبهذا الاسناد الى جابر عن منصور
عن مجاهد قال صوت المزامير ثم روى باسناده عن الحسن البصري قال صوته
هو الدف وهذه الاضافة اضافة تخصيص كما ان اضافة الخيل والرجل اليه كذلك
فكل متكلم بغير طاعة الله وصوت بيراع او مزمار او دف حرام او طبل فذلك صوت
الشيطان وكل سماع في معصية الله على قديمه فهو من رجله وكل راكب في معصية
الله فهو من خيله كذلك قال السلف كما ذكر ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال رجلاه
كل رجل مشتب في معصية الله وقال مجاهد كل رجل يقابل في غير طاعة الله فهو
من رجله وقال قتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس **فصل** واما
تسميته بمزمار الشيطان ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل
علي النبي صلى الله عليه وآله وعندي جاريتان يغنيان بغنا بغاث فاضطج علي الفرا
ش وحول وجهه ودخل ابو بكر فانهمري وقال مزمار الشيطان عند النبي صلى الله عليه وآله

فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعها فلي غفل غفرتما فخرجنا فلم
ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر تسميته الغنا من مار الشيطان وأقرها
لأنها جارية بانيان غير مكلفين يغنيان بغنا العرب الذي قيل في يوم حرب بقات
من الشجاعة والحرب وكان اليوم يوم عيد فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى
صوت امرأة جميلة أجنبية أو صبي امرء صورت فتنه وصورة فتنه يغني بها يدعوا إلى
الزنا والفجور وشراب الخمر من آلات اللهو التي حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عدة أحاديث كما سيأتي مع التصفيق والرقص وتلك الهيات المنكرة التي لا
يستعملها أحد من أهل الأوثان فضلا عن أهل العلم واليمان ويحتجون بغنا
جويريين غير مكلفين بنسب الأعراب في الشجاعة ونحوها في يوم عيد
بغير شبابة ولا دف ولا رقص ولا تصفيق ويدعون المحكم الصريح لمثل
المتشابه وهذا شأن كل مبطل نعم لا تخن لا تخم ولا تكرر مثل ما كان في
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الوجه وإنما نحن نحن وسائر أهل
العلم واليمان السامع المخالف لذلك وبالله التوفيق **فصل** وأما تسميته
بالسمود فقد قال بعض الثقات من هذا الحديث نجحون وتضجكون ولا تبكون وأنتم
سامدون قال عكرمة عن ابن عباس السمود الغنا في لغة حمير يقال اسمدي لنا
أي غني لنا قال أبو زيد وكان العريف فيها غنا للذام من غنار سمود
قال أبو عبيد السمود الذي غني له وقال عكرمة كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا فترك
هذه الآية وهذا لا ينافي ما قيل في هذه الآية من أن السمود الغفلة والسهو عن
الشيء قال المبرد هو الاشتغال عن الشيء لهم أو فرج يتشاغل به والشد
رمي الحدثان سنة آل حرب بمقدار سمود له سمودا
وقال ابن الأثير السامد اللاهي والسامد الخافل والسامد الساهي والسماد
المتكبر والسامد القام وقال ابن عباس في الآية وأنتم مستكبرون وقال الضحاك
أشرون بطرون وقال مجاهد غضبان مبرطون وقال غيره لا هون غافلون
معروضون فالغنا جمع هذا كله ويوجب في هذه أربعة عشر أسما سمود اسم الغنا
فصل في بيان تحريم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصنم والآلات المعبودة
والمعازف وسياق الأحاديث في ذلك عن عبد الرحمن بن غنم قال حدثني أبو عامر وأبو مالك الأشعري

سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليكن من في امتي قوم يستحلون الخمر والخمر والمعا
زف هذا حديث صحيح أخرجه البخاري في صحيحه محتجابه وعلقه تعليقا مجزوا
ما به فقال باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه وقال هشام بن عمار ثنا
صدقه بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثنا عطية بن زيد الكلابي ثنا عبد الرحمن
بن غنم الأشعري حدثني أبو عامر وأبو مالك الأشعري والله ما كذبني سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليكن من امتي أقوام يستحلون الخمر والخمر والمعا
والمعازف وليزبن أقوام إلى جنب علي يروج عليهم بساحة لهم تأتهم الحاجة فينقو
لون أرجع اليها غدا فيميتهم الله ويضع العلم ويمسح آخرون قرده وخنازير إلى
يوم القيمة ولم يصنع من قد في صحة هذا الحديث كابن حزم بضيق لمذهبه شيئا
الباطل في أباحه الملاحية وزعم أنه منقطع لأن البخاري لم يصل سنده به وجواب
هذا الوجه من وجوه أحدها أن البخاري قد روى هشام بن عمار وسمع منه فاذا قال
قال هشام فهو عترة قوله عن هشام الثاني أنه لو لم يسمعه منه فهو لم يستجر الجزأ
به عنه الأول قد صرح أنه حديثه وهذا كثيرا ما يكون لكثرة ما رواه عن ذلك الشيخ
وشهرته فالبخاري بعد خلق الله من التذليل الثالث أنه إذا خلى في كتابه التسمي
بالصحيح محتجابه فلو لا صحته عنده لما فعل ذلك الرابع أنه علقه بصيغة الجزم
دون صيغة التبريض فانه إذا كان توقف في الحديث أو لم يكن على شرطه يقول
ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر عنه ونحو ذلك فاذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقد جزم وقطع باضا فنه إليه الخامس أن الواضحة عن هذا كله صفحا فالحديث صحيح
متصل عند غيره قال أبو داود في كتاب اللباس ثنا عبد الوهاب بن محمد ثنا بشر بن بكر عن
عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثنا عطية بن قيس قال سمعت عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال
ثنا أبو عامر وأبو مالك فذكره مختصرا ورواه أبو بكر الأسدي في كتابه الصحيح سندنا
فقال أبو عامر ولم يشك وجه الدلالة منه أن المعازف هي آلات اللهو كلها لا خلافة بين
أهل اللغة في ذلك ولو كانت حلالا لما ذمهم على استحلالها ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر
استحلال الخمر والحرفان كان بالحاء والراء المثلين فهو استحلال الفروج الحرام و
أن كان بالحاء والزاء المجهلين فهو نوع من المحرم غير الذي صح عن الصحابة ليس به
إذا لم ينوعان أحدهما من حرير والثاني من صوف وقد روى هذا الحديث بالوجهين وقال ابن ماجه

في سننه ثنا عبد بن سعيد ثنا حسن بن عيسى عن معاوية بن صالح عن حاتم
بن حريث عن ابي مريم عن عبد الرحمن بن غنم الاشعري عن ابي مالك الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ليس بيني وبينكم من اوتي الخمر يسمى بها غير اسمها يعرف على رؤسهم بالمعا
زف والمغنيا يخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير وهذا السناد صحيح
وقد تواعد مستحل المعازف فيه بان يخسف الله بهم الارض ويجعل منهم قردة وخنازير
وان كان الوعد على جميع هذه الافعال فلكل واحد قسط في الذم والوعيد وفي الباب
عن سهل بن سعد الساعدي وعمران بن حصين وعبد الله بن عمر وعبد بن عباس وابي هريرة
وابي امامة الباهلي وعائشة ام المؤمنين وعلي بن ابي طالب والنس بن مالك وعبد الرحمن بن
بن سابط والغازي بن ربيعة ونحن نسوقها لتفردنا عيون اهل القرآن وتشجج بها
خلق اهل سماع الشيطان فاما حديث سهل بن سعد فقال ابن ابي الدنيا اخبرنا ابي
بن خارجة ثنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابي حازم عن سهل بن سعد الساعدي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون في امة خسف وقذف ومسح قيل يا رسول الله
قال اذا ظهرت المعازف والقيانات واستحلت الخمر واحديث عمران بن حصين فرواه الترمذي
من حديث الاغش عن هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكون في امة قذف وخسف فقال رجل من المسلمين متى ذاك يا رسول الله قال اذا ظهرت
القيانات والمعازف وشربت الخمر قال الترمذي هذا حديث غريب واما حديث عبد
بن عمر فرواه احمد في مسنده وابو داود عنه النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر و
الميسر والكوبة والتغبير وكل مسكر حرام وفي لفظ اخر لا حرام الله حرم على امة
الخمر والميسر والمزرة والكوبة والتغبير واحديث ابن عباس في المسند ايضا
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر والميسر والكوبة وكل مسكر
حرام والكوبة الطبل قاله سفبان وقيل البربط والقبين هو الطنبو والحشيش
والثقبين هو الضرب به قاله ابن الاعرابي واما حديث ابي هريرة فرواه الترمذي عن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ النبي دولة والامانة مغنما والزكاة مغنما
وتعلم العلم لغير الدين واطاع الرجل امراته وعوامه وادنى صديقه وادنى قصي بابه
وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقم وكان نزيم القوم اذلهم

93
واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القيانات والمعازف وشربت الخمر ولعن اخر هذه
الامة اولها فليدبر قلوبا عند ذلك حراما وزلزلة وخسفا وسخا وقذا واما نتائج
كنظام بال قطع سلكه فتتابع قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال ابن ابي
الدينا ثنا عبد بن عمر الجشني سليمان بن سالم ابو داود ثنا حسان بن ابي سنان
عن رجل عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسخ قوم من هذه الامة في اخر الز
مان قردة وخنازير قالوا يا رسول الله اليس يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رس
ل الله قال بلى ويصومون ويصلون ويحجون قبل فبالله قال اتخذوا المعازف والدفوف
والقيانات فتتابع على شربهم ولهم فاصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير واما
حديث ابي امامة الباهلي فهو في مسند احمد والترمذي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تبث طائفة من امة على اكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبحون قردة وخنازير ويبعث
على احياء من احيائهم ربح فتفسدهم كما نسفت من كان قبلكم باستحلالهم الخمر و
ضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات في رجاله فرقد الساجي وهو من كبار الصالحين
ولكن ليس بقوي في الحديث وقال الترمذي لكم فيه يحيى بن سعيد وقدره عن الناس و
قال ابن ابي الدينا ثنا عبد بن عمر الجشني جعفر بن سليمان ثنا فرواد الساجي ثنا
قتاده عن سعيد بن المسيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحديثي عاصم بن عمر البجلي عن
ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بيت قوم من هذه الامة على طعم وشرب ولهو
فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير وليصيبهم خسف وقذف حتى يصبح الناس
فيقولون خسف الليلة بلار فلان خسف الليلة بياني فلان ولا يرسلن عليهم حجارة
من السماء كما ارسلت على قوم لوط على قبايل فيها وعلى دور فيها ولا يرسلن عليهم الرج العقيم
التي اهلك عاد ابشرهم الخمر واكلمهم الربا واتخاذهم القينات وقطيعتهم الرحم وفي
مسند احمد في حديث عبد بن زهر عن علي بن زيد عن القاسم عن ابي امامة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله بعثني رحمة وهذا للعالمين وامرني ان اصحى المزمار والكنايات يعني
البرابط والمعازف والاوتان التي كانت تعبد في الجاهلية قال البخاري عبد بن جعفر
وعلي بن يزيد ضعيف والقاسم بن عبد الرحمن ابو عبد الرحمن ثقة وفي الترمذي ومسند
احمد بهذا الاسناد بعينه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تبعوا القينات ولا تشربوهن ولا

تعلوهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت هذه الآية ومن
الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله واحاديث عائشة فقال ابن ابي
الدنيا ثنا الحسن بن محبوب ثنا ابو النضر هاشم بن القاسم ثنا ابو معشر عن محمد بن
المنكدر عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون في امة خسف
ومسخ وقذف فالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله وهم يقولون لا اله الا الله فقال
اذا ظهرت القيان وظهر الربا وشرب الخمر ولبس الحرير كان ذاعنذا وقال ابن ابي الدنيا
ايضضا محمد بن ناصح ثنا بقية بن الوليد عن يزيد بن جندب الجهمي حدثني ابو العلى
عن النضر بن مائل انه دخل على عائشة ورجل معه فقال لها الرجل يا ام المؤمنين
حدثنا عن الزلزلة فقالت اذا استباحوا الزنا وشربوا الخمر وضربوا بالمعازف غار الله
في سمائهم فقال تزلزل في فانابوا ونزعوا االا هدمتها عليهم قالت يا ام المؤمنين
اعذب لهم قالت بل موغظة ورحمة وبركة للمؤمنين وتكال وعذاب ومسخط على
الكافرين قال انس ما سمعت حديثا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اشده فرحاني
بهذا الحديث واما حديث علي فقال ابن ابي الدنيا ايضضا الربيع بن ثعلب ثنا فرج
بن فضالة عن يحيى بن سعيد عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا عملت امة خمسة عشرة خصلة حل بها البلاء قيل يا رسول الله وما هن قال اذا كان الفيل دولا
والامانة مغنما والزكاة مغريا واطاع الرجل زوجته وعوامه وبر صدقة وحفي اباه
وارتفعت الاصوات في المساجد وكان زعيم القوم اذ لهم واكرم الرجل مخافه شره
وشرب الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان ولعن اخر هذه الامة او كما قيل
عند ذلك رجلا عمرا وخسفا وسخاسا عبد الجبار بن عاصم ما ابو طالب اسمعيل
بن عياش عن عبد الرحمن بن ابي عبيد عن عباد بن ابي عبيد عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
تمسخ طائفة من امة قردة وطائفة خنازير ويخسف بطائفة ويرسل على طائفة الزرع
العقيم بانهم شربوا الخمر واللبسوا الحرير واتخذوا القيان وضربوا بالدفوف واما
حديث انس فقال ابن ابي الدنيا ما ابو عمرو وهرون بن عمرو القرشي ما الحبيب بن كثير
عن ابي بكر الهذلي عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون في هذه الامة خسف
وقذف ومسح وذلك من الخمر اذا شربوا الخمر واتخذوا القيان وضربوا بالمعازف قال

واخبرنا

واخبرنا ابو اسحق الازدى ما اسمعيل بن ابي اويس حدثني عبد الرحمن بن زيد بن ابي
عن احمد بن ابي ابي عن مالك وعنه غيره عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عقروا لي بيتين رجال على اكل وشرب وعزف فيصيحون على ارايكهم ممسوخين قرة و
خنازير واما حديث عبد الرحمن بن سابط فقال ابن ابي الدنيا ثنا اسحق بن اسمعيل
ثنا جابر عن ابيان بن ثعلب عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكون في امة خسف وقذف ومسح قالوا فتو ذا ك يا رسول الله قال اذا اظهرت المعازف
زف واستحلوا الخمر واما حديث الغار بن ربيعة فقال ابن ابي الدنيا ثنا عبد الجبار
بن عاصم ما اسمعيل بن عياش عن عبيد بن عبيد عن ابي العباس الهادي عن عمارة بن
راشد عن الغار بن ربيعة رفع الحديث قال لمسخن قوم وهم على ارايكهم قردة
وخنازير لشربهم الخمر وضربهم بالبرابط والقيان قال ابن ابي الدنيا وساعد الجبار
بن عاصم قال حدثني المغيرة بن المغيرة عن صالح بن خالد رفع ذكره الى النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليستحلن ناس من امة الحرير والخمر والمعازف وليا تين الله على اهل حاضرتهم
بجمل عظيم حتى ينبت عليهم ويمسح اخرون قردة وخنازير قال ابن ابي الدنيا انا
هرون بن عبيد ما يزيد بن هرون انا اشريس ابو شيبان الهذلي قال قلت لفرقد
السبخي اخبرني يا ابا يعقوب عن تلك الغراب التي قرأت في النوراة فقال يا ابا شيبان
والله ما اكدب علي ربي مرتين او ثلاثا قرأت في النوراة ليكون مسح وقذف ومسح
في امة محمد صلى الله عليه وسلم في اهل القبلة قال قلت يا ابا يعقوب ما اعلمهم قال يا اخاهم
القيان وضربهم بالدفوف ولباسهم الحرير والذهب وليا تين بقيت حتى ترى اعمالا ثلاثة
فاستيقن واستعد واحذر قال قلت ما هي قال اذا نكح الرجل بالرجال والنساء بالنساء
ورغب العرب في اينة العجم فعند ذلك قلت له العرب خاصة قال لا بل اهل القبلة ثم قال
والله ليقذفن رجال من السما سججارة يشدون بها في طريقهم وقبائلهم كما فعل قوم
لوط ولمسخن اخرون قردة وخنازير كما فعل بني اسرائيل ولمسخن بقوم كما
خسف بقارون وقد تظاهرت الاخبار بوقوع المسح في هذه الامة وهو مقيد
في اكثر الاحاديث باصحاب الخنا وشرب الخمر وفي بعضها مطلق قال سالم بن ابي الجعد
ليأتين على الناس دخان يجتمعون فيه على باب رجل ينظرون ان يخرج اليهم فيطلبوا

اليه حاجتهم فيخرج اليهم وقد مسح قدرا او خنزيرا وليمن الرجل على الرجل في حا
نفته يبيع فيرجع اليه وقد مسح قدرا او خنزيرا وقال ابو هريرة لا تقوم الساعة حتى
يمشي الرجلان الى امر يجلان فيمسح احدهما قدرا او خنزيرا فلا يمنع الذي يجانها
ما راى بصاحبه ان يمضي الى شأنه ذلك حتى يقضي شهوته وحتى يمضي الرجلان الى
الامر يجلان فيمسح باحدهما فلا يمنع الذي يجانها ما راى بصاحبه ان
يمضي لشأنه ذلك حتى يقضي شهوته وقال عبد الرحمن بن غنم سيكون حبان متجا
ورين فينشق بينهما نمر فيستقيان منه قسما واحدا يقبض بعضهم من بعض فيصيحان
يوما من الايام قد خسف باحدهما والاخر حي وقال عبد الرحمن بن غنم ايضا يوشك
ان يكون يتعدا ثمان على رجا يطحنان فيمسح احدهما والاخر ينظر وقال مالك بن
دينا ريلخي ان رجلا تكون في اخر الزمان وظلم فيفزع الناس الى علمهم فيجدونهم
قد مسحوا قال بعض اهل العلم اذا انصف القلب بالكر والخذعية والفسق وانصبغ
بذلك صبغة تامة صار صاحبه على خلق الحيوان الموصوف بذلك من القردة والخنا
زير وغيرهما ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفات وجهه بدو خفا
ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهرا على الوجه ثم يقوى حتى يقبل الصورة الظاهرة
كما قلب الهيئة الباطنة ومن لم فراسة تامة ترك على صورة الناس مستخفا من صور الحيوا
نات التي تتلقوا باخلا في الباطن فقل ان ترى تحت الاضداد عاكرا جارا والا
وعلى وجهه مسخرة قد وقل ان ترى رافضيا الاو على وجهه مسخرة خنزير وقل ان ترى
شبهها نهما نفسه نفس كلبية الاو على وجهه مسخرة كلب فالظاهر مرتبط بالباطن
اتم ارتباطا فاذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظا
هرة ولهذا خوف النبي صلى الله عليه وسلم من سابق الامام في الصلاة بان يجعل الله صورته
صورة حمار لمشايمته للحمار في الباطن فانه لم يستفد بمسابقة الامام الافساد
صلاته وبطلان اجره فانه لا يسلم قبله فهو يشبه الحمار في البلادة وعدم اليقظة
اذ اعرف هذا فاحق الناس المسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الاحاديث فهم اسرع
الناس مسخا قردة وخنازير لما في الباطن وعقوبات الرب نعوذ بالله منها
جارية على وفق حكمته وعدله وقد ذكرنا الله شبه الغيبة والمفتونين بالسماغ

فمن
تأمل

الشيطان

الشيطان ونقضناها نقضا وابطلنا في كتابنا الكبير في السماع وذكرنا الفرق
بين ما يحرك سماع الايات وما يحرك سماع الايات وذكرنا الشبهة التي و
خلت على كثير من الصادق في حضوره حتى عدوه من القرب فمن احب الوقوف على
ذلك فهو مستوف في ذلك الكتاب وانما اشترناها هنا الى نسخة يسيرة وكوثر من مكاييد
الشیطان وبالله التوفيق **فصل** ومن مكاييد التي بلغ فيها مراده
مكية التحليل التي لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه وشبهه بالنيس المستعار
وعظم بسببه العار والشارع غير المسلمين به الكفار وحصل بسببه من الفساد ما
لا يحصىه الارب العباد واستكرت له النيس المستعارات وضائق به ذرعا النقير
الايات ونفرت منه اشد من نفارها من السفاح وقالت لو كان هذا نكاحا صحيا
لم يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتى بما شرعه من النكاح فالنكاح منتهى دواعي
السنة مقرب غير ملعون والمحلل من وثوق اللعنة عليه بالنيس المستعار مقرر
فقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنيس المستعار وسماه السلف بمسما النار فلو
شاهدت الحرائر المصونات على حوائث المحالين متبذلات تنظر المرأة الى النيس
نظر الشاة الى شفرة الجازر وتقول يا ليتني قبل هذا من اهل المقابر حتى اذا نشأ طأ
على ما يجلب للعنة والمقت نهض واستقبلها خلفه للوقت بلا زفاف ولا اعلان
بل بالتخي والكتمان فلا جهاز ينقل ولا فراش الى بيت الزوج يحول ولا صواحب يهد
نمها اليه ولا مصححات يجلبنها عليه ولا مهر مقبوض ولا موخر ولا نفقة وكسوة
تقد ولا وليمة ولا نثار ولا دف ولا اعلان ولا اشعار والزواج يبطل المهر وهذا
النيس يطالب بالاجر حتى اذا خلا بها وارحها الحجاب والمطلق والولي واقفان
على الباب دنا ليظهرها بما به النجس الحرام ويطيها بلعنة الله ورسوله عليه الصلا
والسلام حتى اذا قضيا عرس التحليل ولم تحصل بينهما المودة والرحمة التي ذكر
ها الله في التنزيل فانما لا تحصل باللعن الصريح ولا يوجبها الا النكاح الجا
يز الصحاح فان كان قد قبض اجره من سلفا ونجلا ولا حبسها حتى
تعطيه اجره طويلا فمهل سمعت بزواج لا ياخذ بالساق حتى ياخذ اجره بعد
بعد الشرط والافاق حتى اذا طهرها وطهرها وخلصها بزعمه من الحرام

٨٨٨٨

مكية التحليل
الملعون فاعلم

فمن هذا السج القابل
فقد ذكر من امام فاضل

وجنبها قال لها اعترفي بما جرت بيننا ليقع عليك الطلاق **فيحصل بعد ذلك** **التيام** والالتزام **فان** في المصنف **المصنف** الى حضرة الشهود فيسألونها هل كان ذاك فلا يمكنها **المصنف** فباخذون منها اومن المطلقا اجرا وقدر حقوقها من امرها عمرا وكثير من هؤلاء المستاجر من المضارب يحلل الام وابنتها في عقد من ربح مائة في اكثر من اربع وفي رحم اخنين واذا كان هذا شأنه وصفته فهو حقيق بما رواه عبد بن مسعود قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه الحاكم في الصحيح والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال والعمل عليه عند اهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد بن عمر رضي الله عنهم وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام احمد في مسنده والنسائي في سننه باسناد صحيح ولفظهما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواثمة والمستوشمة والواصلة والموصولة والمحلل والمحلل له واكل الربا وبوكله وفي مسند الامام احمد وسنن النسائي ايضا عن عبد الله بن مسعود قال اكل الربا وموكله وشاهدها وكاتبه اذا علموا به والواصلة والمستوصلة ولاوي الصدقة **المصنف** **المصنف** فيها والمرتد على عقبيه اعرايا بعد هجرته والمحلل والمحلل له ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيمة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له رواه احمد واهل السنن كلهم غير النسائي وعن ابي هريرة **المصنف** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له رواه الامام احمد باسناد رجاله كلهم ثقات وتهم ابن عيين وغيره وقال الترمذي في كتاب العلل سالت ابا عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري عن الحديث فقال هو حديث حسن وعبد بن جعفر الخزازي صدوق ثقة وعثمان بن محمد الاخشبي ثقة وقال ابو عبد الله بن ماجه في سننه ثنا محمد بن بشار ثنا ابو عامر عن زمعة بن صالح عن سلمة بن هرام عن عكرمة عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له وعن ابن عباس ايضا قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال لا الا نكاح رغبة لا نكاح دلسة ولا استمرازا بكتاب الله ثم يذوق العسيلة رواه ابو اسحق الجوزجاني في كتاب المترجم اخبرنا اسمعيل بن ابراهيم بن ابي حبيب عن داود بن حصين عن عكرمة عنه وهو لا تكلم ثقات لا ابراهيم فان كثير من الحفاظ يضعفونه والشافعي حسن الراي فيه ويصح

بحديثه وعن عتبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بالنسرا المستعار قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له رواه ابن ماجه باسناد رجاله كلهم موثقون لم يخرج واحد منهم وعن عمرو بن دينار وهو اعيان التابعين انه سئل عن رجل طلق امراته فجاء رجل من اهل القرية بغنم علمه ولا علمها فاخرج شيئا من ماله فترجها ليحلها له فقال لا ثم ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن مثل ذلك فقال لا حتى ينكح من نكح نفسه فاذا فعل ذلك لم يحلل له حتى يذوق العسيلة رواه ابو بكر بن ابي شيبة في المصنف باسناد جيد وهذا المرسل قد احتج به من ارسله فدل على ثبوته عنده وقد علم به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سياتي وهو موافق لبقية الاحاديث الموصولة ومثل هذا حجة بانفاق الائمة وهو الذي قبله نص في التحليل المنوي وكذلك حديث نافع عن ابن عمر ان رجلا قال له تزوجتها لاحلها لزوجها ولم ياء مرفي ولم يعلم قال لا الا نكاح رغبة ان اعجبتك اسكتها وان كرهتها فارقتها وانما كنا نعد هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفاحا ذكره شيخ الاسلام في ابطال التحليل **فصل** واما الآثار عن الصحابة ففي كتاب المصنف لابن ابي شيبة وسنن الاثرم والوسط لابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لا اوتي بحلل ولا محلل له الا ارجعتهما وللفظ عبد الرزاق وابن المنذر الا اوتي بما يحلل ولا محللة الا ارجعتهما وهو صحيح عن عمرو وقال عبد الرزاق عن عمرو الزهري عن عبد الملك بن المغيرة قال سئل ابن عمر عن تحليل المرأة لزوجها فقال ذاك السفاح ورواه ابن ابي شيبة وقال عبد الرزاق انا الثوري عن عبد الله بن شريك العامري قال سمعت ابن عمر سئل عن رجل طلق امراته ثم لم يره غيبا وندم فاراد ان يتزوجها رجل يحللها له فقال ابن عمر كلاهما زان وان مكث عشرين سنة او نحو ذلك اذا كان الله يعلم انه يريد ان يحللها له قال واخبرني معمر بن الثوري عن الاعشى عن مالك بن الحارث عن ابن عباس وساله رجل فقال ان عمي طلق امراته ثلاثا فقال ان عمك عصي الله فاندبه واطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا قال كيف ترى في رجل يحللها له قال من يخادع الله يخدعه وعن سليمان بن يسار قال رفع الى عثمان رضي الله عنه رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها ففرق بينهما وقال لا ترجع اليه الا ابتكا ح رغبة غيرا لسه رواه ابو اسحق الجوزجاني في كتاب المترجم وذكره ابن المنذر عنه في كتاب الاوسط وفي المذهب لا يبي اسحق الشيرازي عن ابي مرزوق التميمي ان رجلا

عن

أبي عثمان رضي الله عنه فقال إن جاري يطلق امرأته في غصبة ولقي شدة فاردت
أن احتسب نفسي ومالي فاتزوجها ثم أتيت بها ثم أطلقها فترجع إلى زوجها الأول فقال
له عثمان لا تنكحها إلا نكاح رغبة وذكر أبو بكر الطرطوشي في خلافته عن يزيد بن أبي
حبيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المحلل لا ترجع إليه إلا بنكاح رغبة غير
دلسه ولا ستمزا بكت الله وعن علي رضي الله عنه وهو ممن روى عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه لعن المحلل فقد جعل هذا من التحليل وروى ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عباس
قال لعن المحلل والمحلل له وهو ممن روى عن النبي صلى الله عليه وآله لعن المحلل وقد فسره
بما قصد به التحليل وإن لم تعلم به المرأة فكيف بما اتفقا عليه وتراضيا وتعاقدا على
أنه نكاح لعنة لا نكاح رغبة وذكر ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لعن
المحلل والمحلل له وروى الجوزجاني بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سئل
عن رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها فقال لعن الله المحلل والمحلل له قال شيخ الإسلام
وهذه الآثار عن عمرو عثمان وعلي وابن عباس وابن عمر عن أنما مخصوص فيما إذا
قصد التحليل ولم يظهروه ولم يتواطأ عليه فهي مبينة أن هذا هو التحليل وهو المحلل
الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله فإن أصحاح رسول الله صلى الله عليه وآله أعلم بمراده و
مقصوده لا سيما إذا رويوا حديثا فسروه بما يوافق الظاهر فهذا مع أنه لم يعلم أن أحدا
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يفرق بين تحليل وتحليل ولا يخص في شيء من أنواعه
مع أن المطلقة ثلاثا مثل امرأة رفاعة القرظي قد كانت تختلف إليه المدة الطويلة و
إلى خلفائه لتعود إلى زوجها فيمنعها من ذلك ولو كان التحليل جائزا لدلها على الله
عالم على ذلك فإنها لم تكن تعد من محللها لو كان التحليل جائزا قال الولد الدالة
على أن هذه الأحاديث النبوية قصد بها التحليل وإن لم يشرط في العقد كثيرة جدا
ليس هذا موضع ذكرها انتهى **ذكر الآثار عن التابعين** قال عبد الرزاق
أنا معمر عن قتادة قال إذا نوى النكاح أو المنكح أو المرأة أو واحد منهما التحليل فلا
يصح أخبرنا ابن جزي قال قلت لعطاء المحلل عامدا هل عليه عقوبة قال ما علمت و
أبي لا يرى أن يعاقب قالوا كلهم أن نعالوا على ذلك مستنون وإن أعطوا الصداق أخبرنا
معمر عن قتادة قال إن طلقها المحلل فلا تحل لزوجها الأول إن يقر بها إذا كان نكاحه

على وجه التحليل أخبرنا ابن جزي قال قلت لعطاء يطلق المحلل فراجعها زوجها قال يفرق
بينهما قتل أخبرنا معمر عن سمع الحسن يقول في رجل تزوج امرأة ولا يعلمها فقال الحسن
أقول الله ولكن سمعنا نأمر في حدود الله قال ابن المنذر وقال إبراهيم النخعي إذا كان
نية أحد الثلاثة الزوج الأول والزوج الآخر والمرأة أنه محلل فنكاح الآخر باطل ولا
تحل للأول قال وقال الحسن البصري إذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسده قال وقال
بكر بن عبد العزيز المزني في الحال والمحلل والمحلل له أولئك كانوا يسمونه في الجاهلية النيس
المستعار قال وقال ابن أبي نجاح عن مجاهد في قوله تعالى أن ظنا أن يقيم حدود الله
أن نكاحهما على غير لسة ورواه ابن أبي حاتم في التفسير عنه وقال ابن هشيم أناسا
عن الشعبي أنه سئل عن رجل تزوج امرأة كان زوجها طلقها ثلاثا قبل ذلك أ يطلقها
لترجع إلى زوجها الأول فقال لا حتى يحدث نفسه به يعمر معها وتعمر معه أي تقيم معه
رواه الجوزجاني وروى عن العقيلي شايحه بن عبد الملك بن أبي غنيم شايحه عبد الملك
عن عطاء في الرجل يطلق امرأته فيطلق الرجل الذي يتخزن له في تزوجها مع غير موافق
منه فقال إن كان تزوجها ليحلها له لم تحل له وإن كان تزوجها يريد مساكها فقد
حلت له وروى قال سعيد بن المسيب في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ولا يشعر
بذلك زوجها الأول ولا المرأة قال إن كان إنما نكحها ليحلها فلا يصح ذلك لها فلا تحل
له رواه حرب في مسأله وعنه أيضا قال الناس يقولون حق يجامعها وأنا أقول إذا
تزوجها تزوجها صحيحا لا يريد بذلك إحلالها فلا بأس أن يتزوجها الأول رواه سعيد
بن منصور عنه فهو لأئمة الأربعة أركان التابعين وهم الحسين وسعيد بن المسيب
وعطاء بن أبي رباح وإبراهيم النخعي وقال أبو الشعثان جابر بن يزيد في رجل تزوج
امرأة ليحلها لزوجها الأول وهو لا يعلم قال لا يصح ذلك إذا كان تزوجها ليحلها
ذكر الآثار عن تابعي قال ابن المنذر ومن بعدهم قال ابن المنذر ومن بعدهم قال ابن المنذر
لا يصح إلا نكاح رغبة ما نكح بن انس والليث بن سعد وقال مالك يفرق بينهما على
كل حال وتكون الفرقة فسحا بغير طلاق وقال سفيان الثوري إذا تزوجها وهو
يريد أن يحللها لزوجها ثم بدله أن يمسكها لا يحل لها إلا يفارق ويستقبل نكاحا جديدا
قال الإمام أحمد بن حنبل جيد وقال إسحاق لا يحل له أن يمسكها لأن المحلل لم يتم له
عقد النكاح وكان أبو عبيد يقول بقول الحسن والنخعي وقال الجوزجاني شايحه

نظ
زيد

بن سعيد قال سالت احمد بن حنبل عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه ان يحلها لزوجها
 الاول ولم تعلم المرأة بذلك فقال هو محلل واذا اراد بذلك الاحلال فهو طلاق قال الجوزي
 جاني وبه قال ابو ايوب وقال ابن ابي شيبة لسألت ان ترجع بهذا النكاح الى زوجها
 الاول وقال الجوزي جاني واقول ان الاسلام دين الله الذي اختاره واصطفاه
 وطهره حقيق بالتوفير والصيانة مما لعله يشينه وينزه عما اصبح ابناء الملل من اهل الذمة
 يعيرون به المسلمين على ما تقدم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم ولعنه عليه
 ساق الاحاديث المرفوعة في ذلك والآثار **فصل** ومن العجائب معارضة
 هذه الاحاديث والآثار عن الصحابة بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى
 تنكح زوجا غيره والذي انزلت عليه هذه الآية هو الذي لعن المحلل والمحلل له و
 اصحابه اعلم الناس بكتاب الله فلم يجعلوه زوجا وابطلوا نكاحه ولعنوه وعجزوا
 هذا قول بعضهم نحن نخرج بكونه سماء محلا فلولا انه اثبت المحل لم يكن محلا فيقال
 هذه من العظام فان هذا ينضم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من فعل السنة التي
 جانيها وفعل ما هو جاني صحيح في شريعته وانما سماء محلا لانها حل ما حرم الله فاما
 ستحق اللعنة فان الله سبحانه حرمها على المطلق حتى تنكح زوجا غيره والنكاح اسم في
 كتاب الله وسنة رسوله للنكاح الذي يتعارفه الناس بينهم نكاحا وهو الذي شرع الله
 والضرب عليه بالدف والوليمة فيه وجعل الايوا والسكن وجعله الله مودة ورحمة وجرى
 العادة فيه بضد ما جرى به في نكاح المحلل فان المحلل لم يدخل على نفقة ولا كسوة
 ولا سكنى ولا اعطاه مهر ولا يحصل بنسبه لاصهر ولا قصد المقام مع الزوجه وانما
 دخل عارية كالنيس المستعار للضراب ولهذا شبه به النبي صلى الله عليه وسلم كلامه لعنه
 فعلم قطعا انه ليس هو الزوج المذكور في القرآن وقد فطر الله سبحانه قلوب الناس
 على ان هذا ليس بنكاح ولا المحلل زوج وان هذا منكر فبيع تعينه المرأة والزوج
 والمحلل والولي فكيف يدخل هذا في النكاح الذي شرعه الله ورسوله واجبه واجبه
 انه سنة وجرى به عن غير منبه وتامل قوله تعالى فان طلقها فلا جناح عليهما ان يترجعا
 اي فان طلقها هذا الثاني فلا جناح عليهما على الاول ان يترجعا اي ترجع اليه بعد
 جديد فاني جوف ان الدالة على انه يمكن ان يطلق وان يقيم والتحليل الذي يفعله

ملق

هؤلاء

هؤلاء لا يمكن الزوج فيه من الامرين بل يشترطون عليه انه متى وطئها فهي طالق ثم لما
 علموا انه قد لا يخبر بوطئها ولا يقبل قولها في وقوع الطلاق انظر الى ان جعلوا الشرط
 اخبار المرأة بانه دخل بها فيجوز اخبارها بذلك تطلق عليه والله سبحانه شرع النكاح
 للوصلة الدائمة والاستمتاع وهذا النكاح جعله اصحابه سببا لا نفعه ولو وقع الطلاق
 فيه فانه متى وطئ كان وطئ سببا لا نفعه لان طلاق النكاح وهذا ضد شرع الله وايضا فان الله سبحانه
 جعل نكاح الثاني وطلاقه واسمه نكاح الاول وطلاقه واسمه في هذا زوج وهذا زوج
 وهذا نكاح وذلك نكاح وكذلك الطلاق ومعلوم ان نكاح المحلل وطلاقه واسمه
 لا يشبه نكاح الاول ولا طلاقه ولا اسمه ذكر زوج راغب قاصد للنكاح باذل للمهر ملتزم
 للنفقة والسكنى والكسوة وغير ذلك من خصائص النكاح والمحلل يري من ذلك كله غير
 ملتزم بشيء منه واذا كان الله ورسوله قد حرم نكاح المنعة مع ان قصد الزوج الاستمتاع
 بالمرأة وان يقيم معها زمانا وهو ملتزم لحقوق النكاح فالمحلل الذي ليس له غرض ان
 يقيم مع المرأة الا قدر ما ينزله عليها كالنيس المستعار لذلك ثم يفارقها اولى بالتحريم
 وسعت شيخ الاسلام قدس الله روحه يقول نكاح المنعة خير من نكاح التحليل من
 عشرة اوجه احدها ان نكاح المنعة كان مشروعا في اول الاسلام ونكاح التحليل لم
 يشرع في زمن من الازمان الثاني ان الصحابة تمتعوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن
 في الصحابة محلل قط الثالث ان نكاح المنعة يختلف فيه بين الصحابة فاباحه ابن
 عباس وان قيل انه رجع عنه واباحه عيسى بن مسعود ففي الصحاحين عنه قال كنا
 نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا الا نشتاخصي فنهانا عن ذلك ثم
 رخص لنا ان نكح المرأة بالغيب الى اجل ثم قرأ عبد الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
 طبائث ما احل الله لكم وقتوا بين عباس بن مشهور قال غروة قام عبد بن الزبير بمكة
 فقال ان ناسا اعطى الله قلوبهم كما اعطى ابصارهم يفتون بالمتعة يعرض بعبد بن عباس
 فناداه فقال انك كذا في جاف فلجري لقد كانت المتعة تفعل على عهد امام المؤمنين
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير فحرب نفسك فوافقه لئن فعلت لا رجعتك يا حمارك
 فهذا قول ابن مسعود وابن عباس في المتعة وذكر قولهما وروايتهما في نكاح التحليل
 الى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز عنه في لعن المستمتع والمستمتعة حروف واحد
 جاء عنه في لعن المحلل والمحلل وعن الصحابة ما تفقد الخاسر ان المستمتع

له غرض صحيح في المرأة ولها غرض ان تقيم معه مدة النكاح فغرضه المقصود بالنكاح
 مدة والمحلل لا غرض له سواه مستعار للضرب كالنيس فنكاحه غير مقصود له
 ولا للمرأة ولا الولي وانما هو كما قال المحسن سوارنا في حدود الله وهذه التسمية
 مطابقة للمعنى قال شيخ الاسلام يريد المحسن ان المسماة هو الذي ثبت بالشئ المسماة
 فكذلك هذا ثبت تلك المرأة لزوجها وقد حرمها الله عليه السادس ان المستمنع لم يحل
 على تحليل ما حرم الله فليس من المحاذير الذي يخادعون الله كما يخادعون الصبي
 بل هو نكاح ظاهر او باطن والمحلل ما كثر تخادع متخذي ايات الله هزوا ولذا ذكرنا
 في وعيد ولعنه عالم يحيى في وعيد المستمنع مثله ولا قريب منه السابع ان المستمنع يريد
 المرأة لنفسه وهذا هو سر النكاح ومقصوده فيريد بنكاحه حلما له ولا يطاها حراما
 والمحلل لا يريد حلما لنفسه وانما يريد حلما للغير ولهذا سمي محللا فابن من يريد ان
 يحل له وطى امرأة يخاف ان يطاها حراما الى من لا يريد ذلك وانما يريد بنكاحها ان
 يحل وطى لغيره فهذا ضد شرع الله ودينه وضد ما وضع له النكاح الثامن
 ان الفطر السليمة والقلوب التي لا يتمكن منها مرض الجهل والنقلد تنفر من التحليل
 اشتد نفار وتغير به اعظم تغير حتى ان كثير من النساء تغير المرأة به اكثر مما
 تغير بالزنا ونكاح المنعة لا تنفر منه الفطر والعقول ولو نفرت عنه لم ينجح في اول الاسلام التاسع ان
 نكاح المنعة يشبه اجارة الدابة مدة للركوب واجارة الدار مدة للاستفاد والسكنى
 واجارة العبد للخدمة مدة ونحو ذلك مما لا بد من فيه غرض صحيح ولكن لما دخل التنقيح
 اخرج من مقصود النكاح الذي شرع لوصف الدوام والاستمرار وهذا بخلاف نكاح
 المحلل فانه لا يشبه شيئا من ذلك ولهذا شبهه الصحابة بالسفاح وشبهوا باستعا
 رة النيس للضرب انه لعاشران انه سبحانه نصب هذه الاسباب كالبيع والاجارة والهبه
 والنكاح مفضية الى احكام جعلها مسببا لها ومقتضيات فجعل البيع سببا للملك
 الرقبة والاجارة سببا للملك المنفعة والاستفاد والنكاح سببا للملك البضع وحل
 والوطى والمحلل مناقض لما كثر شرع الله ودينه فانه جعل نكاحه سببا لتملك
 المطلق البضع وحل الله ولم يقصد بالنكاح ما شرع الله له من ملكه هو البضع وحله له
 ولا غرض في ذلك ولا دخل عليه وانما قصد امر اخر شرع له في ذلك السبب طريقا

الحادي عشر ان المحلل من جنس المانق فان المانق يظهر انه مسلم ملتزم لعقده
 الاسلام ظاهرا وباطنا وهو في الباطن غير ملتزم له وكذلك المحلل يظهر انه زوج
 وانه يريد النكاح ويسمي المهر ويشهد على رضا المرأة وفي الباطن بخلاف ذلك لا يريد ان
 يكون زوجها ولا ان تكون المرأة زوجته ولا يريد بذل الصداق ولا القيام بحقوق
 النكاح وقد اظهر خلاف ما بطن وانه يريد لذلك والله يعلم والمحاضرون والمرأة
 وهو المطلق ان الامر ليس كذلك وانه غير زوج على الحقيقة ولا هي امراته على الحقيقة
 الثاني عشر ان نكاح المحلل لا يشبه نكاح اهل الجاهلية ولا نكاح اهل الاسلام
 فكان الجاهلية يتعاطون في الكهنة امور منكورة ولم يكونوا يرضون نكاح التحليل
 ولا يفعلونه ففي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير ان عائشة اخبرته ان النكاح
 في الجاهلية كان على اربعة اشخاص نكاح منها نكاح الناس اليوم يخاطب الرجل الى
 الرجل وليته او ابنته فيصدقها ثم ينكحها والنكاح الاخر كان الرجل يقول لامراته
 اذا طهرت من طهرتها ارسلني الى فلان فاستبضع منه فيعتزلها زوجها ولا يسميها ابدا حتى
 يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه فاذا تبين حملها ارسلها زوجها اذا جاء
 وانما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع ونكاح
 اخر يجمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة على الخمر كالمصبيها فاذا
 حملت ووضعوا ومروا الى بعد ان تضع حملها ارسلت اليهم فلم يستطع احد منهم ان
 يمنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من امركم وقد ولدته فلو
 ابنك يا فلان فتسمي من احبب باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع ان يمنع ونكاح
 رابع يجتمع الناس لكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جأها وهن البغايا كن ينصبن
 على ابوابهن رايات تكون علما فمن ارادهن دخل عليهن فاذا حملت احدهن فوضعت
 حملها جمعوا اليها ودعوا لهم القافة ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتا طئة ودعى ابنه
 لا يمنع من ذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية كله الا نكاح
 الناس اليوم ومعلوم ان نكاح المحلل ليس من نكاح الناس الذي اشارت اليه عائشة
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقره ولم يمهله ولا كان اهل الجاهلية يرضون به فلم يكن
 من النكاح فان الفطر والام تنكره وتغير به **فصل** وسبب هذا كله معصية

ورسوله وطاعة الشيطان في ايقاع الطلاق على غير الوجه الذي شرعه الله
سبحانه ببغض الطلاق في الاصل كما روى ابو داود من حديث عبد بن عمر قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله الطلاق وفي سنن ابن ماجه من حديث ابي موسى قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم ما بال قوم يلعبون بحديث الله يقول قد طلقك قد راجعتك قد طلقك وفي صحيح
مسلم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء
ثم يبعث سراياه فاذا نام منزلة اعظمهم فتنه بجي احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول
ما صنعت شيئا قال ويحيي احدهم فيقول ما تركت حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه منه
او قال فيلذذه ويقول نعم انت فالشيطان وحزبه قد اغروا بايقاع الطلاق والتفريق
بين المروءة وجهه وكثيرا ما يندم المطلق ولا يصبر عن امراته ولا يقطع وعده نفسه ان يصبر
عنها الى ان تزوج زوجا رغبة تبقى فيه مع الزوج الى ان يموت عنها او يفارقها اذا قضى
منها وطوره ولا بد له من المروءة فيمهره الى التحليل وهو حيلة من عشر حيل نصبوها للشك
احدها التحيل على عدم وقوع الطلاق وهو نوعان تحيل على عدم وقوعه مع صحة
النكاح بالتسريح فيما مر ونه ان يقول لها اذا طلقتك او اذا وقع عليك طلاق فانك
طالق قبله ثلاثا فلا يمكن ان يقع عليها الطلاق بعد ذلك لا مطلقا ولا مقيدا عند
المسرحين فسد واما باب الطلاق وجعلوا المرأة كالغلق في عنق الرجل لا سبيلا الى
حلالها الحيلة الثانية التحيل على عدم وقوع الطلاق بكون النكاح فاسدا فلا يقع
فيه الطلاق ويتحيلون لبيان فساد من وجوه منها ان عدالة الولي شرط في صحته
فاذا كان في الولي ما يقدح في عدالته فالنكاح باطل فلا يقع فيه الطلاق والقواعد
كثيرة فلا تكاد تفتش فيمن ثبت الا وجد فيه قاذحها ومنها ان عدالة الشهود شرط
والشاهد يفسق بجلبوسه على مقعد حريرا واستناده الى مسند حريرا وجلوسه
تحت فركاة حريرا وتجره بحجرة فضة ونحو ذلك مما لا يكاد يدخل البيت منه وقت
العقد ونحو ذلك فيا للعجب يكون الوطي حلالا والنسب لاحقا والنكاح صحيحا حتى
يقع الطلاق فيجوز يطلب منه افساده الحيلة الثالثة التحيل بالمخاطبة حتى
يفعل المحل في عليه فاذا فعله تزوجها بنكاح جديد الحيلة الرابعة اذا وقع الفاسد
سر في الراس وحش ولا بد اشترى غلاما دون البلوغ وزوجه بها وامرها ان

تمكنه

تمكنه من الراجح الحشفة هناك فاذا فعل وهبها اياه فانفس نكاحها بملكه فتعش
وترد الى المطلق فاذا انجز واعين ذلك واعوذهم انتقلوا الى الحيلة الخامسة وهي
استكرار التيسر للمعونة المستعارين وعلما ويحلمها بزعمه فبذره فخر جيل النخاسة
واما جيل النخ العامة فلما راوا ان المقصود التحيل على ردها الى المطلق بأي طريق اتفق
قالوا المقصود هو الرجوع والحيلة مقصود لغبرها واعيان المحيل ليست مقصودة
فاستنبطوا الم خمس حيل اخرى احدها ان يراها المحلل ان يطاها بجله فيطأها
وهي قاعدة او مضطجعة برجله ثم يخرج وراوا ان الوطي بالرجل اسهل عليهم واقل
مفسدة من الوطي بالالة فانه اذا كان كلاهما غير مقصود فما كان اقل فسادا كان اقرب
بالي المقصود الحيلة الثانية ان تكون حاملا فتلد ذكرا وكانهم فاسوا الذكر الذي معها خارا
على الذكر الذي يشقها داخلها وهذه من جنس قياس التيسر للمعونة على الزوج المقصود
الحيلة الثالثة ان يصيب المحلل عليها دهنها يشربه جسدها ولا يطاها كانهم فاسوا
تشرب جسدها للدهن وسريانه فيه على تشربه للنطفة وسريانه فيه الحيلة الرابعة
السفر عنها او سفرها عنه فاذا اهدم ظن ان ذلك كاف عن الزوج ولا اورد من ابن القيم
الشيطان ذلك كما أنهم ظنوا انهم قد انقوا من الآن وان السفر قطع حكم ما مضى راسا
الحيلة الخامسة ان يجتمع على عرفات فاذا وقف بها على المحيل لم يحتج بعد ذلك
الى زوج اخر عندهم وقد سئلنا نحن وغيرنا عن ذلك وسمناه فنههم **فصل**
واعلم ان من اتقى الله في طلاقه فطوق كما امره الله ورسوله وشرعه له اغناه عن ذلك كله
ولمذا قال تعالى بعد ان ذكر حكم الطلاق المشروعة ومن يتواله يجعل له مخرجا فمن اتقى الله
عامة المطلقات لا يستغنيا بتقواه عن الاضرار والاغلاط والمكر والاحتيال فان
الطلاق الذي شرعه الله سبحانه ان يطلقها طاهرا من غير جماع ويطلقها واحدة ثم
يدعها حتى تنقضي عدتها فان بدله ان يسكنها في العدة اسكنها وان لم يراجعها حتى
انقضت عدتها لم تكن ان يستقبل العقد عليها من غير زوج اخر وان لم يكن فيمها غرض
لم يضره ان تزوج بزوجه غيره فمن فعل هذا لم يندم ولم يحتج الى حيلة ولا تحيل ولما هذا
سئل ابن عباس عن رجل طلق امراته ما به فقال عصيت ربك وفارقت امرتك لم تنو الله
فيجعل لك مخرجا وقال سعيد بن جبيرة جاز رجل الى ابن عباس فقال لي طلقت امراتي

فلم

الفاقال اما ثلاث فتحرر عليك امرانك ولما بقيتم من ورر اتخذت ايات الله هنوا
 وقال مجاهد كنت عند ابن عباس فجاهد رجل فقال انطلق امراته ثلاثا فانسكت حتى
 ظننت انه رادها اليه فقال ينطلق احدكم فيركب الاحمق ثم يقول يا ابن عباس يا ابن
 عباس وان الله قال ومن يتو الله يجعل له مخرجا وانك لم تنق الله فلا احد لك مخرجا
 عصيت ربك وبانت منك امرانك ذكره ابو داود وقدر روى النسائي عن محمود بن لبيد قال
 اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امراته ثلاثا تطليقات جميعا فقام غضبا
 ثم قال يلعب بك ثياب الله وانا بين اظهركم حق قوام رجل فقال يا رسول الله الا قتله وهذه
 الاثار موافقة لما دل عليه القرآن فان سبحانه انما شرع الطلاق مرة بعد مرة ولم يشترعه
 جملة واحدة اصلا قال سبحانه الطلاق مرتان والمرتان في لغة العرب بل وسائر لغات
 الناس انما يكون لما ياتي مرة بعد مرة فهذا القرآن من اوله الى اخره وسنة رسول الله صلى
 وكلام العرب قاطبة شاهد بذلك لقوله تعالى سنعذبهم مرتين وقوله ولا يرون لهم
 يفتنون في كل عام مرة او مرتين وقوله يا ايها الذين امنوا ليستأذنكم الذين ملكت
 ايمانكم والذين لم يبلغوا العلم منكم ثلاث مرات ثم فسرهما بالاوليات الثلاثة و
 شواهد هذا اكثر من ان تحصى ثم قال سبحانه فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح
 زوجا غيره فمذهبه هي الثالثة فهذا هو الطلاق الذي شرعه الله سبحانه مرة بعد مرة
 فهذا شرعه من حيث العدد واما شرعه من حيث الوقت فشرع الطلاق للعدة و
 قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطلقها طاهرا من غير جماع فلم يشترع جمع ثلاث ولا
 تطليقتين ولم يشترع الطلاق في حيض ولا في طهر وطهرها فيه وكان المطلق في زمن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كله ومن من ابي بكر كله وصدر من خلافة عمر اذا طلق ثلاثا
 تحسب له واحدة وفي ذلك حديثان صحيحان احدهما رواه مسلم في صحيحه
 والثاني رواه الامام احمد في مسنده فاما حديث مسلم فرواه من طريقين طائفتين عن
 ابيه عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وستين
 من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمران الناس قد استجعلوا في امر
 كانت لهم فيه اناة فلو اضيئه عليهم فامضاه عليهم وفي صحيحه ايضا عن طاوس
 ان ابا الصميا قال لابن عباس هات من هات ما لم يكن الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

واي بكر واحدة فقال قد كان ذلك فلما كان في ثمن عمر تابع الناس في الطلاق فاجازوه به
 عليهم وفي لفظ لا يرد ان رجلا يقال له ابو الصميا كان كثير السؤال لابن عباس
 قال ما علمت ان الرجل كان اذا طلق امراته ثلاثا قبل ان يدخلها جعلوها واحدة
 على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واي بكر وصدر من اماره عمر فقال ابن عباس بل كان
 الرجل اذا طلق امراته ثلاثا قبل ان يدخلها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واي بكر وصدر من اماره عمر فلما راي الناس قد تنازعوا فيها قال اجروهم عنهم
 هكذا في هذه الرواية قبل ان يدخلها وبهذا اخذ اسحق بن راهويه وخلو
 من السلف جعلوا الثلاث واحدة في غير المدخول بها وسائر الروايات الصحيحة ليس
 قبل المدخول ولما لم يذكر مسلم منها شيئا وهذا الحديث قد روى عن ابن عباس ثلاثة
 نفر طاوس وهو اجل من روى عنه وابو الصميا العدوي وابو الجوزا وحديثه عند
 الحاكم في المستدرک ولغظه ان ابا الجوزا الذي ابن عباس فقال ان الثلاث كن
 يردن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى واحدة قال نعم قال الحاكم هذا حديث
 صحيح الاسناد ولم يخرجاه في ورواية طاوس نفسه عن ابن عباس ليس في شيء
 منها قبل المدخول واما حكمي ذلك طاوس عن سوال ابي الصميا لابن عباس فاجابه
 ابن عباس بما سأل عنه ولعله انما بلغه جعل الثلاث واحدة في حق مطلق قبل المدخول
 حوله فسأل عن ذلك ابن عباس وقال كانوا يجعلونها واحدة فقال له ابن عباس
 نعم اي الامر على ما قلت وهذا لا مفهوم له فان التقييد في الجواز وقع في مقابلة تفيد
 السؤال ومثل هذا لا يعتبر مفهومه نعم لو لم يكن السؤال مقيدا بتقييد المسؤل الجواز
 كان مفهومه مقبولا وهذا كما اذا سئل عن فارة وقعت في سمن فقال اذا وقعت الفارة
 في السمن فالقورها وما حولها وكلوه لم يبدل ذلك على تقييد الحكم بالسمن خاصة وبالجملة
 فقيد المدخول بها فرد من افراد النساء فذكر النساء مطلقا في احد الحديثين وذكر بعض
 افرادهن في الحديث الاخر ولا تعارض بينهما واما الحديث الاخر فقال ابو داود في سننه
 ثنا احمد بن صالح ثنا عبد الوزاق انا ابن جريح قال اخبرني بعض بني ابي رافع مولى
 النبي صلى الله عليه وسلم عن عكرمة عن ابن عباس قال طلق عبد بن زيد ابوركانه ام ركانه
 واحوته ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يغني عني الا كما

تغني عني هذه الشعرة لشعرة اخذتها من راسها ففرق بيني وبينه فاخذ
النبي صلى الله عليه وسلم حمية فدعا ركانه واخوته ثم قال لجلسائكم اترون فلانا
يشبه منه كذا وكذا من عبد يزيد وفلان الاخر يشبه منه كذا وكذا قالوا نعم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم طلقها ففعل فقال راجع امواتكم ركانه واخوته فقال في طلقها ثلاثا
يا رسول الله فقال قد علمت ارجعها وتلا يا ايها الذين امنوا اذا طلقتم النساء فطلقوهن
هن لحدتهن الاية فامر ان يراجعها وقد طلقها ثلاثا وتلا الاية التي هي وما بعد
صريحة في كون الطلاق الذي شرعه لاجاده وهو الطلاق الذي يكون للعدة فاذا
شارفت انقضائها فاما ان يمسه بماء معروف او يفارقها بماء معروف وانه سبحانه
شرعه على وجه التوسع والتيسير فلعل المطلق ان يندم فيكون له سبيل الى الترميم
وهو قوله لا تدرك لعل الله يحث بعد ذلك امرافا فامر بالمراجعة وثلاثون للاية
كافية الاستدلال على ما كان عليه الحال فان قيل هذا الحديث فيه مجهول وهو
بعض بني رافع والمجهول لا يقوم به حجة فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان
احمد قد قال في المسند ثنا سعد بن ابراهيم سمعنا ابي عن محمد بن اسحق قال حدثني داود
بن الحصين عن عكرمة مولى ابن عباس قال طلق ركانه بن عبد يزيد اخو المطلب
اسراة ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديدا فبسا له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف طلقها قال طلقها ثلاثا في مجلس واحد قال نعم قال فانما ذلك احدى
فارجعها ان شئت قال فارجعها قال وكان ابن عباس يرى ان الطلاق عند كل طهر ورواه
الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في مختارته التي هي اصح من صحيح البخاري
كم في هذا موافق للحديث طاووس وابي الصمها وابي الجوز عن ابن عباس وطا
وس وعكرمة اعلم اصحاب ابن عباس به فان عكرمة كان مولا مصاحبا له و
كان يقيه على العلم وكان طاووس خاصا عنده يجتمع به كثير او يدخل عليه مع
الخاصة وكان طاووس وعكرمة يفتيان بان الثلاث واحدة وكذلك ابن اسحق
لما صح عنه هذا الحديث افي بموجبه وكان يقول جهل السنة في هذا
ورواه هذا الحديث افي وعلو به وعن ابن عباس في رواية ان احداها
موافقة عمر تاديبا وتعزيرا للمطلقين والثانية الا في بموجبه روى حماد

بن زيد عن ابيوب عن عكرمة عن ابن عباس وحسبك بهذا السند صحة وجلا
له اذا قال انت طالق ثلاثا فيم واحدة في واحدة ورواه ابو داود في السنن الو
حده الثاني ان هذا المجهول من التابعين من ابنا مولى النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يكن الكذب مشهورا فيهم والقصة معروفة محفوظة وقد تابعه عليه داود بن
الحصين وهذا يدل على انه حفظها الوجه الثالث ان روايته لم يعتمد عليها
وحدتها نقدة كرواية داود بن الحصين وحدتها الصمها فثبت ان وجود روا
يته وعدمها سواء في حديث داود كفاية وقد زالت تهمة تدليس ابن اسحق بقوله
حدثني وقد احتج الائمة بهذا السند بعينه في حديث تقدير العراقي بخمسة
واخذوا به وعلوا بموجبه مع مخالفة غوامات الاحاديث الصحيحة في منع بيع
الربط بالتمرك فالقول بهذا الاحاديث موافق لظاهر القرآن ولا قول الصحابة
وللقياس ومصالح بني ادم اما ظاهر القرآن فان الله سبحانه شرع الرجعة
في كل طلاق الاطلاق غير المدخول بها والمطلقة طائعة فالثالث بعد الاولين و
ليس في القرآن طلاق باين قط الا في هذين الموضوعين واحدهما باين غير محرم
والثاني باين محرم وقال تعالى الطلاق مرتان والمرتان ما كان مرة بعد مرة كما تقدم
واما القياس فان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهود الا
انفسهم فتشهادة احدى اربع شهادات بالله ثم قال تعالى ويدع عنها العذاب ان تشهد
اربعة شهادات بالله فلو قلنا شهد بالله اربع شهادات فاني صادق او قالت اشهد
بالله اربع شهادات انه كاذب كانت شهادة واحدة ولم تكن اربع فكيف يكون قوله
انت طالق ثلاثا ثلاث تطليقات واي قياس اصح من هذا وهكذا كلما يعبر
فيه العدد من الاقرار ونحوه ولهذا لو قال المرف بالزنا انا اقرب الزنا اربع مرات كان
ذكر مرة واحدة وقد قال الصحابة لما عزر رضي الله عنه ان اقررت اربعاً رجماً رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلو قال اقرب اربع مرات كانت مرة واحدة فكذا الطلاق سواء في هذا
القياس وتلك الآثار ذكر ظاهر القرآن واما اقوال الصحابة فيكون كون ذلك على
عمد الصدوق ومعه جميع الصحابة لم يختلف منهم احدى ولا حكمي في زمانه القولان حتى
قال بعض اهل العلم ان ذلك اجماع قديم وانما حدث الخلاف في زمن عمر واستمر الخلاف

في المسألة الى وقتنا هذا كما سندكوه ان شاء الله تعالى قالوا فقد صح بلا شك انهم
كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر مدة خلافة كلها وصدر امة خلافة عمر بن
قعون على من طلق ثلاثا واحدة قالوا فنحن ائحق بدعوى الاجماع منكم لانه لا
يعرف في عهد الصدوق واحد ورد ذكر ولا خالفه فان كان اجماع فهو في جانبنا
اظهر من يدعيه من نصف خلافة عمر وهلم جرا فانه لم يزل الاختلاف فيما قاموا و
ذكره اهل العلم في مصنفاتهم قديما وحديثا فمن ذكر الخلاف في ذلك اود واصحا
واختاروا ان الثلاث واحدة ومن حكى الخلاف الطحاوي في كتابه اختلاف العلماء
وفي كتاب تهذيب الانار وابوبكر الرازي في كتاب حكم القرآن وحكاة ابن المنذر
وحكاة ابن حزم وحكاة المورخ في تفسيره وحكي حجة القولين ثم قال وهي مسألة خلا
بين العلماء وحكاة محمد بن نصر المروزي واختار القول بالثلاث انها واحدة في حق
البكر ثلاث في المدخول بها وحكاة من المتأخرين المازري في كتاب المعلم وحكاة
عن محمد بن مقاتل من اصحاب ابني حنيفة وهو في اجل اصحابهم من الطبقة الثا
لثة من اصحاب ابني حنيفة فهو احد القولين في مذهب ابني حنيفة وحكاة التلمس
في شرح التفرج في مذهب مالك قوله في مذهب بل رواية عن مالك وحكاة غيره
قوله في المذهب في احد القولين في مذهب مالك في حنيفة وحكاة شيخ الاسلام
عن بعض اصحاب احمد واختياره واسوأ احواله ان يكون لبعض اصحاب الوجوه في
مذهبهم كالفاضي وابي الخطاب هو اجل من ذلك فهو قول في مذهب احمد بلا شك و
اما التابعون فقال ابن المنذر كان سعيد بن جبير وطاوس وابو الشيا وعطاء
عمرو بن دينار يقولون من طلق البكر ثلاثا في واحدة قالوا واختلف في هذا الباب
عن الحسن فروي عنه انها ثلاث وذكر قتادة وحيد ويونس عنه انه رجح عن قوله
بعد ذلك وقال واحدة بآية وقال محمد بن نصر في كتاب اختلاف العلماء اجمع اهل العلم
ان الرجل اذا طلق امراته تطليقة ولم يدخل بها انها بائنة منه وليس عليها عتق
واختلفوا في غير المدخول بها اذا طلقها الزوج ثلاثا بلفظ واحد فقال
الاوزاعي ومالك واهل المدينة لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وروي عن ابن عباس
 وغير واحد من التابعين انهم قالوا اذا طلقها ثلاثا قبل ان يدخل بها في

هو

انما هو ان غير
زانية

واحدة

واحدة واكثر اهل الحديث على القول الاول قال وكان ابن اسحق يقول طلاق الثلاث
للكبر واحدة وتناول حديث طاوس عن ابن عباس كان الطلاق الثلاث على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر يجعل واحدة على هذا قلت هذا تاويل اسحق
واما ابو اود فحمله منسوخا فقال في كتاب السنن با نسخ المراجعة بعد التليقا
الثلاث ثم ساق حديث ابن عباس ان الرجل كان اذا طلق امراته فهو احق بر
جوعتها وان طلق ثلاثا ثم نسخ ذلك بقوله الطلاق مرتان ثم ذكر في كتابه حديث
ابي الصمبدا كانه اعتقد ان حكمه كان ثابتا لما كان الرجل يراجع امراته كلما
طلقها وهذا وهم لو جهل من احدهما ان المنسوخ هو ثبوت الرجعة بعد الطلاق و
لو بلغ ما بلغ كما كان في اول الاسلام الثاني ان النسخ لا يثبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكون الثلاث واحدة قد دل عليه في خلافة الصدوق كلها واول خلافة عمر بن المنذر
ان ينسخ بعد ذلك واما ابن المنذر فقال لم يكن ذلك عن علم النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن امره قال
 وغير جائز ان يظن بابن عباس انه يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ثم يفتي بخلافه فلما لم
يجز ذلك لفتيا ابن عباس علم ان ذلك لم يكن عن علم النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن امره اذ لو كان ذلك
عن علم النبي صلى الله عليه وسلم ما استحل ابن عباس ان يفتي بخلافه او يكون ذلك منسوخا
استدلالا بفتيا ابن عباس وهذا المسلك ضعيف جدا لوجه احدها ان حديث
عكرمة عن ابن عباس في رد النبي صلى الله عليه وسلم امرأة ركانه عليه بعد الطلاق الثلاث يبطل
هذا التاويل راسا الثاني ان هذا لو كان صحيحا لقال ابن عباس لا يبي الصمبدا ما ادري
ابلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم او لم يبلغه فلما اقره على ذلك اقرارا ولذا علم انه مما يبلغه
الثالث انه لو كان ذلك صحيحا لم يقل عمر ان الناس قد استعملوا في امر كانت لهم فيه اناقة
بل كان الواجب ان يبين السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلاف ذلك وان هذا العمل من الناس
خلاف دين الاسلام وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يقل فلوانا اضليناه عليهم فان هذا انما
يكون امضا من الله ورسوله لا من عمر الرابع انه من المنسوخ والمستحيل ان يكون خيار
الحاق يطبقون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر خليفة من بعده يراجعون على خلا
دينه فيطلقون طلاقا محرما ويراجعون مراجعة محرمة ولا يعلمون بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهرهم ثم حديث ابن عباس الذي رواه احمد في ذلك

ثم يرد ه فتوى ابن عباس في احاد الروايتين عنه وهي ثابتة عنه باصح اسناد
كما ان الرواية الاخرى ثابتة عنه وكيف يستمر جهل خيار الامة بالطلاق والرجعة
مدة حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومدة حياة الصديق كلها وشطر من خلافة عمر ثم يظهر
لم بعد ذلك الطلاق والرجعة المجازين وكيف يصح قول عمران الناس قد استجوا
في شيء كانت لهم فيه انافة وكيف يصح قوله فلوامضينا عليهم فهذا المسلك كما ترى
واما الاحام احمد فانما يرد ه بفتوى ابن عباس بخلافه وهو راوي الحديثين قال الان لم
سالت ابا عبد الله عن حديث ابن عباس كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر طلاق الثلاث واحدة باي شيء ندفعه قال رواية الناس عن ابن عباس
من وجوه خلافة وذكر نقل عنه ابن منصور وهذا المسلك انما يجي على احد الروايتين
ان الصحابي اذا عمل بخلاف الحديث لم يحتج به واتبع على الصحابي والمسمى عنه
ان العبرة فيهما رواه الصحابي لا بقوله اذا خالف الحديث ولهذا اخذ برواية ابن
عباس في حديث بريرة وان بيع الامة لا يكون طلاقا لها لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيرها ولو انفسح بيعها لم يخبرها نذهب ابن عباس ان الامة يبيعها طلاقا واجمع
بظاهر القرن وهو قوله تعالى والمحصنات النساء الا ما ملكتم بايمانكم فاباح وطى
مملوكنه المراجعة ولو كان النكاح باقيا لم ينفسخ لم يبيع له وطئها فالجموعوا صحتهم
خالفوه في ذلك وقالوا لا يكون بيعها طلاقا واحتجوا بحديث بريرة وتركوا رايه
لروايته فان روايته معصومة ورايه غير معصوم والمسمى عن نذهب الشافعي ان
الاخذ بروايته دون رايه والمسمى عن نذهب اليه حنفية عكس ذلك وعن احمد روا
يتان في هذا المسلك في الحديث لا يقول وسلكا اخر من في الحديث سلكا اخر فقالوا هو حديث
مضطرب لا يصح ولذلك اعرض عنه البخاري وترجم في صحيحه على خلافه فقال باب
في جواز الثلاث في كماله لقوله الطلاق من ان ثم ذكر حديث اللعان وفيه فطلقها ثلاثا قبل
ان يامر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يغير عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يقر على باطل قالوا ووجه اضطرابه
انه تارة يروي عن طائوس عن ابن عباس وتارة يروي عن طائوس عن ابي الصميصم
ابن عباس وتارة عن ابي الجوزا عن ابن عباس فهذا اضطرابه من جهة السند
اما المتن فان ابا الصميصم تارة يقول لم تعلم ان الرجل كان اذا طلق امراته ثلاثا

مع انهم

قبل

قبل ان يدخل بها جعلوها واحدة وتارة يقول لم يكن الطلاق الثلاث على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وصدر من خلافة عمر واحدة فهذا الخالف اللفظ الاخر
وهذا المسلك من اضعف المسالك ورد الحديث به ضرب من التعنت ولا يعرف احد
من الحفاظ قد ج في هذا الحديث ولا ضعفه والامام احمد لما قيل له باي شيء ترويه فقا
بر رواية الناس عن ابن عباس خلافة ولم يرد ه بتضعيف ولا قد ج في صحته وكيف
يتم بها القدح في صحته وروايته كلهم ائمة حفاظ حديثهم عبد الرزاق وغيره عن ابن
جرير بصيغة الاخبار وحديثه كذا عن ابن جرير عن طائوس وحديثه ابن ط
ووس عن ابيه وهذا الاسناد لا مطعن فيه لطائوس وطائوس من اخص اصحاب
ابن عباس ومذهبه ان الثلاث واحدة وقد رواه حماد بن زيد عن ابيوب عن
غير واحد عن طائوس فلم يفرقه عبد الرزاق ولا ابن جرير ولا عبد الله بن طائوس
فالحديث من اصح الاحاديث وترك رواية البخاري له لانه توهنه وله حكم امثاله من
الاحاديث الصحيحة التي تركها البخاري لثلاث بطول كتابه فانه سماه الجامع
المختصر الصحاح ومثل هذا العذر لا يقبله من له حظ من العلم واما رواية من رواه
عن ابي الجوزا فان كانت محفوظة فهي ما تروى الحديث الاقوة وان لم تكن محفوظة
وهو الظاهر فيهم في الكنية انقل فيها عبد بن المولى عن ابي مليكة عن ابي
الصميصم الى ابي الجوزا فانه سي الحفظ والحفاظ قالوا ابو الصميصم وهذا الايهن
الحديث وهذه الطريق عند الحاكم في المستدرک واما رواية من رواه مقيد قبل
الدخول فقد تقدم انما لا تناقض رواية الاخرين على انما عند ابي داود عن ابي
عن غيره واحد رواية الطلاق عن عمرو بن جرير عن ابن طائوس عن ابيه فان
تعارضنا هذه الرواية اولى وان لم يتعارضنا فالامر واضح وحديثه او من المحصين
عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم صريح في كون الثلاث واحدة في حق
المدخول بها وغاية ما يقدر في حديث ابي الصميصم ان قوله قبل الدخول زيادة من
ثقة فيكون الاخذ بها اولى وحينئذ فيد احد حديثي ابن عباس على ان هذا الحكم
ثابت في حق البكر وحديثه الاخر على انه ثابت في حق الشب ابني فاحد الحديثين
يقوي الاخر ويشهد بصحته وبالله التوفيق وقد رده اخرون بمسلك اضعف
من هذا كله فقا لوالها حديث لم يروه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ابن عباس

متح

وحده ولا عن ابن عباس الاطواس وحده قالوا فابن اكاير الصحابة وحفاظهم
 عن مثل هذا الامر العظيم الذي الحاجة اليه شديد جدا فكيف خفي هذا على جميع الصحابة
 وعرفه ابن عباس وحده وخفي على اصحاب ابن عباس كلهم وعلمه طائوس وحده وهذا
 افسد من جميع ما تقدم ولا ترد احاديث الصحابة واحاديث الائمة الثقات بمثل
 هذا فكيف من حديث تفرد به واحد من الصحابة ولم يرد به غيره وقبله لامة كلهم فلم
 يرد احد منهم وكما من حديث تفرد به من هو دون طائوس بكثير ولم يرد احد من
 الامة ولا تعلم احدا من الامة ولا تعلم احدا من اهل العلم قدما ولا حديثا قال
 ان الحديث اذا لم يرد الا صحابي واحد لم يقبل وانما يحكى عن اهل البدع ومن
 تبعهم في ذلك افعال لا يعرف بها قائل من الفقهاء وقد تفرد الزهري بنحو اثنين
 سنة لم يرد بها غيره وعلمت بها الامة ولم ترد بها بقدره هذا مع ان عكرمة روى
 عن ابن عباس حديث ركانه وهو موافق لحديث طائوس عنه فان قدح في عكرمة
 ابطال وتناقض فان الناس احتجوا بعكرمة وصحح ائمة الحفاظ حديثه ولم يلتفتوا الى
 قدح من قدح فيه فان قيل هذا هو الحديث الشاذ واقل احواله ان يتوقف فيه ولا
 يجزم بصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل ليس هذا هو الشاذ وانما الشاذ ان يخالف
 لثقات فيما روىه فيستدعونهم بروايته فاما اذا روى الثقة حديثا مفردا به لم يرد
 الثقات خلافا فان ذلك لا يسمى شاذ وان اصطاح على تسمية شاذ بهذا المعنى لم يكن
 هذا الاصطلاح موجبا لردده ولا سوغا له قال الشافعي رحمه الله وليس الشاذ ان ينفرد
 الثقة برواية الحديث بل الشاذ ان يرد في خلاف ما روى الثقات قاله في مناظرته
 لبعض من رد الحديث ينفرد الراوي به ثم ان هذا القول لا يمكن احدا من اهل العلم
 ولا من الائمة ولا من اتباعهم طرده ولو طرده لبطل كثير من اقوالهم وقضاياهم و
 الحجب ان الرادى لهذا الحديث بمثل هذا الكلام قد بنوا كثيرا من مذاهبهم على احاديث
 ضعيفة انفرد بها روايتها لا تعرف عن سواهم وذكر اشهر واكثر من ان نغده
 ولما راي بعضهم ضعف هذه المسالك وانما لا يتجدي شيئا استروج الى تاوله فقال
 معنى الحديث ان الناس كانوا يطلقون على عمدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر واحد
 ولا يوقعون الثلاث ولما كان في اثنا خلافة عمر اوقعوا الثلاث واكثر من ذلك
 فامضاه عليهم عمر كما اوقعوه فقوله كان الثلاث على عمدة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 واحدة اي في التطبيق والابقاء المطلقين لا في حكم الشرع قال هذا القائل وهذا

من اقوى ما يجاب به وبه يزول كل اشكال ولعمري انه لو سكنت هذا كان خيرا له
 واسترقان هذا المسلك من اضعف ما قيل في الحديث وسياقه بين بطلانه سيا
 نا ظاهرا لانه اشكال فيه وكانت قايله احب الى رويج على قوم ضعفاء العلم تخليد
 الى حضيض التقليد فروج عليهم مثل هذا وهذا القائل كانه لم يتامل الفاظ الحديث
 ولم يعين بطرقه فقد ذكرنا من بعض الفاظه قول ابى الصميا لابن عباس ما علمت
 ان الرجل كان اذا طلق امراته ثلاثا قبل ان يدخل بها جعلوها واحدة على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وصدر من امارة عمر فافترس ابن عباس بذلك وقال نعم
 وايضا فقول هذا المتأول انهم كانوا يطلقون على عمدة رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا
 قد نقضه هو بعينه وابطله حيث احتج على وقوع الثلاث بحديث الملاعن وحديث
 محمود بن لبيد ان رجلا طلق امراته على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا فغضب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال يلعب بك الله وانما بين اظهركم ثم زاد هذا القائل زيادة في الحديث
 من عنده فقال واحضاه عليهم ولم يرد به وهذه اللفظة موضوعه لا تروى في شيء
 من طرق هذا الحديث البتة وليس في شيء من كتب الحديث وانما هي من كيس هذا القائل
 حمله عليها فرط التقليد ومحمود بن لبيد لم يذكر ما جرى بعد ذلك من امضا او رد الى
 واحدة وللقصود ان هذا القائل تناقض وتناول الحديث تاويلا يعلم بطلانه من سيا
 قته ومن بعض الفاظه ان الطلاق الثلاث على عمدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
 صدر من خلافة عمر يرد الى الواحد وهذا موافق للفظ الاخر كان اذا طلق امراته
 ثلاثا جعلوها واحدة وجميع الفاظه متفقة على هذا المعنى فيفسر بعضها بعضا فجعل هذا واحدا
 له الحكم متشابه والواضح مشكلا وكيف يصنع بقوله فلو امضينا عليهم فان هذا يدل على
 انه راي من عمر ان يعضيه عليهم لتابعهم فيه وسددهم على انفسهم ما وسعه الله عليهم
 وجمعهم ما فرقه وتطبيقهم على غير الوجه الذي شرعه وتعدتهم حدوده وهو لا يمتنع
 في الطلاق ولم يراعوا حدوده ومن كمال علمه رضي الله عنه علم ان الله لم يجعل المخرج الا
 لمن اتقاه ورأى حدوده وهو لا يمتنع في الطلاق ولم يراعوا حدوده فلا يستحقون المخرج
 الذي ضمنه لمن اتقاه ولو كان الثلاث تقع ثلاثا على عمدة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دينه
 الذي بعثه الله به لم يصف عمر امضاؤه الى نفسه ولا كان يصح هذا القول منه وهو عزلة
 من يقول في الشاذ قتل النفس وقد فوجئ المحقق لو حوثناه عليهم فخره عليهم وبجزة

من يقول في وجوب الظهر والعصر ووجوب صوم رمضان والفصل من الجنابة فلو
 فرضناه عليهم ففرضه عليهم فدعوا هذه الكتابات المستكرهه التي كلما نظر
 فيها طالب العلم ازداد بصيره في المسألة وقوي جانبها عنده فانه يرى ان الحديث
 لا يرد بمثل هذه الاشياء وقد سكر ابو عبد الرحمن النسائي في سننه في الحديث مسلما
 اخر فقال باب طلاق الثلاث المتفرقة قبل الدخول بالزوجه ثم ساقه فقال انما ابو
 داود شا ابو عاصم عن ابن جريج عن ابن طاوس عن ابير ان ابا الصميا جاء الى ابن
 عباس فقال يا ابن عباس لم تعلم ان الثلاث كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والي
 بكر وصدر من خلافة عمر بن الخطاب الى الواحده قال نعم وانت اذا طابقت بين هذه الترجمة و
 بين لفظ هذا الحديث وجدته لا يدل عليها ولا يستعملها بوجه من الوجوه بل الترجمة
 لون والحديث لون اخر وكان لما اشكل عليه وجه الحديث حملته على ما اذا قال لا يغير له
 خولها انت طالق انت طالق انت طالق طلق واحدة ومعلوم ان هذا الحكم لم يزل
 ولا يزال كذلك ولا يتغير ذلك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والي بكر وصدر من خلافة
 عمر بن الخطاب الى الواحده عمر وعمر بن الخطاب بعد ذلك على المطلق فالحديث لا يندفع بمثل
 هذه البتة وسلكا اخر في الحديث مسلما اخر فقال لو اهدا حديث بخلاف اصول
 الشريعة فلا يلتفت اليه قالوا لان الله تعالى ملك الزوج ثلاث تطليقات وجعل ايقا
 عما اليه فان قلنا بقول الشافعي ومن وافقه ان جميع الثلاث جائز فقد فعل ما لا يصح
 فيصح وان قلنا جميع الثلاث حرام وهو طلاق بدعي فالشارع انما ملكه تفرق الثلاث
 فسحبه فاذا جمعها فقد جمع ما فيصيح له في تفرقه فله حكمه كما لو فرقه قالوا وهذا كما
 انه يملك تفرق المطلقات وجميعهم فكذلك يملك تفرق الطلاق وجميعه فهذا قياس المصو
 فلا يبتل به بخبر الواحد قال الآخرون هذا القياس لا يصلح ان يثبت به هذا الحكم
 لولم يعارض بنصر فضلا ان يقدم على النص وهو قياس مخالف لاصول الشريعة ولغة
 العرب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة في عهد الصديق فاما مخالفتها
 لاصول الشريعة فان الله سبحانه انما ملك المطلق بعد الدخول حلالا كما يملك فيه الر
 جعة ويكون مخيرا فيه بين الامساك بالمعروف والستر بحكم باحسان ما لم يكن بعوض
 او يستوفي فيه العدد والقران قديين ذلك كله فبين ان الطلاق كله قبل الدخول تبين

طالقت

المراه ولا عده عليها وبين ان المفدية تمكك نفسها ولا رجعة لزوجهما عليها وبين ان
 الطلقة المسبوقه بطلاقين قبلها تبين منه وتحرم عليه فلا تحل له حتى تنكح زوجا
 غيره وبين ان ما عدا ذلك من الطلاق فله زوج فيه الرجعة وهو مخير بين الامساك
 بالمعروف والستر بحكم باحسان وهذا الكتاب الله عز وجل قد تضمن هذه الانواع الاربع
 واحكامها من لوازمها التي لا تنفك عنها فلا يجوز ان تغير احكامها البتة فكما لا يجوز
 في الطلاق قبل الدخول ان يثبت فيه الرجعة وتجيب به العدة ولا في الطلقة المسبوقه
 بطلاقين ان يثبت فيها الرجعة وان بناج بغير زوج واصابه ولا في طلاق المفدية
 ان يثبت فيه الرجعة فكذلك لا يجوز في النوع الاخر من الطلاق ان يتغير حكمه فيقع
 على وجه مخالف لحكم الله الذي حكم به فيه وهذا صفة لازمة له فلا يكون على خلافها البتة
 ومن تأمل القران وجد لا يحتمل غير ذلك فما شرع الله سبحانه الطلاق الا وشرع فيه الرجعة
 الا الطلاق قبل الدخول وطلاق الخلع والطلقة الثالثة فينبغي ان يبين كتاب الله فان كان
 فيه شيء غير هذا فاوجده وناياه ومما يوضح ذلك ان جميع الفقهاء من الطوائف الثلاثة
 احتجوا على الشافعي في تجويزه جمع الثلاث بالقران وقالوا ما شرع سبحانه جمع الطلاق
 في الثلاث وما شرع الطلاق بعد الدخول بغير عوض الا شرع فيه الرجعة ما لم
 يستوف العدد واحتجوا عليه بقوله تعالى الطلاق مرتان قالوا لا يعقل في لغة من
 لغات الامم المرتان الامرة بعد مرة فما رخص بعد اصحابه بقوله تعالى ومن يقنت
 منكم لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتيها اجرها مرتين فاجابهم الآخرون بان المرتين
 والمرات يراد بهما الافعال تارة والاعيان تارة واكثر ما يستعمل في الافعال واما الاعيان
 فكقوله في الحديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين اي شققتين و
 فعلتين ولما حكي هذا على من لم يحط به علموا ان انشقاق وقع مرة بعد مرة
 في زمانين وهذا مما يعلم اهل الحديث ومن له خبرة باحوال الرسول وسيره انه
 غلط وان لم يقع الانشقاق الامرة واحدة ولكن هذا امثاله فهو من قوله مرتين
 بين المرة والزمانية اذا عرف فحولت نوتها اجرها مرتين وقوله يؤتون اجرهم مرتين
 اي ضعفين فيؤتون اجرهم مضاعفا وهذا يمكن اجتماع المرتين المحررة منه
 في زمان واحد واما المرتان من الفعل فحالا اجتماعهما في زمان واحد فانها

سبحانه
 وجعل
 احكامها

هذا

مثلان واجتماع الثلثين محال وهو نظير اجتماع حرفين في آن واحد من
 متكلم واحد هذا مستحيل قطعا فيستحيل ان تكون مرتا الطلاق في ايقاع
 واحد ولهذا جعل ماكد وجمهور العلماء من رمي الجمار بسبع حصيات جملة
 انه غير مود للواجب عليه وانما يحسب له رمي حصاة واحدة في رمية لا سبع رميا
 وانفقوا كلامهم على انه لو قال في اللعان اشهد بالله اربع شهادات اني صادق كانت
 شهادة واحدة في الحديث الصحيح من قال في يوم سبكان وسجدة مئة مرة حطت
 عنه خطاياہ ولو كانت مثل زيد البحر فلو قال سبحان الله وبحمده مئة مرة هذا
 اللفظ لم يستحق الثواب المذكور وكانت تسبيحة واحدة وكذا قوله تسبحون
 الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمدون ثلاثا وثلاثين وتكبرون اربعا وثلاثا
 نية لو قال سبحان الله ثلاثا وثلاثين لم يكن مسبحا هذا العدد حتى يأتي به وا
 حدة بعد واحدة ونظاير ذلك في الكتاب والسنة اكثر من ان يذكر قالوا فتقوله
 تعا الطلاق مرتان اما ان يكون خبرا في معنى الامري اذا طلقت فطلقوا من
 واما ان يكون خبرا عن حكمه الشرعي الديني اي الطلاق الذي شرعته لكم وشرع
 فيه الرجعة مرتان وعلى التقديرين اما ان يكون ذلك مرة بعد مرة فلا يكون موقعا
 للطلاق الذي شرع له الا اذا طلقت مرة بعد مرة ولا يكون موقعا للمشروع بقوله
 انت طالق ثلاثا ولا مرتين قالوا ويوضح ذلك انه حصر الطلاق المشروعة في مرتين
 فلو شرع جمع الطلاق في دفعة واحدة لم يكن المحصر صحيحا ولم يكن الطلاق
 كله مرتان بل كان منه مرتان ومنه مرة واحدة تجمع هذا خلاف ظاهر القرآن
 وانه لا طلاق للمدخول بها الا مرتان وتبقى الثالثة المحرمة بعد ذلك قالوا ويدل
 عليه ان الطلاق اسم محلي باللام وليست للعميل للعموم فالمراد بالايه كل الطلاق
 مرتان والمرة الثالثة التي تحرمها عليه وتسقط رجعة وهذا صريح في ان الطلاق
 المشروع هو المتفرق لان المراه لا تكون الا متفرقة كما تقدم قالوا ويدل عليه قوله
 تعا فامساك معروف وانسرك با حسان فهذا حكم كل طلاق شرعه الله الا
 الطلقة المسبوقه بطلقتين قبلها فانه لا يبقى بعدها امساك قالوا ويدل عليه
 قوله تعا واذا طلقت النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعرف

واذا من ادوات العموم كانه قال اي الطلاق وقع منكم في اي وقت فحكمه هذا
 الا انه اخرج من هذا العموم الطلقة المسبوقه باثنتين ففي ما عداها اذا
 خلا في اللفظ الایة نصا وظاهرا قالوا ويدل عليه ايضا قوله سبحان الله واذا طلقت
 النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان يتكهنن ازاوجهن فهذا عام في كل طلاق
 غير الثلاث المسبوقه باثنتين فالقران يقتضي ان ترجع الى زوجها اذا
 ارادت في كل طلاق ما عدا الثالثة قالوا ويدل عليه ايضا قوله تعا يا ايها النبي اذا
 طلقت النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة والقوا اليه انكم لا تخرجون
 من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن
 يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فاذا
 بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف ووجه الاستدلال
 بالايه من وجوه احدها انه سبحانه انما شرع ان يطلق لعدتها اي لاستقبال عد
 ثا فتطلق طلاقا يتعقبه شروعها في العدة ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم عبد بن عباس لما طلق
 امراته في حبيها ان يرجعها وتلى عليه هذه الآية تفسير المراد بها وان المراد بها الطلاق
 قبل العدة وكذا كان يفرضها عبد بن عباس ثم لم يذكر من قال بتحريم جمع الثلاث
 انه لا يجوز له ان يرد في الطلقة باخرى في ذلك الظاهر لانه غير مطلق للعدة فان العدة
 قد استقبلت من حين الطلقة الاولى فلا تكون الثانية للعدة ثم قال الام احمد في ظا
 هر مذهبه ومن وافقه اذا اراد ان يطلقها ثانية طلقها بعد عدا ورجعة لان العدة
 تنقطع بذلك فاذا اطلقها بعد ذلك اخرج طلقها للعدة وقال في رواية اخرى عنه انه ان
 يطلقها الثانية في الظاهر الثاني ويطلقها الثالثة في الظاهر الثالث وهو قول ابي حنيفة
 فيكون مطلقا للعدة ايضا لانها تبقى على ما مضى والصحيح هو الاول وانه ليس له
 ان يرد في الطلاق قبل الرجعة او العقد لان الطلاق الثاني لم يكن لاستقبال العدة بل هو
 طلاق لغير العدة فلا يكون ما ذونا فيه فان العدة انما تحسب من الطلقة الاولى لانها
 طلاق للعدة بخلاف الثانية والثالثة ومن جعله مشروععا قال هو الطلاق لتمام
 العدة والطلاق هو التمام كما لطلاق لا استقبالها وكلها طلاق للعدة وانما
 القول الاول يقولون المراد بالطلاق للعدة الطلاق لاستقبالها كما في القراءة الاخر

التي تفسر القراءة المشهورة فطلقوهن في قبل عدتهن قالوا فاذا لم يشرع ارداد
الطلاق للطلاق قبل الرجعة او العقد فلان لا يشرع جمعة معه اولى واحر فان
ارداف الطلاق اسم من جمعة ولما لا يشرع ارداد في الاطهار من لا يجوز
الجماع في الطهر الواحد وقد احتج عبد بن عباس على تحريم جمع الثلاث بهذه الآية
قال مجاهد كنت عند ابن عباس نجاه رجل فقال انه طلق امراته ثلاثا فسكت حتى ظننت
انه رادها عليه ثم قال ينطلق احدكم فيركب الهموقه ثم يقول يا ابن عباس وان الله
عز وجل قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا فمن اجد لك مخرجا عصيت ربك وبانت
منك امراتك ان الله عز وجل قال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لهن
مهرهن في قبل عدتهن وهذا حديث صحيح فقد فهم ابن عباس من الآية ان جمع الثلاث
محرم وفهم وهذا من دعائه النبي صلى الله عليه وسلم ان يفقهه الله في الدين ويعلمه
الناويل وهو من احسن المفهوم كما تقرر **الوجه الثاني** من الاستدلال بالآية
قوله لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن وهذا انما هو في الطلاق الرجعي فاما
البائن فلا سكنى لها ولا نفقة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة التي لا
مطعن فيها في صحتها الصريحة التي لا شبهة في دلالتها فدل على ان هذا حكم
كل طلاق شرعي مالم تسبقه طلقان قبله ولما قال الجمهور انه لا يشرع له ولا يملك
اياتها بطلقه واحدة بدون العوض وابو حنيفة قال يملك ذلك لان الرجعة حقه
وقد اسقطها والجمهور يقولون بنسبوت الرجعة وان كان حقه فلها عليه حقوق
الزوجه فلا يملك اسقاطها الا بمخالفة او باستيفاء العدد كما دل عليه القرآن
الوجه الثالث انه قال وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم
نفسه فاذا طلقها ثلاثا جملة واحدة فقد تعدى حدود الله فيكون ظالما **الوجه الرابع**
انه سبحانه قال لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقد فهم اعلم الامة
بالقرآن وهم الصحابة ان الامر هنا هو الرجعة قالوا واي امر يحدث بعد الثلاث
الوجه الخامس قوله اذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف
في هذا حكم كل طلاق شرعي الا ان يسبق بطلقتين قبله وقد احتج ابن عباس
على تحريم جمع الثلاث بقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن

كما تقدم

كما تقدم وهذا حق فان الآية اذا دلت على منع ارداد الطلاق في طهر
اواطهار قبل رجعة او عقد كما تقدم لانه يكون مطلقة في غير قبل العدة فلان تدل
على تحريم الجمع اولى واحر قالوا والله سبحانه شرع الطلاق على اليسر الوجوه واوفها
بالزوج والزوجة ثلاثا يتسارعت العدة في وقوعه ومفارقة حبيبته ومذلة وقت
العدة اجلا لا يستدرك الفارط بالرجعة فلم يبع له ان يطلق المرأة في حال حيضها
لانه وقت نفقته عنها وعدم قدرته على استئمانها بها ولا عقيب جماعها لانه قد
قضى غرضه فيها وربما قترت وغيبه فيها وزهد في امساكها لقضاء وطم فاذا
طلقها في هاتين الحالتين ربما يندم فيما بعد هذا مع ملة الطلاق في الحيض من
تطويل العدة وعقيب الجماع من طلاق من لعلها قد اشتغل رحمها على ولده منه فلا يريد
فراقها فاما اذا حاق ضيق طهرت نفسها تنوق اليها الطول عريتها فلا يقدر
على طلاقها في هذه الحال الا لما حجت اليه فلم يبع له الشارعة ان يطلقها الا في هذه
الحال او في حال استبانة حملها لان اقداره ايضا على طلاقها في هذه الحال دليل على
حاجته الى الطلاق وقد اكد النبي صلى الله عليه وسلم هذا بمنعه لعبد بن عمر ان يطلق في
الطهر الذي يلي الحيضة التي طلق فيها بل امره ان يراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم
تطهر ثم ان بدله ان يطلقها فليطلقها وفي ذلك عدة حكم منها ان الطهر المتصل بالحيضة
بالحيضة هو وهي في حكم القرة الواحدة فاذا طلقها في ذلك الطهر فكانه طلقها في الطهر
الحيضة لان اتصالها بها وكونه معها كالشيء الواحد الثانية انه لو اذن له في طلاقها
في ذلك الطهر فيصير كأنه راجع لاجل الطلاق وهذا ضد مقصود الرجعة فان الله
انما شرعها للامسك ولم يشرع النكاح وعود الفرائض فلا يكون لاجل الطلاق فيكون
كأنه راجع ليطلق وانما شرعت الرجعة لنفسك وبهذا بعينه ابطالنا نكاح المحلل
فاذا سجدت شرع النكاح للامسك والمعاشرة والمحلل تزوج ليطلق فهو مضاد
لله في شرعه ودينه الثالثة انه اذا صبر عليها تحيض ثم تطهر زال ما في نفسه من الغضب
المحال على الطلاق وربما صاحت الحال بينهما واقاحت عما يدعوه الى طلاقها فيكون
تطويل هذه المدة رحمة به وبها اذا كان الشارعة ملتفتا الى مثل هذه الرحمة والشفقة
على الزوج وشرع الطلاق على هذا الوجه الذي ابعده عن الندم فكيف يليق

تحيض ثم تطهر

بشرع ان بشرع ابانها وتحرمها عليه بكلمة واحدة يجمع فيها ما شرعه متفرقا
بحيث انه لا يكون له سبيل اليها وكيف يجمع في حكمة الشايع وحكمة هذا وهذا
فهذه الوجوه ونحوها مما بين به الجمهور ان جمع الثلاث غير مشروع وهي بعينها
تبيين عدم الوقوع وانما يقع المشروع وحده وهي الواحدة قالوا فتبين
انا باصول الشرع وقواعده اسعد منكم وان قياس الاصول وقواعد الشرع من
جانبنا وقد تأيدت بالسنة الصحيحة التي ذكرناها وقولكم ان المطلق ثلاثا يجمع
ما فصح له في تفرقة هو ان يكون حجة عليكم اقرب فانه انما اذن له فيه وفلكه مفر
قالا مجموعا فاذا جمع ما امر بتفرقة فقد تعدى حدود الله وخالف ما شرعه ولهذا
قال من قال السلف رجل اخطأ السنة فبرأ اليها فهذا احسن من كلامكم وابين وان
الى الشرع والمصلحة ثم هذا ينقض عليكم بسائر ما ملكه الله العبد واذن فيه متفرقا
فان ادان بجمعه كرمي الجمار الذي شرع له متفرقا واللحان الذي شرع له كذا في ايمان
القسمه التي شرعت كذلك ونظير قياسكم هذا ان له ان يوحى الصلوات كلها
ويصلها في وقت واحد لانه جمع ما امر بتفرقة على ان هذا قد فهمه كثير من العوام
يرون صلاة اليوم الى الليل ويصلون الجميع في وقت واحد ويحتجون بمثل هذه
الحجة بعينها ولو سكت عن نضرة المسألة بمثل ذلك لكان اقوى لها **فصل**
فاستخرج بعضهم الى مسكنا اخر غير هذه المسالك لما تبين له فسادها فقال هذا
حديث واحد الاحاديث الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى على خلافه وذكرنا
احاديث منها ما في الصحيحين عن فاطمة بنت قيس ان ابا حفص بن المغيرة لم
طلقها البتة وهو غايب فارسل اليها وكيله بشعر فسخطته فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت له ذلك فقال ليس لك عليه نفقة وقد جاء تفسير هذه البتة في الحديث الصحيح
انه طلقها ثلاثا فلم يجعل لها النبي صلى الله عليه وسلم سكنى ولا نفقة فقد اجاز عليه الثلاث
واسقط بذلك نفقتها وسكنهاها وفي المسند ان هذه الثلاث كانت جميعا فردى من
حديث الشعبي ان فاطمة خاصمت اخا زوجها النبي صلى الله عليه وسلم لما اخرجها من الدار
ومنها من النفقة فقال مالك والابنة قيس قال يا رسول الله ان اخي طلقها ثلاثا جميعا
وذكر الحديث ومنها ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا طلق امرأته

مر

ثلاثا

ثلاثا فزوجت فطلقت فسيل النبي صلى الله عليه وسلم التحلل الاول قال لاحي يذوق عسيلتها
كما ذاق الاول ووجه الدليل انه لم يستفصل هل طلقها ثلاثا مجموعا او متفرقا ولو
اختلف الحال لوجب الاستفصال ومنها ما اعتمد عليه الشافعي في قصة الملاءمة
ان عويمرا الجملا في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اريد رجلا وجمعة
امرأته رجلا فيقتله فتقتلونه ام كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله
فيك وفي صاحبك اذهب فافت بها قال سمعت فتلاعنا وانا مع الناس عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من تلاعنا قال عويمر كذبت عليهما يا رسول الله ان امسكنها
فطلقها ثلاثا قبل ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزهري وكانت تلك سنة
الملاءمة متفق على صحته قال الشافعي فقد اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على الطلاق
ثلاثا ولو كان حراما ما اقره عليه ومنه ما رواه النسائي عن محمد بن لبيد قال اخبرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاثا فطلقها جميعا فقام غضبا
ثم قال يلعب بكنا الله وانا بين اظهركم حق قائم رجل فقال يا رسول الله الا اقله
ولم يقل انه لم يقع عليه الا واحد بل الظاهر انه اجازها عليه اذ لو كانت زوجته
ولم يقع عليها الا واحد لبين له ذلك لانه انما طلقها ثلاثا يعتد لزومها فلو لم
تلتزم لقال له هي زوجته بعد وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ومنها
ما رواه ابو داود وابن ماجه عن ركانة انه طلق امرأته البتة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما اردت قال واحد قال الله ما اردت بها الا واحد قال الله ما اردت بها الا
واحدة ورواه الترمذي وفيه فقال يا رسول الله اني طلق امرأتى البتة فقال ما
اردت بها قلت واحد قال والله قلت والله قال فهو ما اردت قال ابو داود وهذا
اصح من حديث ابن جريج ان ركانة طلق امرأته ثلاثا وقال ابن ماجه سمعت ابا الحسن
علي بن محمد الطنطا فيقول ما اشرف هذا الحديث قال ابو عبد الله بن ماجه ابو عبد الله
ناحية واحمد جين عنه روجه الدلالة انه حلفه ما اراد بها الا واحدة وهذا يدل
على انه لو اراد بها اكثر من واحدة لا لزوم ذلك ولو كانت واحدة مطلقا لم يفرق
الحال بين ان يريد واحدة او اكثر واذا كان هذا في الكناية فكيف في الطلاق الصريح
اذا صرح فيه بالثلاث ومنها ما رواه الرازي في حديث حماد بن زيد عن عبد الله بن

عن سمعيل بن عمار قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول سمعت معاوية بن جندب يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا معاوية من طلق البعدة واحدة او اثنتين
او ثلاثا الزمناه بدعته ومنها ما رواه الدارقطني من حديث ابراهيم بن عبيد
بن عباد بن الصامت عن ابيه عن جده قال طلقوا بعض اباي امراته البتة فانطلقوا
بنوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان ابانا طلق امراته الفاضل له من خرج
فقال ان اباكم لم يتق الله فيجعل له مخرجاً بانث منه ثلاث على غير السنة وتسع مائة
وسبعة وتسعون اثم في غنقه ومنها ما رواه الدارقطني ايضا من حديث زاذان عن علي
سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا طلق البتة فغضب وقال تتخذون ايا الله هزوا ولعا
من طلق البتة الزمناه ثلاثا لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ومنها ما رواه الدارقطني
من حديث الحسن البصري قال ثنا عبد بن عمر انه طلق امراته وهي حائض ثم اراد ان
يتبعها بطلقين آخرتين عند القرون فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر
ما هكذا امر الله تعالى انك قد اخطأت السنة السنة ان تستقبل الطهر فتطلق عند
ذلك او امسك فقلت يا رسول الله اريد لو طلقها ثلاثا اكان يحل لي ان اراجعها قال
لا اكانت تبين منك وتكون معصية ومنها ما رواه ابو داود والنسائي عن حماد بن
زيد قال قلت لابيوب هل علمت احدا قال في امرك بيدك انما ثلاث غير الحسن قال لا ثم
قال اللهم غفرا اما حديث قتادة عن كثير مولا سمرة عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جد هن جد هن لهن جد النكاح والطلاق والرجعة
فلقيت كثيرا فسالته فلم يعرفه فرجعت الى قتادة فاخبرته فقال شي رواه الترمذي
وقال لا يعرفه الا من حديث سليمان بن حرب عن حماد بن زيد وحسبك بسليمان
بن حرب وحماد بن زيد ثقتين ثبتين ومنها ما رواه البيهقي من حديث سويد بن
غفلة عن الحسن انه طلق عايشة الخثعمية ثلاثا ثم قال لولا اني سمعت جدي
او حديثي الي اني سمع جدي يقول انما رجل طلق امراته ثلاثا عند الاقرا او ثلاثا بمهمل
لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره لراجعها رواه من حديث ابن عميد سألته عن الفضل
عن عمرو بن ابي قيس عن ابراهيم بن عبد الله عن سويد وهذا مرفوع قالوا في هذا
الاحاديث اكثر واشهر وعاقبتها اصح من حديث ابي الصمها وحديث بن جرير عن عكرمة

عن ابن عباس فيجب تقديمها عليه ولا سيما على قاعدة الامام احمد فانه يقدم الاحا
ديث المتعددة على الحديث الفرد عند التعارض وان كان الحديث متأخرا كما قدم
في احاد الروايات احاديث تحترم الادعية على حديث بريدة لكونها كثيرة متعددة
وحديث بريدة في اباحتها فرد وهو متأخرفا قال كنت نائما عن الانتباه في الاوعيه
فاشربوا فيما بدا لكم غير الاشر بوا مسكرا مع انه حديث صحيح رواه مسلم ولا يعرف
له غلة قال البخاريون هذه الاحاديث التي ذكرتموها ولم تدعوا بعدها شيئا هي
احاديث صحيحة لا مطعون فيها ولا حجة فيها وهي احاديث صحيحة الدلالة لكنها باطلة
او ضعيفة لا يصح شي منها ونحن نذكر ما فيها للبين الصواب ونزيل الاشكال اما حديث
فاطمة بنت قيس فمن اصح الاحاديث مع ان اكثر المنازعين لنا في هذه المسئلة قد خا
لفوه ولم ياخذوا به فاجبوا للمبتوتة النفقة والسكنى ولم يلتفتوا الى هذا الحديث ولا
علموا به وهذا قول ابي حنيفة واصحابه واما الشافعي ومالك فاجبوا اليها السكنى و
الحديث قد صرح فيه بانه لا نفقة لها ولا سكنى فخالفوه ولم يعلموا به فان كان الحديث
صحيحا وهو حجة فهو حجة عليكم وان لم يكن محفوظا بل هو غلط كما قال بعض المتقدمين
فليس حجة علينا في جمع الثلاث فاما ان يكون حجة لكم على منازعتكم عليكم وليس حجة لهم عليكم
فبعيد من العدل والانصاف وهذا مع اننا نزل عن هذا المقام ونقول الاحتجاج بهذا الحديث
فيه نوع سيمون المحتاج به ولو نال طرق الحديث وكيف وقعت القصص المحتج به فان الثلاث
المذكورة فيه لم تكن مجمعة وانما كان قد طلقها بطلاقين قبل ذلك ثم طلقها اضر الثلاث
هكذا جاء مصرحاً به في الصحيح فروى مسلم في صحيحه عن عبيد بن عبد الله بن عتبة ان ابا
عمرو بن حفص بن المغيرة خرج مع علي بن ابي طالب الى اليمن فارسل الى امراته فاطمة بنت
قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وامر لها العارف بن هشام وعياش بن ابي ربيعة
بنفقة فقالا لا اله الا الله ما لك نفقة الا ان تكوني حاملا فانت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت
له قولهما فقال لا نفقة لك وساق الحديث في هذا المفسر بين ذكر الجمل وهو قوله طلقها
ثلاثا وقال الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن فاطمة بنت قيس انها اخبرته
انما كانت عند ابي حفص بن المغيرة وان ابا حفص بن المغيرة طلقها اضر ثلاثا بطلاق
وساق الحديث ذكره ابو داود ثم قال وذكره رواه صالح بن كيسان وابن جرير وشعيب

بن ابي حمزة كلهم عن الزهري ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن
عبيد الله قال ارسل مروان الى فاطمة فساها فاحبته انها كانت عندي في حفصة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم امر علي بن ابي طالب على بعض اليم فخرج معه زوجها فبعث اليها
بتطبيقه كانت بعيت وذكر الحديث بنماه والواسطة بين مروان وبينها هو قبيصة
بن ذؤيب كذا ذكره ابو داود في طريق اخرى فهذا بيان حديث فاطمة قالوا ونحن اخذنا
به جميعه ولم نخالف شيئا منه اذ كان صحيحا صريحا لا مطعون فيه ولا معارض له فمن
خالفه فهو محتاج الى الاعتذار وقد جاء هذا الحديث بخمسة الفاظ طلقها ثلاثا وطلقها
البنت وطلقها اخر ثلاث تطليقات وارسل اليها بتطبيقه كانت بعيت لها وطلقها ثلاثا
جميعا هذه جملة الفاظ الحديث وبالله التوفيق واما اللفظ الخامس وقوله طلقها جميعا
ثلاثا فهذا اولى من حديث مجاهد عن الشعبي ولم يقل ذلك عن الشعبي غيره مع كثرة من
روى هذه القصة عن الشعبي فتقدم مجاهد على ضعفه من بينهم بقوله ثلاثا جميعا وعلى
تقدير صحته فالمراد به انه اجتمع لها التطليقات الثلاث لانها وقعت بكلمة واحدة
فاذا طلقها اخر ثلاث صح ان يقال طلقها ثلاثا جميعا فان هذه اللفظة يراد بها تأكيد
العدد وهو الاغلب عليها لا الاجتماع في الان الواحد كقوله لقا ولو شاركتك لامن من
في الارض كلهم جميعا فالمراد حصول الايمان من الجميع لا ايمانهم في ان واحد سابقهم
ولا حقهم **فصل** وكذا ما ذكره من حديث عائشة رضي الله عنها ان رجلا طلق
امراته ثلاثا فسئل النبي صلى الله عليه وسلم هل تحل للاول فقال لا الحديث هو صحيح المصير
اليه لكن ليس فيه انه طلقها ثلاثا بغير واحد فلا دخل فيه ما ليس فيه وقولكم ليس
يستفصل جوابه ان الحال كان عندهم معلوما ان الثلاث انما تكون ثلاثا واحدة بعد
واحدة وهذا مقتضى اللغة والقران والشرع والعرف كما بينا فخرج الكلام على المذهب
المتعارف من لغة القوم **فصل** واما ما تقدم عليه الشافعي من طلاق الملاعن
ثلاثا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره فلا دليل فيه لان الملاعنة تحرم عليه مسا
كمها وقد حر عليه تحريما موبدا فمازاد الطلاق الثلاث هذا التحريم الذي هو مقتضى
مقصود اللعان الا انك اذ وقوه وهذا جواب شيخنا رحمه الله وقال ابن المنذر وقد ذكر
الدالة على تحريم جمع الطلاق الثلاث وانه بدعة ثم قال واما ما اعتل به من راي ان يطلق

الثلاث في مرة واحدة مطلق للسنة بحديث العجلائي فانما اوقع الطلاق عنده على
اجنبية علم الزوج الذي طلق ذلك اولم يعلم لان قابله يوقع الفرقة بالتعان الرجل
فان تلحق المراه فغير جائز ان يحجج بمثل هذه الحجة من يرى ان الفرقة تقع بالتعا
ن الزوج وحده انتهى **وحينئذ** فنقول اما ان تقع الفرقة بالتعان الزوج وحده
كما يقول الشافعي او بالتعانها كما يقول احمد ونقف على تفريق الحاكم فان وقعت
بالتعان او بالتعانها فالطلاق الذي وقع منه لغو لم يقدشها البنت بل هو طلاق
في اجنبية وان وقعت الفرقة على تفريق الحاكم فهو تفريق بينهما تفريقا محرما
عليه تحريما موبدا فالطلاق الثلاث اكد هذا التحريم الذي هو موجب اللعان
ومقصود الشارع فكيف بالحقوق طلاق غير الملاعنة وبينهما اعظم فرق **فصل**
واما حديث محمود بن لبيد في قصة المطلق ثلاثا فالاحتجاج به على الجواز من باب
قلب الحقائق والاحتجاج باعظم ما يدل على التحريم على الاباحة والاستدلال به على
الوقوع من باب التكمين والحرص والزيادة في الحديث ما ليس فيه ولا يدل عليه بشي
من وجوه الدلائل البتة ولكن المقلد لا يبالي بنصرة تقليد بما اتفق له وكيف يظن
برسول الله صلى الله عليه وسلم انه اجاز عمل من استمرز بكنا بانه وصحة واعتبره في شرعه
وحكمه ونفذه وقد جعله مستهزا بكتاب الله وهذا صريح في ان الله سبحانه لم يشرك
جمع الثلاث ولا جعله من احكامه **فصل** واما حديث ركانه انه طلق امراته
البنت وان رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلفه ما اراد بها الا واحدة فحديث لا يصح
قال ابو الفرج بن الجوزي في كتاب العلل قال احمد حديث ركانه ليس بشي وقال
الحلال في كتاب العلل عن الاثر قلت لا يبيح حديث ركانه في البنت فضعفه وقال
ذاكر جعله بيينه وقال شيخنا رحمه الله الائمة الكبار والعارفون بعلم الحديث كالامام
احمد والبخاري وابي عبيد وغيرهم ضعفوا حديث ركانه البنت وكذا ابو محمد بن حزم
وقالوا ان رواته قوم مجاهيل لا تعرف عدالتهم ولا ضبطهم قال وقال الامام احمد
حديث ركانه انه طلق امراته البنت لا يثبت وقال ايضا حديث ركانه في البنت
ليس بشي لان ابن اسحق بن بريده عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس
ان ركانة طلق امراته ثلاثا اهل المدينة يسمون من طلق ثلاثا طلق البنت

فان قيل قد قال ابو داود حديث البنت اصح من حديث ابن جريج ان ركانه طلق امراته ثلاثا ان اهل بيته اعلم يعني وهم الذين رووا حديث البنت فقال شيخنا في الجواب ابو داود انما رجع حديث البنت على حديث محمد بن جريج لانه روى حديث ابن جريج من طريق فيها مجهول قال شا احمد بن صالح ثنا عبد الرزاق عن ابن جريج اضر بعض ولد ابي رافع عن عكرمة عن ابن عباس طلق عبد بن ركانه واخوته ام ركانه ثلاثا الحديث ولم يروي الحديث الذي رواه احمد بن مسنده عن ابراهيم بن سعد حديثي عن محمد بن اسحق شاذ ابو داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس طلق ركانه بن يزيد اسوة ثلاثا في محاسن واحد فلم يراجح ابو داود حديث البنت على حديث ابن جريج ولم يتعرض لهذا الحديث ولا رواه في سننه ولا ريانا اصح من الحديثين وحديث ابن جريج شاذ له وعاضده فاذا انضم حديث ابي الصمها الى حديث ابن اسحق الى حديث ابن جريج مع اختلاف مخارجهما وبعد طرقهما فادت العلم بانها اقوى من حديث البنت بلا شك ولا يمكن من شتم رواج الحديث ولو على بعد ان يرتاب في ذلك فكيف يقدم الحديث الضعيف الذي ضعفه الائمة ورواه مجاهد على هذه الاحاديث **فصل** واحاديث معاذ بن جبل فلقد وهت مسئلة يجتمع فيها بغير هذا الحديث الباطل والدارقطني انما رواه للمعرفة وهو اجل من ان يجتمع به وفي اسناده اسمعيل بن امية الدارقي روي عن حماد قال الدارقطني بعد روايته واسمعيل بن امية متروك الحديث **فصل** واحاديث عبادة بن الصامت الذي رواه الدارقطني فقد قال عقيبا اخراجه رواه مجهولون وضعفا الاشيجنا وابن عبد الباق في **فصل** واحاديث زاذان عن علي رضي الله عنه في روي اسمعيل بن امية القرشي قال الدارقطني اسمعيل بن امية هذا كوفي ضعيف الحديث قلت في اسناده مجاهد ضعفا **فصل** واحاديث الحسن بن ابن عمر فهو مثل هذه الاحاديث الضعاف قال الدارقطني ثنا محمد بن عبد الحافظ ثنا محمد بن شاذان الجوهري ثنا علي بن منصور ثنا شعيب بن زريقان عطا الخراساني حديثهم عن الحسن بن عبد الله بن عمر فذكره وشعيب وثقه الدارقطني وقال ابو الفتح الازدي فيه لين وقال البيهقي وقد روي هذا الحديث هذه الزيادات انفراد فيها شعيب قد كملوا فيه انتهى ولا ريب ان

يعلم
ان هذا

الثقات الاثبات الائمة رووا حديث ابن عمر هذا فلم يأت احد منهم بما اتى به شعر البنت ولهذا لم يرو حديثه احد من اصحاب الصحيح ولا السنن واحاديث كثير مولى سمرة عن ابي سلمة عن ابي هريرة فقد انكره كثير لما سئل عنه وشمل هذا البعيد ان ينسب وقد اعلى اليه في هذا الحديث وقال كثير لم يثبت من معرفته ما يوجب الاحتجاج به قال وقولا العامة بخلاف روايته وقد ضعفه عبد الحق في احكامه وابن حزم في كتابه واحاديث سويد بن غفلة عن الحسن بن رواته محمد بن حميد الرازي قال ابو زرعة الرازي كذاب وقال صالح بن جزرة ما رايت احدا بالكذب منه ومن الشاذ كوفي وسنة بن الفضل قال ابو حاتم منكر الحديث وان كان رواه شتي فقد ضعفه اسحق بن راهوي وغيره **فصل** فلما راى اخرون ضعف هذا المسلك استردحوا الى مسلك اخر وظنوا انهم قد استراحوا به من كلفة التاويل ومنشقة فقالوا الاجماع على قد انفرد على لزوم الثلاث وهو اكثر من خبر الواحد كما قال الشافعي الاجماع اكثر من الخبر المنفرد وذلك ان الخبر يحد الخطا والوهم على رواته بخلاف الاجماع فانه معصوم قالوا ومن سنوق عن الصحابة والتابعين ما يبين ذلك فثبت في صحيح مسلم ان عمر رضي الله عنه اضنى عليهم الثلاث ودافعة الصحابة قال سعيد بن منصور ثنا سفيان عن شقيق سمع انس يقول قال عمر في الرجل يطلق امراته ثلاثا قبل ان يدخل بها قال هي ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وكان اذا اوتي به اوجعه وروي البيهقي من حديث ابن ابي ليلى عن علي رضي الله عنه فيمن طلق ثلاثا قبل الدخول قال لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وروي حاتم بن اسمعيل عن جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره وروى ابو نعيم عن الاعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن بعض اصحابه جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال طلقت امراتي الفاقال ثلاث تحلها عليك واقسم سايرها بين نسائك قال علقمة بن قيس راى رجلا ابن مسعود فقال ان رجلا طلق امراته البارحة فاية قال قلتم امرأة واحدة قال نعم قال تريدان تبين منك امرائك قال نعم قال هو كما قلت وانا رجلا فقال انه طلق امراته البارحة عند النجوى فقال له مثل ذلك ثم قال قد بين الله امر الطلاق فمن طلق كما امر الله فقد بين له ومن لبس جعلنا به لبسه والله لا لبسوا على انفسكم وتكلموا عنكم هو كما تقولون

وروي مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان عن محمد بن اياس
ابن البكير قال طلق رجل امراته ثلاثا قبل ان يدخل بها ثم بدله ان ينكحها فجازى
فذهبت معه اسالة فسال ابا هريرة وابن عباس عن ذلك فقالا لا تنكحها حتى
تنكح زوجا غيره قال انما كان طلاقا في اياها واحدة قال ابن عباس انك قد ارسلت
ليك ما كان لك من فضل وفي الموطأ ايضا في هذه القضية ابن البكير سال عن ابن
الزبير فقال ان هذا امر بالنافية قول اذهب الي ابن عباس وابي هريرة فاني تركتهما
عند عائشة فسلمهما ثم اتنا فاحبنا فذهب فسالهما فقال ابن عباس لا يهريرة
افنه يا ابا هريرة قد جانتك معظلة فقال ابو هريرة الواحدة بينهما والثلاث تحرمها
حتى تنكح زوجا غيره وقال ابن عباس مثل ذلك فمذه عائشة لم تنكح عليهما والابن
يبرور في الموطأ ايضا عن النعمان بن ابي عياش عن عطاء بن يسار قال جاء رجل يستقي
عبد بن عمر اذا طلق امراته ثلاثا قبل ان يدخل بها قال عطاء فقلت انما طلاقك
واحدة فقال لي عبد الله انما انت قاص الواحدة بينهما والثلاث تحرمها حتى تنكح
زوجا غيره وروي عبيد الله عن نافع عن ابن عمر اذا طلق امراته ثلاثا قبل ان يدخل بها
لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره وروي البيهقي من حديث معاذ بن معاذ ثنا شعبة
عن طارق بن عبد الرحمن سمعت قيس بن ابي عاصم قال سال رجل المغيرة وانا شاهد
عن رجل طلق امراته مائة فقال ثلاثه تحرم وسبعة وتسعون فضلا وروي البيهقي
عن سويد بن غفلة قال كانت عائشة الخثعمية عند الحسن فلما قل علي رضي الله عنه
قالت لئلا تنكح الخلفة فقال بقل علي تظهرين الشبهة اذهبي فان طلق يعني ثلاثا
فلفعت بشيائها وقعدت حتى قضت عدتها فبعت اليها ببقية بقيت من صداقها وعشر
الا فصدقه فقالت لما جاءها الرسول شاع قليل من حبيب مفارق فلما بلغه قولها بكى
وقال لولا اني سمعت جدي او حدثني ابي انه سمع جدي يقول لما رجل طلق امراته ثلاثا
عند الاقراء او ثلاثا بمهمة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره لراجمها وقال الامام احمد ثنا
محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عطاء بن السائب عن علي رضي الله عنه انه قال في المحرمات والبنات
والباين والخلية والبرية ثلاثا ثلاثا قال شعبة فليقت عطا فقلت من علي قال
ابو البخاري قال احمد وانا اهاهما لا اجيب فيما لا يروى عن عائشة الناس انما ثلاث

حد

علي وزيد

علي وزيد وابن عمر وعائشة النابغة واما ابن عباس فروى عنه مجاهد وسعيد بن
جبير وعطاء بن ابي رباح وعمر بن دينار ومالك بن الحارث ومحمد بن اياس بن البكير
ومعاوية بن ابي عياش وغيرهم انه الزم بالثلاث من اوقعتها جملة قال الامام احمد
قد ساله الاثرم هاي شي ترد حديث ابن عباس كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واي بكر وعمر طلاق الثلاث واحدة باي شي تدفعه قال برواية الناس عن ابن عباس
من وجوه خلا فتم ذكر عدة عن ابن عباس انها ثلاث والى هذا يذهب وذكر البيهقي
ان رجلا اتى عمران بن الحصين وهو في المسجد فقال رجل طلق امراته ثلاثا في
مجلس واحد فقال ثم بربيه وحرمت عليه امراته فانطلق الرجل فذكر ذلك لابي موسى
يريد بذلك عيبه فقال لا تروى الى عمران قال كذا وكذا فقال ابو موسى اكثر الله فينا مثل الي
نجيد قالوا في هذا عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبد بن مسعود وعبد بن عمرو
عبد بن عمرو وعبد بن عباس وعبد بن الزبير وعمران بن حصين والمغيرة
بن شعبة والحسن بن علي رضي الله عنهم اجمعين واما التابعون فاكثروا من ان يذكروا
والاجماع ثبت بدون هذا ولما احكامه غير واحد منهم ابو بكر بن العربي وابو بكر
الرازي وهو ظاهر كلام الامام احمد فانه قال في رواية الاثرم وذكر قول من قال
اذا خالف السنن يرد الى السنن وليس بشي فقال هذا مذهبنا فافضه وظاهر هذا ان
القول بالرجوع اجماع اهل السنن قال الاضرون قد عرفتم ما في دعوى الاجماع الكاذبة
لم يعلم له مخالفاته راجع الى عدم العلم لا الى العلم بانقضاء المخالف وعدم العلم ليس
بعلم حتى يحتاج به ويقدم على النصوص الثابتة هذا اذا لم يعلم مخالف فكيف اذا علم
المخالف حينئذ فتكون المسئلة مسألة نزاع يجب ردها الى الله ورسوله تعرض
لالحق الوعيد به فان الله تعالى يقول فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا ثبت ان المسئلة مسألة نزاع وجب قطعها
ردها الى كتاب الله وسنة رسوله وهذه المسئلة مسألة نزاع بلا نزاع بين اهل
العلم الذين هم اهل العلم والنزاع فيها من عهد الصحابة الى وقتنا هذا وبيان ذلك من
وجوه احدها ما رواه ابو داود وغيره من حديث حماد بن زيد عن ايوب عن عكرمة
عن ابن عباس اذا قال انت طلق ثلاثا بغير واحد فهي واحدة وهذا الاسناد على

شرط البخاري وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن ايوب قال دخل الحكم بن عتيبة
على الزهري بمكة وانا معهم فسالوه عن البكر تطلق ثلاثا فقال سئل عن ذلك ابن
عباس وابو هريرة وعبد بن عمر فكلهم قالوا لا تحمل له حتى تنكح زوجا غيره قال
فخرج الحكم وانا معه فاتي طاووسا وهو في المسجد فاكب عليه فساله عن قول ابن عباس
فيها واخبره بقول الزهري قال فرأيت طاووسا رفع يديه تعجبا من ذلك وقال والله
ما كان ابن عباس يجعلها الا واحدة اخبرنا ابن جريح قال واخبرني حسن بن مسلم
عن ابن شهاب بن ابن عباس قال اذا طلق الرجل امراته ثلاثا ولم يجمع كن ثلاثا اي
اذا كن متفرقات فدل على انه اذا جمعهم كانت واحدة وهذا هو الذي حلف عليه
طاووسان ابن عباس كان يجعله واحدة ونحن لا نشك ان ابن عباس صح عنه
خلاف ذلك وانما ثلاث فماروايتان ثابتتان عن ابن عباس بلا شك **الوجه**
الثاني ان هذا مذهب طاووس هذا قال عبد الرزاق اخبرنا ابن جريح عن ابن
طاووس عن ابيه انه كان لا يرى طلاقا ما خالف وجه الطلاق ووجه العدة و
انه كان يقول يطلقها واحدة ثم يدعيها حتى تنقضي عدتها وقال ابو بكر بن ابي شيبة
شا اسمعيل بن علي عن ليث عن طاووس وعطاء انهما قالوا اذا طلق الرجل امراته
ثلاثا قبل ان يدخل بها فهي واحدة **الوجه** الثالث انه قول عطاء بن ابي رباح
قال ابن شعبة ثنا محمد بن بشير شا اسمعيل عن قتادة عن طاووس وعطاء وجابر
بن زيد انهم قالوا اذا طلقها ثلاثا قبل ان يدخل بها فهي واحدة **الوجه** الرابع انه
قول جابر بن زيد كما تقدم **الوجه** الخامس ان هذا مذهب محمد بن اسحق حكاه
عنه الامام احمد في رواية الاثرم ولفظه شا سعد بن ابراهيم عن ابيه عن ابن اسحق
عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان ركانة طلق امراته ثلاثا فجعلها
النبي صلى الله عليه وسلم واحدة قال ابو عبد الله وكان هذا مذهب ابن اسحق يقول خالف
السنة في ذلك السنة **الوجه** السادس انه مذهب اسحق بن راهويه في البكر قال
محمد بن نصر المروزي في كتاب اختلاف العلماء وكان اسحق يقول طلاق الثلاث
للبكر واحدة وتناول حديث طاووس عن ابن عباس كان الطلاق الثلاث على عهد رسول
صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر يجعل واحدة هذا قال فان قال لها ولم يدخل بها انت طالق

انت طالق

انت طالق انت طالق فان سفيان واصحاب الراي والشافعي واحمد وابو عبيدة
قالوا بان منه بالاولى وليست الثنتان بشيء لان غير المدخول بها تبين بواحدة و
لا عدة عليها وقال مالك وربيعة واهل المدينة والاوزاعي وابن ابي ليلى اذا قال لها ثلاث
مرات انت طالق نسقاً متتابعة حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره فان هو سكت بين
التطليقتين بانته بالاولى ولم تلحقه الثانية فصارت في وقوع الثلاث بعد الدخول بها
ثلاثة مذهب للحنابلة والثابعين ومن بعدهم احدها انها واحدة سواء قالها بلفظ
واحدة او بثلاثة الفاظ والثاني انها واحدة سواء وقع او وقع الطلاق بلفظ واحد
او بثلاثة الفاظ والثالث انه ان وقعها بلفظ واحد فهي ثلاث وان وقعها
بثلاثة الفاظ فهي واحدة **الوجه** السابع ان هذا مذهب عمرو بن دينار في الطلاق
قبل الدخول قال ابن المنذر في كتابه الاسط وكان سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح
وعطاء وعمرو بن دينار يقولون من طلق البكر ثلاثا فهي واحدة **الوجه** الثامن
انه مذهب سعيد بن جبير كما حكاه ابن المنذر وغيره عنه وحكاه الثعلبي عن سعيد
بن المسيب وهو غلط عليه انما هو مذهب سعيد بن جبير **الوجه** التاسع انه مذهب
الحسن البصري الذي استقر عليه قال ابن المنذر واختلف في هذا الباب عن الحسن
عنه كما روينا عن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر قتادة وحيد بن يونس عنه انه رجع عن
قوله بعد ذلك فقال واحدة بآية وهو الذي ذكره ابن المنذر رواه عبد الرزاق في المصنف
فقال اخبرنا معمر عن قتادة قال سالت الحسن عن الرجل يطلق البكر ثلاثا فقال الحسن وما
بعد الثلاث فقلت صدقت وما بعد الثلاث فافتي الحسن بذلك من ان رجوع وقال واحدة
بينهما وحط بها فقالت حياة **الوجه** العاشر انه مذهب عطاء بن يسار قال عبد الرزاق
اخبرنا مالك عن يحيى بن سعيد عن بكير عن نعمان بن ابي عياش قال سالت رجل عطاء بن
يسار عن الرجل يطلق البكر ثلاثا قل انما طلاق البكر واحدة فقال له عطاء بن يسار
العاص انما انت قاصص الواحدة بينهما والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجا غيره فذكر
عطاء مذهبهم وعبد الله بن عمر ومذهب **الوجه** الحادي عشر انه مذهب خلاس بن
عمرو حكاه بشير بن الوليد عن ابي عبيد بن يوسف عنه **الوجه** الثاني عشر انه مذهب محمد
بن مقاتل الرازي حكاه عنه المازري في كتابه المعجم بنو ابي مسلم قال الخطيب

ظ

حدث عن عبد الله المبارك وعباد بن العوام ووكيع بن الجراح والي عاصم النبيل
 عنه الامام احمد والبخاري في صحيحه وكان ثقة الوجه الثالث عشر احدى
 الروايتين عن مالك حكاها عنه جماعة من المالكية منهم النلسا في صاحب شجرة الخلا
 وعزاه الى ابن زبادة حكاها رواية عن مالك وحكاها غيره قولاً في مذهب
 مالك وجعله شاذاً الوجه الرابع عشر ان ابن مغيث المالكي حكاها في كتاب الوثائق له و
 هو مشهور عند المالكية عن بضعة عشر فقيها من فقهاء طليطلة المقيمين على مذهب مالك هكذا
 قال واحتج لهم بان قوله انت طالق ثلاثا كذب لانه لم يطلق ثلاثا ولم يطلق الاوا
 حدة كما لو قال احلف ثلاثا كان يمينا واحداً ثم ذكر مجموع الحديث الوجه الخامس
 عشر ان ابا الحسن علي بن عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عيسى صاحب كتاب الوثائق الكبير
 الذي لم يصنف في الوثائق مثله حكى الخلاف فيما عن السلف والخلف حتى عن المال
 لكية انفسهم فقالوا ما من قال انت طالق ثلاثا فقد بانت منه قال البتة ولم يقل قال وقال
 بعض المؤثرين يريد المصنفين في الوثائق اختلاف اهل العلم بعد اجتماعهم على انه يطلق
 كم يلزم من الطلاق فالجمهور من العلماء على انه يلزم ثلاث وبعه القضا وعليه الفتوى
 وهو الحق الذي لا شك فيه قال وقال بعض السلف يلزم من ذلك طلقة واحدة و
 تابعهم على ذلك قوم من الخلف من المفتين بالاندلس قال واحتملوا على ذلك بحجج كثيرة
 واحاديث مسطوره اضربنا عنها واقتصرنا على الصحاح منها فها ما رواه داود بن
 الحصين عن عكرمة عن ابن عباس ان ركانة طلق زوجته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثلاثاً في مجلس واحد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما هي واحدة فان شئت فدعها
 وان شئت فارتجعها ثم ذكر حديث ابي الصميا وذكر بعضنا وثلاثة التي ذكرناها
 الوجه السادس عشر ان ابا جعفر الطحاوي حكى القولين في كتابه تهذيب الآثار فقال
 باب اذا طلق الرجل امراته ثلاثاً معاً ثم ذكر حديث ابي الصميا ثم قال فذهب قدم الى
 ان الرجل اذا طلق امراته ثلاثاً معاً فقد وقع عليها واحدة اذا كانت في وقت سنته
 وذلك ان تكون طهر في غير جماع واحتجوا في ذلك بهذا الحديث وقالوا لما كان الله
 عز وجل لما امر عباده ان يطلقوا الوقت على صفة فطلقوا على غير ما امرهم به لم يقع
 طلاقهم الا مرة لو ان رجلاً امر رجلاً ان يطلق امراته في وقت فطلقها في غير وقت

في
الحصلي

ان يطلقها

ان يطلقها على شريطة فطلقها على غير تلك الشريطة ان طلاقه لا يقع اذا كان قد خا
 لف ما امر به ثم ذكر في الاخيرين والجواب عن حج هؤلاء على عادة اهل العلم والدين في
 انصافهم الفهم والبحث معهم ولم يسلك طريق جاهل ظالم معتدي برك على ركبته ويجوز
 عينيه ويصول بمنصبه لا بعلمه وبسوق قصده لا بحسن فهمه ويقول بهذه المسئلة كفر
 يوجب ضرباً العقول يثبت خصمه وينعه من بسط لسانه والمجزي بعه في ميدانه والله
 سبحانه عند لسان كل قابل وهو له يوم الوقوف بين يديه عما قاله مسابيل الوجه السابع
 عشر ان شيخنا حكى عن جده ابي البركات انه كان يفتي بذلك احياً ناسراً وقال في بعض
 مصنفاته هذا قول بعض اصحاب مالك في حنفية واحمد قلت اما المالكية فقد حكيت
 الخلاف عنهم واما اصحاب ابي حنيفة فان محمد بن مقاتل من الطبقة الثانية من اصحاب
 ابي حنيفة واما اصحاب احمد فان كان اراد فتياً جده بذلك احياً ناسراً او افق على نقل
 احد منهم الوجه الثامن عشر قال ابو الحسن المنبسطي في وثائقه وقد ذكر الخلاف
 في المسألة ثم قال ومن بعض مجموعهم ايضا في ذلك ان الله تعالى امر بتفريق الطلاق بقوله
 الطلاق مرتان واذا جمع الانسان ذلك في كلمة كان واحدة وكان ما زاد عليها لغوا
 كما جعل ما ذكره الله الذي روي السبع جمرات في مرة واحدة جمرة واحدة وبني عليها
 فالطلاق عندهم مثله قال ومن نصر هذا القول من اهل القيا بالاندلس اصبح بن الجبا
 ومحمد بن بقر ومحمد بن عبد السلام الخشني وابن زبائج مع غيرهم من نظرائهم هذا الفقه
 الوجه التاسع عشر ان ابا الوليد هشام بن عبد الله هشام الازدي القرطبي صا
 حب كتاب مفيد الحكم فيما يعرض لهم من النوازل والاحكام ذكر الخلاف بين السلف
 والخلف في هذه المسئلة حتى ذكر الخلاف فيها في مذهب مالك نفسه وذكر من كان يفتي بها
 من المالكية والكتاب مشهور ومعروف عند اصحاب مالك كثير الفوائد جدا ونحن نذكر
 نصه فيه بلفظه فنذكر ما ذكره عن ابي مغيث ثم نتبعه كلامه ليعلم ان النقل بذلك
 معلوم متداول بين اهل العلم وان من قصر في العلم باعمه وطال في الجهل والظلم ذراع
 يبادر الى التكفير والعقوبة جهلاً منه ويحمله وهو انه في العلم ليس منه اقرب رُحماً
 قال ابن هشام قال ابن مغيث الطلاق ينقسم على ضربين طلاق السنة وطلاق البتة
 فطلاق السنة هو الواقع على الوجه الذي نذهب الشريعة اليه وطلاق البتة نفيضه
 وهو ان يطلقها في حبس او نفاً او ثلاثاً في كلمة واحدة فان فعل لزمه الطلاق

القول

ثم اخلف اهل العلم بعد اجمعهم على انه مطلق كم يلزمه من الطلاق فقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما تكرر الطلاق واحد وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقال ثلثا لا معنى له لانه لم يطلق ثلاث مرات وانما تكرر قوله في ثلاث اذ كان مخبرا عما مضى فيقول طلق ثلاثا يخبر عن ثلاثة افعال كانت منه في ثلاثة اوقات كرجل قال قرأت امس سورة كذا وكذا ثلاث مرات فكذلك يصح ولو قرأها مرة واحدة فقال قرأتها ثلاثا لكان كاذبا وكذلك لو حلف بالله ثلاثا يرد الحلف كانت ثلاثة ايمان ولو قال احلف بالله ثلاثا لم يكن حلفا لا يمينا واحدة والطلاق ^{مثله} قال الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما رويانا ذلك عن ابن وضاح وبه قال من شيوخ فرطية ابن زبناج شيخ همد ومحمد بن بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الخشاشي فقيه عصره واصبغ بن الحباب وجماعة سواهم من فقهاء قرطبة وكان من حجة ابن عباس ان الله تعالى فرق في كتابه لفظ الطلاق فقال لا الطلاق مران فامساك بمعروف واستترجك باحسان يريد ان الطلاق الذي يمكن بعده الامساك بالمعروف وهو الرجعة في العدة ومعنى قوله واستترجك باحسان يريد انك لا تخرجها حتى تنقضي عدها وفي ذلك احسان اليه واليه ان وقع ندم منها قال تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا يريد الندم على الفرقة والرغبة في المراجعة وموقع الثلاث غير حسن لانه ترك المندوحة التي وسع الله بها وبنه عليها فذكر سبحانه لفظ الطلاق مع رفاة لانه اذا جمع انه لفظ واحد قد يرد وقد يخرج من غير ما مسئلة من الرواية ما يدل على ذلك فذكر قول الرجل مالي صدقة في المساكين ان الثلث من ذلك يجزيه هذا كله لفظ صاحب الكتاب بحروفه افتري الجاهل الظالم المعتدي يجعل هؤلاء كلهم كفرا لا مباحة دماؤهم سبحانه هذا بهتان عظيم بل هؤلاء من اكابر اهل العلم والدين وذوهم عند اهل العلم اهل التقليد كونهم لم يرضوا لانفسهم بما يرضى به المقلدون ورد واما تنازع فيه لمسلمون الى الله ورسوله وتلك شكاة ظاهرة عند عارها **الوجه العشرون** ان هذا مذهب اهل الظاهر داود واصحابه وذوهم عند كثير من الناس اخذهم بكتاب الله وسنة نبهم وبندهم القياس وراء ظهورهم فلم يعباوا به شيئا وخالفهم محمد بن حزم في ذلك واباح جمع الثلاث وادفعها فمذهبي عشرون وجها في اثبات النزاع في هذه المسئلة بحسب بعضنا المراجعة من الكتب والا فالذي لم نقف عليه من ذلك كثير وقد حكى ابن وضاح وابن مغيث

ذكر عن علي وابن مسعود والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وابن عباس رضي الله عنهما ولعله احد الروايتين عنهما والا فليصح بلا شك عن ابن مسعود وعلي والزبير وابن عباس الزام بالثلاث لمن اوقعها بجملة وصح عنه ابن عباس انه جعلها واحدة ولم تقف على نقل صحيح عنه غيره من الصحابة بذلك فذكر ذلكم نعتا ما حكى عنهم في الوجوه المبينة للنزاع وانما نعد ما وقفنا عليه في مواضعه ونعزوه اليها وبالله التوفيق فان قيل فقد ذكرتم اعذار الائمة الملتزمين بالثلاث عن تلك الاحاديث المخالفة لنقلهم فاعذر كم انتم عن ائمة المؤمنين وثاني الخلف الراشد بن المحدث الملمم الذي امرنا بالتباعد عنه والافتقار اليه افطنون به انه كان يرسو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده و الصحابة في عهده يجعلون الثلاث واحدة مع انه ليس على الامة واسهل وابعد من المخرج ثم يعمد الى مخالفة ذلك براهيه ويلزم الامة بالثلاث من قبل نفسه فيضيق عليهم ما وسعه الله ويسر ما سهره ويسد ما فتحه ويخرج ما فسحه ثم يتابع على ذلك اكابر الصحابة ويوافقونه ولا يخالفونه ثم هب انهم خافوا منه في حياته وكلا فان كان اتقى الله من ذلك وكان اذا بينت له المرأة ما خفي عليه من الخورج اليه وكان الصحابة اتقى الله وعلم به ان تاخذهم لومة لائم في الحق وان يمسكوا عنه خوفا من عمر فقد ارادوا ان يمسكوا عنه خوفا من عمر رضي الله عنه والصحابة معه وبين رد تلك الاحاديث اما الضعفاء واما النسخة او في علينا النسخة واما بنا وبليها وحملها على محمل يصح ولا يربك هذا اول لتوفية حق الصحابة الذين هم اعلم بالله ورسوله من جميع من بعدهم فصل في عمر والله ان هذا السؤال يورد اضاله اهل العلم وانه ليجتاج الى جواب شاف كاف فنقول الناس هاهنا طائفتان طائفة اعتدلت عن هذه الاحاديث لاجل عمر ومن وافقه وطائفة اعتدلت عن عمر ولم ترد الاحاديث فقالوا الاحكام نوعان نوع لا يتغير عن حاله واحدة هو علمه لا بحسب الازمنة ولا الامكنة ولا الجناس الايمية كوجوب الواجب ونحوه من المحرمات والمحدود المفد وبالشروع على الجرائم ونحو ذلك فهذا لا يتطرق اليه تغير ولا اجتهاد بخالفوا ما وضع عليه والنوع الثاني يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا لا يفتادير التعزيرات واجناسها وصفاتها فان الشارعية تنوع فيها بحسب اقتضاء المصلحة فشرع التعزير بالقتل لمن اخرج في المرة الرابعة وعن علي التعزير بتجريد البيوت

على المتخلف عن حضور الجماعة لو كان مانعة من تعدي العقوبة الى غير من يستحقها
من النساء والذرية وعز وجلهم ان النصيب المستحق من السلب واخبر عن حكمهم
تعزير مانع الزكاة باخذ شرط ماله وعزير بالعقوبات المالية في عدة مواضع من
مثل عبده باخراج عنه واعناق عليه وعزير بتضييع الغرم على سارق ما لا يخط
فيه وكاتم الضالة وعزير بالهجر ومنع قربان النساء ولم يعرف انه عزير بدرة ولا سوط
ولا حبس وانما حبس في تهمة لينبين حال المتهم وكذلك اصحابه تنوعوا في التعزير
بعد فكان عمر يحلق الراس وينفي ويضرب ويحرق حوائث النخارين والغرفة التي يباع
فيها الخمر وحرق قصر سعد بالكوفة لما احتجب فيه عن الرعية وكان له رضي الله عنه في
التعزير اجتماعه وافقه عليه الصحابة كمال نصحه ووفور علمه وحسن اختياره للامه
وحدوث اسباب اقتضت تعزيره لهم بما يرد عنهم لم يكن فلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او
كانت ولكن زاد الناس وتناهبوا فيها فمن ذلك انهم لما زادوا في شرب الخمر وتناهبوا فيه
وكان قليلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله عمر كثمانين ونفي فيه ومن ذلك
اتخافه درة يضرب بها من يستحق الضرب ومن ذلك اتخاذه دار للسجن و
من ذلك ضربه للنوايح حتى بدا شعورها وهذا باب واسع اشبه فيه على كثير من
الناس الاحكام الثابتة للرافعة التي لا تتغير بالتعزيرات التابعة للمصالح وجوا
وعدا ومن ذلك انه رضي الله عنه لما رأى قد اكثروا من الطلاق الثلاث وراى انهم
لا يستهون عنه الا بعقوبة وراى الزامهم بها عقوبة لهم ليكفروا عنها وذلك ما من
التعزير العارض الذي يفعل عند الحاجة كما كان يضرب في الخمر ثمانين ويحلق فيها
الرأس وينفي عن الوطن وكما منع صلى الله عليه وسلم الذين خلفوا عنه عن الاجتماع بنساء
ثم فهدله وجهه واما ظنا ان يجعل الثلاث واحدة كان مشروطا بشرط وقد زال
كما ذهب الى ذلك في متعة الحج اما مطلقا واما متعة الفسخ فهذا وجه اخر واما
لقيام مانع قام في زمانه منع من جعل الثلاث واحدة كما قام عنده مانع من بيعها
الاكاد ومانع من اخذ الجزية من نصارى بني تغلب وغير ذلك فهذا وجه ثالث
فان الحكم ينبغي لا يتغير بشرطه اولا وجود مانع والالزام بالفرقه فسخا او طلاقا
لمن لم يبق بالواجب مما يسوغ فيه الاجتماع ولكن تارة يكون حق المرأة كما في الفنة واليلا

والعجز عن النفقة والغيبة الطويلة عند من يرى ذلك وتارة يكون حق الزوج كما
لعيوب المانعة له من استيفاء المعقود عليه او كماله وتارة يكون حق الله كما في تقريب
الحكمين بين الزوجين عند من يجعلهما وكيلين وهو الصواب وكما في وقوع الطلاق
بالمعوى اذ لم ينف في مدة التبرص عند كثير من السلف والخلف وكما قال بعض السلف و
فهم عليه بعض اصحاب اهلنا اذ انطأ وعاء على الانيان في الدبر فرق بينهما وقرئ
من ذلك ان الاب الصالح اذا امر ابنه بالطلاق لما يراه من مصلحة الولد فعليه ان يطيعه
كما قاله احمد وغيره واحتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم امر علي بن عمر ان يطيع اباه لما امره
بطلاق زوجته فالالزام اما من الشارع واما من الامام بالفرقه اذ لم يبق الزوج با
لواجب هو من موارد الاجتهاد واصل هذا هو ان الله سبحانه لما كان يبغض الطلاق
لما فيه من كسر الزوجة وموافقة رضي عده بالليس حيث يفرج بذلك ويلتزم من يكون
على يده من اولاده ويدينه منه ويفارقة طاعته بالككاح الذي هو واجب ومستحب
وتعريض كل من الزوجين الى الفجور والمعصية وغير ذلك من مفساد الطلاق وكان مع
ذلك قد يحتاج الى الزوج او الزوجه وتكون للمصلحة فيه شرع على وجه تحصل به
المصلحة وتندفع به المفسدة وحرمة على غير ذلك الوجه فشرعه على احسن الوجوه
واقومها لمصلحة الزوج والزوجه فشرع له ان يطلقها طاهرا من غير جماع طلقة
واحدة ثم يدعيها حتى تقضي عدتها فان زال الشوبينها وحصلت الموافقة كان له
سبيل الى المثلث واعادة الفراش كما كان والآن كما حتى انقضت عدتها فان تبعتها
نفسه كان له سبيل الى خطبتها وتجدد العقد عليها برضاها وان لم تبعتها نفسها تركها
فناكحت من شاء وجعل العدة ثلاثة قروا ليطول زمن الحمل والاختيار فهذا
هو الذي شرعه واذن فيه ولم ياذن في ابانتها بعد الدخول الا بالتراضي بالفسخ
والافتداء فاذا طلقها مرة بعد مرة بقوله طلقة واحدة فاذا طلقها الثالثة حرها عليه
عقوبة له ولم يحل له ان ينكحها حتى تنكح زوجا غيره يدخل بها ثم يفارقها بموت او طلاق
فاذا علم ان حبسته نصير الى غيره ففقط به دونه امسك عن الطلاق فلما رأى اير
المؤمنين ان الله سبحانه عاقب المطلق ثلاثا بان حال بينه وبين زوجته وحرمتها
عليه حتى تنكح زوجا غيره علم ان ذلك لكرهه الطلاق المحرم وبغضه له فوافقه المير

في عقوبته لمن طلق ثلاثا جميعا بان الزمة بها وامضاها عليه فان قيل فكان اسهل
من ذكر ان يمنع الناس من ايقاع الثلاث ويحرمه عليهم ويعاقب بالضرب والثاق
من فعله لثلاث يقع المحذور الذي يترتب عليه قيل نعم لعمر الله قد كان يمكن ذلك ولذا
نظم عليه في اخر اياته وود انه كان فعله قال الحافظ ابو بكر الاسعدي في مسند عريضة
ابو يعلى ثا صا لحن مالك شاخا الدين بن زيد بن ابي مالك عن ابيه قال قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ما ندمت على شيء نذرتي على ثلاث ان لا اكون حرمت الطلاق وعلى ان لا
اكون حرا انكحت الموالى وعلى ان لا اكون قلت النوايح ومن المعلوم انه رضي الله عنه
لم يكن مراده تحريم الطلاق الرجعي الذي اباحه الله وعلم بالضرورة من دين رسول الله
صلى الله عليه وآله جوازه ولا الطلاق المجرى الذي اجمع المسلمون على تحريمه كالطلاق
في الحيض وفي الطهر المجامع فيه ولا الطلاق قبل الدخول الذي قال الله فيه
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تقرضوهن فربضه هذا كله من
ابن المحال ان يكون عمر اراه فتبين قطعا انه اراد تحريم ايقاع الثلاث فعلم انه
انما كان اوقعها لاعتقاده جواز ذلك ولذلك قال ان الناس قد استعملوا في شيء
كانت لهم فيه اناة فلو اضيناه عليهم وهذا كالنصر في انه غير حرام عنده و
انما اعضاءه لان المطلق كانت له فسحة من الله في التفرقة فرغب عما فسحه الله
له الى الشدة والتغليظ فامضاه عمر عليه فلما تبين بالآخرة ما فيه من الشر والفساد
نظم على ان لا يكون حرم عليهم ايقاع الثلاث ونعهم منه وهذا هو مذهب الاكثر
مالك واحمد وابو حنيفة فرأى عمران المفسدة تندفع بالزامهم به فلما تبين له ان
المفسدة لم تندفع بذلك وما زاد الامر الا شدة اخبر ان الاولى كان عدوله الى تحريم
الثلاث الذي يدفع المفسدة من اصلها وانذاع هذه المفسدة عما كان عليه الامر
في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وابي بكر واول خلافة عمر اولى من ذلك كله ولا يند
فع الشر والفساد بغيره البتة ولا يصلح للناس سواه ولهذا لما رغب عنه كثير من
الناس اجابوا الى احد امرين لا بد لهم منها اما الدخول فيما لعن رسول الله صلى الله عليه وآله
فاعله وتابع عليه للعنة واما الالتزام الاضرار والاخلال وروية جسيمة حسرة
والذي شرعه الله ورسوله ودلت عليه السنة الصريحة الصحيحة تخلص من هذا

وهذا ولكن تاتي حكمة الله ان يفتح للظالمين المتعدين لحدوده الراغبين عن تقواه
وطاعة ابواب اليسر والفرج والسهول فان الله سبحانه انما جعل ذلك لمن اتقاه
والتم طاعته وطاعة رسوله كما قال تعالى في السورة التي بين فيها الطلاق واحكام
نه وحدوده وما شرعه لعباده فيها ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
يتق الله يجعل له من امره يسرا وقال فيها ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
فمن طلق على غير تقوى الله كان حقيقا ان لا يجعل له مخرجا وان لا يجعل له من امره
يسرا وقد اشار الى هذا بعينه الصحابة حيث قال ابن عباس وابن مسعود لمن طلق
ثلاثا جميعا انكم تلقى فيجعل لكم مخرجا قال شعبة عن ابن ابي نجیح عن مجاهد عن
ابن عباس عن رجل طلق امراته سنة فقال عصيت ربك وبانت منك امراتك انكم تتقوا الله
فيجعل لكم مخرجا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال الا عشر عن مالك بن الحارث عن ابن
عباس ان رجلا اتاه فقال ان عني طلق امراته ثلاثا فقال ان عني عصي الله فاندبه الله
واطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا فقال فلا يجعلها له رجل فقال من يخاف الله يخاف
والله ثقا قد جرت سنة في خلقه بان يحرم الطيبات شرعا وقدرا على من ظلم وتعدى حده
وعصى امره وان يبسر للعسر من بخل بما امر به فلم يفعل واستغنى عن طاعة بآبائ
ع شهواته وهواه كما انه سبحانه يبسر لليسر من اتقى عطي واتقى وصدق بالحسن
فهذا نهاية اقدام الناس في باب الطلاق يبقى ان يقال فاذا اخفى على اكثر الناس حكم الطلاق
ولم يفرقوا بين الحلال والحرام منه جهلا او وقعوا الطلاق المحرم يظنون جازيا اهل
يستحقون العقوبة بالالزام به كونهم لم يتعلموا دينهم الذي امرهم الله به واعر
صواعقه ولم يسألوا اهل العلم كيف يطلقون وماذا ابيح لهم من الطلاق وماذا
يحرم عليهم منه ام يقال لا يستحقون العقوبة لان الله سبحانه لا يعاقب شرعا ولا
قدرا الا بعد قيام الحجج ومخالفة امره كما قال تعالى وما كنا نعذبهم حتى نبعث رسولا
واجمع الناس على ان الحدود لا تجب الا على عالم بالتحريم متعمدا لا تركا بسببها
والتعزيرات ملحقه بالحدود فهذا موضع نظر واجتهاد وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
النائب من الذنب كمن لا ذنب له فمن طلق على غير ما شرعه الله واباحه جاهلا ثم علم
به فندم وتاب فهو حقيق بان لا يعاقب وان يفتى بالخروج الذي جعله الله لمن اتقاه
ويجعل له من امره يسرا والمقصود ان الناس لا بد لهم في باب الطلاق من احد

ثلاثة ابواب يدخلون منها احدها باب العلم والاعتماد الذي بعث الله به
سوله وشرعه للامة رحمة بهم واحسانا اليهم والثاني باب الاصر والاعلال الذي
فيه من العسر والشدة والشقة ما فيه والثالث باب المكرو والاحتيال الذي فيه من الخداع
والتحيل والتلاعب بجدد الله واتخاذ اياته هزوا ما فيه ولكل باب من المطلقين
وغيرهم جزء مقسوم **فصل** ومن مكايده التي كاد بها الاسلام
واهل الحيل والمكر والخذاع الذي تتضمن تحيل ما حرمه الله واسقاط ما فرضه
ومضادته في امره ونهيه وهي من الراي الباطل الذي اتفق السلف على ذمه فان
الراي ^{الذي} يكون في النصوص وتشمده له بالصحة والاعتبار فهو الذي اعتبره السلف
عملوا به وراي يخالف النصوص وتشمده له بالابطال والاهدار وهو الذي ذمه
وانكره وكذلك الحيل نوعان نوع يتوصل به الى فعل ما امره الله به وترك ما نهى
عنه والتخلص من المحرام وتخليص الحق من الظالم المانع له وتخليص المظلوم
من يد الظالم الباغي فهذا النوع محمود يشاب فاعله ومعلمه ونوع يتضمن اسقاط
الواجبات وتحليل المبررات وقلب المظلوم ظالما والظالم مظلوما والحق باطلا
والباطل حقا فهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه وصاحوا باهله من اقطار
الارض قال الامام احمد لا يجوز شي من الحيل في ابطال حق مسلم وقال الليثوني
قلت لا يبيح الله حلف على يمين ثم احتال لابطالها فهل يجوز ذلك الحيلة قال
نحن لا نرى الحيلة الا بما يجوز قلت ليس حيلتنا فيها ان نبتع ما قالوا واذا
جدنا لم قولنا في شئ ابتعناه قال بلى هكذا هو قلت او ليس هذا منا نحن
حيلة قال نعم فبين الامام احمد ان من ابتاع ما شرعه الله وجأ عن السلف في معا
في الاسماء التي علفت بها الاحكام ليس بمحتمل الحيل المذمومة وان سميت حيلة
فليس الكلام فيها وعرض الامام احمد بهذا الفرق بين سلوك الطريق المشروعة
التي شرعت لحصول مقصود الشارع وبين الطريق التي تسلك لابطال مقصود
فهذا هو سر الفرق بين النوعين وكلامنا الان في النوع الثاني **قال شيخنا**
الذي عليه تحريم هذا النوع وابطاله من وجوه الوجه الاول قوله سبحانه ومن
الناس من يقول لا منا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين

امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون وقال ان المنافقين يخادعون الله
وهو خادعهم وقال في اهل العهد وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
فاخبر سبحانه ان هؤلاء المخادعين يخدعون وهم لا يشعرون وان الله خا
وع من خدعهم وانه يكفي المخدوع شر من خدعه والمخادعة هي الاحتيال والمرا
وعة باظهار الخبر مع ابطان خلافه ليحصل مقصود المخادع وهذا موافق
لاشتقاق اللفظ من اللغة فانهم يقولون طريق خيدع اذا كان مخالفا للقصد
لا يشعرون ولا يفطن له ويقال للسرايب الخيدع لانه يغرب من رايه وضيق خيدع اي
مراوغ كما قالوا الخيدع من ضيق منه الحرب خدعه وسوق خادعه اي متلونه
واصله الاخفاء والستر ومنه سميت الخزانة مخدعا فلما كان القابل امت مظهرا
لهذه الكلمة غير مرديد حقيقتها المطلوبة شرعا بل مرديد حكمها او ثمرتها فقط مخا
دعا كان المتكلم بلفظة بعث واشترت وطلقت ونكحت وخالعت واجرت
وساقبت واقترضت غير مرديد لحقايقها الشرعية المطلوبة منها شرعا بل مریدا
لا مورا اخرى غير ما شرعت له مخادعا اذا كان مخادع في اصل الايمان وهذا مخا
وع في اعماله وشرائعه **قال شيخنا** وهذا ضرب من النفاق في ايات الله وحده
كما ان الاول نفاق في اصل الدين يريد ذلك ما رواه سعيد بن منصور عن ابن عباس
انه جاء رجل فقال ان عني طلق امراته ثلاثا يحلها له رجل فقال من يخادع الله
يخدعه وعن انس بن مالك انه سئل عن العينة يعني بيع الحرية فقال ان الله لا
يخدع هذا ما حرم الله ورسوله رواه ابو جعفر محمد بن سليمان المحافظ المعروف
بمطين في كتاب البيوع له وعن ابن عباس انه سئل عن العينة يعني بيع الحرية
فقال ان الله لا يخدع هذا ما حرم الله ورسوله رواه المحافظ ابو محمد النخعي
فسمي الصعابة من اظهر عقد البايع وبمقصوده به الربا خداعا لله وهم المروجع
اليهم في هذا الشأن والمحول عليهم في فهم القرآن وقد تقدم عن عثمان وعبد
بن عمر وغيرهما انهما قالوا في المطلقة ثلاثا لا يحلها الا نكاح رغبة لا نكاح دلس
وقال اهل اللغة المد السنة المخادعة وقال يوب السخيا في المخالين يخادعون
الله كأنما يخادعون الصبيان فلواتوا الامر عيانا كان اهلون علي وقال شريك

بن عبد الله القاضي في كتاب الجبل هو كتاب المخادعة وكذلك المعاهدون اذا اظهروا
 للرسول صلى الله عليه وسلم انهم يريدون سلمه ومقصودهم بذلك الكربة ومن حيث لا يشعر
 فيظهرون له امانا ويبتغون له خلافة كما ان المحلل والمرابي يظهران النكاح والبيع
 المقصودين ومقصود هذا الطلاق بعد استقراض المرأة ومقصود الاخر ما تواطأ عليه
 قبل اظهار العقد من بيع الالف الحالة بالف وما يئين الى اجل فيخالفه ما يدل عليه العقد
 شرعا وعرفا خديعة قال وتخلص ذلك ان مخادعة الله حرام والمخيل مخادعة
 لله بيان الاول ان الله ذم المنافقين بالمخادعة واخبرانه خادعهم وخدعه للعبد
 عقوبة تستلزم فعله للحرم وبيان الثاني ان ابن عباس والناس وغيرهما من الصحابة
 والتابعين افتوا ان التحليل ونحوه من الخيل مخادعة لله وهم اعلم بكتاب الله النافق
 في ان المخادعة اظهر رشي من الخير وابطان خلافه كما تقدم الثالث ان المنافق لما
 اظهر الاسلام ومراده غيره سمي مخادعا لله وكذلك المرابي فان النفاق والربا من باب
 واحد فاذا كان هذا الذي اظهر قولاً غير معتقد ولا يريد ما يقسم منه وهذا الذي اظهر
 فعلا غير معتقد ولا يريد ما شرع له مخادعا فالمحتال لا يخرج عن احد القسمين
 اما اظهره فعل غير مقصوده الذي شرع له او اظهره قول غير مقصوده الذي شرع
 له واذا كان مشاركا لهما في المعنى الذي به سميا مخادعين وجب ان يشركهما في اسم
 الخداع وعلم ان الخداع اسم لعموم الخيل لا لخصوص هذا النفاق الوجه الثاني ان الله
 سبحانه ذم المستهزين بابانه والمنكح بالاقوال التي جعل الشارع لها حقايق وقفا
 صدق مثل كلمة الايمان وكلمة الله التي تستعمل بها الفروج ومثل العهد والمواثيق التي
 بين المتعاقدين وهو لا يريد بها حقايقها المقومة لها ولا مقاصدها التي جعلت
 هذه الالفاظ محصلة لها بل يريد ان يراجع المرأة ليضربها ويسبي عورتها ولا احا
 جة له في نكاحها او ينكحها ليحلها لمطلقها لا ليخذلها زوجة او يخلعها له
 ليلبسها او يبيع بيعا جائزا ومقصوده به ما حرمه الله ورسوله هو من اتخذ
 آيات الله هزوا **الوجه الثالث** ما رواه ابن ماجه باسناد حسن
 عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يلعبون بحجود
 الله ويستهمزون باياته طلقتك راجعتك طلقتك راجعتك فاجعل المنكح بهذه

خ
 الحقايق

العقود

العقود غير مرید ليقف بها وما شرعته مستهزئا بايات الله متلاعبا بحجود
 ورواه ابن بطة باسناد جيد **الوجه الرابع** ما رواه النسائي عن مجاهد بن لبيد
 ان رجلا طلق امراته ثلاثا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يلعب بكتاب الله وانما
 بين اظهركم الحديث وقد تقدم فجعله لاعبا بكتاب الله مع قصده الطلاق لكنه خالف
 وجه الطلاق واراد به غير ما اراد الله به فان الله سبحانه اراد ان يطلق طلاقا
 يملك فيه المرأة اذا نشأ فطلق طلاقا لا يملك فيه ردها وايضا فان المرتين
 والمرات في لغة القرآن والسنة بل ولغة العرب بل ولغات سائر الاصم لما كان مرة
 بعد مرة فاذا جمع المرتين والمرات في مرة واحدة فقد تعد حله والله وما دل عليه كتابه
 فكيف اذا رلا باللفظ الذي رتب عليه الشارع حكما ضد ما قصده الشارع **الوجه**
 الخامس ان الله تعالى اخبر عن اهل الجنة الذين يلاهم بما يلاهم به في سورة النور وانه
 عاقبهم بان ارسل على جنهم طائفا وهم نائمون فاصبحت كالصريم وذكر تحيلوا على
 اسقاط نصيب المساكين بان يصرموها فصبحوا قبل مجي المساكين فكان في ذلك عبرة
 لكل محتال على اسقاط حق من حقوق الله او حقوق عباده **الوجه السادس** ان الله
 سبحانه اخبر عن اهل السبت من اليهود بمسخهم قرده لما احتالوا على اباحة ما حرمه
 الله عليهم من الصيد بان نصبوا الشباك يوم الجمعة فلما وقع فيها الصيد اخذوه يوم
 الاحد قال بعض الائمة في هذا زجر عظيم لمن يتعاضد على التحيل على المناهي الشرعية
 ممن تلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه اذ الفقيه من يخشى الله يحفظ حدوده وتعظيم
 حرمانه والوقوف عند هذا السر التحيل على اباحة محاربه واستقاط فرايضه و
 معلوم انهم لم يستحلوا ذلك تكذيبا لموسى وكفرا بالتوراة وانما هو استحلال تاويل و
 احتيال ظاهر الاتفا وباطنه باطن الاعتداء ولهذا الله اعلم سخا قرده
 لان صورة القرود فيها شبهة من صورة الانسان وفي بعض اوصافه شبهة منه وهو مخالف
 له في الحد والحقيقة فلما مسخ اولئك المعتدون دين الله بحيث لم يتمسكوا الا
 بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته **الوجه السابع** قرده يشبهونهم في
 بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاؤا فاقا **الوجه الثامن** ان بني
 اسرائيل كانوا اكلوا الربا واموال الناس بالباطل كما قصه الله سبحانه في كتابه و

ذلك اعظم من اكل الصيد المحرم في يوم بعينه ولذلك كان الربا والظلم حراما في شريعتنا
والصيد يوم السبت غير محرم فيها ثم ان اكله الربا واموال الناس بالباطل لم يعا
قبوا بالمسح كما عوقب به مستحلوا الحرام بالحيلة وان كانوا عوقبوا بجنس آخر
كعقوبات امثالهم من العصاة فيسببه والله اعلم ان هؤلاء كانوا اعظم جرما
اذا هم بمنزلة المنافقين ولا يعترفون بالذنب بل قد فسدت عقيدتهم واعمالهم كانت
عقوبتهم اغلظ من عقوبة غيرهم فان من اكل الربا والصيد المحرم عالما بان حرام فقد
اقرن بمعصيته اعترافه بالتحريم وهو ايمان بالله واية ويترتب على ذلك من
خشية الله ورجاء مغفرته وامكان التوبة ما قد يقضي الى خير ورحمة ومن اكله
مستحلا بنوع احتيال تاوّل فيه فهو مصر على الحرام وقد اقرن به اعتقاد الفاسد
في حل الحرام وذلك قد يقضي به الى شرط بل قد جاء ذكر المسح في عدة احاديث قد تقدم
بعضها في هذا الكتاب كقوله في حديث ابي مالك الاشعري الذي رواه البخاري في صحاحه
يسح اخرون قردة وخنازير الى يوم القيمة وقوله في حديث انس ليبين رجال على اكل و
شرب وعزف فيصيحون على ارايكهم مسوخين قردة وخنازير وفي حديث ابي امامة بييت
قوم على شرب الخمر وضرب القيان فيصيحون قردة وحديث عائشة يكون في امي خسف
ومسح وقذف وفي حديث ابي امامة ايضا بييت قوم من هذه الامة على طعم وشرب لهوى
فيصيحون وقد مسخو قردة وخنازير وفي حديث عمران بن حصين يكون في امي قد
ومسح وخسف وكذلك في حديث سهل بن سعد وكذلك في حديث علي بن ابي طالب قوله
قلير نفبو عند ذلك رجاء همرا وخسفا ومسحا وفي حديثه الاخر مسح طائفة من امي
قردة وطائفة خنازير وقوله في حديث انس يكون في هذه الامة خسف وقذف ومسح وفي
حديث ابي هريرة يسح اقوام من هذه الامة في اخر الزمان قردة وخنازير قالوا يا
رسول الله اليس يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قال بلى ويصومون و
يصلون ويحجون قال فما لهم قالوا اتخذوا الحازف والدوف والقيانات فباتوا على
شربهم ولهوهم فاصبحوا وقد مسخو قردة وخنازير وفي حديث جبير بن نفير
ليبتل اخر هذه الامة بالرجف فان تابوا تاب الله عليهم وان عادوا عاد الله عليهم
بالرجف والقذف والمسح والصواعق وقال سالم بن ابي الجعد لياتين على الناس زمان

يجتمعون فيه على باب رجل ينظرون ان يخرج اليهم فيطلبون اليه الحاجة فيخرج
اليهم وقد مسخ قردة او خنازير وليمرن الرجل على الرجل في حانوته يبيع فيرجع اليه
وقد مسخ قردة او خنازير وقال ابو هريرة لا تقوم الساعة حتى يمشي الرجلان الى امر
يعملانه فيمسح احدهما قردة او خنازير ولا يمنع الذي يجانها ما راي بصاحبه ان يمضي
لشانه ذلك حتى يقضي شهوته منه وحتى يمشي الرجلان الى الامر يعملانه فيمسح احدهما
فلما منع الذي يجانها ما راي بصاحبه ان يمضي لشانه ذلك حتى يقضي شهوته منه وقال
عبد الرحمن بن عوف بن عثمان ان ثقال رجلا يطحنان فيمسح احدهما والاخر
ينظروا قال مالك بن دينار بلغني ان رجلا تكون في اخر الزمان وظلم فيفزع الناس الى
علمائهم فيجدونهم قد مسخوا وقد ساق هذا الحديث والاشار وغيره بابا سايندها
ابن ابي الدنيا في كتابه الملاحى والمسح على صورة القردة والخنازير واقع في هذه الامة
ولا بد وهو واقع في طائفتين علماء السوء الكاذبين على الله ورسوله الذين قلبوا دين
الله وشرعه فقلب الله صورهم كما قلبوا دينه والمجاهرين المتمكنين بالفسق والمحارم
ومن لم يسح منهم في الدنيا مسح في قبره او يوم القيمة قد جاء في حديث الله اعلم بحاله
يحشر اكلة الربا يوم القيمة في صورة الخنازير والكلاب من اجل جيلهم على الربا كما مسح
اصحابه او دلاحيالهم على اخذ الحيتان يوم السبت وبكل حال فالمسح لاجل الاستحلال
لربا لا احتيال قد جاء في احاديث كثيرة قال شيخنا وانما اذا استحلوا هذه المحرمات با
لتاويلات الفاسدة فانهم لو استحلوها مع اعتقاد ان الرسول حرمها كانوا كفارا
ولم يكونوا من امته ولو كانوا معترفين بانها حرام لا وشك ان لا يعاقبوا بالمسح كسائر
الذين يفعلون هذه المعاصي مع اعترافهم بانها معصية ولما قيل لهم يستحلون فان
المستحل للشيء هو الذي يفعله معتقدا حله فيسببه ان يكون استحلالهم للخمر يعني به
انهم يسمونها بغير اسمها كما جاء في الحديث فيشربون الابنية المحرمة ولا يسمونها خمر او
استحلوا المحارف باعتقادهم ان آلات اللهو مجرد مسح صوت فيه لذة وهذا لا يحرم
كما صوات الطيور واستحلال الخمر وسائر انواعه باعتقادهم انه حلال في بعض
الصور كحال الحرب وحال الحكمة ونحوهما فيقيسوا عليه سائر الاحوال ويقولون لا
فرق بين حال وحال وهذه التاويلات ونحوها واقعة في الطوائف الثلاث الذين

قال فيهم عبد الله المبارك وهل افسد الدين الا الملوك واحباوسؤورهبانها
ومعلوم انها لا تغني عن اصحابها من الله شيئا بعد ان بلغ الرسول وبين تحريم هذه
هذه الاشياء فانما قاطعا للعدو مقيما للحجة والحديث الذي رواه ابو داود بسنا
صحيح من حديث عبد الرحمن بن عوف عن ابي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس من فاس من ادني الخمر يسمى بها بغير اسمها يعزف على راسهم بالمعازف
والمغنيات بخسف الله بهم الارض ويجعل منهم القردة والخنازير الوجه الثامن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات ونما لكل امرئ ما نوى الحديث وهو
اصل في ابطال الحيل وبه اخرج البخاري على ذلك فان من اراد ان يعامل معاملة يجهل
فيها الغالب فخرس مائة الى اجل فافرضه تسعماية وباعه ثوبا بستماية يساوي مائة
انما نوى باقتراض التسعماية تحصيل الرزق الزايد وانما نوى بالسقاية التي اظهر
انها ثمن الربا والله يعلم ذلك من صدر قلبه وهو يعلم ومن عامله يعلم من اطاع
على حقيقة الحال يعلم فليس له من عمله الا ما نواه وقصد حقيقة من اعطا الفحالة
واخذ الف وخسماية بوجهة وجعل صورة القرض وصورة البيع محلا لهذا المحرم
الوجه التاسع ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيعة
بالخيار حتى يتفرقا الا ان تكون صفقة خيار ولا يحل له ان يفارقه خشية ان يستقبله
رواه اهل السنن وحسنه الترمذي وقد استدله الامام احمد وقال فيه ابطال الحيل و
وجه ذلك ان الشارح اثبت الخيار الى حين التفرق الذي يفعله المتعاقدان بداعي طبا
عما فحرم صلى الله عليه وسلم ان يقصد المفارقة من الاخر من الاستقالة وهي طلب الفسخ
سوا كان العقد لازما او جائزا لانه قصد بالتفرق غير ما جعل التفرق في العرف
له فانه قصد به ابطال حق اخيه من الخيار ولم يوضح التفرق لذلك انما جعل التفرق
في لذهاب كل منهما في حاجته وقصاحته الوجه العاشر ما روى محمد بن عمرو عن ابي
سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تركبوا ما ارتكبت اليهود وتسكنوا
فحرم الله باذي الحيل رواه ابو عبد الله بطه شا احمد بن محمد بن سلام شا الحسن
بن الصباح الزعفراني شايزيد بن هارون شا محمد بن عمرو وهذا السناد جيد
يصح مثله الترمذي وهو نص في تحريم استحلال حرام الله بالحيل وانما ذكره صلى الله

عنه اذ في الحيل منبها على ان مثل هذا المحرم العظيم الذي قد توعده الله عليه عما
ربه من لم ينته عنه فمن اسهل الحيل على من اراد فعله ان يعطيه مثلا الفا او درهما
باسم القرض ويبيعه خرقا تساوي درهما بضمها وكذلك المطلق ثلاثا من اسهل
الاشياء عليه ان يعطي بعض السفها عشرة دراهم مثلا ويستعيره لينزو على مطلقه
فتطيل له بخلاف الطريق الشرقي فانه يصعب معه عودها حلا لا اذ من الممكن ان لا
يطلق بل ان يموت المطلق او لا قبله ثم انه صلى الله عليه وسلم نهانا عن التشبه باليهود
وقد كانوا احتالوا في الاصطيات يوم السبت بان حفروا خنادق يوم الجمعة يقع
فيها الجبنان يوم السبت ثم ياخذونها يوم الاحد وهذا عند المحتالين جائز لان فعل
الاصطيات لم يوجد يوم السبت وهو عند الفقهاء حرام لان المقصود هو الكف عما
ينال به الصيد بطريق التسبب او المباشرة ومن احتياهم انه سبحانه لما حرم عليهم
اكل الشحم تاويلوا ان الراد نفسا دخالة الفم وان الشحم هو الجامد دون المذاب فجلوه
فباعوه واكلوا ثمنه وقالوا ما اكلنا الشحم ولم ينظر في ان الله اذا حرم الانتفاع
بشيء فلا فرق بين الانتفاع بعينه او ببذله اذ البذل يسد مسد فلا فرق بين حال
جموده وذوبه فلو كان ثمنه حلالا لم يكن في تحريمه كبير امر وهذا هو الوجه الحما
دي عشر وهو ما روى ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب عن خمر فقال قاتل الله فلانا
الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرم عليهم الشحم فجلوها
فباعوها متفق عليه قال الخطابي جلوهها معناه اذ ابوها حتى تصير ودكا فيرد
عنها اسم الشحم يقال حملت الشحم واجملته والجميل الشحم المذاب وعن جابر بن عبد الله
انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنازير والاصنام
فقيل يا رسول الله ارايت شحم الميتة فانه يطبخ بها السفن ويدهن بها الجلود
ويستصيح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل
الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحمها جلوهها ثم باعوه فاكلوا ثمنه رواه البخاري
واصله متفق عليه قال الامام احمد في رواية صالح وابي الحارث في احكام الحيل عند
الاسنن فاحتالوا في نقصها والشيء الذي قيل انه حرام احتالوا فيه حتى احلوه ثم اخرج بهذا
الحديث وحديث لعن الله المحلل والمحلل له قال الخطابي وقد ذكر حديث الشحم في هذا

الحديث بطلان كل حيلة يحتال بها المفسر للتوصل الى المحرم وانه لا يتغير حكمه بتغير
هيئته وتبدل اسمه وقد مثلت حيلة اصحاب الشكوك بما قبله لا تقرب الى التيمم
فباعه واخذ ثمنه فاكله وقال لم اكل نفسا الا التيمم او اشترى شيئا في ذمته ونفق وقا
لهذا قد ملكته وصار عوضه ديني فاني اكلت ما هو ملكي باطنا وظاهرا
لو ان الله سبحانه رحم هذه الامة بان ينسبها بنحوه على ما لعنت به اليهود وكان السا
بقون منها فقها انقياء علموا مقصود الشارح فاستقرت الشريعة بتحت المحرمات
من الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها وان تبدلت صورها وبمحرماتها لم ينالها طريق
الشيطان لاهل الجبل ما طرق لهم في الايمان ونحوها اذ الباب با واحد على ما لا
يخفى **الحجة الثانية** عشر بان الجبل المحرم مداره على تسمية الشيء بغير اسمه وعلى تغيير
صورته مع بقاء حقيقة مداره على تغيير الاسم مع بقاء المسمى وتغيير الصورة مع بقاء الحقيقة
فان المحلل مثلا غير اسم التحليل الى اسم النكاح واسم المحلل الى الزوج وغيره من التحليل
بان جعل صورته صورة النكاح والحقيقة حقيقة التحليل ومعلوم قطعان لعن
الرسول على ذلك انما هو لما فيه من الفساد العظيم الذي اللعنة بعض عقوبته وهذا
الفساد لم يزل بتغيير الاسم والصورة مع بقاء الحقيقة ولا يتقدم الشرط من صلب
العقد الى ما قبله بان المفسدة تابعة للحقيقة لا للاسم ولا لمجرد الصورة وكذلك
المفسدة العظيمة التي اشتمل عليها الربا لا تزول بتغيير اسمه من الربا الى المعاملة ولا بتغير
صورته من صورة الى صورة والحقيقة معلومة متفق عليها بينهما قبل العقد يعلمها
من قلوبهما عالم السرير فقد اتفقا على حقيقة الربا الصريح قبل العقد ثم غير اسم
الى المعاملة وصورته الى ما يتباح الذي لا قصد لهما فيه البتة وانما هو حيلة ومكر
ومخادعة لله والرسوله واي فرق بين هذا وبين ما فعلته اليهود من استحلال ما
حرمة الله عليهم من الشكوك بتغيير اسمه وصورته فانهم اذ ابوه حتى صاروا ذكورا وباعثوا
واكلوا ثمنه وقالوا انما اكلنا الثمن لا المثلث فلم ناكل شيئا وكذلك من استحل الخمر باسم
النبي كما في حديث ابي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البشرى بن ناس من
اوتي الخمر يسمونها بغير اسمها يعرفون على رؤسهم بالمعازف والمغنيا يخسف الله بهم الارض
ويجعلهم القرية والخنازير وانما اوتي هو لا حيث استحلوا المحرمات بما ظنوه من

الاسم ولم يلتفتوا الى وجود المعنى المحرم وثبوتة وهذا بعينه هو شبهة اليهود في
استحلال بيع الشحم بعد جملة واستحلال اخذ الجحشان يوم الاحد بما وقعوا
به يوم السبت في الخفاير والشباك من فعلهم يوم الجمعة وقالوا اليس هذا صيد يوم
السبت ولا استباحة يوم لنفس الشحم بل الذي يستحل الشرايط لمسكروا انما الله ليس
خبرنا عن علمه معناه معنى الخمر مقصوده مقصوده وعلمه علمه اشدها وبلا فان الخمر
اسم لكل شراب يسكر كما دللت عليه النصوص الصحيحة الصريحة وقد جاء هذا الحديث عن
النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه اخرى منها ما رواه النسائي عنه صلى الله عليه وسلم يشرب ناس
من اتي الخمر يسمونها بغير اسمها واسناده صحيح ومنها ما رواه ابن ماجه عن عبادة
بن الصامت يرفعه يشرب ناس من اتي الخمر يسمونها بغير اسمها ورواه الامام احمد
ولفظه ليس استحل طائفة من اتي الخمر ومنها ما رواه ابن ماجه ايضا من حديث
ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الكليالي والايام حتى تشرب طائفة من
اوتي الخمر يسمونها بغير اسمها فهو الا انما شراب الخمر استحلالا لما ظنوا ان المحرم مجر
ما وقع عليه اللفظ وان ذلك اللفظ لا يتناول ما استحلوه وكذلك شبههم في استحلال
الخمر والمعاذ فان المحرم قبل البيع للنساء وبيع للضرورة وفي الحرب وقد قال تعالى
من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والمعاذ في قد ابيع بعضهم في العرس ونحو ذلك
الحديث وبيع بعض انواع الخنا وهذه الشبهة اقوى بكثير من شبهة اصحاب التحليل فاذا كان من
عقوبة هو الا ان يمسح بعضهم قردة وخنازير في الظن بعقوبة من جرهم اعظم وفعلهم
اقبح فالقوم الذين يخسفهم ويمسخون انما فعل ذلك بهم من جهة التاويل الفاسد
الذي استحلوا به المحارم بطريق التحليل واعرضوا عن مقصود الشارح وحكمته
في تحريم هذه الاشياء لذلك مسخو قردة وخنازير كما مسخ اصحاب السبت بما تناولوا
من التاويل الفاسد الذي استحلوا به المحارم وخسف بعضهم كما خسف بقارون
لان في الخمر والمخمر والمعاذ من الكبر والخيلا ما في الزينة التي خرج فيها فاروق
فلما مسخو دين الله مسخهم الله ولم يكبروا عن الحق اذ لم الله فلما جحدوا بين الامرين
جمع الله لهم بين هاتين العقوبتين وما هي من الظالمين بعيد وقد جاء ذكر
المسخ والخسف في عدة احاديث تقدم ذكرها بعضها **فصل** وقد

اخبر صلى الله عليه وسلم ان طائفة من امته تستحل الربا باسم البيع كما اخبر عن استعمال
 الخمر باسم اخو فروى ابن بطة باسناده عن الاوزاعي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتي
 على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع يعني بالعينة وهذا وان كان مرسلًا فإنه
 صالح الاعتناء به بالاتفاق وله من المستند ما يشهد له وهي الاحاديث
 الدالة على تحريم العينة فانه من المعلوم ان العينة عند استعمالها انما يسميها بيعة
 وفي هذا الحديث بيان انما بالبيع فان الامة لم يستحل احد منها الربا الصريح وانما
 استحل باسم البيع وصورته فصورته بصورة البيع واعاروه لفظه ومن المعلوم
 ان الربا لم يحرم بمجرد صورته ولفظه وانما حرم بحقيقته ومعناه ومقصوده وتلك
 الحقيقة والمعنى المقصود قائم في الجمل الربوي كقيامها في صريحه سواء المتعاقدان
 يعلمان ذلك من انفسهما ويعلم من يشاهد حالهما والله يعلم ان مقصودهما اخير
 الربا وانما توسلا اليه بعقد غير مقصود وسمياه باسم مستعار غير اسمه ومعلوم ان
 هذا لا يرفع التحريم ولا يرفع الفسدة التي حرم الربا لاجلها بل يزيد قوتها وتأكيد
 وجوه عديدة منها انه يقدم على مطالبة الغريم المحتاج بقوة لا يقدم عليها المربي
 لانه وانما بصورة العقد واسمه ومنها انه يطالبه مطالبة من يعتد حل تلك الزيادة
 وطبها بخلاف مطالبة المربي صريحاً ومنها اعتقاده ان ذلك تجارة حاضرة مدارة
 والنفوس رغبته في التجارة فهو في ذلك بمنزلة احب امرأة حباً شديداً ويمنعه
 من وصاها كونها محروقة عليه فاحتمال ان يقع بينه وبينها صورة عقد لا حقيقة
 له يامن به من بشاعة الحرام وشناعة فصار ياتى بها احباً وهي يعلمان في الباطن انما
 ليست بزوجته وانما اظهر صورة عقد يتوصلان به الى الغرض ومن المعلوم ان هذا
 يزيد الفسدة التي حرم الحكيم الخبير لاجلها الربا قوة فان الله تعالى حرم الربا لما فيه
 من ضرر المحتاج وتعرضه للفقر الدائم والدين اللازم الذي لا ينفك عنه وتولد ذلك
 وزيادة الى غاية تبحر حاجه وتسلبه متاعه واثاثه وداره كما هو الواقع في الواقع
 فالربا اخو القمار الذي يجعل القمار سلباً حزيناً محسوراً فمن تمام حكمه الشرعية
 الكاملة المتضمنة لصلاح العباد تحريمه وتحريم الزريعة الموصلة اليه كما حرم
 الفرق في الصرف قبل القبض وان يبيعه درهما بدرهم الى اجل وان لم يكن هناك زيادة تكلف

في
 قائمة

يظن

يظن بالشارع مع كمال حكمته ان يبيح التجرد والمكر على حصول هذه المفسدة و
 قوتها زائده بتضاعف باكل احتمال فيها مال المحتاج اضعا فامضا عفة ولو سلك
 مثل هذا بعض الاطباء مع المرضى لا هلكهم فانما حرم الله ورسوله من المحرمات انما هو
 حمية لحفظ صحة القلب وقوة الايمان كما ان ما يمنع من الطبيب مما يضر المريض حمية
 له فاذا احتال المريض او الطبيب على تناول ذلك المودى بتغيير صورته مع بقا حقيقته
 وطبعه او تغيير اسمه مع بقا سمائه امر داد المريض بتناوله ولم مرضا الى مرضه وتراعى
 به الى الهلاك ولم ينفعه تغيير صورته ولا تبدل اسمه وانت اذا املت الجمل المتضمن
 لتحليل ما حرم الله عز وجل واسقاط ما اوجب وحل ما عقد وجد الامر فيها كذلك
 ووجدت المفسدة الناشئة منها اعظم من المفسدة الناشئة من المحرمات الباقية على صو
 رتها واسمايها والوجدان شاهد بذلك فانه سبحانه انما حرم هذه المحرمات وغيرها
 لما اشتملت عليه من المفسد المضرة بالدنيا والدين ولم يحرمها لاجل اسمائها وصور
 ومعلوم ان تلك المفسدات تابعة لحقايقها لا تنزل بتبدل اسمائها وتغيير صورتها
 ولولا ذلك المفسد بتغيير الصور والاسماء لما لعن الله سبحانه اليهود على تغيير صورة
 الشجر واسمه باذنته حتى استحدث اسم الودك وصورته ثم اكلوا ثمره وقالوا لم ناكله
 وكذلك تغيير صورة الصيد يوم السبت بالصيد يوم الاحد فتغيير صور المحرمات
 واسمايها مع بقا مقاصدها وحقايقها زيادة في المفسدة التي حرمت لاجلها مع تضمنه
 لمخادعة الله ورسوله ونسبة المكر والخداع والغش والنفاق الى شرعه ودينه وانه
 يحرم الشئ لمفسدة ويباحه لا عظم منها ولمذا قال ابو السخيتي في بخادعون الله
 كانوا يخادعون الصبيان ولو اتوا الامر على وجهه لكان اهون وقال صلى الله عليه وسلم
 لا تركبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بادن الجمل وقال بشر بن السري
 وهو من شيوخ الامام احمد نظرت في العلم فاذا الحديث والراي فوجدت في الحديث
 ذكر النبيين والمرسلين وذكر الموت وذكر ربوبية الرب تعالى وعظمته وذكر الجنة والنار
 والحلال والحرام والحث على صلة الارحام وجماع الخير ونظرت في الراي فاذا فيه
 المكر والخديعة والنشاح واستقصا الحق والمالاة في الدين واستعمال الجمل و
 البعث على قطيعة الارحام والتجوي على الحرام وقال ابو داود سمعت احمد بن حنبل

في
 كان

وذكر اصحاب الحيل فقال يجنلون لنقض سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم والراي الذي
اشتقت منه الحيل للضممة لاسقاط ما اوجب الله وايضا ما حرم هو الذي انفق
السلف على ذمه وعيبه فروى حرب عن الشعبي قال قال ابن مسعود اياكم وارايت
ارايت فانما ههنا من كان قبلكم باوايت ارايت ولا تقيسوا شيئا بشي فترل قديم بعد
ثبوتها وعن الشعبي عن مسروق قال قال عبد الله ليس من عام الا الذي بعده شر منه
اقول عام اخصب من عام ولكن ذهابكم وعلماءكم ثم يحدث قوم يقيسون الامور
برايهم فينهدم الاسلام وينشلم وقال عمر بن الخطاب اياكم واصحاب الراي فانهم اعداء
السنن اعينهم الاحاديث انت يحفظوها وتفلت منهم ان يعوها فاستحيوا حين
سيئلوا ان يقولوا لا تعلم فعارضوها براهم فاياكم واياهم وقال احمد في رواية بن
سعيد لا يجوز شي من الحيل وفي رواية صالح ابن الحيل لانها رواه في رواية الاثر
وذكر حديث عبد الله بن عمر في حديث البيعان بالخيار ولا يجزى لهما احد منهما ان يفا
رق صاحبه خشيته ان يستقبله قال في ابطال الحيل وقال في رواية ابى الحارث
هذه الحيل التي وضعها هؤلاء احتالوا في الشيء الذي قيل لهم انه حرام فاحتالوا فيه
حتى احلوه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم
فاذا ابوها واكلوا اثمانها فانما اذا ابوها حتى زالوا عنها اسم الشحوم وقد لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له وقال في رواية ابنه صالح ينقضون
الايمان بالحيل وقد قال تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقال تعالى يوفون
بالنذر وقال في رواية ابى طالب في التحليل لاسقاط العدة سبحانه الله ما عجب
هذا ابطالوا كتاب الله والسنة جعل الله على الحرام العدة من الحمل فليس من امراة
تطلق او يموت زوجها الا تعتد من اجل الحمل ففرج يوطا ثم ينفقها على المكان فيز
وجها فيطاهها فان كانت حاملا كيف يصنع يطاهها رجل اليوم ويطاهها الاخر
غدا هذا نقض لكتاب الله والسنة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا توطا حامل حتى
تضع ولا غير ذات حمل حتى تحيض فلا يدري هي حائض ام لا سبحانه الله
ما اسبح هذا وقال في رواية حبش بن سنان في الرجل يشترى الجارية ثم ينفقها
من يومه ويتزوجها ابطاها من يومه فقال كيف يطاهها هذا من يومه

خ
الحال

وقد

وقد وطها ذاك بالاسم وغضب وقال هذا اخبت قول وفي رواية الميموني
اذا حلف على شيء ثم احتال بحيلة فصار اليه فقد صار اليه ذلك بعينه وقال في رواية الميموني
فمن حلف على عيمين ثم احتال لابطالها هل يجوز قال نعم لا نرى الحيلة الا بما يجوز
فقال الميموني اليس حيلت فيها ان تنسج ما قالوا فاذا وجدنا لهم فيها تولا تبعتها قال
بل هكذا هو قلت اقبلس هذا منا نحن حيلة قال نعم قلت انهم يقولون في رجل حلف على
امرأة وهي على درجة ان تصعد او تنزل فانت طالق قالوا تحمل حملا ولا تنزل فقال
هذا هو الخنث بعينه ليس هذا حيلة هذا هو الخنث وذكر الامام احمد ان امرأة كا
نت تريد ان تفارق زوجها فيا في علمها فقال لها بعض ارباب الحيل لو اردت عن الاسلام
بنت منه ففعلت فغضب احمد وقال من افق بهذا او علمه او رخصه فهو كافر وكذا قال
عبد بن المبارك ثم قال ما ارى الشيطان يحسن مثل هذا حتى جاءه ولا فتعلم منهم و
قال يزيد بن هارون افق اصحاب الحيل بشي لو افق به اليهود والنصارى كان فيهما
افتوا رجلا حلف ان لا يطلق امرأته بوجه من الوجوه فبذل له مال كثير في طلاقها فافتوه بان
يقبلها او يباشرها وذكر الحيل عند شريك فقال من يخادع الله يخدعه وقال النظر
بن شميل في كتاب الحيل ثلاثمائة وعشرين مسألة كلها كفر وقال حفص بن غياث ينبغي
ان يكتب عليه كتاب المنجور الفجور وقال عبد بن فضال المبادر في قصة بنت ابى رزح حيث
امرت بالاعتداد في ايام ابى غسان فارتدت ففرق بينهما وادعت السجين فقال ابن
المبارك وهو غضبان من امر عبد بن كافر ومن كان هذا الكتاب عنده او في بيته
ليأخربه فهو كافر وان هو لم يأخربه فهو كافر وقال ابو السخيتاني ويل لهم من يخدعوا
يعني اصحاب الحيل وقال بعض اصحاب الحيل ما يفتقون منا الا ان عندنا الى اشيا كانت
عليهم حراما فافاد حنلنا فيها حتى صارت حلالا وقال زاذان قال علي يعني وقد راي
مبادي الحيل اني اراكم تحملون اشيا قد حرمها الله وتحرمون اشيا قد احلها الله
قلت ومن تامل الشريعة ورزق فيها فقه ففسرها فابطلت على اصحاب الحيل
بقاصدهم وقابلهم بنقيض ما وسدت عليهم الطرق التي فتحوها للتحليل الباطل
فمن ذلك ان السائر في منج الحيل على الميراث يقتل مورثه ويراثه ونقله الى غيره وونه
لما احتال عليه بالباطل ومن ذلك بطلان وصية الموصي له بال اذا قل الموصي ومن
ذلك بطلان تدبير المدبر اذا قل سيده ليجهل العتق ومن ذلك تحريم المنكوحه في عدا

منه
اورضوه

على الزوج تحريما موبدا عند غرض الخطاب وما لك واحد الروايتين عن احمد لما
احتمل على وطيمها بصورة العقد المحرم ومن ذلك لو احتمل المريض على منع امراته من
الميراث بطلا فافانها ثوته مادامت في العدة عند طائفة وعند اخرين ثوت وان
انقضت عدتها ما لم تزوج وعند طائفة ثوت وان تزوجت ومن ذلك بطلان اقرار
المريض لو ارثه بحال لانه يتخذ حيلة على الوصية له ونظاير ذلك كثيرة فالمحتمل بالباطل
معامل بنقض قصده شرعا وقد راود شاهد الناس عما ناله من عايش بالكرامات
بالفقر وهذا عاقبة سبحانه من احتمال على نصيب المساكين وقت الجود بحكم ما ناله الثروة
كلها وعاقبة من احتمال على الصيد المحرم بان مستخدم قردة وخنازير وعاقبة من احتمال
على اكل اموال الناس بالربا بانه يحرق ماله كما قال تعالى يحرق الله الربا ويرث الصدقات
فلا بد ان يحرق مال المرابي ولو بلغ ما يبلغ واصل هذا ان الله سبحانه جعل عقوبات اصناف
الجرائم بضد ما قصده الله بتلك الجرائم فجعل عقوبة الكاذب هداية كلامه ورده
عليه وجعل عقوبة الغال من الغنيمة لما قصد تكثير ماله بالغلول حرمان سمه واحراق
متاعه وجعل عقوبة من اصطاد في الحرم او الاحرام تحريم اكل ما صاده وتغريمه
نظيره وجعل عقوبة من تكبر عن قبول الحق والانقياد له ان الزم من الذل والصغار
بحسب ما تكبر عنه من الحق وجعل عقوبة من استكبر عن عبودية وطاعة ان يصير
عبدا لاهل عبوديته وطاعته وجعل عقوبة من اخاف السبيل وقطع الطريق ان
يقطع امرطوافه وتقطع عليه الطرق كلها بالنفي من الارض فلا يسير فيها الا خائفا وجعل
عقوبة من المذبذبة كذب بالوطي المحرام ايلام بدنه كله وروحه بالجلد والرحم فيصل الا
الحيث وصلت الذرة وشرع النبي صلى الله عليه وسلم عقوبة من اطلع في بيت غيره ان
تغلغ عنه بعقوبته ونحوه افساد العضو الذي خاف به واوجه بيته بغير اذنه واطلع
به على حرمة وعاقب كل خاين بانه يضل كيده ويبطله ولا يهدى لمقصوده ونال بعضه
فالذي ناله سبب لزيادة عقوبته وخيافته والله لا يهدى كيد الخائنين وعاقبة من حرم
على الولاية والافادة والقضا بان شرع نعه وحرمانه ما حرم عليه كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم انا لاني علمنا هذا من سألني عن عاقبة البشرا ان اخبره من الجنة لما
عصاه بالاكل من الشجرة ليخلد فيها فكانت عقوبته اخراجه منها ضد ما امله وعاقبة

من اتخذ الله الها اخر ينصر به ويتعز به بان جعله عليه ضدا يذله ويخذل
به كما قال تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عز اكلا سيكفرون بعبادتهم و
يكونون عليهم ضدا وقال تعالى واتخذوا من دون الله الهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون
نصرهم وهم لهم جند محضون وقال تعالى لا تجعل مع الله الها اخر فتفقد عذوب ما
تخذ ولا ضد ما امله المشرك من اتخاذ الا الهة من النصر والمدح وعاقبة الناس اذا
بخسوا الكيل والميزان بحور السلطان عليهم ياخذ من اموالهم اضعاف بيا بخس
بعضهم بعضا وعاقبتهم اذا منعوا الزكاة والصدقة ترفها لاسعاهم بحبس الغني عنهم فكيف
بذلك اموالهم ويستوي غنيهم وفقيرهم في الحاجة وعاقبتهم اذا اعرضوا عن كتابة وصية
بنية وطلبوا الهدى من غيره بان يضلهم وقد سئل عنهم ابواب الهدى كما قال صلى الله عليه وسلم
في حديث علي الذي رواه الترمذي وغيره وذكر القرآن من ترك من جبار قصده الله ومن
ابغى الهدى في غيره اضله الله فان المعرض عن القرآن احادان يعرض عنه كبر انجازه
ان يقصده الله او طلبا للهدى من غيره فجراه ان يضل الله وهذا باب واسع جدا عظيم
النفع لمن تدبره تجده متضمنا لعاقبة الرب سبحانه من خرج عن طاعته بان يعكس
عليه مقصوده شرعا وقد راود نيا واخرة وقد اطردت سنة الكونية سبحانه في كل
عباده بان من مكر بالباطل يكره ومن احتمل احتيل عليه ومن خادع غيره خيل
قال الله تعالى ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وقال تعالى لا يحق الكفر
السي الا باهله فلا تجد ما كرا الا وهو مكور به ولا تخادعا الا وهو مخدوع
ولا محتالا الا وهو محتال عليه **فصل** واذا تدبرت الشريعة وجدتها
قد انت بسد الذرائع الى المحرمات وذلك عكس باب التحيل الموصل اليها بالتحيل وسد
الذرائع الى المحرمات وسد الذرائع عكس كذابين الباب اعظم ثاقص والشارع
حرم الذرائع وان لم يقصد بها المحرم لا فضايلها اليه فكيف اذا قصد بها المحرم نفسه
فمنع الله سبحانه عن سبب الهة المشركين لكونه ذريعة الى ان يسبوا الله سبحانه
عدوا وكفرا على وجه المقابلة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من اكبر الكبائر شتم
الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب اب الرجل فيسب اياه ويسب
امه فيسب امه ولما جات صفية تزوره صلى الله عليه وسلم وهو معتكف قام معها
ليوصلها اليه بينهما فراه رجلان من الانصار فقال علي رسلكما انما صفية بنت حيي

فقال سبحانه الله يا رسول الله فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
الدم واني خشيت ان يقدف في قلبك شرا فسد الذريعة الى ظنهما سوءا غلا
مهما انما صفة وامسك صلى الله عليه وسلم عن قتل المنافقين مع ما فيه من المصلحة لكونه
ذريعة الى التنفير وقول الناس ان محمدا يقتل اصحابه وحرم القطرة من الخمر وان
لم يحصل بها مفسدة الكثير لكون قليلها ذريعة الى شرب كثيرها وحرم امساكها
للتخليل وجعلها نجسة لئلا تقضي بقاربها بوجه من الوجوه الى شربها ونهى عن
الخليطين وعن شرب العصير والنبذ بعد ثلاث وعن الانتهاذ في الاوعية التي لا
يعلم بتخير النبيذ فيها حسا للمادة وسد للذريعة وحرم الخلو بالمرأة الاجنبية
والسفر بها والنظر اليها لغير حاجة حسا للمادة وسد للذريعة ومنع النساء
اذا خرجن الى المسجد بالطيب والبخور ومنعهن من التسبيح في الصلاة لتأنيته
تنوب بل جعل لهن التصفيق ومنع المعقدة من الوفاة من الزينة والطيب والحلي و
منع الرجل من التصريح بخطبتها في العدة وان كان انما يعقد النكاح بعد انقضائها
ونهى المرأة ان تصف لزوجها امرأة غيرها حتى كأنه ينظر اليها ونهى عن بناء المسا
جد على القبور ولعن فاعله ونهى عن تعلية القبور وتشريفها وامر بتسويتها
ونهى عن البناء عليها وتخصيصها والكتابة عليها والصلاة اليها وعند ها وايضا
المصايح عليها كل ذلك سد للذريعة اتخاذاها اثنا ناهذا كله حرام على من
قصده ومن لم يقصده بل على من قصد خلافه سد للذريعة ونهى عن الصلاة عند
طلوع الشمس وعند غروبها لكون هذين الوقتين وقت سجود الكفار للشمس ففي
الصلاة نوع تشبه بهم في الظاهر وذلك ذريعة الى الموافقة والمشاكلة في البأ
طن وكذلك النهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الفجر وان لم يحضر وقت سجود
الكفار للشمس بآفة في هذا المقصود وحماية لحجاب التوحيد وسد للذريعة
الى الشرك بكل ممكن ومنع من التفرقة في الصلوات قبل التقابض وكذلك الربوي اذا
بيع بربوي اخر من غير جنسه سد للذريعة النساء الذي هو صلب الربا و
معظمه بل منع من بيع الدرهم بالدرهمين سد للذريعة ربا النساء كما علمت ذلك
صلى الله عليه وسلم في الحديث المذكور واه مسلم في صحيحه وهذا احسن العلل في حق

نحوه
واكد ذلك بالنهي

في
حيلة

ربا الفضل

ربا الفضل وحرم بين السلف والبيع لما فيه من الذريعة الى الربح في السلف باخذ
اكثر مما اعطى والتوسل الى ذلك بالبيع والاجارة كما هو الواقع ومنع البائع ان يشتري
السلعة من شترها باقل مما اشترها به وهي مسألة العينة وان لم يقصد الربا
لكونه وسيلة ظاهرة واقعة الى بيع خمسة عشر نسبة بعشرة نقدا وحرم جمع
الشرطين في البيع لكونه وسيلة الى ذلك فهو منطبق على مسألة العينة ومنع من
القرض الذي يجور النفع وجعله ربا ومنع المقرض من قبول هدية المقرض ان لم
يكن بينهما عادة جارية قبل القرض ففي سنن ابن ماجة عن يحيى بن ابي اسحق الهنائي
قال سالت انس بن مالك الرجل منا يقرض اخاه المال فيمده اليه فقال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اقرض احدكم قرضا فاهده اليه او حمل على الدابة فلا يركبها ولا
يقبله الا ان يكون جورا بينه وبينه قبل ذلك وروى البخاري في تاريخه عن يزيد بن
ابي يحيى الهنائي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقرض احدكم
فلا ياخذ هديه وفي صحيح البخاري عن ابي بردة عن ابي موسى قال قدمت المدينة
فلقيت عبد بن سلام فقال لي انك بارض الربا فيها فاش فاذا كان لك على رجل حق
فاهده اليك حمل بين او حمل شعير او حملت فلا تاخذه فانه ربا وروى سعيد في
سننه هذا المعنى عن ابي بن كعب عن ابن مسعود وعبد بن عباس وعبد بن
عمر ونحوه وكل ذلك سد للذريعة اخذ الزيادة في القرض الذي موجب رد المثل و
نهي عن بيع الكالي بالكالي وهو الدين المؤخر بالدين المؤخر لانه ذريعة الى ربا النسبه
فلو كان الدينان حالين لم يمنع لانهما يسقطان جميعا من ذمتيهما وفي الصورة
المنهي عنها ذريعة الى تضاعف الدين في ذمة كل واحد منهما في مقابلة تأجيله
وهذه مفسدة ربا النساء بعينها ونهى سبحانه عن النساء ان يضربن بارجلهن ليعلم
ما يخفين من زينتهن فلما كان الضرب بالرجل ذريعة الى ظهور صورة الخمار الذي
هو ذريعة الى حيل الرجال اليهن فنهين عنه وامر سبحانه الرجال ان النساء بغض ابصارهم
لما كان النظر ذريعة الى الميل والمحبة التي هي ذريعة الى موافقة المحظور فيها وحرم
التجارة في الخمر وان كان انما يبيعها من كافر يستحل شرابها فان التجارة ذريعة الى
اقتنائها وشرها ولهذا لما انزلت الايات في تحريم الربا قراها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyrighted material

وقون بما تحريم التجارة في الخمر فان الربا ذريعة الى افساد الاموال والخمر ذريعة
الى افساد العقول فجمع بين تحريم التجارة في هذا وهذا ونهى عن استقبال
مضان يومين او يومين لئلا يتخذ ذريعة الى الزيادة في الصوم الواجب كما فعل
اهل الكتاب ونهى عن التشبه باهل الكفا وغيرهم من الكفار في مواضع كثيرة
لان المشابهة الظاهرة ذريعة الى الموافقة الباطنة فانه اذا تشبه القدي الهدة
اشبه القلب القلب وقد قال صلى الله عليه وسلم خالفه هدينا هدي الكفار وفي المسند مرفوعا
من تشبه بغيرهم فهو منهم وحرمة الحج بين المرأة وعمها وبين المرأة وخالتها لكونه
ذريعة الى قطع الرحم وبهذه العلة بعينها عطل النبي صلى الله عليه وسلم فقال انكم اذا فعلتم
ذلك قطعتم ارحامكم وامر بالتسوية بين الاولاد في العطية واخبر ان تخصيص بعضهم
بما جود لا يصلح ولا ينبغي الشهادة عليه وامر فاعله برده ووعظه وامره بتقوى
الله وامره بالعدل لكون ذلك ذريعة ظاهرة قوية جدا الى وقوع العداوة بين الاولاد
وقطعية الرحم بينهم كما هو المشاهد عيانا فلو لم تات السنة الصحيحة الصريحة
التي لا تعارض لها باليمن من كان القياس واصول الشريعة وما تضمنته من المصالح
ودرء المفاسد يقتضي تحريمه ومنع من تكاح الالة لكونه ذريعة ظاهرة الى استر
قاق ولده ثم جوزه طائفا بملك اليمين لزوال هذه المفسدة ومنع من تجا وزايج
زوجات لكونه ذريعة ظاهرة الى الجور وعدم العدل بينهم وقصر الرجال على الار
بع فسحة لهم في التخلص من الزنا وان وقع منهم بعض الجور فاحتماله اقل ففسده من يفسده
الزنا ومنع من عقد النكاح في حال العدة وحال الاحرام وان تاخر الدخول الى ما بعد
انقضاءها وحصول الحل لكون العقد ذريعة الى الوطي والنفوس لا تصير غالبا
قوة الداعي وشرط في النكاح شروطا رتبة على مجرد العقد فقطع عنه شبه بعض
انواع السفاح كاشتراط اتمامه علانية اماما بالشهادة او بترك الكتمان او بهما و
اشتراط الولي ومنع المرأة ان تلبس وندب الى اظهاره حتى استحجب فيه الذوق والصورة
والوليمة واوجب فيه المهر ومنع هبة المرأة نفسها لغير النبي صلى الله عليه وسلم وسر ذكر ان
في ضد ذلك والاحكام ذريعة الى وقوع السفاح بصورة النكاح كما في الاثران
الزانية هي التي تزوج نفسها فانه لا تشا زانية تقول زوجتك نفسي بكذا سر من ليها

بغير شهوة ولا اعلان ولا وليمة ولا دف ولا صوت الا فعلت ومعلوم قطعا ان مفسده
الزنا لا تشفى بقولها انك تحب نفسك او زوجتك نفسي او احببتك نفسي كذا وكذا فلو انتفت
مفسدة الزنا بذلك كان هذا من اسر الامور عليها وعلى الرجل فاعظم الشارح امر
هذا العقد وسد الذريعة الى مشابهة الزنا بكل طريق ثم اكد ذلك بان جعل له حرميا
من العدة تزيد على مقدار الاستبراء واثبت له احكاما من المصاهرة وحرمتها ومن
النوارث ولهذا كان الراعي في الدليل ان الزنا لا يثبت حرمة المصاهرة كما لا يثبت النوا
رث والنفقة وحقوق الزوجية ولا يثبت به النسب ولا العدة على الصحاح وانما تستبرأ
بحيضة ليعلم براءة رحمها ولا يقع فيه طلاق ولاظهار ولا ايل ولا يثبت المحرمية بينه
وبين امها وابنتها فلا يثبت حرمة المصاهرة ولا تحريمها فان الشارح جعل
وصلة الصهر فيه مع وصلة النسب بينهما في قوله فجعل بينهما وصيرا فاذا انتفت
وصلة النسب فيه انتفت وصلة الصهر وكنا ننصر القول بالتحريم ثم رانا الرجوع
الى عدم التحريم اولى لاقتضاء الدليل وليس المقصود استيفاء أدلة المسئلة من الجا
نيين وانما الغرض التنبيه على ان من قواعد الشرع العظيمة قاعدة سد الذرائع
ومن ذلك نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان تقام الحدود في دار الحرب وان تقطع الايدي
في الغزو لئلا يكون ذلك ذريعة الى لحاق المحرود بالكفار ومن ذلك ان المسلم
اذا احتاج الى الخروج في دار الحرب وخاف على نفسه الزنا عزل عن امراته نص عليه احمد
لئلا يكون ذلك ذريعة الى ان ينشأ ولده كافرا ومن ذلك ان الصحابة اتفقوا على قتل
الجماعة الكثيرة بالواحد وان كان القصاص يقتضي المساواة لئلا يتخذ ذريعة
الى اهداد الدماء وتعاون الجماعة على قتل المعصوم ومن ذلك ان السكران لو قتل اقتص
منه وان كان في هذه الحال لا قصده لئلا يتخذ السكر ذريعة الى قتل المعصوم
وسقوط القصاص ومن ذلك نهية سبحانه رسوله عن الجهر بالقران بحضرة العدة
لما كان ذريعة الى سبهم للقران ومن انزل الله سبحانه وتعالى في الصحابة ان يقولوا
للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا مع قصد المعنى الصحيح وهو المراعاة لئلا يتخذ الهوى
هذه اللفظة ذريعة الى السب ولا تشبهوا بهم ولئلا يخاطب بلفظة تحتمل
معنى فاسدا ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كره الصلاة الى ما قد عبد من دون الله و
احب لمن صلى الى عمود او عمود او شجرة ان يجعله على احد جانبيه ولا يصمد له

هذا سد الذريعة التشبه بالسجود لغير الله ومن ذكر انه امر المومنين ان يصلوا
جلوسا اذ صلى امامهم جالسا سد الذريعة التشبه بفارس والروم في قيامهم
على ملوكهم وهم قعود ومن ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم منع الرجل من اخذ نظارة
حقه بصورة الخيانة من خاتمه ومعه حقه وان كان انما ياخذ حقه او دونه
فقال لمن سأل عن ذلك اذ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خائنك لان ذكر ذريعة
الى اساءة الظن به وسبقته الى الخيانة ولا يمكن ان يحتاج عن نفسه ويقيم عزه
ان ذكر ايضا ذريعة الى ان لا يقتصر على قدر الحق وصفته فان النفوس لا تقتصر في
الاستيفاء غالبا على قدر الحق ومن ذكر انه سلب الشريك على انتزاع السقف المشفوع
من يد المشتري سد الذريعة المفسدة الناشئة من الشراكة والمخالطة بحسب الامكان
وقبل البيع ليس احدهما اولى بانتزاع نصيب شريكه من الاخر فاذا رغب عنه وعرضه
للبيع كانه شريكه احق به لما فيه من ازالة الضرر عنه وعدم ضرره هو فانه ياخذ
بالثمن الذي ياخذه به الاجنبي ولهذا كان الحوائج لا يحل الاحتيال لاسقاط
الشفعة ولا تسقط بالا حتيال فان الاحتيال على اسقاطها يعود على الحكمة التي
شرعت لها بالنقض والابطال ومن ذكر انه لا يقبل شهادة العبد ولا الضنين
في نعمة او قرابة ولا الشريك فيما هو شريك فيه ولا الوصي فيما هو وصي فيه
ولا الولد على ضرورة امه ولا يحكم القاضي بعلمه كل ذلك سد الذريعة التهمة والعرض
الفاسد ومن ذكر ان السنة مضت بكراهة افراد رجب بالصوم وكراهة افراد
يوم الجمعة لئلا يتخذ ذريعة الى الابتداء في الدين بتخصيص زمان لم يخصه الشارع
بالعبادة ومن ذكر انه امر المومنين عمن الخطايا بقطع الشجرة التي كانت تحتها
البيعة وامر باخافق برذائل سد الذريعة الشرك والفتنة ونهى عن تعذر الصلاة
في الامكنة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها في سفره وقال ان يريدون ان يتخذوا
اثارا بنيناكم مساجد من ادركت الصلاة فيه فليصلوا والا فلا ومن ذكر جمع عثمان
بن عفان الائمة على حرف واحد من الاحرف السبعة لئلا يكون اختلافهم فيها
ذريعة الى اختلافهم في القرآن ووافقه على ذلك الصحابة رضي الله عنهم ومن ذكر ان
النبي صلى الله عليه وسلم امر الذي ارسله بهديه اذا عطش شي منه دون المحل بنحو

ويصيح

ويصيح فعله الذي قلده به بدمه ويحلى بيته وبين المساكين ونهاه ان ياكل منه هو
او احد من اهل رفقته قالوا لانه لو جاز له ان ياكل منه او احد من رفقته قبل
المحل فربما دعت نفسه الى ان يقصر في علفه وحفظه حتى يشارف العطش فينحره
فسد الشارب الذريعة ومنعه ورفقته من الاكل منه ومن ذكر نهية صلى الله عليه وسلم
عن الذوايح التي توجب الاختلاف والتفريق والعداوة والبغضا كخطبة الرجل على
خطبة اخيه وسومه على سوما اخيه وبيعة على بيعة وسوال المرأة طلاق ضربا وقال
اذا بيع لحليفين فاقبلوا الاخر منهما سد الذريعة الفتنة والفرقة ونهى عن قتال
الامراء والخروج على الائمة وان ظلموا وجاروا ما قاموا الصلوات سد الذريعة
الفساد العظيم والشر الكثير بقا لهم كما هو الواقع فانه حصل بسبب قتالهم والخروج
عليهم بالشرور اضعافا مضاعفا عليهم والامة في بقايا تلك الشرور الى الان ومن
ذكر ان الشروط المضروبة على اهل الذمة تضمنت تمييزهم عن المسلمين في اللباس
والشعور والمراكب المجالس لئلا تفضي مشابهمتهم للمسلمين في ذلك الى معاملتهم
معاملة المسلمين في الاكرام والاحترام ففي الكرام تمييزهم عنهم سد الذريعة
ومن ذكر نهية صلى الله عليه وسلم من بيع القلادة التي فيها خرز وذهب بذهب لئلا يتخذ
ذريعة الى بيع الذهب بالذهب تنافلا اذا ضم الى احدهما خرز ونحوه ولو لم
يكن في هذا الباب الا ان الله سبحانه اوجب قامة الحدود سد للذريعة الى الجحيم
اذ لم يكن عليها وازع طبعي وجعل مقادير عقوباتها واجناسها وصفاتها بحسب
مفاسدها في نفسها وقوة الداعي اليها وتقاضي الطباع لها وبالجملة فالمحرمات قسام
مفاسد وذرايع موصلة اليها مطلوبة الاعداد كما ان المفاسد مطلوبة الاعداد
والقربات نوعان مصالح للعباد وذرايع موصلة اليها ففتح باب الذرائع في النوع
الاول كسد باب الذرائع في النوع الثاني وكلاهما ناقض لما جات به الشريعة في
باب الجمل وباب سد الذرائع اعظم تناقض وكيف يظهر بهذه الشريعة العظيمة
الكاملة التي جات بفتح المفاسد وسدا بوابها وطرقها ان تجوز فتح باب الجمل
وطرق المكر على اسقاط واجبا منها واستباحة محرمانها والتذرع الى حصول المفاسد
سد التي قصدهم فعملها واذا كان الشيء الذي قد يكون ذريعة الى الفعل المحرم

اما بان يقصد به ذلك المحرم او بان لا يقصد به وانما يقصد به المباح نفسه فكل
قد يكون ذريعة الى المحرم بحرمه الشارع بحسب الامكان ما لم يعارض
ذلك مصلحة واجبة تفضي حله فالندرج الى المحرمات اما باحتمال عيها
اولى ان يكون حراما واولى بالابطال لا الهه او اذا عرف قصد فاعله واولى ان لا يعا
فاعله عليه وان يعامل بنقيض قصده وان يبطل عليه كيد ومكر وهذا الجدل
بين من له فقه وفهم في الشرع ومقاصده **قال شيخ الاسلام** بن تيمية وتجويز
التحليل يناقض سد الذرائع مناقضة ظاهرة فان الشارع يسد الطريق الى ذلك
المحرم بكل ممكن والمحتمل يتوسل اليه بكل ممكن ولهذا اعتبر الشارع في البيع والشراء
والنكاح وغيرها شروطا سد ببعضها التدفع الى الربا والزنا وكل ما مقصود به
العقود ولم يمكن المحتمل الخروج منها في الظاهر فريد الاحتمال على ما منع الشارع
منه فيأتي بها مع حيلة اخرى توصله بزعمه الى نفس ذلك الشيء الذي سدد الشارع
الذريعة اليه لم يبق لتلك الشروط التي ياتي بها فائدة ولا حقيقة بل تبقى بمنزلة
العبث واللعب وتطويل الطريق الى المقصود من غير فائدة قال واعتبر هذا بالشفقة
فان الشارع اباح انتزاع الشقص من شريكه والشارع لا يخرج المالك من ملكه
بقيمة او غيرها الا لمصلحة واجبة وكانت المصلحة هاهنا تكميل العقار للشركة
فانه بذلك يزول ضرر المشاركة والمقاسمة وليس في هذا التكميل ضرر على البائع
لان مقصوده من الشيء يحصل باخذه من المشتري شريكا كان او اجنبيا فالمحتمل
لا سقاطا مناقض لمقصود الشارع فصاد له في حكمه فالشارع يقول لا يحل
له ان يبيع حتى يوزن شريكه فان شاء اخذ وان شاء ترك والمحتمل يقول
لكن التحليل على ما منع الشريك من اخذ انواع من التحليل التي ظاهرها مكر وخداع وبا
طنها منع الشريك مما اباح له الشارع ولكنه منه وتقويث نفس مقصود الشارع للمصلحة
الكبرى اظهر المحتمل انه انما فعل ما اذن له الشارع في فعله وانه ممكن من الخداع
والمكر والتحليل على اسقاط حق الشريك وهذا بين لمن تأمله قال والمقصود بيان
تحريم التحليل وان صاحبا متعرض لسخط الله والى عقابه وبترت على ذلك ان
يقض على صاحبه مقصوده منها بحسب الامكان وذلك في كل حيلة حسبا فلا يحل الاحتمال
اما ان يكون من واحد او اثنين فاكتر فان كان من اثنين فاكتر فان كان عقد بيع

توطا عليه تحميلا على الربا كما في العينة حكم بفساد العقدين ويرد الى الاول راس مال كما قال
ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها وكان بمنزلة المقبوض بعقد ربا لا يحل الانتفاع
به بل يجب ان كان باقيا وبطله ان كان تالفا وكذلك ان جمعا بين بيع وقرض او اجا
رة وقرض او مضاربة او شركة او مساقاة او مزارعة وقرض حكم بفسادها فيجب ان يرد
عليه بل مال الذي جعله قرضا والعقد الاخر فاسد حكمه حكم العقود الفاسدة وكذلك
ان كان نكاحا توطا عليه كان حكمه حكم النكحة الفاسدة وكذلك اذا توطا على
هبة او بيع لاسقاط الزكاة او على هبة لتصحيح نكاح فاسد او وقف فاسد
مثل ان تريد موقعة مملوكا فتمتبه لرجل فيزوجها به فاذا قضت وطرها منه استوى
استوهبته من الرجل فوجهها اياه فانفسخ النكاح فهذا البيع والهبة فاسدان في
جميع الاحكام وان كان الاحتمال من واحد فان كانت الحيلة تستعمل بالمحصل باخر
ضه فان كان عقدا كان فاسدا مثل ان يهب لابنه هبة يريد ان يرجع فيها فلا تجب عليه
الزكاة فان وجود هذه الهبة كعدمها ليست هبة في شيء من الاحكام لكن ان ظهر المقصود
ترتب الحكم عليه ظاهرا وباطنا والا كانت فاسدة في الباطن فقط وان كانت حيلة لا
يستعمل بها مثل ان يتوكل التحليل ولا يظهر للزوجه او يرجع المرأة ضرارا بها او يهب ما
له ضرارا ببرد شره ونحو ذلك كانت هذه العقود والهبة بالنسبة اليه والى من علم غرضه باطله
فلا يحل له وطى المرأة ولا يرثها لوماته وذا علم الموهوب له والموصى له غرضه الباطل لم يحصل
له الملك في الباطن فلا يحل له الانتفاع به بل يجب ان يرد الى مستحقه واما بالنسبة الى
العاقلة الاخر الذي لم يعلم فانه صحيح يفيد مقصود العقود الصحيحة ولهذا نظير
كثيرة في الشريعة وان كانت الحيلة له وعليه كطلاق المريض صحيح الطلاق من جهة انه
ازال ملكه ولم يصح من حيث انه يمنع الارث فانه انما منع من قطع الارث لا من ازال ملك
البضع وان كانت الحيلة فعلا يفضي الى غرض له مثل ان يسافر في الصيف ليتاخر عنه
الصوم الى الشتاء يحصل غرضه بل يجب عليه الصوم في هذا السفر **قلت** ونظير هذا
ما قاله المالكية انه لا يستبيع رخصة السج على الخفين اذ البسمما لنفسه فلو سجد
لذلك لم يجزه وعليه إعادة الصلاة ابتداء وانما تثبت الرخصة في حق من لبسها الحاجة
كالبرد والركوب ونحوها فيمسح عليها بالمشقة الزرع وخالفهم باقي الفقهاء في ذلك والمنع

جار على اصول من راعى المقاصد قال شيخنا وان كان يفضي الى سقوط حق غيره مثل
 ان يبطأ امرأة ابية او ابنة ليفسخ نكاحه او مثل ان يباشر المرأة ابن زوجها او اباه عند
 من يرك ذلك موجبا للتحريم فمذه الحيلة بمنزلة الاتفاق للملك بقتل او غصب لا يمكن
 ابطالها لان حرمة المرأة بهذا السبب حوله يترتب عليه فسخ النكاح ضمنوا الافعال المو
 جبة للتحريم لا يعتبر لها العقل فضلا عن القصد وهذا بمنزلة ان يحال على نجا
 سه مايج فان نجاسة المايعات بالمخالطة وتحريم المصاهرة بالمباشرة احكام بمن
 باور حسيه فلا ترفع الاحكام مع وجود ذلك الامسا قلت هذا كان قول الشيخ اولا
 ثم رجح الى ان تحريم المصاهرة لا يثبت بالمباشرة المحرمة وحينئذ فصوره ذلك ان تر
 ضع امرأة الكبيرة او امرأة الصغيرة لينفسخ نكاحها فان فسخ النكاح ها هنا
 لا يتوقف على العقل ولا على القصد بل لو كانت المرضعة مجنونة ثبت التحريم فيمنع منزلة
 ان يلقي في ما يبعه ما ينحسه قال وان كانت الحيلة فعلا يفضي الى تحليل له او لغيره
 مثل ان يقتل رجلا ليتزوج امرأته او يزوجهما غيره فمناحل المرأة لغيره من قصد تزويجها
 به فانما بالنسبة اليه من مات عنها زوجها او قتل بجوارحه في سبيل الله واما بالنسبة
 الى من قصد بالقتل ان يتزوج المرأة اما بمواطاة منها او بدونها فهذا يشبه من بعض
 الوجوه ما لو خلل الخمر بنقلها من موضع الى موضع في غير ان يطرح فيها شيئا والصحيح انها
 لا تظهر وان كانت تظهر اذا تخللت بفعل الله وكذلك هذا الرجل لو مات بدون هذا
 القصد حلت المرأة فاذا اقبله لهذا القصد امكن ان يقال تحريم عليه مع حلها لغيره و
 يشبه هذا الحلال اذا صاد الصيد وذبحه محرم فانه يحرم على ذلك المحرم ويحل للحلال
 وما يولد هذا ان القاتل يمنع الاوث ولا يمنع غيره من الورثة لكن لما كان مال الرجل
 تطلع اليه نفوس الورثة كان القتل ما يقصد به المال بخلاف الزوجه فان ذلك لا يكاد
 يقصد فان النفقات الرجل الى امرأة غيره بالنسبة الى النفقات الوارث الى مال المورث
 قبل وكونه يقتله ليتزوجها فهذا اقل فلهذا لم يشر ان من قتل رجلا حرمت عليه امرأته
 كما شرع ان من قتل مورثا منع ميراثه فاذا اقبله ليتزوج بها فقد وجد الحكمة فيه
 فب ينقض قصده واكثر ما يقال في وهذا ان الافعال المحرمة لحق الله سبحانه لا يقيد
 المحل كذبح الصيد وتحليل الخمر والتذكية في غير المحل اما المحرم لحق ادمي كذبح المفضو

فانه يفيد المحل او يقال ان الفعل المشرع لثبوت الحكم يشترط فيه وقوعه على الوجه
 المشرع كالزكاة والقتل لم يشرع لحمل المرأة وانما انقض النكاح بانقضاء الاجل
 فحصل المحل ضمنوا وتعا ويمكن ان يقال في جواب هذا ان قتل الادمي حرام لحق الله
 وحق الادمي ولهذا لا يستباح بالاباحه بخلاف ذبح المخصوص فانه حرام لمحض
 حق الادمي ولهذا الواباحه حل فالمحرم هناك انما هو تفويت المال على المالك لا ل
 هاق الروح وقد اختلف في الذبح باله مفسومة وفيه عن احمد وابان واختلف
 العلماء في ذبح المخصوص وقد نص احمد على انه انه ذكي وفي حديث رافع بن خديج
 في ذبح الغنم المنهوبة والحديث الاخر في المرأة التي اضافت النبي صلى الله عليه وسلم فذ
 بحت له شاة اخذتها بدون اذن اهلها فقال اطلعوها لاساري وفي هذا
 دليل ان المذبح يدون اذن اهله يمنع من اكله المذبح له دون غيره كالصيد
 اذا ذبحه حلال المحرم حرم على المحرم دون الحلال وقد نقل صالح عن ابيه فبين
 سرق شاة فذبحها لا يحل اكلها يعقوب له قلت لا اي فان ردها على صاحبها قال
 توكل فهذه الرواية قد يؤخذ منها انها حرام على الذابح مطلقا لان احمد لو قصد
 التحريم من جهة ان المالك لم ياذن في الاكل لم يخدر الذابح بالتحريم فهذا القول
 الذي دل عليه الحديث في الحقيقة حجة لتحريم مثل هذه المرأة على القاتل ليتزوج
 جهادون غيره بطريق الاولى هذا كله كلام شيخنا وبعد فالتحريم مطرد على
 قواعد احمد ومالك من وجوه متعددة منها مقابلة الفاعل بنقيض قصده كطلا
 ق الغار وقاتل مورثه وقاتل الموصي والمدير اذا قتل سيده ومنها سد الذرائع و
 منها تحريم الحيل ومنها تحليل الخمر كما ذكر شيخنا والله اعلم قال فتلخص الحيل
 نوعان اقوال وفعال فالاقوال يشترط لثبوت احكامها العقل ويعتبر فيها القصد
 وتكون صحيحة تارة وفاسدة اخرى ثم ما ثبت حكمه منه ما يمكن فسخه ورفع
 بعد وقوعه كالبيع والنكاح ومنه ما لا يمكن فيه ذلك كالعتق والطلاق فهذا الضرب
 اذا قصد به الاحتيال على فعل محرم او اسقاط واجب امكن ابطاله اما من جميع الو
 جهه واما من الوجه الذي يبطل بقصد الاحتيال بحيث لا يرتب عليه الحكم المحال
 على حصوله كما حكم به الصحابة في طلاق الغار واما الافعال فان اقتضت
 الرخصة للمحال لم يحصل كالسفر للقصر والفطر وان اقتضت تحريما على الغير

فانه يقع ويكون بمنزلة اتلاف النفس والمال وان اقتضت حلا عاما ما بنفسها
او بواسطة زوال الملك فمذه مسئلة القتل وذبح الصيد للحلال وذبح المخصو
للغاصب وبالجمل اذا قصد بالفعل استباحة محرم لم يحل له وان قصد ازالة
ملك الغير لحل له فالأقصر ان لا يحل له ايضا وان حل لغيره وقد دخل في القسم الاول
احياء المرأة على فسخ النكاح بالردة فهي لا تمسح غالبا الا عند من يقول للفرقة تسخر بغير
الردة ويقول بانها لا تقتل فالواجب في مثل هذه الجملة ان لا يفسخ بها النكاح واذا
علم الحاكم انها ارتدت لذلك لم يفرق بينهما وتكون مرتدة من حيث العقوبة والقتل
غير مرتدة من جهة فساد النكاح حتى لو توفيت او قتلت قبل الرجوع استحق
ميراثها لمكة لا يجوز وطئها في حال الردة فان الزوج قد يحرم وطئها باسباب
من جهة غيرها كما لو اوصت لكون لو ثبت انها ارتدت ثم قالت انما ارتدت لفسخ النكاح
ج لم يقبل هذا فانه قد يجعل ذريعة الى عود نكاح كل مرتدة بان تلقن انما انما
ارتدت للفسخ ولانها متممة في ذلك ولان الاصل انها مرتدة في جميع الاحكام
فصل وقد استدل البخاري في صحيحه على بطلان الجمل بقوله صلى الله عليه وسلم
لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة فان هذا النهي نعم ما قبل الجمل
وبعد واجتبه بقوله صلى الله عليه وسلم في الطاعون اذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا
فرادى وهذا من دقة فقهه رضي الله عنه فانه اذا كان قد نهى صلى الله عليه وسلم عن الفرار
من قدر الله اذا نزل بالعبد رضا بقضاء الله وتسليما لحكمه فكيف بالفرار من امره
ودينه اذا نزل بالعبد والله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع فضل المال لمنعه به الكلال فدل
على ان الشيء الذي هو في نفسه غير محرم اذا قصد به امر محرم صار محرم واجتبه
احد على بطلان الجمل وتحريمها بلعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم للحلل وبقوله
لا تركبوا ما تركت اليهود فاستحلوا محارم الله باد في الجمل واجتبه على
تحريم الجمل لا سقاط الشفعة بقوله فلا يحل له ان يبيع حتى يؤذن شريكه و
اجتبه ابن عباس وبعده ايوب السخيتاني وغيره من السلف بان الجمل بخاد
عة لله وقد قال بخاد عوث الله والذين امنوا وما يخذعون الا انفسهم
قال ابن عباس ومن يخادع الله يخدعه ولا ريب ان من تدبر القرآن والسنة مقاصد

الشرع جزم بتحريم الجمل وبطلانها فان القرآن دل على ان المقاصد والنيا معتبرة
في التصرفات والعادات كما هي معتبرة في التقربات والعبادات فتجعل الفعل حلا
لا او حراما وصحاحا او فاسدا او صحاحا من وجه فاسد من وجه كما ان الفصد
والنية في العبادة يجعلها كذلك وسواء هذه القاعدة كثيرة جدا في الكتاب السنة
فمنها قوله تعالى اية الرجعة ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا وذلك بضران الرجعة
انما تثبت لمر قصد الصلاح دون الضرر فاذا قصد الضرر لم يملكه الله الرجعة و
منها قوله في اية الخلع ولا يحل لكم ان تأخذوا مما الله يتيهوهن شيئا الا ان يخافا
ان لا يقيما حدود الله فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيها
افتدت به وهذا يدل على ان الخلع المأذون فيه انما هو اذا خاف الزوجان
ان لا يقيما حدود الله وان النكاح الثاني انما يباح اذا ظنا ان يقيما حدود الله
فانه شرط في الخلع خوف عدم اقامة حدود الله وشرط في العود ظن اقامة
حدوده ومنها قوله تعالى اية الفرائض من بعد وصية يوصي بها او دين غير مضار
فانه سبحانه انما قدم الميراث وصية من لا يضار الورثة بها فاذا كانت الوصية
وصية ضرار كانت حراما وكان للموارث ابطالها وحرم على الموصي له اخذ
ذلك بدون رضا الورثة والكس سبحانه ذلك بقوله تلك حدود الله فلا تعتدوها
وتأمل كيف ذكر سبحانه الضرر في هذه الآية دون التي قبلها لان الاولى تضمنت
ميراث العمودين والثانية تضمنت ميراث الاطراف من الزوجين والاخوة والعمارة
ان الميت قد يضار زوجته واهل بيته ولا يكاد يضار والديه وولده والضرر
نوعان جنف وانما فانه قد قصد الضرر وهو الاثم وقد يضار من غير قصد
وهو الجنف في اوصي بزيادة على الثلث فهو مضار قصد ولم يقصد للموارث
رد هذه الوصية وان اوصى بالثلث فما دون ولم يعلم انه قصد الضرر رجب
امضاؤها فان علم الموصي له ان الموصي انما اوصى ضررا لم يحل له الاخذ به
لواعترف الموصي انما اوصى ضررا لم يجز اعانته على هذه الوصية وقد جوب
سبحانه ابطال وصية الجنف الاثم وان يصلح الموصي او غيره من الورثة
والموصي له قال تعالى فمن خاف من موص جنتا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه

وكذلك اذا ظهر للوصي او الحاكم الجنف او الاثم في الوقف 2 مصرفه او بعض شروطه
فابطل ذلك كان مصلحا لا مفسدا وليس له ان يعين الواقف على امضاء الجنف والاثم
ولا يصح هذا الشرط ولا يحكم به فان الشارح قد رده وابطله فليس ان يصح
ما رده الشارح وحرمة فان ذلك مضادة له ومناقضة ومن ذلك قوله تعالى ولا تعضلو
هن لتذهبن ببعض ما يتموهن فهذا دليل على انه اذا عضلها فقد ينفق نفسه ما منه و
هو ظالم لها بذلك لم يحل له اخذ ما بذلته له ولا يملكه بذلك ومن ذلك قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبن ببعض
ما يتموهن فحرما سبحانه ان ياخذن ما شيئا مما اتاهن اذ كان قد توسل اليه
بالعضل ومن ذلك ان جذاذا الى تحلل على ما يحل اي وقت شاء صاحبه ولكن لما قصد
اصحابه به في الليل حرمان الفقراء عاقبهم الله سبحانه باهلاكهم ثم قال ولعذاب
الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم جاءت السنة بكراهة الجذاذ بالليل لكونه ذريعة
الى هذه المفسدة ونقض عليه غير واحد من الائمة كاحمد بن حنبل وغيره قال الصحاح
الحيل قد اسمعتمونا على بطلان الحيل وتحريمها ما فيه كفاية فاسمعوا الا ان على
جوارها واستحبها ما يقيم عذرنا قال الله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قالوا لمكن ما واهم جهنم وساءت مصيرا الا
المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يمتدون
سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ووجه الاستدلال الله سبحانه انما عذر
هم بتخلفهم وعجزهم اذ لم يستطيعوا حيلة يتخلصون بها من المقام بنظر
الكفار وهو حرام فعلم ان الحيلة التي تخلص من الحرام مستحبة ما ذون فيها
وعامة الحيل التي تنكر ونما علينا هي من هذا الباب فانما حيل تخلص من الحرام
ولهذا سمي بعض من صنف في ذلك كتاب المخارج ومن الحرام والتخلص من الاثم
واعبر هذا بحيلة العينه فانما تخلص من الربا المحرم وكذلك الجمع بين الإجا
رة والمساقاة تخلص من بيع الثمرة قبل بدو صلاحها وكذلك خلع اليمين
يتخلص من وقوف الطلاق الذي هو حرام او مكروه او من موافقة المرأة بعد

الحث وهو حرام وكذلك هبة الرجل ماله قبل الحول لولده او امراته يتخلصه من
اثم منع الزكاة كما يتخلص من اثم المنع باخراجها في ما طريقا للتخلص فالحيل
تخلص من المحرم وتخلص من الاثم والله سبحانه قد نفى المحرم عنا ونذبتنا
الى التخلص منه ومن الاثم فمن افضل الاشياء معرفة ما يتخلصنا من هذا وهذا
وتعليمه وفتح طريقه الى نرى ان الرجل اذا حلف بالطلاق ليقتل اباه او وليه
الحرم او ليرث من امرأة ونحو ذلك كان في الحيلة يتخلصه من مفسدة فعل ذلك ومن
مفسدة خراب بيته ومفارقة اهله فان لم يترك الحيلة ليس له عنده مخرج
الا بوقوف الطلاق فاذا علم انه يقع به الطلاق فزال فعل المحلوف عليه فاي
شيء افضل من التخلص من هذا وهذا وكذلك من وقع عليه الطلاق الثلاث
لا يصبر له عن امراته ويرى ان اتصالها بغيره اشد من موته فاحتلنا له بان زو
جناها بعد فوطاها ثم وهبناه منها فانسخ نكاحه وحلت لزوجه المطلق
بعد انقضاء عدتها قالوا وقد قال تعالى لبيته ايوب وقد حلف ليحجلن امراته ما به
وحذبيدك ضغفا فاضرب به ولا تحث قال سعيد عن قتادة كانت امراته
قد عرضت له بامور ارادها ابليس على شيء فقال لها لو تكلمت بكذا وكذا وانما حملت
عليه الجحوش فحلف نبي الله لئن شفاه الله ليحجلن ما منة جلدة قال فامر باصل
فيه تسعة وتسعون قضيبا والاصل تكلمة المايه فيضربها به ضربة واحدة فابره
الله بنبيه وخفف عنه امره وقال عبد الرحمن بن جبير لقيت ابليس فقال لها و
الله لو تكلم صاحبك بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضرر ولرجع اليه ماله وولده فاجبر
ايوب فقال ويكذلك اكره والله انما شكك مثل المرأة الزانية اذا جاءها صديقها بشي
قبلته وادخلته وان لم يات بها بشي طرده واغلقت بابها عنه لما اعطانا الله المال و
الولد آسنا واذا قبض الذي له منا نكف به ان اقامني الله من مرضي لاجل ذلك ما به
جلده فافتاه الله سبحانه بما اخبر به ان ياخذ ضغفا وهو الخزفة من شيء
مثل الشماريح الرطبة والعيدان ونحوها مما هو قائم على ساق فيضربها به
ضربة واحدة وهذا التعليم منه سبحانه لعباده التخلص من الاثم والمخرج
من المحرم بأي شيء وهذا اصلنا في باب الحيل فانما قسنا على هذا وجعلناه
اصلا قالوا وقد ارشد النبي صلى الله عليه وسلم الى التخلص من صريح الربا بان

بيعه التمر بدراهم ثم يشتري بذلك الدراهم تمر افروي ابو سعيد الخدري قال جاء
بلال الى النبي صلى الله عليه وسلم بتمر فاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من اين هذا فقال
كان عندنا تمر ودي فبعت منه صاعين بصاع ليطلع النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم عند ذكراوه عين الرابا لا تفعل ولكن اذا اردت ان تشتري فيج الفدر
بيج اخر ثم اشترى به متفق عليه وفي لفظ اخر بجمع الجمع بالدراهم ثم اشترى بالدراهم
جنبيا والجمع والجنب نوعان من التمر وفي لفظ لمسلم بعه بسلعة ثم ابيع بسلعة
اي التمر شئت فقد امره ان يبيع التمر بالدراهم او السلعة ثم يبتاع بها تمر او هذا خبر
من الحيلة ولم يفرق بين بيعه ممن يشتري منه التمر او من غيره وقد قال تعالى الا ان
تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم وهذا الرشاد الى حيلة العينة وما شابهها فان
السلعة تدور بين المتعاقدين للتخلص من الربا قالوا وقد دلت السنة على انه يجوز
للانسان ان يتخلص من القول الذي يات به او يخاف بالمعاريض وهي حيلة في
الاقوال كما ان تلك حيلة في الاعمال فروى قيس بن الربيع عن سليمان التيمي عن ابي
عثمان التيمي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ان في معاريض الكلام ما يغني
الرجل عن الكذب وقال الحاكم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يستر
بمعاريض الكلام حر النعم وقال الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه
ام كلثوم بنت عقبة بن ابى عيط وكانت من المهاجرات الاول قالت لم اسمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرخص في شيء مما يقول الناس انه كذب الا في ثلاث الرجل يصالح
بين الناس والرجل يكذب لامرأته والكذب في الحرب ومعنى الكذب في ذلك
هو المعاريض لا صريح الكذب وقال منصور كان لهم كلام يدرون به عن انفسهم
العقوبة والبلايا وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبعة للمشركين وهو في نفر
من اصحابه فقال المشركون فمن انتم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحن من ما فنظر
بعضهم الى بعض فقالوا احياء الهمن كثير لعلمهم منهم وانصرفوا واراد صلى الله عليه وسلم
نحن من ماء قوله تعا خلق من ماء افق ولما وطا عبد الله بن رواحة جارية
ابصرته امرأته فاخذت السكين وجاءت فوجدته قد قضى حاجته فقالت
لورايتك حيث كنت لو جئت بما في عنقك فقال ما فعلت فقالت ان كنت صادقا

فاقرأ القرآن فقال شهدتم بان وعد الله حق وان النار شوى الكافرين
وان العرش فوق الماطاف وفوق العرش رب العالمين
ويحمله ملائكة شدا د ملائكة الاله مسومين

فقلت انت بالله وكذبت بصري فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت
نواجذه قال ابن عبد البر ثبت ذلك عن عبد الله بن رواحه ويذكر عن عمر بن الخطاب
انه قال عجبت لمن يعرف المعاريض كيف يكذب وروى ابو هريرة الى طعام فقال لي صا
بم ثم راوه يا كل فقالوا لم تغفل اني صائم فقال لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام
ثلاثة ايام من كل شهر صيام الدهر كان محمد بن سيرين اذا اقتضاه غريم ولاشي
معه قال اعطيك في احد اليومين ان شاء الله تعا فظن انه اراد يومه والذي يليه وانما
اراد يومي الدنيا والاخرة وذكر الاغمش عن ابراهيم انه قال له رجل ان فلا فامرن ان
اتي مكان كذا وكذا وانا لا اقدر على ذلك المكان فكيف الحيلة فقال له قل والله ما ابصر الا
ما سددني غيري يعني الاما بصرك ويكره وقال حماد بن ابراهيم في رجل اخذه رجل فقال
ان لي معك خفا فقال لا فقال احلف بالمشي الى بيت الله فقال احلف بالمشي الى بيت الله
واعن مسجد حيك وذكر هشام بن حسان عن ابن سيرين ان رجلا كان يصيب
بالعين راي بغلة شريح فاراد ان يعينها ففطن له شريح فقال انما اذا ربضت لا تقوم
حتى تقام فقال اف اف فسلت بغلة وانما اراد ان الله سبحانه هو الذي يعينها وقال
الاغمش عن ابراهيم انه سئل عن الرجل يبلغه عن الرجل المشي بقوله فيسأله عنه
فقال قل والله ان الله ليعلم من ذلك شي يعني بما الذي وقال عقبة بن المغيرة كنا نافي
ابراهيم وهو خايف من الحجاج فكنا اذا خرجنا من عنده يقول ان سئلت عن حلفتم
فاحلفوا بالله ما تدرون اين انا ولا لنا به علم ولا في اي موضع هو واعنوا انكم لا تد
رون اي موضع انا فيه قائم او قاعد وقد صدقتم وجاءه رجل فقال له في اعترضت
على دابة فنفقت فاخذت خبرها ويريدون ان يحلفوني انما هي الدابة التي اعترضت
عليها فقال له اركبها واعترض عليها على بطنك لا كبا ثم احلفنا الدابة التي اعترضت
عليها وقال ابو عوانه عن ابن مسكين كنت عند ابراهيم وامرأته تعانته في جارية
له وبه مروحة فقال اشهدكم انما لها فلما خرجنا قال علام شهدتم فلما شهدنا

على انك جعلت الجارية لها قال انا رايت في اشهر الى المروحة انما قلت لكم اشهدوا انما
لها وانا اعني المروحة وقال محمد بن الحسن عن عمر بن ذر عن الشعبي عن جلف على
يمين ولا يستثنى فالبر والاثم فيما على علمه قلت ما تقول في الحيل قال لا بأس في الحيل فيما
يحل ويجوز وانما الحيل شي يتخلص به الرجل من المحرم ويخرج به الى الحلال فاما
كان من هذا ونحوه فلا بأس به وانما يكره من ذلك ان يحتمل الرجل في حق لرجل حتى
يظلمه او يحتمل في باطل حتى يمويه او يحتمل في شيء حتى يدخل فيه شبهة واما على
على السبيل الذي قلنا فلا بأس بذلك وكان حماد اذا جاءه من لا يريد الاجتماع به
وضع يده على صدره ثم قال اصرني صري ووجه الرشيد الى شريكه جلال يحضر فسأله
شريكه ان ينصرف ويدفع بحضوره ففعل فحبسه الرشيد ثم ارسل اليه رسولا اخرا فاحضر
وسأله عن تخلفه لما جاءه رسوله فخلفه بالايان المغلظة انه فارى الرسول في اليوم
الذي ارسله فيه وعني بذلك الرسول الثاني فصدقه وامر باطلاق الرجل واحضر الثوري
الى مجلس المهدي فاراد ان يقوم فمخ فمخ بالله انه يعوق فترك نعله وخرج ثم رجع
فلبسها ولم يعد فقال المهدي الم يحلف انه يعوق فقالوا انه عاد فاخذ نعله قالوا وليس
مذهب من مذاهب الائمة المتبعين الا وقد تضمن كثير من مسائل الحيل فابعد الناس عن
القول بما مالك واحمد قد سئل احمد عن المروذي وهو عنده ولم يرد ان يخرج الى السائل
فوضع احدا صبعه في كفنه فقال ليس المروذي ها هنا وما يصنع المروذي ها هنا وقد
سئل احمد عن رجل حلف بالطلاق لبطان امراته في نهار رمضان فقال ليسا فريها
ويطهاها وقال صاحب المستوعب وجدت بخط شيخنا ابن حكيم حكى ان رجلا سأل
احمد عن رجل حلف ان لا يفطر في رمضان فقال له اذهب الى بشر بن الوليد فاسأله
ثم اتني فاخبرني فذهب فسأله فقال ليس اذ افطرا هلك فاقعد معهم ولا يفطر فاذا
كان السحر فكلوا حتى يقول النبي صلى الله عليه وسلم هلم الى الغد المبارك فاستحسنه احمد
قالوا وقد علم الله سبحانه نبيه يوسف الحيلة التي توصل بها الى اخذ اخيه باظهار
انه سارق ووضع الصواع في رحله ولم يكن لذلك حقيقة لكن اظهر ذلك توصلا
به الى اخذ اخيه وجعله عنده واخبر الله سبحانه ان ذلك كيد كاده سبحانه
ليوسف لياخذ اخاه ثم اخبر سبحانه ان ذلك من العلم الذي يرفع به درجات
من يشاء وان الناس متفاوتون فيه ففوق كل ذي علم عليم **قال منكر والحيل** الحيل

ثلاثة انواع نوع هو قربة وطاعة وهو من افضل الاعمال عند الله ونوع هو جانيبها
ج لا حرج على فاعلمه ولا على ناركه وترجح فعله على تركه او عكس ذلك تابع لمصلحته
ونوع هو محرم ومخادعة لله ورسوله تتضمن الاسقاط ما اوجبه وابطال ما شرعه و
تحليل ما حرمه وانكار السلف والائمة واهل الحديث انما هو لهذا النوع فان الحيلة
لا تدم مطلقا ولا تحمد مطلقا ولفظها لا يشعر بمدح ولا ذم وان غلبت في العرف اطلاقها
على ما يكون من الطرق الخفية الى حصول الغرض بحيث لا ينقطع له الابنوة من الزكاو
الفطنة واخص من هذا تخصيصها بما يذم من ذلك وهذا هو الغالب على عرف الفقهاء
المكرين للحيل فان اهل العرف لم تصرف في تخصيص الالفاظ العامة ببعض موضوع
عائنها ويقيد مطلقها ببعض انواعه فان الحيلة فعل من الحول وهذا التصرف من حال
الى حال وهي من ذوات الواو واصلا حوله سكنت الواو والكسر ما قبلها فقلت يا كيزان و
مقات وسعاد قال في الحكم الحول الحيل والحول الحيلة والحول المحال والاحتيال والتحيل
والتحول كل ذلك الحذق وجودة النظر والقدرة على وجه التصرف قال والحول والحيل جمع حيلة
ورجل حول وحوله وحولي وحولون شديد الاحتيال وما حوله واحيله وهو حوله منك
انتهى فالحيلة فعلة من الحول وهو التحول من حال الى حال وكل من حاول امر يريد فعله والخلص
منه فاحياه وله به حيلة يتوصل بها اليه فالحيلة معتبرة بالامر المحتمل بها عليه طلاقا ومعنا
ومصلحة ومفسدة وطاعة ومعصية فان كان المقصود امرا حسنا كانت الحيلة حسنة و
ان كان قبيحا كانت الحيلة قبيحة وان كان طاعة وقربة كانت الحيلة عليه كذلك وان كان
معصية ونسوقا كانت الحيلة عليه كذلك ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تركبوا ما ارتكبت اليهود
فتستحلوا محارم الله بادق الحيل صارت في عرف الفقهاء اذا اطلقت بقصد بها الحيل التي
يستحل بها المحارم كحيل اليهود وكل حيلة تتضمن اسقاط حق لله او لادعي ما يستحل به المحارم
ثم ونظير ذلك لفظ الخداع فانه ينقسم الى محمود ومذموم فان كان بحق فهو محمود وان كان با
طل فهو مذموم ومن النوع المحمود قوله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقوله في الحديث الذي
رواه الترمذي وغيره كل الكذب يكذب علي ابن ادم الا ثلاث خصال رجل كذب امراته لير
ضيقها ورجل كذب بين امرأين ليصلح بينهما ورجل كذب في خدعة حرب ومن النوع
المذموم قوله في حديث عياض بن حمار الذي رواه مسلم في صحاحه اهل النار خمسة
ذكر منهم رجل لا يصحح ولا يمسي الا وهو يخادع عن اهلكه وماكده وقوله تعالى

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلى أنفسهم وما يشعرون وقوله وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبكم الله ومن النوع المحمود خلع كعب بن الاشرف وابي رافع عدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتلوا وقتل سفيان بن خالد البجلي منه ومن احسن ذلك خديجة
معبدين ابني عبد الخزاعي لابي سفيان وعسكر المشركين حين هلكوا بالوجع ليسا صلوا
المسلمين فزدهم من نورهم ومن ذلك خديجة نعيم بن مسعود الاشجعي لم يرد اليه فريضة
ولكفار قريش والاحزاب حتى القى الخلف بينهم وكان سبب تفرقهم ورجوعهم ونظائير
ذلك كثير وكذلك المكر ينقسم الى محمود ومذموم فان حقيقته ظاهرا ومراخفا خلافا لمتوصله
الى مراده فمن المكر المحمود مكره تعالى بهل المكر بمالته لهم بفعلهم وجزالهم يجنس علمهم قال تعالى
ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقال تعالى ومكرنا مكرنا مكرنا وهم لا يشعرون وكذلك
الكيد ينقسم الى النوعين قال تعالى والي لهم ان كيد قتيين وقال وكذلك كيد البؤس ما كان لياء
خذاه في دين المكر لان يشاء الله وقال انهم يكيدون كيدا **فصل** في كيد الكيد
اذا عرف ذلك فلا اشكال انه يجوز للانسان ان يظهر قولاً او فعلاً مقصوده به مقصود
صالح وان كان ظاهره خلاف ما قصد به اذا كانت فيه مصلحة دينية شرعية فرفع الظلم عن
نفسه وغيره او ابطال حيلة محرمة وانما المحرم ان يقصد بالعقد الشرعية غير ما
شرعها الله ورسوله فيصير مخادعاً كما يدل عليه ما كرا بشرعه فان مقصوده حصول
الشيء الذي حرمه الله ورسوله بتلك الحيلة واسقاطه الذي اوجبه بتلك الحيلة وهذا
ضد الذي قبله فان ذلك مقصوده التوصل الى الظلم بالدين الله وفتح معصيته و
ابطال الظلم وانما التمكن من هذا اللون وذلك لون اخر ومثال ذلك التناول في اليدين فانه
نوعان نوع لا ينفعه ولا يخلصه من الاثم وذلك اذا كان الحق عليه فجعله ثم حلف على
انكاره متاولاً فان تاويله لا يسقط عنه اثم اليدين الغيوس والنية المستحلف في ذلك انما
ق المسلمين بل لو تناول من غير حاجة لم ينفعه ذلك عند الاكثرين واما المظلم المحتاج
فانه ينفعه تاويله ويخلصه من الاثم وتكون اليدين على نيته فاذا استخلفه ظالم بايمان
البيعة او ايمان المسلمين فتناول الايمان بجميع يمين وهي اليد او حلف بان كل امرأة له
طالق فتناولها طالق من وثاق الطلاق عند الولادة او طالق من غير ذلك ونحو ذلك
او استخلفه بان كل مملوك له حراً وعقيق فتناول الله عقيقه او كرم من قهرام فرس عقيق

او استخلفه بان تكون امراته عليه كظهر امره فتناول ظهر امره بمركبها فان ضيق
عليه والزوم بان يكون يقول انه مظهر من امراته تناول بانه قد ظاهرين ثوبين
او جبينين من عند امراته وان استخلفه بالحرام تناول الحرام الذي حرمه الله يلزم
به تحريمه فان ضيق عليه بان يلزمه ان يقول الحرام يلزم من زوجتي او ان يكون على
حراما قيد ذلك بنيتها اذا احسرت او صامت او قامت الى الصلاة ونحو ذلك فان استخلفه
بان كل مال له او كل ما يملكه صدقة تناول الله صدقة من الله عليه وان قال له قل وان
جميع ما يملكه من دار وعقار وضيعة وقف على المساكين تناول الفعل المضارع
بما يملكه في المستقبل بعد كذا وكذا سنة فاذا ضيق عليه وقال جميع ما هو جاري في
مالي لان نوي اضافة المالك الى الان لا الى نفسه والاث لا يملك شيئا وان قال ما هو
في مالي في هذا الوقت يكون وقفا اخرج معنى لفظ الوقف عن المي لمعنى الى معنى
اخر والرب تسمي سوار الحاج وقفا وان استخلفه بالمشي الى بيت الله نوي مسجدا
من مساجد المسلمين فان قال قل علي الحج الى بيت الله نوي بالحج القصد الى المسجد
فان قال الى البيت العتيق نوي المسجد القديم فان قال الى البيت الحرام نوي الحرام
هدمه واتخذه دارا ونحو ذلك وان استخلفه بالامانة نوي بها الوديعه واللقطة
ونحو ذلك وان استخلفه بصوم سنة نوي بالصوم الامساك عن كلام يمكنه الاساكن
عنه سنة او دارا هذا كله في المحلوف به واما المحلوف عليه فيجزي هذا المجزى فاذا
استخلفه ما رايت فلانا نوي حاضرت ربيته او ما كلمته نوي ما جرحته او ما عاشرته
او ما خالطته نوي بالمخالطة والمعاشرة معاشرة الزوجه والسرية او ما بايعته
ولا شاريته نوي بذلك ما بايعته ببيعة اليدين وما شاريته من المصاراة وهي اللجاج
والغضب تقول شري على مثال علم اذ الج واستشاط غضبا وان استخلفه لصريحه انه
لا يدبر عليه ولا يعي به ولا يخبر به احدا نوي انه لا يفعل ذلك مادام معه وان ضيق
عليه وقال ما عاش او ما بقي او مادام في هذه البلدة نوي قطع الطرف عما قبله
ان لا يكون متعلقا به او نوي بما الذكري لا اول عليك الذي عاش او بقي بعد
اخذك وان استخلفه ان لا يبطر زوجته نوي وطأها برجله وان استخلفه ان
لا يتزوج فلانه نوي ان لا يتزوجها نكا حافسا او نحو ذلك وكذلك استخلفه

ان لا يبيع كذا او لا يشتريه او لا يوجره ونحو ذلك وكذلك لو استخلفه ان لا يد
 خل هذه الدار او البلد او المحلة قيد الخول بنوع معين بالنية وكذلك لو استخلفه
 انك لا تعلم اين فلان نوى مكانه الخاص من داره او بلده او سوقه ولو استخلفه
 انه ليس عنده في داره نوى انه ليس عنده اذا خرج من الدار فان ضيق عليه وقال
 الان نوى انه ليس حاضرا معه الان وقد بر وصدق وان استخلفه ليس له علم
 نوى ليس له علم بصره وما ينطوي عليه وما يفهمه او ليس له علم به على حال جهته
 التفصيل فان هذا لا يعلمه الا الله **فصل** والمطلوب المستخلف
 مخرجان يتخلص بهما مخرج بالتاويل حال الحلف فان فاته فله مخرج يتخلص
 به بعده ان امكنه كما اذا استخلفه قطاع الطريق او اللصوص ان لا يجبر بهم
 احدا فالحيلة في ذلك ان يجمع الوالي المتهمين ثم يساله عن واحد واحد فيبر
 البري ويسكت عن المتهم وهذا المخرج اضيق من الاول فاذا استخلفه ظالم
 ان لا يشكو اعرابه ولا يطالبه بحقه فحلف ولم يتاويل حال عليه بذلك الحق
 من يطالبه به ولم يجت في يمينه واذا استخلفه ظالم ان يبيعه شيئا فله
 ان يملكه او ولده فاذا باعه بعد ذلك كان قد بر في يمينه ويمنع من تسليمه من
 ملكه اياه **فصل** وللحيل التي يتخلص بها من مكر غيره والغدر به
 امثله **المثال الاول** ان استاجر منه ارضا او بستان او دارا سنين
 ثم لا يامن مكره اذا صلت الارض والبستان بنوع من انواع المكر والغدر
 ولو لم يكن الا بان يدعي ان اجرة المثل في هذه الحال اكثر مما سمي فالحيلة في
 انه من ذلك ان يسمي لكل سنة اجرا معلوما ويجعل اجرة السنين المتاخرة
 معظم الاجرة واقلمها للسنين الاول فلا يسهل عليه المكر بعد ذلك وعكسه
 اذا خاف الموجه مكر المستاجر وغدره في المستقبل جعل معظم الاجرة في السنين
 الاول واقلمها في الاواخر **المثال الثاني** ان يخاف الموجه غيبة المستاجر
 فلا يتمكن من مطالبة امرائه بالاجرة ولا من اخراجها لانها في ايديهم فالحيلة
 في ذلك ان يوجرها لوارث المرأة فان دخل عليه تعدد مطالبتها بالاجرة
 ضمن الزوج الاجرة او اخذ بها رهنا فان كان قد اجرها من الزوج وخاف

88
 ذكر الحيل المباحة
 وذكر الامثلة الثمانية
 نون

غيبته اشهد على اقرار المرأة ان الدار له وانما في يديها بحكم اجرة الزوج الى مدة
 كذا وكذا وان كفل المرأة وقت العقد انما ترد اليه الدار عند انقضاء المدة نفقة
 ذلك **المثال الثالث** ان يخاف المستاجر ان يزداد عليه في الاجرة او يفسخ عقده
 اما ان تكون العين الموجهة وقفا عند من يرى ذلك او يتحيل عليه حتى يبطل
 عقده فالحيلة في انه وتخلصه ان يسمي للاجرة اكثر مما اتفق عليه ثم يصارفه
 عليه بقدر المسموع ويدفعه اليه ويشهد عليه انه قبض المسموع الذي وقع عليه العقد
 فاذا مكر به وطلب فسخ عقده طالبه بما قبضه من المسموع هذا اذا تعدد عليه رفع
 تلك الاجارة الى حاكم يحكم بلزومها وعدم فسخها للزيادة **المثال الرابع** ان
 يخاف ان يوجره مالا يملك فيأبى المالك ويفسخ العقد ويرجع عليه بالاجرة ف
 الحيلة في تخلصه ان يضمن المؤجر درك العين المستاجرة وان ضمن من يخاف منه الاستخفا
 ق ومطالبة كان اقوى **المثال الخامس** ان يخاف فليس المستاجر ولم يجد من
 يضمنه الاجرة فالحيلة في فسخه ان يشهد عليه في العقد انه موافق له عليه ان قيام
 باجرة شهر او سنة فله الفسخ ويضع هذا الشرط ولو لم يشترط ذلك فانه يمكن الفسخ
 عند تعدد قبض اجرة ذلك الشهر او السنة ويكون حدود الفسخ عينا في الزمة يمكن
 به من الفسخ كما يكون حدود العيب في العين المستاجرة مسوغا للفسخ وهذا
 ظاهر اذا سمي لكل شهر او سنة قسطا معلوما ولا يعين مقدار المدة بل يقول اجر
 تك كل شهر يكذا او كل سنة يكذا فتؤول بالاجرة في اول الشهر او السنة فان افسس قبل
 مضي شيء من المدة ملك الموجه الفسخ وان افسس بعد مضي شيء منها فله ملك الفسخ
 على وجهين احدهما الامتلاك لان مضي بعضها كلف بعض البيع وهو يمنع الرجوع في
 والثاني يملكه وهو القاضي وهو الصحيح لان المنافع انما تملك شيئا فشيئا بخلاف
 الاعيان فانما تملك في ان واحد فيتعدى وتجدد العقد عن تجديد المنافع **المثال**
السادس اذا خاف المستاجر ان تهدم الدار فيعجزها فلا يحتسب عليه
 المؤجر بما اتفق فالحيلة في ذلك ان يقول وقت العقد واذن المؤجر للمستاجر
 ان يعمر ما تحتاج الدار الى عمارته من اجرة ما ويؤدر لذلك قرضا معلوما فيقول
 شلا عاية فمادونها او يقول من عشرة الى مائة فان لم يفعل ذلك واحتاجت الى
 عمار لا يتم الانتفاع الا بها اشهد على ذلك وعلى ما اتفق عليه وان غدر به وحسب له الاجرة وكذلك

2
 اما يكون

اذا استأجر منه دابة واحتاجت الى علف وخاف ان لا يحتسب له به المجر
فعل مثل ذلك فان قال اذنت كذا ان تنفق على الدار والدابة ما تحتاج اليه فادعي
قدرا فانكره المجر فالقول قول المؤجر والحيلة في قبول قول المستأجر ان
يسلف رب الدار ما يعلم انها لا تحتاج اليه من العارة ويشهد عليه بقضه من
الاجرة ثم يدفعه اليه ويؤكد ان ينفق منه على الدار والدابة ما تحتاج اليه فالقول
حينئذ قوله لانه امين فان خاف المؤجر ان يستعمله المستأجر المال الذي قبضه
ويقول انه تلف وهو امانة فلا يلزم في ضمانه فالحيلة في امته من ذلك ان يقرضه
اياه ويجعله في ذمته ثم يؤكد ان ينفق على العين ما تحتاج اليه من ذلك **المثال**
السابع اذا اجرد دابة او دار امدة معلومة وخاف ان يحبسها عنه بعد انقضاء
المدة فطريق التخلص من ذلك ان يقول فاذا انقضت المدة فاجزها بعد ذلك بكذا
دينارا ونحوه فلا يمس على حبسها بعد انقضاء المدة **المثال الثامن** اذا
كان له عليه دين فقال اشتره به كذا وكذا ففعل لم يبرأ من الدين بذلك لانه يكون مبررا
لنفسه من دين الغير بفعله وطريق التخلص ان يشهد على اقراره بالدين ان من
عليه الدين يري بعد ثرائه مستحقه كذا وكذا والقياس انه يبرأ بالشر او ان لم يفعل
ذلك لانه يؤكد له قد اقامه مقام نفسه فكما قام مقامه في الامر بفعل نفسه
وانما يري بفعله لو كيلة القائم مقام الموكل فعل **المثال التاسع** اذا اراد
ان يستأجر الى مكان باجرة معلومة فان لم يبلغه واقام دونه فالاجرة كذا وكذا
فقالوا لا يصح لانا لا نعلم على اي المسافتين وقع العقد قال والحيلة في تصحله
ان يسمي للمكان الاقرب اجرة ثم يسمي منه الى المكان الا بعد اجرة اخرى فيقول مثلاً
اجرتك الى الرملة بمائة ومن الرملة الى مصر بمائة لكن لا يامر المستأجر بطلا
لبنة المؤجر بل بالاجرة الى المكان الاقصى ويكون قد اقام في المكان الاقرب فالحيلة
في التخلص ان يشترط عليه الخيار في العقد الثاني ان شاء امضاه وان شاء
فسخه ويصح اشتراط الخيار في عقد الاجارة اذا كانت على مدة لا تلي العقد
والقياس يقتضي صحة الاجارة على انه ان وصل الى مكان كذا وكذا فالاجرة ما به
وان وصل الى مكان كذا وكذا فالاجرة ما بين ولا غرض في ذلك ولا جماله وكذا اذا قال ان خطر

هذا الثوب روميا فلقد درهم وان خطته فارسيا فلقد نصف درهم فان العمل انما
يقع على وجه واحد وكذلك قطع المسافة فانه اما ان يقطع القريب او البعيد
فلا يشبه هذا قوله بعنك بعشرة نقدا او بعشرين نسيه فانه اذا اخذه لا يدري
بأي الثمنين اخذ فيقع التنازع ولا سبيل لنا الى العلم بالعين منها بخلاف عقد الاجارة
فانه استيفاء الحق عليه لا يقع الا عيناً فيجب اجرة عمله **المثال العاشر**
اذا زرع ارضه ثم اراد ان يوجرها والزرع قائم لم يجوز لتعذر انتفاع المستأجر بها
لارض وطريق تصحيحها ان يبيعه الزرع ثم يوجرها الارض فان احب بقاء الزرع
على ملكه قد كماله مدة معينة ثم اجرة الارض بعد ذلك لمدة اجارة مضافة فان
خاف ان يفسخ عليه العقد حاكم يبر بطلان هذه الاجارة فالحيلة ان يبيعه الزرع
ثم يوجرها الارض فاذا تم العقد اشترى منه الزرع فعاد الزرع الى ملكه وصحت
الاجارة **المثال الحادي عشر** اذا اراد ان يوجر الارض على ان خراجها
على المستأجر لم يصح لان الخراج تابع لرقبة الارض فهو على مالكها لا على المنتفع
بها من مستأجر او مستعير فطريق الجواز ان يوجرها اياها باجرة زائدة على اجرة
مثلاً بقدر خراجها ثم يشهد عليه انه قد اذن للمستأجر ان يدفع من اجرة الارض
في الخراج كل سنة كذا وكذا لو استأجر دابة على ان يكون علفها على المستأجر
لم يصح وطريق الحيلة ان يستأجرها بشي سمي ثم يقول له ما تحتاج اليه الدابة و
يؤكد في انفاقه عليها والقياس يقتضي صحة العقد بدون ذلك فانا نصح استئجار
الاجير بطعامه وكسوته كما أجر موسى صلى الله عليه وسلم نفسه بعقده فوجهه وشبهه بطنه
فكذلك يجوز اجارة الدابة بعلفها وكما يجوز ان يكون علفها جميع الاجرة يجوز
ان يكون بعض الاجرة والبعض الاخر شق سمي **المثال الثاني عشر** لا يجوز
اجارة الاشجار لان المقصود منها الفواكه وذلك بمنزلة بيعها قبل بدوها قالوا
الحيلة في جوازها ان يوجر الاجرة وارض ويساقية على الشجر بجزء معلوم **قال شيخ**
الاسلام وهذا لا يحتاج اليه بل الصواب اجارة الشجر كما فعل عمر بن الخطاب
بحديقة اسيد بن حضير فانه اجرها سنين وقضى بما دینه قال واجارة الشجر
لاجل ثمرها بمنزلة اجارة الارض لمغلا فان المستأجر يقوم على الشجر بالسقي
والاصلاح والزرار في الكرم حتى يحصل الثمرة كما يقوم على الارض بالحرث والسقي

والبذر حتى يحصل المخل فثمره الشجرة تجري مجرى مغل الأرض فان قيل
 الفرق بين المسالتين ان المخل من البذر وهو ملك المستاجر والمعقود عليه
 الانتفاع بايداعه في الأرض ومقتضيه والقيام عليه بخلاف استيجار الشجرة فان
 الثمرة من الشجرة وهي ملك المجر فالجواب من وجوه **احدها** ان هذا لا تأثير
 له في صحة العقد وبطلانه وانما هو فرق عديم التأثير الثاني ان هذا يبطل
 باستيجار الأرض لكلاهما وعشهما الذي ينبت الله بذر من المستاجر
 فهو نظير ثمر الشجرة الثالث ان الثمرة انما حصلت بالسقي والحفدة والقيام
 على الشجرة في متولدة من عمل المستاجر ومن الشجرة فللمستاجر سعي وعمل في حصول
 لها الربح ان تولد الزرع ليس من البذر وحده بل من التراب والبذر والماء والهوا
 فحصول الزرع من التراب الذي هو ملك المجر كحصول الثمرة من الشجرة والبذر
 في الأرض قائم مقام السقي للشجرة فهذا اودع في أرض المجر عينا جامدة وهذا
 اودع في شجرة عينا دايمة ثم حصلت الثمرة من اصل هذا وما المستاجر وعمله كما
 حصل العمل من أرض هذا وبذر المستاجر وعمله وهذا من اصح قياس على وجه الأرض
 وبه يبين ان الصحابة افقه الامه واعلمهم بالمعاني الموثرة ولم ينكر احد من الصحابة
 على عمر بن الخطاب منهم ثم ان هذه الحيلة التي ذكره هو لا تشذ وغالبا اذا كان
 البستان لليتيم او وقفا فان المجر ليرب له ان يحاكم في المساقاة حينئذ ولا يخلص
 من ذلك محاباة المستحق في اجارة الأرض فانه اذا ارجعه في عقد لم يجز له ان
 يخسره في عقد اخر ولا يخلص من ذلك اشتراط عقد في عقد بان يقول انما اسأ
 قيك على جزء من الف جزء بشرط ان اوجرك الأرض بكذا وكذا فان هذا لا يصح
 فخطا فافعله الصحابة وهو يقتضي القياس الصحيح لا يحتاج الى هذه الحيلة
 وبالله التوفيق **المثال الثالث عشر** اذا اشترى دارا او أرضا وخاف
 ان يخرجها وقفا او يستحقها فتؤخذ منه هي واجرتها فالحيلة ان يضمن البائع
 او غيره درك المبيع وانما ضمان لما غربه المشتري من ذلك ويصح ضمان
 الدرك حتى عند من يبطل ضمان المجهول وضمان ما لم يجب للحاجة الى ذلك
 فان ضمن ما يخاف استحقاؤه كان اقوى فان خاف ان يظهر الاستحقاق

على وارثه بعد موته ضمن الدرك ورثة البائع او ورثة من يخاف استحقاؤه
 ان امكنه فان كان على ثمة انه متى استحق عليه لم يسع رجوع ثمنه ولكن يغرر قيمة
 المنفعة وهي اجرة المثل لثمة استيلائه على العين وهذا قول ضعيف جدا فان
 المشتري انما دخل ليستوفي المنفعة بلا عوض والعوض الذي بدله في مقابلة العين
 لا الانتفاع فالزامه بالاجرة الزام بما لم يلزمه وكذا نقول في المستعير اذا
 استحق العين لم يلزمه عوض المنفعة لانه انما دخل على ان ينفع مجانا بلا عوض
 بخلاف المستاجر فانه التزم الانتفاع بالعوض ولكن لا يلزمه الا المسمى الذي دخل عليه
 وكذلك المشتراة اذا وطأها ثم استحققت لم يلزمه المهر لانه دخل على انه يطأها مجانا
 بخلاف الزوج فانه دخل على ان الوحي في مقابلة المهر ولكن لا يلزمه الا المسمى اذا استحققت
 وعلى هذا فليس للمستحق ان يطلب المغرور لانه معذور غير ملتزم للضمان وهو محسن
 ظالم فاعليه من سبل وهذا هو الصواب فان طالبة على القول الاخر رجوع على من غره بما لم
 يلتزم ضمانه خاصة ولا يرجع عليه بما التزم غرامته فاذا غرم المودع او المتهيب قيمة
 العين والمنفعة رجوع على الغاربهما واذا غرم المستاجر رجوع بقيمة العين دون
 قيمة المنفعة الا ان يرجع بالزيادة على المسمى حيث لم يلتزم ضمانه واذا ضمن وهو
 مشترا او مستعير قيمة العين والمنفعة رجوع بقيمة المنفعة دون قيمة العين لكنه
 يرجع بقيمة المنفعة بما زاد على الثمن المسمى والمقصود ان هذا المشتري متى خاف
 ان يطالبه بقيمة المنفعة اذا استحق عليه المبيع فالحيلة في تخلصه من ذلك ان يستأ
 جره منه الدار او الأرض سنين معلومة باجرة سماة ثم يشتريها منه بعد ذلك ويشهد
 عليه انه قبضه الاجرة فمتى استحق العين وطول بعوض المنفعة طالبه هو المجر
 بما قبضه من الاجرة لما ظهرت الاجارة باطله **المثال الرابع عشر** اذا وكل
 ان يتزوج له امرأة معينة او يشتري له جارية معينة ثم خاف الموكل ان تعجب وكيله فيتر
 وجها او يشتريها لنفسه فطريق التخلص من ذلك في الجارية ان يقول له ومتى اشتريتها
 لنفسك فهي حرة ويصح هذا التعليق والعقد واما الزوج فانه متى صح هذا التعليق فيها
 كما ذكره ابني حنيفة نفقه واما الشافي واهل ابيه فانه لا ينفعه فطريق التخلص ان
 يشهد عليه انما لا يحمل له وان بينهما سببا يقتضي تحررها عليه وانتهى
 نكحها كان نكاحه باطلا فان اراد الموكل ان يشتريها لنفسه او يتزوجها ولا يأن

فما بينه وبين الله فالحيلة ان يعزل نفسه عن الوكالة ثم يعقد عليها بنفسه ولو
 عقد عليها لنفسه كان ذلك عزلا لنفسه عن الوكالة فان خاف ان لا يتم له ذلك بان يرفعه
 الى حاكم حنفي يرى انه لا يمكن الوكيل عزل نفسه في غيبة الموكل فاراد التخلص من ذلك
 بالطريق في ذلك ان يشتري بنفسه بغير جنس ما اذن له فيه فانه اذا اشتراها لنفسه
 بجنس ما اذن له فيه تضمن ذلك عزل نفسه في غيبة موكله وهو ممتنع فاذا اشتراها بغير جنس
 حصل الشراء ولم يكن ذلك عزلا لنفسه **المثال الخامس عشر** اذا وكله في بيع جارية
 وكله اخبر في شراها فان قلنا الوكيل ينوي طرفي العقد جاز ان يكون بايها مشتريا
 لهما وان منعنا ذلك فالطريق ان يبيعهما لمن يستوثق منه انه يشتريهما منه ثم يشتريهما
 لموكله فان خاف ان لا يفي له المشتري الذي توثق منه فالحيلة ان يبيعه اياها بشرط
 الخيار فان وقاله بالبيع والا كان متمكنا من الفسخ **المثال السادس عشر** لا يمكن
 حلح ابنته بصداقها فان ظهرت المصلحة في ذلك لها فالطريق ان يتملكه عليها قسم
 يخلعها من زوجها فيكون قد اخلعها بماله والصحيح انه لا يحتاج الى ذلك بل اذا
 ظهرت المصلحة في اقتنائها من الزوج بصداقها جاز ذلك كان بمنزلة اقتنائها من الغير
 بماله او بما كان هذا اخبرها **المثال السابع عشر** اذا وكله ان يشتري له
 متاعا فاشتراه ثم اراد ان يبعث به اليه فحان يتملكه فيضمنه الوكيل فطريق التخلص
 من ذلك ان يستاذن الموكل ان يعمل في ذلك براه يفوض اليه ذلك فان اذن له فبعث
 فتلف يضمنه **المثال الثامن عشر** اذا اراد ان يسلم وعنده خمر او خنازير
 واراد ان لا يتلف عليه فالحيلة ان يبيعهما للكا قبل الاسلام ثم يسلم ويكون له المطالبة
 بالثمن سواء اسلم المشتري او بقي على كفره ونصر على هذا احمد في مجوسى باع مجوسيا خمر
 ثم اسلمها اخذ الثمن وقد وجب له يوم باعه **المثال التاسع عشر** اذا كان له
 عصير فخا وان يتخمر فلا يجوز له بعد ذلك ان يتخذه خلا فالحيلة ان يلقي فيه اولاما
 يمنع تخمره فان لم يفعل حتى تخمر وجب عليه اراقته ولم يجز له حبسه حتى يتخلل فان
 فعل لم يظروا ولم ينج لان حبسه معصية وعوقبه خلا فتمتع فلا تستباح بالمعصية
المثال العشرون اذا كان له على رجل دين وجعل واراد ان يدين له
 السفر وخاف ان يتولى ماله او يحتاج اليه ولا يمكنه المطالبة قبل الحلول فاراد

ان يضع عن الغريم البعض ويجعل له باقيه فقد اختلف لسلف والخلف في هذه
 المسألة فاجازها ابن عباس وحررها ابن عمر وعن احمد في كل واحد من اشهرها عنة
 وهي اختيار جمهور اصحابه والثانية الجواز حكاه ابن ابي موسى وهي اختيار شيخنا
 وحكي ابن عبد البر في الاستذكار ذلك عن الشافعي قولا واصحابه لا يكادون يعرفون هذا
 القول ولا يحكونه واطن هذا ان صح عن الشافعي فانما هو فيما اذا جرى ذلك بغير شرط
 بل جعل له بعض دينه وذلك جائز فابراه من الباقي حتى لو كان قد شرط ذلك قبل الوضع
 والتجمل ثم فعلاه ببيع الشرط المتقدم صح عنده لان الشرط الموثق في ذهابه
 هو الشرط المقارن لا السابق وقد صرح بذلك بعض اصحابه والباقيون قالوا لو
 فعل ذلك من غير شرط جاز وصادق الشرط المقارن واما ما لا فانه لا يجوز بيع
 الشرط ولادونه سدا للذريعة واما احمد فيجوز في دين الكتابه وفي غيره عنده روا
 ينان واجبة المانعون بالانذار والمعنى اما الاشارة في سنن البيهقي عن المقداد بن
 الاسود قال اسلفت رجلا مائة دينار ثم خرج سمي في بعث بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقلت له عجل تسعين ديناروا حط عشرة دنانير فقال نعم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال اكلت ربا مقدادا وطعنه وفي سنده ضعف وصح عن ابن عمر انه يكون له الدين على رجل
 الى اجل فيضع عنه صاحبه ويجعل له الاخر فذكره ذلك ابن عمر ونهى عنه وصح عن ابن ابي المنال
 انه سأل ابن عمر فقال الرجل على دين فقال لي عجل لي لاضرع عندك قال فماني عنه وقال
 نهي امير المؤمنين يعني عمر ان يبيع العين بالدين وقال ابو صلح مولى السفاح واسمه
 عبيد بعث بر من اهل السوق الى اجل ثم اردت الخروج الى الكوفة فعرضوا علي
 ان اضع عنهم وينقدوني فسالت عن ذلك زيد بن ثابت فقال لا امرك ان تأكل هذا
 ولا تؤكله رواه مالك في الموطا واما المعنى فانه اذا تعجل البعض واسقط الباقي
 فقد باع الاجل بالقدرا الذي اسقطه وذكره ابن الربيع في الاجل بالقدرا الذي
 يزيد اذ اجل عليه الدين فقال زيد في الدين وازيد في المدة فاي فرق بين ان
 يقول حط من الاجل واحط من الدين او يقول زيد في الاجل وازيد في الدين قال
 زيد بن ابي اسلم كان ربا الجاهلية ان يكون للرجل على الرجل الحق الى اجل فاذا اجل الحق قال له
 غريمه انقضي ام ترني فان قضاه اخذه والا زاده في حقه واخر عنه في الاجل رواه
 مالك وهذا الربا مجمع على تحريمه وبطلانه وتحريمه معلوم من دين الاسلام كما يعلم تحريم

خ
شروط

الزنا واللواط والسرقه قالوا فنقص الاجل في مقابلة نقص العوض كزيادة في
مقابلة زيادته فكما ان هذا ربا فكذلك الاخر قال المبيحون صح عن ابن عباس انه كان
لا يرى باسا ان يقول لعجل لك وتضع عني وهو الذي روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
امر باخراج بني النضير من المدينة جاءه ناس منهم فقالوا يا رسول الله انك امرت باخراجهم
ولم على الناس ديون لم تحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم عاؤم صنعوا وتعجلوا فقال ابو عبد الله
كم وهو صحيح الاسناد قلت هو على شرط السنن وقد ضعفه البيهقي واسناده ثقة
وانما ضعفه مسلم بن خالد الزنجي وهو ثقة فقيه روى عنه الشافعي واخرج به وقال
البيهقي باب من جعل له ادق من حقه قبل محله فوضع عنه طيبة به انفسهم او كان مراد
ان هذا وقع بغير شرط بل هذا لعجل وهذا وضع ولا محذور في ذلك قالوا وهذا ضد
الربا فان ذلك يتضمن الزيادة في الاجل والدين وذلك اضرار محض بالغريم ومسئلتنا في
برائة الغريم من الدين وانتفاع صاحبه بما يتجمله فكلاهما حصل له الانتفاع من
غير ضرر بخلاف الربا المجمع عليه فان ضرره لاحق بالمدين ونفعه مختص بدينه فيؤخذ
الربا صورة ومعنى قالوا لان مقابلة الاصل بالزيادة في الربا ذريعة الى اعظم الضرر وهو
ان يصير الدرهم الواحد الوفا مولفة فتشتغل الذمة بغير فائدة وفي وضع وتعجل يتخلص
ذمة هذا من الدين وينتفع ذاك بالتعجيل له قالوا والشارح له تطالع الى برائة الذم
من الدين وسمي الغريم المدين اسيرا في برائة ذمة تخليص له من الاسر وهذا ضد
شغلها بالزيادة مع الصبر وهذا لازم لمن قال بجواز ذلك في دين الكتابه وهو قول
احمد والي حنيفة فان المكاتب مع سيده كالاجنبي في باب المعاملات ولهذا لا يجوز
ان يبيعه درهم بدرهمين ولا يبايعه بالربا فاذا جاز له ان يتعجل بعض كتابته و
يضع عنه باقيه الماله في ذلك من مصلحة تعجيل العتق وبرائة ذمة من الدين لم يمنع ذلك
في غيره من الديون ولو ذهب ذاهبا الى التفصيل في المسئلة وقال لا يجوز في دين
القرض اذا قلنا بلزوم تأجيله ويجوز في ثمن البيع والاجرة وعوض الخلع والصدقة
لكان له وجه فانه في القرض يجب رد الثمن فاذا عجل له واسقط باقيه خرج عن ثوب
العقد وكان قد اقرضه مائة فوفاه تسعين بلا منفعة حصل للمقرض بل اختص
المقرض بالمنفعة فهو كالمريء سواء باختصاصه بالمنفعة دون الاخر واما في البيع
والاجارة فانهما يملكان فسخ العقد وجعل العوض حالا انقص مما كان وهذا

هو حقيقة

هو حقيقة الوضع والتعجيل لكن تحيلا عليه والعبارة في العقود بقاصدها لا بصورها
فان كان الوضع والتعجيل مفسدة فالاحتيال عليه لا يزيل مفسدته وان لم تكن مفسدة
لم يحتاج الى الاحتيال عليه فتأخر في المسئلة اربعة مذاهب المنع مطلقا بشرط وبه
في دين الكتابه وغيره كقول مالك وجواز في دين الكتابه دون غيره كالشهور
من مذهب احمد والي حنيفة وجواز في الموضوعين كقول ابن عباس واحمد في الرواية
الاخرى وجواز بلا شرط وانتفاعه مع الشرط المقارن كقول اصحاب الشافعي
المثال الحادي والعشرون اذا كان له عليه الف درهم فصالحه
منها على مئة درهم يودعها اليه في شهر كذا من سنة كذا فان لم يفعل فعليه ما يتان فقال
القاضي ابو يعلى هو جائز وقد ابطله قوم اخرون والحيلة في جوازها على مذهب
الجميع ان يجعل ربا المالح حط ثمان مائة بنائم بصالح المطلوب من المائتين الباقية
قيمتها على مائة يودعها اليه في شهر كذا على انه ان اخرها عن هذا الوقت فلا
صلح بينهما **المثال الثاني والعشرون** اذا كاتب عبد على الغيودعها اليه
في سنتين فان لم يفعل فعليه لغاخرى في كتابته فاسدة ذكره القاضي لانه علو ايجاب
المال بخطر ولا يجوز ذلك والحيلة في جوازها ان يكاتب على الغي درهم ثم يصالحه
منها على الف درهم يودعها اليه في سنتين فان لم يفعل فلا صلح بينهما فيكون قد علو الفسخ
بخطر فيجوز ويكون كالمسئلة التي قبلها **المثال الثالث والعشرون** اذا كان له
عليه دين حال فصالحه على تأجيله او تأجيل بعضه لم يلزم التأجيل فان الحال لا يتأجل
والصحيح انه يتأجل كما يتأجل بدل القرض وان كان النزاع في الصورتين فذهب
اهل المدينة في ذلك هو الرأى وطريق الحيلة في صحة التأجيل ولزومه ان يشهد
على اقرار صاحب الدين انه لا يستحق المطالبة به قبل الميعاد الاجل الذي اتفقا عليه
وانه متى طال به قبله فقد طالبت بما لا يستحق فاذا فعل هذا امن رجوعه في التأجيل
المثال الرابع والعشرون اذا اشترى من رجل دارا بالف فما الشفعة يطلب
الشفعة فصالحه المشتري على نصف الدار بنصف الثمن جاز ذلك لان الشفعة صالح
على بعض حقه كالوصالح من الف على خمسين فان صالحه على بيت من الدار بعينه بحصته
من الثمن يقوم البيت ثم تخرج حصته من الثمن جاز ايضا لان حصته معلومة في اثنائها الحال
فلا يضر كونها مجهولة حال الصلح كما اذا اشترى شقة صاوسيفا فللشفيع ان يأخذ
الشفعة بصحة من الثمن وان كانت مجهولة حال العقد لان مالها الى العلم وقال

القاضي وغيره من اصحابنا لا يجوز لانه صالحه على شئ مجهول ثم قال والحيلة
في تصحيح ذلك ان يشتري الشفع هذا البيت من المشتري بثمن مسمى ثم يسلم الشفع
للمشتري ما بقي من الدراهم وشرا الشفع لهذا البيت تسليم للشفعة وسأوتها بما
لبيت تسليم للشفعة فان اراد الشفع شرا البيت لمعين وبقاءه على شفيعته فإ
الحيلة ان لا يبدأ بالمساومة بل يصبر حتى يشتري المشتري فيقول هذا البيت اخذ
ته بكذا وكذا فيقول الشفع قد استوجبت بما اخذته به ولا يكون سلبا للشفعة
في باقي الدراهم وليس في هذه الحيلة ابطال حق غيره وانما فيها التوصل الى حقه لا
المثال الخامس والعشرون يجوز تعليق الوكالة على الشرط كما يجوز تعليق
الولاية والامارة على الشرط وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله تعليق الامارة على الشرط
وهي وكالة وتقويض وتولية ولا محذور في تعليق الوكالة بالشرط البتة والحيلة
في تصحيحها ان ينجز الوكالة ويعلق الاذن في التصرف بالشرط وهذا في الحقيقة
تعليق لها نفسها بالشرط فان مقصود الوكالة صحة التصرف ونفوذها والتوكل وسيلة
وطريق الى ذلك فاذا لم يمنع تعليق المقصود بالشرط فالوسيلة اولى بالجواز
المثال السادس والعشرون يجوز تعليق الابرار بالشرط ويصح وفعله الا لم يهر
وقال اصحابنا لا يصح قالوا فاذا قال ان مت فانت في حل مالي عليك فان علق ذلك
بموت نفسه صح لانه وصية وان علقه بموت من عليه الدين لم يصح لانه تعليق
للبراءة بالشرط ولا يصح كما لا يصح تعليق الهبة فيقال اولا الحكم في الوصل غير ثا
بت بالنصر والابا لاجماع فما الدليل على بطلان تعليق الهبة بالشرط وقد صح عن
النبي صلى الله عليه وآله انه علق الهبة بالشرط في حديث جابر قال لو قد جاء مال البعير
لاعطيتك هكذا ثم هكذا ثلاث حثيات وانجز له الصديق لما جاء مال البعير
بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله فان قيل كان ذلك وعدا قلنا نعم والهبة المعلنة
بالشرط وعد وكذا فعل النبي صلى الله عليه وآله لما بعث الى النجاشي بهدية من مسك
وقال لام سلمة اني قد اهديت الى النجاشي حلة واواني من مسك ولا اري النجاشي
الا قدمات ولا اري هديتي الامر دودة فان ردت علي فلي لك وذكر الحديث رواه
الامام احمد فالصحيح صحة تعليق الهبة بالشرط عملا بمذهبين الحديثين و
ايضا فالوصية تملك وهي في الحقيقة تعليق للملك بالموت فانه اذا قال

ان مت من مرضي هذا فقد اوصيت لفلان بكذا في هذا عليك معلق بالموت وكذلك
الصحيح صحة تعليق الوقف بالشرط نص عليه في رواية الميموني في تعليقه بالموت
وسائر التعليق في معناه ولا فرق البتة ولهذا طرده ابو الخطاب وقال لا يصح تعليقه
بالموت والصواب طرد النص وانه يصح تعليقه بالموت وغيره وهو احد الوجهين في
مذهب احمد وهو مذهب مالك ولا يعرف عن احمد نص على عدم صحته وانما عدم الصحة
قال قول القاضي واصحابه وفي المسألة وجه ثالث انه يصح تعليقه بشرط الموت دون
غيره من الشروط وهذا اختيار الشيخ توفيق الدين وفرق بان تعليقه بالموت وصية
والوصية اوسع من التصرف في الحياة بدليل الوصية بالمجهول والمعدوم والجمل والوصية
الصحيح الصحة مطلقا ولو كان تعليقه بالموت وصية لانتفع على الوارث ولا خلا
انه يصح تعليقه بالشرط بالنسبة الى البطلون بطلنا بعد بطلان وان كونه وقفا على
البطل الثاني مشروط بانقضاء البطل الاول وقد قال ثانيا ايما الذين اسفوا او فوا
بالحقوق وقال صلى الله عليه وآله وسلم المسلمون على شروطهم والقياس الصحيح يقتضي
صحة تعليقه فانه اشبه بالعقوبة بالتمليك ولهذا لا يشترط في القبول اذا كان
على جهة الاسقاط اتفاقا وكذلك اذا كان على ادني معين في اقوى الوجهين وما
ذاكر الا لشيء به بالعقوبة والمقصود ان تعليق الابرار بالشرط اولى من ذلك كله فنعم
فخالف لموجب الدليل المذهب ويقال ثانيا لا يلزم من بطلان تعليق الهبة لا
بطلان تعليق الابرار بالقياس الصحيح يقتضي صحة تعليقه لانه اسقاط محض
ولهذا لا يقتصر الى قبول المبر او لارضاه فهو بالعقوبة والطلاق اشبه منه بالتمليك
وعلى هذا فيستغني بالصحة في ذلك كله عن الحيلة فان احتاج الى التعليق وجبا
ان ينقض عليه فالحيلة ان يقول لاشي لي عليه بعد هذا الشهر او العام او لاشي
لي عليه عند قدوم زيد او كل دعوى اذ عيها عليه بعد شهر كذا او عام كذا او عند
قدوم زيد بسبب كذا او من دين كذا في دعوى باطلة او يقول كل دعوى اذ عيها
في تركته بعد موته من دين كذا او ثمن كذا في دعوى باطلة وعلى ما قررنا لا يحتاج
الاشي من ذلك **المثال السابع والعشرون** اذا اعرس الزوج بنفقة المرأة
ملك الفسخ فاذا اتمها غنه غير لم يسقط ملكها للفسخ لان عليها في ذلك منه
كما اذا اراد قضاء دين عن الغير ففسخ فامتنع ربه من قبوله لم يجبر على ذلك وطريق

المحيلة في ابطال احقها من الفسخ ان يحيلها بما وجب لها عليه من النفقة على
 ذلك الغير فتصح الحوالة وتلزم على اصلها اذا كان الحال عليه غنيا وطريق صحة
 الحوالة ان يقر ذلك الغير للزوج بقدر معين لنفقة سنة او شهر او نحو ذلك ثم يحيلها
 الزوج عليه فان لم يمكنه الاجبار على القبول لعدم من يترك ذلك وكل الزوج الملتزم لنفقة
 في الانفاق عليها والزوج مخير بين ان ينفق عليها بنفسه او بوكيله وهكذا العمل في مسألة
 اداء الدين عن الغير سواء **المثال الثامن والعشرون** اذا خاف المضارب ان
 يضمنه المالك بسبب اسباب التي لا يمكنها بعقد المضاربة فخلط المال بغيره واشترى
 به باكثر من راس المال والاستدانة على مال المضاربة او دفعه الى غيره مضاربة او ايضا
 عا او ايداعا او سفريه فطريق التخلص من ضمانه في هذا كله ان يشهد على راس المال انه
 قال اعمل برأيك او ما تراه مصلحة **المثال التاسع والعشرون** اذا كان لكل من الر
 جلين عروض واراد ان يشتركا فيها عنان ففي ذلك ريتان عن احدى احدى تصح الشر
 كة وتقوم العروض عند العقد وتكون قيمتها هو راس المال فيقسم الزوج على حصة او
 على ما شرطاه واذا اراد الفسخ رجع كل منهما الى قيمة عروضه واقسما الزوج على ما
 شرطاه وهذا القول هو الصحيح والرواية الثانية لا تصح الاعلى النقدين لانها اذا
 تفاسخا الشركه واراد كل منهما الرجوع الى راس ماله او يقسما الزوج لم يعلم ما مقدار
 راس مال كل منهما الا بالنقود وقد تزيد قيمة العروض وتنقص قبل العمل فلا يستقر راس
 المال ايضا فنقضي عقد الشركه ان لا ينفرد احد الشريكين ببيع مال الاخر وهذه الشركه
 تنفي الى ذلك لانه قد تزيد قيمة عرض احدها ولا تزيد قيمة عرض الاخر فيشاركه
 من لم تزيد قيمة عرضه وهذا انما يصح في المتقومات كالسوقي والحيوان ونحوها
 فاما المثليات فان ذلك منتف فيهما ولهذا كان الصحيح عند من منع الشركه بالعروض
 جوازها بالمثليات والصحيح الجواز في الموضوعين لان جني عقد الشركه على العدل من
 الجانبيين وكل من الشريكين متردد بين الركب والخسران فهما في هذا الجوار مستويان
 فتجوز بيع احدهما دون الاخر في مقابلة عكسه فقد استويا في رجاء الغنم وخوف
 الغرم وهذا هو العدل كالمضاربة فانه يجوز ان يربحوا وان يخسروا وكذلك
 المساقاة والزراعة وطريق المحيلة في تصحيح هذه المشاركة عند من لا يجوزها

بالعروض ان يبيع كل منهما بعض عرضه ببعض عرض صاحبه فاذا كان عرض احد
 هما يساوي خمسة الاف وعرض الاخر يساوي الف فيشتري صاحبه العرض الذي قيمته
 خمسة الاف من صاحبه خمسة اسداس عرضه الذي يساوي الف اسدس عرضه الذي
 يساوي خمسة الاف فاذا افعل ذلك صار اشريكين فيصير للذي تاعه الف اسدس جميع
 المتاع وللآخر خمسة اسداس او يبيع كل منهما صاحبه بعض عرضه بغير مسمى ثم يتقايضا
 فيصير مشتركا بينهما ثم ياذن كل واحد منهما لصاحبه في التصرف فما حصل من الزوج يكون
 بينهما على ما شرطاه عندا حده على قدر راس مالهما عند الشا في والخسران على
 قدر المال اتفاقا **المثال الثالثون** اذا تزوجها على ان لا يخرجها من دارها
 او بلدها ولا يتزوج عليها ولا يتسرى عليها فالتكاح صحيح والشرط لازم هذا
 اجماع الصحابة فانه صح عن عمر وسعيد ومعاوية ولا يخالفهم من الصحابة و
 اليه ذهب عامة التابعين وقال به احدى خالف في ذلك الثلاثة فابطلوا الشرط و
 لم يوجبوا الوفا به فاذا احتاجت المرأة الى ذلك لم يكن عندها حاكم يري صحة ذلك
 ولزومه فالمحيلة لها في حصول بقصودها ان تمتنع من الاذن الى ان تشرط بعد العقد
 انه ان سافرت او نقلت من دارها او تزوج عليها في طلق اولها الخيارات في المقام
 معه او الفسخ فان لم تنق به ان يفعل ذلك فانها تطلب مهر اكثيرا جدا ان لم يفعل
 وتطلب ما دونه ان فعل فان شرط لها ذلك رضيت بالمهر الاذي وان لم يشرط ذلك
 طالبت بالاعلى وجعلته حلالا لها ان تمنع نفسها حتى يقضي او يشرط ما سالت
 فان قيل فعلى اي المهرين يقع العقد قيل يقع على المهر الزايد لتمكن من الزايد به
 لشرط فان خاف ان يشرط لها ما طلبت ويستقر عليه المهر الزايد فالمحيلة ان يشهد
 عليها انها لا تستحق عليه بعد الاشرط شيئا من المبلغ الزايد على الصداق الاذي
 وانما متى ادعت به فدعواها باطلة فيستوفون منها بذلك ويكتب هو والشرط و
 لها ان تطالب بالصداق الزايد الم يف لها بالشرط لانها لم ترض بان يكون الاذي
 مهر الا في مقابلة منفعة اخرى تسلم لها وهي المقام في دارها او بلدها او يكون
 الزوج لها وحدها وهذا جار مجرى بعض صداقها فاذا فاتها فلها المطالبة بالمهر
 الاعلى **المثال الحادي والثلاثون** اذا زوج ابنته بعبد صحيح التكاح فان
 حضره الموت فخاف هو والمرأة ان تزوجا منه فيفسخ التكاح فالمحيلة

في بقاياه ان يبيع العبد من اجنبي فان شأ قبض ثمنه وان شأ جعله ديناً في ذمته
 يكون حكمه حكم سائر يوفيه فان ورثت نصيبها من ثمنه لم ينفسخ نكاحها وان باع
 العبد من اجنبي قبل العقد ثم زوجه الابنة من هذا المحذور رافضاً وكذلك اذا
 اراد ان يزوجه امته بابنه وخاف ان تموت فيرث زوجته فيفسخ النكاح باعها من اجنبي
 ثم زوجه الابن او يبيعها من الاجنبي بعد العقد **المثال الثاني والثلاثون** اذا
 احواله بدينه وخاف المحال ان يتولى ماله عند المحال عليه واراد التوثيق لماله فالحيلة
 في ذلك ان يقول لا تخلفي بالمال ولكن وكلني في المطالبة به واجعلي ما قبضته في ذمتي
 فرضا فيبرأ جميعاً بالمقاصد فان خاف المحيل ان يملك المالك في يد الوكيل قبل اقترانه
 فيرجع عليه بالدين فالحيلة له ان يقول للمحال عليه ضمن عني هذا الدين لهذا الطالب فيضمن
 فاذا قبضه قبضه لنفسه فان امتنع المحال عليه من الضمان احوال الطالب عليه على انه
 ان لم يوفه حقه الى وقت كذا وكذا فالمحيل ضامن لهذا المال ويصح تعليق الضمان
 بالشرط فان وفاه المحال عليه والارجح الى المحيل واخذ بالمال **المثال الثالث**
والثلاثون اذا كان له دين على احد فرهنه به عبداً فخاف ان يموت العبد فيحيا
 كفه الى من يرى سقوط الدين بتلف الرهن فالحيلة في تخلصه من هذا المحذور ان
 يشتري العبد منه بدينه ولا يقبض العبد فان وفاه دينه اقاله في البيع وان لم يوفه
 الدين طالبه بالتسليم وان تلف العبد كان من ضمان البايع ورجع المشتري الى دينه
 الذي هو ثمنه **المثال الرابع والثلاثون** اذا كان له عليه دين فرهنه به
 ههنا ثم خاف ان يستحق الرهن فتبطل الوثيقة فالحيلة فيه ان يضمن دينه لمن
 يخاف منه استحقاق الرهن فاذا استحققه عليه طالبه بالمال ويضمنه ذلك الرهن
 او يشهد عليه انه لا حوله فيه ومتى ادعى فيه حقا فدعواه باطله **المثال الخامس**
والثلاثون اذا كان له عليه مائة دينار خمسون منها بوثيقة وخمسون بغير وثيقة
 وجهه الغريم القدر الذي بغير وثيقة فالحيلة له في تخلص ماله ان يوكر رجلاً غريباً
 يقبض المالا الذي بالوثيقة ويشهد على وكالته علانية ثم يشهد شهوداً اخرين
 انه قد عزل عن الوكالة ثم يطالب الوكيل المطلوب بذلك المالا ويثبت شهوداً وكالته
 فاذا قبض الخمسين ديناراً دفعها الى المستحق واغاب ثم يطالب المستحق بهذه الخمسين

فان قال

فان قال فعنها الى وكيلك قام البيسة انه كان قد عزل عن الوكالة فيلزمه الحاكم
 بالمال ويقول له ابيع القابض فخذ ما لك منه فان كان الغريم حذراً لم يدفع الى الوكيل شيئاً
 حشية مثل هذا ويقول لا ادفع اليك الا بحضرة الموكل واقراه انكر وكيله **المثال السادس**
والثلاثون اذا حضره الموت وبعض ورثته عليه دين واراد تخلص ذمته
 فان اقر له به لم يصح اقراه وان اوصوله به كانت وصية لو ارث فالحيلة في خلاصه
 ان يواطيه على ان ياتي بمن يتوبه فيقر له بذلك الدين فاذا قبضه وصله الى مستحقه فان
 خاف الاجنبي ان يلزمه الحاكم ان يحلف ان هذا الدين واجب كره على الميت ولم يبره منه و
 لامر شئ منه لم يجز له ان يحلف على ذلك لان نقلنا الى حيلة اخرى وهو ان يقول للمريض
 مع دارك او عبدك من وارثي بالمال الذي له علي فيفعل فاذا الرثة اليمين بعد هذا الحلف
 على امر صحيح فان لم يكن له ما يبيعه اياه وهب له الوارث عبداً او امة فقبضه ثم باعه
 من الوارث بالدين الذي على الميت **المثال السابع والثلاثون** اذا نكح امة حيث
 يجوز له نكاح الاما وخاف ان يسترق سيدها ولده فالحيلة في ذلك ان يسال سيد
 الامه ان يقول كل ولد لك منك فهو حر فان قال هذا فام ولدته منه فهم احرار **المثال**
الثامن والثلاثون اذا قال لامرأة ان سالتيني الخلع فانت طالق ثلاثاً ان
 لم اخلعك وقالت المرأة كل مملوك لها حر ان لم تسال الخلع اليوم فسيئل ابو حنيفة
 عنها فقال للمرأة سليه الخلع فقالت ساكتان تخلفني فقال للزوج قل خلعتك
 على الف درهم فقال ذلك فقال ابو حنيفة للمرأة لا قولي لا اقبل فقالت لا اقبل فقال
 ابو حنيفة قومي مع زوجك فقد بر كل نكاح في يمينه **المثال التاسع والثلاثون** سئل
 ابو حنيفة عن اخوين تزوجا اختين فزفت امرأة كل واحد منهما الى الآخر فوطاها
 ولم يعلموا بذلك حتى اصبحوا فقبل له ما الحيلة في ذلك فقال كل منهما راض بالذي دخل
 بها قال لا نعم فقال ليطلق كل واحد منهما امرأته طلقه ففعلاً فقال ليتزوج كل منهما
 المرأة التي وطاها فطابت نفسيهما **المثال الرابع والعشرون** اذا كان لرجل على
 رجل مال وللكل وللذي عليه مال عقار فاراد ان يجعل عقاره في يد غريمه يستغله
 ويقبض غلته من دينه جائز ذلك لانه توكل له فيه فان خاف ان يعزل صاحب العقار
 عن الوكالة فالحيلة ان يستأجره منه ويستديم قبضه ثم ياذن له في قبض اجرة من و
 ينفه ولو لم ياذن له فله ان يقبضها قصاصاً وله حيلة اخرى ان يستأجره منه بقدر

دينه فواجبه عليه من الاجرة سقط منه دينه بقدره قصاصا **المثال الثاني**
والاربعون اذا كان له جارية فاراد وطئها وخاف ان تحبل منه فتصيرام ولد
لا يمكن بيعها فالحيلة ان يبيعها لابنه او اخيه او اخته فاذا ملكها ساله ان يزوجه
اياها فيطأها بالنكاح فيكون ولده منها حريعتون على البايح بالرمم وهذا اذا
كان ممن يجوز له نكاح الاما بان لا يكون تحت حرة عند ابي حنيفة او يكون خايفا
للعنت عادم الطول حرة عند الجمهور **المثال الثاني والاربعون** اذا بان
منه امراته بينونة صغرى واراد ان يجرد نكاحها فخاف ان اعلمها لم تزوج به فله
في ذلك حيل احدها ان يقول قد حلفت بيمين ثم استغيت فقيل لي جرد نكاحك فان كانت
قد بان منك عاد النكاح والام يضرك فان كان لها ولي جرد نكاحها والا فالحاكم او
نايبه وفيها ان يظهر انه يريد سفرا وان يجعل لها شيئا من ماله وان الاحتياط ان
يجعله صداقا بعقد يظهره ومنها ان يظهر مرضا وان يريد ان يقر لها بمال او يوصي
لها به وان ذلك لا يتم والاحوط ان يظهر عقد نكاح واجعل ذلك صداقا فيه فان
قيل اذا بان منه ملكت نفسها ولم يصح نكاحها الا برضاها ولعلمها لو علمت الحال
لم ترض بالنكاح الثاني قيل رضاها بتجدة العقد للغرض الذي يريد يتضمن رضا
ها بالنكاح وهي لو هزلت بالاذن صح اذنها وصح النكاح مع انها لم تقصده كما لو
هزلت الزوج بالقبول صح نكاحه وهاهنا قد قصد بقا النكاح ورضيت به فلولي
بالصحة فان قيل فالرجل فاصدا الى النكاح والمواة غير قاصدة له قيل بل قصدت الى
تجديد نكاح يتم به غرضها فلم تخرج بذلك عن القصد والرضا ولو قال رجل لرجل
هزلا ومزاحا زوجني ابنتك على مائة درهم او قال زوجني موليتك وهي تسمع فقال
له مزاحا وهزلا قد زوجتكها انعقد النكاح وحل له وطؤها الحديث في هزله
رضي الله الذي رواه اهل السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث جد هزله هز
لبن جد النكاح والطلاق والرجعة **المثال الثالث والاربعون** اذا كان
الرجل حسن التصرف في ماله غير مبذول فرغ الى الحاكم وشهد انه مبذول فخاف
ان يحجر عليه فقال ان حجرت على نبيد احرار مالي صدقة على المساكين لم
يملك القاضي ان يحجر عليه بعد ذلك لانه انما يحجر عليه لصيافته ماله وفي الحجة

اتلاف ماله فهو يعود على مقصود الحجة بالابطال **المثال الرابع والاربعون**
يصح الصلح عندنا وعند ابي حنيفة وما كلف على النكار فاذا ادعى عليه شيئا فانكره ثم صالحه
على بعضه جاز والشا في لا يصح هذا الصلح لانه لم يثبت عنده شيئا بطريق يأخذ
ما صالحه عليه بخلاف الصلح على الاقرار فانه اذا اقر له بالدين او العين فصالحه على
بعضه كان قد وهبه وابعده من البعض الاخر والجمهور يقولون قد دل الكتاب والسنة
والقياس على صحة هذا الصلح فان الله سبحانه قد بيّن الاصلاح بين الناس واخبر
ان الصلح خير وقال انما المؤمنون اخوة فاصالحوا بين اخوتكم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
الصلح بين المسلمين جائز الا صلحا احل محرما او حرم حلالا واما القياس
فان المدعي يقتدي بمطالبة باليمين واقامة البينة وتوابع ذلك بشي من ماله يبذله
ليتخلص من الدعوى ولو ازمها فذكر غرض صحيح مقصود عند العقلا وغاية ما
يفقد ان يكون المدعي كاذبا فهو يتخلص من تحليفه له وتعرضه للتكول فيقضي عليه
او تروا اليمين بل عند الحنفي لا يصح الصلح الا على النكار ولا يصح مع الاقرار قال
لانه يكون هظما للحق فاذا صالحه مع النكار فخاف ان يرفعه الى الحاكم يبطل الصلح
فالحيلة في تخلصه من ذلك ان يصالح اجنبى عن المنكر على مال ويقر الاجنبى لهذا المدعي
بما ادعاه على غريمه ثم يصالحه من دعواه على مال ولا يقتصر الى اذن المدعي عليه
ولا وكالته لم ان كان المدعي دينيا لانه يقول ان كان كاذبا فقد استنقذته من هذه
الدعوى وذكر بمنزلة فكاك الاسير وان كان صادقا فقد قضيت عنه بعض دينه
وابراه المدعي من باقية وذلك لا يقتصر الى اذنه وان كان المدعي غيبا لم يصح حتى يقول
قد وكلني المنكر لانه يقول قد اشتريت له هذه العين المدعاة بالمال الذي اصالحه
عليه فان لم يعترف انه وكلمه والام يصح فان لم يعترف به كالمطريق للصحة ان
يصالح الاجنبى لنفسه فيكون بمنزلة شراء العين الموصونة فان اعترف بها المدعي
باطنا صار هو الخصم فيها وان لم يعترف لم يسعه ان يجاسم فيها المدعي عليه ويكون
اعترافه له بما ظاهرا حيلة على تصحيح الصلح وعلى هذا فان كان المدعي دارا
خلفها الميت لابنه وامراته فادعاهما رجل فصالحهما من دعواه على مال فان كان
صلحا على النكار فالمال بينهما على ثمانية اسهم على المواة الثم وعلى الابن سبعة
اثمان وان كان على الاقرار فالمال بينهما نصفان والذان لهما نصفان فاذا اراد

لزوم الصلح على الانتكاص صالحي عنهما اجنبى على الاقرار فلزم الصلح وكان المال بينهما على سبعة اثمان وكذلك الدار فانهما لم يقرالا بالدار واقراوا الاجنبى لا يلزم منهما حكمه **المثال الخامس والاربعون** اذا ادعا عليه ارض في بيع او دار او بستانا فصالحه على عشرة اذرع او اقل واكثر جاز وكذلك لو صالحه على عشرة اذرع من ارض او دار اخرى جاز لانه يقول قد اخذت بعض حقى واسقطت البعض فان خاف ان يرفعه الى حاكم حنفى لا يرى جواز ذلك بناء على انه لا يجوز بيع ذراع ولا عشرة من ارض او دار فطريق الجواز ان يذرع الدار التي صالحه على القدر منها ثم ينسبه الى المجموع فما اخرجته النسبة اوقع عقد الصلح عليه ويصح ذلك ويلزم **المثال السادس والاربعون** اذا اوصى لرجل بخدمة عبده مدة معينة او ما عاش جاز ذلك فاذا اراد الوارث ان يشتري من الموصى له خدمة العبد لم يصح لان حق الموصى له انما هو في المنافع وبيع المنافع لا يجوز والتحيلة في الجواز ان يصالحه الوارث من وصيته على مال معين فيجوز ذلك وكذلك لو اوصى له بحمل شاة او امته او عاتل شجرة عاما فاراد الوارث شراءه منه لم يصح وله ان يصالحه عليه فان الصلح وان كان فيه شايبة من البيع فهو واسع منه **المثال السابع والاربعون** لو شجعه رجل فعفى للشجوة عن الشجوة وما يحدث منها ثم مات منها لم يلزم الشجاة شي ولو قال عفوت عن هذه الجراح او الشجوة ولم يقل وما يحدث منها فكذلك في احد الروايتين وفي الاخرى تضمن بقسطها من الدية ولو قال عفوت عن هذه الجناية فلا شىء له في السر اير واية واحدة وعن ابى حنيفة له المطالبة بالدية في ذلك كله الا اذا قال عفوت عنها وعن ما يحدث منها فالتحيلة في تخلص العفو عنه ان يشهد على المجنى عليه انه عفا عن هذه الجناية او الشجوة وما يحدث منها فيخلص عند الجميع **المثال الثامن والاربعون** اذا مات وترك زوجة وورثة فارادت الزوجة ان يصالحها الورثة على حقها فنظرنا في التركة وفي الذي وقع عليه الصلح فان كان في التركة اثمان ذهب فضنه فصالحهم على شىء من الاثمان لم يصح لافضائية الى الربا لان صلحها ببيع نصيبها منهم وان صالحهم على عتق عرض او عقار او كان في التركة دراهم فصالحهم بدنانير او بالعكس

جاز ولا يضر جهالة حقها لان عقدا وسع من البيع كما تقدم فان كان في التركة ديون لم يصح الصلح لان بيع الدين من غير الذي هو في ذمته لا يصح ويحتمل ان نقول بصحة ما يصح عن المجهول وان لم يصح بنفسه فالتحيلة في صلحها عن الدين ايضا ان يجعل لها حصتها من الدين ويقرضها الورثة ذلك وتوكلهم بقبض حصتها من الدين فقد حصل في ايديهم مما ائتمروا به من جنس ما ائتمروا به فينتقاصان ويكون عقد الصلح قد وقع على العروضة والمتاع خاصة فان لم تقبض انفسهم ان يقبضوها قد حصتها من الدين واحبت تعجيل الصلح صالحتهم من حقها من المتاع والعروض دون الديون وكلما قبض من الدين شي اخذت حقها منه فان تعسر ذلك وثيق عليها واحبت الخلاص حاسبوها في الصلح من الاعيان باكثر من حقها منها واقرت ان الدين حوّل للورثة دونها من ثمن متاع باعه الميث لاهم فان ارادوا قسمة الدين لم يلزم لا شكافا وفيه رواية اخرى يجوز قسمة وهي الصحيحة فانه قد يكون مصلحة الورثة والغرماء في ذلك وتفاوت الذمم لا يمنع القسمة فان التفاوت في المحل والمقسوم واحد يتماثل وان اختلفت محالة فاذا كان الغرماء كلهم مورثين او معسرين او بعضهم معسرا وبعضهم موسرا فاخذ كل من الورثة موسرا ومعسرا كان هذا عدلا غير متعسف وقد تراصوا به فلا وجه لبطلانه وبالله التوفيق **المثال التاسع والاربعون** اذا كان لرجل على رجل دين فقال تصدق به عفى ففعل لم يبر وكانت الصدقة عن الخروج ودينه باق قاله اصحابنا لانه لم يتعين ولا لانه لا يكون ببر بالنفسه بفعله قالوا وطريق الصحة ان يقول تصدق عني بكذا بقدر دينه ويكون ذلك اقترافا منه فاذا فعل ثبت له في ذمته ذلك القدر وعليه مثله فينتقاصان وكذلك لو قال له ضارب بالمال الذي عليك والروح بينهما لم يصح التحيلة في صحة ان يقول اذنت لك في دفعه الى ابنك او زوجتك ودفعه ثم وكلتك في اخذ المضاربة به والظاهر انه لا يحتاج الى شىء من ذلك ويكفي قبضه في نفسه لترك المال واذا تصدق عنه بالذي قال كان عن الامر هذا هو الصحيح وهو يخرج لبعض اصحابنا ولا حاجة به الى هذه التحيلة فاذا عينه بالنسيئة عين وكان قاضيا من نفسه لموكله واي محذور في ذلك **المثال الخمسون** يجوز استرجاع الاجير بطلعانه وكسوته عندنا وكذلك الدابة بعلفها وكذلك الموضوعة وهو نهب باليد

في الذمم فاسترجاعه لا يصح لان

وقال الشافعي لا يجوز فيهما وجوز أبو حنيفة في الظاهر خاصة فاذا عقد
 الاجارة كذلك ثم خاف ان يرفعه الى حاكم يري بطلانها قيل يرفعه باجرة مثله
 فالحيلة في تصحيح ذلك ان يستاجر به بقدر معلوم يكون بقدر الطعام والكسوة
 ثم يشهد عليه انه وكله في انفاق ذلك على نفسه وكسوته وكذلك في الدابة **المثال**
الحادي والخمسون وايجوز للمستاجر ان يوجره ما استاجر به للموجر كما يجوز
 لغيره وابو حنيفة يبطل هذه الاجارة فالحيلة في لزومها ان يوجر ذلك لاجنبي غير الموجر ثم
 يوجره اياه الاجنبي **المثال الثاني والخمسون** اذا كفل اثنان واحدا فسلمه
 احدهما بري الاخر كما لو ضمنا ديننا فقصناه احدهما فان خاف ان يرفعه الى حاكم لا يري
 ذلك ويلزم الاخر بتسليمه فالحيلة في خلاصه ان يكفلا بهذا المكفول به على انه اذا
 دفعه احدهما فيهما جميعا بريان او يشهدا عليه ان كل واحد منهما وكيل صاحبه في
 دفع المكفول به الى الطالب التبري اليه منه فيبرأ على قول الجميع **المثال الثالث والخمسون**
 يصح ضمان المجهول وضمان ما لم يجب عندنا كما يصح ضمان الدرك فاذا قال ما اعطيت
 لفلان فان ضامن له صح ولزم وقال الشافعي لا يصح فالحيلة في صحته لئلا يبطل ذلك
 حاكم يري بطلانه ان يقول ما اعطيت لفلان من درهم الى الف فان ضامن له فان ضمنه
 اثنان واصطفا جاز واستويا في الغرام فان ضمناه على ان على احدهما الثلث وعلى الاخر
 الثلثين جاز ذلك لان المال انما يجب على كل منهما بالتزامه فاذا التزمه على هذا الوجه
 صح فان اراد احد الضامنين ان يضمن الاخر فالزمه من هذا الضمان فيصير ضامنا
 جاز ذلك ايضا لان المال قد ثبت في ذمة كل واحد منهما فاذا ضمنه احدهما جاز كما يجوز
 في الاصل **المثال الرابع والخمسون** اذا اشترك رجلان شركة عنان
 فسافرا احدهما بالمال باذن شريكه فخا وان يموت المقيم فيشتري بالمال بعد موته
 مناعا فيضمن لانه قد انتقل الى الورثة وبطلت الشركة فالحيلة في تخلصه من ذلك
 ان يشهد على شريكه المقيم ان حصته من المال الذي بينه وبينه لولده الصغار وقد
 اوصى الى شريكه بالتصرف فيه وامره ان يشتري بما اوجب في حياته وبعد وفاته
 فان كان ولده كبيرا اشهد على نفسه هذا المال لم ثم يامر ولده الكبير بهذا الشريك
 ان يعمل له في مالهم هذا بما يري ويشترى لهم ما احب **المثال الخامس والخمسون**
 اذا كان لرجلين على امرأة الف درهم مثلا فزوجها احدهما على نصيبه من المال الذي عليها

صح النكاح وبريت ذمة المرأة من ذلك القدر ولم يلزم الزوج ان يضمن لصاحبه شيئا منه
 لانه لم يقبض شيئا من نصيبه ولم يحصل في ضمانه فحرا محررا ابرأ له منه وبعض الفقهاء يضمنه
 نصيب شريكه من المهر ويجعله كالمقبوض لانه عاوض عليه بالبضع فهو كالواشترى عنها
 به سلعته فانما تكون بينهما وهما هنا تعذر مشاركتها في البضع فيشترى له بدل وهو المهر
 فكانها وقتة نصيبه من الدين وطريق الحيلة في تخلصه من ذلك ان يهب لها نصيبه مما عليها
 ثم يتزوجها بعد ذلك على خسمانية في ذمة ثم يهب المرأة ما لها عليه من الصداق فان احد
 الشريكين اذا اوجب نصيبه من المال المشترك لا يضمن لشريكه شيئا لانه تبرع فان خاف
 ان يهبها او يبريها فتعذر به ولا تزوج به فالحيلة له ان يشهد على اقرارها انه يستحق
 عليها ذلك المبلغ مادامت اجنبية وانه لا يستحق على زوجته فلا ذمة شيئا من ذلك
 المال واكثر ما فيه انه يسمى بزوجته قبل العقد فاذا تم العقد برئت من الدين فان خاف
 ان لا تبرئه من الصداق وتطالب به ويسقط حقه من المال الذي عليها فالحيلة له ان
 يشهد عليها في العقد انه بري اليها من الصداق وانها لا تستحق المطالبة به **المثال**
السادس والخمسون اذا اراد ان يشتري جارية وعرض له اخر يريد شرائها
 فاستحلفا احدهما صاحبه ان اشتراها في بينه وبينه نصفين فاذا اراد ان
 يشتريها وتكون له تاول في عينه انه ان اشتراها نصفه في بينه وبينه فاذا وكل من
 من يشتريها كانت له وحده فان استخلفه انه ان ملكها فهو شريكه فيها بطلت هذه
 الحيلة فله ان يامر من يشق به ان يشتري بالنفسه وبودي هو عنه الثمن ثم يزوجه اياها
 فاذا اراد بيعها اشتراها ثم امر ذلك الرجل ان يبيعها ويرجع ثمنها اليه **المثال الساب**
ع والخمسون اذا كان بينهما عرض من العروض فاشترى منها اجنبي بما يري
 درهم وقبضه ثم ان المشتري اراد ان يصالح احدهما من جميع الثمن على بعضه على
 ان يضمن له الدرك من شريكه حتى يخلصه منه او يرد عليه جميع الثمن الذي وقع العقد عليه
 فقال القاضي لا يجوز ذلك لان الضمان على شريكه انما يجب بقبضه المال وذلك لم يوجد فلا
 يكون مضمونا عليه فالحيلة للمشتري ان يكون بر يا وان ادركه درك من شريكه ورجع على
 الذي صالحه ان يحط الشريك لمصالح عن المشتري نصيبه كله من الثمن ثم يدفع
 اليه المشتري نصيب صاحبه فصالحه على انه ضامن لما ادركه من شريكه حتى يخلصه
 منه او يرد عليه ما قبضه منه ويبريه هو من نصيبه لانه اذا ابراه من نصيبه لم يبق من
 الدين الا نصيب واحد صاحبه فاذا قبضه كان مضمونا عليه لا قبض من الغير

المثال الثامن والخمسون اذا كان عبدا بين شريكين موصيا فارد
كل منهما عتق نصيبه وان لا يغرم شريكه شيئا فالحيلة ان يوكل رجلا يعتقه عنهما
ويكون ولأولاه بينهما **المثال التاسع والخمسون** اذا سأل عبده ان يزوجه
امته فحلف ان لا يفعل ثم بدله في تزوجه فالحيلة ان يبيع العبد والامته لمن يتق به
ثم يزوجه المشتري فاذا تم العقد اقاله في البيع ولا بأس بمثل هذه الحيلة فانها لا تنقض
ابطال الحق ولا تحلل محرم وذلك غير ممنوع على اصلا لان الصفة وهي عقد النكاح قد
وجدت في حال زوال ملكه فلا يتعلق بها حنث ولا يحث ايضا باستدامة التزويج بعد
ملكها لان التزويج عامر عن العقد وقد انقضى وانما بقي حكمه ولهذا لو حلف لا يزوجه
فاستدام التزويج لم يحث وهذا بخلاف ما اذا حلف على عبده انه لا يدخل الدار فباعه
ودخلها ثم ملكه فان دخلها حنث لانه استدام الدخول اليه باقية ولو دخلها في حال
زوال ملكه ثم ملكه وهو دخوله حنث لان الدخول عبارة عن الكون وذلك موجود
بعد الملك الثاني فحنث به كما لو كان موجودا في الملك الاول وقد قال احمد في رواية
في رجل قال لامرأته انت طلاقا وهنت كذا وكذا فاذا اهي قدره هنته قبل عينته فقال
احاف ان يكون حنث قال القاضي وهذا محمول على انه قال ان كنت رهنته وهذا
ويلزمه لكلام احمد وظاهر كلامه انه جعل استدام الرهن بمنزلة ابتدائه كالدخول
المثال الستون اذا كان له عليه مال ففرض المستحق واراد ان يبريه منه
هو يخرج من ثلثه فخاف ان يكتم الورثة ماله ويقولوا لم يدع الا الدين الذي على هذا
الحيلة في خلاصه ان يخرج المريض من ماله بقدر الدين الذي على غريمه فيملكه اياه
ثم يستوفيه منه ويشهد على ذلك وكذلك اذا اراد المريض ان يعتق عبدا وله مال يخرج من
ثلثه فخاف ان يقول الورثة لم يخلفا لميت شيئا غير هذا العبد وماله فالحيلة ان يبيع
المريض العبد من رجل يتق به ويقبض الثمن فيهبه للمشتري ثم يعتقه المشتري فان كان
على الميت دين وله وفاء وفضل يخرج العبد من ثلثه فخاف المريض ان يعيب الورثة ماله ثم
يقولوا اعتق العبد ولا مال له غيره فلا تجيز له ما صنع من ذلك فالحيلة فيه ان يبيع العبد من
نفسه ويقبض الثمن منه محض من الشهود ثم يهب المريض للعبد ما قبض منه في السر فيأمن
حينئذ من اعتراض الورثة فان لم يكن للعبد مال يشتري به نفسه وهب السيد مالا في السر
واقبضه اياه فيشتري به العبد نفسه من سيده فان لم يرد السيد عتقه وامر ان يبعه
من بعض ورثته مال للورث على المريض ليست له به بينة فالحيلة في ذلك ان يقبض وارثه

ماله عليه في السر ثم يبعه العبد ويشهد له على ذلك ويقبض الثمن محض من الشهود
فيخلص من اعتراض الورثة **المثال الحادي والستون** اذا وصى الى رجل
فخاف ان لا يقبل فقال ان لم يقبل ففلان وصي صح ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصحيحة الصريحة التي لا يجوز مخالفتها حيث علق الامارة بالشرط فتعلق الو
صية اولى لانه يستفيد بالامارة اكثر مما يستفيد بالوصية وبعض الفقهاء يبطل
ذلك فالحيلة في ذلك ان يشهد المريض انهما جميعا وصياه فان لم يقبل احدهما وبطل
الاخر فالذي قبل منهما وصي وحده فان قبلا جميعا فلكل واحد منهما ان ينفر بالنظر
عن صاحبه لانه رضي بتصرف كل واحد منهما قاله القاضي فان خاف ان يمنع ذلك من لا
يلا انفراد احدهما بالنظر فيقول قد شركت بينهما وجعلتهما بمنزلة وصي واحد فالحيلة
في الجواز ان يقول اوصيت لهما على الاجتماع والانفراد **المثال الثاني والستون**
اذا تصرف الوصي وباع واشترى وانفق على اليتم فلما حكم ان يحاسبه ويسأله عن وجه
ذلك ولا يمنعه من محاسبته كونه امينا فان النبي صلى الله عليه وسلم حاسب عماله كما ثبت في صحيح
البخاري انه بعث ابن المنيمة عاملا على الصدقة فلما جاء حاسبه فان اراد الوصي
ان يتخلص من ذلك فالحيلة له ان يجعل غيره هو الذي يتولى بيع التركة وقبض الدين
والانفاق ولا يشهد على نفسه بوصول شي من ذلك اليه فان سأل الحاكم قال لم يصل الي شي
من التركة ولا تصرف فيها فان كانت التركة قد بيعت بأمره وقبض ثمنها بأمره وصرف بأمره
فحلف الحاكم انه لم يقبض ولم يوكل من قبض وتصرف وانفق فان كان محسنا قد وضع التركة
موضعها ولم يخش وسعه ان يتاول في يمينه وان كان ظالما لم ينفعه تاويله **المثال**
الثالث والستون يصح وقف الانسان على نفسه على اصح الروايتين ويجوزنا اشترا
النظر لنفسه ويجوز ان يستثنى الانفاق منه على نفسه ما عاش وعلى اهله وغيره
ينازعنا في ذلك فاذا خاف من حاكم يبطل الوقف على هذا الوجه فالحيلة له ان يملكه
لولده او زوجته او اجنبى يتق عليه ويشترط له النظر فيه وان يقدم على غيره من
الموقوف عليهم بلغته او بالانفاق عليه فيصح حينئذ ولا يبقى للاعتراض عليه سبيل
المثال الرابع والستون اذا اشترى جارية وقبضها فوجد بها عيبا ولم
يكن نقد ثمنها فاراد ردّها فصالحة المبيع على ان ياخذ البايع الجارية باقل من الثمن
الذي اشترى اياه به فقال القاضي لا يجوز ذلك لان هذا الصالح في معنى البيع وبيع المبيع بايضا باقل
من ثمنه لا يجوز لانه ذريعة الربا كسالة العينة فان كان قد حدث بالجارية عيب عند المشتري جاز

ذلك لانه مقدار الحوط يكون بازاء العيب الذي حدث عند المشتري فلا يرد
 الى مسالة العينة والحيلة في جواز ذلك في الصورة الاولى على وجه لا يشبه العينة ان
 يخرج الجارية من ملكه فيبيعها للرجل الثمن الذي ياخذها به البائع فيصالح الذي في يد
 الجارية البائع على ان يقبلها بدون الثمن الذي وقع عليه العقد ويجعل هذا الثمن الذي
 ياخذ به الجارية قضا عن مشتري الجارية لان المشتري الثاني متى صالح البائع على ان
 يقبل الجارية بدون الثمن الذي اشترى به فهو عقد جري بينهما مبتدأ من غير بناء
 احد العقد على الاخر فاذا اشترى البائع من هذا الثاني حصل ثمنه في ذمة
 له ولم هو على المشتري الاول ثمنها فاذا اطالبه البائع بالثمن احاله على المشتري الاول
 فيستقاصان **المثال الخامس والستون** الضمان لا يبرئ ذمة المضمون عنه
 بمجرد جئ كان المضمون عنه او ميتا وفيه رواية اخرى انه يبرئ ذمة الميت دون الحي
 وهي مذهبنا في حقيقته وفيه قول ثالث ان يبرئ ذمة الحي والميت كالحالة وهو مذهب
 ولو فاذا اراد الضامن ان يكون ضمانه جبر بالذمة المضمون عنه فالحيلة في ذلك ان
 يقول لا ضمن دينه الا بشرط ان تبرئ منه فتي ابرائه منه فان ضامن له ويصح تعليق
 الضمان بالشرط في اقوى الوجوهين فاذا ابراه صحة البراءة ولزم الرين الضامن وحده
 فان خاف رب الدين ان يرفع ذمة لا يرى صحة الضمان المعلق فيبطل دينه من ذمة
 الاصل بالابراء ولا يثبت له في ذمة الضامن فالحيلة له ان يكتب ضمانه ضمانا مطلقا
 ويشهد به من غير شرط بعد اقراره ببراءة الاصل فيحصل مقصودهما **المثال**
السادس والستون الحوالة تنقل الحق من ذمة المحيل الى ذمة المحال عليه فلا
 يملك مطالبة المحيل بعد ذلك الا في صورة واحدة وهي ان يشترط ملاءة المحال عليه
 فيتبين مفلسا وعند اي حينة اذا قرر المحال على المحال عليه فان حجه حقه و
 حلف عليه او مات مفلسا رجع عليه الى المحيل وعند ما كان ظن ملاءة فبان مفلسا
 رجع وان طرأ عليه الفلاس لم يكن له الرجوع فاذا اراد صاحب الحق التوثق به
 لنفسه ان توى ماله على المحال عليه رجع على المحيل فالحيلة له في ذلك ان يجتال
 حوالة قبض لحوالة استيفاء فيقول للمحيل احلني على غريمك ان قبض لك
 ما عليه من الدين فيجيبه الى ذلك فما قبضه منه كان على المحيل فياخذون له في استيفائه
 فان خاف المحيل ان يملك هذا المال في يد الغائب لا يفرغ منه لانه وكيل في قبضه فالحيلة ان يقول له

نسخه
 اذا توى المال على المحال
 عليه بان حجه حقه

ما قبضت فهو قرض في ذمتك فثبت في ذمة نظير ماله عليه فيستقاصان فالحوالة
 ثلاثة انواع حوالة قبض محض فهي وكالة وحوالة استيفاء وهي التي تنقل الحق و
 حوالة اقراض فالاول لا يثبت المقبوض في ذمة المحال والثانية تجعل حقه في ذمة
 المحال عليه والثالثة تثبت الماخوذ في ذمة بحكم الاقراض **المثال السابع**
 روايتان احدهما كذا ذكر والثانية انه ليس له مطالبة الضامن الا اذا تعذر مطال
 له الاصيل فان اراد الضامن ان يضمن على هذا الوجه فالحيلة ان يقول ان تعذر
 ما لك قبلك فان ضامن له ويصح تعليق الضمان على الشرط على الاصح فان اراد ان يصح
 ذلك على كل قول ويا من رفعه الى من يرى بطلان ذلك فالحيلة فيه ان يقول ضمننت ما يتوى
 لك على فلان او يعجز عن ادائه فيصح ذلك ولا يتمكن من مطالبة الا اذا توى المال على
 الاصيل او عجز عنه **المثال الثامن والستون** اذا بذت عليه امراته فقال للطلاق
 يلزمني منك لا تقولين لي شيئا الى قلت لك مثله فقالت انت طالق ثلاثا فقال بعضهم
 يقول لها انت طالق ثلاثا بفتح التاء لا تطلق لان الخطاب لا يصلح لها وهذا
 ضعيف جدا لان قوله انت طالق اما ان يعتبها او لا يعتبها غيرهما فان لم يعتبها
 لم يكن قد قال لها مثل ما قالت بل يكون القول لغيرها فلا يبرئها وان عتبه هاهنا
 طلقت للمواجهة وفتح التاء لا يمنع صحة الخطاب والمعنى انت ايها الشخص الانساني
 ثم ما يقول هذا الغايل اذا قالت له فعل الله بك كذا فقال لها فعل الله بك كذا وفتح الكاف
 هل يكون بارا في عينه بذلك فان قال لا يبرئ منه مثله في الطلاق وان قال يبرئ كان قا
 يلاها ذلك فيكون مطلقا لها واجوز من هذا ان يكون قوله على التراخي ما لم يقيد
 بالفور بلفظة او يثبت وقالت طائفة يقول لها انت طالق ثلاثا ان لم افعل كذا وكذا
 او ان فافعلت مما لا تقدر هي عليه فيكون قد قال لها مثل ما قالت وزاد عليه وفي
 هذا ضعف لا يخفى لان هذه الزيادة تنقص الكلام في زيادة في اللفظ ونقصان
 في المعنى فانه اذا علق الطلاق بشرط خرج من التجيز الى التعليق وصار كله كلاما
 واحدا وهي لم تعلق كلامها وانما انجوزت فاما لانه تقتضي تجيزا مثله واجوز من هذا
 كله ان يقال لا يدخل هذا الكلام الذي صدر منه في عينه لانه لم يردده قطعا ولا
 خطرا به فعينه لا تسأله فهو غير محلف عليه بلا شك واللفظ العام يخص بالنية
 والعرف في مثل هذا لا يدخل فيه قولها له ذلك والايما يرجع فيها الى العرف والنية

خ
الحقل
الحقل

والسبب وهذا مظهر ظاهر على اصول مالك واحمد في اعتبارهم عرفا لمخالف و
نقصه وسبب يمينه والله اعلم **المثال التاسع والثلاثون** يجوز ان
يستأجر الشاة والبقر ونحوهما مدة معلومة للبنيان ويجوز ان يستأجرها لذلك
بعلفها وبدراهم مسماة والعلف عليه هذا مذهب مالك وخالفه الباقر وقوله هو
الصحيح واختاره شيخنا لان الحاجة تدعو اليه ولانه كانه يستأجر الظير للبنيان
مدة ولان اللبن وان كان عينا فهو كالمنافع في استخلافه وحدوثه متبا بعد شي
ولان اجارة الارض لما ينبت فيها من الكلا والشوك جازية وهو غير لان اللبن
حاصل بعلفه وخدمته فهو كحصول المغل بيزره وخدمته ولا فرق بينهما فان تولد
اللبن من العلف كتولد المغل من البذر فهذا من اصح القياس وايضا فانه يجوز
ان يقفها فينتفع الموقف عليه بلبنها وحق الواقف انما هو في منفعة الموقف
مع بقاء عينه وايضا فانه يجوز ان ينعمرها غير مدة معلومة لاجل لبنها وهي باقية
على ملك المانع فيجري مضى مجرى اعارتها والعارية اباحة المنافع فاذا كان
اللبن يجري مجرى المنفعة في الوقف والعارية جري مجراها في الاجارة وايضا
فان الله سبحانه قال فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فسمع ما تأخذ الموضوعة
في مقابلته اللبن اجرا ولم يسمه ثمن وايضا فيجوز ان يستأجر برة مدة معلومة لما
يها والمالم يحصل بعله فلان يجوز استئجار الشاة للبنيان الحاصل بعلفه والقيام
عليها اولى وايضا فانه يجوز ان يستأجر بركة تعشش فيها السمك لاجله فهذا اولى
بالجواز لانه معلوم بالعرف وهو حاصل بعلفه والقيام على الحيوان وقياس المنع
على تحريم بيع اللبن في الضرر قياسا فاسدا فان ذلك مجهول لا يعرف قدره وما
يتحصل منه وهو بيع معدوم فلا يجوز والاجارة اوسع من البيع ولهذا يجوز بيع المنا
فع المعدومة المستخلفة شيئا بعد شي فاللبن في ذلك كالمنفعة سواء وان كان عينا
فهذا القول هو الصحيح فان خاف ان يرفعها الى حاكم يبطل هذا العقد فالحيلة في
لزمه ان يوجه الحيوان مدة بدراهم مسماة ثم ياذن له في علفها وصح بيعه اللبن
وهذه الحيلة تافيه في اجارة البقرة والناقة والجاموس اذ يمكن الحرث عليها
وركوبها واما الشاة فلا يراذنها الا الدرو النسل فلا تنمى الاجارة على منفعتها
فالطريق في ذلك ان يستأجرها لرضاع سخلة له مدة معلومة ويؤكله في النفقة
عليها باجرتها او ببعضها ويبيعه اللبن **المثال السبعون** اذا دفع اليه

ثوبه

ثوبه وقال بعه بعشرة فآزاد فذكر نص احمد على صحته تبع العبد بن عباس وروا
فقه اسحق وضعه اكثرهم ووجه الخلاف ان في هذا العقد شايبة الوكالة والاجارة
والمضاربة فمن ربح جانب الوكالة صح العقد ومن ربح جانب الاجارة او المضاربة
ابطله لان الاجارة والربح الذي جعل له مجهول والصحيح الجواز لان العشرة مجري
مجري راس المال في المضاربة وآزاد فهو كالربح فاذا جعله كله له بمنزلة الاضلاع
اذا دفع اليه ما لا يضار به وقال ما ربححت فهو كذا فليس العقد من باب الاجارة بل
هو بالمشاركات اشبه فان خاف ان يرفعها الى حاكم يرى بطلانه فالحيلة في ذلك ان
يقول وكلتكم في بيعه بعشرة فان بعته باكثر فلا حق لي في الزيادة فيصح هذا
وتكون الزيادة للموكيل **المثال الحادي والسبعون** قال الامام احمد في
رواية من لا باس ان يحصد الزرع ويصير النخل سدس ما يخرج منه وهو واجب
الى من المقاطعة يعني ان يقطع على كيل معين او دراهم او عروض وكذلك نص
كذلك في رواية الاشعث وغيره في رجل دفع دابته الى اخر ليحمل عليها رمازق الله بينهما
نصفين ان ذكر جازين وقال احمد ايضا لا باس بالثوب يدفع بالثلث والربح لحدث
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى خيبرا على الشطر ونقل عنه ابو داود فيمن يعطي
سه على النصف من الغنمة او حيوان لا يكون به باس وقال في رواية اسحق بن
ابراهيم اذا كان على النصف والربح فهو جازين ونقل عنه احمد بن سعيد فيمن دفع
عبد الى رجل ليكنس عليه ويكون له ثلث الكسب ورجعه انه جازين ونقل عنه حريش
دفع ثوبا الى حياط ليفصله قصانا يبيعها وله نصف في جميعها بحقوقه فهو جازين ونص
في رجل دفع غزله الى رجل ينسجه ثوبا ثلث ثمنه او رجعه انه جازين وقال في المغني
وعلى قياس قول احمد يجوز ان يعطي الطحان اقترعة معلومة يطحنها بقفيز منها وحكي
عن ابن عقيل المنع منه واحتج بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن قفيز الطحان قال
الشيخ وهذا الحديث لا نعرفه ولا ينبت عندنا صحته وقياس قول احمد جوازه لما
ذكرنا عنه من المسائل وكذلك لو دفع شبكة الى صياد ليصيدها والسمك بينهما نصفين
فقال في المغني فقياس قول احمد صحة ذلك والسمك بينهما شراكة وقال ابن عقيل السمك
للصياد ولصاحب الشبكة اجرة مثلهما ولو كان له على رجل مال فقال لرجل اقضه منه
وكذلك رجعه او ثلثه او قال كل مال قبضته منه فذلك منه الربح او الثلث فهو جازين وكذلك لو
غصبت منه عين فقال لرجل خلصها لي وكذلك نصفها جاز ايضا ولو غرق قناعه

في البحر فقال لرجل ما خلصته منه فلك نصفه او ربحه جاز ولو ابق عبيده فقال
 لرجل او قال من رده علي فله فيه نصفه او ربحه او شردت دابته فقال ذلك صحيح
 ذلك كله **قلت** وكذلك يجوز ان يفتل له انفض في هذا الزيتون بالسدر والريح
 او اعصره في بالثلاث والربع او اكسر هذا الحطب بالربع او اخبز هذا العجين بالربع
 وما اشبه ذلك فكل هذا جاز على اصوله ونصوصه وهو واجب اليه من المقاطعة
 في بعض الصور ولم يجز الشافعي وابو حنيفة شيئا من ذلك واما ما ذكر فقال اصحابنا
 عنه اذا قال احصد زرعك ولك نصفه فذلك جاز وان قال احصد اليوم فما حصرت
 فلك نصفه لم يجز عند ابن القاسم وفي الغنية انه يجوز وان قال القطن زيتوني فما
 لقطت فلك نصفه فهو جاز عند ابن القاسم وروي سحنون انه لا يجوز ولو قال
 انفض زيتوني فما انفضت فلك نصفه لم يجز عند ابن القاسم واجازه عبد الملك بن
 حبيب فان قال قبض في المائة دينار التي على فلان وكذا عشرها جاز عند القاسم
 وابن وهب وعند اشهب لا يجوز فلو قال قبض ديني الذي على فلان وكذا من كل شجرة
 واحدة ولم يبين قدر الدين لم يجز عند ابن وهب واجازه ابن القاسم واصبغ والكثير
 منعوا الجواز في ذلك جعلوه اجارة والاجر فيها مجهول والصحيح ان هذا ليس
 من باب الاجارات بل هو من باب المشاركة وقد فصل احمد على ذلك فاحق على دفع
 الثوب بالثلث والربح بحديث خبير وقد دللت السنة على جواز ذلك كما في المسند
 والسنن عن رويغ بن ثابت قال ان كان احدنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لياخذ فضواخيه على ان له الله النصف مما يغنم ولنا النصف وان كان احدنا يطير
 له النصل والريش وللآخر القدح واصل هذا كله ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع ارض خيبر
 الى اليهود يعملون بها بشرط ما يخرج منها من تمر او زرع او اجمع المسلمين على جواز
 المضاربة وانما دفع ماله لمن يعمل عليه بجزء من ربحه فكل عين تفرق بينهما من العمل عليها
 جاز لصاحبها دفعها لمن يعمل عليها بجزء من ربحها فلهذا يحض القياس وموجب الآية
 وليس مع المانع حجة سوى ظنهم ان هذا من باب الاجارات بعوض مجهول ولهذا
 ابطالوا المساقاة والمزارعة واستثنى قوم بعض صورها وقال المضاربة على خلاف
 القياس لا ظنهم انها اجارة بعوض لا يعلم قدره واحمد عنده هذا الباب كله
 طيب واحمل من المواجهه لانه في الاجارة يحصل المجرى على سلامة العوض
 قطعاً والمستاجر يتربح بين سلامة العوض وهلاكه فهو على خطر وقاعدة العقد

في المعاوضة ان يستوي المتعاقدان في الرجا والخوف وهذا حاصل في المزارعة
 والمساقاة والمضاربة وسائر هذه الصور المحقة بذلك فان المنفعة ان سلمت
 لهما وان تلفت تلفت عليهما وهذا من احسن العدل واحسن المتاحرون من المسا
 تعين بحديث ابى سعيد الذي رواه الدارقطني في غير قفيز الطحاوي وهذا الحديث
 لا يصح وسمعت شيخ الاسلام يقول هو موضوع وحمله بعض اصحابنا على ان المنهني
 طعن الصبرة لا يعلم فأكيد بها بقفيز منها لان ما عداه مجهول فهو كغيرها الا قفيز منها
 فاذا كانت معلومة القفزان فقال الاطعن هذه العشرة بقفيز منها صح حيا ود قيفا
 اما اذا كان حيا فقد استاجرته على طعن تسعة اقفزة بقفيز حنطة واما اذا كان د
 قيفا فقد شاركه في ذلك على ان العشر للفاعل وتسعة للاعشار للاخو فيصير شريكه
 في الجزء المسمى فان قبل فالشركة عندهم لا تصح بالعرض قيل بل صح الروايتين صحتهما
 وان قلنا بالرواية الاخرى فالحق هذه بالمساقاة والمزارعة اولى منها بالاجارة
 بالمضاربة على العروض لان المضاربة بالعروض تنضم التجارة والتصرف في رتبة المال
 ببدل لا بغيره بخلاف هذا فان قيل دفع حبة الى من يطحنه بجزء منه مطحونا او غزلا الى من
 ينسجه بجزء منه منسوجا يتضمن مخذوري احدهما ان يكون طعن قدر الاجرة و
 نسجه مستحقا على العامل بحكم الاجارة ومستحقا له بحكم كونه اجرة وذلك متناقض
 فان كونه مستحقا عليه يقتضي مطالبة المستاجر به وكونه مستحقا له يقتضي مطالبة
 الموجه منه الثاني ان يكون بعض المعقود عليه هو العوض نفسه وذلك متنع قيل
 انما نشأ هذا من ظن كونه اجارة وقد بينا انه مشاركة لا اجارة ولو سلم انه من باب
 المواجهه فلا تناقض في ذلك فان جهة الاستحقاق مختلفة فانه مستحق له بغير
 الجهة التي يستحق بها عليه فاي مخذور في ذلك واما كون بعض المعقود عليه يكون
 عوضا فهو انما عقد على عمله فالمعقود عليه العمل والنفع بجزء من العين وهذا امر
 شرعا وحسا فظهر ان صحة هذا الباب هي مقتضى النص والقياس وبالله التوفيق
 على هذا لا يحتاج الى حيلة لتصحيح ذلك الا اذا خيف غدا لاحدهما وابطال العقد
 والرجوع الى الاجرة المثل فالحيلة في التخلص من ذلك ان يدفع ربع الغزل والحب ونصفه
 ويقول اشبع لي باقيه بهذا القدر فيصير ان شريكين في الغزل والحب فاذا اشتركا فيه
 بعد ذلك صح وكان بينهما على قدر ما شرطاه والعجب ان المانعين جواز ذلك على هذا

الوجه وجعلوه مشاركة لا مواجزة فيلما اجازوه من اصله كذلك وهل الاعتبار
في العقود الا بمقاصدها وحقايقها دون صورها والفاظها وبالله التوفيق
المثال الثاني والسبعون اذا كان على رجل دين فتوارى عن غريمه ولم هو
على اخو فاد الغريم ان يقض دينه من الدين الذي له على ذلكم يكن له ذلك الاجمالة
او وكاله وقد توارى عن غريمه فتعذر عليه الحوالة والوكالة فالحملة له في اقتضائه منه
ذلك ان يوكله فيقول وكلتك في اقتضائي الذي على فلان وبالخصوص فيه وكلتك ان
تجعل ماله عليك قصاصا مما لي عليه واجرت امركي في ذلك فيقبل الوكيل ويشهد عليه
شهودا ثم يشهد الوكيل او ليك الشهود او غيرهم ان فلانا وكلني بقض ماله على فلانة وان
اجعله قصاصا بما لفلان علي واجاز فلان امركي في ذلك وقد قبلت من فلان ما جعله
الي من ذلك واشهد واني قد جعلت الالف درهم التي لفلان على قصاصا بالالف التي لفلان
موكلتي عليه فتصير الالف قصاصا ويحول ما كان للرجل المتوارى على هذا الوكيل للرجل
الذي وكله **المثال الثالث والسبعون** اذا كان لرجل على رجل مال فغاب الذي
عليه المال واراد الرجل ان يثبت ماله عليه حتى يحكم الحاكم عليه وهو غائب جاز للحاكم
ان يحكم عليه في حال غيبته مع بقاياه على حجة في اصح المذهبين وهو قول احمد في الصحيح
عنه وما لك والشافعي وعند ابى حنيفة لا يجوز الحكم على الغائب فاذا لم يكن في الناحية الا
حاكم يتر هذا القول ويخشى صاحب الحق منه ضياع حقه فالحملة ان يجي رجل يرضى
لهذا الرجل الذي له المال جميع ماله على الرجل الغائب ويسميه ويسميه ويشهد على ذلك
ثم يقدمه الى القاضي فيقرضه من الضمان ويقول قد ضمننت له ماله على فلان بن فلان
ولا ادري كم له عليه ولا ادري له عليه مال ام لا فان القاضي يكلف المضمون له ان يحضر
بينه على ذلك بماله على فلان فاذا حضر البينة قبلها القاضي يحضر منه هذا الضمان
وحكم على الغائب وعلى هذا الضمان بالمال بموجب ضمانه ويجعل القاضي هذا الضمان
بالمال خصما عن الغائب لانه قد ضمن ماله عليه ولا يجوز الحكم على هذا الضمان حتى يحكم على
المضمون عنه ثم يحكم بذلك على الضمان لانه فرعه فاما يثبت للمال على الاصيل لا يثبت على الفرع
المثال الرابع والسبعون اذا غصبه متاعا له ويقول له في السر عينيه و
يخجده في العلانية ويريد يخلص ماله منه فالحملة له ان يبيعه من يتق به ويشهد له
على ذلك بينة عادلة ثم يبيعه بعد ذلك من الغاصب ويكون بين البيعين

من المدة ما يعرفه الشهود ليو قنوا بدلك عند الادى فاذا شهد الغاصب بالبيع في
الوقت المعين جاء الذي باع منه المخصوص قبله بينته فيحكم له لسبق بيئته فيرجع الغا
صب على المخصوص منه بالثمن الذي دفعه اليه ويسلم العين الى المخصوص منه وكذلك لو
اقربها المخصوص منه لرجل يتق به ثم باعها بعد ذلك للغاصب ثم جاء المقر له فاقام بينة
على الاقرار السابق فان قيل فلو خاف الغاصب من هذه الحملة وقال المخصوص منه
لست ابتاع منك هذه السلعة خشية هذا الصنيع ولكن امر من يبتاعها منك لي
فاراد المخصوص منه حملة يرضى اليه بما سلعته فالحملة ان يبيعهها او لا ممن يتق به
ولا يكتب في كتاب البيع قبضه ثم يبيعه بعد ذلك من الرجل الذي يرضى بها للغاصب
ويكتب في هذا الشراء الثاني قبض المشتري فانه اذا اقر وكيل الغاصب بقبض العين من
المخصوص منه ثم جاء الرجل الذي كتبه المخصوص منه الشراء كان اولى بما من وكيل الغاصب لان وقت
شراؤه اقدم واقارره بقبضها وتسليمها الى الرجل المشتري لها او لا اولى ورجع وكيل الغا
صب على المخصوص منه بالثمن الذي دفعه اليه **المثال الخامس والسبعون** اذا
اقرضه مالا واجله لزم تاجيله على اصح الروايتين وهو مذهب مالك في قوله في مذهب احمد
والمقصود عنه انه لا يتاحل كما هو قول الشافعي وابى حنيفة ويدل على التاجيل قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقوله واوفوا بالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
عند شروطهم وقوله اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد
اخلف وقوله ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيمة بقدر غدرته وقوله لا تغدر
روا وقوله ان الغدر لا يصلح وقوله في صفة المنافق اذا وعد اخلف واخلف الوعد
فما فطوا الله العباد على ذمه واستقبله وما رواه المؤمنون قبيحا ثم عند استقبح
وعلى هذا فلا حاجة الى التحيل على لزوم التاجيل وعلى القول الاخر قد يحتاج الى
حملة يلزم بها التاجيل فالحملة فيه ان يجعل المستقرض صاحب المال بماله الى سنة
او نحوها بقدر مدة التاجيل فيكون المال على المحال عليه الى ذلك الاجل ولا يكون
المطالب ولا لورثته على المستقرض سبيل ولا على المحال عليه الى الاجل فالهون الحوالة
تنقل الحق ولو حال المحال عليه صاحب المال على رجل اخر الى ذلك الاجل جازت الحوا
لة فان ما المحال عليه الاول لم يكن لصاحب المال على تركه سبيل ولا على المحال الثاني

المثال السادس والثمانون اذا رهنته دالا وسلعة على دين وليس

له من يشهد له على قدر الدين ويكتبه فالقول قول المرتين في قدره ما لم يدع اكثر من قيمته
هذا قول مالك وقال الشافعي وابو حنيفة واحمد القول قول الرهن وقول مالك هو الراسخ
وهو اختيارنا لان الله سبحانه جعل الرهن بدلا من الكتاب يشهد به بقدر الحق
والشهود التي تشهد به وقايما مقامه فلم يقبل المرتين في ذلك بطلت الوثيقة من
الرهن وادعى المرتين انه رهن على اقل شيء فلم يكن في الرهن فايده والله سبحانه
قد قال في آية المداينة التي ارشد بها عباده الى حفظ حقوق بعضهم على بعض خشية
ضياغهم بالجحود والنسيان فارشدهم الى حفظها بالكتاب واكد ذلك بان امرهم بكتابة
الدين وامر الكاتب ان يكتب ثم اكد ذلك بان نهاه ان ياتي ان يكتب ثم اعاد الامر بان
يكتب مرة اخرى وامر من عليه الحق ان يملأ ويتقي ربه فلا يخسر من الخوشيا فان
تعدرا حلاوه لسفهم او صغره او جنونه او عدم استطاعته فوليهم ما مور بالا فلا
عنه فارشدهم الى حفظها باستشهاد شهود من الرجال او رجل وامرأتين فامر
هم بالحفظ في النصيب التام الذي لا يحتاج صاحب الحق معه الى يمين ونهى الشهود
ان يابوا اذا دعوا الى اقامة الشهادة ثم اكد ذلك عليهم بنهيهم ان يمنعوا من كتابة
الحقوق والجليل من الحقوق ساحة او ملاما اخبر ان ذلك عندك واقوم للشهادة
فيتذكرها الشاهد اذا عاين خطه فيقيمها وفي ذلك تنبيه على انه ان يقيمها اذ راى
خطه وتيقنه والالم يكن للتعليل بقوله واقوم للشهادة في الدين واخبر ان ذلك
اقرب لليقين وعدم الرجوع بغير رفع عنهم الجناح بترك الكتابة اذا كان بيعا حاضرا فيه
التفويض من الجانبين يامن به كل واحد من المتبايعين من جحد الآخر ونسيانه
ثم امرهم مع ذلك بالاشهاد اذا تباعوا خشية الجحود وغدر كل واحد منهما بصاحبه
فاذا شهد على التبايع امضا ذلك شهد على الكاتب والشهود عن ان يضاوا اما بان
يمنعوا من الكتابة والشهادة او يملأوا واداء او ان يطلبوا على ذلك جعلنا يضر بصاحب
الحق او يكتفوا بالشاهد بعض الشهادة او يؤخر الكتابة والشهادة تاخيرا يضر بصاحب
الحق او يملأه ونحو ذلك وهو يولي لصاحب الحق ان يضا الكاتب والشهود
بان يشغلها عن ضرورتها وحواليهما او يكلفها من ذلك ما يشق عليها ثم
اخبار ان ذلك فسوق بفاعله فهذا كله عند القدرة على الكتاب والشهود ثم ذكر ما يحفظ

في
املا بالاملا

الحقوق عند عدم القدرة على الكتاب والشهود وهو السفر في الغالب فقال وان
كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة فدل ذلك دالة بينة ان الرهن
قائمة مقام الكتاب والشهود شاهدة مخبرة بالحق كما يخبر به الكاتب والشهود
وهذا والله اعلم سر تقييد الرهن بالسفر لانه حال ينعذر فيها الكتاب الذي ينطق
بالحق غالبا فقام الرهن مقامه وناب منابه واكد ذلك بكونه مقبوضا للمرتين
حتى لا يتمكن الراهن من جحد فلا احسن من هذه النصيحة وهذا الارشاد و
التعليم الذي لو اخذ به الناس لم يضر في الاكثر حق احد ولم يتمكن المبطل من الجحود
والنسيان فهذا حكم سبحانه المتضمن لمصالح العباد في معاشهم ومعادهم والمقصود
النه لولم يقبل قول المرتين على الراهن في قدر الدين لم يكن وثيقة ولا حافظا لدينه ولا
بدلا من الكتابة والشهود فان الراهن يتمكن من اخذه منه ويقول انما رهنته منه
على ثمن درهم ونحوه ومن يجعل القول قول الراهن فانه يصدق على ذلك ويقبل قوله
في رهن النوع والضيعة على هذا القدر فالذي نفعه وندين الله به قول
اهل المدينة فاذا اراد الرجل حفظ حقه وخاف ان يقع التحاكم عند حاكم لا يرى
هذا المذهب فالحيلة في قبول قوله ان يسترهنه المرتين على قيمته ويدفع اليه
ما اتفقا عليه ويشهد الراهن ان الباقي من قيمته امانة عنده او فرض في ذمته
يطلبه به متى شاء فيتمكن كل واحد منهما من اخذ حقه ويامن ظم الآخر والله اعلم

المثال السابع والثمانون

اذا كان لرجل على رجل الف درهم وفي يده رهن بالالف وطالب صاحب الدين الغريم بالالف وقدمه الى الحاكم وقال لي على
هذا الف درهم وخاف ان يقول له عندك رهن بالالف وهو كذا وكذا فيقول الغريم
عالمه على هذه التي يدعيها ولا شيء منها وهذا الذي ادعى انه في رهنه في يده هو
كما قال ولكنه ليس برهن بل ودعة او عارية فياخذ منه ويبطل حقه ويبطل
فالحيلة في افنه من ذلك ان يدعي بالالف فيسأل الحاكم المطلوب عن المال فاما ان يقول
واما ان ينكره فان اقربه وادعى انه له رهنا الزمه المال ودفع الرهن الى حاكمه
او يبيع في وقايه وان انكره وقال ليس له على شيء ولي عنده تلك العين اما الدار اما
الدابة فليقل صاحب الحق للقاضي سلمه عن هذا الذي يدعي على باي وجه هو عندي
اغصام عارية ام ودعة ام رهن فان ادعى انه في يده على غير وجه الرهن حلف
على ابطال دعواه وكان صادقا وان ادعى انه في يده على وجه الرهن قال للقاضي سلمه عنكم هو

وهن فان اقر بقدر الحق اقر له بالعين وطالب بحقه وان محمد بعضه حلف على
 نفى ما ادعاه وكان صادقا **المثال الثالث من التسبوت** اذا باع سلعته
 ولم يقبضه اياها او اجرة دارا ولم يتسلمها او زوجه ابنته ولم يسلمها اليه ثم ادعى عليه
 بالثمن او الاجرة او المهر فخاف ان انكر ان يستحقه او يقيم عليه البيعة بحجربان هذه العقود
 وان اقر لزومه ما ادعى عليه به فالحيلة في تخلصه ان يقول في الجواب ان ادعت هذا المبلغ
 من ثمن بيع لم يقبضه او اجارة دار لم تسلمها الي او تكاح امرأة لم تسلمها الي او كانت المرأة هي
 التي ادعت فقال ان ادعت هذا المبلغ من مهر او كسوة او نفقة من تكاح لم تسلم الي
 نفسك فيه ولم تمكنني من استيفاء المعقود عليه فانما مقربه وان كان غير ذلك فلا اقرب
 هذا جواب صحيح يتخلص به فان قيل فهذا تعليق للاقرار بالشرط والاقرار لا يصح
 تعليقه كما لو قال انشاء الله او ان شاء زيد فله على الف قيل بل يصح تعليق الاقرار بالشرط
 في الجملة كقوله اذا جاء راس الشهر فله على الف فهذا اقرار صحيح ولا يلزمه قبل مجي الشهر
 وكذا لو قال ان شهد فلان علي بما ادعاه صدقته صح التعليق فاذا شهد به عليه فلا ان كان
 لا مقربه ولا فرق بين تقديم الشرط ولا تأخيره كما في تعليق الطلاق والعناق والمخ
 وفيه وجه اخر انه ان اخر الشرط لم ينفعه وكان اقرارا ناجزا وهذا ضعف جدا
 فان الكلام باخوه ولو بطل الشرط المصوبه لبطل الاستثناء والبدل والصفة فان
 ذلك يغير الكلام ويخرجه من العموم الى الخصوص والشرط يخرجها من الاطلاق
 الى التقييد فيؤاويل بالصفة وقد جأنا خيرا بشرط في القرائن فيما هو ابلغ من الاقرار
 كقوله تعا حاكيا عن نبية شعيب انه قال لقومه قد اقرتني على الله كذبان عدنا في ملتكم
 فقد وافق صاحب هذا الوجه على انه اذا قال له على الف درهم اذا جاء راس الشهر انه يصح
 وجه واحد وهذا يبطل تعليقه بان الحاق الشرط بعد الخبر كالرجوع عن الاقرار
 هذا فلو قال له على الف موجه صح الاقرار ولزومه الف موجهلا وقيل القول قول خصمه
 في حمله وشبهه هذا انه مقرب بالدين مدح لحلوله وهذا ظاهر البطلان فانه انما اقر
 به على هذه الصفة كما لو وصف بانقد غير النقد الغالب فلا يجوز الزامه به مطلقا
 وكذا لو قال له على الف من ثمن بيع لم يقبضه او اجرة دار لم تسلمها او قال هكذا
 قبل التمكن من قبضه على اصح الوجهين لانه انما اقربه على هذه الصفة فلا يجوز
 الزامه به مطلقا وكذا لو قال كان له على الف فقضيته لم يلزمه لانه في الماضي لا في الان

هذا منصوص

هذا منصوص احمد وليس الكلام بمقتضى نفسه فيكون بمنزلة قوله له على الف لا يلزم
 مني والفرق بين الكلامين اظهر من ان يحتاج الى بيان وعن احمد رواية اخرى انه
 مقر بالحق مدح لقضائه فلا يقبل منه الابينة وهذا قول الاثمة الثلاثة وعنه رواية ثا
 لثة ان هذا ليس بجواب صحيح فيطالبه رد الجواب فعلى هذا اذا قال له على الف
 قضيتنه اياه ففيه ثلاث روايات فنصوصات احدها هن انه غير مقر كما لو قال كان
 له على والثانية انه مفر مدح للقضا فلا يقبل منه الابينة والثالثة انه لا يسمح منه
 دعوى القضا ولو اقام به بيعة بل يكون مكذبا لها وعلى هذا اذا قال كان له على ولم
 يرد على هذا فهو مقر وخروج انه غير مقر من نصه على انه اذا قال كان له على وقضيته
 انه غير مقر وهو يخرج في غاية الصحة فان احمد لم يجعله غير مقر من قوله وقضيته
 فان هذا دعوى كونه للقضا وانما جعله كذلك من جهة انه اخبر عن الماضي لا عن الحال
 فلا يلزم بكونه في ذمته في الحال وهو لم يقربه والمقصود ان المدعى عليه اذا كان
 مظلوما فالحيلة في تخلصه انه يقول ان ادعت كذا من جهة كذا وكذا فانا غير
 مقربه وان ادعت من جهة كذا وكذا فانا مقربه كان جوابا صحيحا ولم يكن
 مقرا على الاطلاق **المثال التاسع من التسبوت** قال اصحابنا لا يمكن البايع
 حيسر المبيع على قبض ثمنه بل يجبر على تسليمه الى المشتري ثم ان كان الثمن معينا
 فتشاحا في المبتدي بالتسليم جعل بينهما عدل يقبض منهما ويسلم اليهما وان
 كان دينيا اجبر البايع على التسليم ثم يجبر المشتري على دفع الثمن فان كان ماله غلبا
 عن المجلس جبر عليه في ماله كله حتى يسلم الثمن وان كان غايبا عن البلد فوق مسافة
 القصر ثبت للبائع الفسخ وان كان دونها فله ان يجبر عليه او يثبت للبائع الفسخ على وجهين
 وان كان المشتري معسرا فللبايع الفسخ والرجوع في عين ماله هذا منصوص احمد
 والشافعي والشافعية وجه انه تباع السلعة ويقضى دينه من ثمنها فان فضل له فضل
 اخذه وان فضل عليه شي استقر في ذمته والصحيح ان البايع يملك حيسر السلعة على
 الثمن حتى يقبضه هذا موجه العدل والا فيمكن المشتري من القبض قبل الاقب
 صا اضار بالبائع فانه قد يتلف المبيع بان يكون طعانا او شرابا فيستعمله او
 يتعذر عليه او يتعسر وطالبته بالثمن فيضربه ولا يزدل ضرره الا بحيسر المبيع على
 ثمنه وعلى هذا لو دفع الثمن الادرها منه فله حيسر المبيع كله على باقي الثمن كما تقول
 في الرهن وفيه قول اخر انه يمكن ان يتسلم من المبيع بقدر ما دفع من الثمن لان كل جزء

Copyrighted material

من المبيع في مقابلة كل جزء من اجزاء الثمن فاذا سلم بعض الثمن تسلم ما يقابله
والفرق بينه وبين الرهن ان الرهن ليس بعوض من الدين وانما هو وثيقة فملك
حبيسه الى ان يستوفي جميع الدين والاول هو الصحيح لانه انما رضى باخراج المبيع من
ملكه اذا لم له جميع الثمن ولم يرض باخراجه ولا اخراج شيء منه ببعض الثمن فاذا خا
البائع ان يجبر على التسليم ثم يحال على تقاضي المشتري فالحيلة له في الامن من ذلك
ان يبيعه العين بشرط ان يرهنها على غنها ويجوز شرط الرهن والضمان في عود المبيع
ويصح رهنه قبل قبضه على غنه في اصح الوجهين كما يصح رهنه قبل القبض بدين اخر
غير غنه ومن غير البائع بل رهنه على غنه اولى وانه يمكن حبسه على الثمن بدون الرهن
كما تقدم فلان يصح حبسه على الثمن رهنه اولى واخرى وايضا فاذا جاز التصرف
فيه بالرهن من الاجنبي قبل القبض فجوزة من البائع اولى لان المشتري يمكنه من التصرف
مع البائع قبل القبض من الاقالة وغيرها ما لا يمكنه مع الاجنبي ومن منع رهنه على
غنه قبل القبض لزومه ان يمنع رهنه على غير الثمن او من الاجنبي فان قيل الفرق
بينهما انه قبل القبض عرضة للتلف فيكون من ضمان البائع وكونه رهنه فحق
ان يكون من ضمان رهنه فيتنا في الامران حيث يكون مضمونا له ومضمونا عليه
من جهة واحدة وهذا بخلاف رهنه من اجنبي قبل القبض فانه يكون مضمونا عليه
للاجنبي ومضمونا له من البائع ولا تنا في بين ان يكون مضمونا له لشخص ومضمونا
عليه لغيره كالعين الموجرة اذا اجرها المستاجر صارت المنافع مضمونة عليه
للمستاجر الثاني ومضمونة له من المجر الاول وكذلك الثمار اذا ابدل اصلها جاز
للمشتري بيعها وهي مضمونة على البائع الاول ومضمونة عليه للمشتري الثاني
قيل هذا هو الفرق الذي نبني عليه هذا القول ولكن يقال اي محذور في ذلك
وان يكون مضمونا له وعليه وقولكم ان ذلك من جهة واحدة ليس كذلك فانه مضمون
له من جهة كونه مشتريا فهو من ضمان البائع حتى يمكنه من قبضه ومضمونا عليه
من جهة كونه رهنه فاذا تلف من ضمانه حتى لو اتحدت الجهة لم يكن في ذلك محذور
بجانب يكون مضمونا له وعليه من جهة واحدة كما قلتم انه يجوز للمستاجر ان
ير ما استأجره لو اجره فتكون المنافع مضمونة عليه وله فاي محذور في ذلك
فان قيل فاذا تلف هذا الرهن من ضمان من يكون فالبايع يقول للمشتري
يتلف من ضمانك لانه رهن والمشتري يقول يتلف من ضمانك لانه مبيع لم

يقبض وليس احدها بترجيح اولى من الاخر **قيل** بل يكون تلفه من ضمان
البائع لان ضمانه اسبق من ضمان الراهن لانه لما باعه كان من ضمانه حتى يسلمه
فحبسه على غنه لا يسقط عنه ضمانه كالحبسه من غير ان يمان فارتبائه اياه لم
يسقط عنه والزوم بعقد البيع من التسليم فانه انما احتاط لنفسه بعقد الرهن و
الراهن لم يتعوض عن الرهن بدين يكون الرهن في مقابله فاذا تلف كان قد
انفع بالدين الذي اخذ في مقابلة الرهن فان اراد الحيلة في تصحيح الرهن والمو
ثقة وان لا يعرضه للبطلان فالحيلة له ان يقبضه من البائع ثم يرهنه اياه على
ثمنه بعد قبضه فيصح الرهن ولا يتو له هناك ضمانان فاذا تلف بعد ذلك تلف
من ضمان المشتري ولا يسقط الثمن عنه فان خاف البائع ان يغيب المشتري او
يؤخر فكاك الرهن كتب كتابا واشهد فيه شهودا انه ان مضى وقت كذا وكذا
ولم يفتك الرهن فقد اذن له في بيعه وقبض دينه من ثمنه وما بقي منه فهو امانه
في يده فان خاف ان يبطل هذه الوكالة من يري انه لا يصح تعليقها بالشرط كتب
في الكتاب انه قد وكله الان ويعاقب تصرفه فيه بالبيع بمجي الوقت فيعلق التصرف
وينجز التوكيل فان خاف ان يعزله الموكل ولا ينفذ تصرفه فيه فالحيلة له
ان يوكل وكالة دورية عند من يري ذلك فيقول وكلما عزلته فقد وكلته وان
شاء ان يقول وكلته وكالة لا تقبل العزل وان شاء ان يقول على اني متى عزلته فلا
حق لي عنده ولا دعوى وما ادعيه عليه من جهة كذا وكذا فدعواي باطله والله
اعلم **المثال الثامن** اذا ادعت عليه امراته انه لم يتفق عليها
ولم يكسب امة مقامها معه او سبب كثيره والحسن والعرف يكذبها لم يحل للحاكم ان
يسمع دعواها ولا يظلمه برده الجواب فان الدعوى اذا ردها الحسن والعادة المعلومة
كانت كاذبة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من ادعى دعوى كاذبة لينكر بها لم
يزده الله الا قلته وفي الصحيح ايضا عنه صلى الله عليه وسلم من ادعى ما ليس له فليس له وليقبوا
نقعه من النار فلا يجوز لاحد حاكم ولا غيره ان يساعده من ادعى ما يشهد الحسن
والعرف والعادة انه ليس له وان دعواه كاذبة ففي سماع دعواه واحضار المدعي عليه
واحكامه اعظم مساعدة ومعاونة على ما يكذب به الحسن والعادة ثم كيف يسع الحاكم ان
يقبل قول المرأة انها كانت هي التي تنفق على نفسها وتكسو نفسها هذه المدة كلها

مع شهادة العرف والعادة المطردة بكذبها ولا يقبل قول الزوج انه كان هو الذي يتفق
عليها ويكسوها مع شهادة العرف والعادة له ومشاهدة الجيران وغيرهم له انه
كل وقت يدخل الى بيته الطعم والشراب والفاكهة وغير ذلك فكيف يكذب من معه مثل
هذه الشهادة ويقبل قول من يكذب دعواه ذلك وكيف يمكن الزوج ان يتخلص من مثل
هذا البلا الطويل والخطب الجليل الابان يشهد كل يوم بكرة وعشبا شاهدي عدل على
الانفاق وعلى الكسوة او يفرض لها كل شهر دراهم معلومة يقبضها اياها با شهادتها
ان يمكنها تخرج من بيته كل وقت تشتري لها ما يقو بمصالحها او يتصدق هو على اخواتها
وشرائها جميعا فيكون هو العاقل الى سبب المملوك وهي المالكه الحاكمة عليه وكل هذا ضد
ما قصده الشارع من النكاح من اللفة والمودة والمعاشرة بالمعروف فان هذه المعا
شرة من انكر المعاشرة وابعدها من المعروف ثم من العجب انما اذا ادعت الكسوة و
النفقة لمدة مقامها عنده فقال الزوج للحاكم سلها من اين كانت تاكل وتشرب وتلبس
فيقول الحاكم لا يلزمها ذلك فيا لله العجيب اكانت غير معروفة بالدخول والخروج ولا يمكن
الزوج احدا يدخل عليها وهي في منزله عدة سنين تاكل وتشرب وتلبس كيف لا يسأ
لها الحاكم من الذي كان يقوم بك ذلك فتمسأله الزوج سؤالا وجبا عليه ذلك وحيث
انه كان تاركا للحق فان سمت اجنبيا غير الزوج كلفها الحاكم البيعة على ذلك وان قالت
انا الذي كنت اطعم نفسي واكسوها في هذه المدة كان كذبها معلوما ولا يقبل قولها فان
النفقة والكسوة واجبان على الزوج وهي تدعي انها هي التي قامت عنده بهذا الواجب
وادت من مالها وهو يدعي انه هو الذي فعل هذا الواجب وقام به واسقطه عن نفسه
ومعه الظاهر والاصل اما الظاهر فلا يمكن عاقلان يكابر فيه بل هو ظاهر ظهور
قريب من القطع بل يقطع به في حق اكثر الناس واما الاصل فهو ايضا من جانب
الزوج فانها قد اتفقا على القيام بواجب حقها وهي تضيف ذلك الى نفسها او الى اجنبي
وهو يدعي انه هو الذي قام بهذا الواجب فقد اتفقا على وصول النفقة والكسوة
اليها وهي تقول كان ذلك بطريق البذل والنيابة بل بطريق الاصل وهذا بخلاف ما
اذ لم يعلم وصول الحق الى مستحقه كالديون والاعيان المضمون فان قبول قول
المنكر متوجه ومعه الاصل ونظيره ان يعترف بقضاء الدين ووصوله اليه ثم ينكر

ان يكون وصل اليه من جهة من عليه الدين فيقول وصل الى الدين الذي لي لكن ليس من جهة
بل غيرك اذ اه عنك فقبل قوله ها هنا احد ويقال الاصل يفي الدين في ذاته وهذا
نظير مسئلة الاتفاق سوافانها مقرة بوصول النفقة اليها ولو انكرت ما كذبها الحسن
ومعينة ان وصول ذلك اليه يمكن من جهة من ادعواها اتخاها الاصل والظاهر جميعا
ولمذا لا يقبلها مالك وفقها المدينة وقولهم هو الصواب الحق الذي ندين الله به ولا
نعتقد سواه واي قبيح اعظم من دعوى امرأة على الزوج ترك النفقة والكسوة سنتين او
او اكثر وهي لا تدخل ولا تخرج ولا يمكنها تعيش عيش الملايكة فيطالب الزوج بنفقة جميع
المدة التي ادعت ترك الاتفاق فيها وقد تستغرق جميع ماله وثيابه وداره ودوابه فيؤخذ
ذلك كله منه ويجسر على الباقي ويجعل دينه مستقرا في ذمته تطالبه به متى شئت و
هو تعلم كذب دعواها وولم يعلم ذلك وجيرانها والله وملايكته والذي يساعدها
وجناهم عنها ولما علم فقها العراق كاي حليفة واصحابه ما في ذلك من الشر والفساد
والضرر الذي لا تأتي به شريعة اسقطوا النفقة والكسوة عن الزوج بمضي الزمان فلم
يسمعوا دعوى المرأة بذلك كما يقوله فزارعهم في نفقة القريب فنفسوا الخناق عن
الازواج بهذا القول واشهرهم راجحة الحياة ونفسوا عنهم بعض الكرب لقد اقام رسول
الله صلى الله عليه وآله بعد ان ارسله الله الى الناس ثلاث عشرة سنة بمكة وعشر بالمدينة
في الزم زوجا قضا بنفقة وكسوة ما ما ضيرة ولا ادعتها عند امرأة وكذلك خلفاؤه
الراشدون من بعده وكذلك عصر الصحابة جميعهم وعصر التابعين ولا حبس على عهد
عمر طاصحابه وتابعيهم رجل واحد على ذلك ولا على صداق امرأة مع صيانة نسائهم ولزوم
من يتوهم وعدم تبرهن وتزينهن وخروجهن في الاسواق والطرق والازواج
في الجيوش ولاهن مسيبات يخرجن ويذهبن حيث اردن فوالله لو اهدا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لشوق عليه غاية المشقة والعظم عليه وعز عليه وكان الرفع و
انكاره اسرع منه الى غيره وبالحيلة فالدعوى اذا كانت مما تردها العادة والعرف و
الظاهر لم يجز سماعها ومن ها هنا قال اصحاب مالك اذا كان رجل حائزا لدار قصر
فانها مدة السيرة الطويلة بالبنا والمدايم والاجارة والعمارة وينسبها الى نفسه
ويضيفها الى ملكه وانسان حاضريه ويشاهد افعاله فيها طول هذه المدة وهو

مع ذلك لا يعارضه فيها ولا يذكر ان له فيها حقاً ولا مانع يمنع من مطالبة من خوف سلطان او نحو ذلك من الضرر المانع من المطالبة بالحقوق ولا يمنع وبين المتصرف في الدار قرابة ولا شركة في ميراث وما اشبه ذلك مما يتساح به القرابات وذواته الصهر بينهم في اضافة احد هم احوال الشركة الى نفسه بل كان عرباً من ذلك كالم جاء بعد طول هذه المدة يدعيها لنفسه ويترجم انها له ويريد ان يقيم بينة بذلك فدعواه غير مسموعة اصلاً فضلاً عن بينة وتقر الدار سيد حائزها قالوا الان كل دعوى ينفيها العرف وتكذبها العادة فانها مرفوضة غير مسموعة قالوا واعرف بالعرف واو جبت الشريعة الرجوع اليه عند الاختلاف في الدعاوي وغيرها **قلت** وما يدل على ذلك ان الظن المستفاد من هذا الظاهر اقوى بكثير من الظن المستفاد من شهادية او شاهد وعين او مجرد النكول والرد وايضاً فان البينة على المدعي البينة كما يبين الحق والعرف والعادة والظاهر القوي الذي ان لم يقطع به فهو اقرب الى القطع يدل على صدق الزوج وكذب المرأة في احساكها عند كسوتها والانفاق عليها مدة سنتين متطاوله ولا يدخل عليها احد ولا هي ممن تشتري لها ما تاكل وتلبس فالشريعة جاءت بما يعرف لا بما ينكر وقد اخبر سبحانه ان للزوجة مثل الذي عليها بالمعروف وليس من المعروف الزام الزوج بنفقة سنتين سنة وكسوتها واحتياج حاله كله وسلبه نعم الله عليه وجعله مسكيناً اذا تربة وجعله اسيراً لابيها في ما اذرت به بل هذا من انكر المنكر وما يراه المسلمون وغير المسلمين قبيحاً وايضاً فان الرجل له ولاية الانفاق على زوجته كما له ولاية حبسها ومنعها من الخروج من بيته فالشارع جعل البينة ذلك وامر ان يقوم على المرأة ولا يوتئها ماله بل يريزها ويكسوها فيه وجعل الله سبحانه في ذلك بمنزلة الصغير والمجنون من وليه كما قال تعالى ولا تقربا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قايماً وارزقوهم فيها واكسوهم قال ابن عباس لا تعد الى ما لك التي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرتك وبنيتك فيكونوا هم الذين يقومون عليك في كسوتهم ورزقهم وموتهم فالسفها هم النساء والصبيان وقد جعل الله سبحانه الازواج قوايين عليهن كما جعل في الطفل قواما عليه والقوام على غير ما بين عليه من قبل قول الزوج او الطفل بعد البلوغ في عدم ايصال النفقة اليهما فقد جعلهما قوايين

ما

على الازواج والاوليا ولم يقبل قول الزوج لم يكن قواماً على المرأة فان المرأة اذا كانت غريباً يقبل القول دون الزوج كانت هي القوامة وبالجملة فللمرأة على امراته ولاية حق في مالها فان لم يمنعها من التبع به لانه انما يبدل لها المهر لما لها ونفسها فليس لها ان تنصرف في ذلك بما يمنع الزوج من كمال استقناعه وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نفقة الزوجات ونفقة المالك وجعل المرأة عانية عند الزوج والعاني هو الاسير وهو نوع من الرق فقال في المرأة يطعمها مما ياكل ويكسوها مما يلبس وكذلك قال في الرقيق سواهن يامين على نفقة امراته ورفيقه واولاده بحكم قيامه عليهم ولم يوجب الله به سبحانه على الازواج تمليك النساء طعاماً ولا اداً ما واولادهن اصلاً وانما اوجب اطعامهن وكسوتهن بالمعروف واجبات التمليك مما لم يدل عليه كتاب ولا سنة ولا جملة ولا كذلك فرض النفقة وتقديرها بدراهم لا اصل له في كتاب ولا سنة ولا قول صاحبه ولا تابع ولا احد من الائمة الاربعة فان الناس لهم قولان منهم من يري تقديرها بالحب كالنساء فجي ومنهم من يريها الى العرف وهم الجمهور ولا يعرف عن احد من السلف والائمة تقديرها بالدراهم البتة ثم ان فيه ايجاب المعافضة على الواجب لها بغير رضا الزوج ومن غير اعتبار كون الدراهم قيمة الواجب لها من الحب او الواجب بالعرف ففرض الدراهم مخالفاً لهذا وهذا ولا قول جميع السلف الائمة وفيه من الفساد ما لا يحصى الا الله فانه انمكن المرأة تخرج كل وقت تشتري لها طعاماً واذا دخل على الزوج والزوجة من الشر والفساد ما يشهد به العيان وان منعها من الخروج اضربها وبالزوج وجعله كالاجير والاسير معها وبالجملة فبني الحاكم في الدعاوي على غلبة الظن المستفاد من براءة الاصل تارة ومن الاقرار تارة ومن البينة تارة ومن النكول مع يمين الطالب المبر دودة او بدونها هذا كله مما يبين انحوظاها فهو بينة وتخصيص البينة بالشهوة عرف خاص والا فالبينة اسم لما يبين الحق فمن كان ظن الصدق من جانبه اقوى كان بالحكم اولى ولهذا قدمنا جانب المدعي عليه حيث لا بينة ولا اقرار ولا نكول ولا شاهد حال استناد الى الظن المستفاد من البراءة الاصلية فاذا كان في جانب المدعي بينة شرعية قدم لقوة الظن في جانبه بالبينة وكذلك اذا كان في جانبه قرينة ظاهرة كاللث قد جا به ولذلك قدم جانب المدعي اللعان اذا تكلمت المرأة فانها ترجح بايمانه لقوة الظن في جانبه باقراره اللعان مع نكول المرأة عن دفع الحدود الغاوه عنها باليمين وقد اجمع الناس

على جواز وطى المرأة التي تزف الى الزوج ليلة العرس وان لم يكن رها ولا وصفت له
من غير اشتراط شاهدي عدل يشهدان انها هي امراته التي وقع عليها العقد كفاء
بالظن الغالب بل بالقطع المستفاد من شاهد الحال وكذلك يجوز الاكل من الهدي
المسحور اذا كان بالفلاة ولا احد عنده اكتفاء بشاهد الحال وكذلك يدرج السلف والخلف
على جواز اكل الفقير مما يدفع اليه الصبي ويخوجه من البيت من كسوة ونحوها اعتمادا
على شاهد الحال وكذلك يكفي بشاهد الحال في بيع المحقرات بالمعاطاة وهو عمل الامة
قدما وحديثا واكتفى الشارع بسكون البكر في الاستيذان وجعله دليلا على رضاها
اكتفاء بشاهد الحال واكتفى الامة في الاعتماد على المعاملات والمدايا والتبرعات
بكونها بيد الباذل لان دلالتهما على ملكه تورث ظنا ظاهرا واكتفى بمعاملة مجمل
الحوية والرشد اقراره واكل طعامه وقبول هديته واباحة الدور الى منزله اعتمادا
على شاهد الحال والظن الغالب واكتفى الشارع بقول الخارج الواحد في محل الظن
فنظر الى الظن المستفاد من خروجه واكتفى الامة بقول المقومين فيما دق وجل اعتمادا
على الظن المستفاد من تقويمهم وقد اكتفى الشارع بتقويم اثنين في جزاء الصيد واكتفى
بواحد في الخوص واكتفى بواحد في رد بنة هلال رمضان واكتفى الامة بقول القاسم و
حده او بقول اثنين وكذلك القاييف والقاييفين واكتفى بقول المؤذن الواحد وقد
اكتفى كثير من الفقهاء بالنسب الصغير وميل طبعه الى امر ادعاه من رجلين او اكثر
اعتمادا على الظن المستفاد من ميل طبعه وهو من اضعف الظنون وكذلك كان في
اخر رتب الاله لا محاق عندهم عدم القاييف وكذلك الاعتماد في وجوب دفع اللقمة
او جوازه على الظن المستفاد من وصف الواصف لها وكذلك الاعتماد على
اشارات الطهارة والنجاسة والقبلة والاعتماد على قول الكيال والوزان وقا
ل كثير من الفقهاء بحبس المدعي عليه بشهادة المستورين الى ان يعد لا اذ
الغالب من المستورين العدالة فاستجازوا عقوبة الرجل المسلم بمثل هذا
الظن وقالوا تسمع الشهادة على المقر بالاقرار من غير اشتراط ذكر الشاهد
اهلية المقر حال اقراره اعتمادا على ظن الرشد والاختيار وقالوا اذا
كان الحد حايلا بين الجدار وبين ملك المدعي او بين ملكه وبين موات اختص
به المدعي لان الظاهر ان الطريق والموات لا يحاط عليهما وقالوا لو كان

نسخ
الجدار حايلا

بين الملكين جدار متصل بانيته احد الملكين اتصالا ابدا واخل وترصيف اختصاص
صاحب الترصيف لقوة الظن من جانبته اذ معه دلائل ان احدهما الاتصال والثا
نية التداخل والترصيف فلو تداخل من احد طرفيه في ملك احد هما ومن الطرف الاخر
في الملك الاخر اشتركا فيه لتساويهما في الدلائل وقالوا ان الابواب المشرعة في
الدروب غير النافذة دالة على الاشتراك في الدروب الى حد كل يانها فيكون الاول شيكا
من اول الدرب الى بابها والثاني شيكا الى بابها والذي في اخر الدرب شيكا من اول
الدرب الى بابها قولا واحدا والى اخر الدرب على الصالح وكل ذلك بناء على الظن المستفاد
من الاستطراق وانه بحق وقالوا ان الاجنحة المستظلة على ملك الحجار وعلى الدروب
غير النافذة انها ملك لاصحابها اعتمادا على غلبة الظن بذلك وانما وضعت باستحقاق
ق وكذلك القنوت والجداول الجارية في ملك الغير دالة على اختصاصها بربها بالمياه
بناء على الظن المستفاد من ذلك وان صورها دالة على انها وضعت باستحقاق
ومن ذلك دالة الايدي على الاستحقاق اعتمادا على الظن الغالب مع القطع بكثرة و
ضع الايدي عدوانا وظلما ولا سيما ما اطرفت العادة باجارتها وخروجها من
يد مالكة الى يد مستاجر كالأراضي والدواب والحيوانات والرباع والجماعات
وان الغالب فيها الخروج عن يد مالكة وقد اعتبرتم اليد وقد استشكل كثير من
فضلاء اصحابكم هذا واعترف بان جوابه مشكل جدا ولما كان الظن المستفاد
من الشهوة اقوى من الظن المستفاد من هذه الوجوه قدم عليها ولما كان الظن
المستفاد من الاقرار اقوى من الظن المستفاد من الشهوة قدم الاقرار عليها ولذلك اكتفى
كثير من الفقهاء بالمرة الواحدة في الاقرار بالزنا والسرقه لهذه القوة قال لان وازع المقر
طبيعي ووازع الشهوة شرعي والوازع الطبيعي اقوى من الوازع الشرعي ولذلك يقبل
الاقرار من المسلم والكافر والبر والفاجر لقيام الوازع الطبيعي ولما كان الوازع عن الكذب
على نفسه مخصوصا بالمقر كان اقراره حجة قاصرة عليه وعلى من يتلقى عنه الكونه فزعم
ولما كان الوازع الشرعي عاما بالنسبة الى جميع الناس كان حجة عامة فان خوف الله
ينزع الشاهد عن الكذب في حق كل واحد فكان قوله حجة عامة لكل واحد ولما كان الوازع
الكذب مختصا بالمقر قصر عليه فهو خاص قوي والشهادة عامة ضعيفة بالنسبة الى
الاقرار قوية بالنسبة الى الايدي والى ما ذكرناه من الدلائل ومعلوم ان الظنون

لا تقع الاسباب تشبهها وتحركها من اسبابها الاستصحاب واطوار العادة
او كثرة وقوعها او قول الشاهد او شاهد الحال ولا يقع في الظنون تعارضها
يقع في اسبابها وعلاقتها فاذا تعارضت اسباب الظنون فان حصل الشك لم يحكم
بشي وان وجد الظن في احد الطرفين حكم به والحكم للراجح لان مرجوحه مقابلة
تدل على ضعفه فاذا تعارضت سببا ظني وكان كل منهما مكذبا لاخرتسا قضا لتعارض
البينتين والامارتين وان لم يكن كل واحد منهما مكذبا لاخر عمل بهما على حسب
كداية علمها راكبان وعبد تمسك بيده العنان ودار فيهما ساكنان وخشبة لها حاسا
ملان وجدار متصل عليهما ونظائر هذا فان كان احدهما انجح من الاخر عمل بالراجح
كالشاهد مع البراءة الاصلية ومع اليد يقدم عليها الرجحانه ولما كانت اليد لها مراتب
في القوة والضعف كان الالبس لثيابه وعمامته وخفه وضيقته ونعله اقوى من
يد الجالس على البساط والراكب على الدابة ويد الراكب اقوى من يد السائق والعاقد ويد
الساكن الدار اضعف من تلك الايدي ويد من هو داخل الحمام والحان اضعف من هذا
كله قدم اقوى الايدي على اضعفها فلو كان في الدار اثنان وتنازع فيهما وفي لبا سهما الذي
عليهما جعلت الدارين بينهما الاستواء في اليد وكان القول قول كل منهما في لبا سمة المختص
به لقوة يده بالقرب والانصال ولو تنازع الراكب والعاقد والسائق قدمت يد الراكب كذلك قال
الجمهور اذا تنازع الزوجان في ملك البيت والصباخان في حانوت كان القول قول من
يدي منهما ما يصلح له وحده لغلبة الظن القريب من القطع باختصاصه به وكذلك لو
راينا رجلا شريفا حاسر الراس وامامه داعر على راسه عمامة وبيده عمامة لا يلقى به وهوها
تقدم يده على الظن المستفاد من كونها يد عادية مما يقطع بطلانه وكذلك قيمة له
كتب في دارة وامرأة غير معروفة بشي من ذلك البينة فتقديم يدها على شاهد حال الفقيه في
غاية البعد عن الظن المستفاد من هذا وامثاله الى الظن المستفاد من النكول ومن الظن
المستفاد من اليد بل ان ذلك من الظن المستفاد من الشاهد اليدين ومن المتعذر ان يتر
الشارع الاحكام على هذه الظنون ولا يرتفع الظنون التي هي اقوى منها بمراتب كثيرة
بل تكاد تقرب من القطع كما انه من المحال ان يحرق التافيف للراجلين ويبسج شتمها
وضربها وهل تقدم قول المدعي في القسامة الاعتماد على الظن الغالب بالوث
وقدم هذا الظن على ظن البراءة الاصلية لقوته وقد حكى الله سبحانه في كتابه عن الشا

الذي علم شتمه من اهل امرأة العزيز وحكم بالقرابين الظاهرة على براءة يوسف
وكذب المرأة بقوله ان كان قبضه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان
قبضه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما راي قبضه قد من دبر قال ان من
كيدكم ان كيدكم عظيم وسمى الله سبحانه ذلك اية وهي ابلغ من البينة فقال ثم بدا
لهم من بعد ما راء الايات ليسجننه حتى حين وحكى سبحانه ذلك مقرر له
غير منكرو ذلك يدل على رضاه به ومن هذا حكم بني الله سليمان بن داود بالولد
الذي تنازع فيه المراتان فقضى به داود للكبرى فخرجنا على سليمان فقضنا عليه
القصة فقال سليمان ايتوني بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يا بني
الله فها بيننا فقضى به للصغرى ولم يكن سليمان ليفعل ولكن اوها ذلك فطأ
بت نفس الكبرى بذلك استرواحا منها الى راحة الناسي والتسليم بذهابها من الاخر
كما ذهب انهما ولم تطب نفس الصغرى بذلك بل ادركتها شفقة الام ورحمتهما فاشد
الا يفعل استرواحا الى بقا الولد ومشاهدة حيا وان اتصل الى الاخر وتامل
حكم سليمان به للصغرى وقد اقرت به الكبرى تجد تحنن ان الاقرار اذا ظهرت
امارات كذبه وبطلانه لم ينفذ اليه ولم يحكم به على المقر وكان وجوه كونه وهذا
هو الحق الذي لا يجوز الحكم بغيره وكذلك اذا غلط المقر واخطا او نسي او اقر
بما لا يعرف مضمونه لم يواخذ بذلك الاقرار ولم يحكم به عليه كما لو اقر مكرها والله سبحانه
رفع المواخذة بلغو اليهم لكون الحالف لم يقصد موجبا واخبر انه انما يواخذ
بكسب القلب والغالط والمخطي والناسي والجاهل والمكره لم يكسب قلبه ما اقر به او حلف
عليه فلا يواخذ به والمقصود ان الزوج المظلوم المدعى عليه دعوى كاذبه ظالمه
بانه ترك النفقة والكسوة تلك السنين كلها او مدة مقامها عنده اذا تبين كذب المرأة
في دعواها لم يجز للحاكم سماعها فضلا عن مطالبتها برء الجواب فله طرق في
التخلص من هذه الدعوى احدها ان يقول كيف يسوغ دعوى كذبها العادة و
العرف ومثاله الجيران الثاني ان يقول للحاكم سليمان من كان ينفق عليها و
يكسوها في هذه المدة فان ادعت ان غيره كان يودي ذلك عنه لم يسبح دعواها
وكانت الدعوى لذلك الغير لا يقبل قولها على الزوج ان غيره قام بهذا الواجب عنه
وهذا مما لا يخافه ولا اشكال فيه وان قالت انا انفق على نفسي قال الزوج سليمان اهل
كانت هي التي كانت تدخل وتخرج تشتري الطعام والادام فان قالت نعم ظهر كذبها

ولا سيما ان كانت من ذوات الشرف والاقدار وان قالت كنت او كل غيري في ذلك
الزمت ببيانها والاظهر كذبها وظلمها وعدوانها وكانت معاونتها على ذلك معا
ونة على الائم والعدوان فان اعوز الزوج حاكم عالم يتحرر للحق لا تاخذه فيه
لومة لائم فليعد الى التحيل بالخلاص بما يبطل دعواها الكاذبة اما بان يجد
استحقاقا لما ادعت به فلا يعدل الى الجحيم المفصل فتحتاج هي الى اقامة البينة
على سبيل الاستحقاق وقد يتعذر او يتعسر عليها ذلك فان احضرت الصداق
واقامت البينة فان كانت لم تنتقل معه الى داره فجد تسليما اليه فالقول قوله اذ لم
تكن معه في منزله فان كانت قد انتقلت معه الى منزله وادعى نشوزها تلك المدة و
امكنه اقامة البينة بذلك سقطت نفقتها في مدة النشوز وان لم يمكنه اقامة
البينة وادعى عدم تمكنه من الوطى ادعت انها مكنته فالقول قوله لان الاعدل
التمكين وهذا غير دعواه النشوز فان النشوز هو العصيان والاصل عدمه و
هذا النكار لا يستيف حقه والاصل عدمه فما مله فان كان له منها ولد لم يمكنه هذا
الانكار ومتى احس بالشرك والمكر احتال بان يجبا شاهدهي عدل بحيث يسمعان
كلامها ولا تراهما ثم يدفع اليها مالا او ما ترضى به ويلطف بها ثم يقول اريدان يجعل
كل منا صاحبه في حل حتى تطيب انفسنا ولعل الموت ياتي بغتة ونحو ذلك في الكلام
وان امكنه ان يستنطقها بانها لا تستحق عليه الى ذلك الوقت نفقة ولا كسوة
وانه يرضيها من الان ويدفع اليها ما ترضى به كان اقوى ثم ياخذ خط الشاهد
بذلك ويكتم منها فان اعجله الامر عن ذلك وامكنه المبادرة برفعها الى حاكم مالكي
او حنفى يادر الى ذلك وبالجملة فالخازم من يستعد لحيالهم ويعد لها حيلة يتخلص
بما فيها وهذا الاباس به ولا اثم فيه ولا في تعليمه فان فيه تخلص للمظلوم واغارة
المهوف واخذ الظالم المحتدي والله الموفق للصواب وانما اطلنا الكلام
في هذا المثال لشدة حاجة الناس الى ذلك ولعموم البلوى وكثرة الفجور وانتشار
الضرر يتمكن المراه من هذه الدعة وسماعها وجعل القول قولها وفي ذلك
كفاية والافني تحتمل اكثر من ذلك **فصل** والقصود منها
الاحتمل واضعافها امام تذكره ان الله سبحانه اغنانا بما شرعه لنا من الخفيف
السجدة وما يسهل من الدين على لسان رسوله وسهل للاخرة عن الدخول في الاصار والاغلال

وعن ارتكاب طرق المكر والخداع والاحتيايل كما اغنانا عن كل باطل ومحم و
ضار بما هو نافع لنا منه من الحق والمباح والنافع فاغنانا عن اعياد الاسلاف
عن اعياد الكفار والمشركين من اهل الكتاب والمجوس والصابئين وال
صنام واغنانا بوجع التجارات والمكاسب الحلال عن الربا والميسر والقمار واغنانا
بنكاح ما طاب لنا من النساء شتى وثلاثه رباغ والسرير بما شئنا من الما عن الرضا
والفواحش واغنانا بانواع الاشربة اللذيذة النافعة للقلب البدن عن الاشربة
بئة الخبيثة السكر المذهبة للعقل والدين واغنانا بانواع الملابس الفاخرة من الكتان
والقطن والصفو عن الملابس المحرمة من الحرير والذهب واغنانا عن سماع الابيات وقران
الشيطان بسماع الايات وكلام الرحمن واغنانا عن الاستقسام بالازلام طلبا لما هو
خير وانفع لنا باستخارته التي توحيد وتوفيق واستعانة وتوكل واغنانا عن طلب
الناس في الدنيا وعاجلها بما احبه لنا ونزينا اليه من التنافس في الآخرة وما اعد لنا
فيها واباح الحسد في ذلك واغنانا به عن الحسد على الدنيا وشهواتها واغنانا بالفرج
بفضلهم ورحمة وهما القران والايمان عن الفرج بما جمعه اهل الدنيا من المناع والعقار
والاثمان فقال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون واغنا
نا بالتكبر على اعداء الله واظهار الفخر والخيلاء لهم عن التكبر على اولياء الله والفخر
الخيلاء عليهم فقال صلى الله عليه وسلم لمن راه يتختر بين الصفيين انما المشية يبغضها الله
الا في مثل هذا الموطن واغنانا بالفردسية الايمانية والشجاعة الاسلامية التي يامر
بها في الغضب على اعدائه ونصرة دينه عن الفردسية الشيطانية التي يبعث على الهوى وخيمة
الجاهلية واغنانا بالخلق الشرعي حال الاعتكاف عن الخلوة البغية التي يتركها الهجور
الجهاد والجمعة والجماعة وكذلك اغنانا بالطرق الشرعية عن طرق اهل المكر والاحتيا
فلا تشد حاجة الامة الى شي الا في ملجأ به الرسول ما يقضي حاسطه وتو
سعته بحيث لا يحوجهم فيه الى المكر والاحتيايل ولا يلزمهم الاصار والاغلال فلا هذا
من دينه ولا هذا كما اغنانا بالبراهين والايات التي ارشد اليها القران عن الطرق المتكلمة
المتعققة المتعقده التي باطلها اضعا فحقها من الطرق الكلامية التي الصحيح منها
كلهم جعل غشا على راس جبل وعرا سهل فيرتقى ولا سمير فينقل ونحو نعلم علما لا
نشك فيه ان الجبل الذي تنضم تحليل واحرم الله واستقاما اوجبه لو كانت جائز

لسنها الله سبحانه ونذير لهما لما فيها من التوسعة والفرج للمكروب والافاشة
 للملهم فكذا نذير الى اصلاح بين الخصمين وقد قال الميعود بالحقيقة السمحة صلى الله
 عا ولم ما تركت من شي يقر بكم من الجنة الا وقد حدثتكم به وما تركت من شي يبعدكم
 من النار الا وقد حدثتكم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها باحد الاهاك
 في هذا نذير النبي صلى الله عا ولم الى الحيل وحسن عليها كما حصل على اصلاح ذات البين
 بل لم يزل يحذر من الخداع والمكر والنفاق ومشائمة اهل الكتاب باستحلال محاربه
 باذي الحيل ولو كان مقصود الشارح ابا حية تلك المحرمات التي رتب عليها انواع الذم والعقوب
 بات وسد الذرائع الموصلة اليها لم يحرمها ابتداء ولا رتب عليها العقوبة ولا سد الذرائع
 اليها ولو كان تركها بوابها مفتحة اسهل من المبالغة في غلقها وسدّها ثم يفتح لها انواع
 الحيل حتى ينقب المحتمل عليها من كل ناحية فهذا ما نقصان عنه الشرايع فضلا عن اكملها
 شرعية وافضلها دينا وقد قدما ان الضرر والمفاسد المحاصلة من تلك المحرمات لا تزول
 بالاحتياط والنفق عليها تقوى وتشد مفاسدها **فصل** اذا عرف
 هذا فالطرق التي تنضم نفع المسلمين والذين عن الدين ونصر المظلومين واغاثة
 الملهم فبين ومعارضه المحتالين بالباطل ليدحضوا به الحق من انفع الطرق واجلها
 علما وعملا وتعلما فيجوز للرجل ان يظهر قولا او فعلا مقصودا به مقصود صالح
 وان ظن الناس انه قصدي غير ما قصده اذا كان فيه مصلحة بينة مثل رفع ظلم عن
 نفسه او عن مسلم او معاهد او نصر حق او ابطال باطل من حيلة مخوفة او غيرها
 او دفع الكفار عن المسلمين او التوصل الى تنفيذ امر الله ورسوله فكل هذه طرق
 حايطة او مستحبة او واجبة وانما المحرم انما يقصد بالعقود الشرعية غير ما شرعت
 له فيصير مخادعا لله فهذا مخادع الله ورسوله وذلك مخادع للكفار والنجار
 والظلمة ارباع المكر والاحتيايل فيبين هذا الخداع وذكر الخداع من الفرق كما بين البر
 والاثم والاحل والظلم والطاعة والمعصية فابن من قصده اظهار دين الله ونصر
 المظلوم وكسر الظلم الى من قصده ضد ذلك اذا عرف هذا فنقول الحيل اقسام احدها
 الطرق الخفية التي يتوصل بها الى ما هو محرم في نفسه فمضى كان المقصود بها محرم في نفسه
 فهي حرام باتفاق المسلمين وصاحبها فاجر ظالم اثم وذلك كالتجسس على هلاك النقيس

دينية

واخذ الاموال المعصومة وفساد ذات البين وحيل الشياطين على اغواء بني ادم وحيل
 المخادعين بالباطل على ادحاض الحق واظهار الباطل في الخصومات الدينية و
 الدينوية فكل ما هو محرم في نفسه فالوصول اليه محرم بالطرق الظاهرة والخفية بل التوصل
 اليه بالطرق الخفية اعظم اثما واكثر عقوبة فان اذا المخادع وشه يصل الى المظلوم من
 حيث لا يشعر ولا يمكن الاحتراز ولا يذوق قطع السارق دون التهميم والختل من هذا راي
 ماكد ومن وافقه ان القاتل غيلة ولا يقتل وان قتل من لم يكافيه بفسدة فعله وعدم امكا
 ن التحرز منه ومن هذا راي عبد بن الزبير قطع يد الزاني العظم ضرورة على الاموال وعدم
 ان كان التحرز منه في نواولي بالقطع من السارق وقوله قوي جدا ومن هذا راي الامام احمد
 قطع يد جاحدا عاريا لانه لا يمكن الاحتراز منه بخلاف جاحد الودعة فانه هو الذي يثق
 والعمدة في ذلك على السنة الصحيحة التي لا معارض لها والقصد ان التوصل الى المحرم حرام
 سواء توصل اليه بحيلة خفية او بامر ظاهر وهذا النوع من الحيل ينقسم قسمين احدهما
 ما يظهر فيه ان مقصود صاحبه الشر والظلم كحيل للمصوص والظلمة والخونة والثاني
 ما لا يظهر ذلك فيه بل يظهر المحتمل ان قصده الخير ومقصود الظلم والبغي مثل اقرار المريض
 لو ارث لا يمشي عنده قصد التخصيص بالمقربة او اقراره بوارث وهو غير وارث اضرا
 ربا لورثته وهذا حرام باتفاق الامم وتعلمه لمن يفعله حرام والشهادة عليه حرام اذا
 علم الشاهد صورة الحال والحكم بموجب ذلك حكم باطل حرام يات به الحاكم باتفاق
 المسلمين اذا علم صورة الحال **فهذه الحيلة** في نفسها محرمة لانها كذب وزور والمقصود
 بها محرم لكونه ظلما وعدوانا ولكن لما امكن ان يكون صدقا اختلف العلماء في اقرار المريض
 لو ارث هل هو باطل سدا للذريعة ورد الاقرار الذي صادف حق الورثة فيما هو متهم
 فيه لانه شهادة على نفسه فيما يتعلق به حقهم فير التهمة كالشهادة على غيره وهو
 مقبول احسانا للظن بالمقر ولا سيما عند الحاجة ومن هذا الباب احتيايل المرأة
 على فسخ نكاح الزوج مع احساكه بالمعروف بانكارها الاذن للولي او اساقعة عشرة الرز
 وج ونحو ذلك واحتيايل البائع على فسخ البيع بدعواه انه كان مجبور عليه واحتيايل
 المشتري على الفسخ بانه لم ير البيع واحتيايل الموهب على المستاجر في فسخ الاجارة او
 احتيايل المستاجر عليه بانه استاجر مالم يره واحتيايل الرهن على المرتهن في فسخ الرهن
 هن بان يظهر انه اجره قبل الرهن او كان رهنه عند زوجه او ابنه ونحو ذلك

فهذا النوع لا يستريب احدانه من كباير الائم وهو من افعج المحرمات وهو بمنزلة لحم
خنزير ميت حرام وانه في نفسه معصية لتضمنه الكذب والزور ومن جهة
تضمنه ابطال الحق واثبات الباطل القسم الثالث هو ما جاء في نفسه لكن
بقصد المحرم صار حراما كالسفر لقطع الطريق ونحو ذلك في هذا المقصد حرام
والوسيلة في نفسه غير محرمة لكن لما توسل بها الى المحرم صار حراما القسم الرابع
ان يقصد بالحيلة اخذ حق اودفع باطل لكن تكون الطريق الى حصول ذلك محرمة مثل
ان يكون له على رجل حق فيجده فيقيم شاهدين لا يعرفان غريمه ولم يراه يشهدان
له بما ادعاه فهذا حرام ايضا وهو عند الله عظيم لان الشاهدين يشهدان بالزور
وشهادة الزور من الكباير وقد حملها على ذلك وكذلك لو كان له عند رجل دين فيجده
اياه وله عنده ودية فيجده الودية وحلف ان لم يودعه او كان له على رجل دين
لا يئنه له به ودين اخر به بينه لكنه اقتضاه منه فيدعي هذا الدين ويقوم به بينة
وينكر الاستيفاء او يكون قد اشترى منه شيئا فظهر به عيب تلف المبيع به فادعي
عليه ثمنه فانكر اصل العقد وان لم يشترى منه شيئا او تزوج امرأة فانفق عليها
مدة طويلة فادعت عليه ان لم ينفق عليها شيئا فيجده بنكاحها بالكلية فهذا حرام
ايضا لانه كذب ولا سيما ان حلف عليه ولكن لو تناول في يمينه لم يكن به باس فانه
مظلوم فان قيل فما تقولون لو عامل معاملة ربا فقبض راسه ثم ادعاه عليه
بالزيادة المحرمة هل يسوغ له ان ينكر المعاملة او يحلف عليها قيل يسوغ له الحلف
على عدم استحقاقها وان دعواها دعوى باطلة فلم يقبل منه الحاكم هذا الجواب
ساع له التاويل في اليمين لانه مظلوم ولا يسوغ له الانكار الحلف في غير تناويل
لانه كذب صريح فليس له ان يقابل الفجور بمثلته كما انه ليس له ان يكذب على من كذب
عليه او يقذفه قذفا او يفجر بزوجته فيفجر بزوجته او يباين من تجرباينه فان
قيل فما تقولون في مسئلة الظفر هل هو من هذا الباب او من القصاص المباح
قيل قد اختلف الحنفية فيها على خمسة اقوال احدها انها من هذا الباب وانه ليس
ان يحرق من خائنه ولا يجرد من محرمه ولا يصب غصبه وهذا ظاهر مذهب
احمد ومالك والثاني يجوز له ان يستوفي قدر حقه اذا ظفر المسألة بما له سواء
ظفر بحسنه او غير جنسه وفي غير الجنس يدفعه الى الحاكم ببيعده ويستوفي

ثمنه

ثمنه وهو قول اصحاب الشافعي والثالث يجوز له ان يستوفي قدر حقه اذا ظفر
بحسنه ماله وليس له ان ياخذ من غير الجنس وهذا قول اصحاب ابي حنيفة القسم
انه اذا كان عليه دين لغيره لم يكن له الاخذ وان لم يكن عليه دين فله الاخذ وهذا احد
الروايتين عن مالك والخامسة اذا كان سبب الحق ظاهرا كالنكاح والقرابة وحق
الضيف جاز للمستحق المستحق الاخذ بقدر حقه كما اذن فيه النبي صلى الله عليه وسلم
ان ياخذ من مال ابي سفيان ما يكفيها او يكفي فيها وكما اذن لمن نزل بقوم ولم يضيف
ان يعاقبهم في ماله بمثل قراه كما في الصحاح عن عتبة بن عامر قال قلت للنبي صلى الله
عليه وسلم انك تبغثنا فنزل بقوم لا يعرفوننا فما ترى فقال لئن انزلتم بقوم فامرؤا لكم
بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم و
في المسند من حديث المقداد بن ابي كريمة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نزل بقوم
فعلمهم ان يعرفوه فان لم يعرفوه فله ان يعقبهم على قراه وفي المسند لاحد ايضا من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف
محروما فله ان ياخذ بقدر قراه ولا يخرج عليه وان كان سبب خفيا بحيث ينهم
بالاخذ ويلبس الخيانة ظاهرا لم يكن له الاخذ تعرض نفسه للثمة والخيانة
وان كان في الباطن اخذ حقه كما انه ليس له ان يتعرض للثمة التي تسلط الناس
على عرضه وان ادعى انه محق غير منهم وهذا القول اصح الاقوال واسد لها ووافرها
لقواعد الشريعة واصولها وبه تجتمع الاحاديث فانه قد روي ابو داود في سننه
من حديث يوسف بن ماهك قال كنت اكتب لفلان نفقة ايتام كان ولهم فغالطوه بالف
درهم فادهاها اليهم فادركت لهم من اموالهم مثلها فقلت قبض الالف الذي ذهبوا
به منك قال لا حدثني ابي انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اد الامانة الى من ايتمك
ولا تخن من خائنك وهذا وان كان في حكم المنقطع فان له شاهدا من وجه اخر
وهو حديث طلوع غمام اخبرنا شريك وقيس عن ابي حصين عن ابي مالك
صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اد الامانة الى من ايتمك
ولا تخن من خائنك وقيس هو ابن الربيع وشريك ثقة وقد قوي حديثه بمناجعة
قيس له وان كان فيه ضعف وله شاهد اخر من حديث سويد بن بشير عن ابي النجاشي

نسخة
ان يعقبهم

في
المقدم

عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وايوب بن سويد فيه ضعف فهو يروي
بأنفسهم هذه الاحاديث اليه رواه يحيى بن ايوب عن اسحق بن اسيد عن ابي
حفص الدمشقي عن مكحول ان رجلا قال لابي امامة الباهلي الرجل استودعني
الوديعة او يكون لي عليه دين فيجحدني ثم يستودعني او يكون له عندي شيء اقا
محمدا فقال لا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الامانة الى من ائتمن ولا تخن
من خائنك وله شاهد اخر مرسل قال يحيى بن ايوب عن ابن جريح عن الحسن بن ابي
ادال امانة الى من ائتمن ولا تخن من خائنك وله شاهد اخر وهو ما رواه الترمذي عن
حديث مالك بن نضلة قال قلت يا رسول الله الرجل امر به فلا يقربني ولا يضيفني
فيمنه افا جزبه قال لا اقره قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وله شاهد اخر
هو ما رواه ابو داود عن حديث بشر بن الحصاصية قال قلت يا رسول الله ان اهل
الصدقة يعتدون علينا فنكتم من اموالنا بقدر ما يعتدون علينا فقال لا وله
شاهد اخر في حديث بشر هذا ايضا قلت يا رسول الله ان لنا جيرا لا يدعون
لنا شاة ولا فاذة الا اخذوها فاذا قدرنا لم على شيء ناخذ فقال ادال امانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خائنك ذكره شيخنا في كتاب بطل الجبل فانه الاتبع
تعد طريقا واختلاف خارجا يشد بعضا ببعض ولا يشبه الاخذ فيها الاخذ في
الموضوعين الذين اباح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما الاخذ بسبب ظهور الحق فلا
ينسب الاخذ الى الخيانة ولا تنطرق اليه تامة وتفسير الشكوي في ذلك الى الحاكم واثبات
الحق والمطالبة به والذين جوزوه يقولون اذا اخذ قد حقه من غير زيادة لم يكن
ذلك خيانة فان الخيانة اخذ ما لا يحل له اخذه وهذا ضعيف جدا فانه يبطل فائدة
الحديث فانه قال ولا تخن من خائنك فجعل معاملته خيانة ونزاه عنها فالتحرر
من بعد صكته فان قيل فبلا جعلوه مستوفيا لحقه بنفسه فلا يجوز عن استيفائه
بالحاكم كالمقصود ماله او ارام في يد الغاصب قد عصى اخذه منه قهر اهل يقولون انه
لا يحل له اخذ ماله وهو يشاهد في بدال الظالم المحدد ولا يحل له اخراجه من دار
وارضه وكذلك اذا غصب زوجته وحال بينه وبينها وعقد عليها ظاهرا بحيث لا يتم
فهل يصح على الزوج الاول انتزاع زوجته منه خشية التهمة وهذا لا نقولونه انتم ولا

احد من اهل العلم ولهذا قال الشافعي وقد ذكر حديث هذه اذا ولت السنة واجماع
كثير من اهل العلم على ان ياخذ الرجل حقه لنفسه من امواله لا يمس خيانه
اذا الخيانة اخذ ما لا يحل له اخذه والجواب انا نقول يجوز له ان يستوفى قد
حقه لكن بطريق باح فاما الخيانة وطريق محرمة فلا وقولكم ليس ذلك بخيانة قلنا بل هو
خيانه حقيقة ولغة وشرعا وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانه وغايتها انما خيانه
مقابلته ومقاصده لا خيانه ابتداء فيكون كل واحد منهما سبيلا الى الاضرار لماله فان
تساوت الخيانتان قدرا وصفة فقد تيسر اقطا انهما والمطالبة في الاخر او يكون
لكل منهما على الاخر مثل بالآخر عليه وان بقي لاحدهما فضل يرجع به فمما في احكام
الثواب والعقاب واما في احكام الدنيا فليس كذلك لان الاحكام فيما تروى على الظواهر
واما السرير فالى الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي وانا انا بشر اقصي بينكما
اسمع ولعل بعضكم ان يكون الحق بحجة من بعض فمن قضيت له بشي من حواضيه فلا
ياخذها فانما اقطع له قطعة من النار فاخبر صلى الله عليه وسلم انه يحكم بينهم بالظاهر لا علم
المبطل في نفس الامر ان حكمه لا يحل له اخذ ما حكم له به وانه مع حكمه له به فانما يقطع
له قطعة من النار فاذا كان الحق في هذا الخصم في الظاهر وجب الحاكم ان يحكم له به
ويقره بيده وان كانت يدعاوية ظلمة عندك فكيف يسوغ لخصمه ان يحكم لنفسه ويستوفى
لنفسه بطريق محرمة باطل لا يحكم بمثلها الحاكم وان كان محقا في نفس الامر وليس
هذا بمنزلة من راي عين ماله او امته او زوجته بيد غاصب ظالم فخلصها منه قهر فانه قد
تعين حقه في هذه العين بخلاف صاحب الدين فان حقه لم يتعين في تلك العين التي يريد
ان يستوفى منها ولانه لا يتكتم بذلك ولا يستخفي به كما يفعل الخائن بل يكابر صاحب
اليد العادية ويغال به ويستعين عليه بالناس فلا ينسب الى خيانه والاول متكمم مخفي
تصور بصورة خائن وسارق فالحاكم احدهما بالآخر باطل والله اعلم **فصل**
القسم الخامس من المحيل ان يقصد حل ما حرمه الشارع او سقوط ما وجبه بان
يأتي بسبب نصبه الشارع سببا الى امر باح مقصود فيجعله الحال المحتاج سببا
الى امر محرم مقصود اجتنابه فمما في المحيل المحرمية التي ذمها السلف وحرموها علمها
وتعليمها وهذا احرام من وجهين من جهة غايته ومن جهة سببه اما غايته فان
المقصود به اباحة ما حرمه الله ورسوله واسقاط ما وجبه واما من جهة سببه
فانه اتخاذ ايات الله هزا وقصد بالسبب ما لم يشرع لاجله ولا قصد به السنا

بل ضده فقد ضاد الشارع في الغاية والحكمة والسبب جميعا وقد يكون اصحاب
القسم الاول من الحيل احسن حالا من كثير من اصحاب هذا القسم فانهم يقولون
انما نفعله حرام وانهم ومعصية ونحو اصحاب تحيل بالباطل عصاة الله ورسوله
مخالفون لدينه وكثير من هؤلاء يجعلون هذا القسم من الدين الذي جاءت به الشريعة
وان الشارع جوامع التحيل بالطرق المتنوعة على اباحة محرمه الشارع واسقاط
ما اوجبه فابن حال هؤلاء من حال اولئك ثم ان هذا النوع من الحيل يتضمن نسبة
الشارع الى العيب وشرع ما لا فائدة فيه الا زيادة الكلفة والعناء فان حقيقة الامر
عند ارباب الحيل الباطلة ان تصير العقود الشرعية عينا لا فائدة فيها فانما يقصد
بها المحال بقاصدها التي شرعت لئلا يلاغر ضلها في نقاصها وحفاظها بغيرها البتة
وانما غرضه التوصل بها الى ما هو ممنوع منه فجعلها سببا وجنة يستتر بها
من ارتكاب ما نهى عنه صيرفا فخرج في قال الشارع كما اخرجت الجميمة التعطيل
في قال التنزيه واخرج المنافقون النفاق في قال الاحسان والتوفيق والعقل
المعيشي واخرج الظلمة الفجرة الظلم والعدوان في قال السياسة وعقوبة الجناية
واخرج المكاسون اكل الكاس في قال العانة المجاهدين وسد الثغور وعارة
الحصون واخرج الروافض الاتحاد والكفر والفرح في سادات الصحابة وحزب
رسول الله صلى الله عليه وآله واوليائه وانصاره في قال محبة اهل البيت والتعصب لهم وموا
لائمتهم واخرجت الاباحية وفسقة المنتسبين الى الفقر التصوف بدعهم وعصمتهم
شطحهم في قال الفقر والزهد والاحوال والمعارف ومحبة الله ونحو ذلك واخرجت
الاتحادية اعظم الكفر والاتحاد في قال التوحيد وان الوجود واحد لا اثنان وهو
واحد فليس هاهنا وجودان خالق ومخلوق ولا رب وعبد بل الوجود كله واحد
وهو حقيقة الرب واخرجت القدرية النكار عموما قدوة الله على جميع الوجودات
افعالها واعيانها في قال العدل وقالوا لو كان الرب قادرا على افعال عباده لكان
ان يكون ظالما لهم فاخرجوا نكبتهم بالقدر في قال العدل واخرجت الجمينية
مجدد لمصفاة كماله سبحانه في قال التوحيد وقالوا لو كان له سبحانه سمع وبصر
وقدر وحياة وارادة وكلام يقوم به لم يكن واحدا وكان الهة متعددة واخرجت
الفسقة والذين يتبعون الشهوات الفسوق والمعاصي في قال البر جا وحسن

الظن بالله وعدم اساق الظن بعفو وقالوا تجنب المعاصي اذرا بعفو الله و
اساة للظن به ونسبة له لا خلاف الجود والكرم والعفو واخرجت الخوارج
قال الامية والخروج عليهم بالسيف في قال الامن المعروف واليهي عن المنكر واخرج
ارباب البدع جميع بدعهم في قال متنوعه بحسب تلك البدع واخرج المشركون شركهم
في قال التعظيم لله سبحانه وانه اجل من ان يتقرب اليه من غير واسطة وشفعا و
الهة تقربهم اليه فكل صاحب باطل لا يمكن من ترويج باطله الا باخراجه في قال
حق والمقصود ان اهل المكر والحيل المحرمة يخرجون الباطل في القوال الشرعية
ويأتون بصور العقود وحقايقها ومقاصدها **فصل** وهذا القسم
من اقسام الحيل انواع احدها الاحتيال لحمل ما هو حرام في الحال كالحيل الربوية
وحيل التحليل الثاني الاحتيال على حل ما انعقد بسبب تحريمه فهو صاير الى التحريم ولا بد
كما اذا علقت طلاقها بشرط محقق تعليقا يقع به ثم اراد منع وقوع الطلاق عند شرط
فخالفها خلع الجملة حتى بانث ثم تزوجها بعد ذلك **الثالث** الاحتيال على اسقاط
ما هو واجب في الحال كلاحتيال على اسقاط الانفاق الواجب عليه واداء الدين الاول
بان يملك ماله لزوجه او ولده فيصير معسرا فلا يجب عليه الانفاق والاداء او يمن يد
خل عليه رمضان ولا يريد صومه فيسافر ولا غرض له سوى الفطر ونحو ذلك **الرابع**
الاحتيال على اسقاط ما انعقد بسبب وجوبه ولم يجب لكنه صاير الى الوجوب
فيحتمل حتى يمنع الوجوب كلاحتيال على اسقاط الزكاة بتمليك ماله قبل مضي
المحول لبعض اهله ثم استرجاعه بعد ذلك وهذا النوع ضربان احدهما اسقاط
حق الله بعد وجوبه او انعقاد سببه والثاني اسقاط حق المسلم بعد وجوبه
او انعقاد سببه كلاحتيال على اسقاط الشفعة التي شرعت دفعا للضرر عن
الشريك قبل وجوبها او بعده **الخامس** الاحتيال على اخذ حقه او بعضه او بدله
بخيانته كما تقدم وله صور كثيرة فمنها ان يحمده دينه كما حمده وضمها ان يخونه في
في دعيته كما خانته وضمها ان يغشيه في بيع معيب كما غشيه هو في بيع معيب وضمها ان
يسرق ماله وضمها ان يستعمله باجرة دون اجرة مثله ظلما وعدوانا او غورا
او خداعا او غشيا فيقدر المستاجر له على مال فيها خداعا او غشيا وهذا النوع +

نسخه
وسايط

يستعمل كثيرا ارباب الديوان ونظار الوقوف والعمال في وجبة الفخ والحراج و
الجزية والصدقة واحتالهم فان كان المال مشترك بين المسلمين رغبوا ورغبوا
ورأى احدثهم ان الغني ان يفوته شئ منه ويرى ان غلب ان له نصف ذلك المال
ويسعى في السدس فكلما التفتين كما قيل في بعضهم

له نصف بين المال فرض مقرر وفي سدر التكميل يسعي لخلصا
من الفقهاء لا يثبتهم عن مرادهم عفوذة سلطان بسو ولا عصا

فصل وقد عرف بما ذكرنا الفرق بين التحيل التي لا تخلص من الظلم والبيخو
والعدوان والتحيل التي يحتال بها على اباحة الحرام واسقاط الواجبات وان جمعها
اسم التحيل والوسيلة وعرف بذلك ان العينة لا تخلص من الحرام وانما يتوسل بها
اليه وهو المقصود الذي انفق عليه ويعلمه من انفسها وهما يعلمانه ومن شاهد
هما يعلمه وكذلك عليك باله لولد عند قرب الحول فرار من الزكاة لا يخلص من الام
بل يغتصبه لانه قصد الى اسقاط فرض قد انعقد بسببه ولكن عذر من جوز ذلك انه
لم يسقط الواجب وانما اسقط الوجوب وفرق بين الامرين فان له ان يمنع الوجوب
وليس له ان يمنع الواجب وهكذا القول في التحيل على اسقاط الشفعة قبل البيع فانه
يمنع وجوب الاستحقاق لا يمنع الحق الذي وجب بالبيع فذلك لا يجوز وهو نظير
منع الزكاة بعد وجوبها فذلك لا يجوز جملة ولا غيرها وكذلك التحيل على منع وجوب
الجمعة عليه بان يسكن في مكان لا يبلغه النداء ولا يمكن الذهاب منه الى الجمعة في
الرجوع في يومه او السفر قبل دخوله وقتها ولا يجوز له التحيل على تركها بعد وجوب
عليه وكذلك التحيل على منع وجوب الانفاق على القريب بان لا ينسب ما لا يجب فيه
الانفاق ولا يجوز له التحيل على اسقاط ما وجب منه ذلك فهذا امر الفرق الذي اعتمد
اصحاب التحيل واما المانعون فيجبون عز ذلك بان هذا الواجب على المتحيلين
لم يعاقبه سبحانه اصحاب الجنة الذين عزموا على صرامها لئلا يحضرهم
المساكين فهو لا قصد وادفع الوجوب بعد انعقاد سببه وهو نظير التحيل لاسقا
ط الزكاة بعد ثبوت سببها وبان هذا يبطل حكمه الايجاب فان الله سبحانه انما اود
جها في اموالهم لا اغنيا طهرة لهم وزكاة ورحمة للمساكين وسد الفاقة فالتحيل
على منع وجوبها يعود على ذلك كله بالابطال وبان الشارع له جو التحيل على منع

الايجاب بعد انعقاد سببه لم يكن في الايجاب فائدة اذا ما من احد الا يمكن التحيل
بادق تحيلة على الدفع فيكون الايجاب عديم الفائدة فانه اذا وجبه وجوز اسقاطه
بعد انعقاد سبب الايجاب عاد ذلك بنقض ما قصد وبانه اذا انعقد سبب الوجوب
فقد تعلق الوجوب بالمكلف ولا يمكن الشارع من قطع هذا التعلق ولا سيما اذا اشأ
رف وقت الوجوب وحضر حتى كان داخل فيه كما اذا بقي من الحول يوم او ساعة فالأ
سقاطها هنا في حكم الاسقاط بعد الحول ومفسدة كفسدة فان المصلحة
الفائدة بالمنع بعد تلك الساعة كالمفسدة الحاصلة بالسبب المنع قبلها من كل
جه وبان الوجه الحكم بعد انعقاد سببه كالناتج الذي قد صح ووجد وبان الو
جوب قد تحقق بالانعقاد سببه وانما جوز له التأخير الى تمام الحول توسعة عليه
ولهذا يجوز له اداء الواجب قبل الحول ويكون واقعا موقعا ولان الفرار من الا
يجاب انما يقصد به الفرار من اداء الواجب وان يسقط ما فرضه الله عليه عند
مضي الحول وليس هذا كمن يترك اكتساب المال الذي يجب فيه الزكاة فرارا
من وجوبها عليه او ترك بيع الشقص فرارا من اخذ الشفع له او ترك الزوج
فرارا من وجوب الانفاق ونحو ذلك فان هذا لم ينعقد في حقه السبب بل
ترك ما يفضي الى الايجاب ولم يتسبب اليه وهذا التحيل بعد السبب على اسقاط
ما تعلق به من اداء الواجب واحتال على قطع سببه بعد ثبوتها وايضا فان قطع
سبب السبب تغير حكم الله واسقاط السببية بالتحيل وليس ذلك المكلف فان الله
سبحانه هو الذي جعل هذا سببا بحكمه وحكمته فليسر له ان يبطل هذا الجعل بالتحيلة
والمخادعة وهذا بخلاف ما اذا وجهه ظاهره باطنا او انفق فانه لم يحتل باظهار
امر وابطال خلافه على منع الايجاب واداء الواجب وايضا فانه اذا احتال على منع
الايجاب ضمن ذلك تحيله على منع اداء الواجب ومعلوم ان منعه اداء الواجب
فقط اليسر من تحيله على الامرين جميعا وايضا فانه لا يصح فراره من الوجوب مع
اتيانه بسببه فان الفار من الشئ فار من اسبابه وهذا هو ص شئ على المكلف الذي
هو سبب وجوب الحق عليه ومن حوصه عليه تحيلة على ترك الاخراج حوصا وشحا
فهو فار من اداء الواجب ظنا انه يفر من وجوبه عليه والاول حاصل له دون الثاني
ونكته الفرق من جهة الوسيلة والمقصود فان المحتال على المحرمات واسقاط الواجبات

مقصود فاسد ووسيلة باطلة فانه توسل بالشيء الى غير مقصوده وتوسل به الى مقصود محرم فان الله سبحانه انما جعل النكاح وسيلة الى المودة والرحمة والمصاهرة والنسل وعض البصر وحفظ الفرج والتمتع والايوا وغير ذلك من مقاصد النكاح والمحل لم يتوسل به الى شيء من ذلك بل الى تحصيل ما حرمه الله فانه سبحانه حرم ما على المطلق ثلاثا عقوبة له فتوسل بهذا نكاحا الى تحصيل ما له ولم يتوسل به الى ما شرع له فكان المقصد محرما والوسيلة باطلة وكذلك شرع البيع وسيلة الى انتفاع المشتري بالعين والبيع بالثمن فتوسل به المرابي الى محض الربا واتى به لغو مقصوده فانه لا غرض له في تمكيد تلك العين ولا الانتفاع بها وانما غرضه الربا فتوسل اليه بالبيع وكذلك شرع سبحانه الاخذ بالشفعة دفعا للضرورة عن الشريك فتوسل المبطل لها باظهار التصرف الذي لاحقيقة له الى ابطالها فكأن توسل وسيلته باطلة ومقصوده محرما وكذلك الزكاة فرضها رحمة للمساكين وطهارة للأغنياء فتوسل المسقط لها الى ابطال هذا المقصود باظهار ما رعت لا حقيقة له من بيع او هبة وكذلك القرض شرع سبحانه فيه العدل وان لا يزاد على مثل ما اقترض فاذا احتال المقرض على الزيادة فقد احتال على مقصود محرم بطريق باطلة وكذلك بيع الثمر قبل بدو صلاحها بما طرأ على يرضي اليه من اكل المال بالباطل فاذا احتال عليه بان شرط القطع ثم تركه حتى يكمل كان قد احتال على مقصود محرم بشرط غير مقصود بل قد علم المتعاقدان وغيرهما انه لا يقطعها ولا سيما ان كان مما لا ينفع به قبل الصلاح بوجه كالتوث والفرسك وغيرهما فاشترط قطعها خداع محض وكذلك سائر الخيل التي تعود على مقصود الشرايع وشرعه بالنقض والابطال غاياتها محرمة ووسايلها باطلة لا حقيقة لها وكذلك الغدبة والخلع التي شرعها الله لتخلص كل من الزوجين من الآخر اذا وقع الشقاق بينهما فجعلوه حيلة للحث في اليمين وبقاء النكاح والله سبحانه انما شرعه لقطع النكاح حيث يكون قطعه مصلحة لهما وبهذا يتبين الفرق بين الخيل التي يتوصل بها الى تنفيذ امر الله ورسوله واقامة دينه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصر الحق وكسر الباطل والخيل التي يتوصل بها الى خلاف ذلك فتحصل المقاصد المشروعة بالطرق التي جعلت لها موصلة اليها شيئا وتحصل المقاصد الفاسدة بالطرق التي جعلت لغيرها شيئا اخر فالفرق بين النوعين ثابت من جهة الوسيلة والمقصود الذين هما المحتال به والمحتال عليه فالطرق الموصلة

الى الحلال المشروع هي الطرق التي لا خداع في وسايلها ولا تحريم في مقاصدها وبالله التوفيق **فصل** واما قولكم ان من حلف بطلاق زوجته ليشتري هذا الخمر او ليقتل هذا الرجل او نحو ذلك كان الحيلة تخليصه من هذه المفسدة ومن نفسه ووقوع الطلاق فيقال نعم والله قد شرع له ما يتخلص به ولخلاصه طرق عديدة فلا تنوي الحيلة التي هي خداع ومكر لتخليصه بل لها طرق عدة قد سلك كل طريق طائفة من الفقهاء من سلكوا هذه وخلفها الطريق الاولى طريقة من قال لا تعتقد هذه اليمين بحال ولا يحث فيها بشي سوا كانت بصيغة الحلف كقوله الطلاق يلزمي لا فعلن او بصيغة التعليق المقصود كقوله ان طلعت الشمس او ان حضت او ان جازاس الشهر فانت طالق او التعليق المقصود به اليمين من الحض والمنع والتصدق والتكذيب كقوله ان لم افعل كذا او ان فعلت كذا فامراني طالق وهذا اختيار اجل اصحاب الشافعي الذين جالسوه او هو من اجلهم ابي عبد الرحمن وهو اجل من اصحاب الوجوه المنتسبين الى الشافعي وهذا ذهب اكثر اهل الظاهر فعندهم ان الطلاق لا يقبل لتعليق كالنكاح ولم يرد مخالفوا هو لا عليهم بحجة تشفي الطريق الثانية طريق من يقول لا يقع الطلاق المحلوف به ولا العتق المحلوف به ويلزمه كفارة اليمين اذا حث فيه وهذا ذهب ابن عمر وابن عباس وابي هريرة وعائشة وزينب بنت جحش سلمة وحفصة في الحلف بالعتق الذي هو قربة الى الله بل هو من احب القرب الى الله ويسر في مكر الغير كما يقول هو لا في الحلف بالطلاق الذي هو البخل الحلال الى الله واحب الاشياء الى الشيطان والسايل لهؤلاء الصحابة انما كانت امرأة حلفت بان كل مملوك لها حر ان لم تفرق بين عبد لها وبين امراته فقالوا لها كفري عن يمينك وخلي بين الرجل وبين امراته وهو لا الصحابة افقه في دين الله واعلم بان يفتوا بالكفارة في الحلف بالعتق ويردنه يميننا ولا يردون الحلف بالطلاق يميننا ويلزمون الحائث بوقوعه فانه لا تجد فقهاءهم راحة العلم بين البابين والتعليقين فربما وجه من الوجوه وانما لم ياخذ به احد لان لا يصح عند الامم طريق سليمان اليماني واعتقده نفع به وقد تابعه عليه محمد بن عبد الله الانصاري واشعث الحمرا في هذا لما ثبت عندني ثور قال به وظن الاجماع في الخلف بالطلاق على لزومه فلم يقل به الطريق الثانية بل طريق من يقول ليس

خ
فما يقول

الحلف بالطلاق شيئا وهذا صحيح عن طاووس وعكرمة اما طاووس فقال عبد
 الرزاق اخبرنا عن ابن جريج عن ابن طاووس عن ابيه انه كان لا يرى الحلف بالطلاق
 شيئا وقد روي بعض المتعصبين لتقليدهم وهذا هبهم هذا النقل بان عبد الرزاق
 ذكره في باب من المكره فحمله على الحلف بالطلاق مكرها وهذا فاسد فان الحجة ليست
 في الترجمة وانما الاعتبار بما يروى في انشاء الترجمة ولا سيما المتقدمين كابن ابي شيبة
 وعبد الرزاق ووكيع وغيرهم فانهم يذكرون في انشاء التراجيم انما لا تصابح الترجمة وان
 كان لها بائع تعلق وهذا في كتبهم لمن تأمله اكثر واشهر من ان يخفى وهو في صحيح
 البخاري وغيره وفي كتب الفقهاء وسائر المصنفين ثم لو فهم عبد الرزاق هذا وانه في يمين
 المكره لم تكن الحجة في فهمه بل اخذ برأيه واي فائدة في تخصيص الحلف بالطلاق
 بذلك بل كل مكره حلف بالطلاق باي يمين كانت فيمينه ليست بشيء واما عكرمة فقال سئل
 بن داود في تفسيره ما عباد بن عباد المهدي عن عاصم الاحول عن عكرمة في رجل قال
 لفلانة ان لا أجلك ماية سوط فامراتي طالق قال لا يجدر غلامه ولا تطلق امراته هذا
 من خطوات الشيطان فاذا ضمنت هذا الاثر الى اثر ابن طاووس عن ابيه الى اثر ابن جريج
 فيمن قال لم يملكها ان لم افرق بينك وبين امراتك فكل مملوك لي حر الى الاثر المستفيضة
 عن ابن عباس في الحلف بتحرير الزوجة انها يمين يكفرها تبين كذا ما كان عليه ابن عباس
 واصحابه في هذا الباب فاذا ضمنت ذلك الى اثار الصحابة في الحلف بالتعليقات كالصوم
 والصوم والصدقة والبر والبر والمشي الى مكة حافيا ونحو ذلك انها ايمان مكفرة تبين
 كذا حقيقة ما كان عليه الصحابة في ذلك فاذا ضمنت ذلك الى القياس الذي يستوي فيه حكم
 الاصل والفرق تبين توافق القياس وهذه الاثار فاذا ارتفعت درجة اخرى ووزنت
 ذلك بالنصوص من القرآن والسنة تبين كذا صحيح من الرجوح مع هذا فلا بد ان
 كذا بمقاومة السلطان ومن يقول حكمت وثبت عندي فاهه المستعان الطريق الرابع
 طريق من يفرق بين ان يحلف على فعل امراته او على فعل نفسه او غير الزوجة فيقول
 ان قال لامراته ان خرجت من الدار وكلت رجلا او فعلت كذا فانت طالق فلا يقع عليه
 الطلاق بفعله اذ كل وان حلف على نفسه او غير امراته وحنث لزمه الطلاق وهذا
 قول ائمة اصحابنا كذا في الاطلاق وهو اشهر من عبد العزيز محمد بن الفقه والعلم غير خاف وماخذ هذا

في
مقاواة

ان المرأة

ان المرأة اذا فعلت ذلك تطلق نفسها لم يقع به الطلاق معاينة لها بنقيض قصدها
 وهذا جار على اصول ما ذكرناه من اهل البيت واهل البيت في معاينة الفارس التوريت و
 الزكاة وقائل موقوفه والموصي له ومن دبره بنقيض قصده وهذا هو الفقه لاسيما
 وهو لم يرد طلاقها وانما اراد حصنها ومنعها واي شيء احسن من هذا الفقه واطر
 على قواعد الشريعة الطريق الخامس طريق من يفصل بين الحلف بصيغة الشرط والحج
 والحلف بصيغة الاطلاق لزام فالاول كقوله ان فعلت كذا او ان لم افعله فانت حل
 لق والثاني كقوله الطلاق يلزمني اولى لزام او على الطلاق ان فعلت او ان لم افعل فلا
 يلزمه الطلاق في هذا القسم اذا حنثت من الاول وهذا احد الوجوه الثلاثة لاصحاب
 الشافعي وهو المنقول عن ابي حنيفة وقدما اصحابه ذكره صاحب الزخير و ابو الليث
 في فتاويه قال ابو الليث ولو قال طلاقك علي واجب لزام او فرض او ثابت فمن المتأخر
 من اصحابنا من قال يقع واحدة رجعية نواه او لم ينو ومنهم من قال لا يقع نوى او
 لم ينو ومنهم من قال في قوله واجب يقع بدون النية وفي قوله لزام لا يقع وان نوى و
 الفارق العرف قال صاحب الزخير وعلى هذا الخلاف ان قال ان فعلت كذا فطلاقك
 علي واجبه قال لزام ففعلت وذكر القدوري في شرحه ان على قول ابي حنيفة لا يقع
 الطلاق في الكل وعند ابي يوسف ان نوى الطلاق يقع في الكل وعن محمد انه يقع
 في قوله لزام ولا يقع في واجب واختار الصدوق في قوله في الكل وكان ظهير
 الدين المرعشي في بغي بعدد الوقوع في الكل هذا لفظ صاحب الزخير واما الشافعي
 فقال ابن يوسف في شرح التبيين وان قال الطلاق والعتاق لزام لي ونواه لزمه
 لانهما يقطعان بالكناية مع النية وهذا اللفظ محتمل لجعل كناية وقال الروياتي
 في الطلاق لزام لي صريح وعدة كذا في صريح الطلاق ولعل وجه غلبة استعماله
 لآودة الطلاق وقال القفال في فتاويه ليس بصريح ولا كناية حتى لا يقع به الطلاق
 وان نواه لان الطلاق لا بد فيه من الاضافة الى المرأة ولم يتحقق هذا اللفظ وحكي
 شيخنا هذا القول عن بعض اصحابنا احمد فقد صار الخلاف في هذا الباب في المذهب
 الاربعة بنقل اصحابنا في كتبهم ولهمذا التفريق ما خذ احسن من هذا الذي ذكره
 الشارح وهو ان الطلاق لا يصح الترامه وانما يلزم التطبيق فان الطلاق هو
 الواقع بالمرأة وهو اللزام لها وانما الذي يلزمه الرجل هو التطبيق فالطلاق لزام

في
وجه

لها اذا وقع واذا تبين هذا فالنظام النطلي لا يوجب وقوع الطلاق فانه لو قال ان
فعلت كذا فعلي ان اطلقك او فله علي ان اطلقك او فتطلقك لازم او واجب علي
وحش لم يقع عليه الطلاق فانه لو قال في كذا اذا قال ان فعلت كذا فالطلاق يلزم
لانه انما التزم النطلي ولا يقع في التزاه والموقعون يقولون هو قد التزم حكم
الطلاق وهو خروج البضع من ملكه وانما يلزمه حكمه اذا وقع فصار هذا الاكراه مستلزما
ما لوقوعه فقال الآخرون انما يلزمه حكمه اذا انى بسببه وهو النطلي فحينئذ يلزمه
حكمه وهو لم يأت بالنطلي منجزا بل ارب واما انى به معلقا والنظام النطلي بالتخيير
لا يلزم فكيف يلزم بالتعليق والمنصف المتبصر لا يخفى عليه الصريح وبالله التوفيق
فصل ومن ذكر الفرق بين الطلاق وبين الحلف بالطلاق والقائم
ابو الوليد هشام بن عبد الله الأزدي القرطبي في كتابه مفيد الحكم فيما يعرض له
من نوازل الاحكام فقال في كتاب الطلاق من ديوانه وقد ذكر اختلاف اصحاب مالك
في الايمان اللازمه ثم قال وينبغي ان تخلف هذه المسئلة هكذا تلقيا تقليديا من غير
ان يشتملها نور الفهم ويوضحها لسان البرهان وانا اشير لكل من نكته تسعد بالعرض
فيما ان شاء الله من الفرق بين الطلاق ايقاعا وبين اليمين بالطلاق وفي المونة
كتابان موضوعان احدهما لنفس الطلاق والثاني لنفس الايمان بالطلاق ووراء
هذا الفقه على الجملة وذلك ان الطلاق صورته في الشرع حكم واراد على عقد
واليمين بالطلاق عقد فليهم هذا واذا كان عقد لم يحصل منه حل الا ان ينقل
من موضع العقد الى موضع الحل بنية يخرج بها اللفظ من حقيقة الكناية فقد
نجمت هذه المسئلة في ايام الحجاج بعد ان استقل الشرع باصوله وفروعه وحقا
يقه ومجازاته في ايمان البيعة وليس في ايمان الطلاق الا ما اذكره في ذلك ان
الطلاق على ضربين صريح وكناية فالصريح كل لفظ استقل بنفسه في اثبات حكمه
تخيلا والكناية على ضربين غالبة وغير غالبة كما اشعر بثبوت الطلاق في موضوع
اللغة او الشرع كقوله الحق يا هكك واعند وغير الغالبة كما لا يشعر بثبوت الطلاق
في موضع اللغة والشرع كقوله كذا وليفي الثوب وقال اردت بذلك الطلاق فاذا عرضنا لفظ
الطلاق يلزم في كل صريح الطلاق ان يكون من قسمه وان عرضنا هكك الكناية لم يكن من قسمه الا بقوله من شاهد

حال او جاري عرف او بنية تفادى اللفظ فان اضطرب شاهد الحال او جاري عرف
باحتمال يحتمله فقد عذر الوقوف على النية ولا ينبغي لحاكم ولا غيره ان يمد القلم في
فتوى حتى ياتوا مثل هذه المعاني فان الحكم ان لم يقع مستو ضحا عن نور فكري
مشعر بالمعنى المربوط اضمحل ثم قال وانا هكك كذا كذا كذا بلخني في هذه اليمين
من كلام العلماء وانبه من اقول الفقهاء وهي يمين محدثة لم تقع في الصدر الاول ثم ذكر
اختلاف اهل العلم في الحلف بالايمان والمقصود انه ذكر الفرق الفطري العقلي الشرعي
بين ايقاع الطلاق والحلف بالطلاق وانما بابان متفرقان بحقايقهما ومقاصدهما
والفاظلهما فيجب افتراقهما حكما اما افتراقهما بالحقيقة فما ذكره من ان الطلاق
حل وفسخ واليمين عقد والتزام فاما اذا حققنا مختلفتان قال الله تعالى ولكن
يواخذكم بما عقدتم الايمان ثم اشار الى الافتراق في الحكم بقوله واذا كانت اليمين
عقد لم يحصل بها حل الا ان تنقل من موضع العقد الى موضع الحل ومن البيات ان
الشارع لم ينقلها من العقد الى الحل فيجب بقاؤها على ما وضعت عليه نعم لو قصد
الحالف بما ايقاع الطلاق عند الحنث فقد استعملها في العقد والحل فتصير كناية في
الوقوع وقد نواه فيقع به الطلاق لان هذا العقد صالح للكناية وقد اقرنت به
النية فيقع الطلاق واما اذا نوى مجرد العقد لم ينو الطلاق البتة بل هو اكره شيء
اليه فلم يات بما ينقل اليمين من موضعها الشرعي ولا نقلها عنه الشارع فلا يلزمه غير
موجب الايمان فليست حل المنصف العالم هذا الفرق ويخرج قلبه ساعة من التعصب
التقليد واتباع غير الدليل والمقصود ان باب اليمين وباب الايقاع مختلفان في الحقيقة
والقصد واللفظ فيجب اختلافهما في الحكم اما الحقيقة فبما تقدم واما القصد فلان الحالف
مقصود المحض والمنع والتصدق والتكذيب والمطلق مقصود التخلص من الزوجه من غير
ان يخطر بباله حض ولا منع ولا تصديق ولا تكذيب فالسوية بينهما لا يخفى حالها
واما اختلافهما لفظا فان لفظ اليمين لا بد فيها من التزام قسم ياتي فيه بجواب القسم
او تعليق شرطي يقصد فيه استفاء الشرط والجواز او وقوع الجزاء على تقدير وقوع الشرط
وان كان بكرهه ويقصد انتقاء فالمقدم في الصورة الاولى هو حيز في الثانية والمنفي
في الاولى ثابت في الثانية ولفظ الايقاع لا يتضمن شيئا من ذلك من تصور هذا حق
التصور جزم بالحرف في هذه المسئلة والله الموفق للطريق السامد ان يزول المعنى الذي كانت

اليمين لاجله فاذا فعل المحلوف عليه بعد ذلك لم يحث لان امتناعه باليمين انما كان
لعله فيزول بزوالها وهذا مطرد على اصول الشرع وقواعد من هذا وغيره فمن
يعتبر النية والقصد في اليمين تعيما وتخصيصا واطلاقا وتقييدا فاذا حلف لا اكل فلان
كل فلان وكان سبب اليمين او الذي هيجهما كونهما اجنبية يخالف الوقوع في عرضه بكلامها
فترجمها لم يحث بكلامها اعمالا لسبب اليمين وما هيجهما في التقييد بكونها اجنبية
هذا اذا لم يكن له نية فكانت له نية ما دامت كذلك فلا اشكال في تقييد اليمين بها و
نظيره ان يحلف لا يكلم فلانا ولا يعاشره لكونه صديقا فصا درجلا وكان نية وسبب
يمينه لاجل صباه ونظيره ان يحلف لا دخلت هذه الدار لاجل من يظن به الثمالة بد
حولها فوات او سافر فدخلها لم يحث وبذلك فتي ابو حنيفة وابو يوسف من حلف
لا دخلت دار فلان هذه ولا كلمت عبدا هذا فباع العبد والدار ونظيره هذا ان يحلف
لم يكلم فلانا والمحمل له على اليمين كونه تاركا للصلاة او مريا او خارا او واليا فوات
من ذكر كله وزالت الصفة التي حلف لاجلها لم يحث بكلامه واذا حلف لا تزوجت
فلانة والمحمل له على اليمين صفة فيما مثل كونهما بغيا او غير ذلك فزال تلك الصفة
لم يحث بتزوجهما كل هذا مراعاة للمقاصد التي الالفاظ والنية عليها فاذا اظهر القصد
كان هو المعبر وهذا لو حلف ليقتضيه حقه في غدر وقصده او السبب لا يجاوز
فقضاه قبله لم يحث ولو حلف لا يبيع عبده الا بالالف فباعه باكثر لم يحث ولو حلف
ان لا يخرج من البلد الا باذن الوالي والنية او السبب يقتضي التقييد مادام كذلك فعز
لم يحث بالخروج بغير اذنه وكذلك لو حلف على زوجته او امته او عبده ان لا يخرج الا
باذنه فطلق او اعتق او باع لم يحث بخروجهم بغير اذنه لان اقتضا السبب والقصد
للتقييد في غاية الظهور ونظيره ذلك كثيرا جدا وسائر الفقهاء يعتبرون ذلك وان
خالفوه في كثير من المواضع وهذا هو الصواب لان الالفاظ انما اعتبر لدلالة
على المقاصد فاذا اظهر القصد كان الاعتبار له وتقييد اللفظ به ولهذا الودعي الى غدا
فحلف لا تغدي تقييد يمينه بذلك لغدا وحده لان النية والسبب مناط اليمين لا
يقتضي غيره وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الاعمال بالنيات وانما الامر في ما نوى وما
لم ينو يمينه او كان السبب لا يقتضيه لا يجوز ان يلزم بمرع القطع بان لم يره ولا
خطر عا باله وقد اتي غير واحد من الفقهاء في غير ما نوى من غير ما نوى من غير ما نوى

من بينكم او قد زنت بفلان فقال هي طالق ثم تبين له انها لم تخرج من البيت فان الذي
رميته به في بلد بعيد لا يمكن وصوله اليها او انه حين رميته به كان ميتا ونحو ذلك
ما يعلم به انها لم تزن فانه لا يقع عليه الطلاق لانه انما طلقها بان على هذا السبب
فهو كالشرط في طلاقها وهذا الذي قالوه هو الذي يقتضي المذهب وقواعد الفقه غير
فانهم قد قالوا لو قال لها انت طالق وقال اردت ان تمت دين ولم يقع به الطلاق فهذا
مشكوك سوا ونظيره هذا ما قالوه ان الكاتب لو ادعى الى سيده المال فقال انت حر فبان ان
المال الذي اعطاه مستحق او زبوف لم يقع العتق وان كان قد صرح به ذكره احتجا احمد والشافعي
ففي لانه انما اعتقه بناء على سلامة العوض ولم يسلم له وقواعد الشرع كالمابنية على
ان الحكم اذا ثبت لعله يزول بزوالها وامثلة ذلك اكثر من ان تحصر فلهذا الطريق يخلص
من كثير من الحث ولو نأملت هذه الطرق رايت سلوكها احسن من طرق الحيل التي
يتجملون بها على عدم الحث وهي انواع احدها التبرج الثاني قطع اليمين الثالث
التحليل لفساد النكاح اما بان يكون الولي قد فعل ما يفسد به او الشهير كانوا اجلسا
على مقعد حرير ونحو ذلك فيكون النكاح باطلا فلا يقع فيه الطلاق الرابع الاحتيال
على فعل المحلوف عليه بتغيير اسمه وصفته او نقله من مكان الى مكان نحو ذلك فاذا غلبوا
عن شي من هذه الحيل الاربعة فزعموا الى التيسر المستعار فاستأجروه ليفسد بهاخذ
على فساد اجرا فليوازن من يعلم انه موقوف بين يدي الله ومستوف بين هذه الطرق
وتلك الطرق التي قبلها وليعلم انه فاضل او مناظر او متجر من العصية والحكمة فانه لا يكاد
يخفى عليه الصواب والله التوفيق **فصل** واما قوله تعالى لا يؤمنون حتى ينفقوا
ضغنا فاضرب به ولا تحث فمن العجب ان يحتاج بهذه الآية من يقول انه لو حلف لضرب
منه عشرة اسواط فمحمها فضر به بما ضربه واجده لم يبر في يمينه هذا قول اصحاب
ابي حنيفة وما كره اصحاب احمد وقال الشافعي انما كانت مسته كما يبر في يمينه وان علم انها
لم تمسه لم يبر وان شك لم يحث ولو كان هذا موجبا لبر المحالف لسقط عنه الزاني والقاتل
ذو الشارب بعد الضرب بان يجمع له منه سوط او ثمانين ويضرب بما ضربه وا
حده وهذا انما يجز في حق المريض كما قال الامام احمد في المريض عليه الحد يضرب بعكس
يسقط عنه الحد واجبة بما رواه عن ابي امامة بن سهل عن شعيب بن عباد قال كان
بين ابينا شار ورجل ضعيف يخدم فلما برح الحيا الا وهو على افة من ايمانهم يحث بما قال فذكر ذلك

سعد بن عباد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الرجل مسلما فقال اضربوه ففعلوا
يارسول الله انه اضعف مما تحسب لو ضربناه مائة قلنا فقال خذوا له عينا لا فيه ثم شمر
ثم اضربوه ضربة واحدة ففعلوا واما قصة ايوب فلما فقده دقيق فان امراته لشدة حرص
صاح على عافيته وخلاصه من دابة تلتعير له الدواب بما تقدر عليه فلما لقيها الشيطان وقال اما
اخبرت ايوب بذلك فقال الله الشيطان ثم حلف ان شفاه الله ليضرب بها مائة سوط فكانت
معذرة محسنة في شأنه ولم يكن في شرعهم كفارة فانه لو كان في شرعهم لعدل الى التكفير
ولم يحتاج الى ضربها فكانت المبررة موجبة عندهم كالمعذرة وقد ثبت ان المعذرة اذا كان معذرا
خفف عنه بان يجمع له مائة شمر او مائة سوط فيضرب بها ضربة واحدة وامرأة ايوب كانت
معذرة لم تعلم ان الذي خاطبها الشيطان وانما قصد الاحسان فلم تكن تستحق العقوبة
فاقتى الله نبيه ايوب ان يعاملها معاملة المعذرة وهذا مع رفقها به واحسانها اليه فجمع
بين البر في يمينه والرفق بامرأته المحسنة المعذرة التي لا تستحق العقوبة فظهر موافقة
نص القرآن في قصة ايوب لنص السنة في شأن الضعيف الذي زنا فلا يتعدى بها عن
صحتها فان قيل تقولوا هذا في نظير ذلك فيمن حلف ليضرب امرأته او امته مائة
وكا ناعذرين لاذنبها انما انه يبرح جمع ذلك في ضربة مائة شمر او مائة سوط
الله له مخير بال كفارة ويجب ان يكفر عن يمينه ولا يعصي الله بالبر في يمينه ههنا
لا اجل له ان يبر فيها بل يبر فيها هو حنة مع الكفار ولا يحل له ان يضربها لامتقرا
ولا يجوز عا فان قيل فاذا كان الضرب واجبا كالمعذرة هل تقولون ينفعه ذلك
فيل اما ان يكون المعذرة جوارا كالحر والبر الشديدي والمرض اليسير فلهذا
ينظر زواله ثم يجد الحد الواجب كما روي مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه ان امه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم زنت فامر في ان اجلدوها فانيتمها فاذا هي حديثة عهد بنفاس
فخشيت ان جلدتها ان اقبلها فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احسنت ان
كما حتى تماثل **فصل** واما حديث بلال في شأن التمر وقول النبي صلى الله عليه وسلم
يج التمر بالدرهم ثم اشتر بالدرهم جنيبا فقال شيخنا ليس فيه دلالة على الاحتيال با
لحق الذي ليست مقصودة لوجوه احدها ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يبيع سلعة الاول
ثم يبتاع بثمنها سلعة اخرى ومعلوم ان ذلك انما يقتضي البيع الصحيح وقتي وجد البيعا
على الوجه الصحيح جاز ذلك بل لا ريب ونحن نقول كل بيع صحيح يفيد للمدرك الشأن في بيع قد لست

السنة واقرال الصابة على ان ظاهرها وان كان بيعا فانما ربا وهي بيع فاسد ومعلوم
ان مثل هذا لا يدخل في الحديث ولو اختلف جلال في بيع مثل هذا هل هو صحيح او فاسد
وارد احدها ادخاله في هذا اللفظ لم يمكنه ذلك حتى يثبت انه بيع صحيح ومتى ثبت انه
بيع صحيح لم يحتاج الى الاستدلال بهذا الحديث فثبت بان الله لا يحجة فيه على صورة من صور
النزاع البتة **قلت** ونظير ذلك ان يحتاج صحيح على جواز بيع الغائب او على البيع بشرط
الخيار اكثر من ثلاث او على البيع بشرط البراءة وغير ذلك من انواع البيوع المختلفة فيها وتقول
المنازع قد اطلق الاذن في البيع ولم يقيده بحقيقة الامر ان يقال ان الامر المطلق بالبيع
انما يقتضي البيع الصحيح ونحن لا نسلم له ان هذه الصورة التي توأمت فيها على ذلك بيع
صحيح الوجه الثاني ان الحديث ليس فيه عموم لانه قال وابتع بالدرهم جنبا والامر
بالحقيقة المطلقة ليس امر ائتمني في قوله لان الحقيقة مشتركة بين الافراد والقدر
المشترك ليس هو مما يميز كل واحد من الافراد عن الآخر ولا هو مستلزم له فلا يكون
الامر بالمشارك كما مر بالمميز بحال نعم هو مستلزم لبعض تلك القيود لا بعينه فيكون عا
مالها على سبيل البدل لكن ذلك لا يقتضي العموم بالافراد على سبيل الجمع وهو المطلوب
فقوله بجمع هذا الثوب لا يقتضي الامر ببيعه من زيد وعمر ولا بكذا او كذا ولا بهذه
السوق او هذه فان اللفظ الدلالة له على شيء من ذلك لكن اذا اتى بالمسمى حصل ممثلا
من جملة وجود تلك الحقيقة لا من جملة وجود تلك القيود اذا تبين ذلك فليس في الحديث
انه امره ان يبتاع من المشتري ولا امره ان يبتاع من غيره ولا ينقد البلد ولا غيره ولا
بشئ حال او موجد فان هذه القيود خارجة عن مفهوم اللفظ ولو زعم راعم ان اللفظ
يعم هذا كله كان مبطلا لكن اللفظ لا يمنع الاجزاء اذا اتى بها وقد قال بعض الناس ان
عدم الامر بالقيود يستلزم عدم الاجزاء اذا اتى بها لا بقرينه وهذا غلط بين فان
اللفظ لا تعرض فيه للقيود بنفي ولا اثبات ولا الايمان بها ولا تركها من لوازم الاشتغال
وان كان الماحور لا يتخلو عن واحد منهما ضرورة وقوعه جزوايا شخصا فذلك
من لوازم الواقع لانه مقصود الامر وانما يستفاد الامر بتلك اللوازم او انتهى عنهما من
دليل منفصل وقد خرج بهذا الجواب عن قول من قال لو كان الا ببيع من المشتري حراما
لنهي عنه فان مقصوده صلى الله عليه وسلم انما هو بيان الطريق التي يحصل بها اشترا التمر
الجيد لمن عنده ردي وهو ان يبيع الردي بثمن ثم يبتاع بالثمن جيدا ولم يتعرض
لشروط البيع وبوالوجه فلا معنى للاحتجاج بهذا الحديث على نفي شرط مخصوص كما لا يخفى

به على نفي سائر الشروط وهذا بمنزلة الاحتجاج بقوله تعالى وكلاوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود على جوارحك ذي الناب من السباع والمخلب من الطير
وعلى حلها اختلاف فيه من الأثرية ونحو ذلك فالاستدلال بالاستدلال **بأنه غير صحيح**
بل هو من بطل الاستدلال إذا تعرض اللفظ المذكور لا ريبه تحليل ما كوله وشروط
وأما الريبه بيان وقت لا كل والشرب وانما يائه وكذلك استدلال بقوله والنكحوا الآية
منكم على جواز نكاح الزانية قبل التوبة وصحة نكاح المحلل وصحة نكاح الخامسة في عدا
الرابعة أو نكاح المتعة والشغار أو غير ذلك من النكحة الباطلة كان استدلالا باطلا
وكذلك استدلال بقوله وأحل الله البيع على حل بيع الكلب وغيره مما اختلف فيه فاستد
لال باطل فان الآية لم يرد بها بيان ذلك وأما الريبه الفرق بين عقد الربا وعقد البيع و
أنه سبحانه حرم هذا وأباح هذا فاما ان يفهم منه انه أحل بيع كل شيء فهذا غير صحيح
وهو بمنزلة الاستدلال بقوله من استطاع منكم الباءة فليتزوج على حل النكحة
المختلف فيها وبمنزلة الاستدلال بقوله إذا طلقتم النساء فطلقوهن لحدن علي جواز
جمع الثلاث ونفذه وعلى صحة طلاق المكره والسكران وبمنزلة **استدلال**
بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن على صحة النكاح بلا ولي أو بلا شهوة وغير ذلك
من الصور المختلف فيها وبمنزلة الاستدلال بقوله فانكحوا طالقكم من النساء على حل
كل نكاح اختلف فيه فيستدل به على صحة نكاح المتعة والمحلل والشغار والنكاح بلا
ولي وبلا شهوة ونكاح الاخت في عدة اختها ونكاح الزانية والنكاح المنفي فيه المهر وغير ذلك
وهذا كله استدلال فاسد في النظر والمناظرة ومن **الحجج** ان ينكر من يسلكه على ابن حزم
استدلاله بقوله تعالى وعلى الوارث مثل ذلك على وجوب نفقة الزوج على زوجته إذا اصر
بالنفقة وكان لها ما تنفق فانها وارث له وهذا أصح من تلك الاستدلالات فانما استد
لال بجزم لفظا ومعنى قد علق الحكم فيه بمعنى مقصود يقتضي العموم وتلك مطلقة لا
عموم فيها لفظا ولا معنى ولم يقصد بها تلك الصور التي استدلو بها عليها إذا عرف هذا
فالاستدلال بقوله **بيح الجمع** بالدرهم ثم اشبع بالدرهم جنيبا لا يدل على جواز بيع العينة
بوجه من الوجوه فمن احتج به على جوازه وصحته فاحتج به باطل وليس الغالب
ان يباع القريب **أهم** يحتاج بها من المشتري حتى يقال هذه الصورة غالبة بل الغالب
من يفعل ذلك يعرضه على أهل السوق عامة أو حيث يقصد أو ينادى عليه وإذا
باعه لواحد منهم فقد تكون هذه السلعة التي يريد ها وقد لا تكون مثل هذا

إذا قال **قال** له الرجل فيه لمؤكله بح هذا القطر واشترى منه ثياب قطن أوبح هذه الخطة
العقبة واشترى منها جديدة لا يكاد يخطر بباله الا اشترا من ذلك المشتري بعينه
بل يشتري من حيث وجد غرضه ووجد غرضه عند غيره أغلب من وجوه عند
فان قيل فبأن الأمر كذلك فهل لانها عن تلك الصور وان لم يدخل في لفظه فاطلا
فه يقتضي عدم النهي عنها **فيل** إطلاق اللفظ لا يقتضي المنع منها ولا الاذن فيها كما
تقدم وبما نه فحكمها إذا نأمنها استفاد من مواضع آخر فغاية هذا اللفظ ان يكون
قد سكت عنها فقد علم تحريمها من الأدلة الدالة على تحريم العينة **الوجه الثالث**
ان قوله بيح الجمع بالدرهم انما يفهم منه البيع المقصود الخالي عن شرط يمنع كونه مقصودا
بخلاف البيع الذي لا يقصد فانه لو قال بيح هذا الثوب وبعث هذا الثوب لم يفهم منه
بيع المكره ولا بيع الهازل ولا بيع التاجبه وانما يفهم منه البيع الذي يقصد به نقل ذلك
العوض وقد تقدم تقرير هذا بوضوحه ان مثل هذين قد يراوضان أو لا على بيع
التمر بالتمر متفاضلا ثم يجعلان الدراهم محلا لا غير مقصوده والمقصود انما هو
بيع صاع بصاعين ومعلوم ان الشارع لم يأذن في مثل هذا فضلا عن ان يأمر به وير
شد إليه **الوجه الرابع** ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين في بيعة وقتي توأما
على ان يبيعه بالثمن ثم يبتاع به منه فهو بيعتان في بيعة فلا يكون داخل في الحديث
إذا المنهي عنه لا يتناول المأذون بهين ذلك **الوجه الخامس** وهو انه صلى الله عليه وسلم
قال بيح الجمع بالدرهم ثم اشبع بالدرهم جنيبا وهذا يقتضي بيعا ينشبه ويستبد به
بعدا نقضاء البيع الاول وقتي وإطاء من اول الأمر على ان يبيعك وابتاع منك فقد
اتفقا على العقدين معا فلا يكون داخل في حديث الاذن بل في حديث النهي **الوجه السادس**
انه لو فرض ان في الحديث عموما لفظيا فهو مخصوص بصورة لا تعد
فان كل بيع فاسد فهو غير داخل فيه فتضعف الدالة وتخص منه الصورة التي ذكر
ناها بالدلالة التي هي نصوص أو كالنصوص فاحرجا من العموم من اسهل الأشياء
وبالله التوفيق **فصل** وقد تبين بهذا بطلان الاستدلال على جواز
الحمل الباطلة بقوله تعالى الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم وان يفتا
ول صورة العينة وغيرها فان المتبايعين يديران السلعة بينهما فان الله سبحانه
قسم البيعة المقصودة التي شرعها لعباده ونصيبها إقامة لمصالحهم في معاشهم ومعادهم

الى بيوع مؤجلة وبيوع حاله ثم امرهم ان يستوثقوا في البيوع الموجهة بالكتا
والشهود وان عدوا ذلك في السفر استوثقوا بالرهن حفظا لاموالهم وتخليصا
من بطلان العقود المحجور او نسيان ثم اخبرهم انه لا حرج عليهم في ترك ذلك في البيوع
الحالة لانهم فيها من فساد التجارة والنسيان فالمراد بالتجارة الدائرة البيعة
التي تقع غالباً بين الناس ولم يفهم احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من التابعين
ولا تابعيهم ولا اهل التفسير ولا ائمة الفقه فيها المعاملة الدائرة بالربا بين المترايبين
بل هو ممنوع من بيع ما من نصوص تحريم الربا ولا ريب ان دخولها في تلك النصوص اظهر
من دخولها في هذه الآية وما يدل عليه ان هذه المعاملة الدائرة بينهما بالربا لا تكون
في الغالب الا مع الاجل بان يتناع منه سلعته ثم حال ثم يبيعها اياه باكثر منه الى
اجل وذلك في الغالب مما يطلب عليه الشهود والكتا خشية المحجور والله سبحانه قال الا
ان تكون تجارة حاضرة تدبر فيما بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوهما فاستثنى هذا
من قوله يا ايها الذين امنوا اذا تدابرتن بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وهذه المعاملة
الربوية قد اتفقا فيها على التدابير الى اجل مسمى واتفقا فيها على المايمة بمائة وثلاثين
ونحو ذلك فافان هي من التجارة الحاضرة التي يعبر فيها بين الفرق في التجارة
والربا فالتجارة من كلام الله ورسوله واخوة العرب وعرف الناس انما تنصرف الى
البيعة المقصودة التي يقصد فيها الثمن والمثلن واما ما توافقا فيه على الربا المحض
ثم اظهر ابيهما غير مقصود لهما البتة بتوسلان به الى ان يعطيه مائة حاله بمائة
وعشرين مؤجلة فهذا ليس من التجارة المؤذون فيها بل من الربا المنهي عنه والله اعلم
فصل واما استدلالكم بالمعارض على جواز الحيل فما ابطله من استد
لال فافان المعارض التي يتخلص بها الانسان من الظلم والكذب الى الحيل التي يسقط
بها ما فرض الله ويستحل بها ما حرم فالمعارض تكلم بحق ونطق بصدق فيما بينه
وبين الله لاسيما اذا لم ينو باللفظ خلا في ظاهره في نفسه وانما كان الظهور
من ضعف فهم السامع وقصوره في معرفة دلالة اللفظ ومعارض النبي صلى الله عليه وسلم
ومزاجه كان من هذا الباب كقوله نحن من ما وانا حاملوك على ولد الناقة وزوجك الذي
في عينه بياض ولا تدخل الجنة محجوزا واكثر معارض السلف كانت من هذا القدر
من انما يقصد باللفظ ما جعل اللفظ دالا عليه وثبت له في الجملة فهو يخرج بتعريضه عن

حدود الكلام فالكلام فيه الحقيقة والمجاز والعامة والخاص والمطلق والمقيد
والمفرد والمشتك والمتباين والمترادف وتختلف دلالة تارة بحسب اللفظ المفرد
وتارة بحسب التاليف فافان هذا من الحيل التي يقصد بالعقد فيها ما لم يشترع العقده
اصلا ولا هو مقتضاه ولا موجه شرعا ولا حقيقة وفرق ثان وهو ان المعارض
لو صرح بقصده لم يكن باطلا ولا محرما بخلاف المحال فانه لو صرح بما قصده
باطلا بصورة العقد كان محرما باطلا فان المرابي بالحيلة لو قال بعثك مائة حاله
بمائة وعشرين الى سنة كان حراما باطلا وذلك عين مقصوده ومقصود الاخر وكذلك
المقرض لو قال اقترضك الفاعل ان تعيدها الي ومعها زيادة كذا وكذا كان حراما
باطلا وذلك نفس مقصوده وكذلك المحلل لو قال تزوجتها على ان اهلها للمطلق ثلاثا
والمعرض لو صرح بمقصوده لم يكن حراما فافان احدهما من الاخر وفرق ثالث وهو
ان المعارض قصد بالقول ما يحتمل اللفظ ويقضي به المحال قصد بالعقد ما لا
يحتمله ولا جعل مقتضاه لا شرعا ولا عرفا ولا حقيقة وفرق رابع وهو ان المعارض
مقصوده صحيح ووسيلته جائز ولا محجور عليه في مقصوده ولا في سبلته الى مقصوده
بخلاف المحال فان قصده امر محرم ووسيلته باطلة كما تقدم تقريره وفرق خامس
وهو ان التعريض المباح ليس مخادعة الله سبحانه في شيء وانما غايته انه مخادعة
للمخلوق اباح الشايع مخادعة لظلمه جزاء له على ذلك ولا يلزم من جواز مخادعة
الظلم جواز مخادعة الحق فافان من التعريض مخالفا للظاهر المحقق اللفظ في نفسه
كان قبيحا لا عند الحاجة وما لم يكن كذلك كان جائزا لا عند نضج مفسدة والذي
يدخل في الحيلة المدبومة انما هو الاول فالمعارض قاصد لدفع الشر والمحال باطل
قاصد لدفع الحق والتعريض كما يكون بالقول يكون بالفعل كما يظهر المجاز ان يريد
وجها من الوجوه ويسافر الى تلك الناحية ليحسب العدو انه لا يريد ثم يكر عليه ومثل
ان يستطرد البارز بين يدي خصمه ليظن هزيمة ثم يعطف عليه ومثل ان يظفر ضعفا
ومحجرا ليتخلص به من تسخيره واذا هو ونحو ذلك وقد يكون التعريض بالقول والفعل
معاً كما قال سليمان ايتوني بالسكين اشقه بينكما وقد يكون باظهار الصم وانه لا يسمع
وباظهار النوم واظهار الشبع واظهار الغنى بحيث يحسب الجاهل غنيا وكما يقع الاجمال
في الاقوال فكذلك كما يقع في الافعال كما اعطى النبي صلى الله عليه وسلم غملة من حرير فلما لبسها
انكر عليه وقال اعطيكها لتلبسها فكساها خاله مشركا بمكة فكل من الاجمال والاشترار

المحقق

يذكرون الم نكرم ضيافتكم ونوفيككم كيلكم ونحسن منزلكم ونفعل بكم ما لم نفعله بغيركم
وادخلناكم علينا في بيوتنا ومنزلنا قالوا بلى وماذا قالوا انكم لسارقون وذكرهم
السيد فلما ارتحلوا اذن مؤذن ايها العبد والسياس يقتضي ذلك اذ لو كان هذا وهم
بحضرتهم لم يحتاج الى الاذن وانما يكون الاذن نداء البعيد يطلب وقوفه وجسده
وكان في هذا من لطيف الكيد انه بعد من التهمة للطالب بالمواظاة والمواظاة وانته
لا يشعر بما فقد له فكانه لما خرج القوم وارتحلوا وفصلوا عن المدينة احتاج الملك
الى صواعه لبعض حاجته اليه فالتمسه فلم يجده فسأل عنه الحاضرين فلم يجده فاف
سلوا في امر القوم فهذا احسن والبعث من التفتن للحيلة في التفتيش في الحال قبل
انفصالهم عنه بل كل ما ازداد والبعث عنه كان المبلغ في هذا المعنى ومن لطيف الكيد
انه اذن فيهم بصوت عال رفيع يسمعه جميعهم ولم يقل لواحد واحد منهم اهلاما
بان ذهاب الصواع امر قد اشهر ولم يبق خفاء وانتم قد اشهرتم باخذه ولم ينههم به
سواكم ومن لطيف الكيد ان المؤذن قال انكم لسارقون ولم يعين المسروق حتى سألهم
عنهم القوم فقالوا لهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك فاستقر عند القوم
ان الصواع هو المتهمة به وانهم لم يفقدوا غيره فاذا ظهر لم يكونوا ظالمين بانها متهمة
بغيرهم وظهر صدقهم وعدلهم في اتهامهم به وحده وهذا من الطيف الكيد في لطيف
الكيد قول المؤذن واصحابه لاخوة يوسف فاجزأه ان كنتم كاذبين اي ما عتوبة
من ظهر عليه انه سرق منكم ووجد معه اي ما عتوبة عنكم وفيكم قالوا جزأه من
وجد في رحله فهو جزأه فاخذهم بما حكموا به على انفسهم لا يحكم الملك وقوته ومن
لطيف الكيد ان الطالب اليهم بتفتيش رواحلهم بلباوعيتهم يفتشها قبل رعاء من هو
معهم نظرا اليهم وبعد من تمامة المواظاة فانه لو بدأ بوعا من هو فيه لقالوا وما يدري
انه في هذا الوعا دون غيره من او عيتنا وما هذا الا مواظاة وموافقة فازال هذه
التممة بان بدأ بوعيتهم اولا فلما لم يجدهم بالرجوع قبل تفتيش وعامن فيه الصواع
فقال ما اراكم سارقين وما اظن هذا ايضا اخذ شيئا فقالوا لا والله لا ندعكم حتى
تقتشروا منا عه فانه اطيب لقلوبكم واظهر لبرائنا فلما لموا عليهم بذلك فقتشروا منا عه
فاستخرجوا منه الصواع وهذا من احسن الكيد فلما قال انما كاذب كذا كذا يوسف
ما كان لياخذ احاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء فوق كل ذي

علم عليهم فالعلم بالكيد الواجب او المستحب الذي يتوصل به الى طاعة الله ورسوله
ونصر الحق وكسر المبطل ما يرفع الله به درجة العبد وقد ذكرنا في تسميتهم سارقين
وجهمين احدهما انه من باب المعارض وان يوسف نوى بذلك انهم سرقوه من ابيه حيث
غيبوه عنه بالحيلة التي احتالوا بها عليه وخانوه فيه والحاجين يسمي سارقا وهو الاستعارة
المشهور الثاني ان المنادي هو الذي قال ذكره في خير امر يوسف قال القاضي ابو يعلى
وغيره امر يوسف بعض اصحابه ان يجعل الصاع في رحل اخيه ثم قال بعض الموكلين
به لما فقدوه ولم يدروا من اخذه ايها العبد انكم لسارقون على ظن منهم انهم كذبت ولم يامر
هم يوسف بذلك لعل يوسف قال للمنادي هو لا قد سرقوه وعنى سرقة من ابيه والمناد
فهم سرقة الصواع وصدق في قوله انكم لسارقون لما اخبره به يوسف وصدق في قوله
تفقد صواع الملك وتأمل قوله انكم لسارقون ولم يقل صواع الملك ثم لما جاء الى ذكر
المفقود قال تفقد صواع الملك وهو صادق في ذلك فحذف في قوله انكم لسارقون
ذكر في قوله تفقد صواع الملك ولذلك قال يوسف لما عرض عليه ان ياخذ احدهم
فكان اخيه معاذ الله ان ناخذ الامن وجدنا متاعنا عنده ولم يقل ان ناخذ الا
من سرق فان للمتاع كان موجودا عنده ولم يكن سارقا وهذا من احسن المعارض
وقد قال بصريح حاجب مثل سفيا بن عيينة عن الرجل يعتذر الى اخيه من الشيء
الذي قد فعله ويحرق القول فيه ليرضيه اياهم فقال الم تسمع قوله ليس بكاذب من اصل
بين الناس وكذب فيه فاذا اصلح بينه وبين اخيه المسلم كان خيرا من ان يصلح بين
الناس بعضهم في بعض وذلك ان اراد مرضاة الله وكرامته المومن ويندم على ما كان
منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزلة عندهم ولا طمعا في شئ
يصيب منهم فانه لم ير حصص في ذلك ورخص له اذ اكره مودتهم وخاف عداوتهم قال
حذيفة اني اشترى ديني بعرضه بعض مخافة ان اقدم على ما هو اعظم منه قال سفيا
وقال الملكان خصمان بنى بعضنا على بعض اراد معنى شئ ولم يكونا خصمين فلما بصيرا
بذلك كاذبين وقال ابراهيم بن سقيم وقال بل فعله كبيرهم هذا وقال يوسف انكم لسا
رقون اراد معنى اخيهم فبين سفيا ان هذا كله من المعارض المباحة مع تسميته
كاذبا وان لم يكن في الحقيقة كاذبا وقد احتج بعض الفقهاء بقصة يوسف على انه يجوز
للا انسان التوصل الى اخذ حقه من الغير بما يمكنه الوصول اليه بغير رضا من عليه
الحق قال شيب نخا وهذه الحجة ضعيفة فان يوسف لم يكن يملك حبس اخيه عنه بغير

رضاه ولم يكن هذا الا من ظلم يوسف حتى يقال قد اقتصر منه وانما سائر الاخوة
هم الذين قد فعلوا ذلك نعم كان تخلف عنهم مما يوذهم لتأذي ابيهم وللميثاق الذي اخذ
عليهم وقد استثنى في الميثاق بقوله الا ان يحاط بكم وقد احبط بهم ويوسف لم يكن
قصده باحتباس اخيه الا انتقام من اخوته فانه كان اكرم من هذا وان كان في ضمير
ما فعل تاذي ابيه اعظم من اذى الاخوة فان ذلك امر امر الله به ليلبس الكنانة اجله
ويتم البلاء الذي استحق به يوسف ويعقوب كمال الجزاء وتبلغ حكمه الله التي قدرها وقضا
ها نهائيتها ولو فرض ان يوسف قصد الاقتصار منهم بما فعل فليس هذا موضع الخلاف
بين العلماء فان الرجل له ان يعاقب مثل ما عوقبه وانما موضع الخلاف هل له ان يخونه
كما خانه او يسرقه كما سرقه وان لم تكن قصته يوسف من هذا النوع نعم لو كان يوسف
اخذاخاه بغير امره لكان لهذا المحتج شبهة مع انه لا شبهة له ايضا على التقدير فان
مثل هذا لا يجوز في شرعنا بالاتفاق ولو كان يوسف قد اخذاخاه واعتقله بغير
رضاه كان في هذا ابتلاء من الله لذلك المعقل كما مر ابراهيم بن ذريح ابنه فيكون المبيع
له على هذا التقدير وحيا خاصا كالوحي الى ابراهيم بن ذريح ابنه ويكون حكمه في حق
الاخ امتحانه وابتلاؤه لئلا درجة الصبر على حكم الله والرضا بقضائه ويكون حاله
في هذا كحال ابيه يعقوب في احتباس يوسف عنه وقد دل على هذا نسبة الله ذلك الكيد الى
نفسه بقوله كيدك كيدنا يوسف كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله والله
سبحانه ينسب اليه نفسه احسن هذه المعاني وما هو منها حكمه وحق وصواب جزاء
للمسي وذكرك غاية العدل والحق كقوله انهم يكيدون كيدا وكيدا وقوله ومكروا و
مكر الله وقوله الله يستهزئ بهم وقوله ان المناقير يتخذ عون الله وهو خادعهم و
قوله واملي لهم ان كيدي متين فهذا كله سبحانه في اعلامه ايتا الحسن وان كان من
العبد قبيحا سببا لانه ظالم فيه موقعه من لا يستحقه والرب تبارك وتعالى علول
فيه موقعه باهله ومن يستحقه سوا قيل انه محاز للمشاركه الصورية او للمفا
بلة او سماء كذلك مشاركة الاسم ما فعلوه او قيل انه حقيقة وان سماء هذه الافعال
تنقسم الى مجموعتين واولاهن حقيقة في هذا وهذا كما قد بسطنا هذا المعنى و
استوفيت الكلام عليه في كتابنا الصواعق **فصل** اذا عرف هذا
فيوسف صلوات الله وسلامه عليه كيد من وجوه عديدة احدها ان اخوته
كادوه حيث احتالوا في التفريق بينه وبين ابيه كما قال له يعقوب صلوات الله

عليه لا تقصص رويك على اخوتك فيكيد والكيد او ثابته انهم كادوه حيث
باعوه بيع العبيد فقالوا لله غلام لنا ابق وثالثها كيد امرأة العزيز له بتغليب
الابواب ودعايته الى نفسها وراجمها كيد هاله بقولها ما جزأ من اراد بها هلك سوا الا
ان يسجن او عذاب اليم فكادته بالمرادة او لا وكادته بالكذب عليه ثانيا ولهذا
قال لها الشاهد لما تبين له براءة يوسف انه من كيدك ان كيدك عظيم وخاصها
كيد هاله حيث جعلته النسوة واخرجته عليهن تستعين بهن عليه وتستعذر
عليهن من شغفها به وساد سمها كيد النسوة له حتى استجار باه من كيدهن فقال
والانصر فعني كيدهن الى قوله انه هو العليم ولما جاءه الرسول قال ارجع
الى ربك فاسئله بابا النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بيكدهن عليم فان
قيل فما كان مكر النسوة الذي مكرت به وسمعت به امرأة العزيز فان الله سبحانه
لم يقصه في كتابه **قيل** بل قد اشار الله بقوله وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود
فتاها عن نفسها قد شغفها حب انا انزاهها في ضلال مبين وهذا الكلام متضمن لوجوه
من المكر احدها قولن امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسها ولم يسمها باسمها بل
ذكرها بالوصف الذي ينادى عليه بفتح فعليا يكونها ذات بعل فصدور الفاحشة
منها اقبل من صدورهما من لا زوج لها **الثاني** ان زوجها عزيز مصر ورئيسها وكبيرها
وذلك اقبل لوقوع الفاحشة منها **الثالث** ان الذي ياملوك لآخر وذكر البغ
في القبح الرابع انه فتاها الذي هو في بينها وتحت كنفها فحكمه حكم اهل البيت
بخلاف من طلب ذلك من الاجنبى البعيد الخاسر انها هي المرادة الطالبة السادس
انها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل جبرها الى شغف قلبها السابع ان
في ضمن هذا انه اعف منها وابرؤا في حيث كانت هي المرادة الطالبة وهو
المتنع عفا وكرما وحيا وهذا غاية الذم لها **الثامن** انهم اتيه بفعل المر
وده بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار والوقوع حالا واستقبالا وان
هذا شأنها ولم يقل راودت فتاها وفرق بين قوله فلان اضا فضيفا وفلا
نا يقري الضيف ويطعم الطعام ويجعل لكل فان هذا يدل على ان هذا شأنه و
غايته التاسع قولن انا انزاهها في ضلال مبين اي انا لنستفيع منها ذلك عا
ية الاستقباح فنسب الاستقباح اليهن ومن شأنهن مساعدة بعضهن بعضا
على الحق ولا يكدر يرس ذلك قبيحا كما يساعد الرجال بعضهم بعضا على ذلك

فحيث استعجب منها ذلك كان ذلك دليل على انه من افصح الامور وانما مما لا ينبغي
ان تساعد عليه ولا تحسن معاوتها عليه العاشر انهم جمعوا له في هذا الكلام
واللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها اما العشق
فقولهم قد شغلها حبها اي وصل حبها الى شغاف قلبها واما الطلب المفرط فقولهم
تراود فتأها عن نفسه والمرادة الطلب مرة بعد مرة فنسبوا لها الى شدة العشق
وشدة الحرص على الفاحشة فلما سمعت بهذا المكر منهم هيئت لهم مكرها بلع منه
فيها ف لم تنكأ ثم ارسلت اليهم فجمعهم وخبأت يوسف عنهم وقيل انها
جملة والبسنة احسن ما تقدر عليه واخرجته عليهم فجأة فلم يرعهم الا و
احسن خلق الله واجمله قد طاع عليهم بغتة فراغهم ذلك المنظر البهي وفي
ايديهم مدي يقطع بها ما ياكلنه فدهشوا حتى قطعوا ايديهم وهن لا
يشعرون وقد قيل انهم ابنت ايديهم والظاهر خلاف ذلك وانما تقطعهم ايدي
هم جرحها وشقها بالمدى لدهشهم مما رايت فقايلت مكرهم القولي بهذا
المكر الفعلي وكانت هذه في النساء غاية في المكر والمقصود ان الله كاد ليوسف
بان جمع بينه وبين اخيه واخرجه من ايدي اخوته بغير اختيارهم كما اخرجوا
يوسف من يدايهم بغير اختياره وكاد له بان اوقفهم بين يديه موقفا لئلا يخافوا
منه صنع المستحذي فقالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة
مرجاة طوافا ولنا الكيل ونصدق عليكنا ان الله يحجز المتصدقين فهذا الكيد
والخضوع له في مقابلة ذلك وخضوعه لهم يوم القايم في الحب وبيع العبيد
وكاد له بان هبالة الاسبا التي سجدوا له وابوه وخالته في مقابلة كيدهم له
حذرا من وقوع ذلك فان الذي حملهم على القايم في الحب خشيتهم ان يرتفع
عليهم حتى يسجدوا له كادوه خشية ذلك فكاد الله له حتى وقع ذلك
كاداه في منامه وهذا كما كاد فرعون بنى اسرائيل بذي ابناهم ويستحيي نساء
هم خشية ان يخرج فيهم من يكون زوال ملكه على يد فكاده الله بان اخرج له
هذا المولود ورأه في بيته وفي حجره حتى وقع به منه ما كان يحذر كما قيل
واذا خشيت من الامور قدرا وفرت منه ففخوة فوجبه

فصل وكيد الله سبحانه لا يخرج من نوعين احدهما ان يفعل سبحانه
فعلا خارجا عن قدرة العبد الذي كاد له فيكون الكيد قدرا محض ليس باب

الشرع كما كاد الذي كفو بان انتقم منهم بأنواع العقوبات وكذلك كانت قصة يوسف
فان يوسف كثر ما قدر عليه ان القى الصواع في رحل اخيه وارسله بوذنا يؤذنها
العبير انكم لسارقون فلما انكروا قال فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد
في رحله فهو جزاؤه اي جزاؤه استعباد المسروق ماله للسارق اما مطلقا واما الى
مدة وهذه كانت شريعة ليعقوب حتى قيل ان مثل هذا كان مشروعا في اول الاسلام
ان المدين اذا عسر بالدين استرقه صاحب الحق وعليه حمل حديث بيع النبي صلى الله عليه
وسلم وقد قيل بل كان بيعه اياه ايجاره لمن يستعمله وقضى دينه باجره وعلى
هذا فليس بمنسوخ وهذا احتكاك روايتين عن اهلان المفلس اذا بقيت عليه
يرون وله صنعة اجبر على اجارته نفسه او اجرة الحاكم وروى عنه من اجرة
وكان الهام الله لاختاره يوسف قولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كيد الله
ليوسف اجراه على السن اخوته وذلك خارج عن قدرته وكان يمكنهم ان يتخلصوا
من ذلك لان يقولوا الاجراء عليه حتى يثبت انه هو الذي سرق فان مجرد وجوده في
رحله لا يوجب ان يكون سارقا وقد كان يوسف صلى الله عليه وسلم عادلا لا يأخذهم بغير
حجة وكان يمكنهم التماس ايضا ان يقولوا جزاؤه ان يجعل به ما فعلونه بالسارق
في دينكم وقد كان من دين ملك مصر فيما ذكر ان السارق يضرب ويغرم قيمة المسروق
مرتين فلو قالوا ذلك لا يمكنه ان يلزمهم بما لا يلزم به غيرهم فلذلك قال سبحانه كذلك
كيد يوسف ما كان لياخذ اجاره في دين الملك الا ان يشاء الله اي ما كان يمكنه اخذه
في دين ملك مصر لان لم يكن في دينه طريق الى اخذه وقوله الا ان يشاء الله استثناء
منقطع اي لكن ان شاء الله اخذه بطريق اخر ويجوز ان يكون متصلا والمعنى
الا ان يماي الله سببا اخر يوجب فيه في دين الملك غير السرقه وفي هذه القصة تنبيه
على الاخذ باللوث الظاهر في الحدود وان لم يتم بينة ولم يحصل اقرار فان وجود
المسروق مع السارق اصدق من البينة فهو بينة لا لمحققا القصة وقد عذرت
شريعة في مواضع منها اللوث في القسامة والصحاح انها تقاد بها كادل
عليه النص الصحيح الصحيح ومنها اخذ الصحابة في الخمر بالرايحة والقي ومنها
حد عمر في الزنا بالجلد وجعله قسيم الاعتراف والشهادة فوجود المسروق
مع السارق ان لم يكن اظهر من هذا كله فليس بدونه فلما فتشوا متاعه فوجدوا
فيه الصواع كان ذلك قايما مقام البينة والاعتراف فلمذا لم يمكنهم ان يظلموا من

أخذه ولو كان هذا ظاهرا لقالوا كيف تأخذه بنوعه بينة ولا قرار وقد اشبعنا الكلام في ذلك في كتابنا الاعلام بانساع طرق الاحكام والمقصود انه ليس في قصة يوسف شبهة فضلا عن المحجة لا ريب في الجبل فاننا انما تكلمنا في الجبل التي يفعلها العبد وحكمها في الاباحة والتحريم لا فيما يكيد الله سبحانه لعبد بل في قصة يوسف تنبيه على ان من كاد غيره كيدا محرم فان الله سبحانه لا يبدن يكيد وانه لا يبدن يكيد المظنون اذا صبر على كيد كايده ويلطف له فالمرء المتوكل على الله اذا كاده الخلق فان الله يكيد له وينتصر له بغير حوافره ولا قوة فهذا احد النوعين من كيد سببانه لعبد النوع الثاني ان يلهمه اموالها او مستحباتها او واجبا يوصله به الى المقصود الحسن فيكون على الهامه ليوسف ان يفعل ما فعل هو من كيد سببانه ايضا فيكون قد كاد له نوعي الكيد ولهذا قال سبحانه نرفع درجات من نشا وفي ذلك تنبيه على ان العلم الدقيق بلطف الجبل الموصلة الى المقصود الشرعي الذي يحبه الله ورسوله من ضرر دينه وكسر اعزابه ونصر الحق وقمع المبطل صفة مدح يرفع الله به درجة العبد كما ان العلم الذي يختص به المبطل ويدحض محجة صفة مدح يرفع الله به درجة عبده كما قال سبحانه في قصة ابراهيم ومناظرته قومه وكسر جنتهم وتلك محجتها اثباتها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشا وعلى هذا فيكون من الكيد ما هو مشروع ولكن ليس هو من الكيد الذي تستحل به المحرمات وتسقط به الواجبات فان هذا كيد الله ودينه فانه سبحانه ودينه هو المكيد في هذا القسم فيقال ان يشرقه الله هذا النوع من الكيد وايضا فان هذا الكيد لا يتم الا بفعل يقصده غير مقصوده الشرعي ومحال ان يشرقه الله لعبد ان يقصد بفعله ما لم يشرقه الله ذلك الفعل له وايضا فان الفعل المشروع هو عام لا يختص به شخص فالشي اذا كان مباحا لشخص كان مباحا لكل من كان حاله مثل حاله فمن اختلفت الحالة فقهية محرمة او مباحة لم يكن له اختصاص بتلك المحيلة لا بفهمها ولا بعلمها وانما خاصة الفقهاء اذا حدثت به حادثة ان يتفطن لانذاجها بحسب الحكم العام الذي يعلمه هو وغيره والله سبحانه انما كاد ليوسف كيدا خاصا به جزا له على صبره واحسانه وذكره في معرض المنة عليه وهذه الافعال التي فعلها يوسف والافعال التي فعلها الله سبحانه له اذا تأملها اللبيب راها لا تخرج من نوعين

احدها الهام الله سبحانه فعلا كان مباحا له ان يفعله الثاني فعل من الله سبحانه به خارج عن مقدور العبد وكلا النوعين مبين للجبل المحرمة التي يحتمل بها على اسقاط الواجبات والاباحة المحرمات **فصل** لعبد تقول قد اطلت الكلام في هذا الفصل جدا وقد كان يكفي الاشارة اليه فيقال بل الامر اعظم مما ذكرنا وهو بالاطالة اجدر فان بلا الاسلام ومحنة عظمت من هاتين الطائفتين اهل المكر والمخادعة والاحتيال في العمليات واهل التحريف والسفسطة والقرمطة في العمليات فكل فساد في الدين بل وفي الدنيا ففساده من هاتين الطائفتين فبالا وبل الباطل قتل عثمان رضي الله عنه وعاشت الامة في دمايا وكفر بعضها بعضا وتفرقت على بضع وسبعين فرقة فحري على الاسلام من تاويل هؤلاء وخداع هؤلاء ومكرهم ما جرت واستولت الطائفتان وقويت شوكتهما وعاقبوا من لم يوافقهم وانكر عليهم وباني الله الا ان يقيم لدينه من يذب عنه ويبين اعلامه وحقايقه لكلا كليا بسطل حجج الله وبياناته على عباده فلنرجع الى ما نحن بصدده من بيان مكيد الشيطان ومصابده **فصل** ومن مكايده ومصابده ما فتن به عشاق الصور وتلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاقتها وملكته القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها والقتل الحروب بين العشاق والتوحيد ودعت الى موالات كل شيطان مرید فصيرت القلب للهوا اسيرا وجعلته عليه حاكما واميرا فاو سعت القلوب محنة وملأته فتنة وحالت بينها وبين رشدها وصرقتها عن طريق قصدتها ونادت عليها في سوق الرقيق فباعها بائس الاثمان واعاضتها بائس الخس المحض وادنى المطالب عن العالي من غرق الجنات فضلا عما فوق ذلك من القرب من الرحمن فسكنت الى ذلك المحبوب الخسيس الذي ألمها به اضعا ولذتها ونيله والوصول اليه اكبر اسباب مضرتها فما وشكها جيبا يستحيل عدو اعن قريبا ويتبرأ منه محبة لو امكنه حتى كان لم يكن له بجيب وان تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به اعظم الالم بعد حين لاسيما اذا صار الامر خلافا يوما ثم بعضهم لبعض عدوا لا المؤمنين فيا حسرة المحب الذي باع نفسه لغير الجيب الاول ثم ينحسر وشهوة عاجله ذهبت لذتها وبقيت تبعاتها وانقضت منفعتها وبقيت مضرتها فذهبت الشهوة وبقيت الشقوة



مكيدة عشق الصور
اعاثرنا الله في مضلات
الفتنة عنه وكرمه

ورالت المسرة وبقيت المحسرة فوارحتها لصبت جمع لهن المحسرتين حسرة فوت
المحبوب الاعلى والنعيم والمقيم وحسرة ما يقاسيه من النصب في العناء الاليم
فمنهاك يعلم المخذوع اي بضاعة اضاع وان من كان ماكدقه وقلبه لم يكن يصلح
ان يكون له من جملة الخدام والاتباع فاني مصيبة اعظم من مصيبة مكد انزل عن
سرير ملكه وجعل لمن لا يصلح ان يكون مملوكه اسيرا وجعل تحت امره ونواهيته
مقبولا فلورايته قلبه وهو في يد محبوبه لرأيته كحضوره في يد طفل يسومها حيا
من الردى والطفل يلهو ويلعب ولوشاهدت حاله وعيشته لقلت
وما في الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلوا المذاق
تراه باكي في كل حين مخافة فرقة او لا شياقي
فيكي ان طرنا واشوقا اليهم وبكي ان دنوا حذر الفراق
ولوشاهدت نومه وراحته لعلمت ان المحبة والمنام محبة تعا هلا وتعا
لغان ليس يلتقيان ولوشاهدت فيض مدامعه ولهب النار في احشائه
لقلت سبحان رب العرش متقن صنعه ومولغا الاضداد دون تعاند
قطر تولد من لهب في الحشا ماؤنار في محل واحد ولوشاهدت مسلك
المحب في القلب وتغلخله فيه لعلمت ان الحب الطف مسلكا فيه من الارواح
في ابدانها فقل يلقو بالعاقلة ان يبيع هذا الملك المطاع لمن يسوءه سوء العدا
ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غنى له عنه ولا بد له منه ولا بد له من
الحجاب فالمحب من احبه قتل وهو له عبد خاضع ذليل ان دعاه لباه وان
قل له ما تمني فهو غاية ما يتمناه لا ياتر بغيره ولا يسكن الى سواه فحقيقته
ان لا يملك رقة الا لاجل حبيب وان لا يبيع نصيبه منه باخس نصيب **فصل**
اذا عرف هذا فاصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والارادة فهما مبدأ جميع الافعال
والحركات كما ان البغض والكراهة مبدأ كل ترك وكف اذا قيل ان الترك والكف امر
وجودي كما عليه كثر الناس وان قيل انه عدي فيكفي في عدمه عدم مقتضيه
والتحقق ان الترك نوعان ترك هو امر وجودي وهو كلف النفس ومنعها وجسا
عن الفعل فهذا سببه امر وجودي وترك وهو عدم محض فهذا يكفي فيه عدم
المقتضي فانقسم الترك الى قسمين قسم يكفي فيه عدم السبب المقتضي وجوده وقسم

يستلزم وجود السبب الموجب له من البغض والكراهة وهذا السبب لا يقتضي
مجردة كفا النفس وجسمها الا لقيام سبب من المحبة والارادة يقتضي امرها واجب
اليه من هذا الذي كلف نفسه فيستعاض عنه الامران فيؤثر خيرهما واعلاهما وانفعهما
له واجبهما اليه على ادناهما فلا يترك محبوبا الا لحيوب هو واجب اليه منه ولا يترك
مبغوضا الا ليتخلص منه مبغوض هو اكره اليه منه خاصة العقل واللب التمييزيين
مراتب المحبوبات والمكروهات بقوة العلم والتمييز واشار على المحبوبين على ادناهما
احتمال ادنى المكروهين للتخلص من اعلاهما بقوة الصبر والثبات واليقين فالنفس
لا تترك محبوبا الا للمحبوب ولا تتحمل مكروها الا لتحصيل محبوب او لتخلص من مكرو
اخر وهذا التخلص لا يقصد الا المنفعة المحبوبة فصار سعيها في تحصيل محبوبات
بالذات واسبابه بالوسيلة ودفع مبغوضها بالذات واسبابه بالوسيلة فسعيه في
تحصيل محبوبه لما له فيه من اللذة وكذا سعيه في دفع مكروهه ايضا لما له في دفعه من
اللذة كدفع ما يؤلمه من البول والنجس والدم والقي وما يؤلمه من الحر والبرد والجوع وال
العطش وغير ذلك واذا علم ان هذا المكروه ينفي الى ما يحبه يصير محبوا له وان
كان يكرهه فهو يحبه من وجه ويكرهه من وجه وكذلك اذا علم ان هذا المحبوب ينفي
الى ما يكرهه يصير مكروها له وان كان يحبه فهو يكرهه من وجه ويحبه من وجه
فلا يترك المحب ما يحبه ويهواه مع قدرته عليه الا لما يحبه ويهواه ولا يترك ما يكرهه
ويخشاه الا حذر وقوعه فيما يكرهه ويخشاه لكن خاصة العقل ان يترك ادنى
المحبوبين واقلها نفعا لاعلاهما واعظمها نفعا ويرتكب في المكروهين ضررا
ليتحلص به من ادناهما ضررا فبين بذلك ان المحبة والارادة اصل للبغض والكراهة
وعلة لهما من غير عكس فكل بغض فهو لنا فاة البغض للمحبوب ولولا وجود المحبوب
لم يكن البغض بخلاف الحب للشيء فانه قد يكون لنفسه لاجل منافاته للبغض وبغض
الانسان لما يضاد محبوه مستلزم لمحبة لضده وكما كان الحب اقوى كانت قوة البغض
للمنافاة استدلوا ان كان او ثور عري الايمان المحبة في الله والبغض في الله وكان من
احب الله وابغض الله واعطى الله ومنع الله فقد استكمل الايمان فان الايمان علم
وعمل والعمل ثمره العلم وهو نوعان عمل القلب حبنا وبغضا ويترتب عليهما عمل الجوارح
فعلا وتركاهما العطا والمنع فاذا كانت هذه الاصول الاربعة لله كان صاحبها

مستكمل الايمان وما نقص منها وكان لغیر الله نقص من ايمانه بحسبه **فصل**
 اذا عرف هذا فكل حركة في العالم العلوي والسفلي فسيبها المحبة والارادة وغايتها
 المحبة والارادة فان الحركات ثلاث ارادية وطبيعية وقسرية فان المتحرك ان كان
 له شعور بحركته وارادة لها فحركته ارادية وان لم يكن له شعور بحركته اولها شعور
 وهو غير مراد لها فحركته اما على وفق طبعه او على خلافه فالاولى طبعية والثانية
 قسرية واظهر من هذان يقال مبدأ الحركة اما ان يكون امرا مابينا للمتحرك او قوة
 فيه فالاول الحركة فيه قسرية والثاني اما ان يكون له شعور ام لا فالاول الحركة فيه
 ارادية والثاني طبعية فالحركة في الارادة لا زالت الشعور والارادة في ارادية ومقتضى ان
 الامران فان كانت بقوة في المتحرك في الطبعية وان كانت من قوة في المتحرك في
 القسرية وكل حركة في السموات والارض من حركات الافلاك والنجوم والشمس والقمر
 والرياح والسحاب والنبات والحيوان في ناشية عن الملائكة الموكلين بالسموات
 والارض كما قال تعالى فالمدير امرا وقال فالمقسم امرا وهي الملائكة عند اتباع الرسل
 واما المكذبون للرسل المنكرون للصانع فيقولون هي النجوم وقد اشبهنا الرد على هو
 لا في كتابنا الكبير المسمى بالفتح وقد دل الكتاب السنه على اصناف الملائكة وانها
 موكله باصناف الخلق وان سبجانه وكل بالجمال ملائكة وكل بالسخا والمطر
 ملائكة وكل بالرحم ملائكة تدبر امر النطفه حتى يتم خلقها ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ
 وملائكة لحفظ ما يعمل واحصائه وكتابته وكل بالموت ملائكة وكل بالسؤال في
 القبر ملائكة وكل بالافلاك ملائكة يحركونها وكل بالشمس والقمر ملائكة وكل
 بالنار وايضاها وتغذيها وعمارها ملائكة وكل بالجنة وعمارتها وعمارها
 وعمل الانهار ملائكة فالملائكة اعظم جنود الله ومنهم المرسلات عرفاء والناشرات
 نشر الفارقات فرقا والملقيات ذكر او منهم النارعات عرفاء والناشرات نشطات
 والساقيات سبجافا السابقات سبجافا المدير امرا ومنهم الصافا صافا الزاجرا
 زجرا فالتالي ذكر او منهم ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وملائكة قد وكلوا
 بحمل العرش وملائكة قد وكلوا بعمارة السموات الصلاة والتسبيح والتغدير الى غير
 ذلك من اصناف الملائكة التي لا يحصى الا الله ولفظ الملك مشعر بان رسول منقاد لامر غيره

فليس لهم من الامر شي بل الامر كله لله الواحد القهار وهم ينفذون امره لا يسبقونه
 بالقول وهم يأمرونهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون
 يخافون ربه من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون لا يعصون الله ما امرهم يفعلون
 ما يؤمرون لا تنزل الا بامره ولا تفعل شي الا من بعد اذنه فهم عباد له مكرمون
 منهم الصافون ومنهم المسبحون ليس منهم الا من له مقام معلوم لا يتخطاه وهو على
 عمل قدامه لا يقصر عنه ولا يتعداه واعلام الذين عنده سبحانه لا يستكبرون عن
 عبادته ولا يستخسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وروى صاحب الاملاك الثلاثة
 جبريل وميكائيل واسرافيل وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
 فيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
 يختلفون اهدي لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم
 فتوسل اليه سبحانه برؤيته العامة والخاصة فهو لا الا ملاك الثلاثة الموكلين
 بالحياة جبريل موكل بالوحي الذي حياة القلوب والارواح وميكائيل موكل بالقطر الذي
 به حياة الارض والنبات والحيوان واسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي فيه حياة
 الخلق بعد ما تم فساله رسوله برؤيته له ان يهديه لما اختلف فيه من الحق باذن
 له لما في ذلك من الحياة النافعة وقد اثنى سبحانه على عبده جبريل في القرآن باحسن
 الثناء وصفه باجمل الصفات فقال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسوله
 كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم ادين فهذا جبريل فوصفه بانه رسول الله
 كريم عنده وانه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه وانه مطاع في السموات وانه امين
 على الوحي فمن كرمه على ربه انه اقرب الملائكة اليه قال بعض السلف منزلة من ربه منزلة
 الحاجب من الملك ومن قوة انه رفع مدارج قوم لوط على جناحه ثم قلبها عليهم فهو
 قوي على تنفيذ ما يأمرون به غير عاجز عنه قطيعه املاك السموات فاما ما مرهم به عن الله
 قال ابن جرير في تفسيره عن اسمعيل بن ابي خالد عن ابي صالح ادين على ان يدخل
 سبعين سراة قاص من نور غير اذن ووصفه بالامانة يقتضي صدقه ونصحه والعبادة
 الى الرسل ما امر به من غير زيادة ولا نقصان ولا كتمان فالمكانة والامانة والقوة
 والتقرب من الله ونظير الجمع له بين المكانة والامانة قول العزيز ليوسف الصديق
 انك اليوم لدينا مكين امين والجمع بين القوة والامانة فظير قول ابنه بتعقيب في قوتي
 ان خير من استاجر القوي الامين وقال ايضا وصفه علمه شديد القوى ذو مرة قال ابن عباس ومظفر حسن

وقال قتاده ذو خلق حسن وقال ابن جرير عني بالمرة صحة الجسم وسلامته من
الافات والعاهات والعاهات والجسم اذا كان كذلك من الانسان كان قويا
والمرق وحدة الرب وانما اراد به ذميرة سوية ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا
تحمل الصدقة لغني ولا الذي مرة سوي **قلت** هذا حجة من قال المرة القوة في الآية
وهو قول مجاهد وابن زيد وهو ضعيف لانه قد وصفه قبل ذلك بأنه شديد القوى
ولا ريب ان المرة في الحديث هي القوة لا المنظر الحسن فاما ان يقال المرة تقال على هذا
وعلى هذا واما ان يقال وهو اظهر ان المرة هي الصحة والسلامة من الافات و
العاهات الظاهرة والباطنة وذلك مستلزم كمال الخلقة وحسنها وجمالها فان
العاهة والافرة انما تكون من ضعف الخلقة والتركيب فهي قوة وصحة تضمن جمالا
وحسنا والله اعلم وقالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم من هذا صاحبك الذي ياتكم الملا
يكة فانه ليس بي الاياته مكر بالخبر قال هو جبريل قالوا ذاك الذي ينزل بالحرب
والقتال ذاك عدونا لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالنبات والقطر والرحمة فانه لا اله
علا من كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك الى قوله فان الله عدو للكافرين والمقصود
ان الله سبحانه وكل العالم العلوي والسفلي ملائكة فهي تدبر امرا العالم باذنه ومشيئته
وامره فلذلك يضيف التدبير الى الملايكة تارة لكونهم هم المباشرين للتدبير بقوله فالمد
برات امرا ويضيف التدبير اليه بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
ثم استوعب العرش يدبر الامر وقوله قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ومن
يدبر فسيقولون الله فوالمدبر امرا واذا نؤمن بمشيئة والملايكة المدبرات مباشر
وامتنا لا وهذا كما اضاف التنويع اليهم تارة كقوله توفير رسلنا واليه تارة كقوله الله
يتوفى الانفس حين موتها ونظايرة والملايكة الموكله بالانسان من حين كونه نطفة
الى اخراجه لهم وله شان اخر فانهم موكلون بتخليقه ونقله من طور الى طور
وتصويره وحفظه في اطباق الظلمات الثلاث وكتابة رزقه وعمله واجله و
شقاوته وسعادته وملازمته في جميع احواله واحصاء اقواله وافعاله وحفظه
في حياته وقبض روحه عند وفاته وعرضها على خالقه وفاطره وهم الموكلون
بعنايته وتعليمه في البرزخ وبعد البعث وهم الموكلون بعمل الات النعيم والعذاب
وهم المشتمون للعبد المؤمن باذن الله والمعلمون له ما ينفعه والمقاتلون الذي
يوت عنه واولياؤه في الدنيا والاخرة وهم الذين يرونه في منامه ما يحا فليحذر

وما يحبه ليفرق قلبه ويزداد شكرا وهم الذين بعدونه بالخير ويدعونهم اليهم وينهون
عن الشر ويحذرونه منه فهم اولياؤه وانصاره وحفظته ومعلموه وناصحوه والداعون
له والمستغفرون له وهم الذين يصلون عليه ما دام في طاعة ربه ويصلون عليه
ما دام يعلم الناس الخير ويبتشرونه بكرامة الله في منامه وعند موته ويعلم بعثه و
هم الذين يزهدونه في الدنيا ويرغبونه في الآخرة وهم الذين يذكرونه اذا نسي وينشطونه
اذا كسل ويثبتونه اذا جرد وهم الذين يسعون في مصالح ديناه واخرته فهم
رسل الله في خلقه وامره وسفراؤه بينه وبين عبادة تنزل بالامر من عنده في اقطار
العالم وتصح البصر بالامر قد اطت بهم السموات وحولها ان تيط ما فيها موضع اربع اصا
بع الاومك قائم اورا كع او ساجد ويدخل البيت للعمود كل يوم منهم سبعون الف
مكر لا يعودون اخر ما هم عليه والقران مملوا بذكر الملايكة واصنافهم واعمالهم ومرا
بهم كقوله واذا قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون
وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملايكة الى قوله فسجدوا الا ابليس الاله وقوله
نزل الملايكة والروح فيه باذن ربهم وما بين هاتين السورتين من سور القران بل لا
تخلو اسورة من سور القران عن ذكر الملايكة صريحا او تلويحا واسارة واما ذكرهم
في الاحاديث النبوية فاكثروا شهر من ان تذكر ولا يذكر الايمان بالملايكة احد الاصول
الخمس التي هي اركان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
فلنرجع الى المقصود وهو ان حركات العالم العلوي والسفلي بالملايكة فالحرركات الار
ديه كلها تابعة للارادة التي تحرك المريد في فعل ما يفعله والحركة الطبيعية بها مافي
المتحرك من الميل والطلب لكمال وانتهائه كحركة النار وحركة النبات وحركة الكر
ياج وكذلك حركة الجسم الثقيل الى اسفل فانه بطبعه يطلب مستقره من المركز ما لم يعفه
عنه عائق واما الحركة القسرية كحركته في القصر الى العلو فتابعة لارادة القاسر له
فلم يبق حركة اصلية الا عن الارادة والمحبة **فصل** فاذا عرف ذلك
فالمحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكل حصوله له كتحرك محب الرحمن
ومحب القران ومحب العلم والايمان ومحب الخلق ومحب الاقربان والصلبان
ومحب النفسوان والمردان ومحب الاوطان ومحب الاخوان فتتبر من كل قلب حركته الى
محبوبه من هذه الاشياء فيتحرك عند ذكر محبوبه منها دون غيره ولهذا تجد محب

النسوان والصبيان ومحب قران الشيطان بالاصوات والالمان لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الايمان ولا عند تلاوة القران حتى اذا ذكر له محبوبه اهتز زواجره وتحرك ظاهره وباطنه شوقا اليه وطربا لذكره فكل هذه المحاب باطلة مضحكة سotte محبة الله وما والاها من محبة رسوله وكتابه ودينه واوليائه فهذه المحبة تدوم وتدوم غرما ونعيم بايدام من تعلقت به وفضلها على سائر المحاب كفضل من تعلقت به على ما سواه واذا انقطعت علائق المحبين واسباب توادهم ومحابهم لم تنقطع اسبابها قال تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب ونقطعت عنهم الايما قال عطاء بن رباح عن عمار بن عبد الله قال مجاهد تواصلهم في الدنيا وقال الضحاك يعني بهم الارحام وتفرقت بهم المنازل في النار وقال ابو صالح الاعمال والكل حق فان الاسباب هي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا فنقطعت بهم احوال ما كانوا اليها واما اسباب الموحدين المخلصين لله فانصلت بهم ودام اتصالها بدمهم وعبادتهم ومحبوبتهم فان السبب تنبع لغايته في البقاء والانقطاع **فصل** اذا تبين هذا فاصل المحبة المحمودة التي امر الله بها وخلق خلقه لاجلها هي محبة وحده لا شريك للتضمنة لعبادة دون عبادة ما سواه فان العبادة تنضم غاية الحب بعبادة الذل لا يصلح ذلكا لاله وحده ولما كانت المحبة جنسا تحت انواع متفاوتة في القدر والوصف كان اغلب ما يذكر فيها في حق الله ما يختص به ويليق به كالعبادة والانابة والاحياء ولهذا لا يذكر فيها لفظ العشق والخرام والصبابة والشفقة والموافاة وقد يذكر لفظ المحبة كقوله بحبهم ويحبونه وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله وقوله والذين امنوا اشد حبا لله ومدار كتب الله المنزلة من اولها الى اخرها على الامر بالمحبة بتلك الوازمها والنهاي عن محبة ما يضادها وملازمها وضرب الامثال والمقاييس لاهل المحبتين وذكر قصصهم ومآلهم ومنازلهم ونواياهم وعقائهم ولا يجد حلاوة الايمان بل لذوق طعمه الا من كان الله ورسوله احب اليه مما سواها كما في الصحيحين من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان وفي لفظ لا يجد طعم الايمان الا من كان فيه ثلاث من كان الله ورسوله احب اليه مما سواها وان يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره ان يرشح في الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقي في النار وفي الصحيحين ايضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن

احدكم حتى اكون احبا اليه من والده وولده والناس اجمعين ولهذا اتفقت دعوة الرسل من اولهم الى اخرهم على عبادة الله وحده لا شريك له واصل العبادة وتامها وكالاتها هو المحبة وافراد الرب سبحانه بها فلا يشرك العبد به فيما غيره والكلمة المتضمنة لهذين الاصلين هي الكلمة التي لا يدخل في الاسلام الا بها ولا يعصم منه وماله افضل الذكر كما في صحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله والاية المتضمنة لها ولتفصيلها سيرة اي القران والسورة المختصة بتحقيقها تعدل ثلث القران وبها ارسل الله سبحانه جميع رسله وانزل جميع كتبه وشرع جميع شرائعه قايما بحتمها وتكميلا لها وهي التي يدخل العبد بها على ربه ويصير في جواره وهي مفرغ اوليائه واعدائه فان اعداءه اذا سمعهم الضرب في البر والبحر فرغوا الى توحيدك وتبرأوا من شركهم ودعوه مخلصين له الدين واذا اولياؤه في مفرغهم في شدايدهم في الدنيا والاخرة ولهذا كانت دعوات المكروب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش الكريم ودعوة ذي النون التي ما دعاه بها مكروب الا فوج الله كربه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقال ثوبان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راعه امر قال الله ربي لا اشرك به شيئا وفي لفظ قال هو الله لا شريك له وقالت اسماء بنت عميس علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات اقولها عند الكرب الله الله ربي لا اشرك به شيئا وفي الترمذي من حديث ابراهيم بن محمد بن سعيد عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعوة يونس اذا نادى في بطن السمكة لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فان لم يدع بها مسلم في شيء الا استجب اليه وفي مسند الامام احمد من فروع دعوات المكروب اللهم سم رحمتك ارجو فلا تكلفني الى نفسي طرفة عين اصلي لي شافي كله لا اله الا انت فالنفع حيد ملجأ الظالمين ومفرغ الهمم ونجاة المكروبين وغياث المهفوفين وحقيقته افراد الرب سبحانه بالمحبة والاجلال والتعظيم والذل والخضوع **فصل** فاذا عرفنا ان كل حركة فاصلاها المحبة الارادة فلا بد من محبوب مراد لنفسه لا يطلب ويحب غيره اذ لو كان كل محبوب يجب لغيره لزم الدور والتسلسل في العلل والغايات وهو باطل باتفاق العقلاء والشيا قد يحب من وجه دون وجه وليس شيء يجب لذاته من كل وجه الا الله وحده الذي لا تصالح الا لوهية الاله فلو كان

في السموات والارض الاله الا الله فسدتا والالهية التي دعت الرسل اممهم الى توحيد
الرب بها هي العبادات والتسليم من لوازمها توحيد الربوبية الذي اقربيه المشركون
فاحتج الله عليهم به فانه يلزم من الاقرار به الاقرار بتوحيد الاله **فصل**
وكل حي فله ارادة وعمل بحسبه وكل يتحرك فله غاية يتحرك اليها ولا صلاح له الا ان
يكون غاية حركته ونهاية عطشه هو الله وحده كما لا وجود له الا ان يكون الله
وحده هو ربه وخالفه فوجوده بالله وحده وكما له ان يكون لله وحده فما لا
يكون به لا يكون وما لا يكون له لا ينفع ولا يذم ولهذا قال تعالى لو كان فيهما الالهة
الا الله لفسدتا ولم يقل العدم اذ هو سبحانه قادر على ان يقيمها على وجه
الفساد لكن لا يمكن ان تكون صالحة الا بان يكون فاطرها وخالفها هو المعبود
وحده لا شريك له فان صلاح الاعمال والحركات بصلاح بناتها ومقاصدها فكل
عمل فهو تابع لنية عاملة وقصده وارادته وتقسيم الاعمال الى صالح وفاسد هو اعتبار
رها في ذواتها تارة وباعتبار مقاصدها ونياتها تارة واما تقسيم المحبة والارادة
الى نافعة وضارة فهو باعتبار متعلقها ومحبوها ومرادها فان كان المحبوب المراد
هو الذي لا ينبغي ان يحب لذاته ويراد لذاته الا هو وهو المحبوب الاعلى الذي
لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور الا بان يكون وحده هو محبوبه
ومراداه وغاية مطلوبه كانت محبته نافعة له وان كان محبوبه ومراده ونهاية
مطلبه غيره كانت محبته ضارة له وعذابا وشقا فالمحبة النافعة هي التي تجلب لصاحبها
حيها ما ينفعه من السعادة والنعيم والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها
ما يضره من الشقاء والالم والعناء **فصل** اذ اتين هذا فالحق العلم
النافع لنفسه لا يؤثر محبة ما يضره ويشقى به ويتالم به ولا يقع في ذلك الا من
فساد تصوره ومعرفة وجه فساد قصده وارادته فالاول جهل والثاني ظلم
الانسان خلق في الاصل جميلا ظلوما ولا ينفك عن الجهل والظلم الا بان يعلم الله
ما ينفعه ويكرهه من ارادته الخير علمه ما ينفعه فخرج به من الجهل ونفعه بما
علمه فخرج به من الظلم وحتى لم يرد به خيرا ابقاه على اصل خلقه كما في المسند من
حديث عبد الله بن عمر وعنه النبي صلى الله عليه وسلم قال **خلق الله خلقا خلقه في ظلمة**
ثم التي عليهم من نور من اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فانفس
نور ما يضرها ولا ينفعها لجهلها بمضرته لها تارة وفساد قصدها تارة ونورها

تارة وقد ذم الله تعالى كتابه من اجاب داعي الجهل والظلم فقال فان لم يستجيبوا
لك فاعلموا انما يتبعون الهواهم ومن اضل من اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين وقال ان يتبعوا الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم
من ربهم الهدى فاصل كل خير هو العدل والعلم واصل كل شر هو الجهل والظلم وقد جعل
الله سبحانه العدل المأمور به حدا فمن تجاوزه كان ظالما متعبدا وله من الذم والعقوبة
بحسب ظلمه وعدوانه الذي خرج به عن العدل ولهذا قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا
فوانه لا يحب المسرفين فمن اتبع سؤا زوجته او ملك يمينه فمن ابغوا وراء ذلك فادرك
هم العادون وقال ولا تعتدوا الله لا يحب المعتدين والمقصود ان محبة الظلم و
العدوان سبب فساد العلم او فساد القصد او فسادها جميعا وقد قيل ان
فساد القصد من فساد العلم والافلو علم ما في الضار من المضره ولوازمها حقيقة
العلم لما اثره ولهذا من علم من طغاء شيا لذيذاته مسموما فانه لم يقدم عليه فضعف
علمه بملك الضار من وجوه المضره وضعف عزمه على اجتنابه بوقوعه في ارتكابه
ولهذا كان الايمان الحقيقي هو الذي يحمل صاحبه على فعل ما ينفعه وترك ما يضره
فاذا لم يفعل هذا ولم يترك هذا لم يكن ايمانه على الحقيقة وانما معه من الايمان
بحسب ذلك فان المؤمن بالنار حقيقة الايمان حتى كانه يراها لا يسلك طريقها
الموصلة اليها فضلا عن ان يسعى فيها بجهده والمؤمن بالجنة حقيقة الايمان
لا يتلذذ بها نفسه بقدر عن طلبها وهذا من حكمة الانسان في نفسه فيما يسعى فيه في
الدنيا من المنافع والتخلص من المضار **فصل** اخاتير هذا فالعبد
احوج شي الى معرفة ما يضره ليتجنبه وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله فيجب الشا
فح ويغضض الضار فتكون محبته وكراهته موافقتين لمحبة الله وكراهته وهذا من
لوازم العبودية والمحبة رتبة خرج عن ذلك احب ما يستخطه ربه وكراهته ما يحبه
فانقص عبوديته بحسب ذلك وهما هنا طريقان العقل والشرع اما العقل فقد
وضع الله سبحانه في العقول الفطر استحسن الصدق والعدل الاحسان والبر
والعفة والشجاعة وكانم الاخلاق واد الامانات وصلة الارحام ونصيحة الخلق
الوفاء بالعهد وحفظ الجوار ونصر المظلوم والاعانة على نوايل الحق وقرى الضيف وحمل الكل
وتحذو ذلك ووضع في العقول الفطر استقبح اضرار ذلك ونسبة هذا الاستقبح
والاستحسان الى العقول والفطر كنسبة استحسان شرب الماء البارد عند الظل

والطعام الذي لنا في عند الجوع وليس ما يد فيه عند البر وكما لا يمكن ان يدفع عن نفسه
وطبعه استحسان ذكر ونفعه فكذلك لا يدفع عن نفسه وفطرته استحسان صفات
الكمال ونفعها واستقبال اصداقها ومن قال ان ذلك لا يعلم بالعقل ولا بالفطر وانما
عرف بمجرد السمع فقل له باطل قد بينا بطلانه في كتابنا بالمقتضاج من سنين وجهها وبيننا
هناك دلالة القرآن والسنة والعقول والفطر على فساد هذا القول الطريق الثاني المعرف
الضار والنافع من الاعمال بالسمع وهو واسع وابين واصدق من الطريق الاول الخفا
صفاء الافعال واحوالها وتايجها وان العالم يذكر على التفصيل ليس هو الا الرسول
صلوات الله وسلامه عليه فاعلم الناس واصحهم عقلا ورأيا واستحسانا من كانت
استحسانه وقياسه موافقا للسنة كما قال تعالى هذا افضل العبادات الراي الحسن وهو
اتباع السنة قال تعالى ويرى الذين اتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق وكان السلف
يسموا اهل الاراء المخالفة للسنة وحاجابه الرسول في مسائل العلم الخبرية ومسائل
الاحكام العملية يسمونهم اهل الشبهات والاهواء لان الراي المخالف للسنة جهل لا علم
وهو كادين وصاحبه من اتباع هواه بغير هدى من الله واتباع هواه بغير علم وغايته
الضلال في الدنيا والآخرة وانما ينتفي الشقا والضلال عن اتباع هذا الله الذي
ارسل به رسوله وانزل به كتيبه كما قال تعالى فاما يا ايها الذين آمنوا فممن اتبع هذا الله الذي
ولا يشقى الى قوله ونحشره يوم القيمة اعي واتباع الله يكون في الحب والبغض كما قال تعالى
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقر
بين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولي بها فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وقال ولا يحبكم
شئان قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للثبوت والهوى المنهي عن اتباعه
كما يكون هو هو الشخص في نفسه فقد يكون ايضا هو غيره فاسم مني عن اتباع
هذا وهذا المضادة كل منهما الله الذي ارسل به رسوله وانزل به كتيبه
فصل في المحبة النافعة محبة الزوجة وما ملكت يمين الرجل فانها
معينة على ما شرع الله سبحانه له النكاح وحكمه اليمين من اعفاف الرجل نفسه واهله
فلا تعلق لنفسه الى سواها من الهوى ويعرف فلا تعلق لنفسه الى غيره وكلما كانت المحبة بين
الزوجين اتم واقوى كان هذا المقصود اتم واكمل قال تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة
وجعل منهن أزواجهن ليسكن اليها وقال ومن آياته ان خلقكم من انفسكم أزواجا

لنستكنوا اليها وجعل بينكم ومودة ورحمة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل من
احب الناس ليك فقال عائشة واذا حدثت عنهما قال حدثني
الصديق بن الصدوق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البراءة من فوق سبع سموات وفي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حبيبي من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة
فلا عيب على الرجل في محبته لاهله وعشقه لها الا اذا شغله ذلك عما هو ارفع له من
محبة الله ورسوله وزاحم حبه وحب رسوله فان كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله
بحيث تضعفها وتقصيها في مذمومة وان اعانت على محبة الله ورسوله وكانت
من اسباب قوتها في محموده ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الشراب البارد الحلو
ويحب الحلو والعسل ويحب الخيل وكان احب الاشياء اليه القميص وكان يحب الدباء في
المحبة لا تراحم محبة الله بل قد تجمع الهم والقلب على التفرغ لمحبة الله فهذه محبة طبعية
تتبع نية صاحبهما وقصد فاعلها محبة فان نويها القوة على امر الله وطاعته كانت
قربة وان فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثبت ولم يعاقب وان فاته ورحمة
من فعله متقربا به الى الله فالمحبة هي النافعة ثلاثة انواع محبة الله والمحبة في الله
ومحبة ما يعين على طاعة الله واجتناب معصيته والمحبة المضادة لثلاثة انواع
المحبة مع الله ومحبة ما يبغضه الله ومحبة ما يقطع عنها محبة عن محبة الله او
تقصيها فهذه ستة انواع عليها مدار محاب الخلق فمحبة الله اصل المحاب المحمودة
واصل الايمان والتوحيد والنوعان الاخران تبع لها والمحبة مع الله اصل الشرك
والمحاب المذمومة والنوعان الاخران تبع لها ومحبة الصور المحرمة وعشقها
من موجبات الشرك وكلما كان العبد اقرب الى الشرك وابتعد عن الاخلاص كانت
محبة بعشق الصور اشد وكلما كان اكثر اخلاصا واشد توحيدا كان البعد
عن عشق الصور ولما اصاب امرأة العزيز ما اصابها من العشق لشركها وانجا
منه يوسف الصديق باخلاصه قال تعالى ذكر لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من
عبادنا المخلصين فالسوء العشق والفحشاء الزنا فالمخلص قد خلاص حبه فخلصه
من فتنة عشق الصور والشرك قلبه متعلق بخير الله لم يخلص توحيدا وجبه لله
فصل ومن ابلغ كيد الشيطان ومخبريته بالمفتونين بالصور انه في
احدهم انه انما يحب ذلك الامر او تلك المرأة الاجنبية لله لا للفا حشيه ويا مره عوا
خاته وهذا من جنس المخادنة بل هو مخادنة باطنه كذوات الاخدان اللاتي قال

مطلب المحبة النافعة

الله فيمن محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان وقال في حق الرجال
محصنين غير مسافحات ولا متخذات اخدان فيظنون للناس ان محبة تلك الصور
لله ويبطنون اتخاذاها خذنا يلتذون بها فعلا او تقبلا او تمتعا بمجرد النظر
والمخادنة والمعاشره واعتقادهم ان هذا لله وان قربة وطاعة وهو من اعظم
الضلال والغي وسبيل الذين حيث جعلوا ما كرهه الله سبحانه محبوا له وذلك
من نوع الشرك والمحبة المتخذين دون الله طاعت فان اعتقاد كون التمتع
بالمحبة والنظر والمخادنة وبعض المباشرة لله وان فيه كفر وشرك كاعتقاد مجي
الافان في اوثانهم وقد بلغ الجهل في كثير من هؤلاء ان يعتقد ان التعاون
على الفاحشة تعاون على الخير والبر وان الجالب محسن الى العاشق جدير بالثواب
وانه ساع في دوائه وشفائه وتفرج كرب العشق عنه وان من نفس عن مؤمن
كربة في كرب الدنيا نفس الله عنه كربة في كرب يوم القيمة **فصل** ثم هم
يوردون هذا الضلال والغي اربعة اقسام قوم يعتقدون ان هذا لله وهذا
كثير في طوائف العامة والمنسبيين الى الفقر والتقصو وكثير من الابرار وقوم
يعلمون في الباطن ان هذا ليس لله وانما يظنون انه لله خداعا ومكرا وتسترا
وهو الامر وجه اقرب الى المغفرة من اولئك لما يبرح لهم من التوبة ومن جهة اخذ
لانهم يعلمون التحريم ويأتون المحرم واولئك قد يشبه الامر على بعضهم كما اشبهه
كثير من الناس ان استماع اصوات الملاهي قربة وطاعة ووقع في ذلك من شأ الله
من الزهاد والعباد فلذلك اشبهه على من هو اضعف علما وايماناً ان التمتع بعشق الصور
ومشا هذين معاشرهما عبادة وقربة القسم الثالث مقصودهم الفاحشة الكبرى
فتارة يكونون في اولئك الضالين الذين يعتقدون ان هذه المحبة التي لا وطى فيها لله
وان الفاحشة معصية فيقولون نفعل شيئا لله ونفعل امر الخير الله وتارة يكونون
من اهل القسم الثاني الذين يظنون ان هذه المحبة لله وهم يعلمون ان الامر بخلاف
ذلك فيجمعون بين الكذب والفاحشة وهم في هذه المخادنة والمواخاة مضاهون
للتكاج فانه يحصل بين هذين من الاقتران والازدواج والمخالطة نظير ما يحصل
بين الزوجين وقد يزدان عليه تارة في الكم والكيف وقد ينقص عنه ويحصل بينهما
من الاقتران ما يشبه اقتران المتواخيين المتحابين في الله لكن الذين امنوا شديدا لله فان

المتحابين في الله يعظم تحابيهما ويقوى ويثبت بخلاف هذه المواخاة والمحبة
الشيطانية ثم قد يشند بينهما الاتصال حتى يسمونه زواجا ويقولون تزوج فلان
بفلانة كما يفعل المستهزؤون بايات الله ودينه من مجاز الفسقة ويقوم المحاضرون
على ذلك ويضحكون منه ويعجبهم مثل ذلك المزاح والنكاح وربما يقول بعض زناد
قة هؤلاء الامر حبيب الله والملاهي عند الله وربما اعتقد كثير من المردان ان هذا
صحيح وانه يراى بقوله اذا احب الله العبد نادى يا جبريل لي احب فلانا فاحبه الحق
ولله توضع له المحبة في الارض فيعجب ان يحب ويفتخر بذلك بين الناس ويعجب ان
يقال هو معشوق او حضوة البلد وان الناس يتغايرون على محبته ونحو ذلك
وقد لا الامر بكثير من هؤلاء الى ترجيع وطى المردان على نكاح النسوان وقالوا
هم اسلم من الجبل والولادة ومؤنة النكاح والشكوى الى القاضي وفرض النفقة والحبس
على المحقوق وربما قال بعضهم ان جماع النساء ياخذ من القوة اكثر مما ياخذ جماع
الصبيان لان الفرق يجذب من القوة والماء اكثر مما يجذب المحل الاخر بحكم الطبيعة
وقسمت هذه الطائفة المفعولية الى ثلاثة اقسام مواجر ومملوك ومعشوق
خاص فالاول باراء البغايا المواجهات انفسهن والثاني باراء الامة والسريته
والثالث باراء الزوجة والاجنبية المعشوقة وتعوض كل منهم بقسم عن نظيره من
الاناث وربما فضل بعضهم اتخاذا المردان واستفراشهم على النساء من وجوه و
هذا مضادة ومخادة لله ودينه وكتبه ورسله وصنف بعضهم كتابا في هذا الباب
وقال في اثنائه باب في المذهب الملكي وذكر فيه الجماع في الدبر من الذكور والاناث
وقد علم ان ما كارهه الله كما من اشد الناس واشدهم مذهبا في هذا الباب
حق انه يوجب قتل اللوطي حدا بكونه اوثيا وقوله في ذلك هو اصح المذاهب
كما دلت عليه النصوص وانفق عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان اختلفت
اقوالهم في كيفية قتله كما سنده ان شأ الله تعالى وسبب غلط هذا وامثاله انه قد
نسب الى مالك القول بجواز وطى الرجل امراته في دبرها وهو كذب على مالك وعلى
اصحابه فكيف يمكن ما مصرحة بتحريمه ثم لما استقر عند هؤلاء ان ما لا يبيح ذلك
نقلوا الاباحه من الاناث الى الذكور وجعلوا الباب بايا واحدا وهذا كفر وزندقة
قابله باجماع الامة ونظير هذا ما يتوهمه كثير من الفسقة وجهال الترك وغيرهم ان

مذهبا في حنيفة ان هذا ليس من الكبار وغايته ان يكون صغيره من الصغار وهذا
 من اعظم الكذب والبهت على الامة فقد اعاد الله باحيفه واصحابه من ذلك وشبهه هولا
 الفسقة والجميلة انهم لما راوا ابا حنيفة لم يوجب فيه الحد كبا على ذلك انه ليس من كبار
 الذنوب بل من صغارها وهذا ظن كاذب فان ابا حنيفة لم يسقط فيه الحد لخفة امره فان
 حرمه جرمه عنده وعند جميع اهل الاسلام اعظم من جرأ الزنا ولهذا عاقبه الله سبحانه
 اهله بما لم يعاقب به امة من الامة وجمع عليهم من انواع العذاب ما لم يجمعوا على غيرهم
 وشبهه من اسقط فيه الحد ان تخش هذا امر كوز في طباع الامة فاكفى فيه بالوازع
 الطبيعي كما اكفى بذلك في كل الرجيع وشرب البول والدم ورتب الحد على شرب الخمر لكونه
 مما تدعو اليه النفوس والجمهور يجيبون بان في النفوس الخبيثة المتعدية حدود
 الله اقوى الداعي لذلك فالحد فيه اولى من الحد في الزنا ولذلك وجب الحد على من و
 طى امره وابنته وخالته وجدته وان كان في النفوس وازع وزاجر طبيعي عن ذلك
 بل حد هذا القتل بكل حال بكونه كان او محصنا في اصح الاقوال وهو مذهب احمد
 وغيره وهذا نفرة النفوس عن ذلك اعظم بكثير من نفرة عن الردان ونظير هذا
 الظن الكاذب والغلط الفاحش ظن كثير من الجمال ان الفاحشة بالملوك كالمساحة
 او مباحة وانما ليس من ارتكابها من المحرقات وتاوت هذه الفقرة القران على ذلك واخذت
 الملوك في قوله تعالى لا على اولادهم او ما ملكت ايماهم حتى ان بعض النساء تمكن عبدا
 من نفسها وتناول القران على ذلك كما رفع الى عمر بن الخطاب امرأة تزوجت عبدا وتاوت
 هذه الآية ففرق عمر بينهما وادبها وقال ويحك ان هذا الرجل لا للنساء من تناول
 هذه الآية على وطى الذكر من الممالك فهو كافر باقفا والامة **قال شيخنا** ومن
 هو لا من تناول قوله تعالى لعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم على ذلك قال
 قد سألني مرة بعض الناس عن هذه الآية وكان ممن يقرأ القران فظن ان معناها
 في اباحه ذكر ان العبد المؤمن قال ومنهم من جعل ذلك مسئلة نزاع بينه
 بعض العلماء ويجرمه بعضهم ويقولون اختلافا في شبهة وهذا كذب وجهل فانه ليس
 في فرق الامة من يسبح ذلك بل ولا في دين من اديان الرسل وانما يسبحه زنادقة العالم
 الذين لا يؤمنون بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر قال ومنهم من يقول هو مباح
 للضرورة مثل ان يبقى الرجل اربعين يوما لا يجمع الى ائمة هذه الامور التي خاطب فيها رسالي غمها طول

من الجند والامة والفقراء قال ومنهم من قد بلغه خلافا لبعض العلماء في وجوب
 الحد فيه فظن ان ذلك خلافا في التحريم ولم يعلم ان الشيء قد يكون من اعظم
 المحرمات كاللينة والدم ولحم الخنزير وليس فيه حد فقد رثه ذلكا لخلاف قد يكون
 قولا ضعيفا فيقول من ذلك القول الضعيف الذي هو من خطا بعض المجتهدين و
 هذا الظن الفاسد الذي هو خطا بعض المجتهدين بتدليل الدين وطاعة الشيا
 طين ومعصية رب العالمين فاذا انضافت الاقوال الباطلة الى الظنون الكاذبة
 واعانتها الاهوية الغالبة فلا تسال عن تدليل الدين بعد ذلك والخروج عن جملة
 الشرايع بالكلية ولما سهل هذا الامر في نفوس كثير من الناس صار كثير من الممالك
 يتمدح بانه لا يعرف غير سيده وان لم يطله سواه كما تتمدح الامة والمرأة بانهما
 لا تعرف غير سيدها وزوجها وكذلك كثير من المراءان يتمدح بانه لا يعرف غير
 خديته وصديقه او موافقه او معلمه وكذلك كثير من الفاعلين يتمدح بعففيه عما
 سوى خديته الذي هو قريينه وعشيرته كالزوجه او عن ماسو مملوكه الذي هو كسرة
 ومنهم من ان التحريم انما هو الكراهة الصبي على فعل الفاحشة فاذا كان مختارا راضيا
 لم يكن بذلك باس وكان المحرم عنده من ذلك انما هو الظلم والعدوان باكره المفعول
 به **قال شيخنا** وحكي لي بعض من اتق به ان بعض هؤلاء اخذ على هذه الفاحشة
 فحكم عليه بالحد فقال الله هو ارتضى بذلك وما اكرهته ولا غصبت فكيف اعاقب فقال
 نصير المشركين وكان حاضرا هذا حكم محمد بن عبد الله وليس لهؤلاء ذنب ومن هؤلاء
 من يعتقد ان العشق اذا بلغ بالعاشق الى حد يخاف معه التلف ابيع له وطى
 بعشوقه للضرورة وحفظ النفس كما تباع له الميتة والدم ولحم الخنزير في المحصنة
 وقديح هو لا شر في الخمر على وجه التداوي وحفظ الصحة اذا سلم من معرة السكر
 ولا ريب ان الكفر والفسوق والمباح في درجات كما ان الايمان والعمل الصالح درجات
 كما قال تعالى درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقال لكل درجات مما عملوا و
 ما ركب بغافل عما يعملون وقال انما النسبي زيادة في الكفر وقال فاما الذين امنوا
 فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم
 ونظايرهم في القران كثيرة ومن اخف هؤلاء جرم من يرتكب ذلك معتقدا بتحريمه
 وانه اذا قضى حاجته قال استغفر الله وكانت ما كان لم يكن فقد تلاعب الشيطان

قال الله نصير الكفرة
 الكذب على الله وعاد رسوله
 نفوذ بالله من مضاف
 الفتن

باكثر هذا الخلق كمالا عباصيات بالكره واخرج لهم انواع الكفر والفسوق والعصيان
 في كل قالب وبالجملة فمراتب الفاحشة متفاوتة بحسب مفاسد ما فيها فالمتخذ خذنا من
 النساء والمتخذة خذنا من الرجال قل شرا من المسابقة والمسابقة مع كل احد المستغنى
 بما يرتكبه اقل اثما من المجاهر المستعلن والكاتم له اقل اثما من المخبر به المحدث
 للناس به فهذا الجسد من عافية الله وعفو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كل اثمى معافا الا
 المجاهرين وان من المجاهرة ان يستتر الله عليه ثم يصبح يكشفه الله عليه يقول
 يا فلان فعلت البارحة كذا وكذا فيبين ربه يستتره له ويصبح يكشفه الله عليه
 عن نفسه او كما قال وفي الحديث الاخر عنه صلى الله عليه وسلم من ابتلي من هذه الفاذول
 بشي فليست تر يستتر الله فانه من يبتلي لنا صفحة نعم عليه كتاب الله وفي الحديث
 الاخر ان الخطية اذا اخفيت لم تضرب الا صاحبها ولكن اذا اعلنت فلم تنكر ضرت
 العامة وكذلك الزنا امرأة لا زوج لها اليسر اثما من الزنا بذات الزوج لما فيه من ظلم
 الزوج والعدوان عليه وافساد فراشه عليه وقد يكون اثم هذا اعظم من اثم
 مجرد الزنا او دونه والزنا بحليلة الجار اعظم اثما من الزنا بغيره الدار لما اقترن
 بذلك من اذى الجار وعدم حفظ وصية الله ورسوله وكذلك الزنا بامرأة الغاري
 في سبيل الله اعظم اثما عند الله من الزنا بغيرها ولا يذيق الله يوم القيمة ويقال
 خذ من حسنة ما شئت وكما تختلف درجاته بحسب المرفي بها فكذلك تفاوت
 درجاته بحسب الزمان والمكان والاحوال وبحسب الفاعل فالزنا في رمضان ليلا
 او نهارا اعظم اثما منه في غيره وكذلك في البقاع الشريفة المفضلة هو اعظم اثما منه
 فيما سواها واما تفاوته بحسب الفاعل فالزنا من الحر اقبح منه من العبد ولهذا كان
 حده على النصف من حده ومن المحصن اقبح منه من البكر ومن الشيخ اقبح منه
 من الشاب ولهذا كان احد الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينكحهم ولا هم
 لهم عذاب لهم الشيخ الرافي ومن العالم اقبح منه من الجاهل لعلمه بقبحه وما يرتب
 عليه واقامة على بصيرة ومن القادر على الاستغناء عنه اقبح منه الفقير العاجز
فصل وما ينبغي ان يعلم انه قد يقرن بالايسر اثما ما يجعله اعظم
 اثما مما هو فوقه مثاله قد يقرن بالفاحشة من العشق الذي يوجب شغل القلب
 بالمعشوق وتاله وتعتظيمه والخضوع له والذل له وتقديم طاعته وما ياتر

على طاعة الله ورسوله وامره فيقترن بحجة خذته وتعتظيمه ومولا لاه من يواليه
 ومعادات من يعاديه ومحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ما قد يكون اعظم ضررا
 على صاحبه من مجرد ركوب الفاحشة فان المحبوب لا يغير الله قد اثبت الشارع فيها
 اسم التعبد بقوله في الحديث الصحيح تعبد الدينار تعبد الدرهم تعبد لقطيفة
 نفس عبد الخبيصة نفس وانكسر واذا اشبك فلما تنتشر ان اعطي رضي وان منع سخط
 رواه البخاري فسمي هؤلاء الذين اعطوا رضوا وان منعوا سخطوا عبد الله
 الاشيا لانها محبتهم ورضاهم ورغبتهم اليها فاذا اشتغف الانسان بحجة صورة لغير الله
 بحيث يرضيه وصوله اليها وظفروها ويسخطه فوات ذلك كان من التعبد لها بقدر
 ذلك ولهذا يجعلون الحب مراتبا ولها العلاقة ثم الصباية ثم الغرام ثم العشق واهل
 ذلك التثيم وهو التعبد للمعشوق فصير العاشق عبد للمعشوق والله سبحانه انما
 حكى عشق الصور في القرآن عن المشركين فحكاها عن امرأة العزيز وكانت مشركة على
 دين زوجها وكانوا مشركين وحكاها عن اللوطية وكانوا مشركين فقال تعالى في قصتهم
 لعمر ك انهم لفي سكرتهم يعمهون واخبر سبحانه ليصرفه عن اهل الاخلاص فقال كذلك
 لنصر في عنه السوء والفحشا انه من عباده المخلصين وقال تعالى عن عدوه اليسر قال
 فبعزتك لا غوينهم اجمعين الان عبدك منهم المخلصين وقال تعالى ان عبادي ليس
 عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والغاوي ضد الراشد والعشق المحرم من
 اعظم الغي ولهذا كان اتباع الشعراء واهل السماع الشعري غاوين كما سماهم الله سبحانه
 بذلك في قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاويون فالغاويون يتبعون الشعراء واصحاب
 السماع الشعري الشيطاني وهو لا ينبغي كون عن طلبه وصاله او على سوال نواله كما قال
 ابو تمام لرجل ما تعرفني فقال ومن اعرف بك عني

- انت بين اثنين تبرز للناس • وكلناها بوجه هذا
- لست تنفك طالبا لوصال • من جيب ارجيا لنوال
- اي ما يبق لوجهك هذا • بين ذل اليك وذل سوال

والزنا بالفرج وان كان اعظم من الاثم بالصغيرة كالنظر والقبلة والمهر لکن
 اصرار العاشق على محبة الفعل وتوابعه ولو اذنه وتسميه وحديث نفسه به انه لا
 يتركه واشتغال قلبه بالمعشوق قد يكون اعظم ضررا من فعل الفاحشة مرة بشي كثير
 فان الاصرار على الصغيرة قد يسيء ويثمه اثم الكبيره او يزيه عليه وايضا فان

تعبد القلب للمعشوق شرك وفعل الفاحشة معصية ومفسده الشرك اعظم من مفسدة
المعصية وايضا فانه قد يتخلص من الكبيرة بالتوبة والاستغفار واما العشق اذا
تمكن من القلب فانه يعز عليه التخلص منه كما قال القائل **تالله ما استلوا حظك**
امرا الا وعز على الورى استنقاذه بل يصير تعبدا لازما للقلب لا يفكر عنه وعلوم
ان هذا اعظم ضررا وفسادا من فاحشة يرتكبها مع كراهيته لها وقلبه غير متعبدا
ارتكبها منه وقد اخبر الله سبحانه ان سلطان الشيطان انما هو على الذين يتولونه
والذين هم به مشركون وان سلطانه انما هو على من اتبعه من الغاوين والغيا تابع
الهوى والشهوات كما ان الضلالة اتباع الظنون والشبهات واصل النجس من الحب الغير
فانه يضعف الاخلاص به ويقوى الشرك بقوة فاصحاب العشق الشيطاني لهم من
تولي الشيطان والاشراك به بقدر ذلك ما فيهم من الاشراك بالله ولما فاتهم من
الاخلاص له ففهم نصيب من اتخاذ الانداد ولما تولى كثير منهم عبد الذل للمعشوق
متيما فيه يصير في حضوره ونغيبه انه عبيده فهو اعظم ذكرا له من ربه وجهه
في قلبه اعظم من حبه وكفى به شاهدا بذلك على نفسه بل الانسان على نفسه بصيرة و
لو اني معاذيره فلو خير بين رضاه ورضا الله لاختر رضا معشوقه على رضائه
ولقا معشوقه احب اليه من لقاء ربه وتمنيه لقربه اعظم من تمنيه لقرب ربه وهربه
من سخطه عليه اشد من هربه من سخط ربه عليه يسخط ربه بمروضاة
معشوقه ويقدم مصالح معشوقه وحوايجه على طاعة ربه فان فضل من وقته
فضله وكان عنده قليل من الايمان صرف تلك الفضلة في طاعة ربه وان استغرق
الزمان حوائج معشوقه ومصالحه صرف زمانه كله فيها واهمل امر الله بجوارحه
بكل نفيسة ونفيس ويجعل ربه من ماله ان يجعل له كل ذليلة وخسيس فليمعشوقه
ليه وقلبه وجهه ووقته وخالص ماله وربه على الفضلة قد اتخذ راءة ظمرا وصار
لذكره نسيان ان قام في خدمته في الصلاة فليسانه بناجيه وقلبه بناجي معشوقه
ووجهه بدنه الى القبلة ووجه قلبه الى المعشوق ينقر خدته ربه حتى كأنه واقف في
الصلاة على الحجر من ثقلها عليه وتكلفه لفعالها فاذا جأت خدعة المعشوق اقبل
عليها بقلبه وبدنه فراحاها ناصحا له فيها خفيفة على قلبه لا يستثقلها ولا يستطيلها
ولا يربك هو لافه الذين اتخذوا من دون الله ندا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا

وعشقم لجميع المحرمات الاربع من الفواحش الظاهرة والباطنة والاثم والبغي وغير
الحق والشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله ما لا يعلم فان هذا من
لوازم الشرك فكل مشرك يقول على الله ما لا يعلم فكثير ما يوجد في هذا العشق من الشرك
الاكبر والاصغر ومن قتل النفوس تغاير على المعشوق واخذ احوال الناس بالباطل
ليصرفها في رضا المعشوق ومن الفاحشة والكذب والظلم ما لا يخفاه واصل ذلك
كله من خلوا القلب من محبة الله والاخلاص له والتشريك بينه وبين غيره في المحبة
محبة ما يحب الغير الله فيقوم ذلك في القلب ويعمل بموجبه بالجوارح وهذا هو حقيقة
اتباع الهوى في الارث ما تحت اديم السماء له يعبد اعظم عند الله من هوى تنبع وقال
نعا افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على
بصره غشاوة الاية واذا تأملت حال عشاق الصور المتيمنين فيها وجدت هذه الاية
منطبقة عليهم مخبرة عن حالهم قال بعض العلماء ليس شيء من المحبوبات يستوعب
محبة القلب الا محبة الله او محبة بشر مثله كما محبة الله في التي خلق لها العباد
وبها غاية سعادتهم وكال نعيمهم واما البشر المماثل من ذكرا وانثى فان فيه من
المشاكل والناسبة بين العاشق وبينه ما ليس مثله بينه وبين جنس اخر من المخلوق
قات ولهذا لا يعرف في محبة شيء من المحبوبات المخالفة للمحبة في الجنس ما ينيل العقل
ويفسد الادراك ويوجب نقصا لارادة غير ذلك المحبوب وانما يعرف ذلك في محبة
لجنسه فيستوعب قلبه ويسلب له ويصير لمعشوقه سامعا مطيعا كما قيل

ان هو اك الذي بقلبي صيرني سامعا مطيعا

ويقول هذا السمع والطاعة عند كثير من العشاق حتى يبذل نفسه ويسلمها للتلف
في طاعة معشوقه كما يبذل المجاهد نفسه لربه حتى يقتل في سبيله واذا كان النبي صلى الله عليه
وقم قد قال في الحديث الذي رواه احمد وغيره شاربا الخمر او قال مد من الخمر كعابدين
ومر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون في الظن يا عاشق المقيم الغافي في معشوقه ولهذا اقرن الله سبحانه بين
الخمر والاضراب وهي الاضنام التي تعبد من دون الله فقال يا ايها الذين امنوا انما الخمر
الميسر والاضراب والارزاقم رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلمكم تغفون
انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله

وعنه الصلاة فهل انتم متهمون ومعلوم ان شاربا الخمر لا يدوم سكره بما لا يدوم
ان يفوق ولعل اوقات فاقته اكثر من اوقات سكره واما سكرة العشق فقل ان
يستفيق صاحبها الا اذا اجات الرسل تطالبه للقدوم على الله واذا استمرت سكرة
اللوطية حتى فحشهم عذاب الله وعقوبته وهم في سكرتهم يعمهون فكيف اذا خرج العشق
الى حد الجنون المطبق كما انشد محمد بن جعفر الخرابطي في كتاب اعتلال القلوب قال
انشدني الصياد لاني قال كنت على راسي فقلت ليا العشق اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وانما يصير المجنون في الحين
فصاحبه احق بان يشبه بعابد الوثن والعاكف حول التماثيل فان عكوف قلب العاشق
على صورة محبوبه وتمثاله يشبه عكوف عابد الصنم على صنمه واذا كان الشيطان يريد
ان يوقع العداوة والبغضاء بين المسلمين في الخمر والميسر ويصدكم بذلك عن ذكر الله
وعن الصلاة فالعداوة والبغضاء والصد الذي يوقعه بالعشق اعظم بكثير وجميع
المعاصي يجتمع فيها هذان الوصفان وهما العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله
وعن الصلاة فان التحاب والتوافر انما هو بالايمان والعمل الصالح كما قال تعالى
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداي يلقى بينهم المحبة فيحب
بعضهم بعضا فيترحمون ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض وقال
ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرهم العبادات قال هزم بن حيان ما قبل عبد بقلبه الى الله
الا قبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم واهل المعاصي والفسق
وان كان بينهم نوع مودة وتحاب فانها تنقلب عداوة وبغضاء وفي الغالب تتجلى لهم ذلك
في الدنيا قبل الآخرة واما في الآخرة فقال تعالى الا خلا يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المستقين وقال امام الحنفية القوم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم
في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا فالمعاصي
كلها توجب ذلك وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وذلك في الخمر والميسر الذين
هما من اواخر المحرمات تنبيه على ما في غيرهما من ذلك مما حرم قبلهما وهو
تحريرا منهما فان ما يوقعه قتل النفوس وسرقة الاموال وارتكاب الفواحش
من ذلك وما يصد به عن ذكر الله وعن الصلاة اضعا فاضعا فما يقتضيه

الخمر والميسر والواقع شاهد بذلك وكف وقع وهو واقع بين الناس بسبب عشق
الصور من العداوة والبغضاء وزوال اللفة والمحبة وانقلابها عداوة واما صد
عن ذكر الله فقلب العاشق ليس فيه موضع لغير معشوقه كما قيل
ما في الفؤاد لغير حبك موضع كلالا احدهم سواك يحله
واما صد عن الصلاة فهو ان لم يصد صورته واعمالها الظاهرة فانه يصد عن حقيقة
ومقاصدها الباطنة **فصل** وما بين ان هذه الفواحش اصلها
المحبة لغير الله سواء كان المطلوب المشاهدة او المباشرة او غير ذلك نعم في
المشركين اكثر منها في المخلصين ويوجد فيهم منها ما لا يوجد مثله في المخلصين
قال تعالى يا بني ادم لا يفتنك الشيطان كما اخرج ابراهيم من الجنة يزرع عنهما بالاسماء
ليريهما سواء هما انه يراكم هو وقيسه من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء
لذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل
ان الله لا يامر بالالفحشاء تقولون على الله ما لا تعلمون قل انما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فاحذر سبحانه انه جعل الشياطين اولياء للذين لا
يؤمنون وهو قوله تعالى افتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين
بدلا وقال تعالى في الشيطان انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
واخبر عنه انه اقسم بعهده ربه انه يغوي عباده اجمعين واستثنى اهل الاخلاص منهم
واخبر سبحانه عن اولياء الشيطان انهم اذا فعلوا فاحشة احتجوا بتقليد اسلافهم
فهم وزعموا ان الله سبحانه امرهم بها فاتبعوا الظن الكاذب والهوى الباطل قال شيخنا
وفي هذا الوصف نصيب كبير لكثير من المتسبين الى القبلة من الصوفية والعباد والامراء
والاجناد والمتفلسفة المتكلمين والعامة وغيرهم يستحلون من الفواحش ما
حرم الله ورسوله ظانين ان الله اباحه او تقليد الاسلافهم واصلة العشق
الذي يبغضه الله فكثير منهم يجعلونه دينا ويرى انه يتقرب به الى الله اما الزعم انه
يزكي النفس ويهذبها واما الزعم انه يجمع بذلك قلبه على ادبي ثم ينقله الى عبادة الله
وحده واما الزعم ان الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهدة ويسمونها مظاهر
الجمال الاحدي واما الاعتقاد حلول الرب فيها واتحاده بها ولما تجد بين نساك

هو لا وفقرائهم وامراهم واصحابهم توافقوا وتألفوا على اتحاذ انذار من دون الله
يحبونهم كحب الله اما تدنيا واما شهوة واما جمع بين الامرين ولهذا يتألفون و
يجمعون على السماع الشيطاني الذي يمدح المحب المشترك فيمدح من كل قلب ما فيه
من المحب وسبب ذلك خلق القلب مما خلقه من عبادة الله التي تجمع محبة وتكثيرة
والخضوع والذل والوقوف امر ونهي ومحابه ومساخطة فاذا كان في القلب
وحدان حلاوة الايمان وذوق طعمه اغناه ذلك عن محبة الانذار وتألمها واذا خلا
القلب من ذلك احتاج الى ان يستبدل به ما يهواه ويتخذ الهة وهذا من تبدل
الدين وتغير فطرة الله التي فطر عليها عباده قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطر
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله اي نفس خلق الله لا تبديل له فلا يخلو
الخلق الا على الفطرة كما ان خلقه للأعضاء على السلامة من الشؤ والقطع ولا تبديل
لنفس هذا الخلق ولكن يقع التغيير في المخلوق بعد خلقه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودان وينصرانه ويمجسانه كما تنبع البهيمة
بهيمة جمعها هل تحسبون فيها من جد عا حتى تكونوا انتم تجدونها فالقلوب
مفطورة على حب الهاتها واطرها وتالهه فصرف ذلك التاله والمحنة الى غير تغيير
للفطرة ولما تغيرت فطرة الناس بعث الله الرسل بصلواتها ووردها الى حالها
التي خلقت عليها فمن استجاب لم يرجع الى اصل الفطرة ومن لم يستجب لم يمسح
تغير الفطرة وفسادها **فصل** والفطنة بعشق الصور تنافي ان
يكون دين العبد كله لله بل ينقص من كون دينه الله بحسب ما حصل له من فطنة
العشق وربما اخرجت صاحبه من ان يبقى معه شيء من الدين لله قال تعالى
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لنا فقلنا قاتلوا من الفتن وبيد
كون الدين كله لله فكل منهما يناقض الاخر والفطنة قد فسدت بالشرك في
حصلت به فطنة القلوب فهو ما شرك واما من اسباب الشرك وهي جنس كثيرة
انواع من الشبهات والشهوات وفطنة الذين اتخذوا من دون الله ائذا ايجوا
كحب الله من اعظم الفتن ومنه فطنة اصحاب الجمل كما قال تعالى موسى انا قد فتنا قومك
من بعدك وكذلك فطنة العشاق من اعظم الفتن قال ومنهم من يقول الذين
لي ولا تقنني الا في الفطنة سقطوا نزلت في الجدين قيس لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم

تبوك قاله هل لك يا جدي في جلال بني الاصغر تتخذ منهم السراري والوصفا قال الجدي
ايذن لي في القعود عنك فقد عرف قومي اني مغرم بالنساء والى اخشي ان رابت بنات بني
الاصفر ان لا اصبر عنهم فانزل الله هذه الآية قال ابن زيد يريد لا تقنني بصباحة
وجوههم وقال ابو العالمة لا تعرضني للفطنة وقوله تعالى الا في الفطنة سقطوا قال
قتاده ما سقط فيه من الفطنة يتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عنه
اعظم فالفطنة التي فرمها بزعمه هي فطنة محبة النساء وعدم صبره عنهم والفطنة التي وقع فيها
هي فطنة الشرك والكفر والعذاب في الآخرة ولفظ الفطنة في كتاب الله يراد بها الامتحان
الذي لم يفتن صاحبها بل خلص منه الانسان ويراد به الامتحان الذي حصل به امتحان
فمن الاول قوله تعالى موسى وقناك فتونا ومن الثاني قوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
وقوله الا في الفطنة سقطوا ويطلق على ما تبنا ولا الامر من قوله تعالى الله احسب
الناس ان يتركوا ان يقولوا اننا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلم الله
الذين صدقوا وليعلم الكاذبين ومنه قول موسى ان هي الا فتنة تفضل بها تشاؤ وتمدح
من تشاؤ اي امتحانك وابسلاوك تفضل بها من وقع فيها وتمدح من نجاه منها وتطلق
الفطنة على اعم من ذلك كقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة قال تعالى اي بلا وشغل
عن الآخرة قال ابن عباس فلا تطيعوهم في معصية الله وقال الزجاج اعلمهم الله
ان الاموال والاولاد ما يفتنون به وهذا عام في جميع الاولاد فان الانسان مفتون
بولده لانه ربما عصى الله بسببه وتناول الحرام لاجله ووقع في العظام الامن
عصية الله تعالى ويشهد لهذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب فجا الحسين
عليه ما فيه صان احرار يفتن ان فتنة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم ما فخذها فوضعها
في حجره على المنبر وقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رابت هذين الصبيين
فلم اصبر عنهما وقال ابن مسعود لا يقول احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفطنة فانه
ليس احد منكم الا وهو مشتمل على فتنة لان الله تعالى يقول انما اموالكم واولادكم فتنة
فايكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن ومنه قوله تعالى وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة وهذا عام في جميع المخلوق امتحن بعضهم ببعض فاستمعوا للرسول
بالرسول اليهم ودعوتهم الى الحق والصبر على اذاهم وتحمل المشاق في تبليغهم رسالا
ربهم وافتحن الرسول اليهم بالرسول هل يطيعون وينصرون ويصدقون ام يكونون رافضين ويقاتلونهم

خ
خ
صلها وهدي

وامتنع العلماء بالجهال يعلمونهم وينصرونهم ويصبرون على تعليمهم ونصحتهم
وارشادهم ولو ازم ذلك وامتنع الجهال بالعلماء هل يطيعونهم ويمتدنونهم و
امتنع الملوك بالرعية والرعية بالملوك وامتنع الاغنياء بالفقراء والفقراء بالاغنياء
وامتنع الاقوياء بالضعفاء والضعفاء بالاقوياء والسادة بالاتباع والاتباع بالسادة و
امتنع المالكين بملوكهم وملكهم بملوكهم وامتنع الرجل بمرأته وامتنع الرجل
بالنساء والنساء بالرجال والمؤمنين بالكفار والكفار بالمؤمنين وامتنع الامور بالمعروف
بمن يأمرونهم وامتنع المأمورين بهم ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاء وهم من
اتباع الرسول فتنه لاغنيائهم وروسائهم من الايمان بعد معرفتهم بصدق الرسل
وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه هؤلاء وقالوا النوح ان من كذبنا بعدك الارذلون
قال تعالى وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا اهول من الله عليهم من بيننا فاذا راى
الشريف المخلص المسكين الدليل قد سبقه الى الايمان واتباعه الرسول حمي
انفان يسلم ويكون مثله فيقولوا اسلم واكون انا وهذا الوضع على حد سواء قال
الزجاج كان الرجل الشريف يهابه ارادة الاسلام فيمتنع منه لئلا يقال اسلم قبله من
هود ونه فيقيم على كفره لئلا يكون للمسلم السابقة عليه في الفضل ومن كونا بعض
الناس لبعضهم فتنه لئلا يترك هذا الغنى ويقول الضعيف هلا كنت مثل القوي
ويقول المبسلي هلا كنت مثل المعافا وقال الكفار لمن يؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله
قال مقاتل نزلت في افتتان المشركين بفقر المهاجرين نحو بلال وخباب وصهيب
وابي ذر وابن مسعود وعمار كان كفار قريش يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا
محمد من مواليه وذا الناق قال تعالى ان كان فريق من عبادي يقولون ربنا اننا فاغفر
لنا وارحمنا وانت خير الرحيم فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم
تفخكون التي جزيتهم اليوم بما صبروا لانهم هم الفايرون فاخبر سبحانه انه جزا
هم على صبرهم كما قال تعالى وجعلنا بعضهم لضعف فتنه اتصبرون قال الزجاج
اي اتصبرون على البلاء فقد عرفتم ما وجد الصابرون قلت قرن الله سبحانه
الفتنه بالصبر ها هنا وفي قوله ان ربك للذين هاهنا جروا من بعد ما فتنوا
ثم جا هدا وصبروا فليس لمن قد فتن بفتنة دوا مثل الصبر فان صبر كانت

الفتنه فمحصلة له ومخلصه من الذنوب كما يخلص الكبير حيث الذهب الفتنه فالفتنه
كبر العقوب ومحك الايمان وبها يتبين الصادق من الكاذب قال تعالى ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فالفتنه قسم للناس
الى صادق وكاذب ومؤمن ومنافق وطيب وخبيث فمن صبر عليها كانت رحمة في حقهم
ونجا بصبره من فتنه اعظم منها ومن لم يصبر عليها وقع في فتنه اشد منها فالفتنه
لا بد منها في الدنيا والاخرة كما قال تعالى يومهم على النار فيفتنون ذوقا فتنتكم هذا الذي
كنتم به تستعجلون فالنار فتنه من لم يصبر على فتنه الدنيا قال تعالى شجرة الزقوم التي جعلنا
ها فتنه للظالمين قال قتادة لما ذكر الله هذه الشجرة افتن بها الظلمة فقالوا يكون في النار
شجرة والنار تاكل الشجر فانزل الله سبحانه انها شجرة تخرج في اصل الجحيم فاخبرهم
ان غذاهم النار اي غذيت بالنار قال ابن قتيبة قد يكون شجرة الزقوم نباتا من
من النار ومن جوهر لا تاكله النار وكذلك سلاسل النار واغلاها وعقاربها وجيا
نها ولو كانت على ما يعلم لم تنق على النار وانما دلنا الله على الغالب عنده بالحاضر عندنا
فالاسماء متفقة للدلالة والمعاني مختلفة وعلى الجنة من ثمرها وفروعها وشجرها وجميع
الاتها على مثل ذلك والمقصود ان هذه الشجرة فتنه لهم في الدنيا بتكذيبهم وفتنة لهم في
الاخرة باكلهم منها وكذلك اخباره سبحانه بان عذبة الملائكة بالنار تسعة عشر كان
فتنة للكفار والكفار حيث قال عدو الله ابو جهل ان يخوفكم محمد بتسعة عشر وانتم الكفار
ان يعجزكم كرامة منكم ان يسطشوا بواحد منهم ثم تخرجون من النار فقال ابو الاسود بن العيص
قريش اذ كان يوم القيمة فانا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين
وتسعة بمنكبي اليسر في النار ثم تمضي فتدخل الجنة فكان ذكر هذا العدد فتنه
لهم في الدنيا وفتنة لهم يوم القيمة والكافر مفتون بالمومن في الدنيا كما ان المومن مفتون
به ولهذا سال المومنون ربهم ان لا يجعلهم فتنه للذين كفروا كما قال الخنفر بن ابيك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا وقال اصحاب موسى ربنا
لا تجعلنا فتنه للظالمين قال مجاهد المعنى لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب
من عندك فيقولون لو كان هو الا على الحق ما اصابهم هذا وقال الزجاج معناه لا
تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق فيفتنوا بذلك وقال الفراء لا تظهر علينا الكفار
فيروا انهم على حق وانا على باطل وقال مقاتل لا تقتر علينا الرزق وتبسطه عليهم فيكون

ويعقوب اولي الايدي والابصار فالايدي القوة والعزائم في ذات الله والابصار البصا
ير في امر الله وعبارات السلف تدور على ذلك قال ابن عباس اولي القوة في طاعة الله
والمعرفة بالله وقال الكلبي القوة في العباد والصبر فيها وقال بجاهد الايدي القوة في
طاعة الله والابصار البصر في الحق وقال سعيد بن جبير الايدي القوة في العمل والابصار
بصرهم بما هم فيه من دينهم وقد جاء في حديث من سئل ان الله يحب البصير الناقذ عند ورود
الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات فكما ان العقل والبصر تدفع فتنه الشهوة
وكما ان البصيرة واليقين تدفع فتنه الشبهة والله المستعان **فصل** اذا
سلم العبد من فتنه الشبهات والشهوات حصل له اعظم غايتي مطلوبين بهما
سعادته وفلاحه وكماله وهما الهدى والرحمة قال تعالى عن موسى وقناه فوجدنا عبدا من
عبادنا اتيناها رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما فجمع له بين الرحمة والعلم وذكر نظير
قولا اصحاب الكهف ربنا اتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا فان الرشيد
هو العلم بما ينفع والعمل به والرشد والهدى اذا اتزدا كل منهما تسمى الاخر واذا قرنا
احدهما بالآخر فالهدى هو العلم بالحق والرشد هو العمل به وضدهما الغي والباطل
الهدى وقد يقابل الرشيد بالضر والشر قال تعالى قل لي لا املاككم ضرا ولا رشدا وقال
موسى الحق وانا لا اذري اشرار يدعي في الارض ام اراد بهم رشدا فالرشد
يقابل الغي تارة كما في قوله وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوا سبيلا وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا ويقابل الضر والشر كما تقدم وذلك لان الغي سبيل للحصول الشر
والضر وقوعها بصاحبه فالضر والشر غاية الغي وثمرته كما ان الرحمة والفلاح غا
ية الهدى وثمرته فلم يزد يقابل كل منهما بانقيضه وسبب انقيضه يقابل الهدى بالضللال لقوله
يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله ان تحصر على هدايتهم فان الله لا يهدي من
يضل وهو كثير ويقابل بالضللال والعذاب كقول من اتبع هدايتي فلا يضل ولا
يشقى فقابل الهدى بالضللال والشر والنجى ويجمع سبحانه بين الهدى والفلاح والهدى والرحمة
كما يجمع بين الضلال والشقا والضللال والعذاب كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر
فالضللال ضد الهدى والسعر العذاب وهو ضد الرحمة وقال ومن اعرض عن ذكرى
فان له عيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى والمقصود ان من لم من فتنه
الشبهات والشهوات جمع له بين الهدى والرحمة والهدى والفلاح قال تعالى ولما

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب
وقال تعالى لما سكنت عن موسى الغضب اخذنا لواح وفي نسخها هدى ورحمة
للذين هم لربهم رهيبون وقال تعالى هذا بصاير من ربكم وهذه رحمة لقوم يوقنون
وقال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الابصار ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديهم وهذه رحمة لقوم يؤمنون وقال تعالى يا ايها الناس قد جئتكم بموعظة من
ربكم وشفاء لما في الصدور وهذه رحمة للمؤمنين فقوله تعالى هذا بصاير من ربكم عام
مطلق وقوله وهذه رحمة لقوم يوقنون خاص باهل اليقين ونظيره ذكر قوله تعالى
يا ايها الناس قد جئتكم بموعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهذه رحمة للمؤمنين
ونظيره في الخصوص قوله هذه للمتقين وقوله يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام
ونظيره ايضا قوله تعالى هدايات للناس هدى وموعظة للمتقين وقد اخبر الله هدى عام
لجميع المكلفين فقال ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس لقد جاءهم من ربهم الهدى
فاخبر سبحانه ان القرآن بصاير لجميع الناس والبصاير جمع بصير وهي فعيلة بمعنى
مفعلة اي بصيرة لمن تبصر ومنه قوله تعالى واتينا نوحا ناقة ببصرة اي ببينة من جبه
للتبصر وفعل الابصار فيستعمل لازما ومتعدا يقال ابصرته بمعنى رايتيه وابصرته
اريتيه فبصرة في الآية بمعنى تربية لا بمعنى راية والذين ظنوها بمعنى راية غلطوا
في الآية وتخيروا في معناها فانه يقال بصريه وابصره فتعد بالباشرة والهمزة
تارة ثم يقال ابصرته كذا اي رايتيه اياه كما يقال بصرت به وبصره هوبه فهنا بصير و
تبصر قوم بصرة فالبصيرة المبينة التي تبصر والتبصر مصدر مثل التذكره ويسمى بها
ما يوجب التبصر فيقال هذه الآية تبصرة تكونها الله التبصره وموجبه فالقران بصيره
وتبصره وهذه وشفاء ورحمة بمعنى عام ومعنى خاص والهدى يذكر سبحانه هذا وهذا
فهو هدى للعالمين وهذه للمتقين وشفاء للعالمين وشفاء للمؤمنين وموعظة للعالمين
وموعظة للمتقين فهو في نفسه هدى ورحمة وشفاء وموعظة فمن اهتدى به او اعط
واشتفى كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به الشفاء فهو دواء له بالفعل و
ان لم يستعمله فهو دواء له بالقوة وكذلك الهدى فالقران هدى بالفعل له اهتدى و
بالقوة لمن يهتدي به فانما يهتدى به ويرحم ويتعظ المتقون المؤمنون والهدى في
الاصل مصدر هدى يهدي هدى فمن لم يعمل بعلمه لم يكن مهتديا كما في الاثر من ان زاد

علموا ولم يزدوا هذا لم يزدوا من الله الا بعدا ولكن يسمى هدي لان من شأنه ان يهدي
وهذا احسن من قول من قال انه هدي بمعنى هاد فهو مصدر بمعنى الفاعل
كقول بمعنى الحادل وزرور بمعنى الزاير ورجل صوم اي بمعنى صائم فان الله سبحانه
قد اخبرنا به هدي فالله الهادي وكتابه الهدى الذي يهدي به على لسان رسوله فهنا
ثلاثة اشياء فاعل وقابل والذ فالفاعل هو الله عز وجل والقابل قلب العبد والآلة
هو الذي يحصل به الهدى وهو الكتاب المنزل والله سبحانه يهدي خلقه هدي كما يقال
دلم دلالة وارشد هم ارشاد اوبين لهم بياننا والمقصود ان المحل القابل هو قلب العبد
المتقي المنيب الى ربه الخائف منه الذي يتبع رضاه ويبتغي عنه مسخطة فاذا هداه فكانه
وصل اثر فعله الى محل قابل فاثربه فصار هدي وشفاء ورحمة وموعظة بالوجوب
والفعل والقبول واذا لم يكن المحل قابلا وصل اليه الهدى فلم يؤثر فيه كما يصل الغذاء
الى محل غير قابل للاغذاء فانه لا يؤثر فيه شيئا بل لا يترك الاضعفا وفساد كما قال تعالى
في السورة التي ينزلها فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين
في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وقال ونزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فتخلف الاهداء يكون لعدم
قبول المحل تارة ولعدم الية الهدى تارة ولعدم فعل الفاعل وهو الهادي تارة ولا يحصل
الهدى على الحقيقة الا عند اجتماع هذه الامور الثلاثة وقد قال سبحانه ولعلم الله
فيهم خيرا لا سمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فاحذر سبحانه انه قطع عنهم
مادة الاهداء وهو سماع قلوبهم وانها ما ما ينفعها لعدم قبول المحل فانه لا خير
فيه فان الرجل انما يتقاد للحق بالخير الذي فيه والميل اليه والطلب له ومحبته والحرص
عليه والفرج بالظفرية وهو لا ليس في قلوبهم شيء من ذلك فوصل الهدى اليها ووقع
عليها كما يصل الغيث النازل من السماء ويقع على الارض الغليظة العالمية التي
لا تمسك ماء ولا تنبت كلا فلا هي قابلة للماء ولا للنبات فالما في نفسه رحمة وحياة
ولكن ليس فيها قبول له ثم ان هذا في حقهم بقوله ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
ان فيهم مع عدم القبول والفهم افة اخرى وهي الكبر والاعراض وفساد القصد
فلو لم يمتنعوا ولم يتبعوا الحق ولم يعملوا به فالهدى في حق هؤلاء هدي بيان
واقانة حجة لا هدي توفيق وارشاد فلم يتصل الهدى في حقهم بالرحمة واما المؤمنون

فانصل

مطلب محضر

فانصل الهدى في حقهم بالرحمة فصار القرآن لهم هدي ورحمة ولا وليك هدي بالرحمة و
الرحمة المقارنة للهدى في حق المؤمنين عاجلة واجلة فاما العاجلة فاعطيتهم الله
في الدنيا من محبة الخير والبر وذوق طعم الايمان وجدان حلالة والفرج والسرور
بان هداهم الله لما اضل عنه غيرهم ولما اختلف فيه من الحق باذنه فهم يتقلبون في نور
هداه ويمشون به في الناس ويردون غيرهم متحيرين في الظلمات فهم اشد الناس فرحا
بما اتاههم من الهدى قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون فامر سبحانه عباده المؤمنين المهيتمين ان يفرحوا بفضل الله ورحمته وقدره
دائرة عبارات السلف على ان الفضل والرحمة هو العلم والايمان والقرآن واتباع الر
سول وهذا من اعظم الرحمة التي رحم الله بها من يشاء من عباده فان الامن والعافية
والسرور ولذة القلب والنعيم وبهجة وطمانينة مع الايمان والهدى الى طريق السعادة
والفلاح والخوف والهم والغم والبلا والالم والقلق مع الضلال والخير ومثل هذا
بمسافرين احدهما قد اهدى لطريق مقصده فسار ارضا مطمينا والاخر قد ضل
الطريق فلا يدري اين يتوجه كما قال تعالى قل ان دعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هداانا الله كالدري استهوى الشياطين في الارض
حيث ان له اصحاب يدعون الى الهدى اينما قل ان هدي الله هو الهدى فالرحمة التي تحصل
للمن حصل له الهدى هي بحسب هداه فكما كان نصيبه من الهدى اتم كان حظ من الرحمة
او فر وهذه هي الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين وهي غير الرحمة العامة بالبر والفا
جر وقد جمع سبحانه لاهل هدايته بين الهدى والرحمة والصلاة عليهم فقال
اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليئك هم المهتدون قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه نعم العبدان ونعمت الحلوة فبا الهدى خلصوا من الضلال وبالرحمة
نجوا من الشقاء والعذاب وبالصلاة عليهم نالوا منزلة القرب والكرامة والصالو
حصل لهم ضد هذه الثلاثة الضلال عن طريق السعادة والوقوع في ضد الرحمة من
الالم والعذاب والذم واللعن الذي هو ضد الصلاة ولما كان نصيب كل عبد من
الرحمة قدر نصيبه من الهدى كان اكمل المؤمنين ايمانا اعظمهم رحمة كما قال تعالى في
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله والذين امنوا معه اشد اعلى
الكفار رحما بينهم وكان الصديق رضي الله عنه من ارحم الامة وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم ارحم امتي باقي ابوبكر رواه الترمذي وكان ابوبكر اعلم الصحابة باتفاق

الصحابه كما قال ابو سعيد الخدري وكان ابو بكر اعلمنا به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فجمع له بين سعة العلم والرحمة وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته وقد
وسع ربنا كل شيء رحمة وعلما فوسعت رحمته كل شيء واحاط بكل شيء علما فهو ارحم
بعباده من الوالد بولد هابل هو ارحم بالعبد من نفسه كما هو اعلم بمصلحة العبد
من نفسه والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعي فيما يضره ويؤلمها وينقص حظها
من كرامته وثوابه ويبعد هاهنا من قربه وهو يظن انه ينفعها ويكرمها وهذا غايبة
الظلم والجمل والانسان ظلموم جهول فكيف من مكرم لنفسه بزاغته وهو لا يميز بين مرفه
لها وهو لها شعبة معطيها بعض غرضها ولذا لها وقد حال بينها وبين جميع لذاتها
فلا علم للمصالح التي يصلحها ولا راحة عندها لما في ما يبلغ عدوه منه ما يبلغ هو من
نفسه قد خسر حظها واضاع حقها وعطل مصالحها وباع نعيمها بالباقي ولذا تنال
الدائمة الكاملة بلذة فانية مشوبة بالغصا انما هي كاضغاث احلام او كطيف زار
في المنام وليس هذا بعجيب من شأنه وقد فقد نصيبه من الهدى والرحمة فلو هدي و
رحم وكان نشانه غير ذلك هذا الشأن ولكن الرب كما اعلم بالمحل الذي يصلح
للهدى والرحمة فهو الذي يوتيها للعبد كما قال عمر بن عبد قيس فوجدنا عبدا من عبادنا
اتناه رحمة من عندنا وعلما من لدنا علما ربنا انما من لا نكر رحمة وهي لنا من
امرنا رشدا **فصل** وما ينبغي ان يعلم ان الرحمة صفة تقتضي اتصال المنا
فع والمصالح الى العبد وان كرهتها لنفسه وشقت عليها فهذه هي الرحمة الحقيقية فار
حم الناس بك من شق عليك في اتصال مصالحك ودفع المضار عنك في رحمة الاب بولد
على ان يكرهه على التاديب والعلم والعمل ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره ويمنعه
شهوته التي تعود بضره ومتى اهل ذلك من ولده كان لقلته رحمة به وان ظن انه يرحمه
ويرفقه ويهين حجه فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الام ولذا كان من تمام رحمة
ارحم الراحمين تسليط انواع العبد فانه اعلم بمصلحته فابتلاؤه له وانتجانه
ونعته من كثير من اغراضه وشهوته من رحمة به ولكن العبد لجهله وظلمه بتمام ربه
ولا يعلم احسانه اليه وابتلاؤه وامتحانه وقد جاء في اثر ان المبتلى اذا ادعى له الله
ارحمه يقول الله كيف ارحم من شئ به ارحمه وفي اثر اخر ان الله اذا عبد احب احب
الدنيا وطلبها بها وشهوته كما يحكي احدكم مريضه فهذا من تمام رحمة به لان خلقه عليه

كيف وهو الجواد الماحد الذي له الجود كله وجود جميع الخلايق في جنب جوده اقل من
ذرة في جبال الدنيا ورما لها من رحمة سبحانه بعباده ابتلاؤهم بالامور والنواهي رحمة
وحنية لا حاجة منه اليهم بما امرهم به فهو الغني الحميد ولا يحتاج اليهم بما نهاهم عنه
فهو الجواد الكريم ومن رحمة ان تغص عليهم الدنيا وكدرها لئلا يسكنوا اليها ولا
لا يطمئنون اليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره فسا قهم الى ذلك بسياط
الابتلا والامتحان فمنعهم ليعطيهم وابتلاهم ليعاينهم واما انهم ليجيبهم ومن رحمة
بهم ان حذرهم نفسهم لئلا يغتروا به فيعادلوه بما لا تحسد معاملته به كما قال
تعالى وحذرهم الله نفسه والله روف بالعباد قال غير واحد من السلف من رافعة بالعباد
حذرهم من نفسهم لئلا يغتروا به **فصل** ولما كان تمام النعمة على العبد
انما هو بالهدى والرحمة كان لها ضدان الضلال والغضب فامرنا الله ان نساله كل يوم
وليلة مرات عديدة ان يهدينا صراطا الذي انعم عليهم وهم اولوا الهدى والرحمة و
يجنبنا طريق المغضوب عليهم ضد المرحومين وطريق الضالين ضد المهتدين
ولهذا كان هذا الدعاء من اجمع الدعاء وافضله واوجبه وبالله التوفيق **فصل**
اذا كان كل عمل فاصلة المحبة والارادة والمقصود به التمتع بالسداد والمحبة فكل حي
انما يعمل لما فيه نعمة ولذته فالنعم هو المقصود الاول من كل قصد وكل حكمة كما ان
العذاب والتالم هو المكروه ولا بكل بغض وكل امتناع وكيف لكن وقع الجمل والظلم
من بني ادم بمخنيين بالديار الفاسد والدنيا الفاجرة طلبوا بهما التمتع وفي الحقيقة
فانما فيه ما ضده فقامت عليهم النعم من حيث طلبوه وآثروه ووقعوا في الالم والعذاب
من حيث هو بوائبه وبيان ذلك ان الاعمال التي يعملها جميع بني ادم اما ان يتخذوها
دينا ام لا يتخذوها دينا والذين اتخذوها دينا اما ان يكون الدين بما دى حق و
اما ان يكون دينا باطلا فنقول النعم التام هو في الدين الحق علما وعملا فاهله
هم اصحاب النعم الكامل كما اخبر الله بذلك في كتابه في غير موضع كقوله اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذي انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله
عن المتقين المتقين بالكتاب واليك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقوله
فاما يا ايها الذين امنوا فليست لكم هداية فلا يضل ولا يشقى وقوله في الآية الاخرى
فمن نهي هداية فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله ان الابرار لفي نعيم

والقرآن مملون هذا فوعده اهل الهدى والعمل الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة
ورعد اهل الضلال والفجور بالشقاء في الدار الآخرة مما اتفقت عليه الرسل من
اولهم الى اخرهم وتضمنته الكتب ولكن تذكرها هنا نكتة نافعة وهي ان الانسان
قد يسمع ويرى ما يصيب كثيرا من اهل الايمان في الدنيا من المصائب وما ينال
كثيرا من الكفار والفجار والظلمة في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد
ان النعيم في الدنيا لا يكون الا للكفار والفجار وان المؤمنين حظهم من النعيم في الدنيا
قليل وكذلك قد يعتقد ان العز والنصرة في الدنيا قد تستقر للكفار والمنافقين
على المؤمنين فاذا سمع في القرآن قوله تعالى والله العزة ولمسولهم وللمؤمنين وقوله
وان جندنا لهم الغالبون وقوله كتب الله لا غلب لنا ورسلي وقوله والعاقبة للمتقين
ونحو هذه الايات وهو من يصدق بالقرآن حمل ذلك على حصوله في الدار الآخرة
فقط وقال اما الدنيا فاننا نرى الكفار والمنافقين يغلبن فيها ويظهرون ويكون
لهم النصر والقرآن لا يريد بخلاف المحس ويعتمد على هذا الظن اذا ادخل عليه عدو
من جنس الكفار والمنافقين او الفجرة الظالمين وهو عند نفسه من اهل الايمان
والتقوى فيرى ان صاحب الباطل قد غلبه على صاحب الحق فيقول انا على
الحق وانا مغلوب فصاحب الحق في هذه الدنيا مغلوب مقهور والدولة فيها
للباطل فاذا ذكر بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين والمؤمنين قال هذا
في الآخرة فقط واذا قيل له كيف يفعل الله سبحانه هذا باوليايه واجبابه و
اهل الحق فان كان ممن لا يعمل افعال الله بالحكم والمصالح قال يفعل الله في ملكه
ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يستألون وان كان ممن يعمل الانفا
ل قال فعلهم هذا ليعرضهم بالصبر عليه لثواب الآخرة وعلو الدرجات ورتب
فيه الاجور بغير حساس ولكل احد مع نفسه في هذا المقام مباحثات وايراد
واشكالات واجوبة بحسب حاصله وبضاعة من المعرفة بالله واسمايه وصفاته
نه وحكمته والجهل بذلك فالقلب تخلي بما فيها كالقرد اذا استجمعت غلبا نافلا
بلغنا وشاهدنا من كثير من هؤلاء من التنظيم للرب تعالاهم ما لا يصدرا
عن عدو فكان الجهم يخرج باصحابه فيقفهم على الجذما واهل البلا ويقول انظروا
ارحم الراحمين يفعل مثل هذا انكار الرحمة كما انكر حكمته فليس الله عندهم واتباعه

قائل الله جهما و
شيعته فما اجراهم
على الله

حكيم ولا وجهما وقال بعض كبار القوم ما على الخلق ما على الخلق اضر من الخالق
وكان بعضهم يتمثل اذا كان هذا فعله في محبة فاذا اراه في اعدائه يصنع
وانت ترى كثيرا من الناس اذا احببهم نوع من البلا يقول رب ما كان ذنبي حتى فعلت
في هذا وقال لي غير واحد اذا ثبت اليه وثبت وعلمت صالحا ضيق على رزقه في
نكد معيشتي واذا راجعت بعضينه فاعطيت نفسي مرادها جاني الرزق والعون
او نحو هذا فنقلت لبعضهم هذا امتحان منه ليرى صدقك وصبرك وهل انت صا
دق في محبة اليه واقبالك عليه فتصبر على بلايه فتكون كالعاقبة ام انت كاذب
تراجع على عقبك وهذه الاقوال والظنون الكاذبة الحايده عن الصواب مبنية
على مقدمتين احدهما حسن ظن العبد بنفسه وبدينه واعتقاده انه قائم بها
يجب عليه وتارك ما نهى عنه واعتقاده في خصمه وعدوه خلاف ذلك وان تارك
للمأمور وترك المحذور وانه نفسه الذي باله ورسوله ودينه من المقدس
الثانية اعتقاده ان الله سبحانه قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره وقد لا
يجعل له العاقبة في الدنيا بوجه من الوجوه بل يعيش عمره مظلوما مقهورا مستغنا
ما مع قيامه بما امر به ظاهر او باطنا وانتهى به عما نهى عنه باطنا وظاهرا فهو
عند نفسه قائم بشرايع الاسلام وحقايق الايمان وهو تحت قهر اهل الظلم
والفجور والعدوان فلا اله الا الله كم فسدت بهذا الاغترار من عابد جاهل ومد
ين لا بصيرة له ومنسب العلم لا معرفة له بحقايق الدين فانه من المعلوم ان
العبد وان امن بالآخرة فانه طالب في الدنيا ما لا بد منه من جلب النفع ودفع الضرر
ويعتقد انه واجب او مستحب او مباح فاذا اعتقد ان الدين الحق واتباع الهدى و
الاستقامة على التوحيد ومطابقة السنن متاي ذلك وانه يعادي جميع اهل الارض ويعرض
لما لا يقدر عليه من البلا وفوات حظوظه ومنفعة العاجلة لزم من ذلك اعراضه
عن الرغبة في كمال دينه وتجوده لله ورسوله فيعرض قلبه عن حال السابقين المقر
بين بل قد يعرض عن حال المقصدين اصحاب اليمين بل قد يدخل مع الظالمين بل
مع المنافقين وان لم يكن هذا في اصل الدين كان في كثير من فروعها وانما كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا بدر ويا الاعمال فتننا كقطع الليل المظلم يصبح الله الرجل مؤمنا
ويحسي كافرا ويمسي كافرا ويصبح مؤمنا يبيع دينه بعرض من الدنيا وذلك انه اذا اعتقد ان

الدين الكامل لا يحصل الا بفساد دنياه من حصول ضرر لا يحتمله وفوات منفعة لا
يرد منها لم يقدم على احتمال هذا الضرر ولا تقويت تلك المنفعة فسبحان الله كم صدت هذه
الفئة لكثير من الخلق بل اكثرهم عن القيام بحقيقة الدين واصلا ناشر من جهلين كبيرين
جعل بحقيقة الدين وجعل بحقيقة النعيم الذي هو غاية مطلوب النفوس وكالها وبه ابتهاجا
والتذاذها فيستولد من بين هذين الجهلين اعراضه عن القيام بحقيقة الدين وعن طلب
حقيقة النعيم ومعلوم ان كمال العبد ان يكون عارفا بالنعيم الذي يطلبه او العمل الذي يؤول
اليه وان يكون مع ذلك فيه ارادة جازية لذلك العمل ومحنة صادقة لذلك النعيم والافاعلم بما
لمطلوب وطريقه لا يحصله ان لم يقترن بذلك العمل والارادة الجازية لا توجب وجوب المراد
الا اذا ازمها الصبر فصارت سعادة العبد وكمال لذته موقوف على هذه المقادير الخمسة
علمه بالنعيم المطلوب ومحنته له وعلمه بالطريق الموصلة اليه وعلمه به وصبره على ذلك
قال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر والمقصود ان المقدمتين اللتين تبنت عليهما هذه الفئتين اصلهما الجهل
الجهل بالله ودينه ووعده ووعيدته فان العبد اذا اعتقد انه قائم بالدين الحق فقد
اعتقد انه قام بفعل الامور باطنا وظاهرا وترك المحظور باطنا وظاهرا وهذا من
جهله بالدين الحق وحالته عليه وجاهه هو المراد منه فهو جاهل بحق الله عليه جاهل بما
معه من الدين قدر لا ونوعا وصفة واذا اعتقد ان صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا والاخرة
بل قد تكون العاقبة في الدنيا للكفار والمنافقين على المؤمنين وللغفار والظالمين على
الابرار المتقين فهذا من جهله بوعده الله ووعيدته فاما المقام الاول فان العبد كثيرا ما
يترك واجبات لا يعمل بها ولا يوجبها فيكون مقصرا في العلم وكثيرا ما يتركها بعد العلم
بها ويوجبها اما كسلا وتهاونا واما لنوع تاويل باطل وتقليد او لظنه انه مشغول بما
هو واجب منها او لغير ذلك فواجبات القلوب شتى وجوبها من واجبات الابدان واكد
منها وكانها ليست من واجبات الدين عند كثير من الناس بل هي من باب الفضائل والمستحبات
فتراه يتخرج من ترك واجب من واجبات البدن وقد ترك ما هو من اهم واجبات القلوب
وافرضها ويتخرج من فعل ادنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو اشد
تحريما واعظم اثما بل ما اكثر من يتعبد لله بترك ما اوجب عليه فيتحلل وينقطع عن
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قدرته عليه ويزعم انه متقرب الى الله بذلك فيجمع على

ربه تارك ما لا يعنيه فهذا من افقت الخلق الى الله وابعضهم له مع ظنه انه قائم بحق
الايان وشرايع الاسلام وانه من خواص اوليائه وحزبه بل ما اكثر من يتعبد لله بمحرم
الله عليه ويعتقد انه طاعة وقربة وحالة في ذلك شر من حال من يعتقد ذلك محضية
واما كاصحاب السماع الشعري الذي يتقربون به الى الله ويظنون انهم من اولياء الرحمن
وهي في الحقيقة من اولياء الشيطان وما اكثر من يعتقد انه هو المظلوم الحق من كل وجه
ولا يكون الامر كذلك بل يكون معه نوع من الحق ونوع من الباطل والظلم ومع خصمه نوع
من الحق والعدل وجبك الشيء يعي ويصم والانسان مجبول على حب نفسه فهو لا يرى
الا محاسنها ويبغض لخصمه فهو لا يرى الا مساويه بل قد يشتد بغضه لنفسه حتى يكره مساويه
محاسن كما قال تعالى فمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ويشد بغض خصمه حتى يكره محاسنه
مساويه كما قال **نظروا بعين عداوة لو انهم** عين الرضا لا يستحسنوا ما استقبحوا
وهذا الجهل مقرون بالارواح والظلم غالبا فان الانسان ظلوم جهول واكثر ديانات
الخلق انما هي عبادات اخذوها عن ابائهم واسلافهم وقادروهم فيها في الابدان و
النفي والحب والبغض والموا الاله والمعاداة والله سبحانه انما ضمن نصر دينه وحزبه واوليائه
القائمين بدينه علما وعلا لم يضمن نصر الباطل ولو اعتقد صاحبه انه محق وكذلك
العزة والعلو انما هما لاهل الايمان الذي بعث الله به رسلا وانزال به كتبه وهو علم وعمل
وحال قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فللعبد من العلو بحسب ما معه من الايمان
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فله من العزة بحسب ما معه من الايمان وحقايقه لا
فاذا فاته حظ من العلو والعزة في مقابلة ما فاته من حقايق الايمان علما وعلا ظاهرا
هوا وباطنا وكذلك الدفع عن العبد هو بحسب ايمانه قال تعالى ان الله يذافع عن الذين
امنوا فاذا ضعف الدفع عنه فهد من نقص ايمانه وكذلك الكفاية والحسب في بقدر الايمان
قال تعالى يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي الله حسبك وحسب
اي كافيك وكافهم فكفايتهم بحسب اتباعهم لرسوله واتقيادهم له وطاعتهم له
فما نقص من الايمان عا د بنقصان ذلك كله ومذهبنا في اهل السنة والجماعة ان الايمان
يزيد وينقص وكذلك ولاية الله لعبده هي بحسب ايمانه قال تعالى والله ولي المؤمنين الله
ولي الذين امنوا وكذلك عصية الخاصه هي لاهل الايمان كما قال تعالى وان الله مع المحسنين
فاذا انقص الايمان وضعف كان حظ العبد من ولاية الله له وعصيته الخاصة بقدر
حظه من الايمان وكذلك النصر والتأييد الكامل انما هو لاهل الايمان الكامل

قال تعالى انا لنصر رسولنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال فايدنا
الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين فمن نقص ايمانه نقص نصيبه من النصر والكايد
ولهذا اذاصيب العبد بمصيبة في نفسه او ماله او بآله عدوه عليه فانما هي بذنوبه
اي ايا ترك واجب او فعل محرم وهو من نقص ايمانه وبهذا يزول الاشكال الذي يورده
كثير من الناس على قوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ويجيب عنه
كثير منهم بانهم يجعل الله لهم عليهم سبيلا في الآخرة ويجيب اخرون بانهم يجعل الله لهم
عليهم سبيلا في الجنة والتحقق انما مثل هذه الايات وان انفا السبيل عن اهل الايمان
الكامل فاذا ضعف الايمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقصوا من ايمانهم
فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله فالؤمن عزيز عال مولى فقصو على
مدفوع عنه بالذات ان كان ولو اجتمع عليه من باق طارها اذا قام بحقيقة الايمان
وواجبانه ظاهرا وباطنا وقد قال تعالى للمؤمنين فلا تمنوا ولا تحزنوا وانتم الا على
والله محكم ولن يترككم اعمالكم فهذا الضمان انما هو بايمانهم واعمالهم التي هي جند
من جنود الله يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقطعها عنهم فيبطلها كما يترك الكا
فريق والمنافقين اعمالهم اذ كانت لغيرة ولم تكن موافقة لامره **فصل**
اما المقام الثاني الذي وقع فيه الخلط فكثير من الناس يظن ان اهل الدين الحق
يكونون في الدنيا اذ لا مقهورين مغلوبين دائما بخلاف من فارقم الى سبيل اخرى
وطاعة اخرى فلا يثق بوعده الله بنصر دينه وعباده بل اما ان يجعل ذلك خاصا
بطائفة دون طائفة او زمان دون زمان او يجعله متعلقا بالمشيئة وان لم
يصرح بها وهذا من عدم الوثوق بوعده الله ومن سوء الفهم في كتابه والله سبحانه
قد بين في كتابه انه ناصر المؤمنين في الدنيا والآخرة قال تعالى انا لنصر رسولنا والذين
امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا فان حزب الله هم الغالبون وقال تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك
في الاولين كتب الله لا غلبن انا ورسلي وهذا كثير في القرآن وقد بين سبحانه فيه
ان ما اصاب العبد من مصيبة او اذله عدوا او كسر وغيرة ذكر فبذنوبه فبين
سبحانه في كتابه كلا المقدمتين فاذا جمعت بينهما تبين لك حقيقة الامر وزال

الاشكال بالكيفية واستغنيت عن تلك التكليفات الباردة والتاويلات البعيدة فقرر
سبحانه المقام الاول بوجوه من التقرير منها ما تقدم ومنها انه ذم من يطلب النصر
والعزم من غير المؤمنين كقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض الى قوله فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
ان نحشى ان نصيبنا وايقروا الى قوله ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب
الله هم الغالبون فانكر على من طلب النصر من غير حربه واخبر ان حزب الله
ونظير هذا قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكا
فريق اولياء من دون ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا وقال تعالى يقولون
لن نؤمن رجعتنا الى رجعتنا الى المدينة ليخربننا الا عزمنا الاذل والله العزة و
لرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقال من كان يريد العزة فلله
العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب اليه اي من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة
الله من الكلم الطيب والعمل الصالح وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله وقال يا ايها الذين امنوا اهل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب الله
الى قوله واخرى تحبون ان نصر من الله وفتح قريب الاية اي ويعطيكم اخرى فوق مغفر
الذنوب ودخول الجنة وهي النصر والفتح الى قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فا
صبحوا ظاهرين وقال تعالى للمسيح اني متوفيك ورافعك الي ومطهركم من الذين كفروا
وجاءوا الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة فلما كان للنصارى نصيب
من اتباعه كانوا فوق اليهود الى يوم القيمة ولما كان للمسلمون اتبع له من النصارى
كانوا فوق النصارى الى يوم القيمة وقال تعالى للمؤمنين ولوقا لكم الذين كفروا والولوا
الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا فهذا خطاب للمؤمنين الذين قاموا بحقايق الايمان ظاهرا وباطنا
وقال تعالى والعاقبة للمتقين وقال تعالى والعاقبة للمتقين والمواد العاقبة في الدنيا
قبل الآخرة لانه ذكر في عقيب قصة نوح ونصره على قومه فقال تعالى تذكر من ابنا الغيب
حيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين
اي عاقبة النصر لك ولمن معك كما كانت لنوح ومن آمن معه وكذلك قوله وامر
اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقين

وقال تعالى وان تصبروا وتسقوا لا يضركم كيدهم شيئا وقال بل ان تصبروا وتسقوا
يا قوم من فؤادهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف مستومين وقال تعالى اخبارا عن يوسف
ان نصر يتقوا وصبره فقال الانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويتصبر
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقال يا ايها الذين امنوا ان تسقوا الله يجعل لكم فر
قانا ويكفر عنكم سيئاتكم والفرقان هو العز والنصر والنجاة والنور الذي يفرق
بين الحق والباطل وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شي قدرا و قدره
ابن ماجه وابن ابى الدنيا عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو عمل الناس
كلام هذه الآية لو سعتهم فهذا في المقام الاول واما المقام الثاني فقال تعالى في
قصة اعدائهم لما اصابكم مصيبة قد اصابتم منكم ما قلتم ان هذا قل هو من عند
انفسكم وقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما استلهم الشيطان
ببعض ما كسبوا وقالوا اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير
وقال ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس لئليذيقهم بعض الذي عملوا
لعلهم يرجعون وقالوا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة
بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور وقالوا اذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها وان
تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يخطئون وقالوا يوقن بما كسبوا ويعف
عن كثير وقال ما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابكم من سيئة فمن انفسكم ولما
امر الله سبحانه رسوله والمؤمنين بالتباعد ما انزل اليهم وهو طاعة وهو المقدمة
الاولى وامر بانظار وعده وهو المقدمة الثانية وامر بالاستغفار والصبر لان
العبد لا بد ان يحصل له نوع تقصير وسرف في زيله الاستغفار ولا بد في انتظار
الوعد من الصبر فبالاستغفار يتم الطاعة وبالصبر يتم اليقين بالوعد وقد
جمع سبحانه بينهما في قوله فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد
ربك بالعشي والابكار وقد ذكر سبحانه في كتابه قصص الانبياء واتباعهم وكيف
انجاهم بالصبر والطاعة ثم قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب **فصل**
وتمام الكلام في هذا المقام العظيم يتبين باصول نافعة جامعة الاول انما يصيب المؤمنين

من الشرور والمحن والاذى دون ما يصيب الكفار الواقع شاهد بذلك وكذلك ما
يصيب الابرار في هذه الدنيا دون ما يصيب الفجار والفساق الظلمة بكثير الاصل الثاني
ان ما يصيب المؤمنين في الله مقرون بالرضا والاحتساب فان قاتلهم لرضا فعملهم
على الصبر والاحتساب وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء وموتهم فانهم كل ما شهدوا
العوض هان عليهم حمل المشاق والبلاء والكفار لا رضا عندهم ولا احتساب وان صبروا
فكصبر اليهايم وقد نبه تعالى على ذلك بقوله ولا تمنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا الموت
فانهم بالموت كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون فاشتركو في الالم واما تالمون
برجاء الاجر والزلفى من الله **الاصول الثالث** ان المؤمن اذا اذبح في الله فانه محمول
عنه بحسب حاله و اخلاصه و وجود حقايق الايمان في قلبه حتى يجعل عنه من الاذى ما
لو كان شي من غير العجز عن عمله وهذا من دفع الله عن عبده المؤمن فانه يدفع عنه
كثيرا من البلاء واذا كان لا بد له من شي منه دفع عنه ثقله وموته وتبعته **الاصول**
الرابع ان المحبة كلما تمكنت في القلب رست فيه كان اذى المحبة رضا محبوبه مستحلا
غير مستحوطا والمحبون يفتخرون عند احبابهم بذلك حتى قال **فصل**

فصل في هذه الاصول
التي فيها فائدة عظيمة
ورضوانه عليه

لئن سألني ان نلتني بمساةة لقد سرفني في خطرت بياك
فما الظن بمحبة المحبوب الاعلى الذي ابتلاؤه لمحبيه رحمة منه له واحسان اليه **الاصول**
السادس ان ما يصيب الكافر والفاجر المناق من العز والنصر والنجاة دون
ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن ذلك خل وكسر وهوان وان كان في الظاهر مجلا
فه قال الحسن انهم وان هاجت بهم البغال وطقطقت بهم النعال ان ذل المعصية في
قلوبهم ابي الله الا ان يذل من عصاه **الاصول السابع** ان ابتلاء المؤمن كالدواء
له يستخرج منه الادواء التي لو بقيت فيه اهلكته او نقص ثوابه وانزلت درجته فخرج
ج منه الابتلاء والامتحان تلك الادواء يستعد لتمام الاجر وعلو المنزلة ومعلوم ان
وجود هذا خير للمؤمن من عدمه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقضي
الله للمؤمن قضا الا كان خيرا له وليس ذك الا للمؤمن ان اصابته سر اشكر فكان خيرا له
وان اصابته ضر اصبر فكان خيرا له فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه
وعافيته ولما كان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاقرب اليهم فالاقرب بابتلاء المر
على حسب رتبته فان كان في دينه صلابه شدة عليه البلاء وان كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال
البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الارض وما عليه خطية **الاصول السابع** ان ما يصيب المؤمنين في هذه الدار

من اذاته عدوه عليه وغلبته له واذا له في بعض الاحيان امر لازم لا بد منه وهو
 كالحرب الشديد والبرد الشديد والامراض والغموم والهموم فهذا لازم للطبيعة
 والنشأة الانسانية في هذه الارض حتى الاطفال والبهائم لما اقتضته حكمة احكام الخا
 كمن فلو تجرد الخبير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضرر واللذة عن الالم لكان
 ذلك عالما غير هذا ونشأة اخرى غير هذه النشأة وكانت تفوت الحكمة التي مزج
 الاجلها بين الخير والشر والالم واللذة والنافع والضرر وانما يكون تخليص هذا
 وتمييزه في دار غير هذه الدار كما قال تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث
 بعضه على بعض فيرهم جميعا فيجعلهم في جهنم اولئك هم الخاسرون الاصول الثامن
 ان ابتلاء المؤمنين بغلبة عدوهم لهم وقهرهم وكسرتهم لهم الحيانة في حكم عظيمة
 لا يعلمها على الفصل التفصيل الا الله فتم استعراج عبوديتهم وذلتهم لله وانكسار
 رهم له واقفارهم اليه وسوا له نصرهم على اعدائهم ولو كانوا اديما منصورين قاهرين
 غالبين لبطروا واشروا ولو كانوا اديما مغلوبين منصورين لعلهم عدوهم لما
 قامت للدين قايمة ولا كانت للمعقود وله فاقضت حكمة احكام الحكام ان صرهم بين
 غلبتهم تارة وكونهم مغلوبين تارة فاذا غلبوا نصر عوا اليهم وانا بواله وخضعوا
 له وانكسر واله وانا بواله واذا غلبوا قاموا دونه وشعائره وامروا بالمعروف
 ونهوا عن المنكر وجاهدوا عدوهم ونصروا اولياءه ومنها انهم لو كانوا اديما منصورين
 قاهرين غالبين لدخل معهم من ليس بقصده الدين ومتابعة الرسول فانه انما ينصرون
 الى من له الغلبة والعزة ولو كانوا مغلوبين واداما لم يدخل معهم احد فانقضت
 الحكمة الالهية ان كانت لهم الدولة تارة وعليهم تارة فيميز بذلك من يريد الله ور
 سوله ومن ليس له مراد الا الدنيا والجاه ومنها انه سبحانه يحب من عباده تكميل
 عبوديته على السر والظراء وفي حالة العافية وفي البلا وفي حال اذاتهم والاداء
 له عليهم فله سبحانه على العباد في كلتي الحالين عبودية تمتنع تلك الحال
 لا يحصل الا بالما ولا يستقيم القلب بدونها كما لا يستقيم الابدان الا بالحرب والبرد
 والجوع والعطش والتعب والتصبب واضدادها فتلك المحن والبلاء شرط في
 حصول الكمال الانساني والاستقامة المطلوبة منه ووجود الملزوم بدون
 لازمه متمنع ومنها ان امتحانهم بادل عدوهم عليهم تخصصهم وتخلصهم وتتميمهم

كما قال الله

كما قال تعالى في حكمة اداله الكفار على المؤمنين يوم احد ولا تمنوا ولا تخزوا وانتم
 الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يحبسكم فرج فقد مس القوم فرج مثله وتلك الايام
 نداولها بين الناس وليعلم الله الذين امنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين
 وليحصد الله الذين امنوا ويحصد الكافرين ام حسبكم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
 الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين الى قوله وسليح جزي الله الشاكرين فذكر سبحانه
 انواعا من الحكم التي لا حيلها اذ يل عليهم الكفار بعد ان ثبتهم وقدامهم وبشرهم بانهم
 الاعلون بما اعطوا من الايمان وسلاهم بانهم وان مسهم القرح في طاعة الله
 طاعة رسوله فقد مس اعداهم القرح في عداوته وعداوة رسوله ثم اخبرهم انه
 سبحانه بحكمته يجعل الايام دولا بين الناس فيصيب كلانهم نصيبا منها كالارزاق
 والاجال ثم اخبرهم انه فعل ذلك ليعلم المؤمنين منهم وهو سبحانه بكل شيء عليم
 قبل كونه وبعد كونه ولكنه اراد ان يعلمهم موجودين مشاهدين ليعلم ايمانهم وا
 قعائهم اخبرانه سبحانه سبحانه يتخذ منهم شهداء فان الشهادة درجة عالية عنده
 ومنزلة رفيعة لا تنال الا بالقتل في سبيله فلو لا اداله العدو لم تحصل درجة
 الشهادة التي هي من احب الاشياء اليه وانفعها للعبد ثم اخبر سبحانه انه يريد تحصي
 المؤمنين اي تخليصهم من ذنوبهم بالقوبة والرجوع اليه واستغفارة من الذنوب
 التي اذبل بها عليهم العدو وانهم مع ذلك يريد ان يحصد الكافرين ببغيتهم وطغيانهم و
 عدوانهم اذا انتصروا ثم انكر عليهم حسابهم وظنهم دخول الجنة بغير جهاد ولا
 صبر وان حكمته تالي ذلك فلا يدخلونها الا بالجهاد والصبر ولو كانوا اديما منصورين
 غالبين لما جاهدوا احد ولما ابتلوا بما يصبرون عليه من اذاعائهم فهذا بعض
 حكمة في نصو عدوهم عليهم واداله في بعض الاحيان الاصول التاسع انه سبحانه
 انما خلق السموات والارض وخلق الموت والحياة وزين الارض بما عليها لابتلاء
 عباده وامتحانهم ليعلم من يريد ويريد ما عنده من يريد الدنيا وزينتها قال تعالى
 هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليعلمكم
 انكم احسن عملا وقال انما جعلنا ما على الارض زينة لئلا ينبلوكم ايمانهم احسن عملا
 وقال هو الذي خلق الموت والحياة ليعلمكم انكم احسن عملا وقال انبلوكم بالشر
 والخير فتنة والينا ترجعون وقال تعالى ولنبليكم حتى نعلم المجاهدين منكم و
 الصابرين ونبلي اخباركم وقال تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا

فيعلم

وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلم الله الذين صدقوا وليعلم الكاذبين
بين فالتاس اذ ارسل اليهم الرسل بين امرين اما ان يقول احدكم اميت اولايون من
بل يستمر على السيئات والكفر ولا بد من امتحان هذا وهذا فاما من قال اميت فلا بد
ان يمتحنه الرب ويبتلي به ليتبين هل هو صادق في قوله اميت او كاذب فان كان كاذب
بارجع على عقبيه وفرن الامتحان كما يفر من عذاب الله وان كان صادقا ثبتت على قوله
ولم يزد الا ابتلا والامتحان الايمان على ايمانه قال تعالى ولما راي المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا و
تسليما واحا من لم يؤمن فانه يمتحن في الآخرة بالعذاب ويفتن به وهي اعظم
المحتنين هذا ان سلم من امتحانه بعذاب الدنيا ونصا بها وعقوباتها التي
اوقها الله عن لم يتبع رسله وعصاهم فلا بد من المحنة في هذه الدار وفي البرزخ
وفي القيمة لكل احد ولكن المؤمن اخف محنة واسهل بلية فان الله يدفع عنه
بالايمان ويحمل عنه به ويرزقه من الصبر والثبات والرضا والتسليم ما يهون
به عليه محنة واما الكافر والفاجر فتشتد محنته ويليته وتزدوم فمحنة المؤمن
خفيفة منقطعة ومحنة الكافر والمنافق شديدة متصلة فلا بد من حصول الام
والمحنة لكل نفس امتا وكفرت لكن المؤمن يحصل له الام في الدنيا ابتداء ثم
تكون له عاقبة الدنيا والآخرة والكافر والمنافق والفاجر تحصل له المدة في
النعمه ابتداء ثم تصير في الام فلا يطعم احد انه يتخلص من المحنة والام البتة ويصير
الاصل العاشر وهو انه الانسان مدني بالطبع لا بد له ان يعيش مع الناس
والناس لهم ارادة في تصورات واعتبارات فيطلبون منه ان يوافقهم عليها
فان لم يوافقهم آذوه وعذبه وان وافقهم حصل له الاذى والعذاب من وجه
اخر فلا بد له من الناس ومخالطتهم ولا ينفك عن موافقتهم او مخالطتهم و
في الموافقة الموعظة فاكات على باطل وفي المخالفة الموعظة فاكات على باطل
اهواهم واعتقادهم وارادتهم ولا ريب ان الم المخالفة لهم في باطلهم اسهل
وايسر من الام المرتب على موافقتهم واعتبارهم يطلبون منه الموافقة على
ظلم او فاحشة او شهادة زور او المعاونه على محرم فان لم يوافقهم آذوه و
ظلموه وعادوه لكن تكون له العاقبة والنصر عليهم ان صبروا على وان
فقمهم فرارا من الم المخالفة اعقبه ذلك من الام اعظم مما فر منه والغالب انهم يسلطون

عليه فينال من الام اضعا فحاله من اللذة او لا بعدا فقتلهم فعرفة هذا ومراعاة
من انفع للعبد فالم يسير يعقب لذة عظيمة دائمة اولى بالاحتمال من لذة يسيرة
يعقبها عظيم دائم والتوفيق بيد الله الاصل الحادي عشر ان البلاء الذي يصيب
العبد في الله لا يخرج عن اربعة اقسام فانه اما ان يكون في نفسه او في ماله او
في عرضه او في اهله ومن يجب الذي في نفسه قد يكون بتلفها تارة وبثلمها بارة
التلف في هذا مجموع ما يبتلي به العبد في الله واشد هذه الاقسام المصيبة في النفس
ومن المعلوم ان الخلق كلهم يموتون وغاية هذا الموت ان تصيبه يستشهد في الله وتلك
اشرف الموتات واسهلها فانه لا يجد شهيد من الام الا مثل الم الفرصة فليس في قتل
الشهيد مصيبة زائدة على ما هو معتاد لبني ادم فمن عدم مصيبة هذا القتل اعظم من
مصيبة الموت على الفراش فهو جاهل بل موت الشهيد من اسر الموتات وافضلها واعلاها
ها ولكن الفار يظن انه بفراره يطول عمره فيمتنع بالعيش وقد كذب الله سبحانه هذا
الظن بقوله قل من ينفعكم الفرار ان فررت من الموت والقتل واذا لا تمنعون الا قليلا
فاخبر ان الفرار من الموت بالشهادة لا ينفع فلا فائدة فيه وانه لو نفع لم ينفع الا قليلا
اذ لا بد من الموت فيقوت به هذا القتل ما هو خير منه وانفع من حياة الشهيد عند ربه
ثم قال قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا و اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا فاخبر ان العبد لا يعصمه احد من الله ان اراد به سوءا
غير الموت الذي فر منه فانه من الموت لما كان يسوءه فاخبر الله سبحانه انه لو اراد به
سوءا غيره لم يعصمه احد من الله وانه قد يفر مما يسوءه من القتل في سبيل الله فيقع فيما
يسوءه ما هو اعظم منه واذا كان هذا في مصيبة النفس فكذلك الامر في مصيبة المال
والعرض والبدن وان من يخجل بماله ان ينفقه في سبيل الله واعلا كلمته سلمه الله اياه
او قيص له انفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا اخرى بل فيما يعود عليه بمضرة عاجلا واجلا
وان حبسه وادخره نفعه التمتع به ونقله الى غيره فيكون له منهاه وعلى مخالفة وزره
وكذلك من ربه بدينه او عرضه واثرا حتم على التعب لله وفي سبيله اتعب الله سبحانه
اضعا فذكر في غير سبيله ومرضاته وهذا امر يعرفه الناس بالتجارب قال ابو حازم
لما يلقى الذي لا ينقي الله من معاصيه الخلق اعظم ما يلقى الذي لا ينقي الله من معاصيه الخلق
واعبر ذلك بحال ابليس فانه امتنع من السجود لادم فرار ان يخضع له وبذل فطلب اعزاز نفسه

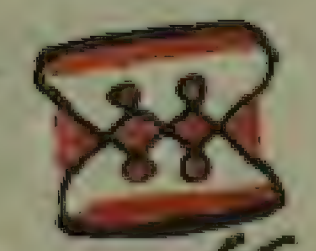
فصيره الله اذل الازلين وجعله لله خادما لاهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض
 بالسجود له ورضي ان يخدم هو وبنوه فساق ذريته وكذلك عباد الاصنام انقوا ان
 يتبعوا رسولا من البشر ويعبدوا الهوا واحدا ورضوا ان يعبدوا الهة من الاجحار
 وكذلك كل من امتنع ان يذل الله او يبذل له ماله في مرضاته او يتعب نفسه وبذنه في طاعة
 عبته لا بد ان يذل لمن لا يستحق ويبذل له ماله ويتعب نفسه وبذنه في طاعة عبته عقوبة له كما
 قال بعض السلف من امتنع ان يمشي مع اخيه خطوات في حاجته امشاه اكثر منه في غير
 طاعته **فصل في خاتمة هذا الباب في الغاية المطلوبة وجميع ما تقدم**
 كالوسيلة اليها وهي ان محبة الله تعالى والانس به والشوق الى لقائه والرضا به وعن اصل
 الدين واصلا اعماله وادائه كما ان معرفته والعلم باسمه وصفاته وافعاله اجل علوم
 الدين كلها تعرفه اجل المعارف وارادة وجهه اجل المقاصد وعبادته اشرف الاعمال
 والثناء عليه باسمه وصفاته ومدحه وتحميده اشرف الاقوال وذلك اساس الخنيفيه
 مله ابراهيم وقد قال تعالى رسوله ثم اوحينا اليك ان اسع مله ابراهيم خيفا وما كان
 من المشركين فكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي اصحابه اذا اصبحوا ان يقولوا اصبحتنا
 على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومله ابينا ابراهيم
 خيفا مسلما وما كان من المشركين وذلك هو حقيقة شهادته ان لا اله الا الله و
 عليه قام دين الاسلام الذي دين جميع الانبياء والمرسلين وليس لله دين سواه ولا
 يقبل من احد دين غيره ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من
 الخاسرين فمحبة الله سبحانه بل كونه احب اليه العبد من كل ما سواه على الاطلاق من
 اعظم واجبات الدين واكبر اصوله واجل قواعده ومن احب الله مخلوقا مثل راجحه
 فهو من الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ولا يقبل منه عمل قال تعالى ومن الناس من يتخذ
 من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واذا كان العبد لا
 يكون من اهل الايمان حتى يكون عبده ورسوله احب اليه من نفسه والهله وولده واولاده
 له والناس اجمعين ومحبة نبي محبة الله فما الظن بمحبة سبحانه وهو سبحانه لم يخلق
 الانس والجن الا لعبادته التي تضمن كمال محبته وكمال تعظيمه والذل والاجل ذلك انزل
 رسوله وانزل كتبه وشرع شرايعه وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب واستت المحبة والنار

مطلب فصل نافع
 جلاله

وانقسم الناس الى شقي وسعيد وكان الله سبحانه ليس كمثل شي فليس كمحبة واجلاله وخوفه
 محبة واجلاله لا تخافه فالمخلوق كلما خفته استوحشت منه وهربت منه والله سبحانه كلما
 خفت منه انتسبه وفررت اليه والمخلوق يخاف ظلمه وعدوانه والرب سبحانه انما يخاف
 عدله وقسطه وكذلك المحبة فان محبة المخلوق اذا لم يكن لله في عذاب للمحب وبال
 عليه وما يحصل له بها من التالم اعظم مما يحصل من اللذة وكلما كانت البعد عن الله كان
 الماوعذا بها هذا الى ما في محبة من الاعراض عنك والتعني عليك وعدم الوقا لك انما المزاحمة
 غيرك من المحبة له واما لكراهيته ومعاداة لك ولما لا اشتغاله عندك بمصالحه وما هو
 احب اليه منك واما لغير ذلك من الافات واما محبة الرب سبحانه فشاغبا غير هذا الشا
 فانه لا شيء احب اليه القلوب من خالقها وخالقها فاطرها فمواها ومعبودها ووليها ومولاها
 وربما ومديرها ورازقها ومحييها ومميتها ومحييها ونعيم النفوس وحياة الارواح وسرور
 النفوس وفوز القلوب ونور العقول وقوة العيون وعمارة الباطن فليس عند القلوب
 السليمة والارواح الطيبة والعقول الزاكية احلى ولا الذوق اطيب ولا السرور ولا انهم من محبة
 والانس به والشوق الى لقائه والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة
 والنعيم الذي يحصل له بذلك اتم من كل نعيم واللذة التي تناله اعلى من كل لذة كما اخبر بعض
 الواجدين عن حاله بقوله انه ليمر بالقلب اوقات اقرب فيما ان كان اهل المحبة في مثل هذا
 انهم لفي عيش طيب وقال اخر انه ليمر بالقلب اوقات يمتد فيها طربا بانسه بالله وحبه
 وقال اخر مساكين اهل الغفلة خروا من الدنيا وماذا اتوا اطيب ما فيها وقال اخر لو علم
 الملوك وبنو الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيف ووجدان هذه الامور وذوقها
 هو بحسب قوة المحبة وضعفها وبحسب حال ادراك المحبوب والقرب منه وكلما كانت المحبة
 اكمل وادراك المحبوب اتم والقرب منه اوفر كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم اقوى
 فمن كان بالله سبحانه واسمايه وصفاته اعرف وفيه رغب وله احب واليه اقرب وجد في
 هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه ولا يعرف الا بالذوق والوجد وحتى ذاق
 القلب في ذلك لم يمكن ان يقدم عليه حبا لغيره ولا انتسابه وكلما ازداد له حبا ازداد له عبودية
 وذل وخضوعا ورقا له وحرورية عن رق غيره فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا
 يتنعم ولا يلد ولا يطهر ولا يسكن الا بعبادة ربه وحبه والانابة اليه ولو حصل
 له جميع ما يبتذله من المخلوقات لم يطهر اليها ولم يسكن اليها بل لا تزيد الا فاته وقلقا
 حتى يظفر بما خلقه وهي له من كون الله وحده غاية مراده وغاية مطالبه فان فيه
 نقرا ذائبا الى ربه والهه من حيث هو محبوبه ومعبوده والهه ومطلوبه كما ان فيه

فقد اتي اليه من حيث هو ربه وخالفه ورازقه ومديره فكما لم يكن عتقت محبة
 اسم من القلب وقوت فيه اخرجت منه تالجه لما سواه وعبوديته له فاصبح حرا
 عزة وصيانة على وجه انواره وضيائه ومان من الاية قلبه محبة لله
 وطائفة بذكره وتتم بحرفة ولذة سرور بذكره وشوق الى لقائه وانس بقربه وان لم يحس
 به لا اشتغال قلبه بغيره وانصرف الى ما هو مشغول به فوجوده الشيء غير الاحساس و
 الشعور به وقوة ذلك ضعفه وزيادة نقصانه هو بحسب قوة الايمان وضعفه وزيا
 دته ونقصانه وحتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ونهاية مقصوده وهو المحبوب
 المحبوب المراحل بالذات والقصد الاول وكل ما سواه فانما يحبه ويريد ويطلب بها
 لا جله لم يكن قد حقق شهادة ان لا اله الا الله وما كان فيه من النقص والعيب والشرك فلم
 من موجبا ذلك من الالم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من ذلك ولو سعى في هذا المطلب بكل
 طريق واستفتح من كل باب ولم يكن مستعينا بالله متوكلا عليه فنقص اليه في حصوله يتقنا
 انه انما يحصل توفيقه ومشيئته واعانته لا طرقيه سوى ذلك بوجه من الوجوه لم يحصل
 له مطلوبه فانه عاشا الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يوصل اليه سواه ولا يدركه سواه ولا
 يعبد الا باعانه ولا بطاع الامميين لمن شائكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله
 رب العالمين واذا عرف هذا فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهواته ولذته تكون تلك
 اللذة والحلاوة الايمانية قد استمرت وتوارت ونقصت او ذهبت فانها لو كانت موجودة
 كاملة لما قدم عليها لذة وشهوة لا نسبة بينهما وبينها بوجه قابل هي ادنى من حبة خردل
 بالنسبة الى الدنيا وما فيها ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزين الزاني حين يزني وهو
 مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن
 فان ذوق حقيقة الايمان ومباشرة قلبه بمنتهى ان يوشى عليه ذلك القدر الخسيس
 وينهاه عما يشعنه وينقصه ولهذا تجد العبد اذا كان مخلصا الى ربه نبيا اليه مطمئنا بذ
 كره مشتاقا الى لقائه تجد قلبه منصرفا عن هذه المحرمات لا يلتفت اليها ولا يقول عليها
 ويرى استبداله بما هو فيه كاستبداله البحر الخسيس بالمحور النفيس ويبيعه الذ
 هب باعقاب الجزر ويبيعه المسك بالرجيع ولا يرب ان في النفوس البشرية من هي
 بهذه المثابة انما يصبوا الى ما يناسبه ويميل الى ما يشاكله وينفرد من المطالب العالية واللذ
 الكاملة كما ينفر الجمل من راحة الوارد وشاهدنا من يمسك بانفه عند وجود راحة
 المسك ويتكره بالمائتة بما من المضرة فمن خلق للعمل في الدباغة لا يجي منه العمل في صبا

الطيب ولا يلبق به ولا ياتي منه والنفس لا تترك محبوبا الا المحبوب هو احب اليها منه
 او الخوف من مكروهه هو اشوق عليها من فوات ذلك المحبوب فالذنب لعدم عدم المقضي
 له تارة لا اشتغال القلب بما هو احب اليه منه ولوجود المانع تارة من خوف فوات محبوب
 هو احب اليه منه فالاول حال من حصل له ذوق حلاوة الايمان وحقايقه والسمع به ما
 عوقض قلبه عن ميله الى الذنوب والثاني حال من عنده داع وارادة لها وعنده ايمان و
 تصديق بوعد الله ووعديه فهو خائف واقربا ان يقع فيما هو اكره اليه واشوق عليه
 فالاول للنفوس المطمينة الى ربها والثاني لاهل الجهاد والصبر وهاتان النفسان هما
 المخصوصتان بالسعادة والفلاح قال تعالى في النفس الاولى يا ايها النفس المطمينة ارجعي الى
 ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال في الثانية ثم ان ربك للذنين
 هاجر ومن بعد ما فتونا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم فالنفوس
 ثلاثة مطمينة الى ربها وهي اسرف النفوس واركاها ونفس مجاهدة صابرة ونفس فتنة
 بالشهوات والهو وهي النفس الشقية التي حظها الالم والعذاب والبعد عن الله
 والحجاب **فصل** في بيان كيد الشيطان لنفسه قبل كيد اللابوتين ثم لم
 يقتصر على ذلك حتى كاد ذرية نفسه وذرية ادم فكان مشوما على نفسه وعلى ذريته
 واوليائه واهل طاعته من الجن والانس اما كيد نفسه فان الله سبحانه لما امر بالسجود
 لادم كان في امثال امره وطاعته سعادته وفلاحه وعزه ونجاته فسولت له نفسه الجاهلة
 الظالمة ان في سجوده لادم غضاضة عليه وهضمها لنفسه اذ يخضع ويقع ساجدا
 لمخلوق من طين وهو مخلوق من نار والنار برزخه اشرف من الطين فالمخلوق منها
 خير من المخلوق منه وخضوعه الا افضل لمن هو دون غضاضة عليه وهضم لمن
 له فلما قام بقلبه هذا الهوس وقارنه الحسد لادم لما راي ربه سبحانه قد خصه به من
 انواع الكرامة فانه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكة وعلمه اسما كل شيء
 وميزه بذلك عن الملائكة واسكنه جنة فبلغ الحسد من عدوانه كل مبلغ وكان عدو الله
 يطيف به وهو صلصال كالجوار فيعجب منه ويقول لامر عظيم قد خلق هذا ولئن سلط
 علي لاعصيته ولئن سلطت عليه لاهلكته فلما تم خلق ادم في احسن تقويم واكمل صورة
 واجلها وكلت محاسنه الباطنة بالعلم والحلم والوقار وتولى سبحانه خلقه بيده فجاء
 في احسن تقويم خلق واتم صورته طوله في السما مسنون ذراعا قد البس رد الجبال و
 الحسن والمهابة والبراهير الملائكة منظر الم يشاهدوا احسن منه ولا اجل فرأوا
 كلامه سجدا له با من هم تبارك وتعالى فشق الحسد قبيصة من دبره واشتعلت في قلبه نيران الحسد



ذكر كيد الشيطان
 لنفسه قبل كيد
 للابوتين

المؤمنين فعارض النص بزعمه كفعلا وليا به من المبطلين وقال انا خير منه
خلقت من نار وخلقته من طين فاعترض عن النص الصريح وقابله بالراي الفاسد
القيح ثم ارد في ذلك بالاعتراض على العليم الحكيم الذي لا يجد العقول الى الاعتراض
على حكمته سبيلا فقال ارايتك هذا الذي كرمته على بين اخرين الى يوم القيمة لا حنتك ذرية
اذا قليلا وتحت هذا الكلام من الاعتراض معني اخبرني لم كرمته على وغور
هذا الاعتراض ان الذي فعلته ليس بحكمة ولا صواب وان الحكمة كانت تقتضي ان
يسجد هو لي لان المفضل يخضع للمفاضل فلم خالفت الحكمة ثم ارد في ذلك في تفضيل
نفسه عليه وازرايه به فقال انا خير منه ثم قرر ذلك بحجته الداحضة في تفضيل مادته و
اصله على مادة ادم واصله فانتهت له هذه المقدمات الباطنة واعتناءه بالسجود ومعصية
الرب المعبود فجمع بين الجمل والظلم والكبر والحسد والمعصية ومعارضة النص بالراي
والعقل فاهان نفسه كل الالهانه من حيث اراد تعظيمها ووضعها من حيث اراد رفعها
واذ لها من حيث اراد غزها والمهاكل الالم من حيث اراد لذتها ففعل في نفسه ما واجهه
اعظم اعدائه في مضرت لم يبلغ منه ذلك المبلغ ومن كان هذا غشه لنفسه فكيف يسبح منه العا
قل ويقبل ويواليه قال تعالى واذا قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من
الجن ففسق عن امر ربه افتخذ ذرية وذرية اوليا من دوي وهم كبر عدو وبئس للظالمين
بدلا **فصل** واما كيد اللابون فقد قص الله سبحانه علينا قصته بحماوانه
لم يزل يخدمهما ويعدهما ويمينهما المخلوق في الجنة حتى حلف لهما بالله جهنميانه انه
ناصح لهما حتى اطمانا الى قوله واجاباه الى ما طلب منهما فخر عليهما من الجنة والخروج
من الجنة ونزع لبا سمهما عنهما ما جرت وكان ذلك بكيد ومكره الذي جوابه القلم وسبق
به القدر ورد الله سبحانه كيد عليه وتدارك الابوين برحمته ومغفرته فاعادها الى الجنة
على احسن الاحوال واجملها واعاد عاقبة مكره عليه ولا يحيق المكر السي الابهله
وظن عدواه به بجهله ان الغلبة والظفر له في هذا الحرب ولم يعلم بكمين جيش
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ولا باقبال دولة
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وهذا ظن الصالحين بجهله ان الله سبحانه يتخلى عن
صفيه وجيبه الذي خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته وعلمه اسماء كل
شي من اجل كلمة اكلمها وما علم ان الطبيب قد علم المريض الدوا قبل المرض فلما احسن

بادر الى استعمال الدوا والمارة العدو وبسمه وقع في غير مقتل فبادر الى مداواة الجرح فقام
كان لم يكن به قبله بلي العدو بالذنب فاصر واحتج وعارض الامر وقدح في الحكمة ولم
يسال الاقاله ولا ندع على الزلة وبلي العيب بالذنب فاعترف وتاب وندم وتضرع واستسكا
وفزع الى مغز الخليفة وهو التوحيد والاستغفار فازيل عن العيب وغفر له الذنب
وقبل منه المتاب وفتح له من الرحمة والهداية كل باب ونحن ابنا ومن اشبه اباه فما ظلم
ومن كانت شيمته التوبة والاستغفار فقد هدي لاحسن الشيم **فصل**
ثم كاد احد ولد ادم ولم يزل يتلاعب به حتى قتل اخاه واسخطا اباه وعصا مولاه
فسن للذرية قتل النفوس وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس تقتل ظلما
الا كان على ابن ادم كفل من دمها لانه اول من سن القتل فكاد العدو وهذا القاتل بقطعة
رحمه وعقوق والديه واستخا طريبه ونقص عده وظلم نفسه وعرضه لاعظم العقاب
وحرمه حظه من جزيل الثواب **فصل** ثم جرى الامر على السداد والاستقامة
والامة واحدة والدين واحد والمعبود واحد قال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين الاية وقالوا ما كان الناس لامة واحدة فاختلوا
ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون قال سعيد عن قتادة ذكر لنا
انه كان بين ادم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا
بعد ذلك فبعث الله نوحا وكان اول رسول بعث الله الى اهل الارض وبعث عند الاختلاف
بين الناس وترك الحق وقال ابن عباس كان الناس امة واحدة كانوا على الاسلام كلهم و
هذا هو القول الصحيح في الاية وقد روي عطية عن ابن عباس كانوا امة واحدة كانوا
كفارا وهذا قول الحسن وعطا قال كان الناس من وقت وفاة ادم الى بعث نوح امة
واحدة وهي الكفر كانوا كفارا كلهم امثال البهائم فبعث الله نوحا وبرا هيم والنبيين
وهذا القول ضعيف جدا وهو منقطع عن ابن عباس والصحيح عنه خلافة قال ابن حاتم
ثنا ابو زرعة ثنا شيبان بن فروخ ثنا همام شافه عن عكرمة عن ابن عباس قال كانوا
على الاسلام كلهم وهذا هو الصواب قطعا فان ه قراءة ابي بن كعب فاختلوا فبعث
الله النبيين مبشرين ومنذرين ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في سورة يونس وما كان
الناس لامة واحدة فاختلوا والمقصود ان العدو كادهم وتلاعب بهم حتى
انفسوا قسمين كفارا ومومنين فكادهم بعبادة الاصنام وانكار البعث وكان اول

ما كاد به عباد الاصنام من جهة العكوف على القبور ونصاوير اهلها ليتذكروهم بها
كما قص الله سبحانه قصتهم في كتابه فقال وقالوا لا تذرن الهتهم ولا تذرن ودا ولا
سواعا ولا يعقوث ويعوق ونسرا قال البخاري في صحيحه عن ابن عباس ههنا
اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا وحى الشيطان الي قومهم ان انصبوا الى مجا
لسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تجد حتى اذا هلك
اوليكم ونسخ العلم عبادت وقال ابن جرير عن محمد بن قيس قال كانوا اقواما صالحين من
بني ادم وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم لو صورناهم كان اشوق
لنا الى العباداة اذا ذكرناهم فنصروهم فلما ماتوا وجاء اخرون دبا اليهم ابليس فقال انما
كانوا يعبدونهم وهم يسفون المطر فعبدوهم وقال هشام بن محمد بن السائب الكلبي
اخبرني ابي قال اول ما عبد الاصنام ان ادم لما مات جعلوه بني بنوا شيث بن ادم
في مغارة في الجبل الذي اهبط عليه ادم بارض الهند ويقال للجبل بود وهو اخضت جبل
في الارض قال هشام فاخبرني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال فكان بنوا شيث
ياتون جسد ادم في المغارة فيعظونه ويترجمون عليه فقال رجل من بني قابيل ان
لبنني شيث دوارا يدورون حوله ويعظونه وليس لكم شيء فنحت لهم صنما فكان اول
من علموا قال هشام فاخبرني ابي قال كان ودا وسواع ويعقوث ونسرا قوما
صالحين فماتوا في شهر فخرج عليهم ذواقارهم فقال رجل من بني قابيل يا قوم هل لكم
ان اعمل لكم خمسة اصنام على صورهم غيري لا اقدر ان اجعل فيها ارواحا قالوا نعم
فنحت لهم خمسة اصنام على صورهم ونصبها لهم فكان الرجل ياتي اخاه وعمه وابن عمه
فيعظمه ويسعى حوله حتى ذهب ذلك القرن الاول وكانت علت على عهد برد بن مهلبيل
بن قيسان بن انوش بن شيث بن ادم ثم جازن اخر فعظموهم اشد من تعظيم القرن
الاول ثم جازن بعدهم القرن الثالث فقالوا ما عظموا اولونا هو الاوهم يزوجون
شفاعتهم عند الله فعبدوهم وعظموهم واشتد كفرهم فبعث الله اليهم ادريس
فدعاهم فكذبوه فرفعه الله مكانا عليا ولم يزل امرهم يشدد فيما قال الكلبي عن
ابي صالح عن ابن عباس حقا ذكر نوح فبعث الله نبييا وهو يوحنا بن اربع مائة
سنة وثمانين سنة فدعاهم الى الله في نبوته عشرين ومائة سنة فعصوه وكذبوه فامر
الله ان يصنع الفلك ففرغ منها وركبها وهو ابن ستمائة وغرق من غرق ومكث
بعد ذلك ثلاث مائة سنة وخمسين سنة فكان بين ادم ونوح الفاسنة ومائتان

فاهبط المائته هذه الاصنام من ارض الى ارض حتى قدفها الى ارض جده فلما انضمت لما بقيت
على الشط نسفتم البرج عليهم ما حتى وارثها **قلت** ظاهر القرآن يدل على خلاف
هذا وان نوحا لبث في قومه الفسنة الاخيرة عام وان الله اهلكهم بالغرق بعد ان
لبث فيهم هذه المدة قال الكلبي وكان عمرو بن لحي كاهنا وله رعي من الجحش فقال عجل
السيرة والظعن من تهمه بالسعد والسلام ايت جده تجد فيها اصناما معه
فاورد هاتما متولا متعب ثم ادع العرش الى عبادتها فاجاب فاتي نوحا فاستشارها
فجعلها حتى وردت تهمه وحضر الحج فدعا العرش الى عبادتها فاجابه عوف بن عذرة
بن زيد اللات فدفع اليه ودا فجعله فكان يواد القري بدومة الجندل وسمي ابنه عبدود
فهو اول من سمي به وجعل عوف وابنه عامر اساد ناله فلم يزل بنوه يسدون حتى جاء
الله بالاسلام قال الكلبي فحدثني مالك بن حارث انه راى ودا قال وكان ابي يعقوث
باللبن اليه فيقول اسقه الهك فاشربه قال ثم رايت خالد بن الوليد كسره فجعله
جدا فاوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد لخدمته فحالت بينه و
بين خدمته بنوا عذرة وبنوا عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره قال الكلبي نقلت
لمالك بن حارثه صف لي ودا حتى كافي انظر اليه قال كان تمثال رجل كاعظم ما يكون
من الرجال قدز بري نقش عليه حلتان تترجح لمر تدبا خوي عليه سيف قد نقله
وقد تنكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء وقصعة فيها نبل يعني جعبة واجابت
عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع الى رجل من هذيل يقال له الحارث بن تميم بن سعد بن
هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان بارض يقال لها وهاط من بطن نخلة
يعبد من يلية مضر وفي ذلك يقول رجل من العرب تراهم حول قبلتهم عكوف
كما عكفت هذيل على سواع واجابته مدحج فدفع الى انهم بن عمرو المرادي يعقوث وكان
ياكمه اليمن تعبد مدحج ومن والاها واجابته هذان فدفع الى مالك بن مرثد بن خنم
يعوق فكان بقريه يقال لها خيوان تعبد هذان ومن والاها من اليمن واجابت
حمير فدفع الى رجل من ذي رعين يقال له معد كرسا فكان موضع سبائك النخ
تعبد حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذونواس فيم تزل هذه الاصنام
تعبد حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فهدمها وكسرها **قلت**
هذا شرح ما ذكره البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت

في قوم نوح في العرب تعبدوا ما ود فكانت لكلب بدوثة الجندل واما سواع فكانت
لهذيل واما يعقوب فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعقوب فكانت
لهذان واما نسر فكانت لخير لال ذي الكلاع قال وهو لا اسماء رجال صالحين من قوم
نوح وذكر ما تقدم وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجرق قصبة في النار وكان اول من سيب السوايب
وفي لفظ وغيره بن ابراهيم وقال ابن اسحق حدثني محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي
ان ابا صالح السمان حدثه انه سمع ابا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا اكنتم من الجون الخزاعي يا اكنتم رايت عمرو بن لحي بن قحمة بن خندف يجرق قصبة في النار
فما رايت رجلا اشبه برجل منكبه ولا به منك فقال اكنتم عسي ان يضربني شبيهه
يا رسول الله قال لا اكنتم من وهو كافران كان اول من غير دين اسمعيل فنصب
الاوثان واجر البحيرة وسيب السبايه ووصل الوصيله وحمي الحامي قال هشام
وحدثني بعض اهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام في بعض اموره فلما
قدم حارب من ارض البلقاء ما يورثه العماليق وهم ولد عملاق بن لاوذ بن سام
بن نوح راى يعبدون الاصنام فقال لهم ما هذه الاصنام التي تعبدون فقالوا
نستمطر بها فمطر ونستنصر بها فنصر فقال فلا تعطوني منها صنما فاسير
الى ارض العرب فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر
الناس بعبادته وتعظيمه قال هشام وحدثني ابي وغيره ان اسمعيل لما سكن مكة
وولد بها اولاده فكثروا حتى ملوا مكة ونفوا من كان بها من العماليق ضاقت عليهم مكة
ووقعت بينهم الحروب والعداوات فاخرج بعضهم بعضا فتنسحروا في البلاد والتمسوا
المعاش فكان الذي حلهم على عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يطعم من مكة ظاعن
الا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباية بمكة فحيث باحلوا وضعوه
وطافوا به طوافهم بالبيت حبال البيت وصباية به وهم على ذلك يعظمون البيت ومكة
ويحجون ويعتقرون على اثار ابراهيم واسمعيل ثم عبدوا ما استحسنوا ونسوا ما كانوا
عليه واستبدلوا بدين ابراهيم غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم
من قبلهم واستخرجوا ما كان يعبد قوم نوح وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسمعيل
يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف بعرفة والمزدلفة واهل

الدين وكانت تزار تقول في اهلها لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكه هو ك
تملكه وما ملكه وكان اول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وسيب السوايب ووصل
الوصيله وحمي الحامي عمرو بن ربيعة وهو لحي بن حارثة وهو ابو خزاعة وكانت ام
عمرو فهاجرة بنت عامر بن الحارث وكان الحارث هو الذي يلي امر الكعبة فلما بلغ عمرو
بن لحي نازعه في الولاية وقاتل جرهم ببني اسمعيل فظفروهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم
من بلاد مكة وتولى حجابة البيت ثم انه مرض مرضا شديدا فقبل له ان يبالق من ارض
الشام حمة ان اتينها برات فانها فاستحم فيها فبرا ووجد اهلها يعبدون الاصنام
فقال ما هذه فقالوا نستسقي بها المطر ونستنصر بها على العدو فقال لهم ان يعطوه
منها ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة واتخذت العرب الاصنام وكان قد
سجد لها مناة وكان منصوبا على ساحل البحر من ناحية المسلك بقديدين مكة و
المدينة وكانت العرب جميعا تعظمه وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة ومكة
وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له ولم يكن احدا شدا عظاما
له من الاوس والخزرج قال هشام وثنا رجل من قريش عن ابي عبيدة بن عبد الله
عبيدة بن جهم بن عامر بن ياسر قال كانت الاوس والخزرج ومن جاوهم من عرب
اهل يثرب وغيرهم يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رؤسهم
فاذا نفروا اتوه فحلقوا عنده رؤسهم وقاموا عنده لا يرون الحجهم قلما الا بذلك وكانت
مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فهدمها عام
الفصح ثم اتخذوا اللات بالطائف وهي احدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكانت
سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها
كانت العرب تسمي زيدا اللات وميم اللات وكانت في موضع مناة ارة مسجد الطائف
اليوم لم تزل كذلك حتى اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة
بن شعبه فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها
ظالم بن اسعد وكانت بوادي نخلة فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منه الصوت
قال هشام وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة ثاقي تلك
سمرات بطن نخلة فلما اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد فقال رايت
بطن نخلة فانك ستجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فانها فعضدها فلما جاء اليه
قال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثانية فعضدها ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل

رايت شيئا قال الا قال فاعضد الثالثة فاتاها فاذا هو بجيشية نافشة شعرها
واضعه يدها على عاتقها تضرب بايديها وخلفها سادنها فقال خالد كفو انك لا تبغها
نكراني رايت الله قد اهانك ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حمرة ثم عضد الشجرة وقتل
السادن ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب
قال هشام وكانت قرينش اصنام في جوف الكعبة وحولها واعظمها عندهم هبل وكان
فيما بلغني من عتيق امر على صورة الانسان مكسورا اليد اليمنى اذ ركة قرينش كذلك
فجعلوا له يدان ذهب وكان اول من نصبه خزمية بن معد ركة بن الياس بن نصر و
كان في جوف الكعبة وكان قد امر قداح مكتوب في احد هاه صريح وفي الاخر صلوق
ملصوقا فاذلشكوا في تولودا هدا هدا هدا هدا ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح الحقوة
وان كان ملصقا فدفعوه وكانوا اذا اختصموا في امر او ارادوا سفرا اتوه فاستقبلوا
بالقطاع عنده وهو الذي قال له ابوسفيان يوم احد اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عالم قولوا لله اعلا واجل وكان لهم اساف ونابله قال هشام ومحمد بن الحنفية
عن ابي صالح عن ابن عباس ان اسافا رجلا من جرهم يقال له اساف بن يعلى ونابله
بنت زيد بن جرهم وكان يتعشقها في لرض اليها فاقبلوا حجاجا فدخلوا البيت فو
جدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها في البيت فمسخا حجرا فاصبعوا فو
جدها مسيحين فاخر جوهها فوضعوها موضعها فعبدها الخنزاغة وقرينش
ومن حج البيت بعد من العرب قال هشام لما مسخا حجرا ووضعها عند الكعبة ليعتظ
بهما الناس فلما طال مكثهما وعبد الاصنام عبد الله وكان احدهما ملصقا بال
الكعبة والاخر في موضع زمزم فنقلت قرينش الذي كان ملصقا بالكعبة الى الاخر
فكانوا يذبحون ويحرقون عندها وكان من تلك الاصنام ذو الخلصة وكان مروة
بيضا منقوشة عليها كريمة التاج وكان له بيت بين مكة والمدنية على مسيرة سبع
ليال من مكة وكانت تعظمه وتهدم خشم وتحليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجز
الا تكفيني ذا الخلصة فسار اليه باحس فقال لته خشم وباهله فظفرهم وهدم
بيت ذي الخلصة واضرموا فيه النار وذو الخلصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وكان
لدرس صنم يقال له ذو الكفين فلما سلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو
فحرقه وكان لبني الحارث بن يشكر صنم يقال له ذو الشرى وكان لقضاة ولحم وجلد
وعامله وغطفان صنم في مشارق الشام يقال له الاقصر وكان لمزينة صنم يقال له

٢٠٠. وبه كانت تسبح عبد بهم وكان لغيرة صنم يقال له سعيبر وكان لطي صنم يقال له
الفلس وكان لكل اهل راد بمكة صنم في دارهم يعبدونه فاذا اراد احدكم السفر كان
اخرا يصنع في منزله ان يتمسح به واذا قدم من سفره كان اول ما يصنع اذا دخل
منزله ان يتمسح به قال ابن اسحق وكان لثولان صنم يقال له ثم انس بارض حو لان
يقسمون له من الغنم وحرد ثم قسما بينه وبين الله بزمهم فادخل في حوائطه من حق
ثم انس رده عليه وفيهم انزل الله سبحانه وجعلوا الله مما اذرا من الحرث والالعام فبعثنا
الى قوله ساما يحكمون قال ابن اسحق وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمية بن مدركة
صنم يقال له سعد صنم بنبلاء من الارض طويلة فاقبل رجل من بني ملكان بابل له
موبلة ليقيمها عليه استغبارا فمات ثم فلما رآه الابل وكان يهراق عليه الدما نفرت منه
فذهبت في كل وجه فغضب ربها فاخذ حجرا فزماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت
عني ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال

« آتينا الى سعد ليجمع شملنا » فشتتنا سعد فلا نحن سعد

وهل سعد الاصحى يتنقذ من الارض لا تدعو الغي ولا رشده

قال ابن اسحق وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من اشرافهم
وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له مناة فلما اسلم تيمان بن سلمة معاذ بن
جبل وابنه ومعاذ بن عمرو وغيرهم ممن اسلم وشهد العقبة كانوا يدعون بالليل على صنم
عمرو ذلك فيحملونه فيطر حوته في بعض حفرة بني سلمة وفيها عذرات الناس منكسا
على راسه فاذا اصبح عمرو قال ويلكم من غدا على المقتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه
حتى اذا وجد غسله ويطهره ويطيبه ثم قال والله لو اعلم من فعل هذا بك لآخره نادا
اسمي ونام غدا ففعلوا بصنمه مثل ذلك فيغدو يلتمسه فيجده به مثل ما كان من
الذي فيغسله ويطهره ويطيبه ثم جاب سيفه فعلقه عليه ثم قال له والله اني لا اعلم
من يصنع بك فاتري فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما امسى ونا غدا
عليه فاخذوا السيف من عنقه ثم اخذوا كلبا ميتا فقرضوه به فجعل ثم القوه في بئر
من ابار بني سلمة فيها عذرة من عذرات الناس وغدا عمرو فلم يجدوه في مكانه الذي كان
فخرج يتبعه حتى وجدوه في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما راه ابصر شانه
وكلمه من اسم من قومه فاسلم وحسن اسلامه فقال حين اسلم وعرف من الله ما عرف
وهو يدكر صنمه ذلك وما ابصر من امره ويشكر الله اذا انقذه مما كان فيه من العجز والضلالة

والله لو كنت الهام تكن انت وكلبك سطاير في قرن اف لم تفكر اله مستندن
 الآن ففشناك عن سوء الغيب الحمد لله العلي ذي المنن الوهاب الرزق ديان الد
 ين هو الذي انقذني من قبل ان اكون في ظلمة قبر زمان قال ابن اسحق واتخذ
 اهل كل دار في دارهم صفاء يعبدونه فاذا اراد رجل منهم سفرا تسع به واذا قدم من سفره
 تسع به فيكون اخر عهده به واول عهده به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد
 قالت قريش اجعل الالهة الهاء واحدا ان هذا الشيء عجاب وكانت العرب قد اتخذت
 مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كعظم الكعبة لها سدنة وحجاب ونهد لها كما
 نهدت للكعبة وتطوف بها كما تطوف بالكعبة وتخرج عندها كما تخرج عن الكعبة وكان
 الرجل اذا سافر فنزل منزلا اخذ اربعة احمار فنظرا احسنتها فأتخذها ربا وجعل
 الثلاثة اثنائي لقدرا فاذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلا اخر فعل مثل ذلك قال جيل
 بن حسن بن الربيع قال ثنا مهدي بن يمين قال سمعت ابا رجلا العطاردي يقول لما
 بعث النبي صلى الله عليه وسلم فسمعا به لحقنا بمسيلة الكذاب فالحقنا بالنار قال وكننا
 نعبد الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو احسن منه نلقى ذكره وناخذة فاذا لم نجد
 حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بهنم فحلبناها عليه ثم طفنا به وقال ابو رجلا
 ايضا كنا نعد الى الرمل فنجعله ونحلب عليه فنعبده وكننا نعد الى الحجر الابيض فنعبده
 زمانا ثم نلقه وقال ابو بكر بن ابي شعبة ثنا يزيد بن هارون اخبرنا الحجاج بن ابي زبيب
 قال سمعت ابا عثمان النهدي يقول كنا في الجاهلية نعبد حجرا فسمعا فنادى يا بنيادي
 يا اهل الرجال ان ربكم قد هلك فالتمسوا ربا قال فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما
 نحن كذلك نطلبه اذا نحن بمناد ينادي انا قد وجدنا ربكم او شيعهم فاذا حجرا فنحرق عليه
 الجزر وقال محمد بن سعد اخبرنا حماد بن عمار قال حدثني الحجاج بن صفوان عن ابن ابي
 حسين عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة قال كنت امرؤ ممن يعبد الحجارة فينزل
 الحكي ليس معهم اله فيخرج الرجل منهم فياتي باربعة احمار فينصب ثلاثة لقدرة ويجعل
 احسنها الهاء يعبدونه ثم لعله يجد ما هو احسن منه قبل ان يرتحل فيتركه وياخذ غيره
 ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وجد حول البيت ثلاث مائة وستين صنما فجعل
 يطعن بسية قوسه في وجوهها وعيونها ويقول جا الحق وزهوا الباطل ان الباطل
 كان زهوقا وهي تنسا قسطا على رءوسها ثم امر بها فاخرحت في المسجد وحرق **نصل**
 وتلاعب الشيطان بالمشركون في عبادة الاصنام لم استبا عديده تلاعب بكل قوم على قدر

عقلم فطائفة دعاهم الى عبادة تها من جهة تعظيم الموق الذين صوروا تلك الاصنام
 على صورهم كما تقدم في قوم نوح واما العن النبي صلى الله عليه وسلم المتخذين على القبول
 المساجد والصور السرج ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه سبحانه ان لا يجعل
 قبره وثنا يعبد ونهى امته ان يتخذوا قبره عيدا وقال اشيد غضبت على قوم اتخذوا
 قبور انبيائهم مساجد وامر بتسوية القبور وطس التماثيل فاني المشركون الاخلافة
 في ذلك كله اما جهلا واما عناد الالهة التوحيد ولم يضرهم ذلك شيئا وهذا السبب
 الغالب على عوام المشركين واما خواصهم فانهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب
 الموثقة في العالم عندهم وجعلوا الهاء بيوتنا وسدنة وحجابا وحجورا وانا ولم تزل
 هذه في الدنيا قديما وحديثا فتمت بيت على راس جبل باصمها كان به اصنام اخترها
 بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار ونما بيت ثان وثالث ورابع بصنعا بناء بعض
 المشركين على اسم الزهرة فخر به عثمان بن عفان رضي الله عنه ونما بيت بناء قابوس
 الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخر به المعتصم واشد الامم في هذا النوع من
 الشرك الهند قال يحيى بن بشران شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهم
 ووضع لهم اصناما وجعل اعظم بيوتها بيتا بمدينة من مدائن الهند وجعل فيه
 صنمهم الاعظم وزعم انه بصورة اله يولي الاكبر وفتحت هذه المدينة في ايام الحجاج
 واسمها الملتان فاراد المسلمون قلع الصنم فقبل ان تركتموه ولم تعلقوه جعلنا لكم
 ثلث ما يجتمع لكم المال فامر عبد الملك بن مروان ان يتركه فالهند تجح اليه من نحو
 الف فرسخ ولا بد من يحجم ان يحمل معه من النقد ما يمكنه من مائة الى عشرة الاف
 لا يكون اقل من هذا ولا اكثر فيلقه في صندوق هناك عظيم ويطلق بالصنم فاذا
 ذهبوا ورجعوا الى بلادهم قسم ذلك المال ثلثة للمسلمين وثلثة للمدنية وثلثة
 وثلثة لسدنة الصنم ومصالحه واصل هذا المذهب من مشركي العصابة وهم قوم اهل
 الذين نأظروهم الشرك وكسر حجهم بعلمهم واليه فطلبوا تحريقه وهو مذاهب
 قديم في العالم واهله طواغيت فيهم عباد الشمس زعموا انها ملك من الملائكة لا تفر
 وعقل وهي اصل نور القمر والكواكب وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها
 وهي عند تلك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والدعاء من شر يعبدون في عبادة
 انهم اتخذوا الهاء صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه
 وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة ياتون

البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم ويأتيه اصحاب العاهات فيصو
 مون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستشفون به وهم اذا طلعت الشمس سجدا
 كلهم لها واذا غربت واذا توسطت لذلك ولها يقارنها الشيطان في هذه الاو
 قات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له ولها انما النبي صلى الله عليه وسلم عن تحري الصلاة
 في هذه الاوقات قطعاً للمشابهة الكفار ظاهراً وسدا للذريعة الشرك وعبادة
 الاصنام **فصل** وطائفة اخرى اتخذت القمر صنماً وزعموا انه يستحق
 التعظيم والعبادة واليه تدبر هذا العالم السفلي ومن شرعية عبادته انهم اتخذوا
 له صنفاً على شكل عجل ونحوه اربعة وبسبب الصنم جرهرة يعبدونه ويسجدون له
 ويصومون له اياماً معلومة من كل شهر ثم ياتون اليه بالطعام والشراب والفرج
 والسرور فاذا فرغوا من الاكل اخذوا في الرقص والغناء واصوات الحازف بين يديه
 وعندهم من يعبد اصناماً اتخذوها على صورة الكواكب وروحانيتها بزمهم وبنوا
 لها هياكل وتعبداً لكل كوكب منها هيكلاً يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه
 ومتى اردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب السير المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوبة
 الى ابن خطيب الذي تعرف سر عبادة الاصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها وكل
 هو لا مرجعهم الى عبادة الاصنام فانهم لا يستمر لهم طريقة الا بشخص خاص على
 شكل خاص ينظرون اليه ويعكفون عليه ومن هاهنا اتخذ اصحاب الروحانيات
 والكواكب اصناماً زعموا انها على صورتها فوضع الصنم انما كان في الاصل على شكل
 واحد معبود غائب فجعل الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نايباً منابه
 وقائماً مقامه والافن المعلوم ان عاقلاً لا ينجح خشية او محرابه ثم يعتقد
 انه المعبود ومعجوده ومن اسباب عبادتها ايضا ان الشياطين تدخل فيما وتخططهم
 منها وتخبرهم ببعض المغيبات وتدلهم على بعض ما يخفي عليهم وهم لا يشاهدون
 الشياطين فجهلهم وسقطهم يظنون ان الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب وعقله
 يقولون ان تلك روحانيات الاصنام وبعضهم يقول انها الملائكة وبعضهم
 يقول انها العقول المجردة وبعضهم يقول هي روحانيات الاجرام العلوية وكثير منهم
 لا يسأل عما بعد بل اذا سمع الخطاب من الصنم اتخذها الهاء ولا يسأل عما وراء ذلك و
 بالجملة فاكثراهل الارض مفتون بعبادة الاصنام والوثان ولم يتخلص الا الحنفاء
 اتباع مله ابراهيم وعبادته في الارض من قبل نوح كما تقدم وهياكلها ووقوفها وسدتها وحجائبها

تلاعبه بعباد
 القمر والكواكب

هو الفخر الرازي

والكتب المصنفة في شرايع عبادتها طبق الارض قال امام الحنفا صلى الله عليه وسلم اجنبني
 وبني ان تعبد الاصنام رب انهم اضللت كثير من الناس والامم التي اهلكها الله بانز
 ع الهلاك كلهم كانوا يعبدون الاصنام كما فصل الله ذلك عنهم في القرآن واجبا الرسل
 واتباعهم من الموحدين وبكفي في معرفة كثرتهم وانهم اكثر اهل الارض ما صح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ان بعث النار من كل الف تسعين وتسعون وقد قال تعالى
 فاني اكثر الناس لا كفورا وقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
 وقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وقال وما وجدنا لكثرهم من عهد
 وان وجدنا اكثرهم لغاسقين ولولم تكن الفتنة بعبادة الاصنام عظيمة لما اقدم عبا
 دها على بذل نفوسهم واموالهم وابنائهم فهم يشاهدون مصارع اخوانهم ويحلم
 بهم وما يزيدهم ذلك الاحبالا وتعظيماً ويوصي بعضهم بعضاً بالصبر عليها ويحمل
 انواع المكاره في نصرتها وعبادتها وهم يسمعون اخبار الامم التي فتنت بعبادتها وما
 حل بهم من عاجل العقوبات ولا ينشيم ذلك عن عبادتها فتنة الاصنام اشد من
 فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بما والعاشق لا يشبه عن مراده خشية عقوبة
 في الدنيا والاخرة وهو يشاهد ما يحل باصحاب ذلك من الالام والعقوبات والضرب
 والسجن والكل والفقر غير ما اعد الله له في الاخرة وفي البرزخ ولا يزيد ذلك الا
 اقداً ما وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته فيمكن الفتنة بعبادة الاصنام اشد
 فان تالة القلوب بما اعظم من تالها للصورة التي يريدونها الفاحشة بكثير والقران
 بل وسائر الكتب الالهية من اولها الى اخرها مصرحة بطلان هذا الدين وكفر اهل
 وانهم اعداء الله ورسوله وانهم اولياء الشيطان وعبادته وانهم هم اهل النار
 الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلثات ونزلت بهم العقوبات وان الله
 سبحانه بري منهم هو وجميع رسله وملائكته وان الله سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم
 عملاً وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف وقد باج الله لرسوله واتباعه من
 الحنفاء ما هو لا واموالهم ونسائهم وابنائهم وامرهم بتطهير الارض منهم حيث
 وجدوا ذمهم بسائر انواع الذم وتوعدهم باعظم انواع العقوبة فهو لا في شق و
 رسل الله في شق **فصل** ومن اسباب عبادة الاصنام الغلو في المخلوق
 واعطائه فوق منزلته حتى جعل فيه حظ من الالهية وشبهه به سبحانه وتعالى

ذكر اسباب عبادة الاصنام
 صنم الغلو في المخلوق
 واعطائه فوق
 منزلته

يحبونهم كحبا لله فانكر هذا التشبيه عليهم وهو اصل عبادة الاصنام ونظير هذا قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور الذين كفروا بهم يعدلون اي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلا وشبهه قال ابن عباس يريد عدلوا بي في خلق السماوات والارض بعد ان اقروا بعبادتي وربوبيتي وقال الزجاج اعلم الله سبحانه انه خالق ما ذكر في هذه الآية وان خالقها لا شيء مثله واعلم ان الكفار يجعلون له عدلا ولا عدلا السوية يقال عدل الشيء بالشيء اذا ساواه و معنى يعدلون به يشركون به غيره قال مجاهد قال الا حرم يقال عدل الكافر بربه عدلا وعدولا اذا ساوى به غيره فعبدوه وقال الكسائي عدلت الشيء بالشيء اعد له عدولا اذا ساوى به ومثله قوله تعالى عن هؤلاء المشركين انهم يقولون في النار لا الهنم تالله ان كنا في ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين فاعترفوا انهم كانوا في اعظم الضلال وابينه اذ جعلوا الله تعالى سميها وعدلا من خلقه سووهم به في العبادة والتعظيم وقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما فاعبدوه واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا قال ابن عباس سميها ومثلا وهو من يسامي به وذلك نفي عن المخلوق ان يكون مشابها للخالق ومما لا لاله حيث يستحق العبادة والتعظيم ولم يقل سبحانه هل تعلمه سميا او شبهه بغيره فان هذا لم يقله احد بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابها له مساويا وذا وعدلا فانكر عليهم هذا التشبيه والتمثيل وكذلك قوله ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضر بوالله ~~الان~~ الامثال فنهالهم ان يضر بوالله مثلا من خلقه ولم يهزمهم ان يضر به هو مثلا لخلقهم فان هذا لم يقله احد ولم يكونوا يفعلونه فان الله سبحانه اجل وام اكبر من كل شيء في فطر الناس كلهم ولكن المشبهون المشركون يغفلون فيمنعوا عن تشبيهه بونه بالخالق والله سبحانه اجل في صدور جميع الخلق من ان يجعلوا غيره اصلا ثم يشبهونه بغيره فان الذي يشبهه بغيره ان قصد تعظيمه لم يكن في هذا تعظيم لانه مثل اعظم العظم ما هو دونه بل بما ليس بينه وبينه شبه في العظمة والجلالة وعاقلا لا يفعل هذا وان قصد التنقص بشبهه بالناقصين المذمومين لا بالكاملين المدوحين ومن يعلم ان اثبات صفات الكمال له لا يتضمن التشبيه لا بالكاملين ولا بالناقصين وان نفي تلك الصفات يستلزم تشبيهه

بالنقص الناقصين فانظر الى الجهمية واتباعهم جاوا الى التشبيه المذموم فاعرضوا عنه صفحا وجاوا الى الكمال والمدح فجعلوه تشبيها وتثبيلا عكس ما ثبتت القولا وجابه من كل وجه ومن هذا قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد هو سلب عن المخلوق مكافاته ومماثلة للخالق سبحانه ولم يقل ولم يكن هو كفوا الا حد فينفي عن نفسه مشابهيته للمخلوق ومكافاته له اذ كان ذلكا بين واظهر من ان يحتاج الى نفيه وسرد ذلك ان المقصود ان المخلوق لا يماثل سبحانه في شيء من صفاته وخصا بصره واما كونه سبحانه هو لا يماثل المخلوق ولا يشابهه ولا هو مثله ولا كفوا فليس فيه له فانه لو مدح بعض الملوك بانه لا يشبهه الحيوانات ولا الحجاره ولا الخشب ونحو ذلك لم يعد هذا مدحا ولا ثناء عليه ولا كمالا له بخلاف ما اذا قيل لا تجعل كمالا للملك نذا ولا كفوا ولا يشبهه من رعيته تعظمه كعظيمه وتطيعه كطاعته فانه ليس في رعيته من يساميه ولا يماثله ولا يكافيه كان هذا غاية المدح وكذلك قوله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع وهو البصير انما قصد به نفي ان يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم كما يفعل المشبهون والمشبّهون ولم يقصد به نفي صفات كماله وعلوه على خلقه وتكلمه بكلمته وتكليمه لرسله وروية المؤمنين له جهره با بصارهم كما ترى الشمس والقمر في المصروفاته سبحانه انما ذكر هذا في سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه اوليا يوالونهم من دونه فقال والذين اتخذوا من دونه اوليا الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل وكذلك و حينما اليك قرانا عرييا لتذرا من القرى ومن حولها وتذريهم الجمع لا ريب فيه فرب في الجنة و فريقي في السعير ولو شاء الله لجمعهم امة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمة والظالمات ما لهم من ولي ولا نصير ام اتخذوا من دونه اوليا فانه الله هو الولي وهو يحيى الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الي الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه انيب فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا ومن الانعام ازواجا يذكركم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فامل كيف ذكر هذا النفي تقريرا للتوحيد رابطا لا لما عليه اهل الشرك من تشبيه المثلهم واولياهم به حتى عبده معه فخر في المحرفون وجعلوها ترسالا لهم في نفي صفات كماله وحقايق اسمائه وافعاله هذا التشبيه الذي ابطاله الله سبحانه نفيا ونهيا هو اصل شرك

في
لا يفعل

العالم وعبادة الاصنام ولم يذم النبي صلى الله عليه وسلم ان يسجد احد المخلوق مثله
ويحلف بمخلوق او يصلي الي قبر او يتخذ عليه سجدا او يعلق عليه قنديل او يقول
القال ما شاء الله وشافلان ونحو ذلك حذر من هذا التشبيه الذي هو اصل الشرك
واما اثبات صفات الكمال فهو اصل التوحيد فبين ان المشبهة هم الذين يشبهون
المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم والخضوع والخلف والذلول والسجود
له والعكوف عنده بيته وحلق الراس له والاستغاثه به والتشريك بينه وبين الله
في قولهم ليس الا الله وانت وانا متكل على الله وعليك وهذا من الله ومنك وانا في
حسب الله وحسبك وما شاء الله وشئت وهذا الله وكذا امثال ذلك فهو لا هم المشبهة
حقا لاهل التوحيد المشبهون لله ما اثبتت لنفسهم والنافون عنه ما نفاه عن أنفسهم
الذين لا يجعلون لله ندا من خلقه ولا عدلا ولا كفوا ولا شبيها وليس لهم من دونه
ولي ولا شفيع فمن تدبر هذا الفصل حق التدبر تبين له كيف وقعت الفتنة في
الارض بعبادة الاصنام وتبين له سر القرآن في الانكار على هؤلاء المشبهة الممثلة
ولا سيما اذا جمعوا الى هذا التشبيه تعطيل الصفات والافعال كما هو الغالب
عليهم فيجمعون بين تعطيل الرب سبحانه عن صفات كماله وتشبيه خلقه به
فصل ومن كيد وتلاعبه ما تلاعب بعبادة النار حتى اتخذوها الا
معبودة وقد قيل ان هذا كان من عهد قابيل كما ذكره ابو جعفر بن جرير انه
لما قتل قابيل هابيل وهرب من اخيه ادم اتاه ابليس فقال له ان هابيل انما قتل
بانة واكلت النار لانه كان يخدمها ويعبدها فانصبثت نارا تكون لك ولعقبك
فبنى بيت نار فهو اول من نصب النار وعبدها وسر هذا المذهب في المجوس
فبنوا لها بيوتا كثيرة واتخذوا الوقوف والسدنة والحج فلا يدعونها اتخذ لحظا
واحدة فاتخذوها افريدون بيوتا بطوس واخر بخاري واتخذ لها فتمن بيوتا
بسجستان واتخذ لها ابوقنادة بيوتا بجهة بخاري واتخذت لها بيوتا كثيرة و
عباد النار يفضلونها على التراب ويعظمونها ويصوبون راي ابليس وقذروني بشا
من بر هذا المذهب لقوله في قصيدته الارض سافلة سود مظلمة والنار جوهرة
النار ويقولون انما اوسع العناصر خيرا واعظمها جرمها واسعها مكانا واشهر
فما جوهرة والطفها جسمها ولا كون في العالم الا بها ولا نمو ولا انعقاد الا بها رجبها

مكية
عباد النار

في
البيان

ومن

ومن عبادتهم لها ان يحفروا لها اخدودا مربعا في الارض ويطوفون به وهم اصناف
مختلفة فمنهم من يحرق القال النفوس فيها واحترق الابدان بها وهم اكثر المجوس وطائفة اخرى
منهم تلج بهم عبادتهم لها ان يقربوا أنفسهم واولادهم لها وهو لا اكثر ملوك الهند واتباء
عهم ولم سنة معروفة في تقرب نفوسهم والقيام فيها فيجود الرجل الذي يريد يفعل ذلك
بنفسه او بولده او حليته فيجعله ويلبسه احسن اللباس واخف الحلي ويركب على المراكب
وحوله المعازف والطبول والبوقات فيزف الى النار اعظم من زفافه ليلة عرسه حتى
اذا ما قابلها ووقف عليها وهي تخرج طرحة نفسه فيها فضع الحاضرون صيحة واحدة
بالدعالة وغبطة على ما فعل فلم يلبث الا يسيرا حتى ياتيهم الشيطان في صورته وهيئته
وشكله لا ينكرون منه شيئا فيامرهم بامرهم ويوصيهم به ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين
ويخبرهم انه صار الى الجنة ورياض وانهار وان لم يتالم بمس النار له فلا يملكون ذلك
ولا يمنعهم عن ان يفعلوا مثله ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين
عاكفين عليها ومن سنتهم الحث على الاخلاق الجميلة كالصدق والوفاء والامانة
والعفة والعدل وترك اضدادها والى شرايع في عبادتها ونواحيس واوضاع
لا يتخلون بها فصل ومن كيد وتلاعبه ما تلاعب بطائفة اخرى تعبد
المائمين دون الله وتسمى الجلبانية وترغم ان الما لما كان اصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو
ونشوء وطلاوة وعمارة وما من عمل في الدنيا الا يحتاج الى الماء ومن شرعتهم في عبادة
ان الرجل منهم اذا اراد عبادة تخرجه وسائر عورته ثم دخل فيه حتى يصير الى وسطه
فيقيم هناك ساعتين او اكثر بقدر ما امكنه ويكون معه ما يمكنه اخذه من الرياحين
فيقطعها صغارا فيلقمها فيه شيئا فشيئا وهو يسبحه ويحمده فاذا اراد الانصراف
حرك المائمين ثم اخذ منه فيضعه على راسه ووجهه وجسده ثم يسجد وينصرف
فصل ومن تلاعبه تلاعبه بعبادة الحيوانات فطائفة تعبد الخيل و
طائفة تعبد البقر وطائفة تعبد البشر الاحياء والاموات وطائفة تعبد الشجر
وطائفة تعبد الجن كما قال سبحانه ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن
اكثرهم منهم مؤمنون وقال تعالى اثم هذا اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان انه
لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقال تعالى ويوحى جميعا



ذكر تلاعبه
بعباد
الما



ذكر تلاعبه بعباد
الحيوانات

يا عشر المحن قد استكثرتم من الانس وقال اولياهم من الانس ربنا استمع ببعضنا
 وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار شواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربي حكم
 عليهم يعني قد استكثرتم من اضلالهم واغوايهم قال ابن عباس ومجاهد والحسن
 وغيرهم اضللتم منهم كثير فتجيبه سبحانه اولياهم من الانس بقولهم ربنا استمع
 بعضنا ببعض يعنون استماع كل نوع بالنوع الاخر فاستماع الجن بالانس طاعتهم
 لهم فيما امرهم به من الكفر والفسوق والعصيان فان هذا اكثر اغراض الجن من الانس
 فاذا اطاعوهم فيه فقد اعطوهم مناهم واستماع الانس بالجن انهم اعانواهم على معصية
 الله والشرك به بكل ما يقدرون عليه من التحسين والتزيين والدعا وقضا كثير من
 حوائجهم واستغرامهم بالسحر والعزائم وغيرها فاطاعتهم الانس فيما يرضيهم
 من الشرك والفواحش والفجور واطاعتهم الجن فيما يرضيهم من التأثيرات والاعيان
 ببعض المغيبات فتمتع كل من الفريقين بالآخر وهذه الآية منطبقة على اصحاب
 الاحوال الشيطانية الذين لهم كشف شيطاني وتأثير شيطاني فيحسبهم الجاهل
 اوليا الرحمن وانما هم من اوليا الشيطان اطاعوه في الاشراك ومعصية الله والخروج
 عما بعث به رسوله وانزل به كسبه فاطاعهم في ان خدمهم باخبارهم بكثير من
 من المغيبات والتأثيرات واغتر بهم في قل حظهم من العلم والايمان فوالى اعداء الله
 وعادا اولياه وحسن الظن بمن خرج عن سبيله ونهه واساء الظن بمن اشبع سعة العمل
 فيما جابه ولم يدع الاقوال المختلفين واراها المتحيرين وشطط المارقين ونزها المتصوفة
 المتصوفين والبصير الذي نور الله بصيرته بنور الايمان والمعرفة اذا عرف حقيقة
 ما عليه اكثر هذا الخلق وكان ناقرا لا يروج عليه الزغل تبين له انهم داخلون تحت
 حكم هذه الآية وهي منطبقة عليهم فالفاستق يستمع بالشیطان باعانة له على اسباب
 فسوقه والشیطان يستمع به في قبوله منه وطاعته فيسره ذلك ويفرح به منه و
 المشرك يستمع به الشيطان بشركه به وعبادته له ويستمتع هو بالشیطان في
 قضا حوائجه واعانة له ومن لم يحط علما بهذا لم يعلم حقيقة الايمان والشرك
 وسر امتحان الرب سبحانه كلام الثقلين بالآخر ثم قالوا وبلغنا اجلنا الذي
 اجلت لنا وهو تينا ولجل الموت واجل البعث فكلاهما اجل اجل الله لعباده

وهما الاجلان اللذان قال الله فيهما ثم قضى اجلا واجل سمي عنده وكان هذا والله علم
 اشارة منهم الى نوع استعطف وتوبة فكأنهم يقولون هذا امر كان الى وقت لا تقطع
 بانقطاع اجله فلم يستمر ولم يدم فبلغ الامر الذي كان اجله وانتهى الى غايته وكل
 شيء اخر فقال تعالى النار شواكم خالدين فيها فانه وان انقطع زمن التمتع انقضى اجله
 فقد بقي زمن العقوبة فلا يتوهم انه اذا انقضى زمن الكفر والشرك وتمتع بعضهم
 ببعض انفسد زالت بزواله ولا انتهت بانتهائه والمقصود ان الشيطان
 تلاعب بالمشركين حتى عبده واتخذوه وذريته اوليا من دون الله **فصل**
 ومن تلاعب بهم ان زين لقوم عبادة الملائكة فعبدهم وزعمهم ولم يكن عبادتهم
 في الحقيقة لهم ولكن كانت للشياطين فعبدهم واقبح خلق الله واحقهم باللعن
 والذم قال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهولاء اياكم كانوا يعبدون
 قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مومنون
 وقال تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول انتم اضللتم عبادي هو لا
 ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ولكن
 نتعنهم وابائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا فقد كذبوكم بما تقولون فاستطيعت
 صرفا ولا نصرا ومن يظلم سنم نذقه عذابا كبيرا وهذه الايات تحتاج الى تفسير
 وبيان فنقول سبحانه ويوم يحشرهم وما يعبدون عام في كل عابد ومن عبده من
 دون الله وما قوله فيقول انتم اضللتم عبادي هو لا ام هم ضلوا السبيل يقال
 مجاهد فيمارواه ورقاء عن ابي بصير عنه قال هذا خطاب لعيسى وعزير و
 الملائكة وروى عنه ابن جرير نحوه واما عكرمة والضحاك والكلبي فقالوا هو
 عام في الاولئان وعبدهم ثم ياذن سبحانه لها في الكلام فيقول انتم اضللتم عبادي
 هو لا ام هم ضلوا السبيل يقول سبحانه انتم امرتموهم بعبادتك ام هم ضلوا السبيل اي
 ام هم اخطوا الطريق فاجاب العبدون بما حكى الله عنهم من قولهم سبحانه انك
 ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا وهذا الجواب انما يحسن من الملا
 يكة والمسيح وعزير ومن عبدهم المشركون من اوليا الله ولهذا قال ابن جرير فيقول
 تعالى قالت الملائكة وعيسى للذين كانوا هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله
 ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اوليا نواليهم بل انت ولينا من دونهم وقال ابن

تلاعبه لعباد
 الملائكة

ومقاتل نزهة الله تعالى وعظمه ان يكونوا معه اله وفيما قرأتان اشهر هما اتخذ
بفتح النون وكسر الحاء على اللفظ وهو قراءة السبعة والثانية تتخذ بضم
النون وفتح الحاء وهي قراءة الحسن وزيد بن القعقاع وعلى كل واحدة من القراء
تين اشكال فاما قراءة الجمهور فان الله سبحانه انما سألهم هل اضلوا المشركين باسم
هم اياهم بعبادتهم ام هم ضلوا باختيارهم وهو اياهم وكيف يكون هذا الجواب مطا
بقا للسؤال فانهم لم يسألهم هل اتخذتم من دونه من اوليا حتى يقولوا ما كان ينبغي لنا
ان نتخذ من دونك من اوليا وانما سألهم هل امرتم عبادي هو لا بالشرك ام هم اشركوا
من قبل انفسهم فالجواب لمطابق ان يقولوا لم نأمرهم بالشرك وانما اشرده وارتضوه
ولم نأمرهم بعبادتنا كما قال في الآية الاخرى عنهم نبأنا اليك ما كانوا يابعدون
فلما رأى أصحاب القراءة الاخرى ذلك فترروا الى بناء الفعل للمفعول وقالوا الجواب
يصح على ذلك ويطلق اذ المعنى ليس يصلح لنا ان نعبد ونتخذ الهة فكيف نأمرهم
بما لا يصلح لنا ولا يحسن منا ولكن لزم هو لا من الاشكال امر اخر وهو قوله
من اوليا فان زيادة من لا تحسن الابع قصد العموم كما تقول ما قام من رجل
ما ضربت من رجل فاما اذا كان النفي واردا على شيء مخصوص فانه لا يحسن زيادة
من فيه وهم انما نفوا عن انفسهم ما نسب اليهم من دعوى المشركين انهم امرهم بالشرك
فنفوا عن انفسهم ذلك بانه لا يحسن منهم ولا يليق بهم ان يعبدوا وكيف ندعوا عبادة
الى ان يعبدونا فكان الجواب على هذا ان تقر ما كان ينبغي لنا ان نتخذ اوليا من دونك
او من دونك اوليا فاجاب اصحاب القراءة الاولى بوجوه احدها ما كان ينبغي لنا ان
نعبد غيرك ونتخذ غيرك فكيف ندعوا احد الى عبادة تباي اذا كنا لا نعبد غيرك فكيف ندعوا
احدا الى ان يعبدنا والمعنى انهم اذا كانوا لا يرون لانفسهم عبادة غير الله فكيف يدعوا
غيرهم الى عبادة تهم وهذا جواب الفراء قال الجوزجاني هذا بالتدريج يصير جوابا
للسؤال الظاهر وهو ان من عبد شيئا فقد تولاه واذا تولاه العابد صار المعبود
وليا للعابد يدل على هذا قوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء
اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم فدل على ان العابد يصير
وليا للمعبود ويصير المعنى كأنهم قالوا ما كان ينبغي لنا ان نأمر غيرنا باقتادنا
اوليا وان نتخذ من دونك اوليا يعبدونا وهذا بسط كقول ابن عباس في هذه الآية

لأن الله تعالى

قال يقولون ما توليناهم ولا احببنا عبادهم قال ويحتمل ان يكون قولهم ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ان يريدوا معشر العبيد لانفسهم اي نحن و
هم عبيد ولا ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اوليا ولكنهم اضافوا ذلك الى انفسهم
تواضعا منهم كما يقول الرجل من اتى منكرا ما كان ينبغي ان افعل مثل هذا اي انت
مثلي عبد تحاسب فاذا لم يحسن من مثلي ان يفعل هذا لم يحسن منك ايضا قال و
لهذا الاشكال قرأ من قرأ بضم النون وهذه القراءة اقرب الى التاويل لكن قال الزجاج
هذه القراءة خطأ لانك تقول ما اتخذت من احد وليا ولا يجوز ما اتخذت احدا
منه ولي لان من اتى ما دخلت لا يماثل واحد من معنى جميع تقول ما من احد قايما
وما من رجل محبا لما يضره ولا يجوز ما رجل من محب لما يضره قال ولا وجه عندنا
لهذا البسم ولو جاز هذا الجواز فيها من احد عنه حاجز ما احد عنه من حاجز
فلو لم تدخل من لصحت هذه القراءة قال صاحب النظم العلة في سقوط هذه القراءة ان
من لا تدخل الا على مفعول لا مفعول دونه فاذا كان قبل المفعول مفعول سواه لم
يحسن دخول من كقوله ما كان له ان يتخذ من ولد فقوله من ولد لا مفعول دونه سواه
ولو قال ما كان له ان يتخذ احدا من ولد لم يحسن فيه دخول من لان فعل الاتخاذ
مشغول باحد وصح اخرون هذه القراءة لفظا ومعنا واجروها على قواعد القراء
قالوا وقد قرأ بها من لا يرتاب في فصاحتها فقرأ بها زيد بن ثابت وابو الدرداء وابو جعفر
ومجاهد ونصر بن علقمة ومكحول وزيد بن علي وابو رجا والحسن وحفص بن حميد
وصحاح بن علي على خلاف عن هؤلاء ذكر ذلك ابو الفتح بن جني ثم وجهه بان يكون من
اوليا في موضع منع الحال اي ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك اوليا ودخلت من
زايدة لمكان النفي كقولك اتخذت زيدا وكذا فاذا نفيت قلت ما اتخذت زيدا من
وكيل وكذلك اعطيتهم درهما وما اعطيتهم من درهم وهذا في المفعول فيه قوله يعني
ان زيدا يمازج الحال كزيادة تماع المفعول ونظير ذلك ان تقول ما ينبغي لي ان اخذ منك
مثاقلا فاذا اكدت قلت من مثاقيل فان قيل فقد صحت القراءتان لفظا ومعنى
فابهما احسن قلت قراءة الجمهور احسن وابلى في المعنى المقصود والبراهة مما لا
يليق بهم فانهم على قراءة الضم يكونون قد نفوا احسن اتخاذ المشركين لم اوليا
وعلى قراءة الجمهور يكونون قد اخطوا لانهم لا يليق بهم ولا يحسن منهم ان يتخذوا
اوليا من دونه بل انت وحدك ولينا ومعنى فاذا لم يحسن شأنان شر كبر شيئا فيكون بلى ان ندعو

Copyrighted material

وعباد كالي ان يعبدوننا من دونك وهذا المعنى اجل من الاول واكثر فامله
والمقصود انه على القرانين فهذا الجواب من الملائكة ومن عبد من دون الله اوليا
واما كونه من الاصنام فليس بظاهر وقد يقال ان الله سبحانه انطق بايدك كذا
لم ورد عليهم وبراهنهم كقوله اذ تبارك الذين تبغوا من الذين اتبعوا في الاية
الاخرى تباركنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ثم ذكر المعبودون سبب ترك العابدين
الايمان بالله بقولهم ولكن متعتهم واباهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوم ابورا قال ابن
عباس اطلت لهم العمد افضلت عليهم وايسعت لهم في الرزق وقال الفراء ولكنك
متعتهم بالاموال والاولاد حتى نسوا ذكرك وكانوا قوم ابورا اي هلكي فاسدين
قد غلب عليهم الشقاء الخذلان والبوار والهلاك والفساد يقال يارت السابعة
وبارت المرأة اذ اكسدت ولم يحصل لها من تزوجها وقال قتادة والله ما نسي قوم
ذكر الله الا باروا وفسدوا والمعنى ما اضللناهم ولكنهم ضلوا قال ابن سبجانه فقد
كذبكم بما تقولون اي كذبكم المعبودون بقولكم فيهم انهم الهة وانهم شركاؤا بما تقولون
انهم الهة مروكم بعبادتهم ودعوكم اليها وقيل الخطاب للمؤمنين في الدنيا اي فقد كذبكم
ايها المؤمنون هؤلاء المشركون بما تقولونه مما جابه محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
من التوحيد والايمان والاول اظهر وعليه يدل السياق ومن قراها بالياء اخر
الحروف فالمعنى فقد كذبكم بقولهم ثم قال فما يستطيعون صرفا ولا نصرا
اخبارا عن حالهم يومئذ وانهم لا يستطيعون صرف العذاب عن انفسهم و
لا نصرا من الله قال ابن زيد ينادي مناد يوم القيمة حين يجتمع الخلق ما
لكم لا تصرون قال من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده والعابد
لا ينصر الهه بل هم اليوم مستسلمون فهذا حال عباد الشيطان يوم لقاء الرحمن
فواستوحالهم حين امتيازهم عن المؤمنين اذ اسمعوا النداء واستازوا اليوم
ايها المجرمون الم اعهد اليكم بآبني ادم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو بين
وان اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا فلم تكونوا تعقلون
فصل ومن تلاعبه وكده تلاعبه بالشهوية وهم طائفة قالوا الصا
نح اثنان ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قد يمان لم يزل الاول يزل
قويين حساسين مدركين سميعين وبصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة

تلاعبه بالشهوة

متضادان في الفعل والتدبير فالنور فاضل حسن نقي طيب الروح حسن المنظر
ونفسه خيرة كريمة حكيمة نفاعه منها الخيرات والمسررات والصالح وليس فيها
شي من الضرر والظلمة على ضد ذلك من الكدر والنقص وذن الروح وبيع المنظر
ونفسها نفس شريفة بخيلة سفيهة منتنة مضرة منها الشر والفساد ثم اختلفوا
فقال فرقة منهم ان النور لم يزل فوق الظلمة وقالت فرقة بل كل واحد منهما الى
جانب الاخر وقالت فرقة النور لم يزل مرتفعا في ناحية الشمال والظلمة منخفضة
في الجنوب ولم يزل كل واحد منهما مابينا لصاحبه وزعموا ان لكل واحد منهما اربعة
ابدان وخامس هو الروح فابدان النور الاربعة الماء والنور والريح والماور وجه السبع ولم يزل
متحرك في هذه الابدان وابدان الظلمة الاربعة الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها
المدحان وسمو ابدانهم ن النور ملائكة ملائكة وسمو ابدان الظلمة شياطين وعفا
ريت وبعضهم يقول الظلمة تتولد شياطين والنور يتولد ملائكة والنور لا يقدر على
الشر ولا ينج منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا ينج منها ولهم مذاهب مختلفة جدا
وفرض عليهم صوم سبع العمر وان لا يؤذي احد منهم ذاروح البسم ومن شرعتهم الا
يدخروا الاقوت يوم وتجنب الكذب والبخل والسحر وعبادة الاوثان والزنا والسرقة
واختلفوا هل الظلمة قديمة او حادثة فقالت فرقة منهم هي قديمة لم تزل مع النور
وقالت فرقة بل النور هو القديم ولكنه فكر ففكر ودية حدثت منها الظلمة فدارى
همهم على اصلين من ابطال الباطل احدهما ان شر الموجودات واخبثها واردا
ها كفوا للخير الموجودات وضدله ومناوله يعارضه ويضاده ويناقضه اياها
ولا يستطيع دفعه وهذا اعظم من شرك عباد الاصنام الذي عبدها اتفقوا على
الله فانهم جعلوها ملوكا له ربوبية مخلوقة كما كانوا يقولون في تلبسهم ببيد الله
ليك لا شريك لك الا شريك هو لك ملكه وما ملكه الاصل الثاني انهم نزحوا
النور ان يصدر منه شر ثم جعلوه منبع الشر كله واصلمه ومولده واشتوا المين
وربين وخالفين فجمعوا بين الكفر بالله واسمايه وصفاته ورسله وانبيائه وبلا
نكته وشرايعه واشركوا به اعظم الشرك وحكى ارباب المقالات عنهم ان قوما منهم
يقال لهم الديسانية زعموا ان طينة العالم كانت طيبة حسنة وكانت تحكي تحاكي
جسم النور الذي هو الباري عندهم زمانا فتاذا ذكيا فلما طال ذلك عليه قصد تخفيفها
عنه فتحول فيها واختلط بها فتركب من بينهما هذا العالم المشتمل على الظلمة والنور

مطلبة معرفة حقه
الديسانية

فكان من جملة الصلح في النور وما كان من جملة الفساد من الظلمة قال وهو لا
يفتالون الناس ويخفقونهم ويترعون انهم يحسنون اليهم بذلك وانهم يخلصون
الروح النورية من الجسد المظلم وقال بعضهم ان الباري سبحانه لما طالت
وحدة استوحش ففكر ففكر سوء فتجسمت فكرته فاستحالت ظلمة فحدث
منها ابليس فرام الباري ابعاده عن نفسه فلم يستطع فتحوز منه بخلق الجنود
والخيرات فشرع ابليس في خلق الشر واصل عقد مذهبهم الذي عليه خوا
صهم اثبات القدم الخمسة الباري والزمان والحلا واليهوي والابليس فالبات
خالق الخيرات والابليس خالق الشرور وكان محمد بن زكريا الرازي على هذا
المذهب لكنه لم يثبت ابليس فجعل مكانه النفس وقال بقدم الخمسة مع شره
بهم مذهب الصابية والدهرية والفلاسفة والبراهمة فكان قد اخذ من كل
دين شرفا فيه وصنف كتابا في ابطال النبوات ورسالة في ابطال المعام
فركب مذهبها مجموعا من زنادقة العالم وقال انا اقول ان الباري والنفس واليهوي
والزمان والمكان قدما وان العالم محدث قبله فالحلة في احداثه قال ان
النفس اشبهت ان تتجلى في هذا العالم وحركتها الشهوة لذلك ولم تعلم ما يلحقها
من الوبال اذا انحلت فيه فاضطربت وحركت اليهوي حركات مشوشة
مضطربة على غير نظام ومجزت عما ارادت فاعانها الباري على احداث العالم
وجعلها على النظام والاعتدال وعلم انها اذا ذاق وبال ما اكتسبته عادت الى
عالمها وسكن اضطرابها وزالت شهوتها واستراحت فاحدث هذا العالم
بمعاونة الباري لها قال ولولا ذلك لما قدرت على احداث هذا العالم ولولا هذه
العللة لما حدث هذا العالم ولولا ان الله سبحانه يحكي عن المشركين والكفار
اقوالا استخف منه هذا وابطل الاستحيا العاقل من حكاية من هذا ولكن الله
سبحانه سن لنا حكاية اقوال عدائيه وفي ذلك من قوة الايمان وظهور جلال
لته ومعرفته قدره وتمايم نعمة الله على اهله به ومعرفته قدر خذ لانه للعبد
والى اي شيء يصير الخذلان حتى يصير ضحكة لكل عاقل فاي ضلال واي
خذلان اعجب من يغني عمره في النظر والبحث وهذا غاية علمه بالله والمبدأ
والمعاد **فصل** والمحوس تعظم الانوار والنيران والماء والارض

ويقرون بنسبة زرادشت ولهم شرائع يصيرون اليها وهم شنيء منهم المزدكية
اصحاب مزدك الموهبة والموت عندهم العالم القدوة وهو لا يرون الاشتراك في
النساء والمكاسب كما يشتركون في الحق والطرق وغيرها ومنهم المحرمية اصحاب
بابل المحرمي وهم شرطوا بنهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام
وعلى مذهبهم طوائف القرامطة والاسمعية والنصيرية والبشكنية والدرزية و
الحاكمية والعبودية الذين يسمون انفسهم الفاطمية وهم من اكفر الكفار كما ستاتي ترجمتهم
فكل هؤلاء جميعهم هذه المذاهب ويتفاوتون في التفصيل فالمجوس شيوخ هؤلاء كلهم
وايمانهم وقدوتهم وان كان المجوس قد يتقيدون باصل دينهم وشرائعهم وهو لا
يتقيدون بدین من ديانات العالم ولا بشريعة من الشرائع **تلاعبة**
بالصابية هذه امة كبيرة من الامم الكبار وقد اختلفت اناس فيهم اختلافا كثيرا بحسب
ما وصل اليهم من معرفة دينهم وهم ينقسمون الى مومنين وكافرين **تلاعبة** ان الذين امنوا و
الذين هادوا والنصارى والصابيين من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فذكرهم في الامم الاربعة الذين تنقسم كل امة
منهم الى ناج وهالك وذكرهم ايضا في الامم الستة الذين انقسمت جملتهم الى ناج وهالك
كما في قولهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيين والنصارى والمجوس والذين اشركوا
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فذكر الامتين اللتين لا كتاب لهما ولا ينقسمون الى شقي
سعيد وهم المجوس المشركون في اية الفصل ولم يذكرهم في اية الوعد بالجنة وذكر الصا
بيين فيما فعلهم ان فيهم الشقي والسعيد وهو لا كانوا قوم ابراهيم الخليل عليه السلام
وهم اهل دعوته وكانوا بخران في دار الصابية وكانوا قسمين صابية خنفا وصا
بية مشركين والمشركون منهم يعطون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورون
نماذجها في هياكلهم ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة وهي المتعبدات الكبار
كالكتاب للنصارى والبيع للمجوس هياكل كبير للشمس وهياكل للنور وهياكل للنار
وهياكل للمشي وبهياكل للمريخ وهياكل لعطارد وهياكل لرجل وهياكل للعلنة
الاولى وهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة ويصورونها في تلك الهيا
كل ويتخذون لها اصناما تخصها ويقربون لها القرابين ولها صلوات خمس في اليوم والليله

فصل في صلوات المسلمين وطوائف منهم يصومون شهر رمضان ويستقبلون في
صلواتهم الكعبة ويعطون مكة ويردون الحج إليها ويجرمون الميتة والدم ولحم
الخنزير ويجرمون من القربات في النكاح ما يحرم المسلمون وعلى هذا المذهب
كان جماعة من اعيان الدولة ببغداد منهم هلال بن حسن الصافي صاحب الديوان
الانشائي وصاحب السرايا المشهور وكان يصوم مع المسلمين ويعيد معهم ويذكر في
يحرم المحرمات وكان الناس يعجبون من موافقته للمسلمين وليس على دينهم واصل
دين هؤلاء فيما زعموا انهم ياخذون محاسن ديانا العالم ومذاهبهم ويخرجون من
قبائح ما هم عليه قولا وعملا ولهذا سمو صابية اي خارجين فقد خرجوا عن تقيدهم
بجملة كل دين وتفصيله الاماراه فيه من الحق وكانت كفار قريش تسمي النبي صلى الله عليه وسلم
صابي والصحابه الصباة يقال صبا الرجل بالامر اذا خرج من شيء الى شيء وصبا يصوب
اذا قال ومنه قوله ولا تنصرف عني كيد هذا صبا اليهم اي اقبل والمهموس والمقل يشتر
كان فالمهموس يميل عن الشيء والمقل يميل اليه واسم الفاعل من المهموس صابي بوزن قاري
ومن المقل صاب بوزن قاض وجمع الاول صبايون كفاريون والثاني صبايون كفار
صون وقد فري بما والمقصود ان هذه الامه قد شاركت جميع الامم وفارقتهم الخفا
منهم شاركوا اهل الاسلام في الخيفية والمشركون شاركوا عباد الاصنام وراوا انهم
على صواب واكثر هذه الامه فلاسفة والفلاسفة ياخذون بزعمهم محاسن ما دلت
عليه العقول وعقلوا وهم يوجبون اتباع الانبياء وشرايعهم وبعضهم لا يوجب ذلك
ولا يحرمه وسفها وهم وسفلتهم يمنعون ذلك كما سياتي في ذكر تلاعب الشيطان بهم بعد
هذا ولهذا لم يكن هؤلاء الصابية من الامم المستقلة التي لها كتاب ونبي وان كانوا
من اهل دعوة الرسل فما من امة الا وقد اقام الله سبحانه عليها حجة وقطع عن حجة
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وتكون حجة عليهم والمقصود ان الصابية
فرق فصاوية حنفا وصابية مشركون وصابية فلاسفة وصابية ياخذون محاسن
ما عليه اهل المل والنحل من غير تقيد بجملة ولا نخلة ثم منهم من يقرب بالتبنيك جملة ويتبع
قف في التفصيل ومنهم من يقرب بجملة وتفصيل ومنهم من يتكبرها جملة وتفصيلا وهم يقولون
ان العالم صانعا فاطرا حكيما مقدسا عن العيوب والنقائص ثم قال المشركون منهم ولا

سبيلك الى الوصول الى جلاله الابالوسايط فالواجب علينا ان نتقرب اليه بتوسلا
الروحانيات القريبة منه وهم الروحانيون والمقربون المقدسون عن المولد الجسدي
نبيه وعن القوى الجسدية انهم بل قد جعلوا على الطهارة فتحت تقرب اليهم ونتقرب
بهم اليه فهم اربابنا واليتنا وشفعاونا عند الرباب والماله الاطهر فانه بعد هم الا
ليقر بونا الى السرزلفي فالواجب علينا ان نطهر نفوسنا عن الشهوات الطبيعية ونهت
اخلاقنا عن علايق القوى الغضبية حتى تحصل المناسبة بيننا وبين الروحانيات
وتنصل ارواحنا بهم فيحذفنا من حاجتنا منهم ونعرض احوالنا عليهم ونصبوا
في جميع امورنا اليهم فيشفعونا الى الهنا والهمم وهذا التطهير والتبذير لا يحصل
الا باستمداد من جهة الروحانيات وذلك بالتضرع والابتهال بالدعوات من الصلوات
والزكوات وذبح القرابين والتسورات والعزائم فيحذف يحصل لنفوسنا استعداد
واستمداد من غير واسطة الرسل بل ياخذ من المحدث الذي اخذت منه الرسل فيكون
حكما وحكمهم واحدا ونحن وايامهم بمنزلة واحدة قالوا الانبياء اشكال في النوع و
شركاونا في المادة واشكالنا في الصورة ياكون مما ناكل ويشربون مما نشرب وما هم الا
بشر مثلنا يريدون ان يتفضلوا علينا وزادوا الاتحادية اتباع بن عربي وابن سبعين
والعفيف النمساوي واضراهم على هؤلاء بما قاله شيخ الطائفة محمد بن عربي ان الولي
اعلا درجة من الرسل لانه ياخذ من المحدث الذي ياخذ من المحدث الذي يوحى اليه
سول فهو اعلا منه بدرجتين واخوانهم من المشركين جعلوا انفسهم في ذلك التلقي
بمنزلة الانبياء ولم يدعوا انهم فوقهم والمقصود ان هؤلاء الكفرة ابا لاصلين اللذين
جاءا جميع الرسل والانبياء من اولهم الى اخرهم احدهما عبادة الله وحده لا شريك له
والكفر بما يعبد من دونه من اله والثاني في الايمان برسله واجاؤا به من عند الله تصديقا
واقارارا وانقيادا واثباتا لا وليس هذا مختصا بمشركي الصابية كما غلط فيه كثير من
ارباب المقالات بل هذا مذهب المشركين من سائر الامم لكن شرك الصابية كان من
جهة الكواكب والعلويات ولذلك نأظرهم احكام الحنفا صلوات الله وسلامه عليهم في
بطلان الهيئتها بما حكاها سبحانه في سورة الانعام احسن مناظرة وايضا ما ظهرت
فيها محنته ودحضت فيما حجتهم فقال بعد ان بين بطلان الهيئة الكواكب والقمر الشمس

بأفولها وان الاله لا يليق به ان يغيب وبأفل لا يكون الا شاها غير غايب كما لا يكون
الا غاليا قاهر غير مغلوب ولا مقهور نافعا لعباده يمكن لعباده الضر والنفع
فيسمع كلامه ويرى مكانه ويهديه ويرشده ويدفع عنه كل ما يضره ويؤذيه وذلك
ليس الا الله وحده فكل معبود سواه باطل فلما رأى اعمام الخنفاء ان الشمس والقمر والكواكب
ليست بهذه المثابة صعودها الى خالقها واطرها ومبدعها فقالوا في وجههم ووجهي
للذي فطر السموات والارض وفي ذلك إشارة الى انه سبحانه خالق ما كنتم تسمعون ومحالها
التي هي مفتقرة اليها ولا قوام لها الا بها في حاجة الى محل تقوم به واطر تخلقها ويد
برها ويربها والحجاج المخلوق المربوب الملئ بر لا يكون لها فحاجة قومه في الله و
من حاج في عبادة الله فحجته واحدة فقال ابراهيم اتعبدون في الله وقد هذان وهذا
من احسن الكلام تريدون ان تصرفوني عن الاقرار بربي وتوحيدى وعن عبادة
وحده وتشككوني فيه وقد ارشدني وبين لي الحق حتى استبان لي كالعيان وبين
لي بطلان الشرك وسو عاقبته وان اليتمكم لا تصالح للعبادة وان عبادتها توجب لها
بدها غاية الضر في الدنيا والاخرة فكيف تريدون في ان انصرف عن عبادته وتوجه
الى الشرك به وقد هديني الى الحق وسبل الرشاد فالمحاجة والمجادلة انما فايدهما
طلب الرجوع والاشغال من الباطل الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن العمى الى الابصار
ومجادلتكم اياي في الاله الحق الذي كل معبود سواه باطل تضمن خلافاً لذكر فخرفه
بالهمم ان تصيبه بسوء كما يخوف المشرك الموحّد بالهه الذي يالهه مع الله ان
تناله بسوء فقال الخليل ولا اخاف ما تشركون به فان الهتهم اقل واحقر من ان
تضر من كفر بها ووجد عبادتها ثم رد الامر الى مشيئة الله وحده وانه هو الذي يخاف
ويرهب فقال الان بشأني شيئا وهذا استنسا منقطع والمعنى لا اخاف الهتهم
فانما المشيئة لها ولا قدرة لكن ان شأني شيئا فاني واصابي الا الهتهم التي لا تشأ
ولا تعلم شيئا ورني له المشيئة النافذة وقد وسع كل شيء علما في اولى بان يخاف
يعبد هو سبحانه ام هي ثم قال فلا تتذكرون فتعلمون بطلان ما انتم عليه من
اشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئا بمن له المشيئة التامة والعلم التام ثم قال وكيف
اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما ينزل به عليكم سلطانا وهذا من احسن

قلب الحجارة وجعل حجة المبطل بعينها دالة على فساد قوله وبطلان مذهبه فانهم
خوفوه بالهمم الذي لم ينزل الله عليهم سلطانا بعبادتها وقد تبين بطلان المشركين
ومضرة عبادتها ومع هذا فلا تخافون شرهم بالله وعبادتهم معه الهة اخرى
فاي الفريقين احق بالامن واولى بان لا ياتحققه الخوف فريق الموحدين ام فريق
المشركين فتحكم الله سبحانه بين الفريقين بالحكم العدل الذي لا يحكم اصح منه فقال
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي بشرى اولئك لهم الامن وهم مهتدون ولما
نزلت هذه الآية شق امرها على اصحابه وقالوا يا رسول الله وانا لم نظلم نفسنا فقال
انما هو الشرك لم تسمعوا قول العبد الصالح ان الشرك ظلم عظيم فتحكم سبحانه للمو
حدين بالامن والامن وللمشركين بضد ذلك وهو الضلال والخوف ثم قال وتلك حجتنا
اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم قال ابو محمد
بن حزم وكان الذي ينتحل الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض والغالب على
الدنيا الى ان احدثوا الحوادث وبدلوا شرائع نبوت الله اليهم ابراهيم خليله بدلت
الاسلام الذي نحن عليه اليوم وتصحيح ما افسدوه وبالحقيقة السمحة التي انا
بها محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من عند الله تعالى وكانوا في ذلك الزمان وبعده الخنفاء
قلت هم قسمان صابية مشركون وصابية حنفا وبينهم مناظرات وقد حكى شهر
استاني بعض مناظرهم في كتابه **نصل** في ذكر تلاعبه بالدهرية و
هو لا قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما صكاه الله عنهم فقالوا ما هي الا
حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وهو لا فرقان فرقة قالت ان
المخالق سبحانه خلق الافلاك متحركة اعظم حركة دارت عليه فاحرقته ولم يقدر
على ضبطها وامساك حركتها وفرقة قالت ان الاشياء ليس لها اول البتة وانما تخرج
من القوة الى الفعل فاذا خرج ما كان بالقوة الى الفعل تكونت الاشياء مركباتها
وبسائطها من ذاتها لا من شيء اخر وقالوا ان العالم لم يزل ولا يزال ولا يتغير ولا يتحلل
ولا يجوز ان يكون المبدع يفعل فعلا سبطا ويضحي بعمل الا وهو سبطا ويضحي بعمل
مع فعله وهذا العالم هو المسك لهذه الاجزاء التي فيه وهو لا هم المعطلة حقا
هم تحول المعطلة وقد سري هذا التعطيل الى سائر فرق المعطلة على اختلاف اراهم
وتباينهم في التعطيل كما سري الشرك تاصيلا وتفصيلا في سائر فرق المشركين

تلاعبه بالدهرية

على اختلاف مذاههم فيه وكما سرك محمد النبوة تأصيلها وتفصيلها في سائر
من محمد النبوة أو صفة من صفاتها أو اقربها جملة ومحمد مقصودها وزبدتها
أو نقصه هذه الفرق الثلاثة دلهلها وبلاوها في الناس ولم ينحج الا اتباع الرسول
العارفون بحقيقة ما جاء به المتسكون به دون ما سواه ظاهرا وباطنا فذا
التعطيل ودال الاشتراك ودال مخالفة الرسول ومحمد ما جاء به اوشى منه هو اصل
بلا العالم ومنهج كل شر واساس كل باطل فليست فرقة من فرق اهل الاتحاد والباطل
والبدع الا وقولها مشتق من هذه الاصول الثلاثة او من بعضها

فان تنج منها تنج من ذي عظمة والا فاني لا اظنك ناجيا

فصل فسرت هذه البلايا الثلاثة في كثير من طوائف الفلاسفة لا في
جميعهم فان الفلاسفة من حيث هي لا تعطي ذلك فان معناها محبة الحكمة و
الفيلسوف اصله فيلاسف اي محبة الحكمة ففيلاسف هو المحب وسوفاهي المحكمه و
الحكمة نوعان قولية وفعلية فالقولية قول الحق والفعلية فعل الصواب وكل طائفة
من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها واصح الطوائف حكمة من كانت حكمهم
اقرب الى حكمة الرسل التي جاوا بها عن الله قال تعالى عن نبيه داود واتيناك بالحكمة
وفصل الخطاب وقال عن المسيح ويعلم الكتاب والحكمة والنوراة والانجيل
وقال في يحيى واتيناك بالحكم صبيا والحكم هو الحكم وقال الرسول محمد صلى الله عليه
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وقال يوتي الحكمة من يشاء ومن يوتي الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وقال لاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ما يتلى في بيوتكم
من آيات الله والحكمة والحكمة التي جاء بها الرسل هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع
والعمل الصالح للمؤمنين الحق لا صابة الحق اعتقاد او قول او عملا وهذه الحكمة
فرقها الله سبحانه بين انبيائه ورسله وجميعهم لمحمد صلى الله عليه وآله كما جمع لهم من المجا
سن ما فرقه في الانبياء قبله وجمع في كتابه من العلوم والاعمال ما فرقه في الكتب قبله
فلو جمعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة لكنت في الحكمة التي اوتيتهم اصلها
الله وسلامه عليه جزا يسيرا جدا لا يدرك البشر نسبته والمقصود ان الفلاسفة
اسم جنس لمن يحب الحكمة ويوشها وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس
مختصا بمن خرج عن ديانات الانبياء ولم يذهب الا الى ما يقتضيه العقل في زعمه

ذكر الفلاسفة

واخص

نحو
المساذن

واخص من ذلك انه في عرف المتأخرين اسم لا يتبع ارسطو او هم المتأرون خاصة
وهم الذين هذب ابن سينا طريقهم وبسطها وقررها وهي التي يعرفها بل لا يعرف
سواها المتأخرون من المتكلمين وهو لا فرقة شاذة من فرق الفلاسفة ومقا
لتهم واحدة من مقالات القوم حتى قيل انه ليس فيهم من يقول بقدم الافلاك
غير ارسطو وشيعته فهو اول من عرف انه قال بقدم هذا العالم والاساطين قبله
كانوا يقولون بمحمد ونه واثبات الصانع ومباينته للعالم وانه فوق العالم وفوق
السموات بذاته كما حكاه عنهم اعلم الناس بمقالاتهم ابو الوليد بن رشد في كتابه
منهاج الادلة فقال فيه القول في الجبهة واما هذه الصفة فلم يزل اهل الشريعة من
اول الامر يثبتونها لله تعالى حتى نفى المعتزلة ثم تبعهم على نفى ما خروا الاشعة
كابي المعالي ومن اقتدا بقوله الى ان قال والشرائع كلها مبنية على ان الله في السما
وان منه نزل الملكية بالوحي الى النبيين وان من السموات نزلت الكتب واليهما كان الاسر
بالنبي صلى الله عليه وآله حتى قرب منه سدرة المنتهى وجميع الحكماء قد اتفقوا على ان الله
وللملكية في السما كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك ثم ذكر تقرير ذلك بالمعقول و
بين بطلان الشبهة التي لا جملها نفى الجسمية ومن وافقهم الى ان قال فقد ظهر
لك من هذا ان اثبات الجبهة واجب بالشرع والعقل وانه الذي جاء به الشرع وابني عليه
وان ابطال هذه القاعدة ابطال الشرائع فقد حكى كذا هذا المطالع على مقال الفقا
الذي اعرف بالفلسفة من ابن سينا واضرا به اجماع الحكماء على ان الله في السما
فوق العالم والمتطفلون في حكاية مقالات الناس لا يحكون ذلك ما جهلا و
اعمالا واكثر من دياناه يحكي مذاههم ومقالات الناس يتطفل وكذا الاساطين
منهم يتفقون على اثبات الصفات والافعال وحدوث العالم وقيام الافعال
الاختيارية بذاته سبحانه كما حكاه فيلسوف الاسلام في وقته ابو البركات البغدادي
وقوله غاية التقريب وقال لا يستقيم كون الرب سبحانه في العالمين الا بذلك
وان نفى هذه المسئلة ينفي ربوبيته قال والاجلال من هذا الاجلال والتنزيب
من هذا التنزيب **فصل** وكذا كان اساطينهم ومقدمهم العا
رفون فيهم معظمين للرسل والشرائع موجبين لاتباعهم خاضعين لا قولهم
معتزفين ان ما جاء به طورا اخر وراة طور العقل وان عقول الرسل وحكمهم

فوق عقول العالمين وحكمهم وكانوا لا يتكلمون في الالهيات ويسلمون باب الكلام فيها
 الى الرسل ويقولون علونا انما هي الرياضات والطبيعات وتوابعها وكانوا يقولون
 بحدوث العالم وقد حكى اربا مقالات اول من عرف عنه القول بقديم العالم ارسطو او
 كان مشركا يعبد الاصنام ولم في الالهيات كلام كله خطأ من اوله الى اخره قد اعقبه بالرد
 عليه طوائف الاسلام حتى الجهمية والمعتزلة والقدير والرافضة وفلاسفة الاسلام
 انكروه عليه وجأ فيه بما يستخرجونه العقل وانكر ان يكون الله سبحانه يعلم شيئا من
 الموجودات وقرروا ذلك بانه لو علم شيئا لكل معلوماته ولم يكن كاملا في نفسه وبانه كان
 ياحقه التعب والكلال من تصور المعلومات فهذا غاية عقل هذا المعلم والاستاذ
 وقد حكى ذلك ابو البركات وبان في انكار هذه الحجج وردّها فحقيقة ما كان عليه هذا
 المعلم لا ينافي عده الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وورج على اناراه انما
 من الملاحدة من يستتر باتباع الرسل وهو متحل من كل ما جاءوا به واتباعه يعطونه
 فوق ما تعظم به الانبياء ويردون عرض ما جات به الانبياء على كلامه فوافقه منها
 قبلوه وما خالفوه يعباؤا به شيئا ويسمون المعلم الاول لانه اول من وضع لهم التعاليم
 المنطقية كما ان الخليل بن احمد اول من وضع عروض الشعر وزعم ارسطو واتباعه ان
 المنطق ميزان المعاني كما ان العروض ميزان الشعر وقد بين نظار الاسلام فساد
 هذا الميزان وعوجه وتعيجه للعقول وتخطئه للاذهان وصنفوا في رده
 ونهافته كثيرا واخر من صنف في ذلك شيخنا ^{الاسلاف} بن تيمية الف في رده وابطاله كتابين
 كبيرين وصغيرين بين فيه تناقضه وتماثله وفساده وكثير من اوضاعه ورايت فيه
 تصنيفا لا يبيح السيرة في المقصود ان الملاحدة درجت على اثر هذا المعلم الاول
 حتى انتهت نوبتهم الى معلمهم الثاني ابي نصر الفارابي فوضع لهم التعاليم الصوتية
 كما ان المعلم الاول وضع لهم التعاليم الحرفية ثم وسع الفارابي الكلام في صناعة المنطق
 وبسطها وشرح فلسفة ارسطو وهذا ما وبلغ في ذلك وكان على طريقة سلفه
 من الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فكل فيلسوف لا يكون عنده
 كذلك فليس بفيلسوف في الحقيقة واذا راوه مومنا بالله وملائكته وكتبه ورسله
 ولقائه متقيدا بشريعة الاسلام نسبوه الى الجمل والغباه فان كان ممن لا يشكون في

في فضيلة ومعرفة نسبوه الى التليس والتليس بناموس الدين استماله لقلوب
 العوام فالزندقة والاتحاد عند هؤلاء جزء من الفضيلة او شرط ولعل الجاهل
 يقول اننا نحاملنا عليهم في نسبة الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله اليهم وليس
 من جملة عقالات القوم وجملة بحقايق الاسلام بعيد فاعلم ان الله سبحانه
 وتعالى يقولون عندهم كما قررنا افضل ما خزنهم ولسانهم وقد وثقهم الذي يقدرون
 على الرسل ابو علي بن سينا هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق وليس له عنده صفة
 ثبوتية تقوم به ولا يفعل شيئا باختياره البتة ولا يعلم شيئا من الموجودات
 اصلا لا يعلم عدد الافلاك ولا شيئا من المغيبات ولا له كلام يقوم به ولا صفة
 ومعلوم ان هذا خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له وانما غايته ان يفرضه الذهن
 ويقدم كما يفرض الاشياء المقدمة وهذا ليس هو الرب الذي دعته اليه الرسل وغيره
 الام بل بين هذا الرب الذي دعته الملاحدة وجردته عن الماهية وعن كل صفة
 ثبوتية وكل فعل اختياري وانه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا مبين
 له ولا فوقه ولا تحته ولا امامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله وبين رب
 العالمين والهم المرسلين من الفرق ما بين الوجود والعدم والنفي والاثبات فاي
 موجود فرض كان اكمل من هذا الاله الذي دعته اليه الملاحدة وتحتته افكارهم
 بل منحوت الايدي من الاصنام له وجود وهذا الرب ليس له وجود ويستحيل وجوده
 الا في الذهن هذا قول هؤلاء الملاحدة اصلح من قول معلمهم الاول ارسطو فان هؤلاء
 وجودا واجبا مكانا هو موجود معلول له وصادر عنه صدور المعلول عن العلة ارسطو فلم
 يثبت الامم جهة كونه مبدءا عقليا للكثرة وعلة غايته لحركة الفلك فقط وصرح
 بانه لا يفعل شيئا ولا يفعل باختياره واما هذا الذي يوجد في كتب المشاخر من حكاية
 مذهبه فانما هو وضع ابن سينا فانه اقرب الى مذهب سلفه الملاحدة من دين الاسلام
 بجموده وغاية ما يمكن ان يقر به من اقوال الجهمية الغالية في التمجيم فهم في علومهم في تعظيمهم
 اسد مذهبنا واصح من هؤلاء فاما عند هؤلاء من حين الايمان بالله واما الايمان بالملائكة
 فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم وانما الملائكة عندهم ما يتصوره النبي برغم في
 نفسه من اشكال نورانية هي العقول عندهم وهي المجرىات ليست داخل العالم ولا خارجه
 ولا فوق السموات ولا تحته ولا اشخاص تتحرك ولا تصعد ولا تنزل ولا تدبر شيئا ولا تتكلم ولا

نسخة
 فانه اقرب مذهب

تكتب اعمال العبد ولا لها احساس ولا حركة البتة ولا تنقل من مكان الى مكان
ولا تصف عند ربها ولا تصلي ولا لها تصرف في امر العالم البتة فلا تقبض نفس العبد ولا
تكتب رزقه واجله وعمله ولا عن اليدين وعن الشمال تعبد كل هذا لا حقيقة له عندهم
البتة وربما تقرب بعضهم الى الاسلام فقال الملايكة هي القوة الخيرة الفاضلة في العبد
والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة هذا اذا تقربوا الى الاسلام والى الرسل واما الكتب
فليس عندهم كلاً انزل الى الارض بواسطة الكد فانه ما قال شيئا ولا يقول ولا يجوز عليه
الكلام ومن تقرب منهم الى المسلمين يقول الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على
النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصور تلك المعاني وتشكلت في نفسها بحيث توهمها
اصواتا تخاطبه وربما قوي الوهم حتى يراها اشكالاً نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك
حتى يتخيلها البعض الحاضرين فيرى بها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشي من ذلك في
الخارج واما الرسل والانبياء فللمنبوة عندهم ثلاث خصائص من استكملها فهو نبي
احدها قوة الحدس بحيث يدرك الحد الاوسط بسرعة الثاني قوة التخيل والقبيل
بحيث يتخيل في نفسه اشكالاً نورانية تخاطبه ويسمع الخطأ منها ويتخيلها الى غيره الثاني
لشدة قوة التأثير بالتصرف في هيوكل العالم وهذا يكون عندهم بتجريد النفس عن العلا
يق واتصالها بالمعارف عن العقول والنفس المجردة وهذه الخاصية يحصل
بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كما بين سبعين وابن هود
واضرباها والنبوة عندهم لا صنعة من الصانع كالسياسة بل هي سياسة العادة
وكثير منهم لا يرضى بها ويقول الفلسفة نبوة الخاصة والنبوة فلسفة العامة واما
الايان باليوم الاخر فهم لا يقرون بانفسار السموات وانتشار الكواكب وقيامه الابدان
ولا يقرون بان الله خلق السموات والارض في ستة ايام ووجد هذا العالم بعد عدمه
فلا مبداء عندهم ولا معاد ولا صانع ولا نبوة ولا كتب نزلت من السماء يتكلم الله بها ولا ملا
ئكته تنزل بالوحي من الله فدين اليهود والنصارى بعد النسخ والتبدل خير من ادیان
هو لا وحسبك جهلاً بالله واسماؤه وصفاته وافعاله من يقول انه سبحانه لو علم
الموجودات لحقه الكلال والتعب واستكمل غيره وحسبك خذلانا وضلالا وعنى
السير خلف هؤلاء احسان الظن بهم وانهم اولوا العقول وحسبك عجباً من

خ
بالمعارف

جهلهم

جهلهم وضلالهم ما قالوا في سلسلة الموجودات وصدور العالم عن العقول والنفس
الى انهم اصدروا ذلك الى واحد من كل جهة لا علم له بما صدر عنه ولا قدرة له عليه ولا
ارادة وانه لم يصدر عنه الا واحد ذلك الصادر ان كان فيه كثرة بوجه ما فقد بطل
ما اصلوه وان لم يكن فيه كثرة البتة لان لا يصدر عنه الا واحد مثله وتكثر الموجودات
وتعدد ها يكذب هذا الرأي الذي هو ضحكة للعقل وسخرية للاولى لا باب مع ان
هذا كله من تخليط ابن سينا وارانته تقرب هذا المذهب من الشرايع وهيئات والا
فالعلم الاول ثبت صانعاً للعالم البتة والرجل معطل شريك جاحد للنبوات لا مبداء
عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتاب والرازي وفروخه لا يعرفون من مذاهب الفلاسفة
سفة غير طرية ومذاهبهم واراوهم كثيرة جداً قد حكاهما اصحاب المقالات كالأشعري
في مقالاته الكبيرة والي عيسى الوراق والحسن بن موسى التستري والي الوليد بن رشد
على مذهب ارسطو اغنيا حكاها ابن سينا ويخلطه في كثير من المواضع وكذلك ابو
البركات البغدادي يحكي نفس كلامه على غير ما يحكيه ابن سينا **فصل**
والفلاسفة لا تختص بامة من الامم بل هم موجودون في سائر الامم وان كان المعروف
عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم هم فلاسفة اليونان فهم طائفة من طوائف
الفلاسفة وهو الامم من الامم لهم مملكة وملوك وعلماء وهم فلاسفتهم ومن ملوكهم
الاسكندر المقدوني وهو ابن فيلنفس وليس بالاسكندر ذي القرنين الذي قص الله
نبأه في القرآن بل بينهما قرون كثيرة وبينهما في الدين اعظم تباين فذوالقرنين كان
رجلاً صالحاً موحداً لله يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وكان يعزو
عباد الاصنام وبلغ مشارق الارض ومغاربها وبنى السددين الناس وبين يا حوج
وما حوج واما هذا المقدوني فكان مشركاً يعبد الاصنام هو واهل مملكته و
كان بينه وبين المسيحية نحو الف وستماية سنة والنصارى توبخ له وكان ارسطاطال
ليس وزيره وكان مشركاً يعبد الاصنام وهو الذي غزا دار ابن دارمك الفرس في
عقر داره فقتل عرشه ومزق ملكه وفرق جمعه ثم دخل الى الصين والهند وبلاد الترك
فقتل وسبي وكان لليوانيين في دولة عز وسطوة بسبب وزير ارسطو فانه كان
وزيره ومشيره ومدبر مملكته وكان بعده ليونان عدة ملوك يعرفون بالبطالمة
واحد هم بطليموس كما ان كسر مكد الفرس وقصر مكد الروم ثم غلبهم الروم واستولوا

خ
التونجتي

على ما لكم فصا وارية لهم وانقرض ملكهم فصارت المملكة واحدة وهم على شركهم
من عبادة الاصنام وهو دينهم الظاهر ودين ابايهم فنشأ بينهم سُقراط احد
تلاميذ فيثاغورس وكان من عبادهم ومثاليهم وجاهرهم بمخالفتهم في عبا
دة الاصنام وقابل رسالتهم بالادلة والحق على عبادتها بطلان فتارة عليه العامة
واضطروا المكالي قتله فاودعه السجن ليكفهم عنه ثم لم يرض المشركون الا يقتله فسقا
السم خوفا من شرهم بعد ما طرات طويلة جرت له معهم وعذبه في الصفا قريب من
مذهب اهل الالباب فقال انه اله كل شيء وخالفه وقدره وهو عزيراي منبع متمتع ان
يضام وحكيم اي يحكم افعاله على النظام وقال ان علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا
نهاية لا يبالغ العقل ان يصفها وقال ان تناهي المخلوقات بحسب احتمال القوايل لا
بحسب الحكمة والقدرة فلما كانت المادة لا تتحمل صوراً بلا نهاية تناهت الصور
لا من جهة بخل في الواهب بل لقصور في المادة قال وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية
انها وان تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا الا انها لا تتناها زمانا في اخرها
لان في نحوها وانما اقتضت الحكمة استيقا الاشخاص باستيقا الانواع وذلك بتجدد
امثالها ليحفظ الاشخاص ببقا الانواع ويستيقا الانواع بتجدد الاشخاص فلا
تبلغ القدرة الى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية ومن مذهبه ان اخصا
يوصفه الرب سبحانه هو كونه حيا قيوما لان العلم والقدرة والجود والحكمة
تندرج تحت كونه حيا قيوما فهما صفتان جامعتان لكل وكان يقول هو حي
ناطق من جوهره اي من ذاته وحياتنا ونطقنا لامن جوهرنا ولهذا يتطرق
الى حياتنا ونطقنا لعدم والدنوي والفساد ولا يتطرق ذلك الى حياته ونطقه
وكلاهما في المعاد والصفات والمبدا اقرب الى كلام الانبياء من كلام غيره وبالجملة
فهو اقرب القوم الى تصديق الرسل ولهذا قتله قومه وكان يقول اذا قبلت الحكمة
خدمت السموات العقول واذا ادبرت خدمت العقول السموات وقال لا تتركها
اولادكم على اناركم فانهم مخلوقون لزمان زمانكم وقال ينبغي ان يغتم بالحياة ويؤثر
بالموت لان الانسان يحب الموت ثم يموت ليحيا وقال قلوب المعرفين بالمعرفة بالحقا
يق منابر الملائكة وقلوب الوترين للسموات مقاعد للمشياطين وقال للحياة حدان
احدهما الامل والاخر الاجل فالاول بقاءها والاخر فناؤها وكذا افلاطون كان معروفا بالتوحيد والتكامل



الاصنام واشتات حدوث العالم وكان تلميذ سُقراط ولما هلك قام مقامه وجلس
على كرسيه وكان يقول ان للعالم صانعا محدثا مبدعا زليلا واجبا بذاته عالما بجميع
المعلومات قال وليس في الوجود رسم ولا طلل الا ومثاله عند الباري تعالى شير الحان
وجود صور المعلومات في علمه فهو مثبت للصفات وحدث العالم ومنكر لعباد
الاصنام ولكن لم يواجه قومه بالرد عليهم وعيب الهتهم فسكتوا عنه وكانوا يعرفون
له فضله وعلمه وصرح افلاطون بحدث العالم كما كان عليه الاساطين وحكي
ذلك عنه تلميذه ارسطو او خالفه فيه فزعم انه قد تم وتبعه على ذلك ملاحدة الفلا
سفة من المنتسبين الى الملل وغيرهم حتى انتهت التوبة الى علي بن سينا فرام بجمعه
تقريب هذا الرأي من قول اهل الملل وهيئات اتفاق النقيضين واجتماع الضدين
فرسل الله وكتبه واتباع الرسل في طرف وهو لا في طرف وكان ابن سينا كما اخبر عن نفسه
قال انا وابي من اهل دعوة الحانم فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بعباد
ولا معاد ولا رب خالق ولا رسل مبعوثا من عند الله وكان كاهولا زنادقة لا
يستترون بالرفض ويبطنون الالتحا وينتسبون الى اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم
وهو اهل بيته برأئهم نسباً ودينا وكانوا يقتلون اهل العلم والايمان ويدعون
الى الالتحاد والشرك والكفر لا يحرمون حراما ولا يحلون حلالا وفي زمنهم و
لخواصهم وضعت رسائل اخوان الصفا ولما انتهت الفتنة الى نصير الشرى والكفر
المحدد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هو لا كواشفا نفسه من اتباع الرسول
واهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفا اخوانه من الملاحدة واشتفى هو فقتل
الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين واستبقى الفلاسفة والمنجمين والطب
يعيبهم والسحرة ونقل اوقاف المساجد والمدارس والربط اليهم وجعلهم خاصة
واولياهم ونصير في كسبه قديم العالم وبطلان المعاد وانكار صفات الرب جل جلاله
من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره وانه لا داخل العالم ولا خارجه وليس
العرش له يعبد البتة واتخذ للملاحدة مدارس ورام جعل اشارات امام المحدثين
ابن سينا مكان القرآن فلم يقدّر على ذلك فقال في قران الخواص وذاك قران العوام
ورام تغيير الصلاة وجعلها صلاتين فلم يتم له الامر وتعلم السحر في اخر الامر فكان
ساحرا يعبد الاصنام وضارح محمد الشهرستاني ابن سينا في كتاب سماه المضارعة

ابطل فيه قوله بقدوم العالم وانكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه للعالم
فقام له نصير الاتحاد وقعد ونقضه بكتاب سماه مضاربة التضاريف ووقفنا
على الكتابين نصر فيه ان الله لم يخلق السموات والارض في ستة ايام وان لا يعلم
شيئا وان لا يفعل شيئا بقدرته واختياره ولا يبعث من في القبور وبالجملة فكان
هذا الملحد واتباعه من الملحدين الكافرين بالله وحلائكته وكثيره ورسله واليوم
الاخر والفلسفة التي يقرأها اتباع هو لا اليوم هي ماخوذة عنه وعن احامه ابن
سينا وبعضها عن ابن نصر الفارابي وشي يسير منها من كلام ارسطو وهو مع قلته و
غثائفه وركاكة الفاظه كثير التطويل لا فائدة فيه وخيار ما عنده هو لا فالذي عند
مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم خير منه فانهم يذنبون حتى يثبتوا واجب الوجود
ومع اثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق لا صفة له ولا نعت ولا فعل يقيوم به لم يخلق
السموات والارض بعد عديمها ولا له قدة على فعل ولا يعلم شيئا وعباد الاصنام
كانوا يثبتون رباً خالقاً بعد ما قادرا حياً ويشركون به في العبادة فنهاية امر
هو لا الوصول الى شيء برز عليهم فيه عباد الاصنام وهم فرق شتى لا يحصيهم الا الله
احصا المعنويون منهم بمقالات الناس منهم اثني عشر فرقة كل فرقة منها مختلفة اختلا
فاكثر منهم اصحاب الرواق واصحاب الباطل والمشاوون وهم شيعة ارسطو وفلسفتهم
هي الدائرة اليوم بين الناس وهي التي يحكيها ابن سينا والفارابي وابن الخطيب وغيرهم
ومنهم الغشاش غوريه والافلاطونية ولا تكاد تجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد
بل قد تلاعب بهم الشيطان كسلاعب الصبيان بالكره ومقالاتهم اكثر من ان تذكرها
على التفصيل وبالجملة فملاحذتهم هم اهل التعطيل المحض فانهم عطوا الشرايع
وعطوا المصنوع عن الصانع وعطوا الصانع عن صفات كماله وعطوا العالم عن
الحق الذي خلق له وبه فعطوا عن مبدئية ومعاده وعن فاعلية ثم سراهذا
الدأمنهم في الامم وفي فرق المعطلة فكان منهم امام المعطلين فرعون فانه اخرج
التعطيل الى العمل وصرح به واذن به بين قومه ودعا اليه وانكر ان يكون لقومه
اله غيره وانكر ان يكون الله فوق سمواته على عرشه او ان يكون كلم عبده موسى تكليماً
وكذب موسى في ذلك وطلب من وزيره هامان ان يبنى له صرحاً ليطلح بزعمة الى اله موسى وكذبه

في ذلك

في ذلك فاقنري به كل جهل فكتب ان يكون مكلماتكم او يكون فوق سمواته
على عرشه بايان خلقه ودرج قومه واصحابه على ذلك حتى اهلكهم الله با
لغرق وجعلهم عبرة لعباده المؤمنين ونكالا لاعدائهم المعطلين ثم استمر الامر
على عهد نبوة موسى كليم الرحمن على التوحيد واثبات الصفات وتكليم الله لعبده
موسى تكليماً الى ان توفي موسى ودخل الداخل على بني اسرائيل ورفع التعطيل راسه
بينهم واقبلوا على علوم المعطلة اعدا موسى وقد موها على نصوص التوراة فسلط
الله عليهم من ازال ملكهم وشردهم من اوطانهم وسبوا ذريتهم كما هي عادته سبحانه
في عباده اذا عرّضوا عن الوحي وتعرضوا عنه بكلام الملاحدة المعطلة من الفلا
سفة وغيرهم كما سلط النصارى على بلاد الغرب لما ظهرت فيها الفلسفة والمنطق
واشتغلوا بها فاستولت النصارى على اكثر بلادهم واصاروهم رعية لهم وكذلك لما
ظهر ذلك ببلاد المشرق سلط عليهم عسكر التتار فابادوا اكثر البلاد الشرقية واستولوا
عليها وكذلك في اواخر المائة الثالثة واول الرابعة لما استقل اهل العراق بالفلسفة
وعلموا اهل الاتحاد سلط عليهم القرامطة الباطنية فكسروا عسكر الخليفة عند مرو
واستولوا على الحاج واستعرضوهم قتلاً واسرا واشتد شوكتهم واتهم بمواقفهم
في الباطن كثير من الاعيان من الوزراء والكتاب والادبا وغيرهم واستولوا اهل دغونم
على بلاد الغرب واستقرت دار مملكتهم بمصر وبنيت في ايامهم القاهرة واستولوا على
الشام والحجاز واليمن والغرب وخطب لهم على منبر بغداد والقصور ان هذا الد
لما دخل في بني اسرائيل كان سبب دمارهم وزوال مملكتهم ثم بعث الله عبده ورسوله و
كلمته المسيح بن مريم فجدد لهم الدين وبين لهم معالمه ودعاهم الى عبادة الله وحده
والنهي عن تلك الاحداث والآثار الباطلة فعادوه وكذبوه ورموه واعدوا بالعظام وراموا
قتله فظهر الله منهم ورفع اليه فلم يصلوا اليه بسوء فقام الله للمسيح انصاراً دعا
الى دينه وشرعيته حتى ظهر دينه على من خالفه ودخل فيه الملوك وانتشرت دعوته
واستقام الامر على السداد بعده نحو ثلاث مائة سنة ثم اخذوا دين المسيح في التبدل
والتغيير حتى تناسخوا وضلوا ولم يبق بايدي النصارى منه شيء بل ركبوا ديناً بين دين
المسيح ودين الفلاسفة عباد الاصنام وراوا بذلك ان يتلفوا اللام حتى يدخلوهم
في النصارى فنقلوهم من عباد الاصنام المجسدة الى الصور الذي لا ظل لها ونقلوهم من السجود

ابتدأ بتدوين
عيسى عليه
السلام

لشمس السجود الى جهة المشرق ونقلوهم من القول باتحاد العاقل المعقول والعقل الى القول باتحاد الاب والابن وروح القدس هذا ومعهم بقايا من دين المسيح كالختان والغسل من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمه التوراة الا ما احل لهم بنصنا ثم تناهت الشريعة الى ان استحلوا الخنزير واحلوا السبت وعوضوا عنه يوم الاحد وتركوا الختان والغسل من الجنابة وكان المسيح يصلي الى بيت المقدس فصلواهم الى المشرق ولم يعظم المسيح صليبا قط فعظموهم الصليب وعبدوه ولم يصم المسيح صومهم هذا البلاء ولا شرعه ولا امر به البتة بل هم وضعوه على هذا العدد ونقلوه الى زمن الربيع فجعلوا عازا زادا وفيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الى ليلية الى الشهر الروميه وتعبدوا بالنجاسات وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنضارة وبعد الخلق عن النجاسة فلا فقصده بذلك تغيير دين اليهود ومراعاتهم فغيروا دين المسيح وتفرقوا الى الفلسفة وعباد الاصنام بان وافقهم في بعض الامور ليس منوهم به واستنصروا بذلك على اليهود ولما اخذ دين المسيح في التغيير والفساد اجتمعت النصارى عدة بجناح تروني على ثمانية فجمعوا ثم تفرقوا على الاختلاف والتلاع يلحن بعضهم بعضا حتى قال فيهم بعض العقلاء لو اجتمع عشرة من النصارى يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن احد عشر مذهباً جمعهم حتى قسطنطين الملك اخذ ذلك من الجزاير والبلاد وسائر الاقطار فجمع كل بيتك واسقف وعالم فكانوا ثلثمائة وثمانية عشر فقال انتم اليوم علما النصرانية واكابر النصارى وانفقوا على امر تجتمع عليه كلمة النصرانية ومن خالفها لعنتوه وحرمتوه فقاموا وقعدوا وفكروا وقدروا وانفقوا على موضع الامانة التي بايديهم اليوم وكان ذلك بمدينة بنقية سنة خمس عشرة من ملك قسطنطين وكان احد اسباب ذلك ان بطريق الاسكندرية سيج اريوش من دخول الكنيسة ولعنه فخرج اريوش الى قسطنطين الملك مستعدا عليه وبعده اسقفان فشكوا اليه وطلبوا مناظرته بين يدي الملك فاستحضره الملك وقال لاريوش اشرح مقالته فقال لاريوش ان اول ان الاب كان اذ لم يكن الابن ثم اخذ الابن فكان كلمة له الا انه بعد ثم فوض الامر الى ذلك الابن المسمى كلمة فكان هو خالق السموات والارض وما بينهما كما قال في انجيله اذ يقول

وهب لي سلطانا على السما والارض فكان هو الخالق لهما بما اعظم من ذلك ثم ان تلك الكلمة اتحد بعد من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً واحداً فالمسيح الان معيان كلمة وجسد الانهما جميعان مخلوقان فقال بطريق الاسكندرية خبيرنا ايماناً واجب علينا عندك عبادة من خلقنا او عبادة من لم يخلقنا فقال اريوش بل عبادة من خلقنا فقال فعباد الاله الذي خلقنا وهو مخلوق او جب من عبادة الاله الذي ليس بمخلوق بل تصير عبادة الاله الخالق كفرا وعبادة الابن المخلوق ايمانا فاستحسن الملك والحاضران مقالة وامرهم الملك ان يلغوا اريوش وكل من يقول مقالة فلما انتصر البطريق قال للملك استحضر البطارقة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع قصة نشرح فيها الدين ونوضحه للناس فحضرهم قسطنطين من ساير الافاق فاجتمع عنده بعد سنة وعشرين شهرا من الفان وثمانية واربعون اسقفا وكانوا مختلفي الاراء متباينين في اديانهم فلما اجتمعوا اكثر المغط بينهم وارتفعت الاصوات وعظم الاختلاف وتعجب الملك من شدة اختلافهم واجرا عليهم الاثر وامرهم ان يتناظروا حتى يعلم الدين الصحيح من منهم فطالت المناظرة بينهم فانفق منهم ثلاث مائة وثمانية عشر اسقفا على راي واحد فناظر باقية الاساقفة فظهر واعلمهم فعقد الملك لحواء الثلاث مائة مجلسا خاصا وجلس في وسطه واخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ودفعه اليهم وقال لهم قد سلطتكم على المملكة فاصنعوا ما بدا لكم فيه قوام دينكم وصلاح امتكم فباركوا عليه وقلدوه سيفه وقالوا له اظهر دين النصرانية وادعنا عنه ودفعوا اليه الامانة التي اتفقوا على وضعها فلا يكون عندهم نصراني من لم يقبل ولا يمت له قربان الايمان وهي هذه نؤمن بالله الواحد الاله كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد بكر الخلاق كلها الذي ولد من ابية قبل العوالم كلها وليس بمصنوع الحق من الحق من جوهر ابية الذي بيده اتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من اجلنا معشر الناس ومن اجل خلاصنا نزل من السما واتحد من روح القدس وصار انسانا وحل به ثم ولد من مريم البتول والم وانجى وقل وصلى ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد الى السما وجلس عن يمين ابية وهو مستعد للمجيء تارة اخرى للقضا بين الانوات والاحياء ونؤمن بروح القدس روح الحق الذي يخرج من ابية روح حبيه ومعوية واحدة لغفران الخطايا يا وجماعة واحدة قدسية جاكيفية وبقية ابدانا والحياة الدائمة الى ابد الابدين فهذا

العقد الذي اجمع عليه الملكية والنسطورية واليعقوبية وهذه الآلة التي فيها
اولئك البطاركة والاساقفة والعلماء جعلوها شعار النصرانية وكان روسا
هذا المجمع بترك الاسكندرية وترك الانطاكية وترك بيت المقدس فافترقوا عليها و
على من خالفها والتبري مني وتكفيره ثم ذهب اريوش يدعوا الى مقالته وينفر النصارى
ري عن اولئك الثلاث ما به فجمع جمعا عظيما وصاروا الى بيت المقدس وخالف كثير
من النصارى لاولئك المجمع فلما اجتمعوا قال اريوش ان اولئك النفر تعدوا على وظلموني ولم ينصوني
في الحجاج وحرروني ظلما وعدوانا ووافقه كثير من الذين معه وقالوا صدق فوثبوا
عليه فضر به حتى كاد ان يقتل لولا ان ابن اختا الملك خلصه وافترقوا على هذه الحال
ثم كان لهم مجمع ثالث بعد ثمان وخمسين سنة من المجمع الاول اجتمع القواد
الى الملك وقالوا ان مقالة الناس قد فسدت وغلب عليهم مقالة اريوش فاكتب الى جميع البطاركة
والاساقفة ان يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانية فكتب الملك الى ساير بلاد
فاجتمع بقسطنطينية سنة وخمسون واستقفا وكان مقدمهم بترك اسكندرية
وبترك انطاكية وبترك بيت المقدس فنظروا في مقالة اريوش وكان من مقالته ان
روح القدس مخلوق مصنوع ليس بالاله فقال بترك الاسكندرية ليس لروح القدس
عند معنى غير روح الله تعالى وليس روح الله شيا غير حياته فاذا قلنا ان روح القدس
مخلوق فقد قلنا ان روح الله مخلوق واذا قلنا ان روح الله مخلوق فقد قلنا ان
حياته مخلوق فقد جعلناه غير حي ومن جعله غير حي فقد كفر ومن كفر وجب عليه اللعن
فلعنوا باجمعهم اريوش وشياخه واتباعه والبتاركة الذين قالوا بمقالته وبينوا ان
روح القدس خالق غير مخلوق اله حق من طبيعة الابن جوهر واحد وطبيعة
واحدة وزادوا في الامانة التي وضعها الثلثمائة وثمانية عشر نؤمن بروح القدس الرب
المحيي الذي من الابن متبني الذي من الابن والاب وهو مسجود ومجد وكان في الامانة الاولى
وبروح القدس فقط وبينوا ان الاب والابن وروح القدس ثلاثة اقايم وثلاثة وجوه
وثلاثة خواص واحدة في تثليث وتثليث واحد وزادوا ونقصوا في الشريعة واطلق
بترك الاسكندرية للرهبان والاساقفة والبتاركة اكل اللحم وكانوا على مذهب ما لا
يروون اكل ذوات الارواح فانقض هذا المجمع وقد لعنوا فيه اكثر اساقفتهم وبتاركتهم

ومضوا على تلك الامانة **ثم** كان لهم مجمع رابع بعد احد وخمسين سنة من هذا
المجمع على نسطورس وكان مذهبه ان من لم يست بوالدة الاله على الحقيقة ولكن
ثم اثنان الاله الذي هو موجود من الاب والآخر انسان الذي هو موجود من مريم وان
هذا الانسان الذي تقول انه المسيح متوحد مع ابن الله الاله وابن الاله ليس ابنا
على الحقيقة ولكن على سبيل المحبة والكرامة واتفاق الاسمين فبلغ ذلك بتاركة ساير
البلاد فحجرت بينهم مراسلات واتفقوا على تخطيته واجتمع منهم ميتا اسقف في مدينة
اقسيس وارسلوا الى نسطورس للمناظرة فاستنع ثلاث مرات فاجبوا عليه اللعن
فلعنوه ونفوه وحرروه وبينوا ان مريم ولدت لها وان المسيح اله حق وانسان معروف
بطبيعته متوحد في الاقنوم فلما لعنوا نسطورس غضب عليه بترك انطاكية فجمع اساقفة
قفته الذين قدموا معه وناظرهم فقطعهم وتقاتلوا ووقع الحرب والشر بينهم وتفا
ثم امرهم فلم يزل الملك حتى اصلى بينهم فكتب اوليك صحيفة بان مريم القديسة ولدت
الها وهو ربنا يسوع المسيح الذي هو روح الله في الطبيعة ومع الناس في الناس وانفقوا
لعن نسطورس فلما نفى نسطورس سارا الى ارض مصر واقام باخيم سبع سنين ودفن بها
ودرس مقالة الى ان احياها ابن صوما بطران فاضيبين وبثما في بلاد المشرق فاكثر
نصارى العراق والمشرق نسطورية وانقض ذلك المجمع على لعن نسطورس ومن قال
بقوله وكل مجامعهم كانت تجتمع على الضلال وتفرق على اللعن فلا ينقض المجمع الا
وهم بين لاعن وملعون **ثم** كان لهم مجمع اخر خاص وذلك انه كان بالقسطنطينية
طبيب راهب يقال افطوس يقول ان جسد المسيح ليس هو جسدنا في الطبيعة
وان المسيح قبل التجسد طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة وهذه مقالة
اليعقوبية ورجل الى اسقف قلمة فناظره فقطعه وحضر محنة صلا القسطنطينية
فاخير بتركها بالمناظرة وبانقطعه فارسل بترك الاسكندرية اليه فاستحضره
وجمع جمعا عظيما وسالهم عن قوله فقال ان قلنا ان المسيح طبيعتان فقد قلنا
بقول نسطورس ولكن نقول ان المسيح طبيعة واحدة واقنوم واحد لانه من
طبعته كانا قبل التجسد فلما تجسد التزمن الاثنينية وصار طبيعة واحدة
واقنوما واحدا فقال له بترك القسطنطينية ان كان المسيح طبيعة واحدة
فالم طبيعة القديمة هي الطبيعة المجددة وان كان القديم هو المجدد فالذي لم يزل

هو الذي لم يكن ولو جاز ان يكون القديم هو المحدث لكان القائم هو القاعد والمخار
هو البار وفأى ان يرجع عن مقالته فلعنوه فاستعكس الملك وزعم انهم ظلموه و
سأله ان يكتب الى جميع البطاركة للمناظرة فاستحضر الملك البطاركة والاساقفة من
سائر البلاد الى مدينة اقسيس فثبت بطريق الاسكندرية مقالته افطيوس وقطع بنا
رك القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وسائر البطاركة والاساقفة وكتب الى بتر
رومية والى جملة البطاركة والاساقفة فحرمهم ومنعهم من القربان ان لم يقبلوا مقالة افطيوس
ففسد الامانة وصارت مقالة افطيوس ماضية بمصر والاسكندرية وهو مذهب
اليعقوبية فافترق هذا المجمع الخامس وهم بين لاعن وملعون وضال ومضل وقابل
يقول الصواب مع اللاعنين وقابل يقول الحق مع الملعون **ثم** كان لهم بعد هذا
مجمع سادس في دولة مرقس فانه اجتمع اليه اساقفة من سائر البلاد فاعلموه ما
كان من ظلم ذلك المجمع وقلة الانصاف وان مقالة افطيوس قد غلبت على الناس و
افسد دين النصرانية فامر الملك باستحضار سائر البطاركة والبطارقة والاساقفة
الى حضرته فاجتمع عنده ستماية وثلاثون اسقفاً فنظر في مقالة افطيوس وبتر
الاسكندرية التي قطع بها جميع البطاركة فافسد مقالتهما ولعنوهما واشتبوا ان
المسيح اله والسيان ومع الله في اللاهوت ومعنا في الناسوت له طبيعتان تامتان
فهو تام باللاهوت تام بالناسوت وهو مسيح واحد وثبتوا قول الثلثماية وثمانية
عشر اسقفاً وقبلوا قولهم بان الابن مع الله في المكان وانه له حق ولعنوا **الروم**
وقالوا ان روح القدس اله وقالوا ان الاب والابن وروح القدس واحد بطبيعة
واحد واقانيم ثلاثة وثبتوا قول اهل المجمع الثالث وقالوا ان من هم العذرا
ولدت الاربابا يسوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعة ومعنا في الناسوت
وقالوا ان المسيح طبيعتان واقنوم واحد **لعنوا** اسطورس وبتر الاسكندرية
فانقض هذا المجمع وهم بين لاعن وملعون **ثم** كان لهم بعد هذا مجمع سابع
في ايام اسطاس الملك واذ كان سورس القسطنطيني جاً الى الملك فقال ان **الجماعة**
ذلك المجمع الستماية وثلاثون اسقفاً قد اخطاوا والصواب ما قاله افطيوس وبتر الاسكندرية
فلا يقبل من سواهما فاكتب الى جميع بلاد ان العنوا الستماية وثلاثون وان ياخذ
الناس بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة واقنوم واحد فاجابه الملك الى ذلك فلما

او طيسوس

بلغ بتر بيت المقدس جمع الرهبان فلعنوا اسطاس الملك وسورس ومن يقول بمقا
لتهما فبلغ ذلك الملك فغضب وبعث بنفي البتر الى ايله وبعث يوحنا بتركا على بيت
المقدس لانه كان قد ضمن للملك ان يلعن الستماية وثلاثين فلما قدم الى بيت المقدس
اجتمع الرهبان وقالوا اياك ان تقبل سورس ولكن قاتل عن الستماية وثلاثين
ونحن معك نفعل وخالف الملك فلما بلغه ارسل قائدا واحدا ان ياخذ يوحنا بلعنة
اولئك فان لم يفعل انزله عن الكرسي ونفاه فقدم القايد وطرح يوحنا في الحبس فصار
اليه الرهبان في الحبس واثاروا عليه بان يضمن للقايد ان يفعل ذلك فاذا حضر فليقر
بلعنة كل من لعنه الرهبان فاجتمع الرهبان وكانوا عشرة الاف راهب فلعنوا افطيسوس
ونسطورس وسورس ومن لا يقبل من اولئك الستماية وثلاثين ففرغ رسول الملك
من الرهبان وبلغ ذلك الملك فمضى بنفي يوحنا فاجتمع الرهبان والاساقفة فكتبوا الى الملك
انهم لا يقبلون مقالة سورس ولواريت دما وهم وسالوه ان يكف عنهم اذاه وكتب بتر
رومية الى الملك يقيح فعله ويلعنه فانقض هذا المجمع على اللعنة ايضا وكان لسورس
تلميذ يقال له يعقوب البرخاني لانه كان يلبس من قطع براذخ الدواب يرقح بعضهم
ببعض واليه تنسب **اليعاقبة** فافسد امانة القوم ثم هلك اسطاس الملك
وفي بعده قسطنطين فرد كل من نفاه اسطاس الى موضعه وكتب الى بيت المقدس
بامانة فاجتمع الرهبان واظهروا كتابه وفروا به واشتبوا قول الستماية وثلاثين
اسقفاً وعلت اليعقوبية على الاسكندرية وقتلوا بتركا لانه يقال له بولس وكان ملكانيا
فولي الملك اسطيانوس فارس قائدا ومعه عسكر عظيم الى الاسكندرية فدخل الكنيسة
في ثياب البتر وتقدم وقدس فرموه بالحجارة حتى كادوا يقتلونه فانصرف وتوارى عنهم
ثم اظهروا له بعد ثلاثة ايام انه اتاه كتاب من الملك وامر المحرسان بجمعوا الناس لسماعه
فلما سبق احدا بالاسكندرية حتى حضر لسماعه وكان جعل بينه وبين جنده علامة
اذا هو فعلموا وضعوا السيوف في الناس فصعد المنبر وقال يا معشر اهل الاسكندرية
ان رجعتكم الى الحق وتركتم مقالة اليعاقبة والالم تامنوا ان يوجه الملك اليكم من سيفك
دماكم فرموه بالحجارة حتى خاف على نفسه فاظهر العلامة فوضعوا السيوف على من
بالكنيسة فقتل خلق لا يحصىهم الا الله حتى خاض هذا المجد في الدنيا وظهرت

لعل
مقالة

مقالة ملكانية بالاسكندرية ش كان لهم بعد ذلك مجمع ثامن و
ذلك ان اسقف منبج كان يقول بالتناسخ وان لم يسمع قياضه ولا بعث وكان اسقف
الرها واسقف المصيصة واسقف ثالث يقولون ان جسد المسيح خيال غير
حقيقة فحشرهم الملك الى قسطنطينية فقال لهم بتركها ان كان جسده خيالا
فيجب ان يكون فعله خيالا وقوله خيالا وكل جسد نفاينه لاحد من الناس او فعل
او قول فهو كذلك وقال له ان المسيح قد قام من الموت واعلمنا انه كذلك يقوم الناس
يوم الدين واحتج بنصوص من الانجيل كقوله ان كل شيء في القبر اذا سمعوا قول
الله سبحانه يحيوا فاجاب عليهم اللعن وامر الملك ان يكون لهم مجمع يلعنوا فيه
واسقف منبج وباركة البلاد فاجتمع عنده مائة واربعة وستون اسقفا فلعنوا
اسقف منبج واسقف المصيصة وثبتوا ان جسد المسيح حقيقة لا خيال وان
التمام وانسان تام معروف بطبيعتين ومشتين وفعلين اقنوم واحد وان الدنيا
زائلة وان القيمة كايته وان المسيح ياتي لمجد عظيم فيدين الاحياء والاعوات كما
قال الثلثماية وثمانية عشر الاوائل فتفرقوا على ذلك ش كان لهم مجمع تاسع
على عهد معاوية بن ابي سفيان تلاحوا فيه وذلك انه كان برومية راهبا تلميذا
فيما الى قسطنطينية فوجد على قبح مذهبه وشناعة فكره فامر به قسطنطين
فقطعت يده ورجلاه ونزع لسانه وفعل باحد التلميذين كذلك وضرب الاخر
بالسياط ونفاه فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فارسل اليه ان يوجه اليه من افا
صل الاساقفة ليعلم وجه هذه الشبهة ومن كان ابتدأ بها ويعلم من يستحق
اللعن فبعث اليه مائة واربعين اسقفا وثلثماية شماسة فلما وصلوا اليه جمع
الملك مائة وثمانية وستين اسقفا فصاروا ثمانين واثنين وتسعين اسقفا
الثمانية وكان رئيس هذا المجمع بترك قسطنطينية وترك انطاكية فلعنوا من
تقدم من القديسين والبتاريك واحد واحد فلما اعنواهم جلسوا فخلصوا
ولا زادوا فيها ونقصوا فقالوا انهم بان الواحد من الناس الابن الوحيد الذي
هو الكلمة الازلية الدائم المستوي مع الاب لا اله في الجوهر الذي هو ربنا يسوع
المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين ومشتين في اقنوم واحد ووجه واحد

خ
قصدا

تمام بلاهوت تمام بلاهوت وشهدت ان لا اله الا الله في اخر الايام اتخذ من العذ
السيدة من القديسة جسدا انسانا بنفسيا ناطقة عقلية وذلك برحمة الله تعالى
فحب البشر ولم ياتهم اختلاط ولا فساد ولا فرقة ولا فصل ولكن هو واحد يعمل
بما يشبه الانسان ان يولد في طبيعته وما يشبه الله ان يولد في طبيعته الذي
هو الابن الوحيد والكلمة الازلية المتجسدة التي صارت في الحقيقة كما يقول
الانجيل المقدس من غير ان ينتقل من مجده الازلي وليست بتغيير لكنها بفعلين
ومشتين وطبيعتين الهي انساني الذي هما يكمل قول الحق وكل واحد من الطبيعتين
يعمل مع شركة صاحبها مشيتين غير متضادتين ولا متضارعتين ولكن مع المشية
الانسية المشية الالهية القادرة على كل شيء هذه امانة هذا المجمع فوضعوها واعنوا
من لعنوه وبين المجمع الخامس الذي اجتمع فيه الستمائة والثلاثون وبين هذا
المجمع مائة سنة ش كان لهم مجمع عاشور ذلك لما مات الملك ولما ابنه
بعده واجتمع اهل المجمع السادس وزعموا ان اجتماعهم كان على ابا طل فجمع الملك
مئة وثلاثين اسقفا فثبتوا قول المجامع الخمسة واعنوا من العنهم وخالفهم وانصرفوا
بين لا عنوا ولمعون فمئة عشر مجامع كبار من مجامعهم مشهور استملت على
اكثر من اربعة عشر الفا من البطاركة والاساقفة والرهبان كلهم مابين لا عن
ولمعون فمئة حال المتقدمين مع قرب زمانهم من ايام المسيح ووجوه اخباره
فيهم والدولة دولتهم والكلمة كلمتهم وعلموا هم اذ ذاك اوفروا كاثرا واهتمامهم
بامور دينهم واحتفالهم به كما ترى وهم حيارى تاه يهملون مصلون لا يثبت
لهم قدم ولا يستقر لهم قول في الههم بل كل منهم قد اتخذ الهه هو وهوا صرح بالكفر
والتبري من اتبع سواه قد تفرقت بهم في بنيتهم والهمم الاقاويل وهم كما قال سبحانه
قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سوا السبيل فلوسالت اهل البيت عن
دينهم ومعتقدهم في دينهم وبنيتهم لاجابك الرجل بجواب وامرته بجواب وابنه
بجواب والخدام بجواب فما ظنك من في عصرنا هذا وهم خالقة الفاضل وزيا
له الغابر وفقاة المتحيرين وقد حال عليهم الامد وبعد عهدهم بالمسيح
ودينه وهؤلاء الذين اوجبوا الاعداء ليرسل من الفلاسفة والملاحدة ان
يتمسكوا بما هم عليه فانهم شرحوا الامم دينهم الذي جابه المسيح على هذا الوجه والارباب

بجب

هذا دبر لا يقبله عاقل فتواصى اليك بينهم ان يتمسكوا بما هم عليه وسأظنونهم
بالرسل والكتب وراوا انما هم عليه من الاثر اقرب الى العقول من هذا الدين وقال
لهم هؤلاء الحيارى الضلال ان هذا هو الحق الذي جاء به المسيح فتركب من هذين
الظنين الفاسدين اساءة الظن بالرسل واحسان الظن بما هم عليه ولهذا قال الحق
ملوك الهند وقد ذكرت له الملل الثلاثة فقال اما النصارى فان كان محاربوهم
من اهل الملل يحاربونهم بحكم شرعي فاني ارا ذلك بحكم عقلي وان كنا لا نرى بحكم
عقولنا فتا لا ولكن استثنى هؤلاء القوم من بين جميع العوالم لانهم قصدوا مضادة
العقل وناصبوه العداوة ويحلوا سبب الاستحالات وحادوا عن المسلك الذي
انتهجه غيرهم من اهل الشرائع فشذوا عن جميع مناهج العالم الصالحة العقلية
والشرعية واعتقدوا كل مستحيل مكنيا وبنوا من ذلك شريعة لا تؤدي البتة الى
صلاح نوع من انواع العالم الا انها نصير العاقل اذا شرع بها اخروفا والرشد
سفيها والمحسن مسيئا لان من كان اصل عقيدته التي جرى نشوء عليها الاساءة
الى الخالق والنبيل منه ووصفه بصند صفاته المحسنة فخالقه ان يستعمل الاساءة
الى مخلوق مع ما بلغنا عنهم من الجهل وضعف العقل وقلة الحياء وخساسة
الهمة فهذا وقد ظهر له من باطلهم وضلالهم غيظ من فيض وكانوا اذا ذاك اقر
عهدا بالنبوة وقالوا فلا طون رئيس سندن اليا كل بمصر وليس بافلاطون تلميذ
سقراط اذ ذاك قدم من هذا لما ظهر محمد بن مائة وراينا امره يعلم على الامم الجا
ورة له راينا ان نقصد اصطفوا بالي لنعلم ما عنده وناخذ به اية فلما اجمعنا على
الخروج راينا ان نصير الى قراطيس معلمنا وحكيمنا لنودعه فلما دخلنا عليه وراي جمعنا
ايقن اننا اليا كل قد دخلت ما نفشي عليه جينا غشبية ظننا انه فارق الحياة فيما فبكينا
فاومى اليانا ان كفوا عن البكا فتصبرنا جهدا حتى هذا وفتح عينيه وقال هذا ما
كنت انما كنتم عنه واحذركم من انكم قوم غيرتم تغيركم اطعمتم جها لا من ملوككم فخلطوا
عليكم في الادعية فقصدم البشرى من التعظيم بما هو الحق وحده فكنتم في ذلك
كن اعطى القلم مدح الكاتب وانما حركه القلم بالكاتب فمع المعلوم ان هذه الامم ارتكبت مجزرة
عظيم لا يرضى بها ذوق عقل ولا يعرف احد ما الخلق في الخلق حتى جعلوا شرك الخلق وجرائمه

قف

والها

والها اخرعه وانفوا ان يكون عبد الله الثاني تنقص الخلق وسبه ورجيه بالعظام
حيث زعموا انه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزل من العرش عن الكرسي
عظمته ودخل في فرج امرأة واقام هناك تسعة اشهر يتخبط بين البول والدم والنحو
وقد علمته اطباق المشيمة والرحم والبطن ثم خرج من حيث دخل رضيعا صغيرا نص
الثدي ولف في القطن واودع السرير بيكي ويجمع ويعطش ويبكي ويتغوط و
يحمل على الایدى والعواتق ثم صار الى ان لطمته اليه مؤخذه وربطوا ايديه وبصقوا في
وجهه وصفعوا اقباه وصلبوه جهرا بين لصين والبسوه اكليلا من الشوك و
سمر راسه يديه ورجليه وجروعه اعظم الآلام هذا وهو الاله الحق الذي بيده
اتقنت العوالم وهو المعبود المسجود له ولعمرو الله ان هذه مسبة لله سبحانه ما
سبه بها احد من البشر قبلهم ولا بعدهم كما قال تعالى فيما يحكيه عنه رسوله الذي نزلهم
ونزه اخاه المسيح هذا الباطل الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنفشق الارض
وتنجر الجبال هذا فقال قال الله شتمني ابن ادم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن ادم وما
ينبغي له ذلك ما شتم اباي فقولوا اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد واما تكذيب اباي فقولوا لن يعيدني كما بداي وليس اول
الخلق يا هون علي من اعادته وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الامة
اهينوهم ولا تظلموهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه اياها احد من البشر ولعمرو الله
ان عباد الاصنام مع انهم اعداء الله على الحقيقة واعدا رسله واشد الكفار كفرا بانفوا
ان يصفوا الهتهم التي يعبدونها من دون الله وهي من الحجارة والحديد والخشب
بمثل ما وصفته هذه الامة رب العالمين والم السموات والارضين وكان الله في قلوبهم
اجل واعظم من ان يصفوه بذلك او بما يقاربوا وانما شرك القوم انهم عبدوا من دون
الهة مخلوقة من عباده محدثة زعموا انما تقربهم اليهم يجعلوا شيئا من الهتهم كفوا
له ولا نظيرا ولا ولدا ولم يبالوا من الرب تعالى وانالت هذه الامة وعذرهم في ذلك
اقبح من قولهم فان اصل معتقدهم ان ارواح الانبياء كانت في الحجيم في سجن
البليس من عهد ادم الى زمن المسيح فكان ابراهيم وموسى ونوح وصالح وهود
معدبين هم مسجونون في النار بسبب خطية ادم واكله من الشجرة وكان كلامات
واحد من بني ادم اخذ البليس وسجنه في النار بنينا به ثم ان الله لما اراد رحمتهم

ما اجرام على الله
تعالى الله عما يقولون
علوا كبيرا

في
لجنتين

وخلاصهم من العذاب تجمل على ابليس بحيلة فنزل عن كرسي عظمتة والتم بطن
مرم حتى ولد فكر نصار جلا فمكر اعداه اليهو من نفسه حتى صلبوه واسمروه
قتلوه وجوه بالكشوك على راسه فخلص انبياء ورسله وفلاهم بنفسه ودمه فمروى في
في مرضاة جميع ولد ادم اذ كان ذنبه باقيل في اعناق جميعهم فخلصهم منه بان امكن
اعداه من صلبه وتسميره وصفعه الامن انكر صلبه او شكر فيه او قال بان الاله
يجل عن ذلك فهو في سجن ابليس معذب حتى يفر منك وان الاله صلب وصفع وتسمروا
الاله الحق سبحانه الى ما ينفذ اسقط الناس واقلمهم ان يفعل بمالوكه وعبدته والى
ما ينفذ عباد الاصنام ان ينسب اليه اصنامهم رباهم وكذبوا الله سبحانه في كونه تاب
على ادم وغفر له خطيئته ونسبوه الى اربع الظلم حيث زعموا انه سجن انبياء ورسله
واولياهم في الجحيم بسبب خطيئة ابيهم ونسبوه الى غاية السفه حيث خلصهم من
العذاب بتمكين اعداه من نفسه حتى قتلوه وصلبوه وارقوا دمهم ونسبوا الى غا
ية العجز حيث عجزوه ان يخلصهم بقدرته من غير هذه الحيلة ونسبوه الى غاية
النقص حيث سلط اعداه على نفسه وابنه ففعلوا به ما فعلوا وبالحيلة فلا تعلم
اخر من الامم سبت ربها ومعبودها والهاها بما سبته به هذه الامة كما قال عمر انهم
سبوا الله سبته ما سبه اياها احد من البشر وكان بعض ائمة الاسلام اذا راى
صليبا اغض عينيه وقال لا استطيع ان اعلم عيني من سب الهه ومعبوده اربع
السب ولذا قال عقلا الملوك ان جهاد هؤلاء واجب عقلا وشرعا فانهم عار على
بنى ادم مفسدون للعقول والشرائع واحا شريعتهم ودينهم فليسوا متمسكين
بشي من شريعة المسيح ولا دينه البتة فاول ذلك من القبله فانهم ابتدوا الصلاة
الى مطلع الشمس مع علمهم ان المسيح لم يصل الى الشرق اصلا بل قد نقل مورخهم
ان ذلك حدث بعد المسيح بنحو ثلثمائة سنة والاف المسيح انما كان يصل الى
قبلة بيت المقدس وهي قبلة الانبياء قبله واليهما كان يصل النبي صلى الله عليه وآله
مقامه بمكة وبعد هجرته ثمانية عشر شهرا ثم نقله الله الى قبلة ابيه ابراهيم ومن
ذلك ان طوائف منهم وهم الروم وغيرهم لا يرتدون الاستنجاء بالماء فيبول احد منهم ويتغوط
ويقوم بماثر البول والغائط الى صلاته بشكل الرابحة فيستقبل الشرق ويصلي
على وجهه ويحده مما يليه بانواع الحديث كذا كان او فجورا او غيبة او سبا او شتما

ويخبره بسعير الجحيم والخزير وما شاكل ذلك ولا يضر ذلك الصلاة ولا يبطلها
وان دعت الحاجة الى البول في الصلاة بال وهو يصلي ولا يضر صلاته وكل عاقل
يعلم ان مواجهة الله العالمين بهذه العبادة قبيح جدا وصاحبا الى استحقاق غضبه
وعقابه اقرب منه الى الرضا والثواب ومن العجب انهم يقولون نزل التوراة ملعون من
تعلق بالصليب وهم قد جعلوا اشعار دينهم ما يلغون عليه ولو كان لهم ادنى عقل لكان
الاولى لهم ان يحرقوا الصليب حيث وجدوه ويكسروه ويضخوه بالنجاسة فانه قد صلب
عليه المهتم ومعبودهم برغمهم واهين عليه وفضع وخزي فيا للعجب باي وجه بعد هذا
استحق الصليب العظيم لو كان القوم اضل من الانعام وتعظيم للصليب مما ابتدؤوا
في دين المسيح بعد زمان ولا ذكر له في الانجيل البتة وانما ذكر في التوراة راة با
للعن لمن تعلق به فاستخفته هذه الامة معبودا يسجدون له واذا اجتمعوا احدهم
في اليوم بحيث لا يحسن ولا يكذب حلفا بالصليب ويكذب اذا حلف بالله ولا يكذب
اذا حلف بالصليب ولو كان لهذه الامة ادنى مسكة من عقل لكان ينبغي لهم ان
يلعنوا الصليب من اجل معبودهم واليههم حين صلب عليه كما قالوا ان الارض لعنت
من اجل ادم حين اخطا كما لعنت حين قتل قابيل اخاه وكما في الانجيل ان النعمة تنزل
على الارض اذا كان امراوها الصبيان فلو عقوا لكان ينبغي لهم ان لا يحلوا له
صليبا ولا يمسوه باليد ومن لا يذكر وانه بالسنتهم واذا ذكر لهم سجدوا مساجعهم من
ذكره ولقد صدق القائل عدو عاقل خير من صديق احمق لانهم يحجمهم قصدوا
تعظيم المسيح فاجتمعوا في ذمهم وتنقصه والازراء به والطعن عليه وكان
مقصودهم بذلك التشنيع على اليهود وتنفير الناس عنهم واغراؤهم بهم فنفر والامم عن
النصرانية وعن المسيح ودينه اعظم تنفير وعلما ان الدين لا يقوم بذلك فوضع لهم
رهبا لهم واساقفتهم من الجمل والمخارق وانواع الشبهة ما استمالوا به الجاهل
وربطوهم به وهم يستجيزون ذلك ويستحسنونه ويقولون انهم يشددون دين
النصرانية وكانهم انما عظموا الصليب لما راوه قد ثبت لصليب الهمم ولم ينشق ولم يتطير
وينكسر منه هيبته لما حمل عليه وقد ذكروا ان الشمس اسودت وتغيرت والارض فلما
لم يتغير الصليب ولم يتطير استحق عندهم التعظيم وان يعبدوه ولقد قال بعض
عقلاءهم ان تعظيمنا للصليب جار مجرى تعظيم قبور الانبياء فانه كان قبر
المسيح وهو عليه ثم لما دفن صار قبره في الارض وليس له هذا الحق والجمل الحق

فان السجود لقبول الانبياء وعبادتها شرك بل من اعظم الشرك وقد لعن اعام الخنفا
وخاتم الانبياء عليه الصلاة والسلام اليه والنصارى حيث اتخذوا قبور انبياءهم
مساجد واصل الشرك وعبادة الاوثان من العكوف على القبور واتخاذها مساجد
ثم يقال فانتم تعظمون كل صليب لا تخصون التعظيم بذلك الصليب بعينه فان
قلتم الصليب من حيث هو يذكر بالصليب الذي صلب عليه المسيح **فصل** وكذلك الحفرة
تذكر بحفرته فعظموها كل حفرة واسجدوا لها لانها حفرة ايضا بل اولى لان خشبة
لم يستقر عليها استقراره في الحفرة **ثم** يقال اليد الذي مسته اولى ان تعظم من الصليب
فعظموها ايدهم **ثم** لم يمسهم اياه وامسكهم لهم له ثم انقلوا ذلك التعظيم الى سائر
الاشياء فان قلتم منع من ذلك مانع العداوة فعندكم انه هو الذي رضي بذلك
واختاره ولو لم يرض به لم يصلوا اليه فعلى هذا فينبغي لكم ان تشكروهم و
تحمدهم اذ فعلوا مرضاته واختياره الذي كان سبب خلاص جميع الانبياء والمؤمنين
والقديسين من الجحيم ومن سجن ابليس فما اعظم منة اليه عليكم وعلى ابايكم وعلى
سائر النبيين من لدن آدم الى زمن المسيح والمقصود ان هذه الامور جمعت بين
الشرك وحب الله وتنقصه وتنقص نبيهم وعبيده وفارقته دينه بالكلمه
فلم يتمسكوا بشي مما كان عليه المسيح لاني صلاتهم ولا في صيامهم ولا في اعمالهم
دهم بل هم في ذلك اتباع كل نافع مستجيبون لكل مغرق وبطل اذ خلوا في الشريعة
ماليس بها وتركوا ما انتبه واذا شئت ان ترى الغيبي في دينهم فانظر الى صيامهم
الذي وضعوه لملوكهم وعظماهم فلم يصيام الحواريين وصيام لما مرتهم وصيام
لما رجوس وصيام للميلاد وتركوا اكل اللحم في صيامهم مما ادخلوه في دين
المسيح والافهم يعلمون ان المسيح كان يأكل اللحم ولم يمنعهم منه في صوم ولا فطر
واصل ذلك ان الممانويه كانوا لا يأكلون ذاروا في الخلاص النصرانية خافوا
ان يتركوا اكل اللحم فيقتلون فشرعوا لانفسهم صياما فصاروا للميلاد والحواريين
بين ومارسهم وتركوا في هذا الصوم اكل اللحم مما فطره على ما اعتادوه من هذا
ماني فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النسب طوريه والبعقور فصاروا في سنة
متعارفة بينهم ثم تبعهم على ذلك المكائيه **فصل** ثم انك اذا
عن حالهم وجد ائمة دينهم ورهبانهم قد نصبوا حيايل الخيل ليقتضوا عقود

ويتوصلوا

ويتوصلوا بالتمويه والتلبيس الى استمالتهم وانقيادهم لهم واستعدادهم لاراعوا لهم وذلك
اكثر واشهر من ان يذكر من ذلك ما يعتمدونه في العيد الذي يسمونه عيد النور ومحل بيت
المقدس فيجتمعون من سائر النواحي في ذلك اليوم ويأتون الى بيت فيه قد بل معلق لانا فيه
يتلوا احبارهم الانجيل ويرفعون اصواتهم ويبنون في الدعاء فينظمون كذا وكذا اذا انارت
نزلت في سقفة البيت فتقع على ذبالة القنديل فيشرق ويضي ويشتعل فيضيء ضياء
ويصلبون على وجوههم ويأخذون في البكاء والشميق قال ابو بكر الطرطوشي كنت ببيت المقدس
وكان واليها اذ اذكر رجلا يقال له سفيان فلما نجي اليه خبر هذا العيد انقذني تاركهم فقال
انا انزل اليكم في يوم هذا العيد لاكتشف عن حقيقة ما تقولون فان كان حقا ولم ينضح لي
وجه الحيلة فيه افر لكم امرهم عليه وعظيمة بعلم وان كان مغرقة على عوامكم اوقعتكم ما
تكرهون فصعب ذكر عليهم جدا وسالوه ان لا يفعل فاني ولح فحملوا اليه مالا عظيما فاخذوه وعرض
عنهم قال الطرطوشي ثم اجتمعت باي محمد بن الاقدم بالاسكندرية فحدثني انهم ياخذون خيطا
من نحاس وهو الشريط ويحلقونه في وسط قبة البيت الى راس القنديل التي في القنديل ويد
هفوة بدهن اللبان والبيت مظلم بحيث لا يدرك لنا ظرنا الخيط النحاس وقد عظموا ذلك
البيت فلا يمكن كل احد من دخوله وفي راس القبة رجل فاذا اقتبسوا ودعوا التي على ذلك الخيط
النحاس يباين نار النفط فتجرب النار دهن اللبان الى اخر الخيط النحاس فتلقى القنيلة
فتعلق بها فلو نصح احد منهم نفسه وفش على نجاة تشبع هذا القدر وطلب الخيط النحاس وقش
راس القبة ليري الرجل والنسب طوريه ان منبع ذلك النور في ذلك الخيط الملبس وانزل من السما
لظهر من فوق ولم يكن ظهوره من القنيلة ومن حيلهم ايضا انه كان بارضا لروم في زمن المتوكل
كنيسة اذا كان يوم عيد هاجج الناس اليها ويجمعون عندهم فيها فيشاهدون ثدي ذلك الصنم
في ذلك اليوم يخرج من اللبن وكان يجمع للسادة ذلك اليوم مال عظيم فيبحث عنها فانكشف له
امرها فوجدوا الصنم قد ثقبته وراء الحائط ثقبها الى ثدي الصنم وجعل فيها انبوبة من رصاص
واصلها بالحبر ليخفي امرها فاذا كان يوم العيد فتحها وصب فيها اللبن فيجرب الى الثدي فيقطر
منه فيعتقد الجهال ان هذا سر في الصنم وانه علقه من اسر لقبول قربانهم وتعظيمهم له فلما انكشف
له ذلك امر امر بضر عنق السادة ومحو الصور من الكنائس وقال ان هذه الصور مقام الاصنام
وقال فمن سجد للصور فهو كمن سجد للاصنام ولقد كان الواجب على ملوك الاسلام ان يمنعوا هؤلاء
من هذا وامثالها فية من الاعانة على الكفر وتعظيم شعائره فامسكوا على ذلك والمعين عليهم شرك
للفاعل لكن لما هان عليهم دين الاسلام وكان السحر الذي ياخذونه احب اليهم من الله ورسوله اقرهم على

فسفسوا

ذلك ومكونهم منه **فصل** والمقصود ان دين الامة الصليبية بعد ان بعث الله
 محمدا صلى الله عليه وسلم قبله بنحو ثلاث مائة سنة مبني على معادن العقول والشرائع وتنقص
 اليه العالمين ورميه بالعظام فكل نصواني لا ياخذ بحظه من هذه البلية فليس ينصني في
 على الحقيقة فليس هو الدين الذي اسسه اصحاب الجاهل المتلاعنون على ان الواحد
 ثلاثة والثلاثة واحد فيا عجباه كيف رضي العاقل ان يكون هذا مبلغ عقله ان لم
 يكن في هذه الامة من يرجع الى عقله وفطرته ويعلم ان هذا عين المحال وان ضربوا
 له الامثال واستخرجوا له الاشباه فلا يذكرون مثالا ولا شبهة الا وفيه بيان خطايهم
 وضلالهم كسببية بعضهم اتحاد اللاهوت بالناسوت واقتراحه باله اتحاد النار
 بالمحديد وتمثيل غيرهم ذلك باختلاط الماء باللبن وتشبيه اخرين ذلك باقتراح الغذاء
 واختلاطه باعضاء البدن الى غير ذلك من الامثال والمقاييس التي تضمنت اقتراح
 حقيقتين واختلاطهما حتى صار حقيقة اخرى تعادى عن افكهم وكذبهم ولم
 يقنعهم هذا القول في رب السموات والارض حتى اتفقوا باسرها على ان اليهود اخذوه
 وساقوه بينهم ذليلا مقهورا وهو يحمل خشبته التي صلبوه عليها واليه يوصفون في
 وجهه ويضربونه ثم صلبوه وطعنوه بالحربة حتى مات وتركوه مصلوبا حتى التصق
 شعره بجملته لما ليس كدمه بجمرة الشمس ثم دفن واقام تحت التراب ثلاثة
 ايام ثم قام بلا هوته من قبره هذا قول جميعهم ليس فيهم من ينكر منة شيئا
 للعقول كيف كان حال العالم الاعلى والاسفل في هذه الايام الثلاثة ومن كان يدبر
 امر السموات والارض ومن الذي خلف الرب في هذه المدة ومن الذي عيسك السما
 ان تقع على الارض وهو مدفون في قبره وباعجبا هله دفنت الكلمة معه بعد ان قتلت
 وصلبت ثم فارقت وخذلتها حوج ما كان الى نصرها له كما خذله ابوه وقومه فان
 كانت قد فارقت وتجردت فلما ليس هو حينئذ المسيح وانما هو كغيره من احاد
 الناس وكيف يصح مفارقتها له بعد ان اتحد به ومازجت لحمه ودمه واين ذهب
 الاتحاد والامتزاج وان كانت لم تفارقه وقتلت وصلبت ودفنت معه فكيف وصل الخلق
 الى قتل الاله وصلبه ودفنه وباعجبا اي قبر يسح اليه العالمين السموات والارض هذا
 وهو الملك القدوس سلام المؤمنين المخلصين العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون

اعباد المسيح لنا سؤال نريد جوابه من وعاء
 اذ مات الاله بصلب قوم امانه فما هذا الاله
 وهل ارضاه ما ناله منه فبشرهم اذ انالوا رضاه
 وان سحق الذي فعلوا فيه فقومهم اذ اوهت قواه
 وهل بقي الوجود بلا الاله سمع يستجيب لدعاه
 وهل خلت الطباق السبع لما شوى تحت التراب وقد علاه
 وهل خلت العوالم من الاله يدبرها وقد شمت يدها
 وكيف تخلت الاملاك عنه بنصرهم وقد سمعوا بكاه
 وكيف طافت الخشبات حمل الاله الخلق مشدودا قفاه
 وكيف دنى المحمد اليه حتى يحاط به ويلحقه اذا ه
 وكيف تمكنت ايدي عذاه وطالت حيث قد صفعوا
 وهل عاد المسيح الى حياة ام المحيى له رب سواه
 وباعجبا القبر ضم ربنا واعجب منه بطر قد حواه
 اقام هناك تسعا من شهر لدى الظلم من حين
 وشق الفرج مولودا صغيرا ضعيفا فاتحا للثري فاه
 وبكل ثم بشر بشم باء في بلازم ذاك هل هذا الاله
 تعالى الله عن افك القضاة سيئسأل كلهم عما افتراه
 اعباد الصليب لا ينعني يعظم او يفتخ من زماه
 وهل تقضى العقول بغير كسر واحراق له ولمن تعاه
 اذ اركب الاله عليه كرها وقد شدت لشمير يدها
 فذا كل المركب الملعون حقا قدسه لا ينسه اذ تراه
 يمان عليه رب الخلق طرا وتعبه فانك من عذاه
 فان عظمته من اجل ان قد حو رب العباد قد علاه
 وقد فقد الصليب فان راينا له شكلا يذكرنا سنا
 فهلا للقبور سجود طرا لضم القبر وتذكر في حشاها
 فيا عبد المسيح افق فم هذا بدايته وهذا منتهاه

في الاله الحق

بغاه

فصل فقد بان لكل ذي عقل ان الشيطان تلاعب بهذه الامة الضالة
كل تلاعب ودعاهم فاجابوه واستخفهم فاطاعوه فتلاعب بهم في شان المعبد
سبحانه وتعالى وتلاعب بهم في امر المسيح وتلاعب بهم في شان الصليب وعبادته
وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها فلا تتجدد كنيسة من كنائسهم
تخلو من صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عند
هم والشهداء واكثرهم يسجدون للصورة ويدعونها من دون الله حتى لقد كتب
بطريق الاسكندرية الى ملك الروم كتابا يحتاج فيه للسجود للصورة بان الله امر موسى
ان يصور في قبة الرمان صورة الساروس وبان سليمان بن داود لما عمل الهيكل عمل
صورة الساروس من ذهب ونصبا داخل الهيكل ثم قال في كتابه وانما مثال هذا مثال
الملك يكتب الى بعض عماله كتابا فياخذ العامل ويقبله ويضعه بين عينيه ويقوم له
لا تعظيما للقرطاس والمداد بل تعظيما للملك كذلك السجود للصورة تعظيم لاسم ذلك
المصور لا للاصباغ والالوان وبهذا المثال يعظم عبدة الاصنام وما ذكره هذا المشرك
عن موسى وسليمان لوصح لم يكن فيه دليل على السجود للصورة غاية ان يكون بمثابة
ما ذكر عن داود انه نقش خطيته في كفه لئلا ينساها فابن هذا ما يفعله هؤلاء
المشركون من التذلل والخضوع والسجود بين يدي تلك الصور وانما المثال المطا
بق لما يفعله هؤلاء المشركون مثال خاد من خدام الملك دخل على رجل فوثب من
مجلسه وسجد له وعبده وفعل به ما لا يصلح ان يفعل الا بالملك فكل عاقل يستجمله
وليس استحقاقه في فعله اذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغي له ان يخص به الملك و
عبيده من الاكرام والخضوع والتذلل ومعلوم ان هذا الى نقتل الملك وسقوطه
من عينه اقرب منه الى اكرامه له ورفع منزلته كذلك حال من سجد لمخلوق او صورة
مخلوق لانه عمدا في السجود الذي هو غاية ما يتوصل به العبد الى رضى الرب
ولا يصلح الاله ففعله لصورة عبد من عبيده وسوى بين الله وبين عبده في ذلك
وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء ولهذا قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقد
نظر الله سبحانه عباده على استقباح معاملة عبد الملك وخدمته بالتعظيم وال
الاجلال والخضوع والذل الذي يعامل به الملك فكيف حال من فعل ذلك باعلاء الملك

فان الشيطان عدو الله والمشركون انما يشركون به لا بولي الله ورسوله بل رسول الله صلى الله عليه وسلم
واولياؤه يريدون من اشرك بهم معادون لهم اشدان الناس مقتالهم فهم في نفس الامور انما
اشركوا باعداء الله وسوءا بينهم وبين الله في العبادة والتعظيم والسجود والذل
ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه بالفطرة السليمة والعقول الصحيحة والعلم
بقبحه اظهر من العلم بقبح سائر القبائح والمقصود ذكر تلاعب الشيطان بهذه الامة
في اصول دينهم وفروعه كتلاعبهم في صيامهم فان اكثر صومهم لا اصل له في شرع
المسيح بل هو مختلف مبتدع فمن ذلك انهم زادوا جمعة في بدء الصوم الكبير يصومونها
لجهر قل ملك بيت المقدس وذلك ان الفرس لما ملكوا بيت المقدس وقتلوا النصارى
وهربوا الكنائس اهانهم اليهود على ذلك وكانوا اكثر قتلا وقتلوا في النصارى من الفرس
فلما سار هيرقل اليها استقبله اليهود بالحدايا وسالوه ان يكتب لهم عهدا ففعل فلما
دخل بيت المقدس شكوا اليه من فيه من النصارى ما كان اليهود صنعوا بهم فقال
لهم هرقل وما تريدون مني قالوا اقتلهم فلا كيف قتلهم وقد كتبت لهم عهدا بالان
وانتم تعلمون ما يجب على ناقض العهد فقالوا له انك حين اعطيتهم الايمان لم تدر
ما فعلوا من قتل النصارى وهدم الكنائس وقتلهم قربان الى الله ونحن نحمل عنك
هذا الذنب ونكفره عنك ونسال المسيح ان لا يواخذك به ونجعل لك جمعة كاملة
في بدء الصوم نصومها لك ونترك فيها اكل اللحم مادامت النصارى ونكتب به الى جميع
الافاق غفرانا لما سالتك فاجابهم وقتل وقتل من اليهود حول بيت المقدس و
جبل الخليل ما لا يحصى كثرة فصيروا اول جمعة من الصوم الذي ترك فيه الملكية
اكل اللحم يصومونها لهرقل الملك غفرانا لنقض العهد وقتل اليهود وكتبوا بذلك الى الافاق
واهل بيت المقدس واهل مصر يصومونها وبقية اهل الشام والروم يتركون اكل
اللحم فيها ويصومون الاربعاء والجمعة وكذلك لما ارادوا نقل الصوم الى فصل الربيع
المعتدل وتغيير شريعة المسيح زادوا فيه عشرة ايام عوضا وكفارة لنقلهم له ومن
ذلك تلاعبهم في اعيادهم فكلها موضوعة مختلقة محدثة بآرائهم واستحسانهم
فمن ذلك عيد ميكايل وسبيله انه كان بالاسكندرية صنم وكان جميع من
بمصر والاسكندرية يعبدون له عيدا عظيما وبذلك جعلوا له الذبايح فولي بعض
بتركة الاسكندرية واخذ منهم واراد ان يكسره ويبطل الذبايح فاستمعوا
عليه فاحتال عليهم فقال ان هذا الصنم لا ينفع ولا يضر فلو جعلتم هذا العيد

لميكائيل ملك الله وجعلته هذه الذبايح له كان يشفع لكم عند الله وكان خيركم
من هذا الصنم فاجابوه له ذلك فكسر الصنم وصيرت صليبا وسمى الكنيسة كنيسة
ميكائيل وسموها قيسارية ثم احترقت الكنيسة وحُربت وصيرت للعيد والذبايح
لميكائيل فنقلهم من كفر الى كفر ومن شرك الى شرك فكانوا في ذلك كجوي اسم نصار
وافضيا فدخل الناس عليه يهنونه ودخل عليه رجل وانكأما انتقلت من زاوية
من النار الى زاوية اخرى من ذلك عيد الصليب هو مما اختلقوه وابتد
عوه فان ظهور الصليب انما كان بعد المسيح بزمن كثير وكان الذي اظهره زورا
وكذبا اخبرهم به بعض اليهود ان هذا هو الصليب الذي صلب عليه الهمم وراهم
فانظر الى هذا السند وهذا الخبر فاتخذوا ذلك الوقت الذي ظهر فيه عيدا و
سموه عيد الصليب ولوانهم فعلوا فعل اشباههم من الرافضة حيث اتخذوا و
قتلوا قتل الحسين مائتا وحرنا كان اقربا الى العقول وكان من حديث الصليب
انه لما قتل المسيح على زعمهم الكاذب وقتل ودفن رفح من القبر الى السماء وكان التلاميذ
كل يوم يصيرون الى القبر الى موضع الصليب ويصلون فقالت اليهود ان هذا
الموضع لا يخفى وسيكون له بنا اذا راي الناس القبر خاليا احنوا به فطرحوا
عليه التراب والزبل حتى صار منبلة عظيمة فلما كان في ايام قسطنطين الملك
جاءت زوجته الى بيت المقدس تطلب الصليب فجمعت من اليهود والسكان بيت المقدس
وجبل الخليل مائة رجل واختارت منهم عشرة واختارت من العشرة ثلاثة اسم
احدهم يهوذا فسألهم ان يدلوه على الموضع فامتنعوا وقالوا لا علم لنا بالموضع
فطرحهم في الحبس في جب لا مافيه فاقاموا سبعة ايام لا يطعمون ولا
يسقون فقال يهوذا لصاحبه ان اباه عرفه بالموضع الذي تطلب فصاح الانسان
فاخرجوها فاخبرها بما قال يهوذا فامرت بضربه بالسياط فاقر وخرج
الى الموضع الذي فيه المقبر وكان منبلة عظيمة فصلى وقال اللهم ان كان في
هذا الموضع ان تزلزله وتخرج منه دخانا فتزله الموضع وتخرج منه دخان
فامرت الملكة بكسر الموضع من التراب فظهرت المقبره واصابوا ثلاثة صليبا
فقال الملكة كيف لنا ان نعلم صليب سيدنا المسيح وكان بالقرين منهم عليل شديدا

قال له

تسعة

ايسر منه فوضع الصليب الاول عليه ثم الثاني ثم الثالث فقام عند الثالث و
استراح من علته فعلمت انه صليب المسيح فجعلته في غلاف من ذهب وحملته
الى قسطنطين وكان من ميلاد المسيح الى ظهور هذا الصليب ثلثمائة وثلاثة
وعشرون سنة هذا كله نقله سعيد بن بطريق النصراني في تاريخه والمقصود
انهم ابتدعوا هذا العيد بنقل علمهم بعد المسيح بهذه المدة وبعد قسند
هذه الحكاية من بين يهودي ونصراني مع انقطاعها وظهور الكذب فيها الى عقل
من وجوه كثيرة ويكفي في كذبها وبيان اختلافها ان ذلك الصليب الذي شفا
العليل كان اولي ان لا يميت الاله الرب الحي المميت ومنعها الله اذا بقي
تحت التراب خشب ثلثمائة وثلاثة وعشرون سنة فانه يتخرب ويبدون
هذه المدة فان قال عباد الصليب انه لما مس جسم المسيح حصل له الثبات
والقوة والبقا فقال لهم فابال الصليبين الباقيين لم يتفتتا واشتبهاه به
فلعلمهم يقولون لما مست صليبه مسما البقا والثبات وجهل القوم وحقهم اعظم من
ذلك والرب لما تجلى للمجيد كذلك الجبل وساخ في الارض ولم تثبت لتجلى فكيف
تثبت الخشبة لركوبه عليها في تلك الحال ولقد صدق القايل ان هذه الامة عار
على بني ادم ان يكونوا منهم فان كانت هذه الحكاية صحيحة فما اقر بها من حيل
اليهود التي تخلصوا بها من الحبس والهلاك وحيل بني ادم تصل الى اكثر من ذلك
ولا سيما لما علم اليهود ان ملكة دين النصرانية قاصدة الى بيت المقدس و
نما تعاقبهم حتى يدلوه على موضع القتل والصليب وعلموا انهم ان لم يفعلوا
لم يتخلصوا من عقوبتها ومنعها ان عباد الاصنام الصليب يقولون ان
المسيح لما قتل غارده ولوقع منه قطرة على الارض ليبتس لم تثبت فيها
عجبا كيف يحيي الميت ويبر العليل بالخشبة التي شمر عليها وصليبا هذا كله
من بركتها وفرحها به وهو مشدد وعلمه يابكي ويستغيث ولقد كان الاليق
ان يتفتت الصليب ويضمحل اليه من صلب عليه وعظمته وتخسف الارض
بالحاضرين عند صليبه والمتمالين عليه بل تنفطر السموات وتنشق الارض
وتخر الجبال هداما يقال عباد الصليب لا يخلوا ان يكون المصلوب الناسوت

وحده اوضح اللاهوت فان كان المصلوب هو الناسوت وحده فقد فارقته
الكلمة وبطل اتحادها به وكان المصلوب جسدا من الاجساد ليس باله ولا فيه
شي من الالهية والربوبية البتة وان قلتم ان الصليب وقع على اللاهوت
والناسوت معا فقد اقررتم بصلب الاله وقتله وقوته وقدرته الخلق على اذاه وهذا
ابطال الباطل وامحل المحال فبطل تعلقكم بالصليب من كل وجه عقلا وشرعا واحدا
تلاعبهم في صلاتهم فمن وجوه احدها صلاة كثير منهم بالنجاسة والجنابة
والمسيح بري من هذه الصلاة وسبحان الله ان يتقرب اليه بمثل هذه الصلاة
فقدرة اعلى وشانه اجل من ذلك ومنهج صلاتهم الى مشرق الشمس وهم يعلمون
ان المسيح لم يصل الى المشرق اصلا وانما كان يصلي الى قبلة بيت المقدس
ومنهج انصليهم على وجوههم عند الدخول في الصلاة والمسيح بري من ذلك
فصلاة مفتاحها النجاسة وتحريمها التصليب على الوجوه وقبلة المشرق
وشعارها الشرك كيف يخفى على العاقل انها لا تأتي بما شرعية من الشرائع
البتة ولما علمت الرهبان والبطارقة والاساقفة ان مثل هذا الدين تنفر
عنه العقول اعظم نفرة شدة به الحيل والصور في المحيطان بالذهب واللازورد
والزنجفر والارغل وبالاغبياء المحدثه ونحو ذلك مما يروج على السفهاء
ضعفا العقول والبصائر وساعدهم ما عليه اليهود من القسوة والغلظة و
المكر والكذب البهيم وما عليه كثير من المسلمين من الظلم والفواحش والفجور
والبدعة والعلو في المخلوق حتى يتخذوه الهام دون الله واعتقاد كثير
من الجهال ان هؤلاء من خواص المسلمين وصالحهم فتركب من هذا وامثاله
تمسك القوم بما هم فيه ورويتهم انهم خير من كثير ما عليه المنتسبون الى الاسلام
من البدع والفجور والشرك والفواحش ولهذا لما رأى النصارى الصحابة من
اكثرهم اختيارا وطوعا قالوا انا الذي صحبوا المسيح بافضل من هؤلاء وقد
دعونا نحن وغيرنا كثيرا من اهل الكتاب الى الاسلام فاحبوا ان المانع
لهم ما يرون عليه المنتسبين الى الاسلام ممن يعظمهم الجهال من البدع والظلم
والفجور والمكر والاحتياال ونسبة ذلك الى الشر فساظنهم بالشرع وبمن جابه

قاله طليب قطاع طريق الله وحبيبهم فهذه اشارة يسيرة جدا الى تلاعب
الشیطان بعباد الصليب قبل على ما بعدها والله الهادي الموفق **فصل**
في ذكر تلاعبه بالالهة الغضبية وهم اليهود قال الله تعالى في حقهم ليسوا بشيء
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده
فيا و الغضب على غضب وقال تعالى قل هل انبيكم بشر من ذلك مشوبة عند الله من
لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وقال تعالى في كثير منهم
لولا الذين كفروا لبسر ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب
هم خالدون وقد امرنا سبحانه ان نساله في صلواتنا ان يهدينا صراط الذين
انعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون فاول تلاعب الشيطان بهذه الالهة
في حياة بنينا وقرب العهد بانجائهم من فرعون واغراقه واغراق قومه فلما
جاوزوا البحر راوا قوما يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الهام
كالهم الهة فقال لهم موسى انكم قوم تجهلون ان هؤلاء منبر ما هم فيه وباطل ما
كانوا يعملون فاي جهل فوق هذا والعهد قريب واهلاك المشركين وامامهم عمر
من عيونهم فطلبوا من موسى ان يجعل لهم الهام مخلوقا وكيف يكون الهام مجعولا
فان الهام هو الجاعل لكل ما سواه والمجعول مربوب مصنوع فيستحيل ان
يكون الهام وما اكثر الخلف لمؤلا في اتخاذ الهام مجعول فكل من اتخذ الهام غير
فقد اتخذ الهام مجعولا وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان في بعض غزواته
فمروا بشجرة يعلق عليها المشركون اسلحتهم وثيابهم يسمونها ذات انواط
فقال بعضهم يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال الله
اكثر قلمي كما قال قوم موسى اجعل لنا الهام كما لهم الهام ثم قال لتركبن
سنين من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة **فصل** ومن تلاعبهم
عبادتهم العجل من دون الله وقد شاهدوا ما حل بالمشركين من العقوبة
والاخذة الربية فنبههم على ما عيت هذا وقد شاهدوا صنعه يصنعه ويصوغه
ويصليه النار يدقه بالمطرقه ويسطوا عليه بالبرد ويقبله بيديه ظهر البطل ومن
عجيبهم انهم يكفوا بكونه الهام حتى جعلوه الهام موسى فنسبوا موسى عليه السلام



ذكر تلاعبه بالالهة
الغضبية وهم
اليهود

الى الشرك وعبادة غير الله بل عبادة ابلد الحيوانات واقلمها دفعا عن نفسه بحيث
يضر به المثل في البلادة والذل فجعله اله كلهم الرحمن ثم لم يكفوا بذلك حتى جعلوا
موسى ضالا مخطيا فقالوا فنسي قال ابن عباس رضي الله عنهما واخطا الطريق وفي رواية عنه
اي ان موسى ذهب يطلب به فضل ولم يعلم مكانه وعنه ايضا نسي ان يذكر لكم ان هذا
اله والهمك وقال السدي اي ترك موسى الهه هاهنا وذهب يطلبه وقال قتادة اي ان
موسى انما يطلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق اخر هذا على القول المشهور بان قوله
فنسي من كلام السامري وعباد الجمل نفسه وعن ابن عباس رواية اخرى ان هذا من اخبار
الله عن السامري انه نسي اي ترك ما كان عليه من الايمان والصحيح القول الاول والسيما
بدل عليه ولم يذكر البخاري في التفسير غيره فقال يقول اخطا الرب فانه لما جعله الله موسى
استخضر سوا الامم في اسرائيل يوردونه عليه فيقولون له فاذا كان هذا اله موسى فلا ي
شي ذهب عنه لوعده الهه فاجاب عن هذا السؤال قبل الميراث عليه بقوله فنسي وهذا
من اقبح تلاعب شيطان بهم فانظر الى هولاء كيف اتخذوا الهام صنوعا مصنوعة من جوهر
ارضى انما يكون تحت التراب محتاجا الى سبك بالنار وتصفيته وتخليصه من نجاسته مدققا
بمطارق الحديد مقلبا في النار مرة بعد مرة قد نحت بالمبارد واحد الصانع صورته
وشكله على صورة الحيوان المعروف بالبلادة والذل والضم وجعله اله موسى ونسبوه
الى الضلال حيث ذهب يطلب الهه غيره **قال محمد بن جابر** وكان اتحادهم الجمل ما
حدثني به عبد الكريم بن الهميم قال حدثني ابراهيم بن بشار الرماذي ثنا سفيان بن عيينه
ثنا ابو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما هجر فرعون على البحر هو واصحابه وكان
فرعون على فرسانهم حصان فلما هجم على البحر هاب الحصان ان يقتحم في البحر فتمثل له
جبريل على فرسانه فلما رأى الحصان يقتحم خلفها قال وعرف السامري جبريل فقبض
قبضة من اثر فرسه قال اخذ من تحت الحافر قبضة قال سفيان وكان ابن مسعود
يقراها فقبضت قبضة من اثر الرسول قال عكرمة عن ابن عباس ولقي في روع السامري
انك لا تلقيها في شي فتقول كن كذا وكذا الا كان فلم تزل القبضة معه في يد حتى جاوز
البحر فلما جاوز موسى وبنو اسرائيل البحر وغرق الله فرعون قال موسى لغيره هرون
اخلفني في قومي واصلي ومضى موسى الى موعد ربه قال وكان مع بني اسرائيل حلي من حلي

الفرعون قد استعاروه فكانهم تائموا منه فاخرجوه لتزل النار فتاكله فلما جمعوه
قال السامري بالقبضة التي كانت في يده هكذا فقال كن عجلا جسدا له خوار فصار
عجلا جسدا له خوار فكان تدخل الزح من دبره وتخرج من فيه يسمع له صوتا فقال
هذا الهكم واله موسى فعكفوا على الجمل يعبدونه فقال هرون عليه السلام يا قوم انما
فتنم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا ان نبرج عليه ما كفير حتى ي
جع اليه موسى قال السدي لما امر الله موسى ان يخرج بني اسرائيل من ارض مصر امر
موسى بني اسرائيل ان يخرجوا وامرهم ان يستعيروا الحلي من القبط فلما نجي الله موسى
ومن معه من بني اسرائيل من البحر وغرق فرعون الى جابر الى موسى لينذهب به الى الله
فاقبل على فرس فراه السامري فانكره ويقال انه فرس الحياة فقال حين رآه ان لهذا
شانا فاخذ من تربة حافر الفرس فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل
وواعدهم ثلاثين ليلة فأتى الله بعشر فقال لهم هرون يا بني اسرائيل ان الغنيمة لا
تحمل لكم وان حلي القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا الحفرة فاودفنها
فان جاء موسى فاحملها اخذتموها فجمعوها ذلك الحلي في تلك الحفرة فجاء السامري ببتك
القبضة فخذها فخرج الله من الحلي عجلا جسدا له خوار فلما رآه قال لهم السامري
هذا الهكم واله موسى فنسي يقول ترك موسى الهه هاهنا وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه
وكان يخبر ويمشي فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما فتنم به يقول انما ابتليتم بالجمل
وان ربكم الرحمن فاقام هرون ومن معه من بني اسرائيل لا يقاتلونهم وانطلقوا الى الله
يكلمهم فلما كلمه قال له ما اعجزكم عن قومي يا موسى قال لهم اولي اترى وعجلت اليك رب
لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعده فاخبره خبرهم قال موسى يا رب هذا السامري
امرهم ان يتخذوا الجمل فالروح من نفخها فيه قال الرب تعانا انا قال يا رب انت اذا ضللتهم
وقال ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان السامري
من قوم يعبدون البقر فكان يحب عبادة البقر في نفسه وكان قد اظهر الاسلام
في بني اسرائيل فلما ذهب موسى الى ربه قال لهم هرون انتم قد حملتم اوزارا من زينة
القوم الى فرعون وامتنعة وحليا فتطهروا عنها فانما نجس واوقد لهم نارا فقال قد
فواحا كان معكم من ذلك فيها فجعلوا ياتون بما كان معهم من تلك الامتنعة والحلي فيقدرون

بهم فيها حتى اذا انكسر الحلي فيها وراى السامري اشرف من جبريل فاخذ ترابا من
اشرفه ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا بني الله الق ما في يدي ولا يظن هرون الا الله
كبعث ما جابه غيره من الحلي والانتعة فقد ذبح فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار
فكان البلا والفتنة فقال هذا اليكم والله موسى فعكفوا عليه واحبوه حبالم يحبوا شيئا
مثله قط يقول الله عز وجل فبني اي ترك ما كان عليه من الاسلام يعني السامري فلا
يردون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملكهم ضرا ولا نفعا فلما راى هرون ما وقعوا فيه قال يا
قوم اعاقبتم به وان ربيكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امرى قالوا ان نبرج عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى فاقام هرون فيمن معه من المسلمين مائة يفتنون واقام من يعبد
العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سلكوا معه من المسلمين ان يقول له موسى
فرقت بين بني اسرائيل ولم ترتب قولي وكان له هابيا مطيعا فقال تعالى انكوا بني اسرائيل
بهم هذه القصة التي جرت لاسلامهم مع نبهم واذا وعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذ العجل
من بعد عنى من بعد ذهابه الى ربه وليس المراد من بعد موته وانتم ظالمون اي عبادة
غير الله لان الشرك اظلم الظلم لان المشرك وضع العبادة في غير موضعها فلما قدم موسى
وراى ما اصاب قومه من الفتنة اشتد غضبه والى الالواح عن راسه وفيها كلام
الله الذي كتبه له واخذ براس اخيه ولحيته ولم يعتب الله عليه في ذلك لانه حمله عليه الغضب لله
وكان الله قد علم بفتنة قومه ولكن لما راى الحال مشاهدة حدث له غضب اخر فانه
ليس الخبر كما لعائنه **فصل** ومن تلاعب شيطان بهذه الامة في حياة
نبهم ايضا ما قصه الله في كتابه حيث يقول واذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى ترى الله
جهره اي عيانا قال ابن جرير ذكرهم سجدانه بذلك اختلافا بايهم وسواستقامة
اسلامهم لانبيائهم مع كثرة معانينهم من ايات الله ما يشايع باقلا الصدور وتطمئن
بالصدق معها النفوس وذلك مع تنازع الحجج عليهم وسبق النعم من الله لديهم وهم
مع ذلك مرة يسالون نبهم ان يجعل لهم الهيا غير الله ومرة يعبدون العجل من
دون الله ومرة يقولون لا نصدقك حتى ترى الله جهره واخرى يقولون له اذا دعوا
الى القتال اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ومثقال لهم هو قولوا حيلة
وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيאתكم فيقولون حنطة في شعرة ويدخلون من قبل

استأهم مرة يعرض عليهم العمل بالثورة فيمتنعون من ذلك حتى تنق عليهم الجبل
كانه ظلة الوعر ذلك من افعالهم التي اذوا بها نبهم التي يكثر احصاؤها فاعلم ربنا
تبارك تعاد الذين خاطبهم بهذه الايات من عبود بني اسرائيل الذين كانوا على عهد رسو
الله صلى الله عليه وسلم انهم لم يعدوا ان يكونوا في تكذيبهم فمحملا صلى الله عليه وسلم وجحد هم نبوة
وتركهم الاقرار به وبما جابه مع علمهم به ومعرفتهم بحقيقة امره كاسلا فهم ورايهم
الذين قص الله علينا قصصهم وقال محمد بن اسحق لما رجع موسى الى قومه فرأى ما
فيه من عبادة العجل وقال لاهيه والسامري ما قال وحرق العجل وذراه في الهم اختار
موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله عز وجل فتوبوا الى الله
ما صنعتكم وسلوه التوبة على من ترككم وراكم من قومكم فصوموا وتطهروا واطهروا
ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء ليقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه فقال
له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما امرهم به وخرجوا للمقاء الله يا موسى اطلب
لنا الى ربك ان نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى
تغشى الجبل كله ودنى موسى فدخل فيه وكما قال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه
ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه ف ضرب
دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام وقبوا سجدا فسمعوا تعالى وهو
يكلم نبهم موسى يا امره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى
الغمام فاقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى ترى الله جهره فاخذتهم الصا
عقة فأتوا جميعا وقام موسى يناسد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب سلو شيت
اهلكهم من قبل واياي اتمسكنا بما فعل السفها منا فان **اقبل** ما مقصود موسى
بقوله لو شيت اهلكهم من قبل واياي فقد ذكر فيه وجوه فقال السيد لما ما تواقام
موسى بيكي ويقول رب ما اذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم
وقال ابن اسحق اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير ارجع اليهم وليس محي
نهم رجل واحد في الذي يصدقون به او يامنون عليه بعد هذا وعلى هذا فالخ
لو شيت اهلكهم قبل خروجهنا فكانوا بنوا اسرائيل يعانين ذلك ولا يتم موتي
وقال الزجاج المعنى لو شيت اهلكهم قبل ان تبسلكم بما اوجب عليهم الرحمة
قلت وهو كلام حال هو المقصود الذي يظهر والله اعلم بمراده ومراد

ان هذا استعطا ف من موسى لربه وتوسل اليه بعفو عنهم من قبل حين عبد
قومهم العجل ولم ينكروا عليهم يقول موسى انهم قد تقدم منهم ما يقتضي هلاكهم مع
هذا فوسعهم عفوك وبغفرك ولم تهلكهم فليسعهم اليوم ما وسعهم من قبل هذا
كما يقول من واخذه سيده بجرم لوشيت واخذتني من قبل هذا بما هو اعظم من
هذا الجرم ولكن وسعني عفوك او لا فليسعني اليوم ثم قال بني اسرائيل اهلكتنا بما فعل
السفها منا فقال ابن الانبياء وغيره هذا استغفارهم على معنى الجوداي لست تفعل ذلك
والسفها ها هنا عبدة العجل قال الفرائض موسى انهم اهلكوا با اتخاذ قومهم العجل فقال
ايهلكنا بما فعل السفها منا وانما كان اهلككم يقول انا الله جبروتكم قال ان هي الا
فتنتكم وهذا من تمام الاستعطا في ما هي الا ابتلاؤكم واختياركم لعبادكم فانت
ابتليتهم وانتخبتم فالامر كله لك وببك لا يكشفه الا انت كما لم يمتحن به و
ويختبر الا انت فتحن عايزون بك منك ولا جوت بك منك **فصل**
ومن تلاعب الشيطان بهذه الامور وكيد له انهم قيل لهم وهم مع نبينهم والوحي ينزل
عليه من الله ادخلوا هذه القرية قال قتادة وابن زيد والسدي وابن جرير وغيرهم
هي قرية بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي هنيئا واسعا وادخلوا الباب
سجدا قال السدي هو باب من ابواب بيت المقدس وكذلك قال ابن عباس قال والسجود
بمعنى الركوع واصل السجود الاضحا لمن تعظمه فكل منحن لشي تعظيما له فهو سجد
قال ابن جرير وغيره **فصل** وعلم هذا فانما المتلاقيين عند الله احدهما
لصاحبه من السجود المحرم وفيه نهي صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قيل لهم قو
لوا حطة اي حطعنا خطايانا هذا قول الحسن قتادة وعطاء وقال عكرمة
وغيره اي قولوا لا اله الا الله وكان اصحاب هذا القول اعتبروا بالكلمة التي
حط الخطايا وهي كلمة التوحيد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس انهم
بالاستغفار وعلى القولين فيكونون مأمورين بالدخول في التوحيد والاستغفار
وضمن لهم بذلك مغفرة خطاياهم فتلاعب الشيطان بهم فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم
وفعلوا غير الذي امروا به فروى البخاري في صحيحه وعلم انهم من حديث
همام بن منبه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة لغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على

استأهم وقالوا حطة في حشره فبدلوا القول والفعل معا فانزل الله عليهم
رجزا من السماء قالوا العالية هو الغضب وقال ابن زيد هو الطاعون وعلى هذا
فالطاعون بالرصد من بدل حين الله قولوا وعلا **فصل** ومن تلاعب
الشيطان بهم انهم كانوا في البرية قد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى
فلما ذكروا عيش النوى والبصل والعدس والبقل والقثا فسالوه موسى
هذه من سوا اختيارهم لانفسهم وقلة بصيرهم بالاغذية النافعة الملائمة واستبدال
الاغذية الضارة القليلة التغذية منها **فصل** ثم قال لهم موسى استبدلون
الذي هو اذني بالذي هو خير الهبطوا مصر فانكم ما سألتم اي مصر امن الا مصرا
فان لكم ما سألتم فكانوا في افسح الامكنة واوسعها واطيبها هو اوبعدها
من الاذى ومجاورة الانسان والاقدار سقهم الذي يظلمهم من الشمر الغمام وطعا
هم السلوى وشرابهم المن قال ابن زيد كان طعام بني اسرائيل في التيه واحد وشرابهم
واحد كان شرابهم عسلا ينزل من السماء يقال له المن وطعامهم طير يقال له
السلوى ياكلون الطير ويشربون العسل لم يكن لهم خبز ولا غيره ومعلوم فضل
هذا الغذاء والشراب على غيرهما من الاغذية والاشربة وكان مع ذلك ينفيهم من
الحجر اثني عشر عينا من الماء فطلبوا الاستبدال بما هو دون ذلك بكثير فذموا على
ذلك فكيف بمن استبدل الضلال بالهدى والغي بالرشاد والشرك بالتوحيد و
السنة بالبدعة وخدعة الخالق بخدمة المخلوق والعيش الطيب في المساكن
الطيبة في جوار الله بحظرة من العيش النكد الفاق في هذه الدار **فصل**
ومن تلاعبهم بهم انهم لما عرضت عليهم التوراة لم يقبلوها وقد شاهدوا من
الايات فاشاهدوه حتى امر الله سبحانه جبريل فقلع جبلا من اصله على قدر
هم ثم رفعه فوق رؤسهم وقيل لهم ان لم تقبلوها القيناه عليكم فقبلوها كرها
قال تعالى اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم فخذوا ما اتيناكم
بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون قال عبد الله وهب قال ابن زيد لما رجع موسى
من عند ربه بالواج قال لبني اسرائيل ان هذه الاواج فيها كتاب الله وامره الذي
امركم به ونبيه الذي نزلكم عنه فقالوا ومن ياخذ بقدر لكنت لا والله حتى نرى
الله جبروته حتى يطلع الله اليها فيقول هذا كتابي فخذوه فقال لا يكفينا كما كلفكم

انت يا موسى فيقول هذا كذا في فخذوه فجأت غضبة من الله فجاءتهم صاعقة
فصعقتهم فأتوا اصبعون ثم احياهم الله بعد موتهم فقال لهم موسى خذوا كتاب الله
الله فقالوا لا فقال اي شئ اصابكم قالوا انتا ثم حينئذ فقال خذوا كتاب الله
قالوا لا فبعث الله ملائكة فتتقت الجبل فوقهم فيقبل لهم التعرفون هذا قالوا نعم
هذا الطور قال خذوا كتاب الله والاطرحناه عليكم قال فاحذوه بالميثاق وقال السيد
لما قال الله لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فابوا ان يسجدوا فامر الله الجبل
ان يرتفع فوق رؤسهم فنظروا اليه وقد غشيهم فسقطوا سجدا على شق ونظروا با
لشوق الاخر فكشفه عنهم ثم تولوا من بعد هذه الايات واعرضوا ولم يعملوا بما في
كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم فقال تعالى لا ياولا بما جرح من اسلافهم واذا خذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا لعلكم تتقون واذكروا ما فيه لعنكم تتقون
ثم قوليت من بعد ذلك فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين **فصل**
ومن تلاعبه ان الله سبحانه انجاهم من فرعون وسلطانه وظلمه و... فرقهم
الله لبحر واراهم الايات والعجايب نصرهم واواهم واعزهم وانا هم عالم يؤت احدا
من العالمين ثم امرهم ان يدخلوا القرية التي كتب الله لهم وفي ضمن هذا بشارتهم بانهم
منصورون وفتوح لهم وان تلك القرية لهم فابوا طاعته وامتناع امره وقابلوا
هذا الامر والبشارة بقولهم اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وتامل
لطف نبي الله موسى بهم وحسن خطابه لهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم وبشارتهم
بوعده الله لهم بان القرية مكتوبة لهم ونعيمه عن معصيته بارتدادهم على اديارهم و
انهم ان عصوا امره ولم يمتثلوا انقلبوا خاسرين فجعل لهم بين الامر والنهي والبش
رة والنداه والترغيب والترهيب والتذكير بالنعم السالفة فقابلوه اذ فتح
المقابلة فعارضوا امر الله بقولهم يا موسى ان فيها قوما جبارين ونسوا قدر قبلا
السموات والارض الذي يذل الجبابرة لاهل طاعته وكان خوفهم من اولئك
الجبارين الذين نواصيهم بيد الله اعظم من خوفهم من الجبار الاعلى سبحانه و
كانوا اشدر هبة في صدورهم منهم ثم صرخوا بالعصية والامتناع من الطاعة فقالوا اننا لن
ندخلها حتى يخرج جوارحنا فاكذبتهم بانواع من التاكيد احدى هاتين هاتين ان فيها

قوما جبارا والثاني تصريحتهم بانهم غير مطيعين وصدروا الجملة بحرف تاكيد
وهو ان ثم حققوا النفي باداة لن الداخلة على نفى اي لا ندخلها الان ولا في المستقبل
ثم علقوا دخولها بشرط خروج الجبارين منها فقال لهم رجالان من الذين اتبع الله
عليهما بطاعته والانقياد الى امره من الذين يخافون الله هذا قول الأكثرين وهو
الصحيح وقيل من الذين يخافونهم من الجبارين اسلما وتبعوا موسى ادخلوا
الباب اي باب القرية فاجتمعوا عليهم فانهم قد ملئوا عنكم رعبا فاذا دخلتموه
فانكم غالبون ثم ارشدهم الى ما يحقق النصر والغلبة لهم وهو التوكل فكان جواب
القوم ان قالوا يا موسى اننا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون فسبحان عظم حلمه حيث يقابل امره بمثل هذه المقابلة ويوا
جه رسول الله مثل هذا الخطاب وهو يحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة بل روعهم
حلمه وكرمه وكان اقصى ما عاقبهم به ان ردهم في برية السيرة اربعين عاما
يظلل عليهم الغمام من الحر ويترع عليهم المن والسوى وفي الصحاح يحبر عن عبد
بن مسعود قال لقد شهدت مع المقداد بن الاسود مشهرا الى ان اكون صاحبه حب
الي ما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول لك كما قال
قوم موسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكننا نقابل عن عبيدك
وعن شماك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه
لذلك وسريه فلما قابلوا نبي الله بهذه المقابلة قال رباني لا افعلك لانفسني فاجي
فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرومة عليهم اربعين سنة
يتيمنون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين **فصل** ومن تلاعبه
بهم ايضا ما قصه الله سبحانه في كتابه من قصة القنيل الذي قتلوه وتذافعوا
فيه حتى امروا بالنيح بقره وضربه ببعضهم وفي هذه القصة انواع من العبر
منها ان الاخبار بها من اعلام نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها الدلالة على
نبوة موسى وانه رسول رب العالمين ومنها الدلالة على صحة ما اتفقت عليه
المرسل من اولهم الى خاتمهم من معاد الابدان وقيام الموتى من قبورهم ومنها
اشارة الفاعل المختار وانه عالم بكل شئ قادر على كل شئ لا يجوز عليه الظلم
والجور حكيم لا يجوز عليه العبث ومنها اقامة انواع الايات والبراهين الحجج
على عباده بالطرق المتشعبة في هداية المستدين واعذارا وانذارا للضال ومنها انه لا ينبغي

مقابلة امرائه بالثغث وكثرة السؤال بل يبادر الى الامتثال فانهم لما امروا
ان يذبحوا بقرة كان الواجب عليهم ان يبادروا الى الامتثال بذبح اي بقرة
اتفقت فان الامر بذلك لا اجماع فيه ولا اشكال هو بمنزلة قوله اعتق رقبة
واطعم مسكينا وصم يوما ونحو ذلك ولذلك غلط من احتج بالآية على جواز
تأخير البيان عن وقت الخطاب فان الآية غنية عن البيان المتصل بمينة
بنفسها ولكن لما تعشوا واشددوا شدد عليهم قال ابو حفص عن الربيع عن ابي العا
لية لو ان القوم حين امروا ان يذبحوا بقرة استعصوا بقرة من البقر فذبحوها
لكانت اياها ولكنهم شدوا على انفسهم فشدد عليهم ونما انه لا يجوز
مقابلة امر الله الذي لا يعلم للمأمر به وجه الحكمة فيه بالانكار وذلك نوع من
الكفر فان القوم لما قال لهم نبيهم ان الله يامرهم ان يذبحوا بقرة قاتلوا هذه الامور
بقولهم اتخذنا ههنا فلما لم يعلموا وجه الحكمة في ارتباط هذا الامر بما سألوه
عنه قالوا اتخذنا ههنا وهذا من غاية جهلهم بالله ورسوله فانه اخبرهم
عن امر الله لم بذلك ولم يكن هو الامر به ولو كان هو الامر به لم يجز لمن امن
بالرسول ان يقابل امره بذلك فلما قال لهم اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين و
تيقنوا ان الله سبحانه امره بذلك اخذوا في الثغث بسؤالهم عن عينها ولونها
فلما اخبروا عن ذلك رجعوا الى السؤال مرة ثالثة عن عينها فلما تعينت لهم ولم يبق
اشكال توقفوا في الامتثال ولم يكادوا يفعلون ثم من اجمع جهلهم وظلمهم
قولهم لنبيهم الان جيت بالحق فان ارادوا بذلك انكم لم تات بالحق قبل ذلك
في امر البقرة فتكردة وكفروا وان ارادوا انكم الان بينت لنا البيان التام في تعيين
البقرة للمأمر به بجهلهم فذلك جهل ظاهر فان البيان قد حصل بقوله ان الله يامر
كم ان تذبحوا بقرة فانه لا اجمال في الامر ولا في الفعل ولا في المذبح فوجدوا
رسول الله بالحق من اول مرة قال **فكذب** جريروا فلكان بعض من سلفهم
ان القوم ارتدوا عن دينهم وكفروا بقولهم لوسى الان جيت بالحق وصرخ ان ذلك
نفي منهم ان يكون موسى اياهم بالحق في امر البقرة قبل ذلك وان ذلك كفر عنهم قال
وليس الامر كما قال عندنا لانهم قد ادعوا بالطاعة بجهلهم وان كان قولهم الذي قالوا المولى

538
جهلة منهم وهفوة من هفواتهم **فصل** ومنها الاخبار عن قساوة
قلوبهم بهذه الامة وغلظها وعدم تمكن الايمان قال عبد الصمد عن وهب كان
ابن عباس يقول ان القوم بعد ان احيى الله الميت فاخبرهم بقائه انكروا قتله
وقالوا والله ما قتله بعد ان راوا الآية والحق قال نعم قست قلوبكم من بعد
ذلك فهي كاللحجارة او اسد قسوة وفيها مقابلة الظالم الباطل بنقيض قصده شرعا
وقد را فان القاتل قصد ميراث المقتول ودفع القتل عن نفسه ففضحه الله
وهتكه وحرمه ميراث المقتول وفيها ان بني اسرائيل فتنوا بالبقرة مرتين من
بين ساير الدواب ففتنوا بعبادة العجل وفتنوا بالامر بذبح البقرة والبقرة من
ابدا الحيوان حتى يضرب به المثل والظاهر ان هذه القصة كانت بعد قصة
العجل ففي الامر بذبح البقرة تنبيه على ان هذا النوع من الحيوان لا يمنع من الذبح
والحرث والسقي لا يصلح ان يكون اليها معبودا من دون الله وانما يصلح للذبح
والحرث والسقي والعمل **فصل** ومن تلاعبه بهذه الامة ايضا ما قصة
سجانه ونما علينا من قصة اصحاب السبت حين مستخدم الله قردة لما
تحيلوا على استئصال محارم الله ومعلوم انهم كانوا يعصون الله باكل المحرام
واستباحة الفروج المحرام والدم المحرام وذلك اعظم اثم من مجرد العمل يوم
السبت ولكن لما استعملوا محارم الله باذي الحيل وتلاعبوا بدينه وخادعوه
كخادعة الصبيان ومسخوا دينه بالاحتيال مستخدم الله قردة وكان الله سبحانه
قد اباح لهم الصيد في كل ايام الاسبوع الا يوما واحدا فلم يدعهم حرصهم وجشعهم
حتى تعدوا الى الصيد فيه وساعد القديان عوقبوا باسكال الحيتان عنهم
في غير يوم السبت وارسا اليهم يوم السبت وهكذا يفعل الله سبحانه بمن
يعرض لمحارمه فانه يرسلها عليهم بالقدر حتى ترد لغيره بايما يشاء فانظر ما فعل
المحرص وما اوجب من الحرمان ومن ههنا قيل من طلبه كره فانه كره **فصل**
ومن تلاعب الشيطان بهم ايضا انهم لما حرم عليهم الشحم اذ ابوهاوا كلوا
اثما وهذا من عدم تفهمهم عن الله دينه فان ثمنها بدل منها فاحترق بها
تحرهم لبدلها والمعاوضة عنها كان تحريم اللحم والميتة والدم ولحم الخنزير
ول تحريم اعيانها وابدالها ومن تلاعبه ايضا بهم انهم كانوا يقتلون الانبياء

الذين لا مثال الهداية الا على ايديهم ويتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله يحرمون عليهم ويحلقون لهم فياخذون بتحريمهم وتحليلهم ولا
يلتفتون هل ذلك التحريم والتحليل من عند الله ام لا قال عدي بن حاتم انت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وثيق اخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
فقلت يا رسول الله ما عبدوهم فقال حرموا عليهم المحلل والحلال واحلوا لهم المحرم
فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم رواه الترمذي وغيره وهذا من اعظم فلاعب
الشيطان بالانسان ان يقتل او يقابل من هداية على يديه ويتخذ من لم تضمن له
خصمته ندا يحرم عليه ويحلال له ومن تلاعبه بهم ما كان منهم في شأن
زكريا ويحيى وقتلهم لما احتج سلط عليهم تحت نضر وسنجار وب وجنودها
فما لوا منهم ما نالوا ثم كان منهم في شأن المسيح وريبه واه به بالعظام
وهم يعلمون انه رسول الله اليهم فكفروا به بغيا وعنادا وراموا قتله وصلبه
فصانه الله من ذلك ورفع اليه وطهره منهم فاوقعوا القتل والصلب على
شبهه وهم يظنون انه رسول الله فاستقم الله منهم ودمر عليهم اعظم تدبير
ولزمهم كلام حكم الكفر بتكذيبهم المسيح كما لزم النصراني معهم حكم الكفر
بتكذيبهم محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينزل امر اليهود بعد تكذيبهم بالمسيح وكفرهم
في سفال ونقص لان قطعهم الله في الارض احماء ومزقهم كل مزق وسلبهم
عزهم وملكهم فلم يبق لهم بعد ذلك منك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكفروا
به وكذبوه اثم عليهم غضبه ودمرهم غاية التدبير والزهم ذلوا وصغارا لا ير
تفع عنهم الى ان ينزل اخاه المسيح من السماء فيستاصل شافتهم ويظهر الارض
منهم ومن عباد الصليب قال تعا بشماه اشترا به انفسهم ان يكفروا بما
انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فبأوبغضب على
غضب وللكافرن عذاب مهيمن فالغضب الاول بسبب كفرهم بالمسيح والغضب
الثاني بسبب كفرهم بمحمد صلوات الله وسلامه عليه فصل ومن
تلاعب الشيطان بهذه الامة ان الرب تعا محجور عليه في نسخ الشرائع فحجروا
عليه ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وجعلوا هذه الشبهة الشيطانية ترسالم

في محمد بنوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرر واذنك بان النسخ يستلزم البدأ وهو على
الله محال وقد اكذبهم الله في نص التوراة كما اكذبهم في القرآن قال تعا كل الطعام حرام كان
حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالثبوت
راة فاندوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب بعد ذلك فاولئك هم
الظالمون قل صدق الله فاتبوا املة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين تضمنت
هذه الايات بيان كذبهم صريحا في ابطال النسخ فانه سبحانه اخبر ان الطعام كل
كان حلالا لبني اسرائيل قبل نزول التوراة سوى ما حرم اسرائيل على نفسه منه ومعلوم
ان بني اسرائيل كانوا على شريعة ابيهم اسرائيل واملته وان الذي كان لهم حلالا انما هو
باحلال الله له على لسان اسرائيل والانبياء بعده الى حين نزول التوراة ثم جئت
التوراة بتحريم كثير من المأكول عليهم التي كانت حلالا لبني اسرائيل اي كانت حلالا لهم قبل
نزول التوراة وهم يعلمون ذلك ثم قال تعا قل فأتوا بالتوراة فاندوها ان كنتم صادقين
هل تجدون فيها تحريم ما خصه بالتحريم وهو لحم الابل والبا نها خاصة وان كان
انما حرم هذا وحده وكان ما سواه حلالا له ولبنيه وقد حرمت التوراة كثير
منه ظهر كذبكم وافتراركم في النكاح نسخ الشرائع والحجج على الله في نسخها فاقبل هذا
هذا الوضع الشريف الذي حرم حوله اكثر المفسرين وما وردوه وهذا اولى من
احتجاج كثير من اهل الكلام عليكم بان التوراة حرمت اشيا كثيرة ومن المناكح
والذبايح والافعال والاقوال واذنك نسخ حكم البراءة الاصلية فان هذه المناظرة ضعيف
جدا فانه القوم لم ينكروا رفع البراءة الاصلية بالتحريم والايجاب ذهابها لثبات كل الشرا
يع وانما انكروا تغيير ما اباحه الله فيجعل حراما وتحليل ما حرمه الله فيجعل
يباحا واما رفع البراءة الاصلية والاستصحاب فلم ينكروا احد من اهل الملل ثم
يقال لهذه الامة الغضبية هل تقرون انه كان قبل التوراة شريعة ام لا وهم لا ينكرون
ان يكون قبل التوراة شريعة فيقال لهم هل رفعت التوراة شيئا من احكام تلك الشرايع
المتقدمة ام لا فان قالوا لا لم ترفع شيئا من احكام تلك الشرايع فقد جاؤا بالكذب
والبهتان وان قالوا بل رفعت بعض الشرايع المتقدمة فقد اقرؤا بالنسخ قطعها
وايض فيقال للامة الغضبية هل انتم اليوم على ما كان عليه موسى فان قالوا نعم
قلنا اليس في التوراة ان من مسر عظم ميت او وطأ قبرا او حضر ميتا عند موته

فانه يصير من النجاسة بحال لا يخرج له منها الارادة البقرة التي كان الامام اليها
روفي يجرها فلا يمكنهم انكار ذلك فيقال لهم فهل انتم اليوم على ذلك فان قالوا لا
تقدر عليه فيقال لهم فلم جعلتم ان من لمس لعظم والقبر والميت طهرا يصلح
للصلاة والذي في كتابكم خلافه فان قالوا لا انا عدنا اسباب الطهارة وهي رعا
البقرة وعدنا الامام المطهر المستغفر فيقال لهم هل اغناكم عدوه عن فعله
او لم يغناكم فان قالوا اغنانا عدوه عن فعله قيل لهم فقد تبدل الحكم الشرعي من
الوجوب الى السقاطه لمصلحة التعذر فيقال وكذلك تبدل الحكم الشرعي بالنسخ
لمصلحة النسخ فانكم ان ثبتتم على اعتبار المصالح والمفاسد في الاحكام فلا ريب ان
الشي يكون مصلحة في وقت دون وقت وفي شريعة دون اخرى كما كان تزويج
الاخي بالاخت مصلحة في شريعة ادم ثم صار مفسدة في سائر الشرائع وكذلك اباحه
العمل يوم السبت كان مصلحة في شريعة ابراهيم ثم صار مفسدة في سائر الشرائع و
من قبله وفي شريعة موسى واحتمل ذلك كثيرا وان منعتم مراعات المصالح في الاحكام
ومنعتم تعليمها بالامر حينئذ اظهر فانه سبحانه يحلل ما يشاء ويحرم ما يشاء
والتحليل والتحریم تبع لجوده مشيئته لا يسال عما يفعل **وان قيل** انهم لا يستغي
في الطهارة عن ذلك الطهر الذي عليه **فصل** سلا فانا فقد اقررتم بانتم الانجاس
ولا سبيل لكم الى حصول الطهارة فان قالوا نعم الامر كذلك قيل لهم فان كنتم انجاسا
على مقتضى اصولكم فابالكم تعتزلون الحايض بعد انقطاع الحيض وارتفاعه سبعة
ايام اعتزلا لا تخرجون فيه الى حد لو ان احداكم لمس ثوبه ثوب المرأة نجسها مع
ثوبه فان **فصل** انهم ذكروا من احكام التوراه **فصل** انكم ليس في التوراه ان ذلك يراد به
الطهارة فاذا كانت الطهارة قد تعذرت عنكم والنجاسة التي انتم عليها لا ترتفع
بالغسل في اذا اسد من نجاسة الحيض ثم انكم ترون الحايض طهرا اذا كانت
من غير ملتكم ولا تنجسون من لمسها ولا الثوب الذي لمسها فتخصيص هذا
الامر بطاعتكم ليس في التوراه **فصل** قالت الاممة الامية الغضبية
التورية قد حضرت امورا كانت مباحة من قبل ولم تات باباحه محضو والنسخ
الذي ننكره ونمنع منه هو ما اوجب اباحه محضو لان تحریم الشيء انما هو
لاجل ما فيه من المفسدة فاذا جازت شريعة بتحریمه كان ذلك من موكدا

ومقرراتنا

ومقرراتنا فاذا جازت اباحه علمنا باباحه المفسدة انه غير نبي بخلاف تحریم
ما كان مباحا فانا نكون متعبدين بتحریمه قالوا وشريعتكم جات باباحه
كثيرا حرمة التوراه مع انه انما حریم لما فيه من المفسدة فلهذا النكته هي التي
تعتمد عليها الاممة الغضبية ويتلفاها خالفهم عن سالف المتكلمين لم يشقوهم
في جوابها وانما اطالوا اعوام الكلام في رفع البراءة الاصلية بالشرائع وفي نسخ الابا
حه بالتحریم ولعمرو الله انه لما يبطل شيء منهم لان رفع البراءة الاصلية ورفع
الاباحه بالتحریم هو تغيير لما كان عليه الحكم الاستصحابي والشرعي بحكم اخر
لمصلحة اقتضت تغييره ولا فرق في اقتضا المصلحة بين تغيير الاباحه بالتحریم
او التحريم بالاباحه والشبهة التي عرضت لهم في احد الموضعين هي بعينها في المو
ضع الاخر فان اباحه الشيء في الشريعة تابع لعدم مفسدة اذ لو كانت فيه
مفسدة راجحة لم تات الشريعة باباحه فاذا حرمت الشريعة الاخرى وجب
قطعا ان يكون تحریمه فيها هو المصلحة كما كان اباحه في الشريعة الاولى هي
هي المصلحة فان تضمنت اباحه الشحوا في الشريعة الاولى اباحه المفاسد و
وحاش لله تضمن تحريم المباح في الشريعة الاولى تحريم المصالح وكلاهما باطل
قطعا فاذا جاز ان تاتي شريعة التوراه بتحریم ما كان ابراهيم ومن تقدمه يستبيحه
فجاز ان تاتي شريعة اخرى بتحليل ما كان في التوراه محظورا وهذا الشبهة الباطنة
حالة الداحضة هي التي ردت بها الاممة الغضبية بنو محمد صلى الله عليه وسلم في التي بعينها
رد بها اسلافهم بنو المسايح وتوارثوها كافر عن كافر وقالوا الحمد لا نفر بنو من
من غير شريعة التوراه فيقال لهم كيف اقررتم لموسى بالنسوة وقد جاب بنغير بعض
شرائع من تقدمه فان قدح ذلك في المسايح ومحمد قدح في موسى فلا قدحون
في بنوهم بما قدح الا ومثله في بنو موسى سواء كما انكم لا تشقون بنو موسى عليه السلام
بين هان الا واضعافه شاهد على بنو محمد صلى الله عليه وسلم في البين المحال ان يكون
موسى رسولا صادقا ومحمد ليس برسول والمسيح رسول ومحمد ليس برسول
ويقال للاممة الغضبية لا تخلوا احدا ان تحریمه لعينه ذاته بحيث يمتنع اباحه
في زمان من الزمان واما ان يكون تحریمه لما تضمنه من المفسدة في زمان
دون زمان ومكان دون مكان وحال دون حال فان كان الاول لزم ان يكون

هذه
اشارة

ما حرمته التوراة محرما على جميع الانبياء في كل زمان ومكان فمن عهد نوح الى خاتم
الانبياء وان كان الثاني ثبت ان التحريم والاباحة تابعان للمصالح وانما تختلف
باختلاف الزمان والمكان والحال فيكون الشيء الواحد حراما في ملّة دون ملّة
وفي وقت دون وقت وفي حال دون حال وهذا معلوم من اضطرابه من الشرائع
ولا يليق بحكمة احكام الحكماء غير ذلك ولا يزي ان تحريم السبت لو كان لعينه لكان
حراما على ابراهيم وموسى وسائر النبيين وكذلك ما حرمته التوراة من المطاعم والمناج
وغيرها لو كان حراما لعينه وذاته لوجب تحريمه على كل نبي وفي كل شريعة واذا كان
الرب تعالى لا يحرم عليه بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويبطل ما يشاء ويحكم
لا يحكم عليه فما الذي يحكم عليه ويمنعه ان يامر امر او امر الشريعة ثم ينهى
امة اخرى عنه او يحرم محرما على امة ويباحه لامة اخرى بل اي شيء يمنع سبحانه
ان يفعل ذلك في الشريعة الواحدة في وقتين مختلفين بحسب المصلحة وقد بين سبحانه
ذلك بقوله ما ننسخ من اية او ننسخها فانها خير منا او ما ننسخ من اية او ننسخها فانها خير منا
قد علم ان الله لم يترك السما والارض فاحسن سبحانه ان يعمم قدرته وملكه وقصره
في ملكه وخلقه لا يمنع ان ينسخ ما يشاء وينبت ما يشاء كما انه يحل من احكامه
الفردية الكونية ما يشاء وينبت فكذا احكامه الدينية الاخرية ينسخ منها ما يشاء
وينبت ما يشاء فمن كفر الكفر واطلم الظلم ان يعارض الرسول الذي جاء بالبينات
والهدى بدفع نبوته ويجحد رسالته يكرهه انا باباحة بعض ما كان محرما على من
قبله او بتحريم بعض ما كان مباحا له وبالله التوفيق يضل من يشاء ويهدي
من يشاء ومن العجائب هذه الامة الغضبية تنجر على الله ان يفسخ ما
يشاء من شرايعه وقد تركوا شريعة موسى في الكرامات عليه وتمسكوا بما شرعه
لهم احبارهم وعلماءهم فمن ذلك انهم يقولون في صلواتهم ما ترجمته هكذا
اللهم اضرب بيوق عظيم لفيفنا واقبضنا جميعا من اربعة اقطار الارض الى قدسك
سبحانك يا جامع شتات قومة اسرائيل ويقولون بكل يوم ما ترجمته هكذا
اردد حكمانا كالاولين وسعدنا كالارسلان ابن اوراشلم قربة قدسك
في ايامنا وعزنا بنبيائنا سبحانك لما تاتي مرد شلم فهذا قولهم في صلواتهم مع علمهم

بان موسى وهرون لم يقولوا شيئا من ذلك ولكنها فصول لغفوها بعد ذلك وحولتهم
وكذلك صيغهم كصوم احراق بيت المقدس وصوم حصا وصوم كذبا التي جعلوها
فرضا لم يصمها موسى ولا يوشع بن نون وكذلك صوم صلبها ما ان ليس شيء من ذلك
في التوراة وانما وضعوها لاسباب اقتضت وضعها عندهم هذا مع انه في التوراة
ما ترجمته لا تريد على الامر الذي انا موصيكم به شيئا ولا تنقصوا منه شيئا وقد تضمنت
التوراة اوامر كثيرة جدا مجمعة على تعطيلها والغايها فاما ان تكون منسوخة
بنصوص اخرى من التوراة او بنقل صحيح عن موسى او باجماع علماءهم واجبار
وعلى التقدير الثالث فقد بطلت شبهاتهم في انكار النسخ **ثم من العجيب**
ان اكثر تلك الاوامر التي هم مجمعون على عدم القول والعمل بها انما يستندون فيها الى
قول علماءهم وارايتهم وقد اتفقوا على تعطيل الرجم للزاني وهو نص التوراة وتعطيل
احكام كثيرة مخصوصة في التوراة **ومن** تلاعب الشيطان بهم انهم يزعمون
ان الفقهاء اذا حلوا لهم شيئا كان حلالا واذا حرموه صار حراما وان كان
نص التوراة بخلافه وهذا يجوز منهم لنسخهم ما شاءوا من شريعة التوراة
فجحدوا على الرب سبحانه ان ينسخ ما يريد من شريعته وجوزوا ذلك لاجبارهم
وعلمائهم كما تكبر ابليس ان يسجد لادم وراى ان ذلك يخض منه ثم رضي ان يكون
قوادا لكل عاص وفاسق وكما ان عباد الاصنام ان يكون النبي المرسل اليهم بشرا
ثم رضوا ان يكون الههم ومعبودهم محجرا وكما نزهت النصارى بتاركهم عن
الصاحبة والولد ولم يتحاشوا من ذلك نسبة ذلك الى الله سبحانه وكما نزهت
الفرعونية من الجهمية الرب سبحانه ان يكون مستورا على عرشه لتلايلهم
المحصر ثم جعلوه سبحانه في الابار والجانات واجواف الحيوانات **فصل**
ومن تلاعب الشيطان بهم ما شدوه على انفسهم في باب الذبايح وغيرها مما ليس
له اصل عن موسى ولا هو في التوراة وانما هو من اوضاع النجاسات وارايتهم وهم
فقهائهم ولقد كان لهذه الامة في قديم الزمان بالشام والعراق والمدائن حذر
وقتها كثير من دولته البابليين والفرس ودولة اليونان والروم
حقا جمع فقهاءهم في بعض تلك الدول على قائلها المنشأ والتلوذ فاما المنشأ
فهو الكتاب الاصغر وبلغ حجمه نحو مائة ورقة واما التلوذ فهو الكتاب
الاكبر وبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرة ولم يكن الفقهاء الذين التوذ في عصر واحد

جيلا بعد جيل فلما نظر المتأخرون منهم الى هذا التاليف وانه كلما مر عليه
الزمان زادوا فيه وان في الزيادات المتأخرة ما يناقض هذا التاليف علموا انهم
ان لم يقطعوا ذلك لم يمنعوا من الزيادة فيه والادنى الى الخلل الذي لا يمكن سده
قطعوا الزيادة فيه ونعوا منها وحضروا على الفقهاء الزيادة فيه اضافة شئ
اخر اليه وحرموا من يضيف اليه شئ اخر فوق على ذلك المقدار وكانت اعينهم قد
حرمت عليهم في هذين الكتابين مواكدة الاجاب وهم من كان على غير ملتزم
فحرموا عليهم الاكل من ذبيحة من لم يكن على دينهم لان علماءهم علموا ان دينهم لا يبق
في هذه المجلة مع كونهم تحت الذل والعبودية الا ان يصعدوهم عن مخالطة
من هو على غير ملتزم فحرموا عليهم الاكل من ذبايحهم ومناكحتهم ولم يمكنهم
تقرير ذلك بالحجة بيت دعوى من انفسهم وليكن دعوى بما على الله لان التوراة
انما حرمت عليهم مناجاة غيرهم من الامم لئلا يوافقوا الازواج في عبادة الاصنام
والشرك وحرم عليهم في التوراة اكل ذبايح الامم التي يذبحونها قربانا الى الاصنام
لانه قد سمي عليها اسم غير الله فاما الذبايح التي لم تذبح قربانا للاصنام فلم
تنطق التوراة بتحريمها وانما نطقت باباحة الاكل من ايدي غيرهم من الامم
وموسى انما نهاهم عن مناجاة عباد الاصنام واكل ما يذبحونه على اسمها فاما بال
هؤلاء الايام كلون من ذبايح المسلمين وهم لا يذبحون للاصنام ولا يذكرون اسمها
عليها فلما نظرهم بمنهم الى ان التوراة غير ناطقة بتحريم ما كل الامم عليهم الاعداد
الاصنام وان التوراة قد صرح بان تحريم مواكلتهم ومخالطتهم خوفا
استدراج المخالطة الى المناكحة وان المناكحة انما يمنع منها خوفا استنباهها
الانتقال الى اديانهم وعبادة اوثانهم ووجدوا جميع هذا واضحا في التوراة
اخلفوا كتابا في علم الذبايح حجة ووضعوا فيه من التشديد والاصار
والاغلال ما لم يشغلهم به عوامهم من الذل والمشقة وذلك انهم امرهم
ان ينفخوا الرية حتى يملأوها ويتاملونها هل يخرج الهواء من ثقبها ام لا
فان خرج منها الهواء حرموها وان كانت لبعض اطراف الرية لاصقة ببعض
لم ياكلوه وامر الذي يتفقد لهم الذبيحة ان يدخل يده في بطن الذبيحة

ويتامل باصابعه فان وجد القلب ملتصقا الى الظهر او احدا الجنبين ولو كان
الاتصاق بعرق دقيق كالشعر حرموه ولم ياكلوه وسموه طريفا ويفتوت
بذلك انه نجس واكله حرام وهذه التسمية هي اصل بلابهم وذلك ان التوراة
حرمت عليهم اكل الطريفا والطريفا هي الفريسة التي يفرسها الاسد والذئب
غيرهما من السباع وهو الذي عنه القران بقوله وما اكل السبع والدليل على
ذلك انه قال في التوراة ولحم في الصخر فريسة لانا كلوه وللكلب القوة واصل
لفظه طريفا طوارف وقد جات هذه اللفظة في التوراة في قصة يوسف لما
جأت اخوته على قميصه بدم كذب وزعموا ان الذئب فترسه وقال في التوراة
ولحم في الصخر فريسة لانا كلوه والفريسة انما توجد غالبا في الصخر او كان
سبب نزول هذا عليهم انهم كانوا ذوي اخبية يسكنون البر لا انهم مكوثا في
دون في التيه اربعين سنة وكانوا لا يجدون طعاما الا المني والسلوى وهو
طير صغير يشبه السمنا وفيه من الخاصة ان اكل لحمه يلين القلب ويذهب
بالحروب والقساوة فان هذا الطير يموت اذا سمع صوت الرعد كما ان الخطأ
يقتله البرد فالله ان يسكن جزائر البحر التي لا يكون بها مطر ولا رعد
الى انقضاء اوان المطر والرعد فيخرج من الجزائر وينتشر في الارض فيجلب
اليهم هذا الطير لينفخوا به ويكون اغتذاؤهم به كالدواخل فلو جهر
وقسوتهم والمقصود ان مشايخهم تعدوا في تفسير الطريفا عن موضوعها
وما اريد بها وكذلك فقهاء وهم اختلقوا من انفسهم هذيانا وخرافات
تعلق بالرية والقلب قالوا ما كان من الذبايح سليما من تلك الشروط
فيودحنا ومعنى هذه اللفظة انه طاهر وما كان خارجا عن هذه الشروط
فهو طريفا وتفسيرها انه حرام قالوا ومعنى نص التوراة ولحم فريسة في الصخر الا
ناكلوه وللكلب القوة اي انكم اذا ذبحتم ذبيحة ولم يوجد فيها هذه الشروط فلا
تاكلوها بل تبيعونها على من ليس من اهل ملتكم وفسروا قوله للكلب القوة اي لمن
ليس من اهل ملتكم فاطعموه ويبعوه وهم اعقوا بهذا القلب واسم الكلاب ثم ان
هذه الامة الغضبية فرقان احداها عرفوا ان اولئك السلف الذين القوا
المنشا والتمسوا وهم فقهاء اليهود الذين كذبوا على الله وعلى موسى وهم اصحاب

حماقات وتنطلع ودعاوي كاذبة يزعمون انهم كانوا اذا اختلفوا في شئ من تلك المسائل يرمي الله اليهم بصوت سمعه جمهورهم يقول الحق في هذه المسئلة
فمع فلان ويسمى هذا الصوت بث قول فلما نظرت اليهود القرايون وهم
اصحاب عاتان وبنيايين الى هذه المحاللات الشنيعة وهذا الافتراء الفاحش والكذب
البارد انفصلوا بانفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقالاتهم وكذبهم
في كل ما افتروا به على الله وزعموا انه لا يجوز قول شئ من اقوالهم حيث ادعوا
ان الله كان يوحى اليهم كما يوحى الى الانبياء واما تلك الترهات التي فيها الخجائيم وهم
قراؤها ونسبوا الى التوراه الى موسى فان القرايين اطرحوها كلها والقواها ولم
يجروا شيئا من الذبايح التي يتولون ذبيحتها البتة ولم يجروا سوى لم الجدي
بلين امة وليسوا باصحاب قياس بل اصحاب ظاهر فقط واما الفرقة الثانية
فهم الربانيون وهم اصحاب القياس وهم اكثر عدد من القرايين وفيهم الخجائيم
المفترون على الله الذين زعموا ان الله كان يخاطب جميعهم في كل مسئلة مسالة بالصوت
الذي يسمونه بث قول وهذه الطائفة اشد اليهود عداوة لغيرهم من الامم لان خجائيم
يهمهم او هوهم ان المأكولات انما تحل للناس ان يستعملوا فيها هذا العلم الذي نسبوا
الى الله والى موسى وان سائر الامم لا يعرفون هذا وانهم انما شرفهم الله بهذا وامثال
ذلك من الترهات فصارا احدهم ينظر الى من ليس على مذهبه وملتة كما ينظر الى الحيوان
البهيم وينظر الى ما كل الامم وذبايحهم كما ينظر الى العذراء وهذا من كيد الشيطان
لهم ولعبه بهم فان الخجائيم قصدوا بذلك المبالغة في مخالفتهم الامم والازراء
عليهم وتسببهم الى قلة العلم وانهم اختصوا دون الامم بهذه الاصدار والاعلال و
التشديدات كلما كان الخجائيم فيهم اكثر تكلفوا واشدا صرا واكثر تحريما قالوا
هذا هو العالم الرباني ومما دعاهم الى التشديد والتضييق انهم مبددون في شرق
الارض وغربها في جماعاتهم في بلدة الا اذا قدم عليهم رجل من اهل دينهم
من بلاد بعيد يظن انهم الحشونة في دينهم والمبالغة في الاحتياط فان كان من
المتفهمين فهو يشرع في انكار اشياء عليهم ويعلمهم التره عما هم عليه وينسبهم الى
قلة الدين وينسب ما ينكره عليهم الى مشايخه واهل بلده ويكون في اكثر تلك الاشياء

كاذبا وقصده بذلك ما الرياسة عليهم واما تحصيل بعض ما ربه منهم ولا سيما
ان اراد المقام عندهم فتراه اول ما ينزل بهم لا اكل من اطعمتهم ولا من ذبايحهم و
يتعامل سكين ذبايحهم وينكر عليه بعض امره ويقول انا لا اكل الا من ذبيحة يدي
فتراهم معه في عذاب ولا يزال ينكر عليهم المباح ويوهمهم تحريمه باشياء اختر
عما حتى لا يشكون في ذلك فان قدم عليهم قادم اخر فخاف المقيم ان ينقض عليه
القادم تلقاه واكرهه وسعى في موافقته وتصديقه فيستحسن ما فعله الاول
ويقول لهم لقد عظم الله ثواب فلان اذ قوى ناموس الدين في قلوب هذه الجماعة
وشد ساج الشريعة عندهم واذا الفقه يظن من مدحه وشكره والردع له ما
يؤكد امره وان كان القادم الثاني منكر لما جاء به الاول من التشديد والتضييق
لم يقع عندهم بموقع وينسبونه اما الى الجهل واما الى رقة الدين لانهم يعتقدون
ان تضييق المعيشة وتحريم الحلال هو المبالغة في الدين وهم ابداء يعتقدون
الصواب والحق مع من يشدد ويضييق عليهم هذا ان كان القادم من فقهاءهم
فاما ان كان من عبادهم واجبارهم فهناك العجب العجيب من الناموس الذي يعمله
والسنة التي يجدها يلحقها بالفرايض فتراهم سب لميل له منقادين وهو يحنل
دراهم ويحلب درهم حق اذ بلغه ان يوق يا جلس على قارعة الطريق يوم
السبت واشترى لبنا من مسلم ثلبه وسبه في مجمع اليهود واباح عرضه و
نسبه الى قلة الدين **فصل** ومن تلاعب الشيطان بهذه الامة الغضبية
انهم اذا راوا الامر والنهي مما امروا به شاقا عليهم طلبوا التخاصص منه بوجوه
الحيل قالوا هذا كان علينا لما كان لنا الملك والرياسة فمن ذكراهم اذا قا
اخوانهم في موضع واحد ومات احدهما ولم يعقب له اولا فلا تخرج امرأة الميت
الى رجل اجنبي بل ولد حموها ينكحها واول ولد يولد لها ينسب اليه اخيه الدارج فانه
الى ان ينكحها خرجت بشككة منه الى شيخه قومه تقول قد اتى ابن حمي ان
يستقي اسمي الاخيه في بني اسرائيل ولم يرد نكاحي فيحضره هناك ويكلفه ان
يقف ويقول يا اردت نكاحها فتنناول المرأة فعله فتخرجه من رجله وتمسكه
بيدها وتبصق في وجهه وتنادي عليه كذا فليصنع بالرجل الذي بيني وبين اخيه
ويدعي بعد فيها بالخلوع النعل ويبين بنيه بيني وخلوع النعل هذا كله مفسر

الذي

عليهم فيما يزعمون في التولية وفيه حكمة ملجئة الى نكاح زوجة اخيه الدارج
فانه اذا علم ان ذلك يناله اذا لم ينكحها اثر نكاحه عليه فان كان مبغضا لها
زاهدا في نكاحها او كانت هي زاهدة في نكاحه مبغضة له استخرج لها الفقهاء
حيلة يتخلص منها ويتخلص منه فيلزمونها الحضور عند الحاكم بحضور من مشا
يخبرهم ويلقنوها ان تقول اني ابن عمي ان يقيم لاخته اسما في بني اسرائيل لم يرد
نكاحي فيلزمونها بالكذب عليه لانه اراد نكاحها او كرهته هي فاذا لقنوها هذه
الالفاظ قالتها فيامرونه بالكذب ان يقوم ويقول ما اردت نكاحها ولعل ذلك
سؤال في شتيته فانها فيامرونه بان يكذب ولم يفهم ان كذبوا عليه والزموه ان يكذب
حق سلطوها على الاضواقة والبصاق في وجهه ويسمون هذه مسئلة البيا
ما والجالوس وقد تقدم من التنبيه على حيلتهم في استباحة محارم الله ما
فيه كفاية فالقوم بيتا الحيل والمكر والخبث وقد كانوا يتنوعون في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بانواع الحيل والكيد والمكر عليه وعلى اصحابه ويرد الله
سجانه ذلك كله عليهم فتحيلاوا عليه وارادوا قتله مرارا والله بنجيه كيدهم
فتحيلاوا عليه وصعدوا فوق سطح واخذوا رمي ارادوا طردها عليه وهو جالس
في ظل حائط فاناه والوحى فقام منصرفا واخذ في حرهم واجلاهم ومكره
وظاهره واعليه اعداءه من المشركين فظفروا الله بهم ومكروا به واخذوا في جمع
العدو له فظفروا الله بهم برؤسهم وقتله ومكروا به وارادوا قتله بالسهم فاعلم الله
به ونجاه منه ومكروا به فسحروه حتى كان يحيل اليه انه يفعل الشيء ولم يفعله
فشفاه الله وخلصه ومكروا به في قولهم امنوا اول النهار والكفر واخوه يريدون
بذلك تشكيك المسلمين في نبوته فانهم اذا سلموا اول النهار واظلموا المسلمون اليهم
وقالوا قد اتبعوا الحق وظهرت لهم ادلته فيكفرون اخرا لئلا يرحمهم ويحسدون نبوته
ويقولون لم نقصد الا الحق واتبعه فلما تبين انه ليس به رجعا عن الايمان
به وهذا من اعظم خبثهم ومكرهم ولم يزلوا موضوعين مجتهدين في المكر والخبث
الى ان اخراهم الله بيد رسوله صلى الله عليه وسلم ولم ياتبعه اعظم الخزي وخزهم كل ممزق
ومشت شملهم كل مشنت وكانوا يبايعوا هديته صلى الله عليه وسلم ويصالحونه فاذا
خرج لحرب عدوه نقضوا عهده ولما سلب الله هذه الامة ملكها وعزها واذلها

وقطعهم

وقطعهم في الارض انتقلوا من التدبير بالقدرة والسلطان الى التدبير بالمكر و
الدها والخدع وكذلك كل عاجز جبار سلطان في مكره وخداعه وبهتته و
كذبه وكذلك كان النساء بيت المكر والخدع والكذب والخيانة كما قال تعالى عن
شاهد يوسف انه من كيدكم ان كيدكم عظيم **وهو** تلاعب الشيطان
بهذه الامة انهم يملكون انفسهم بعنايد الكرم وسائر الامم بالشوك المحيط
باعلى حيطان الكرم وهذا من غاية جهلهم وسفههم فان المعتدين بمصا
لح الكرم انما يحصل على اعلى حيطانه الشوك حفظه وصيانته وحياطة و
لسان نري لليهود ومن سائر الامم الا الضرر والذل والصغار كما يفعل الناس بالشوك
وهو تلاعب بهم انهم ينتظرون قايما من ولد داود النبي اذا حرك شفتيه
بالدعوات جميع الامم وان هذا المنتظر بزعمهم هو المسيح الذي وعدوا به وهم
في الحقيقة انما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال فم الكرابا عه والامسيح
المهدي عيسى بن مريم صلوات الله وسلامه عليه يقتلهم ولا يبقى منهم احدا والام
الثلاث تنتظر منتظرا يخرج في اخر الزمان فانهم وعدوا به في كل حلة والمسلمون
ينتظرون نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل اعدائهم
من اليهود وعبادة من النصاري وينتظرون خروج المهدي من اهل بيت النبوة
يملا الارض عدلا كما ملئت جورا **فصل** ومن تلاعب الشيطان بهذه
الامة الغضبانية انهم في الحشر الاول من الشهر الاول من كل سنة يقولون في صلا
تهم كم تقوم الامم اين الامم انبىه كم تنام يا رب استيقظ من رقدتك وهو لا انما
اقدوا على هذه الكفريات من شدة ضجهم من الذل والعبودية وانتظار فرج
لا يزداد منهم الا بعدا فاوقعهم ذلك في الكفر والزندق الذي لا يستحسنه
الا امثالهم واتجروا على الله بمثل هذه المصالح المناجاة القبيحة كما انهم ينخونه بذلك
لينتخي لهم ويحكي نفسه فكانهم يخبرونه بانه سبحانه قد اختار الخو لنفسه
ولا عبا به وابنا ابنا به فينخدع له للباهة واستهارة البصيرة فترى احدهم
اذا اتى هذه الكلمات في الصلاة يقشع جبينه ولا يشك في ان هذه المناجاة
تقع عند موقع عظيم وانما تؤثر فيه وتحركه وتميزه وتنجيه ومن فلك
انهم ينسبون الى الله سبحانه الذم على ما يفعل فمن فلك قولهم في التوراة التي في

ابديهم ونذم الله على خلق البشر الذي في الارض وشق عليه وعاد في رايه وذلك
عندهم في قصة نوح زعموا ان الله سبحانه لما وادى فساد قوم نوح وان
شرهم وكفرهم قد عظم ندم على خلق البشر وكثير منهم يقول انه بكى على الطوفان
حقا رمد وعلاته الملايكة وانه عض على انامله حتى جرد الدم وقالوا
ايضا ان الله ندم على تملك شاول على بني اسرائيل وانه قال ذلك لشمويل وعند
هم ايضا ان نوحا لما خرج من السفينة بالانبياء فذبح لله وقرب عليه
قربانين وان الله استنشق رائحة القثار فقال في ذاته لمن اعاد لعنة الارض
بسبب الناس لان خاطر البشري مطبوع على الرداءة ولئن اهلك جميع الحيوانا
كما صنعت وقد واجهوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بامثال هذه الكفرات
فقال قائل منهم للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استرا
فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى تكذيبا لهم ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ونامل قوله عقب ذلك فاصبر على
ما يقولون فان اعداء الرسول صلوات الله وسلامه عليه نسبوا الى ما لا يليق به فقالوا
فيه ما هو منزله عنه فامر الله سبحانه ان يصبر على قولهم ويكون له اسوة بربه سبحانه
حيث قالوا اعداؤه فيه ما لا يليق به وكذلك قال فيما صلاحي لابي بكر ان فقير وخن
ولهذا استقرض من اموالنا فانزل الله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله
فقير وخن اغنيا سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق
وقالوا ايضا يد الله مغلوله كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم في قوله وقالت اليهود يد الله
مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشا ويقولون
في العشر الاول من الشهر الاول من كل سنة الهنا والابناء امك على جميع اهل الارض
ليقول كل ذي نسمة الله اليراسيل قد ملك ومملكته في الكل سلطنة ويقولون في هذه
الصلاة ايضا وسيكون لله الملك وفي ذلك اليوم يكون الله واحدا واسمه واحدا
ويعتق بذلك انه لا يظلم ان الملك لله الا اذا صارت الدولة لليهود الذين هم صفوته
وامته فاما ما دامت الدولة لغير اليهود فانه سبحانه خامل الذكر الامم مطعون في ملكه
مشكوك في قدرته **فصل** ومن تلاعب شيطان بهم انهم يقولون

بالقدح في الانبياء واذا يتهم وقد اذوا موسى في حياته ونسبوه الى ما يراه الله منه
ونهى الله سبحانه هذه الامة عن الاقتداء بهم في ذلك حيث يقول يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها وثبت في الصحيحين
عن ابي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل يغتسلون غرارة
ينظرون بعضهم الى سوء بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالت بنو اسرائيل ما يمنع
موسى ان يغتسل معنا الا انه ادرك فذهب موسى يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر
بثوبه قال فجمع موسى بآثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو اسرائيل
الى سوءه موسى وقالوا والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه بنو اسرائيل
واخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه نذبت ستة اوسبعة ضرب
موسى بالحجر وانزل الله هذه الآية يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى
فبرأه الله مما قالوا اليه وقال ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن جعفر عن سعيد
قالت بنو اسرائيل ان موسى ادرك فالت طائفة هو ابرص من شدة تسيره وقال ابن سيرين
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان موسى رجلا حيا سيرا لا يكاثر من
جلده شيئا استحياء منه فاذا من اذاه من بني اسرائيل وقالوا ما يتستر هذا التستر
الا من عيب ابرص واما ادرة واما افرة وان الشحانة اراد ان يبريه ما قالوا وذكر الحديث
وقال سفیان بن الحسير عن الحكم عن ابن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في قوله لا تكونوا كالذين اذوا موسى قال صعد موسى وهرون الجبل فأت هرون فقالت
بنو اسرائيل انت قتلته وكان اشد حبا لنا منك واليه لنا منك فاذه بذلك فامر الله
الملايكة فحملته حتى مرت به على بني اسرائيل وتكلمت الملايكة بموته حتى عرفت بنو
اسرائيل انه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفعوه فلم يطع على قبره احد
من خلق الله الا الرحم فجعله الله اصم ابكم وقال تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوني
وقد تعلمون اني رسول الله اليكم ونامل قوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم فانها
جملة في موضع الحال اي تؤذوني وانتم تعلمون اني رسول الله اليكم وذلك بلغ في الغفلة
وكذلك المسيح قال يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصداق لما بين يدي من التوراة
ومبشر برسول ياتي من بعدي اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين

هذا قليل من كثير من اذاهم لا نبيأهم واما اذاهم لم بالقتل والنفي فاشهر من ان يذكر
ولقد بالغوا في اذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجمهم بالقول والفعل حتى ردهم الله خاسئين
ومن قد حسهم في الانبياء ما نسبوه الى نضر التوراة انه لما اهلك الله امة لوط لفسادها
وانجي لوط بابنتيه فقطظن ابتساه ان الارض قد خلت من يستبقين منه نسلا
فقال الكبرى للصغرى ان ابانا شيخ ولم يبق في الارض انسان ياتينا كسبيل البشر
فهل نسقي ابانا خمر او نضاجعه لنستبقي من ابينا نسلا ففعلتا ذلك برغمهم فنسبوا
النبي الى انه سكر حتى لم يعرف ابنتيه ثم وطأها فاحبلهما وهو لا يعرفهما فولدت
احدهن ولدا سميته مواب يعني انه من الاب والثانية سميت ولدها بن عتي يعني انه من
قبيلتها وقد اجاب بعضهم عن هذا بانه قبل نزول التوراة فلم يكن نكاح الاقارب حلالا
والتوراة تكذبهم فان فيها ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام خاف في ذلك العصر ان
يقتله المصريون حسدا له على زوجته سارة فاختفانكاهما وقال هي اختي علما منه
بانه اذا قال ذلك لم يبق للظنون اليها سبيل وهذا الظاهر دليل على ان تحريم نكاح الاخت
كان ثابتا في ذلك الزمان فما ظنك بنكاح البنت الذي لم يشرع ولا في زمن ادم وعندهم
ايض في التوراة التي بأيديهم قصة اعجب من هذه وهي ان يهوذا بن يعقوب النبي زوج ولده
الاكبر من امرأة يقال لها تamar فكان ياتيها مستديرا فغضب الله من فعله فاماته فزوج
يهوذا ولده الاخر بها فكان اذا دخل بها اترل على الارض علما منه بانه ان اولدها
كان اول الاولاد مدعو باسم اخيه ونسبوا الى اخيه فكره الله ذلك من فعله فاماته
الله ايض فامر يهوذا بالحاق بيته بها الى ان يكبر شبلا ولده ويتم عقله حذرا ان
يصيبه ما اصاب اخوته فاقامت بيتا بها ثم ماتت من بعد زوجها يهوذا وصعد
الى منزل ليحز غمها فلما اخبرته امرأة تamar باصعاد جملها الى المنزل لبست زي
الزواني وجلست في مستنق على طريقه لعلمها باشتها فلما من بها خالها راى فيه فراو
ها فطالبت بالاجرة فوعدها بحد وورهن عندها عصاه وخاتمها ودخل بها
فعلقت منه فلما اخبر يهوذا ان كتمته علقت من الزنا اذن باخواتها فبعثت اليه
بخاتمها وعصاه فقالت من رب هذين انا حامل فقال صدقت ومضى ذلك واعترف
بانه لا يعرفها ولم يستحل معاودتها ولا تسليمها الى ولده وعلقت من هذا الزنا باعراض

لعل
حراما

قالوا

قالوا ومن ولدها داود النبي ففي ذلك من نسبتهم الزنا والكفر الى اهل بيت النبوة ما
يقارب ما نسبوا الى لوط وهذا كله عندهم وفي نصوص كتابهم وهم يجعلون هذا سببا
لداود وسليمان ولمسيحهم المنتظر ومن العجائب انهم يجعلون المسلمين
اولاد زنا ويسمونهم بمرنديم واحدها مديرو وهو اسم لولد الزنا لان في شرعهم ان الزوج
اذا راجع زوجته بعد ان نكحت زوجا غيره فاولادها اولاد زنا وزعموا ان ما جات
به شريعة الاسلام من ذلك هو من موضوعات عبد بن سلام قصديه ان يجعل
اولاد المسلمين مرنديم برغمهم قالوا وكان محمد صلى الله عليه وآله قد رأى احلاما تدل
على انه صاحب ولة فساهم في تجارة لخد يجه واجتمع باخبار اليهود
وقص عليهم احلامه فعلموا انه صاحب ولة فاصعبوه عبد بن سلام فقر اعليه علوم
التوراة وفقها مدة ونسبوا الفصاحة والاعجاز للذين في القرآن الى عبد بن سلام
وان من جملة ما قرره عبد بن سلام ان الزوجة لا تحل للمطلق ثلاثا الى بعد ان ينكحها
رجل اخر ليجعل اولاد المسلمين اولاد زنا ولا يربح مثل هذا البهت يروج على كثير
من حيرهم وقد خلق الله لكل باطل وبهت حيلة كما للحق حيلة وليس وراء هذا
البهت بهت وليس مستكرامة قد حلت في معبودها والهمها ونسبته الى ما لا يليق
بعظمته وجلاله ونسبتا نبياؤه الى ما لا يليق بهم ورجيمهم وورثا لعظامهم ان ينسبوا
محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى ذلك وعداوته لهم وملاحه فيهم واجلاؤه لهم من ديارهم
واموالهم وسبي ذرارهم ونسائهم معلوم غير مجهول وقد نسبت هذه الامة
الغضبية عيسى بن مريم الى انه ساحر ولد غيبة ونسبت امه الى الفجور ونسبت
لوطا الى انه وطى ابنتيه واولدها وهو سكران من الخمر ونسبوا سليمان الى
انه كان ملكا ساحرا وكان ابوه عندهم ملكا ساجدا ونسبوا يوسف المصدق
الى انه حل نكته سراويله ونكته سراويل سيدة وانه قود من باقعد الرجل من امراته
وان الحايط انشق له فراكا باه يعقوب عاصيا على اناطله فلم يتم حتى نزل عليه
جبريل فقال يا يوسف تكون من الزناة وانت معدود عند الله من الانبياء فقام
حينئذ ومعلوم ان ترك الفاحشة عن هذا الامم فيه فان افسق الناس
لعدا ذلك لولا هاربا وترك الفاحشة ومنهم من زعم ان المسيح كان

منهم

من العلم وان كان بداوى المرض بالا ودية ويوهمهم ان الانتفاع انما حصل بدعا
وانه داوى جماعة من المرضى في يوم السبت فانكرت عليه اليهود ذلك فقال لهم
اخبروني عن الشاة من الغنم ان وقعت في بئر امانزلون اليها وتخلون السبت
لتخليصها قالوا بلى قال فلم احللت السبت لتخليص الغنم ولا تحلونه لتخليص
الذي هو اكبر حرمة من الغنم فانجسوا ويحكمون ايضا عنه انه كان مع قوم من تلاميذه
في جبل ولم يحضروا الطعام فاذا ن لهم في تناول الخشيش يوم السبت فانكرت عليه
اليهود قطع الخشيش في يوم السبت فقال لهم الانيتم لو ان احدكم كان وحيدا مع
قوم على غير ملتهم وامرهم بقطع النبات والقاية لداوهم لاي قصدون بذلك ابطال
السبت الستم تجزؤن له قطع النبات قالوا بلى قال فان هو لا يقوم امرتهم بقطع
النبات لياكلوه وليتغذوا به لا لقطع السبت ومن العجب ان عندهم
في التوراة التي في ايديهم لا ينزل الملك من ال يهوذا والاسم من بين ظهرانيهم الى ان ياتي
المسيح وهم لا يقدرون ان يحسدوا ذلك فيقال لهم انتم كنتم اصحاب دولة حتى
ظهر المسيح ثم انقضت ملككم ولم يبق لكم ملك وهذا برهان على ان المسيح قد
ارسل ومن حين بعث المسيح وكفروا به وطلبوا قتله استولت ملوك الروم على
اليهود وبيت المقدس وانقضت دولتهم وتفرق شملهم فيقال لهم ما تقولون في
عيسى بن مريم فيقولون ولد يوسف النجار الغنية لا الرشدة وكان قد عرف اسم الله
الا عظم يسحر به كثير من الاشياء وعند هذه الامة الغضبانية ايضا ان الله تعالى
كان قد اطلع موسى على الاسم الاعظم المركب من اثنين واربعين حرفا وبه شق
البحر وعمل المعجزات فيقال لهم فاذا كان موسى قد عمل المعجزات بالاسم الاعظم
فلم صدقتم نبوته واقررتهم بما وجدتم نبوة عيسى وقد عمل المعجزات بالاسم
الا عظم فاجاب بعضهم عن هذا الالزام بان الله سبحانه هو الذي علم موسى
ذلك الاسم فعلمه بالوحي وعيسى انما تعلمه من حيوان بيت المقدس وهذا هو
الايق بنهمهم وكذبهم على الله وانبيائه وهو يسد عليهم العلم بنبوة موسى
لان كلا الرسولين اشتركا في المعجزات والايات الظاهرة التي لا يقدر احد
ان ياتي بمثلها فان كان احدهما قد علمها بحيلة او تعلم فالآخر يمكن ذلك

في حقه وقد اخبر جميعا ان الله سبحانه هو اجري ذلك على ايديهما وان لم يصنعها
فتكنيا حدتها وتصديقها لا يفرق بين المتماثلين وايضا فانهم لا دليل لهم
على ان موسى تلقى تلك المعجزات من الله الا وهو يدل على ان عيسى تلقاها ايضا
عن الله فان امكن قدح في معجزات عيسى امكن القدح في معجزات موسى وان كان
ذلك باطلا فهذا ايضا باطل واذا كان هذا شان معجزات هذين الرسولين
بعد العهد وتشتت شمل امتهم في الارض وانقطاع معجزاتهم فما الظن بنبوة من
هو معجزاته واياته تزيد على الالف والعهد بها قريب وناقلوها اصدق الخلق وابرم
ونقلها ثابت بالتواتر قرنا بعد قرن واعظمها معجزة باق غض طري لم يتغير ولم يتبدل
منه شيء بل كانه منزل الان وهو القرآن العظيم وما اخبر به يقع كل وقت على
الوجه الذي اخبر به حتى كانه يشاهد عيانا فصل ولا يمكن البتة
ان يوم من يهودي بنبو موسى ان لم يؤمن بنبو محمد ولا يمكن نصراني ان يقر بنبو
المسيح الا بعد اقراره بنبو محمد صلى الله عليه وسلم وبيان ذلك ان يقال لياتين الاتين
انتم لم تشاهدوا هذين الرسولين ولا شاهدتم اياتهما وبراهين نبوتهم فكيف يسع
العاقل ان يكذب بنيا ذادعوة سابقة وكلمة قائمة وايات باهرة ويصدق من
ليس مثله ولا قريب منه في ذلك لانه لم يرا احد النبيين ولا شاهد معجزاته فاذا كانت
نبوة احدهما الزم التكذيب بنبوتهما وان صدق احدهما الزم التصديق بنبوتهما
فمن كفر بيني واحدا فقد كفر بالانبيا كلهم ولم ينفعه ايمانه بهربه قال تعالى الذين
يكفرون بالله ورسوله يريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا
واعتدنا للكافرين عذابا عظيما مهينا والذين امنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا
بين احدهم اولئك سوف يؤمنهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما وقال
تعالى من الرسول ما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله ولا يئسوا ولا يكتئبوا
ورسوله لا يفرق بين احدهم من رسله فنقول لا يخطوب عليهم هل رايتم موسى
وعاينتم معجزاته فبالضرورة لا يقولون لا بل عاينتم نبوته وصدقته
صدقه فله جوابان احدهما ان يقول اني عرفت ذلك واخبر به الناس في
ان يقول التواتر وشهادات الامم حقوق عند ذلك كما حقق شهادتهم وجود

البلدان الشاهية والبحار والانهار المعروفة وان لم اشاهدها فان اختار
الجواب الاول قال شهادة ابي واخبره اياي بنو موسى هي سبب تصديقي بنوته
فيقال له ولم كان ابوك عندك صادقاً في ذلك معصوماً عن الكذب وانت ترى
الكفار يعلمهم اباؤهم ما هو كفر عندك فاذا كنت ترى الاديان الباطلة والمذاهب
الفاسدة قد اخذها اربابها عن ابايهم فاخذك مذهبك عن ابيك وانت تعلم ان
الدين الذي هو عليه ضلال فلزم ان تبحث عما اخذته عن ابيك خوفاً ان يكون
هذه حاله **فان قال** ان الذي اخذته عن ابي اصح من الذي اخذه الناس
عن ابايهم كفاه معارضة غيره له بمثل قوله **فان قال** لي اصدق من ابايهم و
اعرف وافضل عارضه ساير الناس في ابايهم بنظير ذلك **فان قال** انا اعرف
حال ابي ولا اعرف حال غيره **فيل** فما يؤمنك ان يكون غير ابيك اصدق
من ابيك وافضل واعرف وبكل حال فان كان تقليد ابيه حجة صحيحة فان
تقليد غيره لا يبيح كذلك وان كان ذلك باطلاً فان تقليد ابيه باطلاً فان
رجع عن هذا الجواب واختار الجواب الثاني وقال انما علمت بنو موسى بالتواتر قرناً
بعد قرن فانهم اخبروا بظهوره ومعجزاته واياته وبراهين بنوته التي تضطر
الى تصديقه فيقال له لا ينفعك هذا الجواب لانك قد ابطلت ما شهد به التواتر
من نبوة المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت** تواتر ظهور موسى ومعجزاته
واياته ولم يتواتر ذلك في المسيح ومحمد **فيل** هذا هو اللابيق يسمي الامة الغضبية
فان الامة جميعهم قد عرفوا انهم قوم بهت والاف من المعلوم ان الناقلين للحجرات
المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم اضعا فاضعا فكم بكثير المعجزات التي شاهدتها
او ايلهم لا تنقص عن المعجزات التي اباها موسى صلى الله عليه وسلم وقد نقلها عنهم
اهل التواتر جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن وانت لا تقبل خبر التواتر في ذلك
وتزده فيلزم ان لا تقبله في امر موسى ومن المعلوم بالضرورة ان من اثبت
شيئاً ونفى نظيره فقد تناقض واذا اشتهر النبي في عصر وصحت نبوته في ذلك العصر
بالايات التي ظهرت عليه لاهل عصره ووصل خبره الى اهل عصر اخر وجبت عليهم
تصديقه والايان به ومحمد في محمد والمسيح في هذا سواء ولعل تواتر الشهادات

بنو موسى اضعف من تواتر الشهادتين بنو موسى ومحمد لان الامة الغضبية
قد من قها الله كل ممزق وقطعها في الارض وسلبها ملكها وعزها فلا عيش
لها الا تحت قهر سواها من الامة بخلاف الامة الغضبية التي لا تملك الارض
وفيهم الملوك ولهم الممالك واما الجحفا فمالكهم قد طبقت مشارق الارض ومغاراتها
وملاوا الدنيا سهلاً وجبلاً فكيف يكون نقلهم لما نقلوه كذبا ونقل الامة الغضبية
الحاملة القليلة الذليلة صدقاً ثبت انه لا يمكن يهودياً على وجه الارض ان يصدق
بنو موسى الا بتصديقه واقراءه بنو محمد ولا يمكن نصرانياً البتة الايمان بالمسيح
الا بعد الايمان بمحمد ولا ينفعها تواتر الامتين شهادة المسلمين بنو موسى والمسيح
لانهم انما امنوا بهما على يد محمد وكان ايمانهم بهما من الايمان بمحمد وبما جابه فلو كان
ما عرفنا نبوتها ولا ايمانها ولا سيما فان امة الغضب الضلال ليس بايديهم
نحن الانبياء بهم ما يوجب الايمان بهم فلو لا القرآن ومحمد ما عرفنا شيئاً من ايات الانبياء
المتقدمين محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى ونبوة المسيح لا اله الا هو
ولا المنصاري بل كان نفس ظهوره ومجيئه تصديقاً لنبوتهما فانها اخبر به وشمل
بظهوره قبل ظهوره فلما بعث كان بعثه تصديقاً لهما وهذا الحد المعين في قوله تعالى
ويقولون ايئنا نثاركوا النساء لئن لم يبعثنا الله لكانن من الخاسرين
تصديقاً لهم من جهتين من جهة اخبارهم بمجيئه وبعثه ومن جهة اخباره بمثل ما
اخبر به ومطابقة ما جابه لما جاء به فان الرسول الاول الذي بالمو لا يعلم الا بالو
ثم جابه اخر لم يقارنه في الزمان ولا في المكان ولا تلقى عنه ملجابه سواء ذلك
على صدق الرسولين الاول والاخر وكان ذلك من نزلة رجلين اخبر احدهما
بخبير عن عيان ثم جاء اخر من بلده وناحيته بحيث يعلم انه لم يجتمع به ولا تلقى
عنه فاخبر بمثل ما اخبر به الاول سواء فانه يضطر السامع الى تصديق الاول
والثاني والمعنى الثاني انه لم يات مكنياً بل من قبله في الانبياء من راي عليهم كما ينقل
الملوك المتغلبة على الناس من تقدمهم من الملوك بل جاء مصداقاً لما شاهدوا
بنبوتهم ولو كان كاذباً متقولاً من شيا من عند سياسة لم يصدق من قبله
بل كان يزيرونهم ويطعن عليهم كما يفعل اعداء الانبياء **فصل** وقد

والاخر من تلقى عندهم

اختلف الناس في التورية التي بأيديهم هل هي ببدلة ام التبديل والتحويل وقع
في التاويل دون التزويل على ثلاثة اقوال طرفين ووسطا فطرف طائفة فرعت
انها كلها او اكثرها ببدلة مغيرة ليست التورية التي انزلها الله على موسى وتعرض
هو التناقض او تكذيب بعضها البعض وغلا بعضهم فجوز الاستحسان بما من
البول وقابلهم طائفة اخرى من ائمة الحديث والفقه والكلام فقالوا التبديل وقع
في التاويل لا في التزويل وهذا مذهب ابن جرير اسماعيل البخاري قال في صحيحه
يخبرون بزيلون وليس حديثا لفظا كما كتبه ولكنهم يخبرونه بما ولونه على غير
تاويله وهذا اختيار الرازي في تفسيره وسمعت ابن خنيس يقول وقع التزويل في هذه المسألة
بين بعض الفضلاء فاختار هذا المذهب وهو غير فانكر عليه فاحضر له خمسة
نقلا ومن حجة هؤلاء ان التورية قد طبقت مشارق الارض ومغاربها وانتشرت
جنوبا وشمالا ولا يعلم عدد نسخها الا الله ومن الممتنع ان يقع التواطى على
التبديل والتغيير في جميع تلك النسخ بحيث لا يبقى في الارض نسخة الابدلية
مغيرة والتغيير على منهاج واحد وهذا مما يحمله العقل ويشهد بطلانه قالوا
وقد قال الله لنبيه محمدا على اليهود قل فاقوا بالتوراة فالتوراة ان كنتم صادقين
قالوا وقد اتفقوا على ترك فريضة الرجم ولم يمكنهم تغييرها من التوراة ولهذا
لما قرأوها على النبي صلى الله عليه وآله لم يضع القاري يده على آية الرجم فقال له عبد
بن سلام ارفع يدك عن آية الرجم فرفعها فاذا الكو هي تلوح تحتهما فلوكا فوا قد بدلوا
الفاظ التوراة لكان هذا من اهم ما يبدلونه قالوا وكذلك صفات النبي صلى الله عليه وآله
ومخرجه هو في التورية بين جدا ولا يمكنهم ازالته وتغييره وانما ذمهم الله
وكافا اذا اخرج عليهم بما في التوراة من نعتة وصفته يقولون ليس هو ونحن
ننتظره قالوا وقد روى ابو داود في سننه عن ابن عمر قال اتا نفر من اليهود فدعوا
رسول الله صلى الله عليه وآله ولم الى الفقه فاتاهم في بيت المدارس فقالوا يا ابا القاسم
ان رجلا منا زنا بامراة فاحكم فوضعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسادة فجلس
عليها ثم قال اتوني بالتوراة فاتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التورية
عليها ثم قال انت بك ومن انزلك ثم قال اتوني باعلمكم فاتي ابن بغوي شاب ثم ذكر قصة الرجم

قالوا فلوكا كانت ببدلة مغيرة لم يضعها على الوسادة ولم يقل انت بك قالوا وقد
قال تعالى وتنت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو اسمعيل العليم والتورية
من كلماته قالوا والاثار التي في كتمان اليهود وصفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
او لادهم وعوامهم من الاطلاع عليها مشهورة ومن اطلع عليها منهم قالوا له ليس
به فهذا بعض ما احتج به هذه الفرقة وتوسط طائفة ثالثة وقالوا قد زيد
فيها وغير الفاظ يسيرة ولكن اكثرها باق على ما انزل عليه والتبديل في يسير
منها جدا ومن اختار هذا القول شيئا من كتابه الجواب الصريح لمن بدد من
المسحج قال وهذا كما في التورية عندهم ان الله سبحانه قال لابيراهيم عليه السلام
اذبح ابنك بكرك او وحيدك اسحق فاسحق فزادة منهم في لفظ التوراة قل
وهي باطلة قطعا من وجوه عشرة احدها ان بكرك ووحيد هو اسمعيل بانفا
ق الملل الثلاث فالجمع بين كونه مامورا بذبح بكرك وتعيينه باسحق جمع بين النقص
المتقضين الثاني ان الله سبحانه امر ابراهيم ان ينقلها جردا ابنها اسمعيل
عن سارة ويسكنها في بركة مكة لتلا تغير سارة فامر به بابعاد السرية وو
لرها عنها حفظا لقلبها ودفعا لاذي الغير فكيف يامر سبحانه بعد هذا بذبح
ابن سارة وابقا ابن السرية فهذا مما لا يقتضيه الحكم الثالث ان قصة الذبح
كانت بمكة قطعا ولهذا جعل الله سبحانه ذبح الابدان والقربان بمكة
تذكيرا للملأمة بما كان من قصة ابراهيم مع ولده الرابع ان الله سبحانه
بشر سارة ام اسحق باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فبشرها بما جميعا
فكيف يامر بعد ذلك بذبح اسحق وقد بشر ابويه بولد ولده الخامس ان
الله سبحانه لما ذكر قصة الذبيح وتسلية نفسه لله واقدام ابراهيم على ذبحه
وفرغ من قصته قال بعدها وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فشكر الله
له استسلامه لامره وبذل ولده له وجعل من اثابته على ذلك ان اتاه اسحق
فبشر اسمعيل من الذبح وزاد عليه اسحق السادس ان ابراهيم عليه السلام
الله وسلامه عليه سال ربه الولد فاجاب دعاه وبشره به فلما بلغ معه
السنين امره بذبحه قال تعالى وقال لي ذاهبا لي ربي سيهدين ذهب لي بالصالحين

فبشرناه بغلام حلیم فهذا دليل على ان هذا الولد انما بشر به بعد دعائه وسؤاله
ربه ان يهب له ولدا وهذا المبشر به هو المأمور بذبجه قطعاً بنص القرآن واما
استحقاقه بشر به من غير دعوة منه بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له وانما كانت
البشارة به لامرأته سارة ولما عجت من حصول الولد منها ومنه قال تعالى ولقد جاءه
رسلنا ابراهيم بالبرى قالوا اسلاما قال سلام فالبشران جاءا بعجل حينئذ فلما رأى
اليدى لم لا فضل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخفنا ارسلنا الى قوم لوط و
امرأته قارئة فضحكك فبشرنا هابا اسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلت
اولد وانا عجوز وهذا عجيب ان هذا الشيء عجيب قالوا تعجبين من امر الله فتأمل
سياق هذه البشارة وتلك تجدها بشارتين متفاوتتين فخرج احدهما غير مخرج الآخر
والبشارة الاولى كانت له والثانية كانت لها والبشارة الاولى هي التي امر بذبج من بشر به
منها دون الثانية السابعة ان ابراهيم لم يقدم باستحقاق مكة البتة ولم يفرق بينه وبين ابيه
وكيف يامر الله سبحانه ان يذهب بامرأته فيذبجه بموضع ضرتها وفي بلد لها ويدعى
ابن ضرتها الثامن ان الله سبحانه لما اتخذ ابراهيم خليلاً والخلة تتضمن ان يكون
قلبه كله متعلقاً بربه وليس فيه كعة لغيره فلما سالم الولد وهب اسمعيل فتعلق به
شعبة من قلبه فاراد خليفه سبحانه ان تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق فاما
تحنه بذبج ولده فلما اقدم على الامتثال خلصت له تلك الخلة وتمحضت له وحده من
الامر بذبجه لحصول المقصود وهو العز وتوطيد النفس على الامتثال ومعلوم ان هذا
انما يكون في اول الاولاد لا في اخرها فلما حصل هذا المقصود من الولد الاول لم يحتج في الولد
الآخر الى مثله فانه لو زاحمت حجة الولد الآخر الخلة لامر بذبجه كما امر بالاول فلو كان
المأمور بذبجه هو الولد الآخر لكان قد اقره في الاول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة
ثم امر بما يزيل المزاحمة بعد ذلك وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمل التاسع ان ابراهيم
انما رزق اسحق على الكبر واسمعيل رزقه في غنوانه وقوته والعادة ان القلب يعلف
باول الاولاد وهو اليه اسيل وله احب بخلاف من يرزقه على الكبر ومحل الولد على الكبر
كمحل الشهوة للمرأة العانس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفخر بقوله انا ابن الذبيحين
يعني اياه عبد الله وجد اسمعيل والمقصود ان هذه اللفظة لما زادوها في التوراة ونحن
نذكر السبب الموجب لتغيير ما فيها والحق ان يتبع فلا تغلوا لغلو المستهينين بما لا تغفرون

عما بل معاذ الله من ذلك ولا نقول انما بآية كما انزلت من كل وجه كالقرآن فنقول و
بالله التوفيق علما اليهود واحبارهم يعتقدون ان هذه التوراة التي بأيديهم هي التي
انزلها الله على موسى ابن عمران بعينها لان موسى صان التوراة عن بني اسرائيل خوفاً
من اختلافهم من بعد في تاويلها المودي الى تفرقهم احزاباً وانما سلمها الى عشرينه اولاً
لبوي ودليل ذلك قوله في التوراة وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى بني اسرائيل الى
الائمة من بني لبوي وكان بنوا هرون قضاة اليهود وحكامهم لان لامة حة وخدمة
القرابين والبيت المقدس كانت موقوفة عليهم المستجربين منها ولم يبدل موسى
في التوراة لبني اسرائيل الى نصف سعة وهي قال فيها وكتب موسى هذه السورة وعلما
بني اسرائيل لا تنسى من افواههم اولادهم وهذه السورة مشتملة على ادم طبائعهم
هذه السورة عندهم قال وتكون هذه السورة شاهدة على بني اسرائيل وفيما قال الله
لان هذه السورة لا تنسى من افواه اولادهم وهذه السورة مشتملة على ادم طبائعهم و
انهم سيخالفون شرايع التوراة وان السخط ياتيهم بعد ذلك وتخرب ديارهم و
يسبون في البلاد فهذه السورة تكون متداولة في افواههم كالشاهد عليهم الموقوف لهم
على صحة ما قيل فيهم فلما نصت التوراة ان هذه السورة لا تنسى من افواه اولادهم
دل على ان غيرهم من السورة ليس كذلك وانما يجوز ان تنسى من افواههم وهذا يدل على
ان موسى لم يعط بني اسرائيل من التوراة الا هذه السورة فاما بقية ما دفعها الى اولادها
روى وجعلها وصايا عن سواهم وهو لا ائمة الا يروون الذين كانوا يعرفون
التوراة ويحفظون اكثرها فقلهم بخت نصر على ادم واحد يوم فتح المقدس ولم يكن
حفظ التوراة فرضاً عليهم ولا سنة بل كل واحد من الها يروون ويحفظون فضلاً
من التوراة فلما رأى عزيزان القوم قد احرق هيكلكم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم
ورفع كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التي كان يحفظها الكهنة باجتماع
منه هذه التوراة التي بأيديهم ولذلك الغوا في تعظيم عزيزها غاية المبالغة و
زعوا ان التوراة ان يظهر على قبره وهو عند بطايح العراق لانه جمع لهم ما يحفظ
دينهم وغلا بعضهم فيه حق قال هو ابن الله ولذلك نسب الى الله الى اليهود الى
جنسهم لا الى كل واحد واحد منهم فهذه التوراة التي بأيديهم في الحقيقة كتاب عزيز
وفيها كثير من التوراة التي انزلها الله على موسى ثم تداولتها امة قد مزقها الله
كل ممزق وشنت شملها فالحق ثلاثة امور احدها بعض الزيادة والنقصان

الثاني اختلاف الترجمة الثالث اختلاف التاويل والتفسير ونحن نذكر من ذلك امثلة تبين حقيقة الحال المثال الاول ما تقدم من قوله ولم في الصحاح فريسة لا تأكل ولا تكلب القوة وتقدم بيان تحريفهم هذا النص على غير محله المثال الثاني قوله في التوراة بنيا اقيم لهم في وسط اخوتهم مشكك به فليؤمنوا فواتا وبله اذ لم يمكنهم ان يبذلوا تنزيله وقالوا هذه بشارة بنينا بني اسرائيل وهذا باطل من وجوه احدها انه لو اراد ذلك لقال من انفسهم كما قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقال لقد جاءكم رسول من انفسكم ولم يقل من اخوتكم المثال الثاني انه المرحوم في التوراة ان اخوتهم غير بني اسرائيل في الجزء الاول من السفر الخامس فاعلم انهم غايرون في فجوا اخوتهم بني العيص المقدس في سيعير واياكم ان تطعموا في شئ من ارضهم فاذا كان بنو العيص اخوة بني اسرائيل لان العيص واسرائيل ولدوا لاسحق والروم بنو العيص واليهود بنو اسرائيل وهم اخوتهم فكذلك بنو اسمعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم المثال الثالث ان هذه البشارة لو كانت لشمويل او غيره من بني اسرائيل لم يصح ان يقال بنو اسرائيل اخوة بني اسرائيل واما ما المفهوم من هذا ان بني اسمعيل او بني العيص هم اخوة بني اسرائيل المثال الرابع انه قال اقيم لهم بنيا مشكك في موضع اخر انزل عليه تورا مثل تورا موسى ومعلوم ان شمويل وغيره من انبياء بني اسرائيل لم يكن فيهم مثل موسى لاسيما في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل مثل موسى وايضا فليس في بني اسرائيل من اترأ عليه تورا مثل تورا موسى الا محمد والمسيح كان من انفس بني اسرائيل لا من اخوتهم بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه من اخوتهم بني اسمعيل وايضا فان في بعض الفاظ هذا النص كلام له سمعوت وشمويل لم يات بزيادة ولا نسخ لانه انما ارسل ليقوي ايديهم على اهل فلسطين ولم يردم الى شرع التوراة فلم يات بشريعة جديدة ولا كتاب جديد وانما حكمه حكم ساير الانبياء من بني اسرائيل فانهم كانت تسوسهم الانبياء الذين كلما هلك نبي قام فيهم نبي فان كانت هذه البشارة لشمويل فهي بشارة ساير الانبياء الذين بعثوا فيهم ويكونون كلام مثل موسى وكلام قد انزل الله عليه كتابا مثل كتاب موسى المثال الثالث قوله في التوراة جاء الله من طور سيناء وشرق نوره بعده من سيعير واستعلن من جبال فاران ومعهم ربوات المقدسين وهم يعلمون ان جبل سيعير جبل الشؤفة الذي يسكنه بنو العيص الذين اتوا بعيسى ويعلمون ان في هذا الجبل كان مقام المسيح ويعلمون ان سيناء هو جبل الطور فاما جبال فاران فهم يعلمون ان جبال الشؤفة هذا من بنينهم وتحريف التاويل فان جبال فاران هي جبال مكة وفاران اسم من اسماء

مكة وقد دل على هذا نص التوراة ان اسمعيل لما فارق اياه سكن في بنية فاران ولفظ التوراة ان اسمعيل اقام في بنية فاران فانكحه امه من ارض مصر فثبت بنص التوراة ان جبال فاران مسكن لولد اسمعيل واذا كانت التوراة قد اشارت الى بنوة تنزل على جبال فاران لزم انها تنزل على ولد اسمعيل لانهم سكانها ومن المعلوم بالضرورة انما لم تنزل على غير محمد صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل وهذا من اظهر الامور بحمد الله تعالى **فصل** وما يدل على غلط افهام هذه الامة الغضبية وقلة فقههم وفساد رايهم وعقولهم كجاء في التوراة انهم شعب عاد مو الراي وليس فيهم قطانة انهم سمعوا في التوراة يكون تمار ارضك تحمل الى بيت الله وبك ولا ينضج الحنطة بلين امه المراد من ذلك انهم امر واعقبوا افتراضا الحج الى بيت المقدس عليهم ان يستصحبوا معهم اذا حجوا ابكارا غنائمهم وابكارا مستغلات ارضهم لانه كان فرض عليهم قبل ذلك ان تبقى سخولة البقر والغنم وراعيها سبعة ايام وفي اليوم الثامن فصاعدا يصلح ان يكون قربانا فافا شار بهذا النص في قوله لا ينضج الحنطة بلين امه الى انهم لا يبا لغون في اطلالة مكث باكور اولاد البقر والغنم وراعيها تبايل يستصحبون ابكارهم التي قد عبرت سبعة ايام منذ ميلادهم معهم اذا حجوا الى بيت المقدس ليتخذوا منها القرابين فتوهم المشايخ البله ان الشرع يريد بالانضاج انضاج الطبخ في القدر وانهم نمطوا ان يطبخوا الحنطة باللبن ولم يكفهم هذا الغلط حتى حرموا اكل ساير اللحمان باللبن فالغو اللفظ الحنطة واللبن اكلوا كلاهما على حدة والامر في هذا ونحوه واذا ارادوا ان ياكلوا اللحم واللبن اكلوا كلاهما على حدة والامر في هذا ونحوه قريب **فصل** ولا تستبعد اصطلاح كافة هذه الامة على المحال و اتفاقهم على انواع من الضلال فان الدولة اذا انقضت باستيلاء غيرها عليها واخذها بلادها انطشت معالم دينها وانورست اثارها فان الدولة انما يكون زوالها بتنازع الغارات والمصافات واخراب البلاد واحراقها ولا تزال هذه الامور متواترة عليها الى ان تعود علومها جهلا وعزها ذلا وكونتها قلة وكلما كانت الامة اقدم واختلفت عليها الدول المتناولة لها بالذل والصغار كان حظها من اندراط معالم دينها واثارها وفرو هذه الامة او فر الامة حظا من هذا الامر

لانهم من اقدم الامم وكثرة الامم التي استولت عليها من الكشديين والكلدانيين
 والبابليين والفرس واليونان والنصارى واخذوا كل المسلمين وما من هذه الامم
 الا من طلب استيصالهم وبالغ في احراق بلادهم ودينهم وقطع اثارهم الا المسلمين
 فانهم اعدوا الامم فيهم وفي غيرهم حفظا لوصية الله تعالى حيث يقول يا ايها الذين
 امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وقوله
 تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على
 عدل ان لا تعدلوا اعدوا هو اقرب للتقوى وصادف الاسلام هذه الامة تحت
 ذمة الفرس وذمة النصارى بحيث لم يبق لهم مدينة ولا جيش واعزوا صناديق الاسلام
 من هذه الامة يهود خيبر والمدينة وما جاورها فانهم انما قصدوا تلك الناحية لما
 كانوا عدوا به من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يقاتلون المشركين من العرب
 فيستنصرون عليهم بالايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وبعد ذنهم يستخرج
 نبي يتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم سبقهم اليه
 كانوا يحاربونه من العرب فحملهم الحسد والبغى على الكفر به وتكذيبه واستدما على
 هذه الامة ما نالهم من ملوكهم العصاة وغيرهم من ملوك الاسرايليين الذين قتلوا
 الانبياء والغوا في نطلبهم وعبدوا الاصنام واحضروا من البلاد سدا تها ليعلم رسو
 حيا في العبادة وبنوا لها البسج والهيكل وعكفوا على عبادتها وتركوا احكام التوراة
 اعصارا متصلة فاذا كان هذا تواتر الافات على دينهم من قبل ملوكهم فما الظن با
 لا فاقا التي نالتهم من غير ملوكهم واحراق كتبهم ومنعهم من القيام بدينهم فان الفرس
 كثيرا ما منعوا من الختان وكثيرا ما منعوا من الصلاة لمعرفتهم بان معظم اصلا
 هذه الطائفة دعا على الامم بالبوار وعلى العالم بالخواب فلما رأت هذه الامة الجور
 من الفرس في منعهم من الصلاة ابتدعوا ادعية سموها الخزائن وصاغوا لها الخانات
 وصاروا يجتمعون في اوقات صلواتهم على تكبيرها وتلاوتها وسموا القايم بما الخزان
 والفرق بينه وبين ما فعلوا بغيره ان المصلي يتلو في الصلاة وحده ولا يجهر
 معه غيره والختان يشاركه غيره في الجهر بالخزانة ويعادونه في الختان فكانت
 الفرس اذا انكرت ذلك منهم قالوا اننا نسمي احيانا ونسج على انفسنا فيكونهم وذلك

فلما قام الاسلام واقروهم على صلواتهم استصحبوا تلك الخزائن ولم يعطوها في هذه
 فصول مختصرة في كيد الشيطان وتلاعبه بهذه الامة يعرف بها المسلم الخفيف قدر
 نعمة الله عليه وما من به عليه من العلم والايمان ويحمد الله بما من اراد الله هدايته
 من طالب الحق من هذه الامة وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
 وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه كل ما يصلح المصلون وكل ما يفلح عن الصلاة والسلام على الخافوا
 ثم الكتاب بحمد الله وعونه واحسانه وكان الفراغ من نقله ضحوة يوم الثلاثاء
 في اليوم الاخر من شهر ربيع الاول الذي هو من شهر ١٢٨٥ سنة خمس
 نين ومائتين والف وذك بقلم الفقير الى الملك الديان المقرولاه
 بالاساة والعصيان المحتاج الى شفاعته سيد الانس والجان
 عبد بن محمد بن عبد الله بن فتوح بن محمد بن جبريل بن
 سليمان غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
 والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات انه
 على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير
 وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وصحبه
 وسلم